

ج ٢/١ س ٢٣ رجب/شعبان ١٤٠٨ هـ - (آذار/نيسان (مارس/أبريل) ١٩٨٨ م

من ذكريات الرحلات :

بين ميونخ وفينا

- ٢ -

في مدينة فينا :

وفي صباح الخميس العاشر من رمضان ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧/٥/٧ م) كان الوصول إلى فينا ، والنزول في فندق (دي فرانس) ومع أن الصديق الكريم الأستاذ عبدالله الحيال ممن عرف هذه المدينة حق المعرفة ، إذ أقام فيها سنوات سفيراً لبلادنا ، وتردد عليها في كثير من رحلاته وأسفاره ، إلا أن اختيار ذلك الفندق ينطبق عليه قول المعري :

وَقَدْ يُخْطِئُ الرَّأْيَ امْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ كَمَا اخْتَلَّ فِي وَزْنِ الْقَرِيضِ عَيْبٌ
لَمْ نَطِقِ الْبَقَاءَ فِيهِ سِوَى اللَّيْلَةِ الَّتِي اضْطَرْنَا عَدَمَ وَجُودِ غَيْرِهِ لِقَضَائِهَا فِيهِ ، وفي الصباح كان الانتقال إلى فندق (هِلْتَن) ولا تَسْلُ عن أجور الفنادق في هذه المدينة ، بل عن ارتفاع تكاليف المعيشة فيها بصفة عامة بالنسبة للبلاد الأوربية .
وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَسْلَى !! :

وفي الطريق إلى الفندق - وقبل اختيار المنزل - كان المرور بالمكتبة العامة . كنت قد عرفت هذه المكتبة قبل بضعة عشر عاماً ، وأطلعت على بعض مخطوطاتها ، بل صُور لي منها مجلدٌ يحوي القسم الثالث من رحلة عبدالغني

النابلسي « الحقيقة والمجاز » وهو القسم المتعلق بالحجاز ، ونَشَرْتُ مقتطفاتٍ منه في مجلة « العرب » س ٢ ص ٤٨٦ ، ٦٥٢ ، ٨٣٦ - ثم علمت أن زميلي في مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة الأستاذ عارف النكدي يقوم بتحقيق الرحلة كاملة ، فتوقفت عن الاستمرار بنشر ما أردتُ نَشْرُهُ ، وبعد وفاة الأستاذ عارف - رحمه الله - قبل بروز عمله فيه اقترحتُ على أخي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي صاحب (دار الرفاعي للطباعة والنشر) القيامَ بنشر ذلك القسم ، وقَدَّمْتُ له ، بعد تحقيق الأصل بمقابلة نسختي منه بأجود مخطوطتين اطلعتُ عليهما من الكتاب ، هما مخطوطة مكتبة الحرم المكي ، ومخطوطة المكتبة العامة في فينا ، ومع أن الكتابَ نَشِرَ مصوراً عن مخطوطة دار الكتب المصرية - بعد ذلك - إلا أنه لا يزال بحاجة إلى نشرة محققة ، يرجع فيها إلى المخطوطتين المذكورتين اللَّتَيْنِ هُما - يَدُونِ شِكْ - أتقنُ وأصحُّ من مخطوطة دار الكتب المصرية .

حين مررتُ بالمكتبة العامة عاودني الحنينُ إلى ما أَلْفُتُّهُ ، وإن كنتُ قد فَقَدْتُ الآنَ كثيراً من بواعث ذلك الحنين ، وَضَعُفْتُ في نفسي الرغبةَ القوية التي كثيراً ما حفزني ودفعني إلى إرهاق الجسم ، وَتَحَمَّلْتُ كثير من المشقات في سبيل الوصول إلى إحدى المكتبات التي قد أجَدُّ فيها ما اتطلع للاستفادة منه من مؤلفات :

وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَسَلَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقَيْنَا
اهْتَدَيْتُ إلى باب المكتبة التي انتقلتُ من مقرها القديم إلى مكان بجواره ، وكان المرشدُ إنساناً فاضلاً ، فلم يتركني - حين علم بأنني أُبَحِّثُ عن القسم العربي من المكتبة - حتى أوصلي إليه في الدور الثاني . فإذا الذي فتح لي الباب أخٌ عربي ، مرحباً ، مشيراً بالجلوس على كرسي في مدخل الغرفة ، ولما أوضحتُ له رغبتني في الاطلاع على فهرس المخطوطات العربية سألتني عن اسمي ، وبعد ذكره قال : لقد أخبرني الأستاذ عبدالله بن حسين الملحق الثقافي السعودي بقدموك ، فأجبتُه : ولكنه لم يرني بَعْدُ ، ولم يعلم بمجيئي ، فانا لم أصل إلا أمس ، فقال : إنه علم بأنك في (ميونخ) ، وستأتي إلى فينا .

كان الأستاذ الدكتور طَريف السَّمان بي حَفِيًّا ، ومعِي كَرِيماً ، فقد قَدَّمَ لي
الفهرس المكون من مجلدات اكتيفتُ بمطالعة الجزء الذي يحوي أسماء المؤلفات
الجغرافية والتاريخية ، ولما رغبت الاطلاع على بعض الكتب ذَهَبَ بي إلى المكان
المُعَدُّ للمطالعة ، وهناك ساعدني بسرعة إحضار ما أردت .

وقبل ذلك اتصل بالابن الكريم الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن حسين -
ملحقنا الثقافي في هذه البلاد - فأخبره بأنني موجود عنده ، وسرعان ما أتى إلينا ،
فازداد به الأُنس والسُرور ، فقد توطدت المعرفة بيني وبينه حين كان موظفاً في
المكتب التعليمي في بيروت قبل احتراقها .

كان اليومُ يومُ جُمعة ، وسيذهب الأخوان الكريمان لصلاتها في مسجد المركز
الإسلامي ، فاكتفيت بما اطلعتُ عليه من المخطوطات وكان منها :

١ - كتاب « المسالك والممالك » لأبي عُبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ ورقمه
(MIXT 779) نسخة حديثة الكتابة (مخطوطة سنة ٩٨٩) تقع في (١٥٧) ورقة -
يبتدئ القسم المتعلق بالجزيرة من الورقة الـ (١٢٨) - ذكر ملوك اليمن - وهذا
القسم قد حققه الابن الكريم الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم ، ونشره
سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) واعتمد في نشره على مخطوطات أقدم من هذه
المخطوطة وأجود ، والدكتور عبدالله بحاث طلبة ، ولا أستبعد أن يكون اطلع
على هذه النسخة ، ومع ذلك فقد توقعت أن أجد في مطالعتها ما قد يفيد ، إذ
يَرِدُ في بعض المؤلفات نقولُ عن كتاب البكري هذا لم ترد في مطبوعة الدكتور
عبدالله مع تَقْصِيهِ ، واستجادته لما اعتمد من الأصول .

ومع سوء كتابة هذه النسخة وكثرة التحريف فيها إلا أنني أردت التأكد من
قيمتها في وقت متسع ، فكان ذلك حين زرت المكتبة مرة ثانية ، عند عودتي من
ضاحية (هوف) في ناحية (سولزبرج) في النمسا إلى فينا ، في يوم الأربعاء ٩
محرم ١٤٠٨هـ (١٩٨٧/٩/٢م) ، ثم بعد ذلك أكرمني الأخ الدكتور طريف
السمان بصورتها ، وها هو وصفها في طرتها : « كتاب الممالك والمسالك » تأليف
الشيخ العلامة المحقق أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري القرطبي ، أثابه الله

الجنة ورضي عنه - وفوق هذا في هذه الصفحة : (وفي نوبة العبد الفقير محرم بن أسد الحسيني القادري ذي القعدة سنة ٩٩٩ هـ - وفوق العنوان - في الهامش - كتابة فارسية يظهر أنها بيتان من الشعر ، عنوانها (قطعة) - الصورة ص ٥ - .

وفي الصفحة : (توفي عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي المتوفى (؟) سنة ٤٨٧) ثم عنوان كتاب مضروب عليه هو : (وكتاب « الفاخر » لأبي طالب المفضل صاحب الفراء في محاورات العرب) .

ثم : (كتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ انتهى « كشف الظنون » وأيضا : مذكور في « نفع الطيب » في الجزء الثاني صفحة ٣٧٨ - أنه لو ما يفتخر الأندلس إلا بكتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد البكري لكفاه . انتهى .

وأول الكتاب (ص ٢ بعد البسملة) : وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، القول في مدة عمارة الأرض : عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهم - : أن ذلك ستة آلاف سنة ، وكذلك قال أهل الكتاب ، وأخذوا ذلك أخذًا شرعيًا ، أبو صالح عن كعب : ألفي سنة ، ابن معقل عن وهب مثله . قال ط والأول الصواب ، لرواية ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس » وقوله عليه الصلاة والسلام : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » وَجَمَعَ مَا بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَصَحَّ عنه - مع ذلك - ما رواه ابن وهب يرفعه إلى أبي ثعلبة الخشني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لَنْ يَنْقُصَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ نَصْفِ يَوْمٍ » يُرِيدُ الْيَوْمَ الَّذِي هُوَ مقدار ألف سنة ، وإذا كان ذلك كذلك كَانَ معلوماً أَنَّ الماضي إلى ظهور الإسلام ستة آلاف سنة ، وقد رُوِيَ عنه ﷺ قولٌ يدلُّ على صحة هذا القول الآخر ، وأصحُّ ما رُوِيَ في التاريخ على ما ذكره ط س أَنَّ من الطوفان إلى مولد إبراهيم إلى . . . (١) عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ، ومن مولد إبراهيم

كتاب الممالك والديارات

تأليف الشيخ الامام العالمين

العلامة المحقق ابي عبيد الله

ابن عبد العزيز البكري

القرطبي اثنائه الله

الحية وربي
عنه

توفي في شهر ربيع الثاني سنة ١٠٤١ هـ في مدينة قرطبة

وكتبه الفاضل لاخط المصنف
في محرابه الجليل

كتاب الممالك والديارات
ابن عبد العزيز البكري
اشترى كتبه الطنوك
ورفعه مذکور في بعض المطابع
ان لا يفتقر الا لندس الكتاب
لا يفتقر ولا يفتقر

عليه السلام إلى خروج موسى من مصر ببني اسرائيل إلى التّيه الذي مات فيه خمس مئة سنة وخمس وستون سنة ، ومن ذلك الوقت إلى أربع من ملك داوود وهو وقت ابتدائه لبناء بيت المقدس إلى ملك الاسكندر سبع مئة سنة وسبع عشرة سنة ، وبين مولد المسيح إلى بعث محمد ﷺ خمس مئة سنة ، وإحدى وستون سنة (إلى آخر ماذكر - الصورة ص ٧ - .

وآخر النسخة (الورقة ١٥٦/١) .

والتّيه مقدار أربعين فرسخاً ، وقيل : إنه تسع فراسخ في مثلها ، وأول حَدِّه ما بين قبر أبي حمير وبطن نجد^(٢) ، وفيه مات موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - وبطن نجد قرية ليس فيها ولا شجر^(٣) ، يسكنها نفر من الناس ، ويقال لها أيضا : بطن نخل ، لسواقي تسقي^(٤) على الناس فيه تُراب دقيق كأنما نُجِّلَ بمنخل .

كمل بحمد الله وعونه ، ولطفه ومَنِّه ، وجوده وفضله وتوفيقه ، وحوله وقوته وكرمه ، وكان الفراغ من كتب هذه النسخة يوم الأحد المبارك ، عشرين شوال من شهور سنة تسع وثمانين وتسع مئة من الهجرة النبوية والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم في آخر الكلام : (في نوبة سيدنا ومولانا سمي إمام المرسلين وسبطه) - الصورة ص ٩ - .

ويقع الكتاب في ١٥٧ ورقة (٣١٤) صفحة في الصفحة ٢١ سطرا سوى الأولى ففي طرتها عنوان الكتاب ، والأخيرة ليس فيها سوى ١٦ سطرا بخط النسخ الحسن والصفحة الثانية - أول الكتاب - مزوقة - مذهبة - بنقش في أعلاها ، ومحاطة بخط عريض مذهب .

وكان مما طالعت من مخطوطات هذه المكتبة في المرّة الأولى حين زُرْتُها :

٢ - كتاب « ترويح القلب الشجي » ، في مآثر عبدالله باشا الجتّة جي « كتاب رقمه (II56) في ٧٧ ورقة من القطع الصغير ، ومؤلفه عمر بن محمد بن إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

وإليه المرجع والمآب

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ذلك
سنة الف سنة . ولذلك قال اهل الكتاب واخذوا ذلك احدا
سنة . ابو صالح عن كعب بن جابر في سنة . بن معقل عن وهب بن
مسيبة . والاول الصواب لرواية بن عمر عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى عقيب
توقفه عليه الصلاة والسلام لم يمتلئ الساعة كهاين . وجمع

ما بين السبابة والوشط . وفتح عنه مع ذلك ما رواه بن وهيب
يرفعه الى ابن ابي عمير انه سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول لن يقض الله هذه الامة من صفر يوم يريذ اليوم الذي هو
مقدار الف سنة فاذا كان ذلك كذلك كاذم معلوما ان الماضي

الي طهر الاسلام ستة الاف سنة . وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم قول يبدل على صفة القول الاخر . وفتح ما روي

في التاريخ مما ذكره . ان من الطوفان الى مولد ابراهيم
الي خروج عليه السلام الف وتسع وسبعون سنة . ومن مولد

ابراهيم عليه السلام الى خندق موسى من معبد بني اسرائيل
الي النبي الذي مات فيه مئتي مائة سنة وخمسون سنة . سنة

من ذلك الوقت الى ربيع من ملك داود وهو وقت تدايد لبنا بيت
المعقل الى ملك الاسكندر سبع مائة سنة وسبع عشرة سنة

ومن مولد المسيح بن مريم الى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم

الوكيل ، والنسخة حديثة الخط .

وقد حفزني لمطالعة هذا الكتاب تعلُّقه بأحد أمراء الحج الشامي ، من ولاية الأتراك في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو عبدالله باشا (جَنَّة جِي) - أي الفارس - الذي كان والياً لدمشق سنة ١١٧١ ومات أو قتل سنة ١١٧٤ وقد تولى إمارة الحج الشامي سنتي ١١٧١ و١١٧٢ هـ. وكان سيِّء المعاملة للعرب الذين تقع مناهلهم وبلادهم في طريق الحج ، وقد نشرت في مجلة « العرب » س ١٢ ص ٣٩٦/٣٥٣ - رسالة عنوانها « النَّفْحُ الْفَرَجِي فِي الْفَتْحِ الْجَنَّة جِي » للسيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني المتوفى سنة ١١٧٧ - تتعلق بأمير الحج المذكور ، وتُصِفُ جوانب من مواقفه مع العرب ، مما هو من صميم تاريخ بلادنا - كهذه الرسالة - .

٣ - وطالعت مخطوطا عنوانه : « البدر الطالع من الضوء اللامع » ومؤلفه أحمد ابن محمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي الشافعي يقع في ٢٣٧ ورقة ، في التراجم ورقمه (I33) لخص فيه مؤلفه تراجم من كتاب السخاوي ، ولم يُضِفَ جديدا .

٤ - كما اطلعت على كتاب بعنوان : « البدر السافر وتحفة المسافر » في التراجم أيضا ، يبتدئُ بالأسماء المبدوءة بحرف العين ، في ٣٠٩ من الورق ، جاء في آخره : (وكانت وفاته بالاسكندرية ، في السابع عشر من شعبان سنة ٦٦٢ ، وقد اتفق في هذا التصنيف شيء عجيب ، ابتدأته بصالح وختمته بصالح ، فكان من الاتفاق الغريب ، وأنا استغفر الله فيما فرط . . . فرغت من تأليفه يوم عرفة سنة ٧٤٢ بالمدرسة الصالحية ، في القاهرة المعزية . .) .

أبو هريرة وكوجكا :

لا صلة لهذا باسم الصحابي الجليل عبدالرحمن بن صخر الدوسي الزهراني ، ولا برواية الكاتب التونسي محمود المسعدي « قال أبو هريرة » وإنما هو اسم قصة كتبها أديب عراقي معروف ، هو ذو النون أيوب ، وهي تصور فترة من حياته ، عاشها متقللا بين مدينتي (براغ) و (فينا) فوصف ماعان من صروف الدهر

مصريه عمران المدينه وصلاحها تقايله عمرو وهو القلزم
فكان سعر المدينه كسعودهم ولم يزد ذلك مصر الا صلاحاً
والبته مقدار اربعين فرسخاً وقيل انه سبع فراسخ في مثلها واول
حدثه ما بين بني اميه وبعث بنو جدريه مات موي وصارون
عليها الصلاة والسلام وبعث بنو جدريه ليس فيها ولا شجر
سيكها نفر من الناس ويقال له ايضاً بطرخل لسواي سقي

• على الناس فيه رباب رقيق كانا نخل بمخل • على محمد

• دعه ولطفه ومنه وجوده وفصله وقريبه •

• وحوله وقوته وكرمه • وكان الفاع مركب من النخ

• يوم الاحد المبارك عشرون شهر شوال •

• من نور سندس وثاني وسبع مائة •

• من الحجج النبويه والحدود •

• وحسناته ونعم الوكيل •

• ولا حول ولا قوة •

• الاله اعلى •

• العظيم •

• في نوبه سيدنا مولانا •

• سمي امام المسلمين •

• في سبطه •

وتقلباته ، ومن تغير أنماط الحياة في هاتين المدينتين ، واختلاف النظم الاجتماعية فيها ، ولهذا أضاف إلى العنوان (قصة مدينتين) .

ماكنت أهوى قراءة القصص ، ولقد حاولت ذلك أثناء الدراسة في (المعهد السعودي) في مكة في عشر الخمسين من القرن الماضي ، فاقتنيت مجموعة من قصص جرجي زيدان (روايات تاريخ الإسلام) وحاولت أن أكمل قراءة بعضها ، فكان يدركني السأم فألقي بالقصة لأتناول كتابا غيرها ، فلما إذا أكملت قراءة هذه ، لهذا الكاتب العراقي ، بل حرصت على الاجتماع به ؟!

في مساء هذا اليوم (١٤٠٧/٩/١١ هـ - ١٩٨٧/٥/٨ م) زارنا الأستاذ طريف السمان ، وله بالأستاذ عبدالله سابق معرفة ، وهو ذو صلة بالمركز الإسلامي في فينا الذي كان للشيخ عبدالله حين كان سفيرا في هذه البلاد أثر قوي في الإسهام في إنشائه ، فجرى الحديث بينهما حوله ، فكان أن ذكر الشيخ الخيال أن لديه مجموعة من الكتب ، ومن بينها عدد من المؤلفات باللغة الألمانية ، اشتراها مع أثاث المنزل الذي اشتراه ، ولا يعرف محتواها ، وهو يرغب إهداءها للمركز الإسلامي ، لتضم إلى مكتبته ، ودعا الدكتور السمان للاطلاع عليها ، فكان أن ذهب في صباح اليوم الثاني مع الشيخ عبدالله للاطلاع على تلك الكتب وغيرها ، فوقع نظري على مجلد صغير ، غريب في مظهر غلافه ، وفي شكل طباعته ، فقد طبع بطريقة التصوير بعد كتابته بخط اليد ، كتابة ليست جيدة ، وزين برسوم غير متقنة ، على ورق خشن غير صافي اللون ، وبينما أنا أقلب صفحاته إذ التقى نظري بجملة - استوقفتني - بل شدتني إلى الاسترسال في مطالعة الكتابة هي : (لقد أخذت أتصيد الأدوية الحديثة المقاومة لتخثر الدم ، الفاتحة للأوعية والشرين) إلى : (إن التفكير في أمور الدنيا وتوقع الأذى ، وكثرة الحذر هي التي تنخر جسم الإنسان وعقله كما ظهر لي) . آه ! لقد كان ما قرأت ينطبق عليه المثل العربي القديم (حرك لها حوارها تحن) . إن الكاتب مثلي مصاب بمرض القلب ، ثم هو يتصيد الأدوية لعلاج ما أصابه كما أتصيدها ، وفوق ذلك فله من تجاربه الطويلة ما قد يفيد أمثالي لمقاومة ذلك الداء .

لم أضع القصة من يدي حتى استرختُ إلى أنني بحاجة إلى إكمالها ، إذ وجدتُها ذات أسلوب يغير ما اعتاد القصاصون إبراز قصصهم به من حيث الإغراب في الخيال ، والتعمق في الرمزية ، والبعد بالقاريء عما ألفه من واقع حياته ، إنها أقرب إلى سرد حوادث أقرب ما تكون إلى الواقع ، بعبارات واضحة ، فهي أشبه بالمذكرات اليومية منها بالقصص الخيالية ، بل هي كذلك ، لولا ما تصوره من بعض جوانب حياة كاتبها ، فتبدو تلك الجوانب أغرب من الواقع المألوف ، وما كان هذا الكاتب مُبِعِدًا عن الحقيقة إذ قال - وهو يتحدث عن هذه القصة - : بأنه أهداها لأحد السفراء ، فأسهرته ليلة كاملة ، ولم يستطع إلقاءها من يده حتى أكملها ، وطالب كاتبها بِدَوَاءٍ ضِدَّ أَرْقِهِ تلك الليلة^(٥) .

ولعل من بواعث الرغبة في إكمال قراءتها تلك اللمحات التي تبدو من خلال شرح مواقف الكاتب أثناء إصابته بالمرض ، أو اتصاله بأحد الأطباء الذين كان يسخر من النصائح المشددة التي يوجهونها إليه ، فيقرأ في بعض الكتب بطلانها ، حتى وفق لطبيب حذره من الإفراط في أي شيء ، وأكد له أن الإنسان الحذر العاقل يستطيع أن يعالج نفسه أكثر من الطبيب ، إذا زُوِدَ بالمعلومات الكافية عن مرضه ، ونصحته بإزالة ما يشعر به من قلق ، وما يعتره من كثرة الهموم ، وبممارسة أي عمل يهواه للتخلص من التفكير فيما يزعجه ، فاختر الرسم والكتابة ، فنصحته بالاشتغال بهما ، قائلاً : ربما كانا لك أحسن من كل دواء . ثم وصف ما اعتراه من الاطمئنان بقبول نصيح هذا الطبيب .

لأدع هذا الجانب من القصة الذي قد يكون ألصق جوانبها بنفسي ، إنها تصور حياة رجل كان في صغره يألف القطط ، ويُغنى بتربيتها ، وقل أن يشاهده أحد من لذائذِهِ في صغره إلا ومعه واحدة منها ، ولهذا لزمه لقب (أبي هريرة) ثم طُوِّحَتْ به الحياة خارج وطنه في مدينة (براغ) فعرف إحدى فتياتها ، وهي في سن إحدى بناته ، ولكنها تآلفا حتى توَلَّدَتِ العلاقة بينهما بالزواج ، مع ما بينهما من الفوارق الاجتماعية والفكرية ، ولكن السعادة لا تخضع غالباً لما هو متعارف بين عالم الإنسان من فوارق ، وحاول كاتبُ القصة أن يَجْلُوهُ للقاريء خلال استعراضه

لحياتها حقبة طويلة من الزمن ، منتقلا بين مدينتين تخضعان لنظم من الحياة في غاية التباير والاختلاف ، فلم تؤثر فيما بينهما من تألف وتواؤم وسعادة ، ولا يزالان ينعمان بكل ذلك .

لقد اجتمعت ليلة الثلاثاء (١٥/٩/١٤٠٧هـ - ١٢/٥/١٩٨٧م) في فندق (هلتن) بالأستاذ ذي النون أيوب ، ومعه أليفة حياته وقريته ، التي دعاها (كوجكا) أي قطعة فغطت الرجل على ما يبدو به من تفاؤل ومرح - مع كونه في عشر التسعين من عمره^(٦) - وعلى ما تحوطه به زوجته من الرعاية والعناية ، وعلمت أن حكومته - بعد أن ذاق من تقلب الحكومات في بلاده مذاق من قطيعة وحرمان من الحقوق - شملت برعاية خاصة ، أعادت لنفسه الطمأنينة في حياة رخيئة ، كما نشرت جميع آثاره التي طبعها بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٧٠م في أربعة مجلدات الثلاثة الأولى تضم مجموعة من القصص والروايات ، والرابع يحوي مختارات من مقالاته المنشورة ، وله كثير غير ذلك من القصص المؤلفة والمترجمة مما لم ينشر ، وهو دؤوب على الكتابة ، ويرى هذا استمرارا لبقائه ، وأنه لا معنى للحياة بدون ذلك ، وهذا ما دفعه إلى محاولة إيجاد الوسيلة التي تمكنه من نشر مؤلفاته في (فينا) حيث اقتنى آلة طبع صغيرة ، من نوع ماكان يعرف باسم (البالوطة) التي تطبع بواسطة التصوير ، فيكتب مايراد طبعه بصورة واضحة ، ثم يصور بطريقة خاصة يسهل بها إبراز نسخ عديدة منه ، وكذا فعل بقصته « أبوهريرة وكوجكا » وبيع بعض مؤلفاته ، ومنها بعض أجزاء مذكراته « ذو النون أيوب ، قصة حياته بقلمه » وقد نشر منها سبعة أجزاء صغار ، عن ذكريات طفولته من سنة ١٩٠٨م حتى سنة ١٩٥٨م .

ومن الطريف أن الأستاذ ذا النون كان تلك الليلة يبدو مسرورا مبتهجا ، فقد زاره منذ أيام الأستاذ إسماعيل عارف^(٧) وهو من أصدقائه ، ومعه ثري عراقي معروف ، يدعى حميد نجيب ، فوعده الثري بأنه سيتولى نشر جميع مؤلفاته ومؤلفات صديقه الأستاذ عبدالحق فاضل ، أحد أدباء العراق المعروفين - إذ سينشيء مطبعة في إحدى المدن الأوربية لتلك الغاية ، ويقدم المؤلفات مطبوعة للأديبين ليستفيدا بريعتها .

عوداً إلى المكتبة العامة في فيّنا :

ومن أنفس ما طالعت في هذه المكتبة من المخطوطات مجموعٌ يضم رسائل للأصمعي ومعها رسالة لِقُطْرُب ، كان الأستاذ الدكتور طَريف السَّيَّان قد تحدّث عن هذا المجموع في بُكْتَيْب (كتالوج) أُصْدِرَ عن معرض للفن الإسلامي الذي أقامته المكتبة العامة في فينا منذ بضع سنوات ، ونُشِرَ في الكتيب النموذج مصوراً لإحْدَى صفحاته ، فاستهواني حسن الخط وقدمته للاطلاع على ذلك المجموع ، فإذا هو على درجة من الأهمية بحيث استرسلت في تصفحه كاملاً ، ولم أقنع بالوصف الوارد له في الكتيب الذي اتحفني به الدكتور السيَّان ، ولكنني سأورد بعض ما فيه : (أوراق شرقية قديمة بنية اللون سميكة ٧٥ ورقة (١٤٩ صفحة) مقاس ١٦٢×١٤٠ م بخط النسخ المتطور من الكوفي في حوالي منتصف القرن الرابع الهجري ، مشكل بالحركات والنقط ، ونهاية الجمل مميزة بدائرة بداخلها نقطة .

وقيمة هذا المجموع لا تكمن في كونها علمية هامة ، ولكنها كبيرة من ناحية الخط ، إذ خط هذه المجموعة يعتبر مثالا هاما لتطور الخط من الكوفي القديم إلى الخط المستدير النسخي . هذا ملخص ذلك الوصف .

وأضيف إليه : إن الكتابة مع جودتها وعناية الكاتب بتشكيل الكلمات قد يقع فيها بعض الأخطاء مما صُحِّحَ بعضه في الهامش ، وقد يخالف الكاتب القاعدة الإملائية المعروفة في كتابة بعض الكلمات كإلحاق الألف بعد واو الفعل وإن لم تكن واو جماعة ، وعدم كتابة الهمزة في الكلمات المهموزة ، وغير ذلك مما سيلاحظه القارئ من النماذج المصورة هنا ، وأعود لتصفح المجموع :

صفحته الأولى تحوي بعد ذكر أحد ملاكه وهو (عبدالقادر بن عمر البغدادي الكيلاني) ولعله العالم المعروف صاحب « خزانة الأدب » وغيرها من المؤلفات ، ثم (هذا مجموع فيه كتاب خلق الانسان ، وفيه كتاب الوحوش ، وفيه كتاب الفُرق ، وفيه كتاب الإبل ، تأليف عبدالملك بن قُريب الأصمعي ، وفيه أيضا كتاب ماخالف فيه الإنسان ، البهيمة لِقُطْرُب ، وفيه أيضا كتاب الأضداد عن

الأصمعي) . وهذه الصفحة كتابتها تغاير كتابة الأصل ، فهي حديثة .

أما الأصل فيبدأ بعد البسملة بجملة : (ما يُذَكَّرُ مِنْ حَمَلِ الْمَرْأَةِ وَوِلادَتِهَا وَالْمَوْلُودُ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ قُرَيْبٍ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ فِي أَوَّلِ مَا تَحْمِلُ : نَسِيتُ وَهِيَ نِسٌ ^(٨) ، كَمَا تَرَى ، فَإِنْ اشْتَهَتْ عَلَى حَمْلِهَا شَيْئًا فَهِيَ وَحْمَى ، وَالْمَصْدَرُ الْوَحْمُ) (انظر ص ١٥) .

ثم في الورقة الـ (٤٠) : (فِي الرَّجُلِ الْعَرَجُ وَالْقَرْعُ ، قَالَ الْقَزْلُ أَسْوَأُ الْعَرَجِ ، يُقَالُ : عَرَجٌ يَعْرجُ عَرَجًا ، إِذَا حَدَثَ فِيهِ عَرَجٌ ، وَعَرَجٌ يَعْرجُ عَرَجَانًا ، إِذَا مَشَى مَشْيَ الْعَرَجَانِ .
ثُمَّ كِتَابُ صِفَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ .

هذا كلام ذكره الأصمعي في آخر صفة خلف الإنسان : (وما يكون في النساءِ دُونَ الرُّجَالِ الْإِسْكَتَانِ وَالْأَشْعَرَانِ وَهُمَا مَائِلِي الشُّفْرَيْنِ ٠٠٠) الخ .

وبعد خمسة أسطر في الورقة الـ (٤١) : (وهي جلدة فيها ماء ينشق على رأس الولد عند خروجه ، وهو من الناقة السُّخْفُ ، والسَّابِيَا ، والمخاض في البهائم والناس ، ولا يكون الطَّلُقُ إلا في الناس) .

آخر الكتاب : قال أبو سعيد : (الضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ الْخَفِيفِ) . وبعد ثلاث صفحات ونصف الورقة الـ (٤٢) : (وقال رؤبة : ^(٩) :

وَعَاشَ لَوْ سَأَلْتَهُ أُمُّهُ أَلْوَسَا أَوْ أَخْتُهُ لَمْ يُعْطِهَا ^(١٠) دَرِيْسَا
يَا لَيْتَهُ لَمْ يُعْطَ هَلْبَسِيْسَا وَعَاشَ أَعْمَى مُقْعَدًا سَرِيْسَا
حَتَّى يَضُمَّ الْوَارِثُونَ الْكِيسَا

الألوسُ : الشيء اليسير . والدريس ؛ الثوب الخلق ، والجميع دِرْسَانُ ، ويقال : ماله هَلْبَسِيْسُ أي ماله شيء ^(١١) ، وهذه كلمة تقال في النفي لا يقال : له هلبسيس ، إنما يقال : ماله هلبسيس .

هذا كتاب أسماء ^(١٢) الوحوش وصفاتها .

[illegible][illegible]

هذه صفة الحمار، قال أبو سعيد الأصمعي : هو الحمار والعير
والمِسْحَل) ... الخ .

وفي الورقة الـ (٥٢) : (وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي :
لَهُ السَّرْحَانُ مَقْتَرِشًا يَدِيهِ كَأَنَّ بَيَاضَ لَيْتِهِ الصُّدَيْعُ
تَمَّ كِتَابُ الْوَحُوشِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

كِتَابُ الْفَرْقِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

هذا كتابٌ ماخالف فيه الإنسان البهائم والسباع عن الأصمعي .

قال : يقال فَمُ الإنسان ، وفيه ثلاث لغات فَمٌ وفَمٌ وفِمٌ) .

ثم في الورقة الـ (٥٨) : (تم كتاب الفرق عن الأصمعي .

هذا كتاب ماخالف فيه الإنسان البهيمة من قَرْنِهِ إلى قَدَمِهِ عن قطرب (ثم
كلمة غير واضحة كأنها محمد) .

وفي الهامش بخط قديم مغاير لخط الأصل : (بدأ بقراءة هذا الكتاب كتاب
الفرق يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة احدى وستين وثلاثة مئة على الشيخ
أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي صاعد بن ... بن زهرون الصابي وسمع
اسحاق بن أحمد بن عبدالرحمن الكاتب ، والحسن بن ابراهيم) .

وفي الهامش ايضا : (حدثنا الفقيه أبو سعيد قراءة عليه ، قال : اخبرنا
أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، قال : اخبرنا محمد بن الجهم
أبو عبدالله ، قال : سمعت قطربا النحوي بإملائه علينا سنة خمسين (؟) وميتين :
قالوا في مثل الفم من الانسان الفَمُ والفُـمُ والفِـمُ) ثم الاسترسال في الكتاب .
(انظر ص ١٧) .

وفي الورقة الـ (٩٠) : (وأنشد للطرماع :

كَأَمَّ الْحَيَيْنِ لَا يَرَى النَّاسُ غَيْرَهَا وَغَابَ حَيِّنٌ حَيْثُ زَاغَتْ بَنُو سَعْدٍ
فاخل الألف واللام .

تَمَّ كِتَابُ مَاخَالَفَ الْإِنْسَانَ الْبَهِيمَةَ وَأَحْوَالَهَا عَنْ قَطْرِبِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ .

وفي أول الورقة الـ (٩١) بعد البسملة : (تقول العربُ : قد بان الأمرُ ،
وأبان ، ونال وآنال إذا حان ، وقد نار الأمر ، وأنار إذا وَّضَح وتبين ، وقد عاضه
وأعوضه إذا عَوَّضَهُ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ ^(١٣) . إلى الصفحة الثانية من الورقة الـ (٩٤)
فتلك الصفحات تحتوي على مجموعة من الأفعال الماضية المجردة التي لا يتغير
معناها إذا زيدت في أولها الألف ، كما تحوي كلاما حول مخارج الحروف ، مثل
(إذا جاءت السين وبعدها الطاء أو قاف أو غين أو خاء وإن كان بينهما وبين السين
حرف أو حرفين ؟) ، انقلبت السين صادًا في لغة بني العنبر من تميم ، والعلة في
ذلك أن السين من مخرج الصاد وهما من حروف الصفير ، غير أن الصاد ...
الخ .

وفي أول الصفحة الثانية من الورقة الـ (٩٤) بين السطور بخط مغاير لكتابة
الأصل : (بدأ بقراءتي على الشيخ أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرا في النحوي
وأنا أنظر في كتابي وأصل الشيخ الذي قرأته على أبي بكر بن دريد يُنظر (ثم كلمات
غير واضحة) الطوسي يوم الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة سنة إحدى وستين
وثلاث مئة وسمع محمد بن اسحاق الطوسي ، وابن سكرة الهاشمي ، ومحمد بن
علي الصبريني ؟) .

ثُمَّ كِتَابُ الْإِبِلِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

قال أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ : أَجُودُ وَقْتُ يُحْمَلُ فِيهِ عَلَى النَّاقَةِ
أَنْ تُجْمَ سَنَةً وَيُحْمَلُ عَلَيْهَا فَيَقَالُ : قَدْ أَضْرِبَتْ الْفَحْلُ ، وَأَضْرَبَهَا الْفَحْلُ) ...
الخ .

وفي الورقة الـ (١٣٥) : (ويقال قَرَسٌ حَتَّى إِذَا كَانَ سَرِيعًا .

تم كتاب الإبل من تأليف أبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ ، والحمد
لله كثيرا .

واكافه بالخير حتى يشاء به لئلا يشاء قريشاً فله جود
 ايشوه ايقول من في البيت المصطفى من اهل البيت وقال غيره اشد افعه خلك
 جودا يقول كلع الجود كسبح التبع قال ابو زيد الناهلي في كلام العرب
 العكشان والناهل الذي قد شرب حتى روى فلك الغرابير
 الكعاب من الكعاب يوم الوفاة من الامثال الشامية
 وروى من العكشان وقال الاصمعي لان ناهله والجميع ناهل ورجل منهم
 ارمعتر وامل ناهك اي عكاش يكثر فيهما من العكاش فهو له ابل
 ناهله والناهل الاول يقال للناهل شرب اول شربه ولم يعبه ناهل
 وانعل الرجل ابله قال وسموا الناهل من فعله من قال يقول اذا جاء وجهه
 والاه جل ساوه فلا يشبههم به من العذاب اي ناهله وكمواهم
 للناهل وع سليمان والسليم الناهل قال امير المؤمنين الناهل
 من اقساك كرجل الهم من اوكفك كاهل كاهل الناهل
 اقساك من كاهل الناهل والناهل من الناهل والناهل الناهل
 اقساك من كاهل الناهل والناهل من الناهل والناهل الناهل
 اقساك من كاهل الناهل والناهل من الناهل والناهل الناهل
 اقساك من كاهل الناهل والناهل من الناهل والناهل الناهل

كتاب الأضداد عن الأصمعي .

ثم في أول الورقة الـ (١٣٦) : (قال الأصمعي : الْقُرُو^(١٤)) عند أهل الحجاز الطُّهْرُ ، وعند أهل العراق الخيض ، وقال أبو عمرو بن العلاء : يقال : دفع فلانٌ إلى فلانة جارية يُقْرئها^(١٥) ، مهموزة مشددة يعني تحيض عندها وتطهر إذا أراد أن يشترها) .

وآخر المجموع في الورقة الـ (١٤٦) : (قال امرؤ القيس في الناهل :
إِذْ هُنَّ أَقْسَاطٌ كَرَجَلِ الدُّبَا أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةِ النَّاهِلِ
أَقْسَاطٌ : قِطْعٌ مِنَ الْخَيْلِ . وَالنَّاهِلُ هَاهُنَا : الْعِطْشَانُ . وَالشَّفْ : الْفَضْلُ ،
يقال ...^(١٦) غلاما على الشف أي على الربيع والفضل ، ويقال : فلان أشف
من فلان ، أي افضل منه وأكبر سناً ، ونقول : لَا تُشِفْ بَعْضَ الْوَرِقِ عَلَى بَعْضٍ
ليكون رِبَاً) . ثم ينتهي المجموع . (انظر ص ١٩) .
وفي بعض الصفحات حواشي منها :

- ١- ق ٦ : (قال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي) .
وكذا في (ق ١٣) : (قال الشيخ أبو محمد) .
- ٢- ق ٤٢ : (والمحق الطويل) وفي الهامش : (قال أبو محمد : إنما هو المحق بكسر الميم) .
- ٣- ق ٤٣ : (والبرم الذي لا يأخذ في الميسر) أبو محمد : إنما هو الذي لا يدخل في الميسر .
- ٤- ق ٦٨ : (بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي) .
- ٥- ق ٧١ : (بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي وسمع أحمد بن محمد الخلال ومحمد بن عبد الصمد . . والمحسن بن إبراهيم الصابي) .
- ٦- ق ٧٣ : (بلغت قراءة صاعد بن زهرون وإسحاق بن أحمد بن محمد الخلال والمحسن بن إبراهيم وعلي بن محمد الهاشمي ومحمد بن أحمد الخلال ومحمد بن علي الصرسي والحسن بن باب و . . . وعبد الواحد بن أحمد وابنه محمد) .

ولا تفوت الإشارة إلى أنَّ رسائل الأصمعي التي في هذا المجموع قد نُشِرتْ باستثناء الكتاب الأخير ، فلا أعرف شيئاً عنه ، ولكن مما لا شك فيه أن قِدَمَ خَطِّ هذا المجموع ، وصحة ضبط كتابته ، مما يعين على تصحيح كثير من النصوص المنسوبة إلى الأصمعي في معجمات اللغة المشحونة بالنقول عنه ، ومن هنا تبرز قيمة ذلك المجموع .

لم أَكُنْ على درجة من الصحة تمكّني من التردد على هذه المكتبة التي تحوي نفائس من المخطوطات .

واطمأننت حين أخبرني الأخ الدكتور طَريف السَّمان أن الأستاذ الدكتور أحمد ابن محمد الضبيّب - وكيل جامعة الملك سعود الآن - سبق أن زار هذه المكتبة حين كانت يتولى عِمادة شئون المكتبات ، وأنه اختار مجموعة من مخطوطاتها ، فصورت على أشرطة (ميكروفلم) ضُمَّتْ إلى مكتبة الجامعة - اطمأننت أن الدكتور الضبيّب - وهو الخبير بنفائس المخطوطات - لم يدع منها ماله قيمة دون أن يصوره .

ولن أنسى ما قابلني به الأخ الدكتور طريف السمان من كريم العون والمساعدة ، فقد أكرمني - أكرمه الله - بتصوير ثلاثة من الكتب هي :

١ - « المسالك والممالك » للبكري النسخة الأولى قبل اطلاعي على النسخة الثانية .

٢ - « ترويح قلب الشجي » .

٣ - المجموع الذي يحوي مؤلفات الأصمعي .

حول مدينة فينا :

لم يدع الابنُ الكريم الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن حسين الملحق الثقافي - لم يدع وسيلة يستطيعها ، من وسائل إكرامي أنا والأستاذ الشيخ عبدالله الحيال إلا بذلها ، فقد تجول بنا في ضواحي المدينة ، بحيث شاهدنا أبرز معالمها ،

كالجبل الذي وضع فوقه الأتراك المدافع أثناء محاصرة مدينة فينا ، وشارع (تابور) الذي بلغته عساكرهم ، كما أزارنا بعض القرى النائية الجميلة ، وشاهدنا هناك القلعة التي حبس فيها (ريتشارد قلب الأسد) القائد المعروف في الحروب الصليبية ، فعوقب حين هزمه صلاح الدين بالحبس ، حتى مات في تلك القلعة التي تثير مشاهدتها من الذكريات ما يعصر القلب المأوج حزنا حين يذكر المرء قوة المسلمين في ذلك العهد وضعفهم في عصرنا الحاضر . لندع هذا لإيجاز ما أفضّل به الابن الكريم وما أكثره ، فهو الذي عرّف الدكتور السمان بي بحيث يسر لي الحصول على ما اردت الحصول عليه من تلك المصورات ، كما أفضّل - زاده الله فضلا وتوفيقا - بإيصالها إلي . وبالأجمال فمهما عبرت عن شكره إزاء ما غمرني من فضله فلن يفي بحقه ، وفقه الله ورعاه .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) كلمة ليست واضحة وكأنها (خروج) .
- (٢) كذا والصواب (قبر أبي حميد) بالدال وهو المعروف الآن بقبر الشيخ حميد . و (نخل) وسيأتي .
- (٣) كذا الكلام ناقص ولعله (ليس فيها نبات) .
- (٤) كذا والصواب (لسواقي تسفي فيه ترابا دقيقا) - بالفاء - .
- (٥) « ذو النون أيوب : قصة حياته بقلمه » القسم السابع - ص : ٢٢ - .
- (٦) ولد في الموصل سنة ١٩٠٢ ، وذو النون من الأسماء المألوفة في تلك البلاد فهو لقب النبي يونس بن متى عليه السلام وهو من أهل نينوى التي هي الآن داخل عمران مدينة الموصل .
- (٧) اسماعيل عارف كان وزير الثقافة (أو المعارف) في عهد عبدالكريم قاسم ، وهو من رجال الجيش ، وكان على جانب كبير من دعائه الخلق ، وقد عرفته أثناء حضوري (مهرجان الكندي ومرور ألف عام على إنشاء مدينة بغداد) وقد صدر له حديثا مؤلف عن (ثورة ١٤ تموز) أطراه الأستاذ ذو النون أيوب كثيرا .
- (٨) كذا بدون همزة في الأخيرة ، وبإثباتها في الأولى ، وكأنها مضافة بعد كتابة الأصل .
- (٩) كذا (وعاش) وبها ينكسر البيت ، وليست في الديوان ، وكأنها مضروب عليها .
- (١٠) في «ديوان رؤية» - ٧٢ - : ... لم يَكُنْها قَرِيْنا .
- (١١) بدون همزة .
- (١٢) كذا (يقال) .
- (١٣) كذا (عوضه شئ من شئ) ولعل الصواب (عوضه بشيء عن شيء) .
- (١٤) كذا (القرو) بدون همزة .
- (١٥) كذا والمراد (يَقْرَأُها) .
- (١٦) كلمة لم تتضح في التصوير .

« نصره السائر » وملاحظات على تحقيقه

كتاب « نصره السائر على المثل السائر » — تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤هـ) تحقيق محمد علي سلطاني ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، تاريخ مقدمة المحقق ١٣٩١هـ / ١٩٧٠م .

١ — السائر على « المثل السائر » هو ابن أبي الحديد (عز الدين عبد الحميد بن هبة الله . . . المدائني المعتزلي — ٥٨٦ — ٦٥٦) في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » الذي ألفه سنة ٦٣٣ يَرُدُّ بِهِ على ضياء الدين نصر الله ابن الأثير .

ومع ان كتاب ابن أبي الحديد مُهِمٌّ لدى تحقيق كتاب الصفدي ، وأنَّ المحقق رجع إليه ، وأحال عليه فإنه لم يتحدث عنه حديث الواقف عليه ولم يُعَيِّنْ الطبعة التي يحيل عليها ، ولم يُبَيِّنْ للقارئ ظروفها ، وهي ظروف سيئة من الوجهة العلمية . فهو يحيل — مثلاً — ص ١٨٧ في قوله : (أما ابن أبي الحديد ، فقد أجابته عن دعواه — أي دعوى ابن الأثير — أن الإنسان لا يحتاج إلى المنطق ، ولا إلى هذه العلوم ، في « الفلك الدائر » . . .) .

يَضَعُ رقماً على « الفلك الدائر » يُقَابِلُهُ في الحاشية : في « المثل السائر » ٤٠ / ٤ ويَجَارُ القارئ بمثل هذه الإحالة على « المثل السائر » والمطلوب الإحالة على « الفلك الدائر » .

وما كانت هذه الحيرة لتقع لولا أمران : الأول أن ناشري « المثل السائر » دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوي طبانه ألحقا كتاب ابن أبي الحديد بكتاب ابن الأثير ، فجاء في الجزء الرابع من طبعتهما (دار نهضة مصر) مبتدئاً من ص ١٢ — والأمر عجيب ، ولكنه وقع .

الثاني : أن محقق كتاب « نصره السائر » لم يعلم قارئه بطبيعة طبعة « الفلك الدائر » التي يحيل عليها ، ولو أعلمه لعرف أن أيَّ إحالة على الجزء الرابع من « المثل السائر » بعد الصفحة ١٢ تعني الإحالة على « الفلك الدائر » .

وليلاحظ أن الطبعة الأولى لـ « الفلك الدائر » كانت (مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩هـ وعلى نفقة الميرزا محمد الشيرازي) - وبالكتاب حاجة إلى أن يُطبع مستقلاً ، (وقد طبع أخيراً ... بناء على ملاحظة صدرت عن كاتب هذه الملاحظات) .

٢ - الخطر في التأليف عن أدباء عصور متأخرة كالصفدي في القرن الثامن ألا ينظر إليه بحجمه الطبيعي فتُضْفَى عليه صفات ليست فيه ، كأن يُعدَّ صاحب موهبة في الأدب والنقد (ص ١٠) !!

٣ - للصفدي مؤلفات كثيرة قال المحقق : (وهاك ثبناً أبجدياً بكتبه) وتنظر في الثبت ص ١٢ - ٢٠ فإذا هو على حروف الهجاء (الفبائي) وليس أبجدياً (أ، ب، ج، د، هـ ...) .

٤ - كان المحقق يُنصُّ على المطبوع من مؤلفات الصفدي . ولكنه لم ينصَّ على طبع « توشيح الترشيح » .

٥ - ص ٢٦ « نشر المثل السائر » و« طي الفلك الدائر » لأبي القاسم محمود ابن الحسين الركن السنجاري المتوفى عام ٦٤٠ ، والكلام للحاجي خليفة في « كشف الظنون » (ط ١٣٠١ ، ٣٧٥/٢ ، ٦٠٠) وحسناً فعل إذ نُبِّه في الحاشية وقال : (ترجمته في « هدية العارفين » ٤٠٥/٢ ، و« معجم المؤلفين » ١٥٩/١٢ وفيه وفاته سنة ٦٥٠هـ) .

ومعلوم أن « معجم المؤلفين » متأخر ولا تعني فيه الـ ٦٥٠هـ كثيراً ما لم تُؤيَّد بمصدر قديم . ولدى المحقق مصدر موثوق به ، نادر في بابهِ هو الكتاب الذي يحققه « نصره الثائر » للصفدي وفيه ص ٤٦ : (... الإمام ركن الدين أبو القاسم ... صنف ... كتاباً يُرَدُّ فيه على ابن أبي الحديد ، وسماه « نشر المثل وطي الفلك الدائر » قلت : ... هو محمود بن الحسين ابن الإمام أرشد الدين الأصبهاني الأصل السنجاري المولد ... قرأ على السيف الأمدي وعلى ضياء الدين بن الأثير ... توفي بدمشق في سادس شهر رمضان سنة خمسين وستائة ، ودفن بسفح قاسيون . ومولده سنة اثنتين وتسعين وخمسةائة ...) .

وأقل ما يعني هذا أن يعتمد المحقق على كلام الصفدي وهو يتحدث في مقدمته عن السنجاري ويقول في متن كلامه (السنجاري المتوفى عام ٦٥٠) .

٦ - يقول المحقق ص ٢٨ : (من الثابت لدينا حتى الآن ، أن كتاب « المثل السائر » في أوائل القرن السابع هو آخر حلقات السلسلة في كتب النقد العربية قبل العصر الحديث ، يحفُّ بعده مدَّادُ التأليف في هذا الميدان ، كما يبدو ، إلى أن يأتي الصفدي بكتابه « نصرة الثائر » حوالي منتصف القرن الثامن ، فكان هذا الكتاب برُوحه الشفيفة ، ومنهجه السليم وما يبدو من ذوق صاحبه ، أكمل مصدر ...) .

نقع في الثناء على الصفدي بروحه الشفيفة مرة أخرى في أخطار الأحكام (الكريمة) على مؤلفين متأخرين كالصفدي !!

هذا إلى أن التأليف في النقد قد جفَّ قبل ابن الأثير ، ألم يأت قبله الرازي والسكاكي (مع معاصرة ملحوظة) .

وقد جاء « المثل السائر » غريباً في السلسلة قبله وبعده .

٧ - يذكر المحقق ص ٣٦ من صعوبات التحقيق التي اعترضته الحصول على دواوين الشعراء الذين لهم دواوين يُمنَّ يستشهد بهم الصفدي ، ومن ثم الرجوع إليها للمقابلة . ولكني رأيتُه ينسَى الرجوع إلى دواوين مطبوعة مُيسرة ، ومنها ما طبع في دمشق نفسها وضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية نفسه .

اذكر - هنا - منها - مثلاً - « ديوان ابن الخطاط » فتيان الشاغوري ، الخالديان ... الخ .

٨ - ص ٤٣ : (وكنت أقفُّ على أطلاها عند المراجعة ناديا ، وأعصر في أذيالها حين المطالعة غالباً) .

ومعلوم جداً أن الصفدي كاتب سَجَّاع ، ويمكن إصلاح ما يرد من خطأ أحياناً بالاستعانة بالسجع نفسه ، وعلى هذا فلا بُدَّ من أن يكون ناديا : نادياً وتكون الجملة هكذا : وكنت أقفُّ على أطلاها ... نادياً ... غالباً ...

٩ - ص ٥٧ : (ولعل ابن الأثير ساعده فيها أورده من كلامه في « المثل »
و « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » وغير ذلك من نسبة المقامات ...) .
التزم المحقق شَرْحَ مَا يَرِدُ في المتن والتعليق عليه .. وقد سَكَتَ هُنَا عن
« الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » . ونقول : إنهما - كما يفهم من السياق
وبدلالة وجود « المثل » الذي هو « المثل السائر » .. أنهما أي « الوشي المرقوم »
و « المعاني المُبَدَّعة » كتابان لابن الأثير . الأول مطبوع ، بيروت ، ثمرات الفنون
١٢٩٨ .

والثاني لم يصل لنا ، ولعله الذي يقصده ابن خلكان بقوله : « المعاني المخترعة
في صناعة الإنشاء » .

١٠ - ص ٥٧ « أبو أسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال ... (ت قبل سنة
٣٨٠هـ) انظر الفهرست ص ١٩٩ » ..

وابن خلكان يقول : (توفي يوم الاثنين وقيل يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة
خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (٣٨٤) ببغداد وعمره إحدى وسبعون
وذكر ... ابن النديم ... في كتابه « الفهرست » أن الصابي المذكور .. توفي
قبل سنة ثمانين وثلاث مئة .. وهذا الذي ذكره ابن خلكان عن ابن النديم موجود
في الفهرست فعلا : ولكن المحقق لم يختر الرواية الأولى (٣٨٤هـ) وهي مؤيدة
في عشرات المصادر والمراجع : ديوان الشريف الرضي ، يتيمة الدهر ، ارشاد
الأديب (معجم الأدباء) عن حفيد الصابي في تاريخه ... زيدان ،
الزركلي ... !؟

إن رواية الفهرست لم ترد - في علمنا - إلا في « الفهرست » ! والرواية
الصحيحة هي ٣٨٤هـ .

١١ - ص ٧٦ : (ابن زيادة) ويتكرر ٧١ و ٧٧ وهو « البغدادى » .

رأيت الدكتور محمد قاسم مصطفى - وقد قرأ النسخة قبلي وعلق على أوهام
فيها - يصحح الاسم في الهامش الأيمن ويكتب بالحبر الأحمر : (زَبَادَة - ٥٩٤

يحيى بن سعيد) وقد أعطانا بذلك مفتاح التصحيح . ونخف إلى ابن خلكان ،
حرف الباء ، يحيى : و (أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة
الله بن قزغلي بن زيادة الشيباني الكاتب المنشئ الواسطي الأصل البغدادي المولد
والدار والوفاة . . . قال ابن الديبشي : سألت أبا طالب ابن زيادة عن مولده
فقال : ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسة
مئة . وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرون من ذي الحجة سنة أربع وتسعين
 وخمس مئة . . . وَزَبَادَةُ بفتح الزاي وهو قطعة من الزَبَاد الذي تنطيب به النساء
والله أعلم) .

حين ورد : (ابن زيادة البغدادي ، ص ٧١ في كتاب له كتبه إلى الملك الناصر
صلاح الدين) .

عَرَفَ المحقق في الهامش بصلاح الدين وهو معروف جدًا ، وأهمل (ابن
زيادة) أي ابن زيادة - كما صار معلوماً وينظر الزركلي .

١٢ - لقد بذل المحقق جهودًا وَاضِحَةً لدى التعريف بالأعلام في الحواشي
ولكن بين تلك الأعلام ما ليس به حاجة إلى تعريف كالمتنبي ، وأفلاطون ،
وأرسطو ، والأعشى وجريز والبحثري وأبي تمام . . . وعثمان ، وعمر . . .

١٣ - في هامش ص ١١٧ : (ابن الشبل البغدادي واسمه محمد بن
الحسين . شاعر حكيم له ديوان (ت ٤٧٣هـ) انظر « الوافي بالوفيات » :
١١/٣ ، و « كشف الظنون » ٧٦٦ .

أ - قولنا : (له ديوان) يوهم القارئ أن الديوان موجود أو مطبوع ، وليس
الامر كذلك وإنما كان لابن الشبل ديوان (وفقد) .

ب - المصدر الطبيعي الذي يُحال عليه بشأن ابن الشبل هو العماد الاصبهاني
« الخريدة » - قسم العراق . . . ثم إن وفيات الأعيان أقرب إلى القراء من
« الوافي بالوفيات » .

١٤ - ص ٢١٧ : (قيل : إن الثلج وقع مرةً في بغداد ، فقال بعض شعراء
ذلك العصر :

يَا صُدُورَ الْعِرَاقِ لَمْ نَرَ ثُلُجًا قَبْلَهَا حَلٌّ فِي نَوَاجِي الْعِرَاقِ
إِنَّمَا عَمَّ ظَلْمُكُمْ سَائِرَ النَّاسِ ، فَشَابَتْ ذَوَائِبُ الْأَفَاقِ

مَرَّ عَلَيَّ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَهُمَا مِنْ شِعْرِ الْعَصْرِ السَّلْجُوقِيِّ - فِي الْقَرْنِ
الْخَامِسِ - السَّادِسِ - ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْمُنْتَظَمِ » لِابْنِ الْجُوزِيِّ .

١٥ - ص ٢٩٣ : (فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ رُحْلٍ) .

وَفِي الْحَاشِيَةِ : (عَجَزَ بَيْتٌ لِلْمَتَنِيِّ ، وَصَدْرُهُ : خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ
بِهِ) ، وَرَوَايَةٌ أُخْرَى لِلصَّدْرِ : فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ - أَذْكَرُهَا زِيَادَةً فِي الْفَائِدَةِ لَيْسَ
غَيْرِ .

١٦ - ص ٣٤١ : (فِي كِتَابِ « الْإِعْجَازِ فِي الْأَحْجَاجِ وَالْإِلْغَازِ لِلْحَظِيرِيِّ)
وَكَانَ (الْحَظِيرِيُّ الْوَرَّاقُ) قَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ ص ٢٢٠ ، وَسِيرِدَ ص ٣٧١ وَلَمْ يُعْرَفِ
الْمُحَقِّقُ بِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ص ٣٤١ هَذِهِ فِي فِهْرَسِهِ لِلْأَعْلَامِ وَلَمْ يَثْبُتْ كِتَابُ
« الْإِعْجَازِ فِي الْأَحْجَاجِ وَالْإِلْغَازِ » فِي فِهْرَسِهِ لِلْكَتَبِ ، وَلِيْلَاظِ أَنَّهُ رَسَمَ
(الْإِلْغَازَ) هَكَذَا (!) ، وَكَأَنَّهَا مَصْدَرُ الْغَزْزِ عَلَى حِينٍ هِيَ جَمْعُ لَغَزٍ -
كَالْأَحْجَاجِ - تَكْتُبُ أَلْفَ الْإِلْغَازِ هَكَذَا أ . . .

وَلَكِنْ عَرَفَهُ ص ١٢٠ عِنْدَمَا وَرَدَ بِاسْمِ (الْحَظِيرِيِّ الْوَرَّاقِ) فَقَالَ : (وَاسْمُهُ
سَعْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيِّ . أَدِيبٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ . لَهُ دِيْوَانُ شِعْرِ (ت
٥٩٨هـ)) انْظُرْ « وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ » وَقَدْ أَوْرَدَهُ فِي فِهْرَسِ الْأَعْلَامِ وَكَأَنَّهُ شَخْصٌ آخَرُ
غَيْرِ الْحَظِيرِيِّ ذَاكَ . . . هَذَا إِلَى أَنَّ الثَّابِتَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ هُوَ عَامُ ٥٦٨ - يَنْظُرُ
ابْنُ خُلِكَانَ ، وَالْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي « خَرِيدَةِ الْقَصْرِ » - قِسْمُ الْعِرَاقِ .

١٧ - ص ٣٦٢ : (قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ غَانِمٍ الْمَعْرُوفُ بِالْغَانِمِيِّ . . .) .

عَرَفَهُ الدُّكْتُورُ مُصْطَفَى جَوَادُ فِي حَوَاشِي كِتَابِ « الْجَامِعُ الْكَبِيرُ » لِابْنِ الْأَثِيرِ ،
بَغْدَادُ ١٣٧٥/١٩٥٦ - ص ٢ .

« قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي « الْأَنْسَابِ » : (الْغَانِمِيُّ . . . هَذِهِ النِّسْبَةُ لَجَدِ الْمُنْتَسَبِ إِلَيْهِ

تصحيح خطأ تاريخي :

لا علاقة بين الوهابية الرستمية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

- ١ -

إذا كان المثل يقول : (الناس أعداء ما جهلوا) . فإن بعض الناس أيضاً أعداء ما خالف شهواتهم وتعارض مع مصالحهم الشخصية .

والحكم الفصل فيما يجب أن ينطلق منه الفرد في رأيه وحكمه ، هو عرض الأمور على مصدر التشريع السهائي ، الذي لا يأتيه الباطل ، ولا يتطرق إليه الشك ، والاسترشاد بسنة المهدي البشير ﷺ .

والمسلمون في كل مكان مأمورون - قبل انطلاقتهم نحو وجهة نظر معينة في أمور

وهو الأديب محمد . . . من أفاضل عصره ، وديوان شعره سائر في الأفاق وهو من مداحي نظام الملك . . . » - فهو من أبناء المئة الخامسة وربما امتدَّ به العمر إلى المئة السادسة . . له كتاب في البلاغة كما يفهم من كلام ابن الأثير عليه في « المثل السائر » . وله ذكر في كتاب البخارزي « دمية القصر » وتوفى البخارزي سنة ٤٦٧ . وفي هذا ما يمكن أن يقرب تاريخ الغانمي .

١٨ - ص ٣٨٥ : (ومنهم مَنْ نظم « كُليلة ودمنة ») .

كذا وردت كُليلة بضم الكاف والمعروف أنها بفتح الكاف .

١٩ - ص ٤٨٥ : (« مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » لابن الجوزي . . .) .

الصحيح : (مرآة الزمان . . . لسبط ابن الجوزي) إنه يوسف غَزْزْ أوغلي ابن بنت عبدالرحمن ابن الجوزي .

بغداد : د/علي جواد الطاهر

العقيدة ، وكل ما له صلة بالدين ، وقبل القدح أو المدح - أن يرجعوا لمُصَدَّرِي التشريع في دينهم وهما : كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، فمن أتى بشيء يخالفهما نُبَذَ ، ومن سار وفقهما قولاً وعملاً أُيِّدَ ونُصِرَ .

هذا حكم فيما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم ، وهو الوعي والإدراك ، والتحليل والتأكد ، بحيث لا يكون إمعة ينقل صدَى الآخرين ، وَنَسْتَعْلُهُ أعداء دين الإسلام وهو لا يدري ، فينشأ عن ذلك فرقة في الصف الإسلامي . مما يفرح الأعداء المتربصين بالمسلمين الدوائر .

وقصة بني المُصْطَلِق التي نزل بشأنها قرآن يُتْلَى حيث يقول جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ^(١) فيها درسٌ عملي للفئة المؤمنة ، التي تحرص على دينها ، وعلاقتها بإخوانها المؤمنين ، بأن تتوثق من كل إشاعة ترمي إلى خلخلة الصف ، وَبَذَرِ الشُّخَاء ، وإتاحة الفرصة للفرقة ، فما أكثر الأعداء الذين يحاولون الضرر بالمسلمين ، وإيجاد مبررات التخاذل ، لمباعدتهم عن حقيقة الإسلام وصفائه ، وإدخال أشياء على المسلمين في دينهم هي من جذور طقوس الديانة اليهودية والنصرانية التي أفسدت حقيقة تلك الديانات السماوية من قَبْلُ بما دخلها من تبديل في محاولة دؤوب لبثها في صفوف المسلمين عن طريق بعض عُبَادِهِمْ وعلمائِهِمْ .

وهدفهم في هذا أن يتساوا معهم في المعصية والمخالفة ، ليسهل بذلك النفاذ إلى المجتمع ، ثم عن هذا الطريق إدخال أشياء تُبَاعِدُ المسلمين عن الإسلام ، ومع الزمن والتساهل تتسع الشُّقَّةُ ، ويكثر البعد ، فيصبح الإسلام غريباً على أبنائه .

يروى عن سفيان الثوري ، (٩٧ - ١٦١ هـ) رحمه الله أنه قال : من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه باليهود الذين معهم عِلْمٌ ولم يعملوا به ، ومن فسد من عُبَادِ المسلمين ففيه شبه بالنصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال . نسأل الله السلامة والعافية .

ومن هنا جاءت نقاوة الإسلام في التشريع ، وصفاءه في العقيدة ، ووسطاً في العمل ، ووسطاً في القول ، ووسطاً في الاعتقاد ، وقمة في العلاقة مع الله ، وقد جعل الله أمة الإسلام وسطاً بين الأمم في كل شيء قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) .

فأمة الإسلام وسط بين رهبانية النصارى ، وغلوهم في عيسى عليه السلام اعتقاداً ، وفي عبادتهم بالضلال والجهل ، وأتباعهم لرجال الكنيسة بدون فهم أو مناقشة . وبين تحايل اليهود وكذبهم ، وإدعائهم على الله جل وعلا ، وأنبيائه عليهم السلام ، بما تصف ألسنتهم ، وتعمدهم الضلال والإضلال ، وإخفائهم للحقائق العلمية والعقدية في الديانة التي جاءتهم من عند الله على ألسنة الأنبياء والرسل ، من باب الافساد والمخالفة .

والتاريخ الإسلامي يشير إلى أن الجهل فشى في المجتمعات الإسلامية في نهاية الخلافة العباسية بعدما كثرت العُجْمَةُ ، وقل العلم ، وتأثر الناس بفلسفة الرومان ، وعلوم فارس والهند .

وقبل ذلك وفي أثنائه كان التأثير في أطراف الدولة أكثر ، حيث نشأت فرق كثيرة لها معتقدات متباينة ، ونماذج شتى في الاتجاه والهدف ، وضع بذورها اليهودي عبدالله بن سبأ الذي أسلم مخادعة حتى وجد فرصة ملائمة لبث روح الفرقة بين المسلمين ، في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ونشأت أول فرقة باسم الفرقة السُّبِّيَّة وهو الذي أسسها .

وقد تحدثت بعض الكتب كـ « الملل والنحل » للشهرستاني و « الفِصَل في الأهواء والملل والنحل » لابن حزم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه وكتبه عن تلك الفرق ومعتقداتها ، وكيفية نشأتها ، وما تخالف فيه أهل السنة والجماعة ، ويمتاز ابن تيمية - رحمه الله - بالرد على بعض تلك الفرق ، والتنويه عن معتقدات أصحابها ، وأعمال البعض الآخر ، ومن يتبع الحركات الفكرية العقدية الإسلامية في العالم الإسلامي ، منذ ذلك التاريخ ، يلمس هذا جيّداً ،

حيث برز الصراع الفكري العقدي في المجتمع على أعقاب تعلق بعض المسلمين بفلسفة اليونان ، وعلوم فارس والهند .

والمجتمع الإسلامي لا يعدم وجود أناس يدركون ما تنطوي عليه تلك الأفكار، وما يندس في ثناياها من معتقدات ، وافدة على عقيدة الإسلام الصحيحة النقية ، فيصححون لمن حولهم ما أُذْخِلَ في بيئتهم ، وما يُرَادُ لعقيدتهم ، لأنَّ جميع الملل والنحل في الأرض تريد إضلال المسلمين عن دينهم الحق ان استطاعوا قال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ﴾ سورة البقرة آية ٢١٧ .

وهذه حكمة أرادها الله في صراع الحق بالباطل لتسترشد العقول ، وتتفهم الأفئدة فيرجع للصواب من أراد الله به خيراً ، لأن الحق واضح بالدليل النقلي والعقلي . وهذا جزء من مهمات الدعوة والتوضيح التي حُمِّلَ بها بنو إسرائيل فتخلَّوْا عنها عنادا ومكابرة ، فكان لزاما على علماء المسلمين العارفين الخائفين من عقاب الله ونقمته ، الانبراء لدعوة الناس إلى المنهج المحمدي في العقيدة والعبادة ، وتصحيح مفاهيمهم العقدية حسبما أمر الله في كتابه ، ودعا إليه نبيه الكريم ، ثم ما سار عليه أصحابه ، ومن تبعهم باحسان امثالاً لأمر ، وتطبيقاً في عمل .

ولا تعدم كل دعوة سليمة وصحيحة في كل زمان ومكان وجود أعداء وخصوم ، أما عن جهل أو لتعصب شخصي ، أو لمآرب خاصة ، ومصالح ذاتية (فالهوى يُغْمِي وَيُصِمُّ) ، فيحرك تلك النوازع أمثال هاؤلاء ليشهروا السلاح في وجه الإسلام علانية أو بالاستتار ، فيلصقوا التهم ضد الدعاة المخلصين ، ويستعينوا بالكذب والافتراء ، لبلبلة الأفكار ، ثم بوضع الألقاب المنفرة لنزع الثقة من هاؤلاء الدعاة ، حتى يعمى الأمر على الغالبية العظمى من الناس ، وهم العامة الذين لا يقرأون ولا يبحثون .

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التصحيحية التي نَبَعَتْ من وسط الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر ، في وقت كان المسلمون — لا في الجزيرة

العربية وحدها ، بل في كل مكان - أخرج ما يكونون إليها ، لإنقاذهم من الجهل الذي ران عليهم ، وتصحيح مفاهيمهم في أمور العقيدة ، والعبادات التي أفسدها الجهل بأمور الدين ، والافتداء بعلماء يجهلون أمور دينهم ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق في قوله : « انما أخشى على أمتي العلماء المضللين الذين يفتون بغير ما أنزل الله فَيُضِلُّون وَيُضِلُّون » .

فقد جاءت دعوة الشيخ محمد لإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب ، وتصحيح ما أدخل على التوحيد - وخاصة توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات - من مشاركة للمخلوق مع الخالق في صرف ماهو الله جل وعلا ، مقرونا بالمخلوق في العمل والاعتقاد ، وتعطيل أسماء الله وصفاته جل وعلا ، أو نفيها والسير خلف تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان .

فصار التوحيد - بأقسامه الثلاثة : الربوبية والألوهية ، والأسماء والصفات - مشوبا بما يُكذِّرُهُ ، حيث دخل عليها في المعتقد والعمل ما يصرفها عن حقيقتها ، نظراً للتأثر بالمعتقدات البعيدة عن المنهج الذي جاء به المصطفى ﷺ ، ثم الاقتداء بأصحابها بعد أن بهرهم القول ، وأعجبهم المظاهر والدعوات ، لأمثال من قال الله فيهم : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿ (٣) .

وما ذلك إلا لأن النفوس خَلَّتْ من القاعدة المكيئة ، وهو العلم والإدراك بما شرع الله لخلقه ، ومعرفة الحكمة من إيجادهم للحياة .

لقد نشأ عن ذلك الضعف العلمي نقص في الإدراك ، وتقليد للأمم الغالبة والمؤثرة ، فكثرت الطرق الصوفية التي بدأت برغبة دينية ، وحرص على التبتُّل والمحافظة على الإسلام ، فكانت بدايتها طيبة ، وهدفها نبيل .

إلا أن الجهل ورغبة التوارث لهذه المكانة الاجتماعية التي جاءت باسم المنصب الديني قد جاء برجال لا علم عندهم ، ولا قدرة لديهم في فهم رأي الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور ، وهذا ما كان يخشاه ﷺ على أمته .

ومن ينظر في إزالة الحجب ، ورفع التكاليف وأعمال المريدين عند أكثر الطرق الصوفية والاقطاب ، ويربط هذا بالغفران لدى النصارى ، ومكانة أصحاب الألقاب في الكنيسة ، وطقوس الميلاد وصكوك الغفران ، يَرَّ أن أحدهما استمدَّ من الآخر ، في هذه الجوانب ، وفي جوانب أخرى ،

ولكي يعود للإسلام نقاوته وصفائه من كل شوائب دخيلة عن جهل أو تقليد ، سواء من الديانة اليهودية أو النصرانية ، أو من جذور الجاهلية فإنه لابدُّ من الامتثال لأمر الله جل وعلا في مثل قوله سبحانه : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنَّ آتِئْتَهُمْ بِعَدُوٍّ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٤) .

وإن علماء المسلمين العارفين بأمر دينهم — فهما حقيقيا — لهم الذين عليهم دور التوضيح والإرشاد ، والتوجيه والتبيين ، حسبما يأمرهم بهذا مصدرا التشريع في الإسلام : كتابُ الله وسنةُ رسوله الأمين ﷺ ، الصحيحة الثابتة التي خدمنا فيها علماء الحديث المعروفون ، وهذا ما يجب أن يعيه كل داعية ومهتم به كل عالم من علماء المسلمين .

وفي تاريخ الدعاة والمصلحين صفات مشرقة نتيجة اهتمامهم وانطلاقهم في دعوة الناس من ذلك النبع الصافي الفياض ، والمُعِين الزاخر الذي لا ينضب .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله واجدٌ من ذلك الجيش الذي انتهج طريقا يتفق مع رسالة الصفوة الأولى من التابعين للإصلاح والعمل ، فقد أدرك ما يعيش فيه مجتمعه من صوفية متطرفة ، رغم وفرة العلماء ، وماسار عليه أبناء جلدته من تعلق بالقبور التي لا تنفع ولا تضر ، وتبرُّك بالأحجار الجامدة ، ووضع للكلام في غير محله .

فكان الناس يتعلقون بتلك الجمادات طلبا للنفع ، أو دفعا للضر ، ونسوا أن الله هو النافع الضار القادر على كل شيء ، وأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

لقد شقَّ هذا الأمر عليه لما فيه من جُرأةٍ على الخالق بصرف القلب والعمل إلى غيره ، مع أنه هو المنعم والمتفضل سبحانه بكل شيء .

ويمكن وصف حالة المجتمع الإسلامي في كل مكان ذلك الوقت ، وليس في نجد وحدها بما قاله المؤرخ الأمريكي (لوثرروب ستودارد) بمثل هذه الكلمات :
أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان ، يحملون في أعناقهم التعاويذ ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، وزينوا للناس التماس الشفاعة من فناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ، ورأى من كان يدعي الإسلام لَغَضِبَ .

هذه — كما قال الشيخ عبدالله خياط إمام جامع الحرم المكي الشريف — شهادة حق من عدو منصف ، لم يعرف عنه الدخول في الإسلام ، يصف واقع الإسلام والمجتمع الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، وما وصل إليه من الانحطاط والتدني^(٥) .

ويقول الأمير شكيب أرسلان عن هذا المؤرخ : لو أن فيلسوفاً من فلاسفة الإسلام أراد تشخيص حالة الإسلام في هذه القرون الأخيرة ، ما أمكنه يصيب المَحْزَرُ ، ويطبق المفصل ، تطبيق هذا الكاتب الأمريكي (ستداوارد) .

ونجدُ والجزيرة العربية ، لم تكن تختلف عن ديار الإسلام في ذلك الوقت ، فقد تغلب الباطل على الحق في أكثر ديار الإسلام ، وكثرت البدع والخرافات ، فالعلماء موجودون ولكنهم لا يرشدون الناس للطريق الأقوم ، بل أضلُّوهم وأفسدوا عقائدهم .

وقد ذكر المؤرخان النجديان : حسين بن غنام الأحسائي ثم النجدي المتوفي عام ١٢٢٥هـ ، وعثمان بن بشر المتوفي عام ١٢٩٠هـ ، نماذج مما آلت إليه حالة

الناس في العقيدة والعبادة في البلاد الإسلامية والعربية ، وفي نجد بصفة خاصة باعتبارهما يعرفان الأمر عن كُتُب ، وعرفا واقع الناس ، فابن غَنَام الذي عاصر الدعوة من بدايتها وأدرك دورَ الشيخ محمد ومكانته في نقل الناس من حال إلى حال ، وتفانيه في سبيل الدعوة ، قد أحبَّ هذه الدعوة ، وأرخ لها ، وانتقل من أجلها من بلده الأحساء وسكن الدرعية حيث توفي فيها ، نراه في كتابه التاريخي يصف البلاد العربية عامة ونجدا بصفة خاصة ، ويضرب الأمثال بانحراف الناس إلى الوثنية بقبر زيد بن الخطاب الذي كان عليه قُبَّة ، وله مزار في بلدة الجُبَيْلَة قرب الرياض ، إلى جانب قبور وقباب أخرى لبعض الصحابة الذين قُتِلوا في حروب الردَّة ، ثم ذكر ماكان يصنعه الناس عندها من الشرك بالله من دعاء ونذور ، وتبرك وتوسُّل من دون الله ، ولم يقتصر الأمر على القبور ، بل تعداها إلى الشجر والحجر والشياطين .

ونأخذ من تاريخ ابن غنام الذي عاصر الأحداث وسجلها فكره ، ومن تاريخ خَلْفِهِ ابنِ بَشْرِ الذي أدرك كثيرا من مَجَرَّيات الأحداث بأن نجدا قد نالها ما نال غيرها من بلاد الإسلام ، من الانحراف والتدهور العقدي ، الذي يحركه أصحاب المصالح ومشايخ الطرق ، ومن هنا بدأت غيرة الشيخ محمد ، وتحركت همته للدعوة ، أداء لرسالة المعرفة ، وتنفيذا لما يَأْمُرُهُ به العلم ، حيث رأى أن العلم لا بُدَّ أَنْ يَقْتَرِنَ بالعمل ، وأنَّ من الأمانة توضيح ما خفي على الناس ، وما يجب عليهم عمله ، ويتحتم عليهم تركه ، من أمور هي من الإسلام تركت ، وأشياء أُدْخِلَتْ عليه ، وسارت في حياة الناس على أنها من مستلزمات العقيدة ، أو جُزْء من أوامر الدين ، وهم لا يدركون الحقيقة .

ذلك أن العلماء المنتفعون أو الجهلة المتعالمون ، ورجال الطرق الصوفية ، قد لَبَّسُوا الأمر ، وأفسدوا المعتقدات ، وصرفوا الناس عَنِ الْفَهْمِ الحقيقي لشرائع الإسلام ، ووجهوهم إلى ما يَحُلُّوْهُم في المكسب الدنيوي ، والاستعلاء في السيادة ، فكان يقينا أن تلقي هذه الدعوة التصحيحية السلفية جرحاً ونكراناً من المقربين العارفين ، وتوجسا وخيفة من الآخرين المتطلعين .

ومن هنا بدأت الاتهامات تتوافد ، والسُّهام تُشَرِّعُ ، والأفكار تُعْمَلُ لحبك الأكاذيب ، واختراع الألقاب المنفرة ، وهذا شيء منتظر في كل أمر جديد ، وفكر مناهض لما أَلَفَهُ الناسُ ، وساروا عليه قولاً وعملاً ، فقديمًا قال عرب الجاهلية للنبي ﷺ : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (٦) .

لكنه غير مقبول بعد انتهاء فترة الاختبار ، وظهور الحجة الساطعة بعد البلوى والامتحان وبعد النقاش والحوار ، والمداولة والمجادلة .

فقد أثبتت المراسلات الهادئة ، والكتابات الهادفة ، وآراء العلماء الْمُتَّزِنِينَ الذي جاوروا في مكة مجموعةً من علماء الدعوة ، بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لم يتنهج أمرًا بِدْعًا ، ولم يخالف في دعوته ما صَحَّ عن رسول الله ﷺ ، ولم يستبدل في كتبه بغير الآيات القرآنية الكريمات ، والأحاديث النبوية الصحيحة حسبما دَارَ من جوارٍ بين علماء مكة وعلماء نجد ذلك الوقت ، وبين ابن سعود وعلماء نجد من جانب وعلماء المغرب من جانب كما جاء في رصد ذلك بتاريخ المغرب (٧) ، وسوف أستعرض في هذا البحث أسماء بعض العلماء من نجد الذين ناوَوْوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وخرجوا من نجد يحملون العداء للدعوة والكذب عليها ، وتشويهها أمام المسلمين فاقتنع بكلامهم البعيدون ، وتأثروا بمقالاتهم ، بينما هم لم يعرفوا عن الدعوة شيئًا من غير هذا الجانب ، ولم يُذَرِّكُوا سبب الاستعداد عليها ، ومبررات الكذب والبهتان ضد الشيخ محمد ودعوته .

وقد نلتمس لبعض العلماء في ديار الإسلام عُذْرًا إذا جاءهم أناس من أبناء المنطقة يجأرون إليهم ، ويصفون الدعوة بنعوت قد توافق أهواءَ في النفوس ، أثارَ بعضها أصحابُ المصالح من الدول الاستعمارية ، ويحرك ذلك ماعرف لدى العلماء من حسد وتناحر وتعصب .

تصحيح خطأ تاريخي :

لقد لفت نظري ودفعني للحديث في هذا الموضوع : كتاب فقهي قديم على مذهب الإمام مالك ، له رغبة كبيرة في نفوس إخواننا المغاربة ، وقد طبع حديثًا

في بيروت عن طريق (دار الغرب الإسلامي) اسم الكتاب : « المعيار المغربي ، والجامع المغربي ، عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب » والمؤلف هو : أحمد بن يحيى الونشريسي ، وقد نشر في بيروت عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م . لفت نظري ما رأيت (في الجزء ١١ ص ١٦٨) تحت عنوان سؤال جاء بهذه العبارة : كيف يعامل معتنقو المذهب الوهابي ؟؟ .

وهو سؤال ملفت للنظر ، ومثير للانتباه ، خاصة وأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - الإصلاحية التجديدية ، المصححة لأمر العقيدة الإسلامية ، مما داخلها ، قد كادت لا تعرف إلا بهذا الاسم الذي أطلقه أعداؤها ، على هذه الدعوة ، ومن يتعاطف معها ، أو يسير على منوالها ، حتى ولو كان لا يعرف من هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا أين قامت دعوته ؟؟ .

هذا الاصطلاح جاء من باب التنفير ، حيث حركت ذاك اللقب ودعت إليه بعض الطرق الصوفية ومصلحها ، أو الرغبة في تفكيك المسلمين ، ومباعدتهم عن دينهم الحقيقي ، حسب منهج رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين .

فوافق ذلك هوى في نفوس أعداء الدين الإسلامي ، الحريصين على تفكيك وحدة المسلمين ، وتفتيت ما بين أبناء الإسلام من أواصر ومحبة يدعو إليها دينهم ، وتهتم بها تعاليمه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ^(٨) « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ^(٩) .

وما ذالك إلا لإذكاء روح التناحر والبغضاء في صفوف المسلمين ، لأنهم أدركوا تأثير الكلمة فيما يتعلق بأمور الدين من جهة ، ومن أخرى فلأن نسبة الأُمِّيَّة آنذاك في العالم الإسلامي عالية جدًا ، فالتناس لا يقرأون ليعرفوا ، ولا يفهمون إلا ما يقال لهم عن طريق أناس نصبوا من أنفسهم علماء وهم أدعياء للعلم ، حيث توجههم السلطات ، ويرون أن ماخرج عن هاؤلاء يجب أن يعتقده الناس ، رغم وجود أصوات تنادي بالحق ، وتدعو إليه بسطا وتوجيها ، ولكن أعينهم بصيرة ، وأيديهم قصيرة ، كما يقال في المثل .

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط إمام وخطيب الحرم المكي الشريف في لمحاته التي تصدر كل ثلاثاء في جريدة «عكاظ» بأن الأستاذ أحمد علي الكاظمي قد أورد في كتاب ألفه كلمة قصيرة عن ضابط بريطاني اسمه (هارفورد برايجس) كان يقيم في العراق كوكيل سياسي من سنة ١١٩٩هـ إلى سنة ١٢٠٩ ، وكان يعاصر الإمام محمداً ، وكانت له صلاتٌ مع الأمير سعود بن عبدالعزيز - الذي أصبح فيما بعد الحاكم الثالث للدولة السعودية الأولى بعد أن تولى الأمر بعد مقتل والده عام ١٢١٨هـ - ولهذا الضابط تاريخ موجز عن الوهابية - ونص الكلمة : (لقد أشاع الباب العالي أن ابن سعود كان يمنع الناس من زيارة المدينة المنورة ، ولكن الصحيح أنه يمنع الناس من ارتكاب أعمال الشرك أمام الروضة ، كما منع الناس من عبادة قبور الأولياء . وقد ظن البسطاء اعتماداً على قول أصحاب النفوذ من ولاية وغيرهم أن الوهابية - أو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية - كُفِّرَ ، وأن من يسير عليها إنما هو كافرٌ . ولكن الصحيح الذي عرفه كل من اهتم بدراسة ذلك المعتقد أن الشيخ محمداً وأتباعه يسيرون على نهج الكتاب والسنة في الأصول .

أما في الفقه - وهو الاتجاه المذهبي - فوفق الفقه الحنبلي ، وليسوا مذهباً خامساً كما أطلقوا عليهم من باب التنفير لدى العامة ، والفقه الحنبلي قد انتقل إلى نجد قبل ولادة الشيخ محمد بأكثر من قرن ، أتى به الدارسون في مدرسة الصالحية بدمشق ، وقبله كان السائد المالكي والحنفي .

وقد صدق (برخاردت) في قوله : إن كل ما أشيع عن الوهابية سببه سوء فهم حقيقة الدعوة الوهابية التي لم تكن إلا تطهيراً داخلياً للإسلام .

فهذه شهادة قررها من لا يعترف بالإسلام كدين ، غير أنه منصف حكى الواقع الذي لا مبرئة فيه ، وقد قال بمثل هذا الرأي كل من : الأستاذ منح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي (كونت ويلز) . والباحث الأمريكي (لوثروب ستودارد) في كتاب « حاضر العالم الإسلامي » . والمستشرق الألماني (كارل بروكلمان) في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » الذي تناول هذه الحركة

بالدرس والتحليل في الجزء الرابع . والمؤرخ الألماني (داكوبورت فون ميكوس) - في كتابه « عبدالعزيز » وصدر بألمانيا عام ١٩٥٣ م . والأستاذ (ويلفرد كانتول) في كتاب « الإسلام في نظر الغرب » وقد ألفه جماعة من المستشرقين والعالم الفرنسي (برنارد لويس) في كتابه « العرب في التاريخ » والمستشرق النمساوي (جولد زيهر) في كتابه « العقيدة والشريعة » . والمستشرق الأنجليزي (جب) في كتابه « المحمدية » . والمستشرق الفرنسي (سيديو) في كتابه « تاريخ العرب العام » ودائرة المعارف البريطانية التي جاء فيها : الوهابية : اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده . وهملون ماسواها ، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح^(١) .

أما في بعض ديار الإسلام فهناك أصوات منصفة مسلمة قالت الحق لأنه الحق الذي يجب إبلاغه للناس عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل :

الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه « صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان » . والشيخ محمود شكري الألوسي العراقي في كتاب ألفه عن تاريخ نجد . والشيخ أحمد بن سعيد البغدادي العراقي في كتابه « نديم الأديب » . والشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيخ عبدالرزاق البيطار ، والشيخ طاهر الجزائري ، والشيخ محمد كامل القصاب في أرض الشام ، حيث درسها هاؤلاء فأعجبوا بها ، ورأوا أنها على حق وصواب ، فنشروها في المجتمع الشامي ، مما دفع السلطان العثماني إلى إحالة عميد الحركة الشيخ جمال الدين القاسمي إلى القضاء في عام ١٩٠٨ م . وقد برأه القضاء .

هذا إلى جانب آراء كثير من العلماء مثل : السيد محمد رشيد رضا في كتاب « مجاورات المصلح والمقلد » وكتابته الآخر « الوهابيون والحجاز » ومجلة « المنار » ومحمد كردعلي ، وشكيب أرسلان ، وعلي الطنطاوي ، والزركلي ، ومحمد جميل بيهم ، وعمر أبو النصر ، وعبدالمتعال الصعيدي في « المجدودون » وحامد الفقهي في « أثر الدعوة الوهابية » وعبدالعزيز بكر في « الأدب العربي وتاريخه » ، ومصطفى الحفناوي والدكتور أحمد أمين في « زعماء الإصلاح » ومحمد قاسم في

« تاريخ أوروبا » ومناع القطان في « دعوة الإسلام » ، وعبدالكريم الخطيب في « محمد بن عبد الوهاب » ومحمد ضياء الرئيس في مجلة « الارشاد » الكويتية رجب عام ١٣٧٣هـ ، والدكتور محمد عبدالله ماضي في « النهضة الحديثة في جزيرة العرب » . وأحمد حسين في « مشاهداتي في جزيرة العرب » بعد أن أدى الحج في عام ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) ، والعقاد في « الإسلام في القرن العشرين » . وطه حسين في بحث نشره عام ١٣٥٤هـ عن « الحياة الأدبية في جزيرة العرب »^(١١) . والشيخ أحمد بن حجر القاضي بقطر في كتابه « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ومسعود الندوي في كتابه « مُصْلِحُ مَظْلُوم ، ومُفْتَرى عَلَيْهِ » والدكتور محمد جميل غازي في كتابه « مجدد القرن الثاني عشر » وأمين سعيد في كتابه « سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب » ، ومسلم الجهني في كتابه « أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي » وغيرهم كثير جدًا .

وإن ما يرى (ويلمس) عن تسمية الدعوة السلفية بالوهابية ، فهو مما أطلقه خصوم هذه الدعوة السلفية التصحيحية التي نبعت من الجزيرة العربية ، غيرة على دين الله ، ولإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب ، وما أُدْخِلَ على التوحيد من مشاركة للمخلوق مع الخالق ، في صرف ما هو له جل وعلا ، مقرونا بالمخلوق ، وفي هذا منافاة لمضمون الحديث القدسي الذي جاء فيه قول الله جل وعلا : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيبي تركته وشركه »^(١٢) .

ومن باب ربط السبب بالمسبب ، ومحاولة التصحيح لما علق بأذهان الناس عبر مدة زمنية طويلة نقول : إن أولئك الخصوم أعطوا هذه الدعوة اصطلاحاً في اللقب وهو (الوهابية) من باب التنفير ، وتلقفه من جاء بعدهم ، حيث أن أول من حرك ذلك الاصطلاح ودعا إليه بعض أصحاب الطرق الصوفية التي أخطأت هي في فهم الدين الإسلامي على نقاوته ، وكما يجب أن يُفْهَم ليتعبد الناس به خالقهم كما أمروا بذلك لأن الإسلام لا رهبانية فيه .

وما ذلك إلا أن بعض القائمين على تلك الطرق يحكمون الجانب الذاتي

فلا يهتمون إلا بما يتوفر لهم من مصالح ومكاسب دنيوية يخشون ضياعها ، ونسوا أن تعاليم الإسلام وشرائعه أسمى من ذلك .

وسلاحهم في الوصول لما يريدون التظليل على العوام ، والتلبس أمام السلطة ، وتخويفها من هذا الصوت الجديد على مصالحها من باب استعدادها عليه .

فتلقف ذلك أعداء الإسلام حيث لقي هوى في نفوسهم ، لحرصهم على تفكيك وحدة المسلمين ، وغرس بذور الشر بينهم ، لأنهم أدركوا وَوَعَوْا خَطَرَ ما تُرمي إليه الدعوة الصحيحة لدين الإسلام ، وإذكاء الحماسة الدينية لدى المسلمين ، على مصالحهم وسيطرتهم على ديار الإسلام .

وهذا الموضوع وإن كان قد كتب الناس فيه كثيرا ، نسأل الله أن ينفع المسلمين بما كتب لهم ، وأن يعيد ضالهم إلى الطريق الأقوم ، فهو سبحانه القادر على ذلك إلا أن الذي لفت نظري ، ودفعني للحديث في هذا الجانب هو ما وجدته في ذلك الكتاب الفقهي القديم على مذهب الإمام مالك - رحمه الله - حيث أثار انتباهي كما قلت من قبل عنوان هذا السؤال : كيف يعامل معتنقو المذهب الوهابي (١٣)؟؟ .

وفي قراءتي لنص السؤال وجدته كما يلي : سُئِلَ اللَّخْمِيُّ عن قوم من الوهبة سكنوا بين أظهر المسلمين زمانا ، وأظهروا الآن مذهبهم ، وبنوا مسجدا .. إلى آخر ما جاء في السؤال .. الذي ختمه السائل بقوله : فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم وضربهم وسجنهم حتى يتوبوا من ذلك؟؟

ولما كان الجواب فيه قساوة وجدة . ولم يُفَصَّل عن هذه الفرقة ، وما إذا كانت نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي الخارجي المتوفي عام ٣٨ في وقعة النهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه قد خرج عليه بعد التحكيم (١٤) أو نسبه إلى شيء آخر أيًا كان زمانه ومكانه .

وأنه لم يُشِرْ فيه إلى شيء آخر غير هذا ، بل إنَّ أحد الإخوة من المغرب العربي

قد فهم - كما يتبادر للذهن لدى آخرين - بأن المقصود من ذلك دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو من ذوي العلم والمكانة ، حيث جرى معه حوار تراجع - بحمد الله - عن فهمه السابق بموجبه . وهذه الرسالة استجابة لمطلبه ، ومن هنا فقد أحبيت التثبت أولاً عَمَّنْ يعني السائل والمجيب ، ثم إزالة ما في الأمر من لبس ، وجلاء ذلك الاشتباه الذي قد لا يدركه كثير من الناس من باب أمانة العلم ، وتوثيق المعلومات ، ولذا فقد رجعت لترجمة حياة علي بن محمد اللخمي ، وهو الذي وُجِّهَ إليه السؤال ، فإذا هو قد توفي عام ٤٧٨ هـ وأنه فقيه مالكي قيرواني الأصل توفي بصفافص^(١٥) .

أما المؤلف أحمد بن يحيى الونشريسي ، فقد جاء على غلاف كل جزء من أجزاء «المعيار» - طرته ، وتحت اسمه - بأنه توفي بفاس عام ٩١٤ هـ .

ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو صاحب الدعوة السلفية التصحيحية في نجد ، لم يكن قد وُلِدَ بعد ، حيث أن ولادته عام ١١١٥ هـ بالعينية ، وبدأ الدعوة مع الإمام محمد بن سعود بالدرعية منذ عام ١١٥٨ هـ .

وعلى هذا فإن هذا الجواب الذي ترتب عن السؤال قد سبق ولادته بأكثر من ست مئة عام ، بالنسبة لوفاة المجيب وهو اللخمي ، وأكثر من مئتي عام بالنسبة لوفاة المؤلف الونشريسي .

وكلا الأمرين يُجَدِّثَانِ لبساً لدى من يُريد المقارنة ، ووضع الأمور في نصابها ، وهذا الأمر قد دفعني للبحث تاريخياً في كتب المغرب عن أصل ذلك المذهب ومتى وجد ، لأن في الأمر لبساً لأبَدُ من جلالاته ، إما بمعرفة المقصود ، أو أن زيادة قد حصلت في الكتاب لم تكن للمجيب ولا للمؤلف ضلع فيها ، خاصة وأن هذا السؤال وجوابه قد جاء في كلام الونشريسي مرة باسم الوهبة وأخرى بالوهابية . ولم يعلّق الناشرُ أو المحقق عليه شيء ، مما يجعلني أعتقد أن كثيراً من كتب المغاربة - وخاصة منها ما يتعلق بالعقائد - قد تعرض لمثل هذا بشيء من التوضيح في أماكن متفرقة .

ومن باب ربط الحوادث التاريخية بمصادرها ، وإشراك القارئ في قراءة

ما تحفل به بعض المصادر ، فإن الموضوع يحتاج إلى مراجعة تاريخية متفحصة ، لكي نعرف ما يحاول دَسُّ أعداء الإسلام في تاريخ أمة الإسلام ، للتفجير من كل عمل تصحيحي عقدي ، في المجتمع الإسلامي ، لأنهم يعرفون حقيقة الإسلام ، وما يحققه لأبنائه إذا ساروا على منهجه الصحيح جيّداً ، وما يعود به على الأمة من ألفة ومحبة وترايط لا تستطيع معه قُوَى الشر أن تنفذ لديار الإسلام ، أخذاً من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي وَذَكَرَ مِنْهُمْ : « وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ » (١٦) .

فلا بد أن يجدوا منفذاً في ديار الإسلام للاستفادة من خيراتهم بالتركيز على كلمتهم المعهودة : (فَرَّقْ تَسُدْ) . فسيادة أعداء الإسلام في ديار الإسلام ، وتمكنهم من التصرف في أمورهم ، واستثمار خيرات بلادهم ، كل هذا لا يتم إلا بئس الفرقة ، وإيجاد مسببات الشحناء ، وبذور الكراهية بين الأفراد والجماعات ، وأعداء الإسلام كالشيطان الذي يسترق السمع فإذا وجد كلمة بنى عليها كذبات كثيرة لإفساد ذات البين .

واستنتج هذا من بعض النصوص التاريخية ، والوقائع الزمنية التي وقع نظري على جزء منها حيث تراءى أمامي أثناء البحث مايلي عن الفرقة الوهابية التي في شمال افريقيا :

١ - جاء في كتاب « المغرب الكبير » للدكتور السيد عبدالعزيز سالم عبدالرحمن أن ابن رستم الذي أسس الدولة الرستمية في مدينة تاهرت بالمغرب عندما أحس بِدُنُوِّ أجله في عام ١٧١ هـ أوصى بالأمر لسبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية ، ومن بينهم ابنه عبدالوهاب ، ويزيد بن فنديك ، وقد بويغ عبدالوهاب ، مما ترتب عليه نُشُوءُ خلافة بينه وبين ابن فنديك .

وقد انقسمت الاباضية - التي هي ديانة ابن رستم ومن معه - حيث نقلها من المشرق إلى المغرب ، إلى فرقتين : الوهابية نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ، والنكارية ، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل تنهزم فيها النكارية إلى أن قتل زعيمها ابن قنديرية ، وفي حالة ضعف من النكارية انضم إليهم الواصلية

المعتزلة . وقد عزم عبدالوهاب هذا على الحج في آخر حياته ، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في (نفوسة) خوفا عليه من العباسيين .

وقد توفى عبدالوهاب هذا الذي يعتبر المؤسس للدولة الرستمية ذات الاتساع في شمال أفريقيا عام ٢١١هـ (١٧) .

٢ - أما المؤلف الفرنسي (شارلي أندري) : فقد تحدث في كتابه « تاريخ أفريقيا الشمالية » تعريب محمد مزالي ، والبشير بن سلامة ، عن ممالك الخوارج ، ومن ضمنها مملكة تاهرت التي هي الدولة الرستمية ، وقد أفاض في حديثه عن معتقداتها واتساعها ، ومعالمها الحضارية ، وأبان بأنها تخالف أهل السنة في المعتقد^(١٨) . كما تحدث (الفرديل) في كتابه « الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم » وقد ترجم هذا الكتاب عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي في عدة مواضع ، وقال بأن الخوارج الوهبيين الذين سُموا نسبةً إلى عبدالله بن وهب الراسبي الذي قاتله الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في النهروان .

وعن انقسامهم أيضا حيث قال : بأن أباضية المغرب في تاهرت منهم ، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية ، وكانوا أشد الفرق تعصبا .

ثم قال عن اتباع عبدالوهاب بن رستم هذا : بأنهم أشد الأباضية تقوى ، وكانوا يكرهون الشيعة قَدَر كراهيتهم لأهل السنة^(١٩) .

- والزركلي في « الأعلام » أخذ خلاصة من عشرة كتب تعرضت لسيرة الأباضية والدولة الرستمية في تيهزت بالجزائر ، ومما جاء في كلامه عنه بأن عبدالوهاب هذا ثاني الأئمة الرستميين من الأباضية ، فارسي الأصل ، كان مرشحا للإمامة في حياة أبيه ، وجعلها أبوه سُورَى ، فوليها بعد وفاته بنحو شهر سنة ١٧١هـ واجتمع له من أمر الأباضية وغيرهم مالم يجتمع مثله لزعيم أباضي قبله ، وكان فقيها عالما ، شجاعا يباشر الحروب ، بنفسه ، وله مواقف كثيرة مذكورة ، واستمر إلى أن توفي ، وفي تاريخ وفاته خلاف ، والزركلي يرجح أن وفاته سنة ١٩٠هـ (٢٠) .

ومن هذه النبذ الصغيرة نستدل على أن هذه الفرقة قد رصد عنها أشياء كثيرة ،
ليس من الفرنسيين وحدهم - بل من أبناء البلاد أيضاً - منه ماجرى الاطلاع
عليه وأكثره لم نطلع عليه .

وعبدالوهاب الرستمي هذا قد جعل من تاهرت مركزا فكريا ، وفتح باب
الجدل مع علماء السنة ، ثم الشيعة التي قامت دولتهم في نهاية القرن الثالث
الهجري باسم الدولة الفاطمية ، حيث قضى أبو عبدالله الشيعي في عام ٢٩٦ هـ
على الدولة الرستمية^(٢١) ، مما تبلور عنه تفنيد معتقدات الرستميين التي تتخالف
مع ما يراه أهل السنة والجماعة وتثبت به الأحاديث الصحيحة .

وهذا الحوار هو الذي تفتق عنه جذور عميقة عند علماء وفقهاء المغرب حول
هذه الفرقة ومعتقداتها ، وصدرت عنها الفتاوى بالخروج عن منهج أهل السنة
والجماعة . وقد استغل المستعمرون وأصحاب المصالح تلك الجذور في إذكاء
العداوة بين أبناء المسلمين فيما بعد ، فالبسوا الثوب القديم بما فيه من عيوب
وما عليه من مثالب ، مستغلين الحزازات ضد الدعوة الجديدة التي جاءت
لإصلاح العقائد ، وإعادة الناس إلى منزلة الإسلام الأولى التي سار عليها الصفوة
الأولى من أمة الإسلام مدة ثلاثة قرون لم تعرف الدخائل ولا البدع ، اللهم
إلا فرقا عرفت بمباعدتها للإسلام ، حيث قوتلت في وقائع كثيرة ابتداء من عهد
الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي جرد سيفه لقتالهم اتباعا لمنهج
الرسالة المحمدية ، التي حاد عنها أولئك الذين خرجوا عليه .

وكما هي عادة أعداء الإسلام لا يدخلون في المواجهة مع الإسلام لمعرفة
بعدم الصمود لأن حججهم واهية ، ولكنهم يستغلون فئات من المنتمين
للإسلام ، ليجعلوهم جسورا يعبرون منهم إلى مآربهم ، وينصبون باسمهم
الشبهات .

أولا : فالانجليز مثلا لمسوا آثار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية في
أعظم مكان يعتزون باستعمارهم ، والاستيلاء على خيراته ، عندما تلقفها الهنود على
يد الداعية الإسلامي أحمد بن عرفان الشهير بـ (أحمد باريلي) وأتباعه ، وفي

حركات أخرى مثل : (الفراتيين وتيتومان) نزار علي (٢٢) .

تلك الدعوات التي ناوت القاديانية الكافرة التي أرادها الإنجليز واجهةً إسلاميةً تحقق مآربهم ، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه .

ويظهر انزعاج الانجليز ، وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تمثل يقظةً جديدةً في الدين الإسلامي ، ودعوةً إلى فهمه من مصادره الصافية كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، أنهم بذلوا جهوداً وأموالاً في هذا السبيل ، وقد أبانت رحلة « سادلير » - الضابط البريطاني وقائد الفوج الـ (٤٧) ومبعوث الحكومة البريطانية في الهند - الذي قام برحلة شاقة من الهند إلى أن وصل إلى الرياض ، ووقف على أطلال الدرعية التي هدمها إبراهيم باشا ، بناءً على تخطيط اشترك في الإعداد له الانجليز ، ليطمئن على القضاء على الحكومة الإسلامية ، التي تحركت في الجزيرة لإيقاظ المسلمين ، والقضاء على قاعدة الدعوة السلفية بنفسه ، لما أحدثته من خوف وقلق بداخل الحكومة الانجليزية خوفاً على مصالحها ، وقد كان في رحلته هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك ، أبانت هذه الرحلة جانباً مهماً في التعاطف والحرص على القضاء على هذه الدعوة التي تمثل يقظة إسلامية ، تُوحّد المسلمين ، كما أبانت عن حقد الانجليز على الإسلام ، فقد مرّ بالدرعية مستشفى في ١٣ أغسطس من عام ١٨١٩م (٢٣) ، وبعد أن ارتاحت نفسه شد الرجال لاحقاً بإبراهيم باشا حتى أدركه في آبار علي ، على مقربة من المدينة المنورة ، ليقدّم له التهاني بهذا النصر ، مقرونة بهدايا حكومة الهند الشرقية (الحكومة البريطانية (٢٤)) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر حتى يُطمئن الحكومة البريطانية على نتائج القضاء على قادة هذه الدعوة ، وهدم وتدمير قاعدة الملك فيها ، وذلك عام ١٢٣٣هـ ، لأن آثارها قد امتدّت لمواطني أقدام الانجليز في ديار الإسلام .

وكان (سادلير) يكرر عبارات التشفي والارتياح للقضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مثل قوله : مع سقوط الدرعية وخروج عبدالله عنها يبدو أن

جذور الوهابيين قد انطفات فقد عرفت من كل البدو الذين قابلتهم في نجد أنهم سُنيون ، وأنهم يداومون على الصلاة المفروضة حتى في السفر الطويل وتحت أفسى الظروف (٢٥).

ثم من باب التفرقة أيضاً في داخل البلد الواحد يقول : (إن البدو لم يثبتوا على الوهابية إلا مرغمين ، وذلك حين كانت الدعوة قوية ، وسهلت لهم سبيل النهب) (٢٦). مع أن الدولة السعودية منذ أن قامت على ركيزة الدعوة إلى الله مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١١٥٨ هـ كانت تحكم شرع الله وتقطع يد السارق ، فأمنت الطرق ، لأن أول محاربته النهب والاعتداء على الناس ، أو أخذ أموالهم .

وهذا وغيره في كلامه فيه تناقض وتشويه للحقيقة ، وخداع للناس بما يعطي من معلومات لأسباب جاءت في كتابه عندما تحدث عن قوة القواسم البحرية في الخليج والبحر العربي ، حتى وصلوا إلى بومباي في الهند ، وهاجوا سفناً عديدة لحكومة الهند الشرقية ، وسفناً حربية انجليزية ، والقواسم ممن أيدّ الدعوة ، فهم يعاضدونها لأن مبادئ الدعوة السلفية تحض على مقاومة السلطان الأجنبي ، لأنهم كفار لا يحق لهم بسط النفوذ على ديار الإسلام . ولأن ولاية الكافر لا تجوز على المسلم ، فالمسلمون يجب أن يلوا أمورهم بأنفسهم ، فيحكموا شرع الله في بلادهم .

وقد تحدث (سادلير) في كتابه هذا كثيراً عن هذا الموضوع الذي أرقّ بريطانيا فتحدث مع إبراهيم باشا ، وحمل كتاباً من الإنجليز له ، يطلب التحالف ضد القواسم ، وعن دور بريطانيا في شرق الجزيرة العربية ، لمناواة كل من يؤيد الدعوة السلفية التي أيقظت همة الناس ، وفتحت مغاليق أفكارهم ، وحركتهم من سبات عميق .

وقد ظهرت همومه وسمومه ضد الإسلام والمسلمين في مواقف مثل :

١ - ثب نار العداء بين أهل اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كقوله : وقد سُجِنَ آخِرُ زعيمٍ يمّني وهابي ، خلال إقامة هذا الباشا - ويعني

خليل باشا - وهذا الزعيم هو محمود بن محمد الذي جيء به مكبلاً بالأغلال إلى جدة ، ومن هناك أُرْسِلَ بسفينة إلى مصر . . إلى آخر حديثه عن اليمن^(٢٧) . ومثل هذا محاولته التفرقة بين أبناء عُمان وأبناء الجزيرة العربية^(٢٨) .

٢ - وصفه التساهل الديني بالتقدم الحضاري ، والمحافظة على شعائر الإسلام بالتناقض مع متطلبات النفس في مثل قوله - يصف بدو نجد - : وهم حريصون جداً على عبادتهم ، ولا يهملون أيّاً من الصلوات المفروضة ، مهما كان المسير طويلاً في أسفارهم ، وتحت أشق أنواع الحرمان والعَوَز . ويظهر تناقض غريب عند مقارنة هاؤلاء البدو مع الأتراك الذين يُتَسَمُّون بثقافة روحية أكثر لكنهم لا يسمحون للدين أو للصلوات أن تتعارض مع راحتهم واطمئنانهم أبداً^(٢٩) .

٣ - محاولة الخطأ من قدر أهل المدينة المنورة ، ووصفهم بنعوت كثيرة كالشحاذين ، والجشع وأن من حقهم - اعتقاداً - أن يكونوا متغطرسين ، وأنهم يعيشون على صدقات الحجاج إلى غير هذا مما ينبئ عن جذور صليبية^(٣٠) .

٤ - لكن الأغرب من ذلك أن مقاله (سادلير) عن إبراهيم باشا مما يترفع عن ذكره^{(٣١) (٣٢)} .

ثانياً : والفرنسيون أيضاً لهم دور ، فقد أحسوا باهتمام الشمال الافريقي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحرصهم عليها مثل : -

١ - اهتمام محمد بن عبدالله العلوي ، سلطان المغرب الأقصى بها حيث قام بمحاربة البدع والانحراف ، كما كان يحارب تشعب الطرق الصوفية ويدعو إلى العودة إلى الاجتهاد وإلى السنة^(٣٣) ، إلى جانب حرصه الشديد - وحرص الدولة العلوية منذ أن قامت - على محاربة النصارى ، وفي تعاطفهم مع الدعوة السلفية قوة تمتد إلى نفوذ الفرنسيين .

وهذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسي (شارلي جوليان) بقوله : وكان سيدي محمد - وهو التقي الورع - على علم بواسطة الحجيج بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، وتأييد عائلة آل سعود لها ، وقد أعجب بعباراتها ،

وكان يؤثر عنه قوله : (أنا مالكي المذهب وهابي العقيدة) . وقد ذهبت به حماسته الدينية إلى الإذْن باتلاف الكتب المتساهلة في الدين ، والمحللة لمذهب الأشعرية وتهديم بعض الزوايا^(٣٤) .

٢ - كما أنه في عام ١٢٢٦هـ حج جماعة من المغاربة صحبة المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان سلطان المغرب ونقل عنهم صاحب كتاب «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» : أنهم مارأوا من ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة ، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر ، وتنقية الحرمين من الآثام^(٣٥) .

٣ - رسالة بعث بها الإمام سعود بن عبدالعزيز لأهل تونس يشرح فيها حقيقة التوحيد وأصول الدين وهي رسالة طويلة تقع في ثلاث صفحات مطبوعة ، كما جاءت في صحيفة ألمانية ضمن مقال طويل باللغة الألمانية لأحد المستشرقين عن الوهابية في المغرب ، أما الرسالة فقد كتبت باللغة العربية^(٣٦) .

٤ - والسلطان سليمان بن محمد بن عبدالله - الذي بويع في فاس عام ١٢٠٦هـ كان معاصراً للإمام عبدالله بن سعود ووالده الإمام سعود بن عبدالعزيز ، الذي دخل مكة عام ١٢١٧هـ الموافق لعام ١٨٠٣م - أراد أن يتحقق من ابن سعود ما يدعوا إليه ، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه ، ومعه كتاب من والده فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك ، وزاروا الروضة المشرفة ، كل هذا على الأمن والأمان ، والبر والإحسان ويقول في هذا الشيخ أحمد الناصري صاحب كتاب «الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى» من ص ١١٩ إلى ص ١٢٣ : حدثنا جماعة وافرة من حج المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم مارأوا من ذلك ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة ، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ، ونهي عن المنكر الحرام ، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام ، التي كانت تفعل به جهاراً من غير نكير ، وأنه لما اجتمع

بالشريف المولى إبراهيم ، أظهر له التعظيم ، الواجب لآل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو اسحاق إبراهيم الزرعي ، فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأى شيء رأيتمونا خالفنا من السنة وأى شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي ، فقال له : معاذ الله ، إنما نقول كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، فهل في هذا مخالفة ؟؟ قالوا : ويمثل هذا نقول أيضاً .

ثم قال القاضي : وبلغنا أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال : معاذ الله ، إنما نقول أنه ﷺ حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء .

وفي نهاية ذلك الحديث قال المؤلف : وأقول : إن السلطان المولى سليمان - رحمه الله - كان يرى شيئاً من ذلك ، ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها عن حال متفكرة الوقت ، وحذر فيها - رضي الله عنه - من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة ، وبين فيها آداب زيارة الأولياء ، وحذر من غلوا العوام في ذلك ، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين^(٣٧) .

وينقل الأستاذ محمد كمال جمعه عن «دائرة المعارف الإسلامية» بأن المولى سليمان قد تأثر بعد عام ١٨١٠م بالوهابية مما جعله يتخذ موقفاً صارماً ضد المربوطية ، وهو اللقب الذي كان يطلق في المغرب على الصوفيين^(٣٨) .

٥ - كما ينقل عن الدكتور عباس الجراري في محاضرة ألقاها في عام ١٣٩٩هـ بجامعة الرياض بأن هذا التيار السلفي في المغرب قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري حين وجه السلطان الحسن الأول سنة ١٣٠٠هـ رسالة إلى الشعب المغربي^(٣٩) .

٦ - وقد تحدث أحمد بن حجر عن الحركة السنوسية التي أسسها محمد بن علي

السنوسي في الجزائر ، وأنه تأثر بها عندما كان يطلب العلم في مكة ، وقت استيلاء آل سعود عليها ، وقد ابتدأ حركته الإصلاحية في الجزائر على ضوء تعاليم الإصلاح الديني الإسلامي الذي أضرم نارها في الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب^(٤٠).

ثالثاً : وفي مصر : يلمس من يقرأ تاريخ عبدالرحمن الجبرتي المتوفي عام ١٢٣٧ هـ المسمى «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» في مثل قوله : ولغظ الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه ، فمنهم من يجعله خارجياً ، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه ثم أورد رسالة من رسائل الإمام سعود التي أرسل لشيخ الركب المغربي ، تتضمن دعوته وعقيدته ، وقد بين في تلك الرسالة أمور الدين مجملة ، وعرض لبيان الشفاعة ، وفتنة تعظيم القبور والنذور — أي للمقبورين — والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتخاذ الوسائط عند الله ، وأعقب ذلك بقوله : وعلى هذا أقول : إن كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن أيضاً ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وماعلينا من المارقين والمتعصبين ، وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» والحافظ المقرئ في «تجريد التوحيد» والإمام اليوسي في «شرح الكبرى» وذكر كتباً أخرى كلها تدافع عن حقيقة التوحيد الصافي النقي ، الذي هو صلب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٤١).

ومن جانب آخر ذكر الجبرتي مطامع الانجليز في الشمال الافريقي المسلم ، عندما ذكر واقعة الانجليز مع أهل الجزائر ، لأن لهم صولة واستعداداً ، ويغزون مراكب الافرنج ، ويغتنمون منهم غنائم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم أسرى كثير من الانجليز وغيرهم ، فقد جاء الانجليز بمراكبهم ومعهم مرسوم من السلطان العثماني ليفتدوا أسراهم بمال ، فأعطاهم أهل الجزائر مايزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل أسير مئة وخمسين ريال فرانساً ، ورجعوا من حيث أتوا ، إلا أنهم بعد مدة رجعوا وبأيديهم مرسوم آخر يطلبون باقي الأسرى ، فامتنع حاكم الجزائر من ذلك ، وترددوا في المخاطبات ، وفي هذا الأثناء وصلت عدة

مراكب فآثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر ، وقد أمدَّ سلطان المغرب مولاي سليمان أهل الجزائر ، وبعث إليهم مراكب عوضاً عن الذي تلف (٤٢).

رابعاً : الإيطاليون : أقلقهم مقام به محمد بن علي السنوسي المولود في الجزائر عام ١٢٠٢ هـ ، من دعوة إصلاحية في ليبيا لإعادة الإسلام إلى صفائه ، ووصفه الصحيح في النفوس تطبيقاً وعملاً ، والوقوف ضد الإيطاليين الوافدين الذين لا يهتمهم إلا استغلال خيرات البلاد والتفريق بين المسلمين (٤٣).

كما أقلقهم تأثر الحجاج الصوماليين بها ، وامتدادها إلى القرن الأفريقي لقربهم من الجزيرة العربية ، وتأثر الحجاج المغاربة بها ، حيث نقلوا آثارها لبلادهم فقام فيهم مصلحون مجددون .

خامساً : والهولنديون حركهم مالمسوه من اهتمام جديد من المسلمين الذين استولوا على ديارهم ، ويظهر ذلك واضحاً بالحرص على الولاء لعقيدة الإسلام في جزر سومطرة وجاوه ، وسولو ، باندونيسيا ، مما وفد لتلك الديار مع الحجاج المتأثرين بما يجب أن يُنقَى به المجتمع الإسلامي ، وتُصَفَّى من شوائبه شعائر الإسلام ، بعد أن درس هاؤلاء الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التجديدية ، واهتموا بها بعد أن اطمأنوا إلى سلامة منهجها في إصلاح العقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ، ولما فيها من صفاء الدعوة ، وسلامة الاتجاه ، والبعد عن الهوى ، وأنها لم تأت لمآرب ذاتية .

فلذا نقلوا ذلك بقناعة لبلادهم ، حيث قامت دعوات متعددة مثل : الجمعية المحمدية في (جاكرتا) التي بدأت الدعوة بنبذ الشوائب والخرافات التي أدخلت على تعاليم الإسلام ، مما وقف حائلاً دون اتساع دعوة المستعمرين في تبني فئات إسلامية ، أو محسوبة على الإسلام ، تشجع الخرافة وتُغْمِي البدع في المجتمع الإسلامي ، مما يستفيد منه المستعمر ، بتغذية الطائفية ، وتذكية الفتن ، على مبدأ الاستعمار (فَرَّقْ تَسُدْ) ..

ولقد بدأ هذا التأثير من عام ١٨٠٣م الموافق لعام ١٢١٨ هـ ، عندما قامت

حركة ضد الهولنديين استمرت ١٦ عاماً ، تغلبت فيها قوى الإستعمار على السلفيين الموحدين المتأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٤٤).

هذا إلى جانب دول إسلامية عديدة ، انتقلت إليهم آثار الدعوة مع الحجاج الذين أعجبوا بها ، لما فيها من تخليص الإسلام من الشوائب التي أُدْخِلَتْ عليه ، وتخليص البلاد من المستعمر الجاثم عليها ، والحريص على إفساد عقيدة أهلها بما يشيعه من أعمال ، وما يُتَّبَعُهُ من فرص للفساد والإفساد ، ولذا كَثُرَت الأصوات المستجيبة في كل مكان كالسودان بالدعوة المهدية ، ومصر والشام واليمن ، وأفغانستان وجزر الهند الشرقية ، ونيجريا وبلاد الهوسا ، وبرنو ، وبلاد التكرور وغيرها . مما ذكره كل من درس حياة الشيخ ، وأثرها في بلاد الإسلام ، لأنها أيقضت الهمم ، وحركت الناس من سباتهم ، مما زلزل أقدام المستعمرين ، وحرك مشاعرهم ضد هذه الدعوة والمعتنقين لمبادئها .

سادساً : هذا إلى جانب تأثر الأوربيين وبعض الأتراك والأفارقة واهتمام مجموعة من المفكرين المسلمين بها ، في بلاد الشام والمغرب وحتى في داخل تركيا ، وغيرها ، كل هذا أثار حفيظة الباب العالي ، وأرباب المصالح والمناصب ، الذين موهوا الحقيقة على العثمانيين ، ولبسوا الشُّبُهَ للتفنير ضد هذه الدعوة ، لإثارة الحفاظ على من قام بها ، واختلاق أشياء لم يكن لها أساس من الصحة .

وفي رسائل الشيخ محمد وإجابات تلاميذه تسببت الجوانب الإيجابية ، والحرص من بعض المسلمين ، استجلاء حقيقة الدعوة من الشيخ نفسه بإرسال رسائل له أجاب عليها مثل : —

— رسالة الشيخ محمد رحمه الله إلى الشيخ فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام التي جاء فيها : فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سرّاً الخاطر ، وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب مايجيك عنا من كلام العدوان من الكذب والبهتان ، وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلاماً إلا إذا تحقّقه ، ثم بدأ يشرح له ما قيل ، ويوضح الحقيقة في ذلك ، وفق شرع الله وهدى رسوله الكريم تنفيذاً وشرحاً^(٤٥).

— رسالة الشيخ محمد — رحمه الله — إلى عبدالرحمن السويدي ، عالم من أهل العراق ، جاء فيها : فقد وصل كتابك وسر الخاطر ، جعلك الله من أئمة المتقين ، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين ، وأخبرك أني والله الحمد متبع ولست بمبتدع . عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة ، وأتباعهم إلى يوم القيامة ، لكنني بينت للناس إخلاص الدين لله ، ونهيهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يُعْبَدُ الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود ، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبي مرسل ، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة^(٤٦) .

— رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي بعث إلى العلماء الاعلام في بلد الله الحرام ، يوضح لهم عن المعالم المهمة في دعوته وما جاء فيها بقوله : جرا علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ، فلما كبر هذا على العامة لظَنُّهُمْ أنه تنقيص للصالحين ، ومع هذا نهياناهم عن دُعائهم ، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور ، كبر على العامة جداً ، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب أخر ، لا تخفى على مثلكم ، أعظمها اتباع هوى العوام ، مع أسباب أخرى ، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين ، وأنا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب ، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها ، وأنا أخبركم بما نحن عليه ، خبراً لا أستطيع أن أكذب بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب ، على أناس متظاهرين بمذهبهم عن الخاص والعام ، فنحن والله الحمد متبعين غير مبتدعين ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أني أدعي الاجتهاد ، ولا أتبع الأئمة فَإِنَّ بَانَ لَكُمْ أَنْ هدم البناء على القبور ، والأمر بترك دعوة الصالحين لما أظهرناه يخالف ما عليه سلف الأمة .

إلى أن قال : وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم على دين الله ورسوله إني متبع

لأهل العلم ، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي ، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين ، والرجوع إلى الحق خير من التهادي في الباطل (٤٧).

— ورسالته أيضاً إلى عالم من أهل المدينة وفيها يقول : الخط وصل ، أوصلك الله إلى رضوانه ، وسر الخاطر حيث أخبر بطيكم ، فإن سألت عنا فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، وإن سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس ، فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك ، ولا في شيء من المحرمات ، الشيء الذي عندنا زين ، هو عند الناس زين (٤٨).

وغير ذلك من الرسائل ، حيث تخوفت الدولة العثمانية بقياداتها في العالم الإسلامي ، وتعاونوا مع المستعمر من أجل مصالحهم من جهة ، ومن أجل ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، لتحقيق المآرب بإضعاف قوة المسلمين ، والقضاء على دعوة الإصلاح التي تؤلف بين القلوب ، وتجمع الشمل ، وتقضي على أسباب الفرقة ، باتباع ما جاء به ﷺ من عند ربه .

وبذلك يخرج العدو المستعمر هو الكاسب من جانب ، ومن جانب آخر فلأن المسلم لا يقبل ذلك المستعمر المخالف له في دينه ، أن يتدخل فيما يتعلق بعقيدته وإلا انكشفت النوايا ، وعادت الحروب الصليبية من جديد .

ولذا فإن هاؤلاء الغربيين ، ولا يستبعد أن يكون من بينهم يهود يههم ضرب الإسلام كما هي مخططاتهم وأعمالهم ، منذ حل رسول الله ﷺ في المدينة مهاجراً ، والدارس يلمس مثل هذا الشعور لدى عبد الله بن سبأ اليهودي ، الذي دخل الإسلام ليفسده من داخله ، وليشكك ضعاف الإسلام في مكانته ، فكان أول من أظهر الفتنة ، وأول من أنشأ فرقة فيه عرفت باسم السبئية .

كما نلمس هذا في دراسات المستشرقين ، الذين حاولوا تشويه صورة الإسلام في العصر الحديث للتفجير منه ، وغالبيتهم من اليهود .

فقد بدأ هاؤلاء جميعاً يقلبون صفحات التاريخ ، وينبشون الماضي عليهم

يجدون أشياء ترضي أصحاب الأهواء من أدعياء العلم الذين نصبهم المستعمر في مقامات إسلامية يستتر خلفهم ، ويزينون له ما يريد ، وأصحاب المصالح الذين باعوا أخراهم بعرض من الدنيا ، فهاؤلاء جميعاً ينشدون غرضاً ، ويريدون تحقيق غاية . فأوهموا العامة وأنصاف المتعلمين ، الذين لا يقرأون ولا يتعمقون ، وهم الغالبية العظمى في المجتمع الإسلامي ذلك الوقت ، بأن هذه الدعوة الجديدة التي تحركت في الجزيرة العربية ماهي إلا امتداد لتلك السابقة التي كانت في المغرب ، فرقة الخوارج الأباضية التي تخالفكم معاشر المسلمين في المذهب والمعتقد .

ولكي تنظلي الحجة ، ويمر التمويه لفقوا أقاويل على الشيخ محمد وأتباعه ، أوضح - رحمه الله - كذبها في رسائله العديدة ، وعرف هذا علماء المغرب في حوارهم عام ١٢٢٦هـ عندما حج المولى أبو إسحاق إبراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله ومعه مجموعة كبيرة من علماء المغرب لحوار الإمام سعود بن عبدالعزيز ومناقشته فيما نسب إليهم ، وكان هذا بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بزمان .

وقد أوضحت تواريخ المغرب لهذه الحادثة ماثبت البراءة لهذه الدعوة السلفية من كل مانسب إليها ، وقناعة علماء المغرب من سلامتها وصدقها ، حتى أن الإمام إبراهيم هذا اقتنع بها (٤٩) .

وقد وجد هذا القول - أعني القدح في هذه الدعوة - صدى في نفوس راغبي الزعامة والتسلط باسم العلم والمعرفة ، ولدى أصحاب الأهواء والمصالح الظاهرة أيضاً . هذا من جانب ، ومن جانب آخر انْطَلَبَ النسبةُ إلى عبد الوهاب - والد الشيخ محمد وهي نسبة غير صحيحة ، لأنه لم يكن هو صاحب الدعوة ، لأنهم لو نسبوها للشيخ محمد لصارت محمدية ، ولا يتحقق لهم ماأرادوا ، لأن الدين الإسلامي كله يسمى الرسالة المحمدية ، نسبة إلى النبي محمد ﷺ .

والعامة لا تفرق بين هذا وذاك ، ولذا حرصوا أن يكون للاسم المراد إطلاقه صدى في نفوس الجماهير الذين هم قاعدتهم في التمويه والتليبس .

ظهر قتل قنصل القبول في تقارير وخطابات إبراهيم باشا ، التي كان يبعث بها إلى محمد علي ، بمصر ، وفي كتابات لبعض العثمانيين ، حيث بدأ إطلاق الألقاب التالية : الوهابية . الخوارج . المارقين من الدين^(٥٠) على دعوة الشيخ محمد ، والدولة السعودية من ذلك التاريخ .

هاؤلاء في مظهر عام اتفقوا جميعاً في اتجاه واحد للتلبس على الناس ، في هذا الأمر ، والناس بطبيعتهم يتخوفون من كل جديد ، ويستنكرون ما جاء لمخالفة ماساروا عليه ، وخير شاهد في هذا مانجده موضحاً في القرآن الكريم ، والسيرة النبوية العطرة من أمور كثيرة في موقف المعاندين للإسلام ، عندما جاء به محمد ﷺ من عند ربه داعياً ومنقذاً .

كما نلمس شاهداً حياً في عصرنا الحاضر ، عندما بدأ الشباب الإسلامي يهتم بدينه ، ويرجع لتعاليم ربه ، فيما أطلق عليه : الصحوة الإسلامية . فقد بدأت صحف الغرب والشرق ووسائل إعلامه وجهود مفكره ، تُشَوِّه الصورة ، وتنفر من الاتجاه وتصف هذا الاتجاه بنعوت متعددة ، لكي يوجد حجاب يمنع المسيرة ويقضي على الحماسة . والعامية في كل عصر ومكان - وهم الجُم الغفير - يلجأون في مثل هذا الأمر إلى مصدر القوة لتوضح لهم الأمر ، وتُجَلِّب الحقيقة ، لكن هذا المصدر في ذلك الوقت من علماء وأرباب مصالح أرادوا قلب الحقائق ، وتشويه أصوات المستجيبين العارفين ، وذلك بإطلاق الشبهة ، واختلاق الآراء ، التي تلقفها العامة بالنشر والاذاعة ، من جانب ، وبالاستجابة للنداء بالوقوف ضد هذا الاتجاه الذي سموه للناس انشقاقاً في الدين ، وخروجاً على جماعة المسلمين ، وبدعاً أُذِخِلَتْ في الدين ، بينما واقع الأمر عكس ذلك .

وقد وجدت هذه الشبهة - التي أطلقت - صدى في نفوس أرباب المصالح والجاه في الباب العالي العثماني ، خوفاً على سمعة ومكانة الدولة ونفوذها . وفي كثير من أقطار المسلمين بالتبعية ، حيث روجها أناس يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويرضون بزعامات مؤقتة دينية ، يتسلطون بها على الجهال الذين لا يدركون حقيقة دينهم ، ولا نوايا هاؤلاء وماهم عليه ، وهذا ماكان يخشاه

رسول الله ﷺ من العلماء المضللين الذين يُفتنون بغير ما نزل الله فَيُضِلُّونَ
وَيُضِلُّونَ ، للتحذير من زلة العالم ، وقد ضرب هاؤلاء جميعاً على الوتر الحساس
في حياة الناس ، وهو الدين الذي تحتاجه النفوس ، وتشوق إليه ، ولكنها تجهله
حقيقةً ، وتجهل المصادر التي يجب أن يؤخذ منها ، فتتبع كل ما يقال لها فيه ، ومن
هذه الجذور بدأوا في التعاون لتشويه الدعوة التي من أهدافها تجميع المسلمين ،
ونبذ الخلافات وتنوير الأذهان ، وتوجيه النفوس إلى العلم ، باعتباره مصدر
الحقيقة ، حيث بلغ الأمر بالناس في الدرعية ، كما ذكر ابن غنام وابن بشر في
تاريخهما رغبة عارمة في النهل من العلم ثم العمل المتواصل لكسب المعيشة ، فكان
تلاميذ الشيخ يوزعون أوقاتهم بين العلم والعمل .

من بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس للعلم ، ثم يتجهون لأعمالهم
وفلا يحجمهم حتى الظهر ليرتاحوا ويواصلوا العمل من العصر حتى المغرب ، وبعد
المغرب إلى العشاء حلقات علم ، واهتمام بالبحث عن المعرفة في الحلقات
والنقاش .

وهذا مما دفع أيضاً بعض الأشخاص ممن تعارضت مصلحته الدنيوية مع دعوة
الشيخ إلى مخالفة الشيخ ، ومحاولة التشهير به كذباً ، وافتراء ، وأغلبهم من بني
قومه ، فالصقوا بالشيخ ودعوته أشياء كثيرة طَفِقَ جاهداً في رسائله العديدة إلى
التبريء ، منها ، والدفاع عن سلامة المعتقد الذي ينادي به ، وأنه لم يخرج عن
الكتاب والسنة ، وسوف يكون لنا مع بعض أولئك وقفة ، ترشد طالب الحقيقة
إلى بعض مواطن الداء . وان من يقرأ ما كتبه خصوم دعوة الشيخ محمد بن
عبد الوهاب عنها من افتراءات وأكاذيب ، فإنه لاشك سيلمس أن جميع ما أورده
من شبهات ، وما اختلقوه من مجادلات لا أصل لها في أي مصنف مما كتبه - رحمه
الله - بل إن رسائله العديدة التي ملأت سفراً كاملاً ، ورسائل وردود أولاده
وتلاميذه من بعده ، وهي كثيرة وعديدة ، كلها كانت تنفي تلك الأقاويل ، وتبطل
منها بأيمان صادقة ، ومثل هذا الرسائل والردود التي يجدها المتبع لمسيرة هذه
الدعوة ، والمنافحين عنها النافين للشبهات المطروحة من دون أصل ثابت . إننا
عندما نعود إلى أصل تلك الشبهات فإننا سنراها لا تخرج عن :

— شبهات ذات جُذورٍ في الفرق السابقة ، ألصقوها بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع أن له رأياً فيها هو رأيُ أهل السنة والجماعة ، حيث ينكر خروجها عن الصف الإسلامي ، كما أنكرها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — في الشام ، والإمام الشاطبي في المغرب .

— وإما أشياء مختلفة لا أساس لها من الصحة ، ولم ترد في أصل مما نقل عن نصوص ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا في مؤلفات تلاميذه أو أبنائه .

والمختلق لا حدود له ، إذ فيه تمويه على القارئ والسامع ، فقد أبانت رسائل الشيخ توضيحات ضد هذا ، خذ مثلاً قوله في إحدى رسائله لأهل القصيم وقد جاء فيها : — ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم^(٥١) قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعضُ المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افتري علي أموراً لم أقلها ، ولم يأت أكثرها على بالي : فمنها قوله : أني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ستِّ مئة سنة ليسوا على شيء ، وأنني أدعي الاجتهاد ، وأنني خارج عن التقليد ، وأنني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإنني أكفر من يتوسل بالصلحين ، وأنني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، وأنني أقول : لو أقدر على هدمِ قبة رسول الله ﷺ لهدمتُها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب ، وأنني أُحرِّم زيارة قبر النبي ﷺ ، وأنني أنكر زيارة قبر الوالدين ، وغيرهما ، وأنني أكفر من حلف بغير الله ، وأنني أكفر ابنَ الفارض وابنَ عَرَبِي ، وأنني أُحرقُ «دلائل الخيرات» و«روض الرياحين» أُسميه «روض الشياطين» جوابي عن هذه المسائل أن أقول : «سبحانك هذا بهتان عظيم» وقبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسبُ عيسى بن مريم ، ويسبُ الصالحين ، فتشابهت قلوبهم باقتراء الكذب وقول الزور^(٥٢) .

— ويدخل في هاتين الحالتين ظهورُ عَجْزٍ من جادلوا أتباع الشيخ وأفحموهم ، ومن باب الرغبة في تغطية هذا العجز ، بدأوا ينالون من الشيخ ودعوته ، وهذا من باب التلبس على الناس ، ذلك أنهم لو قالوا الحقيقة التي دارت في النقاش

لانتهت مكانتهم ومصالحهم ، ولذا لم يبق أمامهم إلا قلب الحقيقة ، وتمويه النتيجة ، لأن ماجرى لم ينشر على الملأ .

— وإما كلام مبتور من أصل كلامه — رحمه الله — أو قول مؤوّل على غير معناه ، مثل من يقرأ ﴿ويل للمصلين﴾ ويسكت .

ويدخل في هذا قولهم : إن أتباع محمد بن عبد الوهاب ينكرون الصلاة على النبي ﷺ ، وينكرون رسالته ، مما لا يصدقه عاقل متبصر .

ولا أستبعد أن يكون جميع من كتب متهجماً على الشيخ محمد ودعوته ، بأنه لم يقرأ واحداً من كتبه ، سواء في التوحيد والعقيدة ، أو الفقه والأحكام ، أو التفسير والسيرة النبوية ، بل إنه لم يناقش رأياً مما قال ، وإنما حركتهم المصالح الدنيوية ، وأغماهم الهوى ، حيث وجدوها فرصة عاجلة لأخذ عيوب (الوهابية) الرستمية الخارجية الأباضية ، التي قال فيها علماء الإسلام ماقالوا ، ودار حولها في المغرب نقاش طويل ، وردود ومجادلات ، وتناولها علماء المغرب في كتبهم بالردود والقدح كثيراً ، لالتصاق تلك العيوب بالدعوة الجديدة بادئ ذي بدء .

وقد استغل الخصوم تشابهاً في الاسم ، فطابقوا اللقب في الحالين ، وأطلقوا الأول على الثاني ، وأعطوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اصطلاحاً جديداً هو اسم لجذور عميقة في نفوس المسلمين في شمال إفريقيا بصفة خاصة وهو (الوهابية) أو (الوهابية) فوجدوا هذا ثوباً جاهزاً ألبسوه دعوة الشيخ محمد للتنفير منها ، حيث أبرزوا عيوب السابقة وألصقوها بدعوة الشيخ محمد ، والمغاربة ممن شهد لهم التاريخ بدور إيجابي للوقوف ضد الدعوات المناهضة لأهل السنة ، مع عبد الوهاب بن رستم هذا ، ثم مع الفاطميين العبيديين وغيرهم ، ثم بمناهضة المستعمر في بلادهم ، والوقوف ضد مطامعه ، ومحاربة النصارى على أيدي الدولة العلوية حقبة طويلة من الزمن ، فألبس أعداء الإسلام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ثوباً مستعاراً مشوهاً من باب التنفير ، خوفاً من عودة المسلمين إلى المنهج المحمدي ببساطته ، واستمالته لقلوب المسلمين ، الذين ملوا الفرقة ، وأضناهم الخلاف . فيكون في ذلك سبب لاتفاق الكلمة ، ونبد

الخلافات التي ينفذ منها الأعداء . خاصة وأن صدوراً في العالم الإسلامي — وخاصة في شمال أفريقيا — قد انفتحت لهذه الدعوة وأستجاب لها أصحابها لأنها بغية كل مسلم ، كما مر بنا نماذج من ذلك . فأقضى ذلك مضاجع أصحاب المصالح ، وأرباب الأهواء ، وتعاموا عن الحقيقة التي بذلوا جهوداً مضنية لطمسها ، وإلقاء الناس عنها ، وعن تتبع مصادرها بحثاً واستقصاء . ويتضح مثل ذلك في كتابة الباحثين الغربيين والمستشرقين ، من فرنسيين وإيطاليين وانجليز وألمان ، عن الإسلام والمسلمين ، في شمال أفريقيا على وجه الخصوص ، وفي كل مكان بوجه عام ، وخاصة عند تعرضهم لليقظة الفكرية الجديدة في تاريخ الإسلام ، التي تربط دائماً ومن الدراسات المنصّفة لإقيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته ، وامتدادها للعالم الإسلامي .

ففي الوقت الذي بدأ المسلمون يَعُونُ حقيقة الدعوة السلفية التي جددتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأعادت للمسلمين يقظةً فكرية ، وعقدية في المنهج الإسلامي الصحيح ، والعقيدة السليمة ، لأنها لم تخرج بالإسلام عن نقاوته الأولى ، حيث سلك في هذا الدرب مَنْحَى المصلحين في تاريخ الإسلام ، المجددين لمنهج السلف الصالح ، كلما اندثر ، كابن تيمية أحمد بن عبد الحليم المتوفى بالشام عام ٧٢٨هـ . وابن قيم الجوزية المتوفى بدمشق عام ٧٥١هـ ، والشاطبي المتوفى بغرناطة بالأندلس عام ٧٩٠هـ وغيرهم كثير من علماء السلف . كما تحدث عن ذلك كثير من العارفين والمفكرين العرب المسلمين وغيرهم .

د/محمد بن سعد الشويعر

[الحواشي] :

- (١) «سورة الحجرات» آية ٦ .
- (٢) «سورة البقرة» آية ١٤٢ وراجع أقوال سيد قطب في «الظلال على دلالة الوسط» .
- (٣) «سورة البقرة» آية ٢١٥/٢٠٤ .
- (٤) «سورة البقرة» آية ١٢٠ .

- (٥) ضمن مقال نشر لفصيلته في «عكاظ» في شهر جمادى الأولى من عام ١٤٠٤ هـ . وانظر كتاب «الإمام محمد بن عبد الوهاب» للأستاذ عبدالله بن رويشد ج ٢ ص ٣٤٥/ ٣٤٦ نقلا عن كتاب «حاضر العالم الإسلامي» .
- (٦) «سورة الأحزاب» آية ٢٣ .
- (٧) يراجع في هذا «الإعلام» من حل مراكش وأغيات من الإعلام» ج ١٠ ص ٧٠ و ص ٧١ وكتاب «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» ج ٨ ص ١٢٠/١٢١/١٢٢ ، وانظر «البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد» الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤ هـ .
- (٨) «سورة الحجرات» آية ١٠ .
- (٩) «حديث رواه الترمذي» .
- (١٠) راجع كتاب «محمد بن عبد الوهاب» للأستاذ عبدالله بن رويشد ج ٢ من ص ٢٤٥ - ص ٣٥٤ وفيه مقتطفات من كلام هازلاء .
- (١١) راجع مقتطفات من هذه الأقوال في «محمد بن عبد الوهاب» لابن رويشد ج ٢ ص ٢٧٥/ ٣٦٠ .
- (١٢) أخرجه مسلم في باب تحريم الرياء عن زهير بن حرب ص ٢٩١ الأحاديث القدسية .
- (١٣) انظر ص ٣٨ .
- (١٤) انظر «الكامل» في حوادث عام ٣٨ هـ .
- (١٥) انظر «الحلل السندسية» ص ١٤٣ و «الإعلام» للزركلي ١٤٨/٥ .
- (١٦) متفق عليه .
- (١٧) انظر هذا الكتاب ج ٢ ص ٥٥١ إلى ص ٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت وفيه معلومات أشمل عن عبد الوهاب هذا ودولته .
- (١٨) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب من ص ٤١ إلى ص ٤٨ .
- (١٩) انظر ص ١٥٠ ، ومن ص ١٤٠ إلى ص ١٥١ من هذا الكتاب .
- (٢٠) راجع «الإعلام» ج ٤ ص ٣٣٣/ ٣٣٤ ومن هامشه يتضح مراجعته لمن يرغب الاستزادة .
- (٢١) انظر «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ج ١ ص ١٩٧ وفيه سمي عبد الوهاب عبد الوارث .
- (٢٢) انظر «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية» تأليف محمد كمال جمعه ص ٦٣ - ٨٧ .
- (٢٣) راجع رحلته ترجمة أنس الرفاعي وتحقيق سعود بن غانم المعجمي ص ٨٥/ ٨٧ و ص ٩٦/ ٩٩ .
- (٢٤) نفس المصدر من ص ١٠٥ - ١١٠ ، ص ١٥٦ - ١٥٩ .
- (٢٥) نفس المصدر ص ١٤٩ .
- (٢٦) نفس المصدر ص ١٥٠ .
- (٢٧) انظر كتابه هذا ص ١٥١ - ١٥٣ و ص ١٤٨ .
- (٢٨) انظر كتابه ص ١٠٨ .
- (٢٩) انظر رحلته هذه : «رحلة عبر الجزيرة العربية» ص ١٤٩ .
- (٣٠) انظر رحلته هذه ص ١١٦ - ١١٨ .
- (٣١) انظر رحلته هذه ص ١٠٥/ ١٠٦/ ١٠٩/ ١١٠ و ١٣٧ إلى ١٤٢ .
- (٣٢) [«العرب» : حذفنا بعض الجمل التي أوردها الكاتب الكريم لأن رحلة (سادلير) مطبوعة ويمكن الاطلاع على تلك الجمل فيها] .
- (٣٣) انظر كتاب «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٢٣٥ تأليف محمد كمال جمعه نشرته الدارة .

- (٣٤) انظر كتابه «تاريخ افريقيا الشمالية» ج ٢ ص ٣١١ .
- (٣٥) انظر هذا الكتاب التاريخي في أحداث عام ١٢٢٦هـ، ج ٨ ص ١٢٤/١٢٠ .
- (٣٦) انظر صحيفة «اسلاميكنا» (ISLMICA) وهي دورية ألمانية . كما علق على هذه الرسالة الكاتب بنشويه الدعوة بخلاف مجاء في الرسالة وهذا غير مستغرب من المستشرقين - العدد الأول - المجلد السابع عام ١٩٣٥م ص ٧٢ وما بعدها .
- (٣٧) انظر «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لمحمد كمال جمعة ض ٢٣٧/٢٣٥ وانظر «الاستقصاء» ج ٨ ص ١٢٢/١٢٠ .
- (٣٨) نفس المصدر ص ٢٣٧ .
- (٣٩) انظر المصدر السابق ص ٢٣٨/٢٣٧ وفيه تفصيل أكثر . «والاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى» ج ٨ ص ١١٩/١٢٣ ، وكتاب «الاعلام بمن حل مراكز وأغيات من الاعلام» ج ١٠ ص ٧٣/٦٨ .
- (٤٠) انظر كتاب محمد بن عبد الوهاب ص ١٠٦/١٠٧ .
- (٤١) انظر كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ج ٣ ص ٢٦٩/٢٧٢ ، آخر حوادث صفر سنة ١٢١٨هـ .
- (٤٢) انظر «عجائب الآثار» للجبري ج ٤ ص ٢٧٦/٢٧٧ وفيه تفاصيل أكثر مما أورده .
- (٤٣) انظر «تاريخ افريقيا الشمالية» ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (٤٤) انظر كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لأحمد بن حجر ص ١٠٦ .
- (٤٥) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى - ص ٣٢/٣٣ ، وانظر «الدرر السنية» ج ١ ص ٥٩/٦٠ .
- (٤٦) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الإمام بالرياض ص ٣٦/٣٨ ، وانظر «الدرر السنية» ج ١ ص ٥٤/٥٦ .
- (٤٧) انظر المرجع السابق ص ٤٠/٤٢ .
- (٤٨) انظر المرجع السابق ص ٤٤/٤٩ وفيها شرح كامل لمعتقد أهل السنة والجماعة .
- (٤٩) راجع سيرة المولى أبي اسحاق إبراهيم بن سليمان في تواريخ المغرب مثل «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» ج ٨ ص ١٢٠/١٢٥ . للناصري ، «والاعلام بمن حل مراكز وأغيات من الاعلام» ج ١٠ ص ٦٨/٧٣ .
- (٥٠) راجع في مثل هذه الوثائق : رسالة محمد علي يعتذر للأتراك فيها عن القيام بحرب ابن سعود ص ٣٥٣/٣٥٥ . ورسالة يوسف كنج الخاصة بحرب آل سعود ص ٣٦٢ - ٣٧٠ ، وأمر تعيين يوسف ضبا باشا قائداً عاماً للعساكر بالحجاز ص ٣٧١/٣٧٢ ، والملحق رقم ٧ ص ٣٧٣/٣٧٤ . ورسالة إبراهيم باشا بعد حرب شقراء والتبشير بفتحها ص ٤٢٢/٤٤٤ ، وغيره كثير . انظر كتاب «الدولة السعودية» للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، في هذا ص ٣٤٩/٤٤٠ .
- (٥١) واحد من أهل الرياض ناولاً دعوة الشيخ ونحاصمها ، وصار يكتب في الأفاق يخلتق على الشيخ ما لم يقله .
- (٥٢) راجع هذه الرسالة كاملة في ج ٥ من مؤلفات الشيخ قسم الرسائل الشخصية ص ٨/١٣ وفيها وأمثلةا رد على المتقولين في كل عصر . ومثل هذا الرسالة المنسوبة لأخي الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرد على الشيخ محمد وهي من وضع خصومه ووضعوا اسم سليمان عليها كذبا .

رسالتا : ابن مجثل والحفظي في حال أحمد بن إدريس المغربي

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فإن حال الفكر والأدب بتهامة وعسير في القرون الأخيرة الماضية يستحق الدراسة والبحث في صورة علمية دقيقة ، فلقد مرَّ على هذه الأنحاء من جزيرة العرب حين أضاع الناس من خلاله معظم تراثهم ، وأهملوا في جانبه مجال جمعه ، والمحافظة عليه ، مما جعل البحث في سبيله شاقاً غير يسير . وذلك لما أصاب هذه الأجزاء من أسباب : الفرقة السياسية ، والاختلافات المذهبية ، والظروف البيئية^(١) ونحوها ، ولعل ما يمكن نهجه في هذا الميدان محاولة جمعه ، وتحقيقه ، إذ لا يخلو هذا الاتجاه من الفائدة العلمية ، والقيمة التاريخية ، فالواقع أن هذه المنطقة تضم عدداً غير يسير من الأسر العلمية ذات الميراث الفكري ، والمكتبات الخاصة ، ناهيك عن وضوح اليقظة العلمية في مظاهر : التعليم ، والتأليف ، والهجرات في سبيل العلم ، فلقد اتسمت مراكز الفكر في تهامة ، وعسير بشيء من ملامح اليقظة الفكرية والأدبية الحادة .

وإذا أدرك هذا الحال تبين للباحث في هذا الميدان أهمية تحقيق ما يمكن جمعه من ذلك التراث ، إذ يتم من خلاله التعرف على الواقع الفكري والأدبي ، فضلاً عن معرفة ظروف العصر ، وما يحيط به من أوضاع مختلفة ، وذلك ما سيساعد على إيضاح معالم تلك الفترة وملاحمها ، فالحق أن المضامين المعنوية التي اشتملت عليها رسالتا ابن مجثل ، والحفظي لتزيد في إيضاح حال العصر ، وبخاصة الواقع المذهبي ، وما أصاب الحياة الدينية عبر هذه الفترة من مظاهر الغلو والتطرف ، فلقد سعى أحمد بن إدريس حينذاك إلى العمل على غرس بذور الصوفية في صبا بعيداً عن مزاحمة أقطاب التصوف في تهامة اليمن وفي غيرها ، فالواضح أنه أمضى أكثر من تسعة أشهر في تهامة بُعِدَ رحلته من مكة المكرمة عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م ، إذ أنه فيما يبدو كان يخطط لمقام يليق بآماله ، ومنزله الصوفية ،

وطوقسه الدينية ، ولقد كانت صبيا عندئذ مراماً مناسباً لتلك الآمال ، إذ استقر رأيه على أن يهوى إليها بمن معه من الاتباع والمريدين ، فالفرصة مهيأة ، والحياة الفكرية محدودة . لا تخلو من مظاهر التقليد والضعف ، ولقد فات ابن إدريس أن تهامة ، وعسير عندئذ تحيا حياة سلفية غير عادية ، وبخاصة عسير التي تأثرت إلى حد كبير بمبادئ الدعوة السلفية الإصلاحية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتوفيق من الله تعالى ، ثم بتأييد من أمراء الدولة السعودية الأولى^(٢) ، فالحق أن هذا الاتجاه قد أفلق ابن إدريس في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري ، وبدد كثيراً من آماله وأحلامه الصوفية ، ولكنه لم يقض تماماً على ذلك الاتجاه ، وإنما ظل حياً في قلوب العامة حتى قامت دولة الأدارسة بتهامة في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري^(٣) ، حيث استغل حفيده محمد بن علي الإدريسي ذلك الموروث الديني ، وأسس دولته على أساس من التصوف وطوقسه ، ولم يقض على تلك الأسباب من بعد سوى تلك الجهود السلفية الجادة المتمثلة في قيام المملكة العربية السعودية ، وتوحيد أجزائها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في منتصف القرن الرابع عشر الهجري .

وإزاء ماتقدم كله أود الإشارة إلى أهمية تحقيق مثل هذه الرسائل ونشرها ، فلقد بات من المستحسن الاهتمام بتاريخ الأدب في هذه الجزيرة العربية ، فالحق أن ذلك التاريخ لا يزال مجهولاً على كثير من الدارسين والباحثين في تاريخ الفكر والأدب بجزيرة العرب ، وليس من المقبول إهمال مثل تلك الآثار الأدبية ، فهي في الواقع لبنات مهمة لتكوين هذا التاريخ وتأصيله ، وإني أشكر الله تعالى ، واعترف بفضلته عليّ ، إذ يسر لي أسباب البحث في هذا الميدان ، وأسأله تعالى العون والتوفيق والسداد ، ثم أشكر من أسهم في نشر هاتين الرسالتين ، وسعى في تيسير سبل الحصول عليهما ، وأخص بالذكر الشيخ الحسن بن علي الحفظي^(٤) رحمه الله تعالى ، أذ هو أحق أولئك بالشكر ، والدعوة الصالحة فلقد مكنتني رحمه الله من تصويرهما ، ومات قبل نشرهما ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وجمعني وإياه في دار كرامته ، إنه السميع العليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

في تراجم ابن مجتل ، والحفظي ، وابن إدريس :

أولاً - علي بن مجتل المغيدي :

نسبه ومولده : هو علي بن مجتل بن مسفر بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله بن علي بن عبدالعزيز بن سعيد بن وضاح بن عايض بن أحمد بن سالم بن عبدالله^(٥) . يعود نسبه في قبيلة بني مُغَيْد^(٦) ، إحدى قبائل عسير المشهورة ، لم تتحدث المصادر التي بين أيدينا الآن بشيء عن تاريخ مولده ، وإنما تشير بعض تلك المصادر إلى أنه ممن أدرك أمراء الدولة السعودية الأولى ، ومن تشبع بمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فقد قال عبدالله بن علي بن حميد^(٧) : (وكان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر آل سعود بالبلاد . وكان متشبعاً بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب^(٨)) وهذا يدل على أن ولادته كانت في أواخر القرن الثاني عشر الهجري شأن مُعاصِرِيهِ : الحفظي ، وابن إدريس .

إمارته : حكم ابن مجتل عسير ، حوالي سبع سنين وثمانية أشهر^(٩) ، ابدأت من ٢٢ صفر ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م حتى ١٢ شوال ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ، إذ تقلد زمام الحكم عقب وفاة ابن عمه^(١٢) سعيد بن مُسَلط^(١٣) ، فقد قيل : (تولى علي بن مجتل الإمارة بعد وفاة سعيد بن مسلط ، وقد بايعه رؤساء ووجهاء القبائل)^(١٤) ، ومن الواضح أن لابن مجتل - قبيل توليه إمارة عسير - دوراً غير يسير في الحكم ، إذ اعتاد مكاتبة مشايخ القبائل ومراسلتهم . وكان يُسَهِّمُ في إدارة حكم البلاد ، ويؤكد هذا القول ما ذكره أحد الباحثين المعاصرين ، حين قال بأن : (جميع الوثائق والمصادر تجمع على أن قائدي الثورة في عسير منذ ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م إلى عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م هما : سعيد بن مُسَلط ، وعلي بن مجتل^(١٥)) ، إلى جانب : (أن القيادة في عسير كانت خلال هذه الفترة شبه قيادة جماعية ، بدليل أن تلك الرسالة المرسله - على سبيل المثال - إلى محمد بن عون موقَّعة من سعيد بن مسلط ، وعلي بن مجتل)^(١٦) ، ولقد اتسعت إمارة عسير في عهد ابن مجتل فشملت : (ما بين المَحَا وزَيْد جنوباً حتى تخوم بلاد غامد وزهران شمالاً)^(١٧) ، إذ اتسم حكم ابن مجتل لإمارة عسير بالهدوء والاستقرار ،

واتصف ببناء إمارته بالحكمة ، والدهاء ، بالرغم من ظهور بعض القلاقل والفتن ، من أمثال حركة تركي بلماز بتهامة اليمن^(١٨) .

سيرته وملامح حكمه : اتصف ابن مجثل بالورع ، والتقوى ، والشجاعة ، والثبات في الحروب ، فلقد قيل بأنه : (أهل دين وتقوى ورجل شجاعة وحرب ، سار بالناس سيرة حسنة)^(١٩) ، كما وصف بأنه : (شديد التمسك بالدعوة السلفية)^(٢٠) . وكان : (على دراية علمية مناسبة)^(٢١) ، إذ قيل بأنه : (كان يجيب على أسئلة مواطنيه الدينية) ، ويعتاد صحبة العلماء ، والعمل على تقديرهم ، إذ كان محباً لهم : (كثير الاجتماع بهم)^(٢٢) ، حيث اتسم عهده بوضوح العقيدة ، وسلامتها من لوث البدع ، والمعتقدات الباطلة ، ولقد سعى في هدم القبور المرتفعة والقباب المشيدة^(٢٣) . وكان كثير الحرص على استلهم مشاعر جنده عند الخروج بهم في سبيل الجهاد ، وبخاصة في ميدان القتال عن طريق الخطابة والتوجيه الديني^(٢٤) . وليس أدل على مواقفه السلفية الجادة من قوله ، وقد عقد مناظرة بين ابن إدريس الصوفي وفقهاء عسير^(٢٥) عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م : (إنا لم نزل قائمين في تجديد التوحيد وهدم الشرك)^(٢٦) ، وله مآثر عديدة ، وإصلاحات مفيدة ، أهمها : تشجيع التعليم . ورعايته^(٢٧) ، واحترام وفادة العلماء إلى إمارته^(٢٨) ، وقبول نصحتهم ، وحظهم على التأليف ، والتدوين^(٢٩) . وكان كثير الحرص على تشييد الحصون^(٣٠) ، وحفر الآبار^(٣١) ، ناهيك عن اهتمامه بتأسيس المساجد وعمارتها .

وفاته : تكاد معظم المصادر المحلية المخطوطة والمطبوعة تجمع على تحديد تاريخ وفاة هذا الأمير ، إذ ذهبت جميعها على أن وفاته كانت في ١٢ شوال ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م ، على أثر مرض ألمَّ به وهو في تهامة اليمن ، فقد قيل إنه : (في أوائل شهر رمضان) عام ١٢٤٩هـ) عاد إلى بلاده بعد أن علقت به علة الموت ، وحمل على أعناق الرجال فوافي عاصمته السَّقا في النصف من شهر رمضان ، وبقي متأثراً حتى اليوم الثاني عشر من شهر شوال عام ١٢٤٩هـ حيث وافته منيته)^(٣٢) ، ولم يشذ من المصادر إلا كتاب « الأعلام » للزركلي الذي حدد

تاريخ وفاته بعام ١٢٤٦ هـ / (٣٣) ١٨٣٠ م ، وهذا القول مردود لما تحقق من وضوح
في اجماع المؤرخين في كتبهم السابقة .

ثانياً - إبراهيم بن أحمد الحفظي :

نسبه ومولده : هو إبراهيم الزمزمي^(٣٤) بن أحمد الحفظي^(٣٥) بن عبد القادر
بكري بن محمد^(٣٦) بن مهدي بن موسى بن جفثم^(٣٧) بن عجيل بن عيسى بن
حسن بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن علي بن يوسف بن
إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر عَجِيل^(٣٨) . يعود نسبه :
(في الزرانيق . . من بيت الأكيد أحد بيوت عَكْ بن عدنان القبيلة المعروفة
بتهامه)^(٣٩) اليمن ، ولد في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع
وتسعين ومئة وألف من الهجرة^(٤٠) في قرية رُجَال^(٤١) برجال ألمع بتهامه .

تعليمه الأولي وهجرته في سبيل العلم : تلقى تعليمه الأولي على يد والده أحمد
بن عبد القادر الحفظي^(٤٢) ، وأخذ عن أخيه محمد بن أحمد الحفظي^(٤٣) ، ثم
هاجر في سبيل العلم إلى المخلاف السلياني^(٤٤) ، إذ أخذ عن الشيخ أحمد بن
عبدالله الضمدي^(٤٥) بأبي عريش^(٤٦) . وارتحل من بعد ذلك إلى تهامة اليمن ،
حيث طلب العلم على يد بعض علمائها ، وبخاصة علماء آل الأهدل ، وقد لبث
في تلك الهجرة العلمية سبع سنين^(٤٧) قضاها في الدرس ، والتحصيل .

عودته إلى وطنه : عاد إبراهيم الحفظي إلى وطنه ، بعد رحلة علمية مديدة
قضاها في سبيل العلم ، مقتفياً نهج أسلافه البكرين الذين اعتادوا مثل هذا
التقليد العلمي^(٤٨) ، حيث استقر في بلدته رُجَال بتهامه ، وأسس مع أخيه محمد
الحفظي مدرسة علمية أولية^(٤٩) ، وبالإضافة إلى اشتغاله بالتعليم ، اشتغل
بالتأليف ، والتدوين ، ومال إلى العزلة والخمول ، وفضل العبادة والانصراف إلى
النفس ، فلم يعرف عنه أنه وُطِيَّ بساط أمير قط ، كما وصف بالتقوى ،
والصلاح ، وحب الطاعة ، فلقد اشتهر ذكره ، وعلا صيته^(٥٠) . وكانت له
علاقات وطيدة مع علماء عصره في تهامة ، واليمن^(٥١) وغيرها . وقد تخرَّج على
يده جملة من طلبة العلم والدارسين^(٥٢) .

مؤلفاته : يعد نتاج إبراهيم الحفطي قليلاً إذا قيس بمكانته العلمية ، ومنزلته الفكرية بين علماء جنوبي الجزيرة العربية ، ومع ذلك فغالب نتاجه الفكري يكاد ينحصر في ميدان النحو وعلومه ، فلقد ذكر محمد بن إبراهيم الحفطي أن له من المؤلفات : « عبق الجلاب شرح ذوق الطلاب »^(٥٣) ، و « قيد الشوارد في المسائل النحوية »^(٥٤) ، بالإضافة إلى شيء من الرسائل المختلفة ، والرسائل المهمة^(٥٥) ، ولقد أفاض الحسن بن أحمد عاكش في ذكر مؤلفات الحفطي في معرض حديثه عنه ، إذ قال : (وله مؤلفات في النحو مطولة ومختصرة منها : شرحه على مقدمة أخيه الشيخ العلامة محمد بن أحمد الحفطي في النحو ، طالعته فبهرنى ما رأيت من التحقيق ، وما (حوت) من رائق العبارة بالتدقيق (قيد شوارد من المسائل النحوية ، وأوضح مشكلات في الغريب ، وله رسائل جمّة في علوم مهمة ، وله في الأدب يد طائلة رأيت له أراجيز ، وقصائد مطولات إخوانيات وغير ذلك)^(٥٦) .

وفاته : توفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وخمسين ومئتين وألف للهجرة^(٥٧) ، عن عمر يناهز تسعة وخمسين عاماً^(٥٨) ، قال عنه عاكش : (ولم يخلق في جميع ماحواه من أهل جهته مثله)^(٥٩) .

ثالثاً - أحمد بن إدريس :

نسبه ومولده : هو أحمد بن محمد بن علي بن إدريس الحسيني المغربي^(٦٠) ، ولد عام ثلاثة وسبعين وألف للهجرة^(٦١) ببلدة عرايش^(٦٢) ، من أعمال مدينة فاس ببلاد المغرب .

تعليمه وتصوفه : تلقى تعليمه ببلاد المغرب على يد نفر من علماء الصوفية المشهورين بالمغرب ، من أمثال : الجندري ، وعبد الوهاب التازي^(٦٣) وغيرهما ، وقد عُرف بطريقته الصوفية المعروفة ، إذ سميت بالأحمدية ، وقيل المحمدية^(٦٤) ، حيث اتسع انتشارها بتهامة ، وبخاصة في صيبا بالمخلاف السليماني .

وفادته إلى صيبا واستقراره فيها : خرج ابن إدريس من بلاده سنة

١٢١٣هـ/١٧٩٨م ، حيث وصل مصر ، ثم رحل منها إلى مكة المكرمة ، فلبث فيها : (نحواً من ثلاثين سنة)^(٦٥) ، قضاها في الدرس والتدريس ، والتنقل في بعض بلدان الجزيرة العربية وفي غيرها . ولقد أزمع ابن إدريس الخروج إلى تهامة اليمن سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م حينما توافر له من أسباب التصوف ، والآمال الدينية ما دفعه إلى ذلك . وفي تهامة اليمن أمضى أكثر من تسعة أشهر قضاها في التنقل بين مراكزها الفكرية الشهيرة ، مثل : (زبيد ، والمخا ، وموزع)^(٦٦) . ولما تحققت لابن إدريس وفرة الصوفيين ، وكثرة طرقهم بتلك البلدان ، قرر الرحيل إلى صبيا بالمخلاف السلياني ، حيث وصلها في شهر رمضان سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م ، إذ قضى فيها بقية عمره . وكان حينذاك يتولى التدريس ، ويجري على سنن المتصوفة ، مما هياً له ، ولَبَّيْهِ من بعده مكانة روحية معروفة . وقد نجم عن ذلك فيما بعد نُشوء دولة الأدارسة في تهامة على يد محمد بن علي الإدريسي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري^(٦٩) .

مؤلفاته : ألف ابن إدريس عدداً مناسباً من المصنفات المعهودة ذات الصبغة الصوفية الواضحة ، ومن أهمها : « العقد النفيس » ، و« النفس الياني » ، ورسالة « القواعد » ، والمحامد الثمانية^(٧٠) بالإضافة إلى حصونه المعروفة^(٧١) ، ومناظرته مع فقهاء عسير^(٧٢) .

وفاته : توفي ابن إدريس بصبيا في ليلة السبت الحادية والعشرين من شهر رجب عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م .

الرسالتان : قيمتهما ، توثيقهما ، وصفهما :

أولاً - قيمتهما : يتحقق للباحث في تاريخ الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية أهمية مثل هذه الوثائق الخطية ، وما يتعلق بتراث، هذه المنطقة من آثار مخطوطة متفرقة ، فالحق أن ذالك التراث لا يخلو من الفائدة العلمية ، والقيمة المعنوية ، ولعل هاتين الرسالتين مما يمكن عده من تلك الآثار التاريخية الأدبية المهمة ، إذ تعكسان صورة حقيقة للواقع الفكري والأدبي بهذه الأنحاء خلال العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري ، ناهيك عما تبين فيهما من وضوح

الملامح السياسية والمذهبية لتلك الفترة .

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى قيمة المضامين الفكرية في هاتين الرسالتين ، إذ هما مشتملتان على أخبار واقع مذهبي جديد ، يمثل الاتجاه السلفي الجاد لدى ابن مجثل ، والحفظي ، وما طرأ على تهامة عندئذ من مظاهر التصوف وطقوسه ، فالواقع أن تلك المعالم الفكرية لم تكن لتتحقق لولا هاتان الرسالتان . وذلك بالرغم من عدم استيعابها لحقيقة التصوف وواقعه . ويزيد في قيمتهما أيضاً المنزلة الأدبية التي تحققت فيهما ، ومدى دلالتها على مستوى الكتابة الفنية عندئذ لأمرأة عسير ومواطنيهم العلماء ، فضلاً عن أهمية التعرف على أساليب التعبير ، وطريقة الكتابة في هذه الفترة بالرغم من توسط مستواهما الأدبي ، ووضوح المسحة العامة في لغتهما ، والحق أن وجود مثل هذه الآثار الأدبية يدفع ماقيل عن واقع الأدب حينذاك من مزاعم تاريخية ، وأحكام نقدية عامة ، إذ وُصِفَ هذا العهد حينذاك بشيء من ضحالة الفكر ، وضعف الأدب .

ومن الواضح أن هاتين الرسالتين تعبران عن حرية فكرية معتدلة ، وأنها قد أسفرتا فيما بعد عن عقد مناظرة فكرية جادة اشترك فيها أحمد بن إدريس نفسه ، ونفر من علماء عسير في حضرة الأمير علي بن مجثل المقيدي إبان إقامته في صبياء عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م ، كما أن هاتين الرسالتين قد كشفتنا عن المزاعم القائلة بأن الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفظي أرشد ابن مجثل حينما استشاره في حال ابن إدريس إلى طي بساط النسيان على مادونه أحد فقهاء عسير من مأخذ على ابن إدريس إبان إقامته في صبياء لطلب العلم ، إذ قيل في تلك المناظرة : (ولما سطر الفقيه عبدالله بن سرور هذه المسائل في رسالة بعث بها إلى الأمير علي بن مجثل فتولى إرسالها أولاً إلى الشيخ العلامة إبراهيم بن أحمد الزمزمي صاحب رجال المع ، وهو من العلماء الراسخين ، وبعد الاطلاع عليها أرشد الأمير إلى طي بساط مافي هذه الرسالة ، وإعدامها بالتمزيق ، وأن لا يصغى الأمير إلى شيء من تلك المقالة ، ويزجر مؤلف الرسالة عن التعرض لما لا يبلغ إليه فهمه . .) (٧٤) ، وتبين في رسالة الحفظي أنه لم يصدر عنه مثل هذا الموقف ، بل استجاب لأمر ابن مجثل ، مما يدفع القول السابق ويدحضه .

ومما يزيد في قيمة هاتين الرسالتين كونهما قد صدرتا عن روح سلفية ظاهرة ، وأوضحنا أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في فكر هذه المنطقة وأدبها^(٧٥) ، إذ ليس هناك في العهد من قدم ، فلقد اتضح أثر تلك الدعوة بهذه الأنحاء في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، فالحق أن تلك الدعوة قد تغلغلت بمبادئها في قلوب الأهلين والعلماء والأمراء . ويدل على ذلك أقوال ابن مجثل والحفظي وموقفهما من ابن إدريس ، وما ورد في رسالتيهما من الآيات الكريمة ، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ^(٧٦) . كذلك يمكن القول في هذا المقام بأن قيمة هاتين الرسالتين قد تتحقق في ذكرهما لعدد من العلماء والأعيان بهذه المنطقة ، إذ لم يكن يتبين هذا الحال لولاها ، وبخاصة علماء أسرة آل بكري برجال ألمع ، ومنهم الشيخ إبراهيم الحفظي الذي كان مؤهلاً لمكاتبة ابن مجثل وابن إدريس ومشاورتهما ، كما أن هاتين الرسالتين تفيدان الباحث عما كان جارياً في تلك الفترة من تلاحم العلماء مع أمرائهم ، واحترامهم لهم ، إذ قال الحفظي في رسالته : (وصل إلى الحقير كتاب من الأمير الكبير أمدّه الله بالتوفيق . وكان له على الحق خير معين)^(٧٧) كذلك يمكن القول بأن الحفظي حينذاك يعد من أكابر علماء عسير ، وأجدرهم بثقة ابن مجثل ، ناهيك عما اتصفت به رسالة الحفظي من لين صاحبها ، وحسن إجابته^(٧٨) ، إذ هو حرّياً بمثل هذا الموقف ، وبخاصة مع ابن إدريس ، حيث قال في وصف كتاب ابن مجثل : (وذكر فيه ما معناه . .)^(٧٩) ولم يشأ الحفظي الجزم بالحقيقة ، ولا غرّو في هذا فأثار الصوفية معهودة من قبل لدى علماء آل بكري برجال ألمع في أواخر القرن الثالث عشر الهجري^(٨٠) .

ومهما يكن الأمر فإن هاتين الرسالتين قد اشتملتا على أخبار تاريخية مهمة قد تزيد في قيمتهما المعنوية ، إذ أشارتا إلى أن صبيا كانت تابعة لإمارة عسير ، وأن محمد بن الحسن الحازمي كان من عمال ابن مجثل في تهامة ، فضلاً عما اشتملت عليه الرسالتان من أخبار تاريخية متفرقة ، ولذلك يمكن القول بأنها مُهِمَّتَانِ ، ومشتملتان على أخبار تاريخية قيمة ، ناهيك عن منزلتهما الأدبية والفكرية ، وربما بقي في ذهن الباحث أمر مهم يحتاج للبحث والتحقيق ، ألا وهو مصير تينك الرسالتين ، أهما أرسلتا بالفعل ؟ وهل أجاب عليهما ابن إدريس ؟ أم اكتفى ابن

مجلد بمضمونها وبعثه لابن إدريس^(٨١) ، وكذلك يسعى الباحث في تراث هذه المنطقة إلى معرفة فائدة هاتين الرسالتين أهما دفعتا بالفعل تلك الظواهر الصوفية أم لا ؟

ثانيهما - توثيقهما : يليق بتحقيق النصوص ونشرها النظر في أصولها ، والتثبت من حقيقتها . وذلك عن طريق دراستها ، والتعرف على منزلتها العلمية ، وبخاصة قيمتها التراثية ، وحقيقتها الفكرية ، وما يتعلق بتكوينها المادي من : ورق ، ومداد ، ورسم ، ونحو ذلك ، إلى جانب معرفة العصر الذي كتب فيه ، والظروف المحيطة به ، فضلاً عن مقوماتها الأخرى من : توقيع ، وتاريخ ، وديباجة ، وخاتمة ، فالحق أن التراث في عصوره الأخيرة لم يسلم من آثار التحريف ، والتزييف ونحوهما .

ولإزاء ماتقدم يمكن القول بأن هاتين الرسالتين قد صدرتا بالفعل من ابن مجتل ، ومواطنه الشيخ إبراهيم الحفطي ؛ وذلك لاتفاق مضمونها مع أحداث العصر ، وما جرى في عهد الأمير علي بن مجتل من مظاهر سياسية ودينية ، بالإضافة إلى كون الرسالة الأولى مختومة بخاتم صاحبها الأمير علي بن مجتل نفسه ، إذ يعرف خاتمه بشعاره المعهود : (الله الملك وعلي عبده)^(٨٢) ، كما أن رسم هذه الرسالة يشبه رسائل هذا الأمير المعروفة ، ومن المؤكد أن الفقيه علي بن يحيى^(٨٣) هو الذي حرر هذه الرسالة على لسان أميره ، نظراً لتشابه الرسم في هذه الرسالة ، وبين رسم رسائله الأخرى التي حررها في عهد هذا الأمير ، إلى جانب أن مضمونها يُنم عن رؤية سلفية جادة تمثل الاتجاه السلفي الجادّ لأمراء عسير في هذه الفترة .

أما الرسالة الثانية فيزيد في حقيقة نسبتها للحفطي كونها مرسومة بقلمه ، بالإضافة إلى أنها قد حررت في ظهر الورقة نفسها الرسالة المرسلة من علي بن مجتل^(٨٤) ، كما أن منهج الحفطي في رسائله المعهودة يشبه نهجه في هذه الرسالة ، مما يزيد في تأكيد نسبتها إليه ، كذلك يزيد في توثيق هذه الرسالة للحفطي كونه ذكر نقرأ من الأعلام المشهورين المعاصرين لهذه الأحداث ، سواء كانوا في تهامة

أم في عسير ، ويمكن القول أن الإشارة إلى هاتين الرسالتين في مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير تزيد في توثيقهما ونسبتهما لصاحبيهما ، كما أنه يمكن تحديد زمن تحريرهما بسنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م تاريخ وصول ابن إدريس إلى صبيا ، إذ قيل في رسالة ابن مجتل : (وغير خاف عليك نزول أحمد بن إدريس بصيباً)^(٨٥) ، فضلاً عن كون الخاتم الذي وقع به ابن مجتل رسالته كان مؤرخاً بسنة ١٢٤٥هـ نفسها ، إذ ربما اعتاد الأمراء في هذه الفترة تجديد خواتيمهم كل سنة .

ثالثاً - وصفهما : لقد اعتمدت في تحقيق هاتين الرسالتين على نسختيهما الخطيتين الأصليتين اللتين يوجد أصلهما في مكتبة الحسن بن علي الحفطي رحمه الله تعالى فلقد تم تصويرهما في حياته قبيل وفاته بشهر واحد تقريباً ، وهذا يدل على أن تحقيقهما قد تم على أصلهما الحقيقي الممثل في ورقة خطية واحدة ، وتختلف الرسالتان في كيفية رسم الحروف ، وطريقة الكتابة ، ولكنها مكتوبتان بخط نسخي معتاد ، وغير خاليتين من الهنات اللغوية والإملائية ، شأنها في ذلك مثل شأن غيرهما من الرسائل المحررة في هذه الفترة الأخيرة من تاريخ الأدب العربي . وتقع هاتان الرسالتان في ورقة واحدة ، إذ تشتمل الصفحة الأولى على رسالة الأمير علي بن مجتل ، على حين تشتمل الصفحة الثانية على رسالة الشيخ إبراهيم الحفطي ، إذ يتبين أن ابن مجتل قد أراد أن تكون اجابة الحفطي مرسلة عن طريقه ، وربما تعود كتابة الحفطي في ظهر رسالة ابن مجتل إلى رغبته في دفع الحرج عن نفسه ، وإشعار ابن إدريس أنه مكلف بالكتابة إليه .

وتقع رسالة الأمير علي بن مجتل في ستة وثلاثين سطراً في كل سطر نحو عشر كلمات تقريباً ، عدا بعض سطورها فقد تزيد عن ذلك أو تنقص . وكانت تامة في كلماتها غير ناقصة فيها ، كما أنها تشتمل على حاشية محدودة في طرفها الأيمن . وكانت مختومة بخاتم مرسلها ، وربما كان تحريرها بقلم الفقيه علي بن يحيى كاتب الأمير علي بن مجتل . أما رسالة الحفطي فتقع في تسعة وعشرين سطراً في كل سطر نحو خمس عشرة كلمة تقريباً ، قد تزيد ، وقد تنقص ، وهي تامة في مضمونها ،

عن أبي جعفر إلى الأخ في الله والمحبة في العلم أبا عبد الله محمد بن أحمد
 سلام الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعد صلاة الصلوة والسلام
 على رسول الله وآله وصحبه وأولياء الله فان بعد ورعها لا داء
 الحميم واستعداد الادعية سيما بحسن الختام والنيات على
 الاسلام وغير خاف عليك نزل السيد احمد بن ادريس
 بصيا وهو كما قد علمت ولا بد من حادثة بعض اصحابه
 المصنفين والغريبين يسمونهم القراء ولكننا فقرأ الله خاضع
 لا للمساخ وامننا الشريف محمد حسن يزيل كل يدعي بصيا منها
 المنار والعبء المناس على الختان وغير ذلك وايضا ما يحسن
 القراء من اللعب والرقص والصفى وارا ان ايات الله وذكره
 لا يتخذ حزا ولعبا ويقصد بها العبادة ويخفى عن ذلك
 ما شرعه الله لشره وعلما به وعلوم الناس وقيل انه العقول
 السليمة والقطر المستقيمة على قبولهم مع سهولته وسمو حتم
 وقد علمت ما ورد في التشديد والتفطع والغلو في الدين

هذا ما ورد في التشديد والتفطع والغلو في الدين
 عن ابي جعفر الى اخيه في الله والمحبة في العلم
 السلام عليه وسلم في يوم الجمعة بعد صلاة الصلوة والسلام
 على رسول الله وآله وصحبه وأولياء الله فان بعد ورعها لا داء
 الحميم واستعداد الادعية سيما بحسن الختام والنيات على
 الاسلام وغير خاف عليك نزل السيد احمد بن ادريس
 بصيا وهو كما قد علمت ولا بد من حادثة بعض اصحابه
 المصنفين والغريبين يسمونهم القراء ولكننا فقرأ الله خاضع
 لا للمساخ وامننا الشريف محمد حسن يزيل كل يدعي بصيا منها
 المنار والعبء المناس على الختان وغير ذلك وايضا ما يحسن
 القراء من اللعب والرقص والصفى وارا ان ايات الله وذكره
 لا يتخذ حزا ولعبا ويقصد بها العبادة ويخفى عن ذلك
 ما شرعه الله لشره وعلما به وعلوم الناس وقيل انه العقول
 السليمة والقطر المستقيمة على قبولهم مع سهولته وسمو حتم
 وقد علمت ما ورد في التشديد والتفطع والغلو في الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابراهيم بن احمد الحفطي غفر الله لهما اذ دلى الله بلاد فاع علامة العصر بالاجماع
المشرك احمد بن ابي اسحق الحسني حفظه الله ومد في غزوة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله ونحوه وصلاؤه وسلامه على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه اهل
والجدة فبعد رث السلام والسؤال عن شيخ الاسلام واستيلاء دعائه سيما حسن الختام
والسؤال عنكم بالخير واليهاكم ميدون والكمال يقبل الكمال فغفر الله عنكم جميعا
اثواب النعم وصل الى المختار كتاب من الامير الكبير امين الله بالتوفيق وكان له على الحق خير معين
ونهير وذكر فيه ثمانية انه سمع من بعض المنتسبين اليكم انهم احدثوا للعبادة والقرآن
والفقر والصنف ذريع الصيث انكم حتى انه يسعه اهل مدينة صيدا في سنة ١٠٠٠ هـ
واكتب الامير ان اكتب اليكم ما حصل ولا يخفى شريف علمكم ان الله تعالى يذكركم الدين ورسوله
صلى الله عليه واله وسلم وانزل عليه الكتاب هداً وكره للمؤمنين قال الله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وقال تعالى وانزلنا عليك الكتاب تبياناً
لما في الصدور وهذا ويشري للمسلمين وقال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشتا
لما في الصدور وهذا وكره للمؤمنين وقال تعالى فاما يا ايها النبي فهدى لمن يشاء الله
بفضل ولا ينبغي ومن اعرض عن ذكرى فان له محبة من الله ما لا يملك بالدين عباس رضي الله عنهما لئلا
الله عز وجل القدر وشجع فانه ان الفضل في الدنيا ولا ينبغي في الاخرة وقال صلى الله عليه

وسلم خير من العلم ورجاء ولكل من علمه تعالى في كل شيء من العلم والدين والعبادة
كتاب وحيات في المطارب من الشيخ ابي جعفر ذي النورين عن هذه الدواع
فامرهم بالنكاح الفصح وانهم محمد بن منزهون عن كل رذيلة وحالاً المتحققين بطريقكم ان
ينقلوا خلافاً حالكم الجلالة وانما الكلام فيمن لم يبق فرائض شريككم ولا شتم رواج
وحيات روضة مطلبكم ونشأوا حملوا الخبير على السلامة ولكم الفضل والكرامة ففتح الله
بعلومكم المسلمين هذا وتفضلوا باطلاع السلام الاخوان الاعلام الاخ العلمانية
محمد بن عبد الله الطيب وعبد الله بن محمد وكافة الاخوان والاولاد من العايزين وعبد الله
واحمد بن محمد بن وكافة الاولاد صلوة عليكم ويستندون دعاكم وادبكم وعلقت بكم
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

[خاتمة رسالة الحفطي]

وغير مختومة بخاتم صاحبها ، ولا مؤرخة بتاريخ معلوم ، ولكنها بخط الحفظي نفسه ، نظراً لتشابه هذه الرسالة بخط الحفظي في مؤلفاته ، ورسائله الأخرى .

ولقد اتسمت الرسالة الثانية بوجود بعض علامات للترقيم فيها ، إذ اعتاد كاتبها تقسيم بعض عباراته بضوابط ظاهرة أهمها أن يرسم دائرة عقب كل عبارة ، ثم يضع نقطة في وسطها ، وهذا النهج معهود عند أسلاف هذه الأمة ، وواضح في مؤلفاتهم المخطوطة ورسائلهم^(٨٦) ، ومما يتبين في هاتين الرسالتين أنهما متشابهتان في ديباجتيهما وخاتمتيهما^(٨٧) ومشملتان على آثار غطش وتجبير^(٨٨) ، كما أنهما مُتَّسِمَتان بميل كاتبيهما إلى تسهيل الهمز ، وإهمال الحروف أحياناً دون اعجامها ، كما أن كاتبيهما كانا أحياناً لا يفرقان بين رسم : حرفي الألف المقصورة والممدودة ، مما أوقعهما في كثير من الخلط بينهما^(٨٩) . وكان الحفظي أحياناً يورد معنى الحديث لا لفظه المتواتر ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل العلمي المتواضع سبيلاً للتعريف بتراث هذه الأجزاء المنسية من جزيرة العرب ، وأن لا يحرمني أجره يوم ألقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والله المستعان ، وهو السميع العليم (انظر ص ٧٦ و ٧٧) .

أولاً - رسالة الأمير علي بن مجتل المُنْفِيدي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن مجتل إلى الأخ في الله ، والمحبوب فيه العلامة إبراهيم بن أحمد الحفظي .. سلمه الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

حمداً لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، وصحبه أولياء الله ، فإن صدورها لأداء التحية ، واستمداد الأدعية سبيلاً بحسن الختام ، والثبات على الإسلام .

وغير خاف عليك نزول السيد أحمد بن إدريس (٩١) بصيبا (٩١) ، وهو كما قد علمت (٩٢) ! ولابد من حادث من بعض أصحابه : المصريين (٩٣) ، والغربيين (٩٤) ، يسمونهم الفقراء ، وكلنا فقراء لله خاصة ، لا للمشايخ (٩٥) ، وأمرنا الشريف : محمد بن حسن (٩٦) يُزيل كُلَّ بدعة بصيبا (٩٧) ، ومنها : المزمار (٩٨) ، ولعب (٩٩) النساء على الختان (١٠٠) ، وغير ذلك ، وأيضاً ما يحدثه الفقراء من : اللعب ، والرقص ، والصفق (١٠١) . وأرى (١٠٢) أن آيات الله ، وذكره لا تتخذ هزواً ولعباً (١٠٣) ، ويقصد بها العبادة (١٠٤) ، ويغني عن ذلك ما شرعه الله لرسله ، وعملوا به ، وعلموه الناس ، وَمِثْلُ (١٠٥) الله العقول السليمة ، والفطر المستقيمة عل قبوله مع سهولته وسموحته .

وقد علمت ماورد في التشدد ، والتنطع ، والغلو في الدين من الوعيد (١٠٦) . وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٧) ، وقول ابن عباس رضي الله عنه في شأن المتعة (١٠٨) ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر ، وعمر (١٠٩) إلى آخر الأثر ، وهما هما (١١٠) !

ومما أنزل الله في سموحة هذا الدين ، وعدم التشدد في العبادة على غير المشروع ، قوله تعالى : ﴿ اذْعُوا ﴾ (١١١) رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ (١١٢) لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١١٣) ، وقول النبي ﷺ : « اَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَأَنْتُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا (١١٤) فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ » (١١٥) .

وتحصيل المسألة بعدما (١١٦) ذكرنا : إن كنت ترى أن ما أحدثه المتهوكون (١١٧) من الرقص ، والصفق ، ورفع الصوت حتى أنه يسمع أهل مدينة صَبِيَّا لَجِبَةِ المغنين (١١٨) غير الذكر ، وكذلك الذكر أننا نقرهم عليه (١١٩) ، وترى هذا من دين محمد صلى الله عليه [عليه] (١٢٠) وسلم ، وأنه المنهج السَّوِيُّ ، فين لنا ، ونغفل عنهم (١٢١) ، وإن كان غير ذلك فأنت غير معذور حال تقف على خطنا ترسل إلى السيد أحمد (١٢٢) بخط فيه بيان ، ونصيحة مما استنكره أهل الإسلام على بعض أصحابه ، فإن الدين وَسَطٌ بيننا وبين من ادعاه (١٢٣) ، ولا يظهر المتابعة فيه

إلا البيعة ، وبيئته ماكان عليه محمد ﷺ وأصحابه في زمنهم ، والبدعة ما أحدث من بعدهم^(١٢٤) ، فتراني ولزم^(١٢٥) عليك بحقي عليك^(١٢٦) أنك تكتب عليه^(١٢٧) ، وتبين له بما أهلك الله من القرآن ، والسنة ، ففيها الشفاء لكل عليل ، وعَجَّلْ لنا الجواب بيد رسولنا حتى يكون وصوله من طريقنا^(١٢٨) ، ونكتب إلى السيد^(١٢٩) جوابات^(١٣٠) منا على مضمون ما وصلنا منه^(١٣١) .

ولولا خوف انتشار هذه البدعة إلى بلدان المسلمين ماكلفنا عليك^(١٣٢) ، والناس منتظرون فينا ، وفيك لردع هذه البدعة^(١٣٣) عن الغاغة^(١٣٤) ، أو انتشارها فيهم ، هذا وسلم^(١٣٥) لنا على الأولاد^(١٣٦) : عبد الخالق^(١٣٧) ، وإسماعيل^(١٣٨) ، وأبناء^(١٣٩) الشيخ محمد^(١٤٠) ، وأحمد بن هادي^(١٤١) ، ومن لدينا : محمد بن مفرح^(١٤٢) ، والشريف أحمد^(١٤٣) بن حسين^(١٤٤) ، وعلي بن الحسن^(١٤٥) ، ومانع الباشة^(١٤٦) ، وناصر بن محمد^(١٤٧) ، والأخوين^(١٤٨) : أحمد ، ومحمد^(١٤٩) . . . يسلمون عليكم ، والسلام ختام^(١٥٠) .

ثانياً - رسالة الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفطي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من إبراهيم بن^(١٥٢) أحمد الحفطي^(١٥٣) غفر الله لهما ، إلى ولي الله بلا دفاع ، وعلامة العصر بالإجماع ، الشريف^(١٥٤) أحمد بن^(١٥٥) إدريس الحسيني^(١٥٦) . . . حفظه الله ، ومدّ في عمره .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

حمدا لله وحده ، وصلاته وسلامه على من لا نبي بعده ، وعلى آله^(١٥٧) وصحبه أهل . . .^(١٥٨) والنجدة^(١٥٩) ، فصدرت للسلام والسؤال عن شيخ الإسلام ، واستمداد دعائه سبيها بحسن الختام^(١٦٠) ، والسؤال عنكم لايزال ، والدعاء لكم مبذول ، والكامل يقبل الكمال نعم ! أسبل الله على الجميع أثواب النعم .

وصل إلى الحقير كتاب من الأمير الكبير ، أمدّه الله بالتوفيق . وكان له على الحق خير معين ونهير^(١٦١) ، وذكر فيه مامعناه أنه سمع عن بعض المنتسبين إليكم^(١٦٢) أنهم أحدثوا اللعب ، والرقص ، والصفق ، ورفع الصوت بالذكر ، حتى أنه يسمعه^(١٦٣) أهل مدينة صبيا لجبة المغنين ، وأمر ذلك الأمير أن أكتب إليكم مما^(١٦٤) حصل .

ولا يخفى شريف علمكم أن الله تعالى قد أكمل الدين ، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين ، وأنزل عليه الكتاب هُدىً وذكرى للمؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۖ ﴾^(١٦٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۖ ﴾^(١٦٦) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾^(١٦٧) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ۖ ﴾^(١٦٨) ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : تكفل الله لمن قرأ القرآن ، وتبع^(١٦٩) مافيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة^(١٧٠) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ماتركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ، ولا من شيء يقربكم من النار إلا وقد حدثتكم به^(١٧١) » ، وقال صلى الله عليه وسلم : ... « [فعليكم]^(١٧٢) بسنتي^(١٧٣) وسنة الخلفاء^(١٧٤) من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة^(١٧٥) » ، والآيات والأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وأنتم أعرف بها^(١٧٦) ، ومثل الحقير في هذا التذكير كمُسْتَبْضِعٍ غمرًا إلى أرض خيبر^(١٧٧) ، ولكل علم رجال^(١٧٨) ، ولكل مقام مقال^(١٧٩) ، فللحديث رجال يعرفون به ، وللدواوين كتاب ، وحساب^(١٨٠) .

فال مطلوب من الشيخ اليسوب^(١٨١) نهي المذكورين عن هذه البدع ، وأمرهم بالنهج المتبع ، وأنتم بحمد الله منزهون عن كل رذيلة ...^(١٨٢) المتحققين

بطريقتكم أن يفعلوا خلاف حالتكم الجميلة ، وإنما الكلام فيمن لم يذق فُرَاتَ مشربكم ، ولا شَمَّ روائح ريحان^(١٨٤) روضة مطلبكم^(١٨٥) .

وتفضلوا احملا الحقير على السلامة ، ولكم الفضل والكرامة ، نفع الله بعلومكم المسلمين^(١٨٦) ، وتفضلوا بابلاغ السلام الإخوان الأعلام : الأخ العلامة محمد^(١٨٧) ، وابن عمه الطيب^(١٨٨) ، وعبدالله بن محمد^(١٨٩) ، وكافة الإخوان ، والأولاد : زين العابدين^(١٩٠) ، وعبدالرحمن^(١٩١) ، وأحمد بن هادي^(١٩٢) ، وكافة الأولاد يسلمون عليكم ، ويستمدون دعاءكم ، والله يرعاكم ، ويمتع بحياتكم ، وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم^(١٩٣) .

حققهما وقدم لهما

د/ عبدالله بن محمد بن حسين أبوداهش
وكيل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

[الهوامش] :

[العرب]: المحقق الفاضل الدكتور أبوداهش كان دقيقاً متحريراً للصواب ، ومن ذلك حرصه على رسم كلمات الأصل التي هي من الأخطاء الإملائية ، فقام بإصلاحها ولأزدهام النص المحقق بكثرة أرقام الإحالات لم يرق قسم التحرير مايدعو إلى إثبات أخطاء الأصل لخدانة عهده .

- (١) يراد بهذا القول: الظروف الطبيعية المختلفة ، مثل الأمطار ، وماينجم عنها من سيول جارفة ، ومثل الرياح ومايسفر عنها من حريق ونحوه ، وما إلى ذلك من ظواهر البيئة الأخرى .
- (٢) أنظر كتاب : «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» للمحقق .
- (٣) أعلن ثورته على الدولة العثمانية التركية في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦هـ .
- (٤) هو الحسن بن علي بن محمد بن حسن بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفطي ، ولد بقرية رجال عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ، تلقى تعليمه على يد نفر من علماء وطنه ، تقلب في عدد من الوظائف التعليمية ، له مشاركات شعرية ، ولديه مكتبة مخطوطة ، توفي رحمه الله في ٨ رجب ١٤٠٦هـ . انظر : «النبتة السيرة في ترجمته» ، إعداد ابنه علي بن الحسن الحفطي .
- (٥) محمود شاكر ، «عسيرة» ، ١٨٢ .
- (٦) خير الدين الزركلي ، «الأعلام» ، مج ٣٢٣/٤ .
- (٧) ولد عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ، تلقى تعليمه الأولي في كُتَّاب قريته ، ثم أخذ العلم على يد نفر من علماء بلاده وغيرها ، تقلب في وظائف عديدة ، له مشاركات أدبية ، يعد من شعراء عسير البارزين ، توفي سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م . انظر أخباره في كتاب : «أديب من عسيرة» جمع محمد بن عبدالله الحميد .
- (٨) «أديب من عسيرة» ، ٣٩ .

- (٩) قال هاشم النعمي: (وتوفي بعد حكم دام سبعة أعوام ونصف)، «تاريخ عسيرة» ١٨٥.
- (١٠) عبدالله بن علي بن مسفر، «السراج المنير في سير أمراء عسيرة»، ٨١.
- (١١) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ١٨٥.
- (١٢) قال محمود شاكر، (تولى علي بن مجتل أمر عسيرة بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط، وهو أخوه لأمه عائشة أخت مرعي بن محمد) كتابه السابق ١٨٣.
- (١٣) يتتب سعيد بن مُسلط إلى عشيرة آل يزيد، وهم - كما قال عبدالله بن مسفر -: (فخذ من جماعة أهل السقا، وبطن من قبيلة بني مُفيد) «السراج المنير» ٧٩، تولى إمارة عسيرة عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م، حتى ٢٢ صفر ١٢٤٢هـ، انظر «أخبار عسيرة» لعبدالله بن مسفر، «تاريخ عسيرة» لهاشم النعمي، و«عسيرة» لمحمود شاكر.
- (١٤) عبدالله بن علي بن مسفر، «السراج المنير» ٨١.
- (١٥) علي أحمد عيسى عسيري، «عسيرة من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م»، رسالة ماجستير، ١٠٠.
- (١٦) المصدر نفسه، ١٠٤.
- (١٧) هاشم سعيد النعمي، «كتاب السابق» ١٧٦.
- (١٨) خير الدين الزركلي، كتابه السابق ٣٢٣/٤.
- (١٩) عبدالله بن علي بن مسفر، «السراج المنير» ٨٢.
- (٢٠) عبدالله بن علي بن مسفر، «أخبار عسيرة» ١٠٠.
- (٢١) عبدالله أبوداهش، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ١٩٠.
- (٢٢) المصدر نفسه، ١٥٣، انظر: «دور أمراء عسيرة في نشر الدعوة السلفية»، لعبدالله بن علي بن حيد، مجلة العرب، ح ١١، ١٢، س ٩، (جماديات ١٣٩٥هـ)، ص ٨٦٤، «تاريخ عسيرة» للنعمي ١٨٥.
- (٢٣) محمد عمر رفيع، «في ربوع عسيرة»، ٢١٨.
- (٢٤) مجهول، «حوليات يمنية»، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، ٥٥.
- (٢٥) هم: ناصر بن محمد الكبيسي الجنوبي، وعبدالله بن سرور اليامي، وعباس بن محمد الرفيدي.
- (٢٦) الحسن بن أحمد عاكش، (جامع)، «مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسيرة»، تحقيق عبدالله أبو داهش، ٢٤.
- (٢٧) عرف في عهد هذا الأمير عدد من المدارس الأولية.
- (٢٨) من أولئك العلماء - على سبيل المثال - محمد بن يحيى بن عبدالله بن حسن الحسن الحسيني الذي وفد إلى بلاد عسيرة: قرية الضليل برجال ألمع في ولاية علي بن مجتل فنال حظوة ظاهرة، قال عنه عاكش (لاحظه متولي تلك الجهة علي بن مجتل بالإجلال)، «عقود الدرر» ورقة ١٠٣.
- (٢٩) كان الأمير علي بن مجتل يشجع العلماء على التأليف، والتدوين، قال أحدهم فيه: (فإنه لما كان عام [خمس] وأربعين بعد المائتين... من ولي أمرنا أسئلة في الزكاة يسترشد عنها بل أقسم شفاها أن أمر الزكاة أكمل هدى في وقتها وقدرها، وقد أشار شيخنا متع الله به أن انقل للأمير جواباً ماعته...) ورقة مخطوطة.
- (٣٠) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ١٨٥، إذ قال: (اختط عدة حصون بعاصمتها السقا لازالت أطلالها ماثلة حتى الآن).
- (٣١) المصدر نفسه، ١٨٥، وانظر: «السراج المنير» لعبدالله بن مسفر ٨٢.

- (٣٢) هاشم سعيد النعمي ، كتابه السابق ١٨٥ . ٣٣ (٣٣) ٣٢٣/٤ .
- (٣٤) لقب عرف به إبراهيم الحفطي ، قال فيه محمد بن إبراهيم الحفطي : (اسماه [والده] إبراهيم الزمزمي بصديقه الشيخ إبراهيم بن محمد الزمزمي من بيت الرئيس أحد علماء مكة .) «نفحات من عسيرة» ١١٥ .
- (٣٥) لقب عرف به أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، قال فيه محمد بن إبراهيم الحفطي : (لقب بالحفطي لقوة حافظته) ، «نفحات من عسيرة» ٢٣ .
- (٣٦) وجد في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق القول الآتي : (الحمد لله ذكر الثقة الحافظ سيدي الوالد العلامة هادي بن بكري بن محمد رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار ، أنه روى له السيد العلامة هادي بن محمد النعمي صاحب بيت الفقيه ، قال : قال لي السيد الإمام إبراهيم بن محمد النعمي نفع الله به ثلاثة لم يكن أشهر منهم بالإحسان ، وفعل الخير وانتشار الصيت لهم في مشرق الأرض ومغربها فثانان منهم من أهل [الثروة] ، وهما الأمير عز الدين القطبي ، وأبو الغيث بن عفلق وثالثهم الشيخ بكري بن محمد ، وهو يفضلهم بالعلم والولاية والانفاق من غير ثروة نفعا الله بهم أمين) ورقة مخطوطة .
- (٣٧) مجهول ، «شجرة أسرة آل بكري» ورقة ١ ، وانظر : «نسب الفقهاء آل عجيل» لعبدالرحمن الحفطي .
- (٣٨) الحسن بن عبدالله الضمدي [عاكش] ، «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ٣ ، ٤ ، ٥ .
- (٣٩) أحمد بن محمد قاطن ، «تاريخه وأسانيده» ، ورقة ٤٩ .
- (٤٠) محمد بن إبراهيم الحفطي ، كتابه السابق ، ١١٥ ، انظر : «عقود الدرر» ، و«حداائق الزهر» لعاكش .
- (٤١) قال عنها عاكش : (رجال [بضم الزاء] البلدة المعروفة في بلاد رجال الملع) ، «قمع المتجري» ورقة ١ .
- (٤٢) ولد ببلدة رجال سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٧م ، تلقى تعليمه الأولي على يد نفر من علماء وطنه ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى زبيد ، ثم عاد إلى وطنه ، حيث ذاع صيته ، وأخذ عنه طلبة العلم ، أيد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، يعد من أديباء جنوبي الجزيرة العربية وعلمائها البارزين . توفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م . أنظر ترجمته في «نفحات من عسيرة» ٢٣ ، و«نيل الوطر» لزيارة ١/١٢٦ ، وكتابي : «عقود الدرر» ، و«حداائق الزهر» لعاكش .
- (٤٣) يعرف بابن موسى ، ولد سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م ، تلقى تعليمه على يد والده ، ثم هاجر في سبيل العلم ، إلى : القنفذة ، وصيبا ، والرجيع ، وزبيد ، وحضرموت ، ثم عاد إلى وطنه فتولى التدريس ، والقضاء ، أنظر ترجمته في : مقدمة رسالتيه المحققين «ذوق الطلاب في علم الإعراب» ، «واللجام المكين والزمام المتين» ، ومجلة «العرب» ح ٣ ، ٤ ، س ٢٢ ، (رمضان وشوال ١٤٠٧هـ) ص ١٩٠ ، و«عقود الدرر» لعاكش ، و«نفحات من عسيرة» .
- (٤٤) يراد بالمخلاف السلياني الأرض الممتدة من الشرجة في الجنوب حتى حلي ابن يعقوب في الشمال ، انظر : «تاريخ المخلاف السلياني» لمحمد بن أحمد العقيلي ٣/١ .
- (٤٥) ولد ببلدة ضمد عام ١١٧٤هـ/١٧٦٠م ، تلقى تعليمه على يد نفر من علماء وطنه ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى : زبيد ، وصنعاء ، والمدينة المنورة ، ورجال الملع ، وصعدة ، ولما عاد إلى وطنه اشتغل بالتدريس والقضاء ، له عدد من المؤلفات والرسائل المفيدة ، توفي عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م ، انظر ترجمته في «حداائق الزهر» لعاكش ، و«نيل الوطر» لزيارة ١/١٣٥ .
- (٤٦) من مراكز الفكر والأدب بالمخلاف السلياني ، ودار الإمارة ودستها ، انظر أخبارها في : «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» لمحمد بن أحمد العقيلي ٥٨ ، قال فيها العقيلي نفسه : (بفتح العين المهملة ، وكسر الزاء ، وسكون الياء المثناة التحتية ، وآخره شين ، مدينة من أشهر مدن منطقة جازان بعد ٣٢ كيلاً عن مدينة جازان) ، المصدر نفسه ، ٥٨ .

- (٤٧) محمد بن إبراهيم الحفطي ، كتابه السابق ، ١١٥ ومن العلماء الذين أخذ عنهم في هذه الرحلة : الشيخ علي بن داخش عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ، انظر القصيدة المخطوطة التي أنشأها فيه أخوه محمد الحفطي .
- (٤٨) انظر المرجع السابق ، ١٩ .
- (٤٩) المرجع السابق ، ٤٤ .
- (٥٠) انظر : «نفحات من عسير» لمحمد إبراهيم الحفطي ١١٥ ، «وحدائق الزهر» ، «و عقود الدرر» لعاكش ، «و نيل الوطر» لزبارة ٧/١ .
- (٥١) من أمثال : أحمد بن عبدالله الضمدي ، وعبدالله بن سرور الهمداني ، وغيرهما من علماء اليمن . يوجد في مكتبة الحسن بن علي الحفطي رحمه الله رسالة من الضمدي إلى الزمزمي يلتمس منه الدعاء الصالح . وقد وجد في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق القول الآتي : (وهذه الأبيات لشيخنا جامع الشتات أحمد بن عبدالله الضمدي أدام الله عليه النعيم الأبدي ، صدرها إلى شيخنا الولي إبراهيم الزمزمي بن أحمد الحفطي رحمه الله أمين ...) ورقة مخطوطة .
- (٥٢) هنالك رسالة مخطوطة من صالح بن إبراهيم إلى الزمزمي يلتمس فيها قبول ابنه ضمن الدارسين في حلفته ، يقول فيها : (واصلكم الولد محمد [بن] صالح وهو متفود منكم ، ومحبة الجلوس بين أيديكم ...) مخطوطة ، توجد لدى عبدالحالقي بن سليمان الحفطي .
- (٥٣) ذوق الطلاب لأخيه محمد بن أحمد الحفطي .
- (٥٤) «نفحات من عسير» ١١٦ .
- (٥٥) المرجع نفسه ، ١١٦ . وكان إبراهيم الحفطي يمتلك مخطوطة ضخمة ، انظر « بيان كتبه » المخطوط .
- (٥٦) «حدائق الزهر» ورقة ٥٢ . له أشعار فائقة متفرقة ، انظر مجموع : «نفحات من عسير» ١١٧ ، وله قصيدة معروفة في رثاء الشريف حمود بن محمد الحسني ، يوجد ذكرها في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق ، وله قصائد إخوانية ، مثل قصيدتيه الإخوانيتين مع يحيى بن علي زغدين ، وعبدالله بن سرور البامي ، ومن شعره قوله :
- (سلام على من أم طرس رحابه ومن حل مغناه وحاذي قبابه
سلاماً يقضو المسك منه عليهم برياه ما اشتاق الغرام صحابه
وأي من فرط اشتياقي مبلبل وإن لام رب اللوم هذا وعابه) ورقة مخطوطة
- (٥٧) الحسن بن أحمد عاكش ، «حدائق الزهر» ورقة ٥٢ .
- (٥٨) محمد بن إبراهيم الحفطي ، «كتاب السابق» ١١٦ .
- (٥٩) الحسن بن أحمد عاكش ، «عقود الدرر» ورقة ٢٦ .
- (٦٠) انظر : «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» لعبدالله بن محمد الحبيشي ، ٣٠٢ ، «و النبتة اليسيرة في ترجمة أحمد بن إدريس» لمجهول ، ورقة ١ ، «وحدائق الزهر» لعاكش ورقة ٣٢ .
- (٦١) عبدالله الحبيشي ، كتابه السابق ٣٠٢ .
- (٦٢) محمد بن أحمد العقيلي ، «تاريخ المخلاف السليماني» ٦٢٠/٢ .
- (٦٣) مجهول ، كتابه السابق ورقة ٢ .
- (٦٤) المصدر نفسه ورقة ٢ .
- (٦٥) المصدر نفسه ورقة ٥ .
- (٦٦) المصدر نفسه ورقة ٥ .
- (٦٧) عبدالرحمن سليمان الأهدل ، «النفس الباني» ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .
- (٦٨) الحسن بن أحمد عاكش ، «حدائق الزهر» ورقة ٣٣ .

- (٦٩) انظر كتاب : « تاريخ المخلاف السلياني » للعقيلي .
- (٧٠) عبدالله الحبشي ، كتابه السابق ٣٠٢ .
- (٧١) توجد لدى المحقق ، وهي مخطوطة .
- (٧٢) حققها عبدالله أبوداهش [ونشرت في مجلة « العرب » س ٢١ ص ٣٢٦] .
- (٧٣) الحسن بن أحمد عاكش ، « حقائق الزهر » ورقة ٣٥ .
- (٧٤) ص ٢٣ .
- (٧٥) انظر هامش (٢) .
- (٧٦) انظر الرسائل ، وما ورد فيها .
- (٧٧) رسالة الحفظي .
- (٧٨) إذ يعلم الحفظي عندئذ منزلة ابن إدريس الصوفية .
- (٧٩) رسالة الحفظي .
- (٨٠) انظر كتاب « أثر الدعوة » للمحقق .
- (٨١) يبدو أن ابن مجتل لم يرسل رسالة الحفظي ، وإنما هو فيما يبدو قد علم موقف الحفظي ورأي الإسلام في أفعال ابن إدريس ، ومن ثم كتب لابن إدريس بمراده ، وبما علمه ، ويدل على ذلك قول ابن مجتل نفسه : (ونكتب إلى السيد جوابات منا على مضمون ما وصلنا منه) الرسالة نفسها .
- (٨٢) انظر الخاتم في صورة حاشية الرسالة المرفقة .
- (٨٣) كاتب الأمير ابن مجتل ، قيل في مناظرة ابن إدريس مع فقهاء عير : (. . .) وتولى املاءها الفقيه علي بن مجي كاتب الأمير (٢٤) .
- (٨٤) توجد رسالتان في ورقة واحدة .
- (٨٥) رسالة ابن مجتل .
- (٨٦) انظر كتاب : « تحقيق النصوص ونشرها » لعبد السلام هارون ٧٩ .
- (٨٧) انظر صُدري الرسائل .
- (٨٨) انظر الرسائل .
- (٨٩) انظر الرسائل ، ففيها كثير مما قيل .
- (٩٠) انظر المقدمة ، قال عنه الزركلي : (أحمد بن إدريس الحسني [١١٧٢ - ١٢٥٣هـ] أبو العباس : صاحب الطريقة الاحمدية المعروفة في المغرب ، من ذرية الإمام إدريس بن عبدالله المحض ، مولده في ميسور من قرى فاس ، وتعلم بفاس ، فقرأ : الفقه والتفسير والحديث ، وانتقل إلى مكة سنة ١٢١٤هـ ، فأقام نحو ثلاثين سنة ، ورحل إلى اليمن سنة [١٢٤٤هـ] ، فسكن صيبا إلى أن مات ، وهو جد الأدارسة ، وكانت لهم إمارة في تهامة عير واليمن) ، « الأعلام » ٩٥/١ .
- (٩١) قال عنها الممداني : (ثم الهجر قرية ضمد ، وجازان ، وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف وصيبا) ، « صفة جزيرة العرب » ٧٦ ، ٢٥٩ ، وقال عنها محقق هذا المصدر السابق : (صيبا بفتح الصاد المهملة ، وسكون الواحدة وآخره ألف : مدينة عامرة إلى عهدنا هذا تقع على شط وادي ضمد ، واتخذها الإدريسي [محمد بن علي] عاصمة المخلاف في أول عصرنا . . .) هامش ٧٦ ، قال فيها القاسم بن علي الذروي :

(من لَصِبْ هاجه نشر الصبَا لم يَزِدْهُ البين إلا نَصْبَا
وَأَسِيرَ كُلِّها لَاحَ لَهُ بَارِقَ القِبلة من صَيِّبَا صَبَا

انظر « الدياج الحسرواني » لعاكش .

وقال عنها أبو الحياش الحجري :

سُيِّتَ برهة قري خُلب من ها فجازان تلك فالصبياء

« صفة جزيرة العرب » للهمداني ٣٨١ .

انظر تفصيلاً عنها في : « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » للعقيلي ٢٥١ .

- (٩٢) يشير إلى معرفة الحفظي بابن إدريس ، إذ لا يخفى حاله على علماء تهامة حينذاك .
(٩٣) أراد اتباعه من المصريين ، وبخاصة أهل الصعيد ، انظر : « النبذة اليسيرة في ترجمة ابن إدريس » لمجهول .

(٩٤) أراد اتباعه من المغرب العربي ، وبخاصة أهل بلدي : عرايش ، وفاس ، انظر المصدر السابق .

(٩٥) في الأصل : (للمشايخ) .

- (٩٦) محمد بن حسن بن خالد الحازمي ، أحد عمال الأمير علي بن مجمل المغنيدي بتهامة ، ومن أعوانه ، انظر :
« تاريخ عسير » للنعمي ١٧٦ .

(٩٧) قيل في « مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير » . . . (وكانت صبياً تلك المدة تحت حكم الأمير علي بن مجمل) ٢٠ . ثم قيل في تلك المناظرة بعيد بلوغ ابن مجمل في عسير أخبار المتصوفين في صبيا : (... حتى أدى الحال أن الأمير أرسل بخط إلى السيد محمد بن حسن بن خالد عامل صبيا أن من قال بهذه المقالة من أصحاب السيد أحمد يخرج من صبيا ، ويسفر إلى الجهات البعيدة) ٢٣ .

(٩٨) من بدع المتصوفين المعهودة .

(٩٩) رسمت في الأصل : (والعب) ، ثم أصلحت من بعد .

(١٠٠) يبدو أن هذه الظاهرة معهودة في تهامة ، وليست قاصرة على المتصوفة وحسب .

(١٠١) من بدع المتصوفين المعهودة ، ولقد أتى على ذكر مثلها أمين الريحاني في معرض حديثه عن التصوف في تهامة اليمن ، انظر كتابه : « ملوك العرب » .

(١٠٢) في الأصل : (وارا) .

(١٠٣) يشير إلى عدد غير يسير من الآيات الكريمات الواردة في هذا المعنى ، انظر - على سبيل المثال - آية ٦٥ سورة التوبة ، وآية ١٠ سورة الروم ، وآية ٢٣١ سورة البقرة .

(١٠٤) في الأصل : (العبادة) .

(١٠٥) كذا في الأصل .

(١٠٦) ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً ، أخرجه مسلم وأبو داود . . . ، « جامع الأصول » لابن الأثير ٧٣٣/١١ ، وصحيح مسلم مع ٨ ، ح ٢٢٠/١٦ .

(١٠٧) من آية ٦٣ سورة النور .

(١٠٨) أراد التمتع في الحج ، ولفظ الحديث : « قال ابن عباس : تمتع النبي ﷺ ، فقال عروة بن الزبير : نهي أبو بكر وعمر عن التمتع ، فقال ابن عباس : ما يقول عروة ؟ قال يقول : نهي أبو بكر وعمر عن التمتع ، فقال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال النبي ﷺ ، ويقول نهي أبو بكر وعمر » « المسند » لأحمد بن حنبل ٣٣٧/١ ، انظر : « كتاب التوحيد » لمحمد بن عبد الوهاب .

(١٠٩) أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

(١١٠) أي : على ما هما عليه من فضل ، ومنزلة ومكانة ، وعلم بكتاب الله تعالى ، وستة نبيه ﷺ .

(١١١) كذا رسم المصحف ، وفي الأصل : (وادعوا) .

(١١٢) زاد قبل هذا : (ولا تعتدوا) .

- (١١٣) آية ٢٥ سورة الاعراف .
- (١١٤) في الأصل : (غائب) .
- (١١٥) ولنظفه : (عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ، وَهُوَ مَعَكُمْ ، وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُقْبِي رَاحِلَتِهِ ... » انظر : « جامع الأصول » لابن الأثير الجزري ٤/١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .
- (١١٦) الذي .
- (١١٧) التهوك : التحير ، قال الرازي : (التهوك : التحير ، وفي الحديث : « أُمْتَهُوْكَوْنَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ » ، قال الحسن : معناه متحIRON) : « مختار الصحاح » ٢/٧٠٢ ، ولعل ابن مجتل أراد معنى آخر ، إذ ربما يدل هذا اللفظ على مصطلح محلي معلوم .
- (١١٨) غطش الكاتب هذه الكلمة ، ثم رسمها من بعد بهذه الصورة .
- (١١٩) أراد عملهم هذا ، وما اختلط به من آثار الصوفية .
- (١٢٠) ساقطة في الأصل .
- (١٢١) أراد أحمد بن إدريس ، وأصحابه من المتصوفين .
- (١٢٢) أحمد بن إدريس .
- (١٢٣) في الأصل : (الدعاء) .
- (١٢٤) من بعد عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .
- (١٢٥) أعهد إليك ، وأملكك هذا الأمر [ولعل صوال الكلمة (مُلْزَمٌ عَلَيْكَ) - العرب] .
- (١٢٦) بمالي عليك من حق ، إذ يعد الحفطي من رعايا ابن مجتل ، وأحد علماء إمارته .
- (١٢٧) يريد : أحمد بن إدريس .
- (١٢٨) يدل على رغبة ابن مجتل في وصول كتاب الحفطي إليه أنه أراد أن تكون الإجابة عن طريقه ، وقد فعل الحفطي ، إذ حرر رسالته في ظهر الورقة نفسها ، وربما أراد ابن مجتل تأييد رسالته برسالة هذا العالم . ولكن السؤال الذي يبرز في هذا الميدان ، يتمثل في حقيقة هاتين الرسالتين ، وهل أرسلتا بالفعل ثم ما الذي أعادها إلى تامة عبر لدى الحفطيين سكان رجال ألمع ممثلين في مكتبة الحسن بن علي الحفطي رحمه الله ؟ انظر توثيق هاتين الرسالتين في المقدمة .
- (١٢٩) أحمد بن إدريس .
- (١٣٠) رسائل .
- (١٣١) هذا يدل على أن ابن مجتل أراد الاحاطة برأي الحفطي ، ليتمكن من بعد مكاتبة ابن إدريس ، إذ هو لم يحط فيها يبدو عند كتابة رسالته بموقف الإسلام من مظاهر التصوف .
- (١٣٢) يريد إبراهيم الحفطي نفسه ، وهذا يشير إلى منزلة هذا العالم .
- (١٣٣) يدل هذا الموقف على منهج ابن مجتل السلفي ، وسلامة معتقده .
- (١٣٤) لعلها من (الغوغاء) ، والغوغاء من الناس : الكثير المختلطون ، انظر « مختار الصحاح » للرازي ٤٨٥ ، وفي « المعجم الوسيط » : (الغوغاء : الصوت والجلبة ، والسَّفَلَةُ من الناس لكثرة لفظهم وصياهم) ٢/٦٧٣ .
- (١٣٥) رد السلام ، وأبلغه .
- (١٣٦) في الأصل : (الأولى) .
- (١٣٧) عبدالحق بن إبراهيم بن أحمد (١٢٢١ - ١٢٨٤هـ) بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل ، انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبد الرحمن بن محمد الحفطي ، ورقة ٢ .

- (١٣٨) إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الحفطي بن عبد القادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل . المصدر السابق ، ورقة ٢ .
- (١٣٩) في الأصل : (ابن) ، وهم : زين العابدين ، وعبد الرحمن ، وسليمان .
- (١٤٠) محمد بن أحمد الحفطي (١١٧٦ - ١٢٣٧هـ) ، انظر المقدمة ، وهامش (٤٤) .
- (١٤١) لعله أحمد بن هادي بن عمر بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى بن جعثم ، قال فيه صاحب شجرة نسب آل بكري : (شيخنا العلامة أحمد بن هادي) المشجرة نفسها . وقد وجد في بعض المراجع لدى المحقق الآتي : (هذه الأبيات لشيخنا العلامة محمد بن زين العابدين أنشأها في الولد عبد الخالق حين تزوج بنت أحمد بن هادي) ورقة مخطوطة ، غير مرقمة ، ووجد في ورقة أخرى : (هذه المنظومة لشيخنا العلامة أحمد بن هادي جعلها تقریظاً على شرح « فاز من قام الليالي » ورقة مخطوطة ، غير مرقمة .
- (١٤٢) أحد عمال الأمير علي بن مجتل المقيدي ، ومن قواده البارزين ، قال عنه محمد بن أحمد العقيلي في معرض حديثه عن حرب ابن مجتل للإلبان بتهامة سنة ١٢٤٨هـ : (وبعد أن تم له النصر أناب محمد بن مفرح على البلاد ، وجعل مقره مدينة الحديدة) « تاريخ المخلاف السلياني » للعقيلي ٥٣٦/١ ، وانظر : « تاريخ عسير » للنعمي ١٨٥ .
- (١٤٣) في الأصل : (ابن) .
- (١٤٤) من أشرف عسير .
- (١٤٥) من أشرف عسير .
- (١٤٦) لعله من الترك العثمانيين المقيمين في عسير .
- (١٤٧) لم أقف على شيء من أخباره .
- (١٤٨) كذا في الأصل .
- (١٤٩) ورد ذكر الأخير منها في إحدى رسائل ابن مجتل إلى محمد بن الحسن بن خالد الحازمي ، إذ قال : (... ومن لدينا الولد عايض ، ومحمد يسلمون عليكم والسلام) ، « تاريخ عسير » لهاشم النعمي ١٨٠ .
- (١٥٠) كلمة غير واضحة في الأصل .
- (١٥١) ختمت هذه الرسالة بخاتم ابن مجتل ، الموسوم بقوله : (الله الملك وعلي عبده ١٢٤٥) .
- (١٥٢) في الأصل : (ابن) .
- (١٥٣) الحفطي : لقب عرف به أحمد بن عبد القادر بن بكري ، انظر هامش (٣٦) .
- (١٥٤) كذا في الأصل ، وقد عرف ابن إدريس (بالسيد) .
- (١٥٥) في الأصل : (ابن) .
- (١٥٦) ويقال : المغربي ، وهو من ذرية الإمام إدريس بن عبدالله المحض .
- (١٥٧) في الأصل : (اله) .
- (١٥٨) كلمة غير مرسومة في الأصل .
- (١٥٩) كذا في الأصل .
- (١٦٠) توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م ، ومن المؤكد أن هذه الرسالة كتبت في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري [١٢٤٥هـ] عهد الأمير علي بن مجتل المقيدي (١٢٤٢ - ١٢٤٩هـ) .
- (١٦١) كذا في الأصل [لعلها : نصير كما يبدو في الصورة - « العرب »] .
- (١٦٢) يريد من الصوفية السالكين منج ابن إدريس .
- (١٦٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (يسمع) .

- (١٦٤) كذا في الأصل . ولعل الصواب : (بما) .
- (١٦٥) من آية ٣ سورة المائدة .
- (١٦٦) في الأصل : (وانزلنا) ، وهو خطأ .
- (١٦٧) من آية ٨٩ سورة النحل .
- (١٦٨) آية ٥٧ سورة يونس .
- (١٦٩) من آية : ١٢٣ ، ١٢٤ سورة طه .
- (١٧٠) كذا في الأصل : والصواب (اتبع) .
- (١٧١) في الأصل : (الآخرة) ، والحديث لابن عباس رضي الله تعالى عنها ، موقوفا عليه ، ولفظه : « تكفل الله لمن قرأ القرآن ، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة » . انظر : « مستدرک الحاكم » ٣٨١/٢ .
- (١٧٢) وقد ورد أيضاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما بينكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ... » ، « شرح الأربعين النووية » لسعيد بن محمد الأمير ، مخطوط غير مرقم الأوراق .
- (١٧٣) ساقطة في الأصل .
- (١٧٤) كذا في الأصل ، وقد سقط قبلها لفظ : (فعليكم) .
- (١٧٥) في الأصل : (الخلفاء) ، وقد سقط بعدها لفظ : (الراشدين) .
- (١٧٦) ولفظ الحديث : قال عبد الرحمن بن عمر السلمي ، وخبجر بن خبجر : أتينا العرياض بن سارية رضي الله عنه ، وهو من نزل فيه : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [من آية ٩٢ سورة التوبة) ، فسلمنا ، وقلنا أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبيين ، فقال العرياض : صل بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظةً بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل ، يا رسول الله : كأن هذه موعظة مودّع ، فإذا تعهد إلينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبداً حسيهاً ، فإنه من يعيش منكم بعدني فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعصوا عليها بالنواجز ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، « جامع الأصول » ٢٧٨/١ ، وانظر « شرح الأربعين النووية » لسعيد بن محمد الأمير ، مخطوط .
- (١٧٧) رسمت في الأصل : (بهذا) ، ثم أصلحت كما أثبت .
- (١٧٨) في الأصل : (خيراً) ، وهو مثل معروف [لعل الشيخ أراد إيراد عجز بيت حسن ينصه في بيته المشهور :
- وإنا ومن يهتدي القضايد نحونا كَمُسْتَبْضِعٍ قَرَأَ إِلَى أَهْلِ خَيْرًا
- (١٧٩) وقد يقال : (لكل زمان رجال) ، انظر : « جمهرة خطب العرب » ، جمع أحمد زكي صفوت ١٣٨/١ .
- (١٨٠) انظر المصدر السابق ١٣٨/١ ، وقيل إنه من أمثال : أكرم بن صفيي .
- (١٨١) كذا في الأصل [العرب : هو بيت من الشعر مشهور :
- فَلْيُخْدِثِ رِجَالٌ يُعْرِفُونَ بِهِ وَلِلدَّوَابِّ حُسَابٌ وَكُتَابٌ
- ولهذا وضع الكاتب الفاصلة ⑤ في أوله وفي آخره للإشارة إلى أنه شعر ، ولا صلة لتلك الدائرة بالعلامة التي يضعها المتقدمون .
- (١٨٢) قال الجوهري : (اليسوب : ملك النحل ، ومنه قيل للسيد يعسوب قومه ، واليسوب أيضاً : طائر أطول من الجراد لا يضم جناحه إذا وقع ...) ، « الصحاح » ١٨١/١ ، انظر : « القاموس » ١٠٤/١ ، و« اللسان » ٨٧/٢ .

- (١٨٣) غير واضحة في الأصل ، ولعلها إلى [العرب : هي (وحاشا) واضحة مبنى ومعنى] .
- (١٨٤) في الأصل : (ريحات) .
- (١٨٥) كذا في الأصل ، وهي من الدلات اللغوية المستعملة في هذه الفترة المتأخرة من تاريخ الأدب العربي .
- (١٨٦) يلاحظ في هذه الرسالة التلطف في القول ، بما يشعر عن احترام لأحمد بن إدريس ، ولا غرابة في ذلك ، فآثار التصوف معهودة في رجال ألمع لدى علماء آل الحفطي في أوائل العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، وما قبله ، ولم يدفع تلك الآثار إلا رحمة الله تعالى ، ثم ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جنوبي الجزيرة العربية .
- (١٨٧) لعله الشيخ : محمد البرناوي ، أحد جلساء أحمد بن إدريس ، ومن الذين احتلوا منزلة عنده ، انظر : « مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير » ٢٠ .
- (١٨٨) الطيب بن محمد بن إدريس ، المصدر السابق ٢٠ .
- (١٨٩) لعله الشيخ : عبدالله بن محمد العباس ، أحد جلساء ابن إدريس ، المصدر السابق ٢٠ .
- (١٩٠) لعله : زين العابدين بن محمد بن أحمد الحفطي بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل ، انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن بن محمد الحفطي ، ورقة ٢ .
- (١٩١) لعله : عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الحفطي بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل ، المصدر السابق ، ورقة ٢ .
- (١٩٢) انظر هامش (١٦١) .
- (١٩٣) لم تُختم هذه الرسالة بخاتم مرسلها .

المصادر والمراجع :

أولاً - المخطوطات :

- (١) ابن إبراهيم ، صالح . « رسالة خطية منه إلى الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفطي » ، يوجد أصلها لدى عبدالحالق بن سليمان الحفطي ، بدون رقم ، ولا تاريخ .
- (٢) الأمير ، سعيد بن محمد . « شرح الأربعين النووية » ، مخطوط ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٣) الحفطي ، إبراهيم بن أحمد . « شعره المتفرق » المخطوط ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٤) الحفطي ، إبراهيم بن أحمد « قصيدته المخطوطة في رثاء الشريف حمود بن محمد أبي مسيار » ، يقع صدرها في ورقة مخطوطة لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٥) الحفطي ، إبراهيم بن أحمد . « قصيدته الإخوانية مع عبدالله بن سرور البامي » ، مخطوطة ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٦) الحفطي ، إبراهيم بن أحمد . « قصيدته الإخوانية مع يحيى بن علي زغدين » ، مخطوطة توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٧) الحفطي ، عبدالرحمن بن محمد . « نسب الفقهاء آل عجيل » ، مخطوطة ، يوجد أصلها لدى عبدالحالق بن سليمان الحفطي ، تاريخ نسخها ١٣٠٩هـ ، بدون رقم .
- (٨) الحفطي ، علي بن الحسن « نبذة بسيرة في ترجمة والده » مكتوبة بقلمه ، توجد لدى كاتبها في أبها .
- (٩) الحفطي ، محمد بن أحمد ، « قصيدته المخطوطة في أخيه إبراهيم بن أحمد الحفطي » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم . وتاريخ ١٢١٣هـ .
- (١٠) الضمدي ، أحمد بن عبدالله . « رسالته الخطية إلى إبراهيم بن أحمد الحفطي » ، يوجد أصلها في مكتبة الحسن بن علي الحفطي بأبها ، بدون رقم .
- (١١) الضمدي ، أحمد بن عبدالله ، « قصيدته الإخوانية مع إبراهيم بن أحمد الحفطي » ، مخطوطة ، توجد

- لدى المحقق ، بدون رقم .
- (١٢) عاكش ، الحسن بن أحمد . « حقائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » . نسخة مخطوطة ، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان ، رقم ٣٨ .
- (١٣) عاكش ، الحسن بن أحمد . « الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السلياني » ، مخطوط يوجد منه نسخة خطية مصورة لدى حجاب بن يحيى الحازمي ، بدون رقم .
- (١٤) عاكش ، الحسن بن أحمد . « عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر » ، مخطوط يوجد بقسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود ، رقم ١٣٣٤ .
- (١٥) عاكش ، الحسن بن أحمد . « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » ، مخطوط ، يوجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي بأبها ، بدون رقم .
- (١٦) قاطن ، أحمد محمد . « تاريخه وأسانيده » ، نسخة مخطوطة ناقصة ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (١٧) مجهول . « خبر مخطوط في ذكر مكانة الشيخ بكري بن محمد ومنزلته الاجتماعية » ، يوجد ضمن بعض المجاميع المخطوطة لدى المحقق ، بدون رقم .
- (١٨) مجهول . « مجموع خطي ، يتضمن ذكراً للشيخ أحمد بن هادي » ، يوجد لدى المحقق بدون رقم .
- (١٩) مجهول . « مجموع خطي ، يتضمن شعراً لأحمد بن هادي » ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٢٠) مجهول . « مشجرة خطية في نسب الفقهاء آل عجيل » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٢١) مجهول . « مقدمة خطية لرسالة في الزكاة » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
- (٢٢) مجهول . « نبذة يسيرة في ترجمة السيد أحمد بن إدريس » نسخة خطية مصورة ، توجد بقسم الوثائق بداره الملك عبدالعزيز بالرياض ، تحت رقم ٥١٣ .

ثانياً - المطبوعات :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الحديث النبوي الشريف .
- (٣) الأهدل ، عبدالرحمن بن سليمان . « النفس الباني » ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٤٠٠/١٩٧٩م .
- (٤) الجزري ، ابن الأثير . « جامع الأصول في أحاديث الرسول » ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، مط الملاح ، لبنان ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
- (٥) الجوهري ، إسماعيل بن حماد . « الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية » ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، بدون معلومات أخرى للنشر .
- (٦) الحاكم . « المستدرک » ، ط بيروت ، وهو مصور عن الطبعة الهندية .
- (٧) الحبشي ، عبدالله بن محمد . « مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن » مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء دار العودة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- (٨) الحفظي ، محمد إبراهيم . « نفحات من عسير » ، مط عسير ، أبها ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م .
- (٩) الحفظي ، محمد أحمد . « ذوق الطلاب في علم الإعراب » ، تحقيق عبدالله أبوداهش ، ط ١ ، مط الشريف ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .
- (١٠) الحفظي ، محمد أحمد . « اللجام المكين والزمام المتين » ، تحقيق عبدالله أبوداهش ، ط ١ ، مط مازن ، أبها ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (١١) ابن حميد ، عبدالله بن علي . « نماذج من شعره ونثره » ، جمعه : محمد بن عبدالله بن حميد ، ط ١ ، مط عسير ، أبها ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

- (١٢) ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد . « المسند » ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- (١٣) أبو داهش ، عبدالله بن محمد بن حسين . « أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة العربية » ، ط ١ ، مط الشريف ، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (١٤) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر . « مختار الصحاح » ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- (١٥) رفيع ، محمد عمر . « في ربوع عسيرة » ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .
- (١٦) الريحاني ، أمين . « ملوك العرب » ، ح ٢ ، ط ٤ ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- (١٧) زبارة ، محمد محمد . « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر » ، مط السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م .
- (١٨) الزركلي ، خير الدين . « الأعلام » ، ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- (١٩) شاكر ، محمود . « عسيرة » ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بدون تاريخ .
- (٢٠) صفوت ، أحمد . « جبهة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة » ، ط ٢ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .
- (٢١) عاكش ، الحسن بن أحمد ، (جامع) . « مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسيرة » ، تحقيق عبدالله أبوداهش ، ط ١ ، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . [ونشرت قبل ذلك في مجلة « العرب » س ٢١ ص ٣٢٦ وما بعدها] .
- (٢٢) ابن عبد الوهاب ، محمد . « كتاب التوحيد » ، مط الإشعاع ، الرياض ، بدون معلومات أخرى للنشر .
- (٢٣) العقيلي ، محمد بن أحمد . « تاريخ الخلفاء السليمان » ، ط ٢ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- (٢٤) العقيلي ، محمد بن أحمد . « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » ، ط ٢ ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- (٢٥) الفيروزآبادي ، مجد الدين بن يعقوب . « القاموس المحيط » ، توزيع مكتبة النووي ، دمشق ، بدون معلومات أخرى للنشر .
- (٢٦) مجهول . « حوليات يمانية » (١٢٢٤ - ١٣١٦هـ) ، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية .
- (٢٧) ابن مسفر ، عبدالله بن علي . « أخبار عسيرة » ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- (٢٨) ابن مسفر ، عبدالله بن علي . « السراج المنير في سيرة أمراء عسيرة » ، ط ١ ، مط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- (٢٩) مسلم ، أبو الحسن . « صحيح مسلم » ، ط ١ ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- (٣٠) مصطفى ، إبراهيم وآخرون . « المعجم الوسيط » ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة العلمية ، طهران ، بدون تاريخ .
- (٣١) ابن منظور ، جمال الدين محمد . « لسان العرب » ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مط كوستاتسوماس ، مصر ، بدون تاريخ .
- (٣٢) النعيمي ، هاشم سعيد . « تاريخ عسيرة في الماضي والحاضر » ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، بدون تاريخ .

المواقع الأثرية والآثار

[وتواصل «العرب» نشر فصول من كتاب قِيم ألفه الأستاذ محمد سعيد المُسلم بعنوان «واحة على ضفاف الخليج» أمحف القراء ببعض مباحثه].

دَلَّتِ الآثارُ التي اُكْتُشِفَتْ في سواحل هذه المنطقة على أنها كانت مهداً لشعوب عربية في الحضارة ، وأنَّ لها تاريخاً مُغْرِقاً في القدم ، يمتد من العصر الحجري فالبرونزي ، وتكاد تكون آثار الاستيطان البشري في المنطقة الشرقية من المملكة أكثر وضوحاً في أيِّ جُزءٍ آخر ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل : أهمها موقعها (الاستراتيجي) لتوسطها بين مراكز الحضارات القديمة كحضارة الهند والسند وفارس شرقاً ، وحضارة اليمن جنوباً ، وحضارة وادي النيل غرباً ، وحضارة وادي الرافدين شمالاً ثم إشرافها على جُزءٍ كبير من ساحل الخليج العربي الذي لعب دوراً خطيراً في مجال الاتصالات البشرية ، والتبادل التجاري بين شعوب تلك الحضارات ، منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

وقد ظلت هذه المنطقة في مَحْوَرٍ تجاريٍّ وثقافيٍّ عَبرَ القرون مع جيرانها ، وانعكست تلك الإسهاماتُ على شكل مستوطنات ومُخْلَفَاتٍ اُكْتُشِفَتْ حديثاً في

= (٣٣) هارون ، عبد السلام . «تحقيق النصوص ونشرها» ، ط٢ ، نشر مكتبة الأمل ، الكويت ، مط مؤسسة فهد الرزوق الصحفية ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

(٣٤) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب . «صفة جزيرة العرب» ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، نشر دار اليهامة للبحث والترجمة ، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٨٤م .

ثالثاً : الدوريات :

(١) ابن حيد ، عبدالله بن علي . (دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية) ، مجلة «العرب» ، ح١١ ، ١٢ ، س ٩ (جماديان ١٣٩٥هـ) ص ص ٨٦٢-٨٦٦ .

(٢) أبوداهشر ، عبدالله بن محمد . (من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية : الشيخ محمد بن أحمد الحفظي ١١٧٦ - ١٢٣٧هـ) ، مجلة «العرب» ، ح٣ ، ٤ ، س ٢٢ (رمضان وشوال ١٤٠٧هـ) ص ص ١٩٠ - ٢٠١ .

رابعاً : الرسائل الجامعية :

(١) عسيري ، علي أحمد عيسى . «عسير من ١٢٤٩ - ١٢٨٩هـ» ، بحث مقدم لقسم التاريخ بكلية العلوم الإجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لنيل درجة الماجستير ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

هذه المناطق ، ولتنام الشبه بين هذه الآثار المكتشفة لحضارة إنسان هذه المنطقة وبين تلك الآثار التي اكتشفت في مواقع سابقة ، كموقع (موهنجو دارو) بوادي السند ، وموقع (باكون) وتل (ايجاب) في إيران ، وموقع (العبيد) و(الوركاء) و(جمده نصر) في جنوب وادي الرافدين ، و(باربار) في البحرين ، وأم النار في (أبو ظبي) ، نُسِبَتْ تلك الآثار بالدراسة المقارنة إلى تلك المواقع التي اكتشفت أولاً .

والسبب في نسبتها إلى تلك المواقع أن علماء الآثار (الانثروبولوجيين) حتى الوقت الحاضر لم يتعرفوا بصورة جازمة على الأقوام والشعوب الذين استوطنوا هذه المناطق ، وخلفوا فيها الحضارات ، فنسبوا تلك الآثار إلى المواقع التي اكتشفت فيها ، وكل ما صنعوه أنهم صنفوها بالدراسة المقارنة حَسَبَ قَدَمِهَا ، وأَرْجَعُوهَا إلى عهودٍ بعضها مُفَرِّقٌ في القدم ، فكانت أولى هذه المراحل الحضارية حضارة (العبيد) بعصورها الأربعة ، وتمتد من ٥٠٠٠ إلى ٣٦٠٠ سنة ق.م و(باكون) و(الوركاء) إلى ٣٦٠٠ سنة ق.م ، و(باربار) وتاروت و(جمده نصر) وأم النار إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م وهكذا دواليك^(١) .

وقد أثبتت الدراسات الأولية أهمية هذا الجزء من الناحية الأثرية والتاريخية ، حتى ذهب بعض الباحثين إلى أن أصول حضارة (العبيد) تعود في جذورها الأساسية إلى حضارة هذه المنطقة ، ومنها امتدت إلى جنوب وادي الرافدين ، ومنها إلى الشمال ، ثم انتشرت في المواضع الحضارية الأخرى .

وقد ثبت لدى الباحثين (الانثروبولوجيين) بأن أقدم مراحل الاستقرار في القسم الغربي من الخليج تتمثل في شرق الجزيرة العربية ، وذلك استناداً إلى المخلفات الإنسانية التي عثر عليها حتى الآن^(٢) .

إن الأراضي الصحراوية الواقعة غربيّ واحة القطيف وجنوبها حتى الظهران والعقير وشمالها حتى مدينة الجبيل وجزيرة المُسَلِّمِيَّة وكذلك المناطق الواقعة جنوبي الخُيَرِ وبين الدمام والخبر ، ومنطقة صحراء البيضاء ووادي الميَّاه ، وثاج والأحساء ، وجزيرة تاروت تكاد تنتمي كلها بالآثار ، وقد عثرت (ارامكو) أثناء

مدّ خطوط أنابيب النفط على آثارٍ مَذْفُونَةٍ تحت الرمال ، وأحياناً تكون بارزةً على سطح الأرض ، كما كانت تُشَاهَدُ قِطْعٌ من النقود ، وبقايا أوانٍ فخّارية قديمة مبعثرة هنا وهناك ، يجدها المتجول دون عناءٍ ، كما وُجِدت عيون كثيرة تربو على ١٥٠ عيناً نظائر العيون التي تسقي سبيحاً في واحة القطيف^(٣) مما يدل على أنّ صحراء البيضاء كانت مأهولة بالسكان والمزروعات ، وهذا مصداقُ الأسطورة المتداولة بين السكان ، والتي تقول بأن رَيْفَ القطيف كان متصلاً بريف الأحساء فيما مضى ، ويبدو أنّ تلك الواحات الصغيرة المنتثرة في صحاري البيضاء هي من بقايا ذلك الريف العظيم الممتد من الأحساء إلى القطيف .

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو الحديث عن الآثار المكتشفة في واحة القطيف ونواحيها ، لقد تم التنقيب في بعض المواضع ، وإن كان الكثير منها لم يُخْصَى باهتمام البعثات التنقيبية لموانع قائمة ، كوقوعها في ملكية خاصة كموقع الزارة بالقرب من بلدة العوامية والتي كانت عاصمة لهذه المنطقة ، والتي كانت تتمتع بشهرة فائقة في التاريخ الإسلامي منذ العصر الجاهلي ، حتى سنة ٢٨٣ هـ حين دمرها أبو سعيد الجنابي القرمطي ، فاندثرت منذ ذلك الحين ، وانطمست معالمها ، وابتلعت آثارها بساتين النخيل ، ولا شك أن موقع هذه المدينة العظيمة يحتوي على كنوز قيمة من الآثار لو أُزِيح الستار عنها وكذلك موقع القلعة ، وعُنْكَ ودارين وتاروت وغيرها من المدن والقرى التي اندثرت والتي ذكرها المؤرخون والجغرافيون القدماء .

أما المواقع التي حظيت باهتمام البعثات التنقيبية فهي :

١ - المَرْيَقَات : وهي موضع تكثر فيه التلال الرملية والصخرية ، ويقع إلى الجنوب من سبيلات على مشارف الصحراء ، فقد وجدت فيه كومات صدفية ، كما عُثِرَ في منحدراته الجنوبية الشرقية على عشرين حفرة غريبة الشكل ، تبلغ سعة بعضها قدماًن في قدم واحد ، وأعماقها ثمان بوصات ، بينما البعض الآخر يشبه التوابيت . ويرى (كورنول) أنها استخدمت كمدافن^(٤) .

٢ - جَاوَانُ : وهو موضع يقع إلى الشمال من صَفْوَى على مشارف النخيل ، وهو موضع تكثر فيه الهضبات الصخرية . لذلك اتخذت منه (أرامكو) مَقْلَعاً للصخور لدفن البحر أثناء بناء مرفأ رأس تَوْرَة ، فأُطلق على هذا الموضع (مقلع جاون) إلا أن الشركة نفسها عثرت أثناء عمل اإزاحة الصخور على مقبرة غربية الشكل ، تتألف من طابقين ، مبنية من صخور الملح الكبيرة ومسبّعة بالجص ، ومنظرها الخارجي - كما شاهدها - يبدو على شكل صليب ، ولها ممرٌ مسقوف على كل جانب منه عدد من الغرف ، تحتوي كل غرفة على قبر وإلى جانبها عند المدخل قبور صغيرة ، يبدو أنها مخصصة للأطفال .

وقد عثر البحاثة (فيدال) فيها على مجموعة من الآثار ترجع إلى العصر اليوناني والروماني الأول ، وقد سلمت مفاتيح هذا المدفن إلى إمارة المنطقة ، كما عثرت (أرامكو) عام ١٩٤٥ في جاون على حجر تكسرت أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، وقد اتضح بأنه قبر امرأة يقال لها جشم بنت عمرت (عمره) بن نحيو من أسرة عور (آل عور) من قبيلة شذب^(٥) ومن الملاحظ أن كتابة أحجار القبور التي عثر عليها في جاون افتتحت بعبارة (نفس وقبر) ، بينما الكتابات الأخرى التي عثر عليها في ثاج وقرب القطيف تبدأ بجملة (وكر وقبر)^(٦) .

٣ - تَارَوْتُ : وهي كانت سابقاً جزيرة ، تقع في خليج (كيوس) أو خليج القطيف ، على بعد أربعة أكيال إلى الشرق من مدينة القطيف نفسها ، وكان البحر يحيط بها من جهاتها الأربع ، إلا أن توسع العمران التهم الجانب الغربي منها ، فتحولت إلى شبه جزيرة في الوقت الحاضر ، وهذه الجزيرة تعتبر أقدم موقع للاستيطان البشري ، ولها تاريخ مفرق في القدم ، فهي موطن الفينيقيين الأوائل قبل نزوحهم إلى شواطئ البحر المتوسط ، لذلك حفلت بالآثار المهمة ، وقد حظيت باهتمام (البعثة الدانمركية) فقامت بالمسح الأثري فيها ، وبدأت بالتلّ العالي الواقع في الجانب الغربي من مدينة تاروت ، وهو الموقع الذي قامت على أنقاضه قلعة البرتغاليين ، التي أعاد بناءها الأتراك ، والتي مازالت معالمها بارزة حتى الآن .

لقد أسفرت هذه الأنقاض المتراكمة عن ثروة أثرية ثمينة ، فوجدت تحتها بقايا هيكل (عشاروت) الذي يتكون من أحجار ضخمة منحوتة بحجم متر مكعب ، مما يدل على ضخامة هذا الهيكل ، كما اكتشفت (البعثة الدانمركية) أبنية تتكون من أربع طبقات سكنية ، تتألف جدرانها من كتل حجرية مربعة الشكل ، وعثرت أيضاً على بئر عميق من المياه العذبة ، تنصرف مياهه إلى حوض كبير واسع من الأحجار الطبيعية ، وعلى كسر فخارية متثرة على سطح التل ، وقد أظهرت دراسة الفخار بأن هذه الكسر تنتمي إلى حضارة (باربار) - حوالي ٣٠٠٠ ق. م - ، كما دلت الحفائر في الطبقات السفلى على أن هذا الفخار الموجود فيها ينتمي إلى فترة مبكرة أقدم من عصر (باربار) وقد اكتشفت في هذه الطبقات تركه أثرية هامة ، تتمثل في رؤوس سهام ، وكسر حجرية ، كالسكاكين والمكاشط و ٢٠٠ كسرة فخارية ، تتميز بأنها من النوع الخفيف الأصفر المخضر ، والمزينة بأشكال هندسية ذات لون بُني غامق ، وقد تبين من الدراسة التي قامت بها البعثة بأن هذا الفخار ينتمي إلى عصر حضارة (العبيد) الأول (حوالي ٤٥٠٠ ق. م) (٧).

ويرى (جي بيي) أن الطبقات السفلى من هذا التل تضم حضارة (العبيد) بينما تضم الطبقات العليا حضارة (باربار) وبين هذه الطبقات يكمن الدليل على وجود التطور من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة ، وقد أدى اكتشاف فخار حضارة (العبيد) في موقع تاروت إلى المزيد من الحفائر والتنقيبات ، تم تسجيل خمسة عشر موقعا ، تضم العديد من الكسر الفخارية الملونة ، ومن هذه المواقع موقعان يبعدان نحو ٤٠ ميلا عن ساحل الخليج ، بينما تقع أغلبية هذه المواقع على الأرض السبخة المحاذية للساحل الحالي ، وقد تم التوصل بالدراسة المقارنة إلى التشابه التام بين فخار حضارة عصر (العبيد) والفخار الذي عثر عليه هنا ، وشملت الدراسة المقارنة بين المخلفات الأثرية المتمثلة في حجر (الأويدان) والرحى الحجرية ورؤوس السهام والمخارز (٨) .

ويوجد في الجزيرة العديد من التلال الجيرية المغطاة بالطين ، التي تأخذ شكل القمع ، ويضم التل حجرة الدفن ، وسقفها يتألف من كتل من الحجر الجيري ،

وتقع هذه التلال في الجنوب الشرقي من الجزيرة على مقربة من ميناء دَارَيْنَ ، فقد عثر على مقابر تحيط بأضرحتها ملاط من الجبس ، وتتناثر حولها وعلى الأرض العديد من الكسر الحجرية من (الالباشير) و(الاستيتايت) (٩) .

ومرفأ دَارَيْنَ نفسه الذي يتمتع بشهرة تاريخية منذ القدم ، والذي كان من أهم الموانئ التجارية في الخليج يضم ثروة فنية ، ويوجد على مقربة منه أكمات بدائية شاذة التكوين ، يقول عنها الأهالي : إنها كانت بقايا مدافن ، وقد التهمها العمران في الوقت الحاضر، حتى يقال : إن بلدة دارين الحديثة تستقر على أربع طبقات من المدن بعضها فوق بعض ، ولا يوجد فيها الآن من الآثار البارزة سوى قلعة محمد بن عبد الوهاب على الساحل ، وهي قلعة دفاعية من القلاع التي بناها البرتغاليون في القرن السادس عشر ، وجدد بناؤها عام ١٣٠٣هـ .

ولا تَحُلُو بساتين الجزيرة من الآثار المدفونة ، مما يدل على أن الرقعة الأهلة بالسكان سابقا كانت أكبر مما هي عليه الآن ، حيث تمتد إلى مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، فقد عثر في أوائل هذا القرن على تمثال من الذهب الخالص للبعلة (عشروت) كان مدفونا في احد بساتينها (١٠) وقد اكتشفه أحد الفلاحين عن طريق الصدفة ، إذ كان يحرق في البستان ، فسلمه لمالك النخل ، مما يدل على أمرين : إما أن يكون هذا الموقع معبداً في ذلك ، أو أن أحد اللصوص سرقه ودفنه ، ولم يهتد إلى موضعه في ذلك البستان .

مواقع أخرى من القطيف :

وتضم الواحة ومدنها ثروات أثرية دفيئة ، لم يكشف النقاب عنها ، فقيام المدن الحالية على أنقاض المدن القديمة يَحُولُ دون عمل التنقيب ، كما أن البعض منها ابتلعت زراعة النخل ، حيث أصبحت من الممتلكات الشخصية فانظمست معالمها ، كمدينة الزارة الواقعة بالقرب من العوامية ، ومع هذا فقد يُعَثَّرُ بين حين وآخر على بعض الآثار في هذه النواحي .

فمنها لوح بخط المسند ، استخرجه (كورنوال P. CORNWAL) كان مدفونا في أحد بساتين القطيف ، ويذهب إلى أنه نقل من جزيرة تاروت ، أو من موضع

لا يبعد كثيرا عن القطيف ، وهو يشبه الألواح التي عثر عليها قبلا ، وهو عبارة عن شاهد قبر لرجل يقال له (ايليا بن عيني بن شصر من اسرة سمم من عشيرة ذال من قبيلة شذب) ويرى بعض المستشرقين أن صاحب هذا القبر كان نصرانيا عاش في القرن الخامس والسادس للميلاد^(١١) .

وعُثِرَ على شاهد قبر آخر ، مدون بالمسند على مقربة من القطيف لقبر (شيام بنت صحار ابن عنهل بن صامت من قبيلة يدعب) ويدعب من قبيلة شذب ، وهي من القبائل المعروفة في العروض ، وكانت ذات عدد من البطون ، وليس في هذا الشاهد تاريخ سوى الرقم (٩٠) ، ربما يشير إلى عمر صاحبة القبر ، ويرى الذين درسوا هذه اللوحة أنها تعود إلى القرن السادس للميلاد^(١٢) .

وهناك في أماكن متفرقة عثرت (بلدية القطيف) على بعض الصخور ، وعليها بعض الكتابات التي لم تحل طلاسمها ، وكانت البلدية تحتفظ بها ، ثم سُلمت أخيراً لمصلحة الآثار في الرياض .

وسور القلعة وجامعها القديم كان من أبرز المعالم الأثرية ، التي تعود إلى عهود مفرقة في القدم ، وقد جُددَ بناء هذا السور آخر مرة في عهد السلطان سليم الثاني العثماني في القرن العاشر الهجري ، بعد اندحار البرتغاليين من هذه المنطقة ، وكان على أحد أبوابه لوحة حجرية ، كتب عليها تاريخ تجديد بنائه ، كما كانت توجد لوحة حجرية أخرى مماثلة عند مدخل منارة الجامع ، كتب عليها تاريخ بناء المسجد الذي يعود إلى القرن الثامن الهجري ، أما في الوقت الحاضر فقد أزيل السور وأزيل الجامع ومنارته ، ولحقت بهما القلعة أخيراً ، فهُدمت وانطمست معالمها ، وأصبحت خراباً بعد عين ، شأنها شأن المدن القديمة التي اندرست ، والتي حَدَّثْنَا عنها المؤرخون ، كبنكات وخرشاف والغابة ، والسابور والجوسي والرافقة والصاد ، وظلامة ، والظهران والزارة .

وكانت منطقة القلعة وضواحيها أبرز أثر تاريخي في القطيف ، وكانت تسمى القُرْصَة ، وربما وإلى عهد قريب^(١٣) ، ومحدثنا ياقوت الحموي بأن الفرضة كان يسكنها بنو عامر بن الحارث بن عبد القيس ، ولعلها هي مدينة الخط التي بناها

اردشير الأول^(١٤) ، خلال القرن الثالث الميلادي ، والذي اتخذ القلعة - كما يبدو من تخطيطها السابق - حصن دفاع وقاعدة عسكرية ، لوقوعها على الساحل مباشرة ، كما هو الشأن عند البرتغاليين حين استعمروا هذه المنطقة ، وكما تُوحى الأسماء التي عُلقت بها كاسم (الخان) الذي يدعى به أحد أحيائها ، واسم (الدروازة) الذي يطلق على كل بوابة فيها بتلك الصلة بينها وبين مؤسسها الفارسي ، ويبدو أنه اتخذ القلعة بلاطاً للحكم ، حيث كانت القصور الملكية تحتل وسطها ، يليها في الجانب الغربي قصر الضيافة وهو موقع فريق (الخان) كما تقع زرائب المواشي في الجانب الشمالي منه وهو موقع (فريق الزريب) وتحيط بها الحدائق الغناء ودوالي العنب بدءاً من الجامع المجاور لدروازة السوق - ويحتمل ان يكون معبداً قديماً - وانتهاءً بمحلة الوارش .

كانت القلعة تسمى (جبارو JIPARRO) وقد استخدمت حيناً من الزمن مخزناً للتوابل والعطور الواردة لها من جزيرة تاروت ، ثم تحولت إلى منطقة سكنية مكشفة بالمباني ، وكانت على شكل بيضوي ، أو بالأحرى مربعاً مستطيلاً ، يحيطها - كما شاهدناها - سور منيع ، مبني من الصخور والحجارة ، ومُسيَّج بالحصص المصهور ، يبلغ سمكه ٧ أقدام وارتفاعه ٣٠ قدماً ، وتبرز بين جوانبه وزواياه أبراج عالية ، مستديرة الشكل (نصف دائرة) ، يبلغ عددها ١١ برجاً ، ويربط بينها جسرٌ على امتداد السور ، بعرض مترين في اعلاه ، حيث ينتقل عليه الحراس^(١٥) بخيولهم أثناء الليل من برج إلى برج للمراقبة ، وكان للقلعة أربع بوابات ضخمة ، مصفحة بالحديد ، تفتح نهاراً وتغلق ليلاً في أيام السلم ، ولكل بوابة باب صغير في وسطها يسمى (خوخة) ، يفتح عند الطواريء ، وتؤدي كل بوابة غرضاً معيناً ، فدروازة البحر هي المنفذ الوحيد لمينائها ، وتقع شرقاً ، كما أنَّ دروازة السوق وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية هي المدخل الرئيسي للسوق ، أما دروازة باب الشمال التي تقع في الجانب الغربي بين فريق الخان والزريب - فهي المنطلق إلى الريف ، وتعتبر الدروازة الرابعة التي تقع في الجانب الشمالي الشرقي المدخل إلى الكوت الذي يقع بموازاة الزاوية الشمالية الشرقية ، وهو حصن صغير كان قلعة دفاع في العهد التركي ، ثم أهمل شأنه ، واتخذ في العهد السعودي محطة

وتنقسم القلعة إلى أربعة أحياء ، تتخللها طرق ضيقة وسوايط مظلمة ، وأشهرها ساباط الظلما^(١٦) الذي يقع في الزريب ، فهناك فريق الخان ، ويقع في الجانب الغربي الجنوبي ، وفيه بئر عميقة ماؤها ضارب للمراة ، وهي عامة ، وفريق السدرة ، ويقع في الجانب الشرقي الجنوبي ، وفيه بئر عامة ماؤها ضارب إلى الملوحة ، وفريق الزريب ويقع في الجانب الشمالي الغربي ، وفيه بئر عامة تسمى (مغيوه) وهي أحلى الآبار يستقى منها جميع سكان القلعة ، رغم وجود الآبار في كل بيت . أما الجانب الشمالي الشرقي فيسمى فريق الوارش ، وبه ينبوع ماء يسبح على وجه الأرض ، ويسقي بعض النخيل الموجودة ، في ذلك الحي ، ثم يتجه شمالاً ويصب في البحر ، ثم عُمِلَتْ له قناة لتتجه مياهه إلى بركة مسجد الإمارة شرقاً ، ومن ثم توصل مجراها إلى البحر ، ويبدو أن لُسمَاء الأفرقة^(١٧) صلة وثيقة بتاريخ القلعة في بدء تأسيسها واتخاذها منطقة سكنية ، فالخان اسم فارسي معناه الفندق أو نزل المسافرين ، والزريب تصغير زرب ، وهو حظيرة المواشي ، والسدرة نسبة إلى شجرة نبت شهيبة بجودتها ، وهي من فصيلة هندية^(١٨) وأما الوارش فيظهر أنه كان في الأصل محط الدخلاء من ورش على القوم ، أي دَخَلَ بدون إذن ، ولم يُدْعَ للأكل^(١٩) ، كما يوجد في داخل القلعة — في الجانب الجنوبي والشرقي بمحاذاة السور — عدد من البساتين وتسمى دوالي تُسْقَى سَيْحاً^(٢٠) بواسطة قناة تنفذ إلى القلعة ، خلال فتحة في أسفل السور ، متصلة بباب الدويج ، الواقع في سبحة التوبي ، ويبدو أن المساحة المزروعة سابقاً أكثر مما رأيناه ، إذ من المحتمل أنها تمتد من دروازة السوق من مورد الكريدي حتى محلة الوارش .

وكان يوجد في القلعة أحد عشر مسجدًا ، أشهرها مسجد الراجحية والبرودة ، والخان ، وأهمها جامع المنارة وهو أقدم جامع بها ، ويقع على مقربة من دروازة السوق ، ويرجع بناؤه إلى القرن الثامن الهجري ، وقد كتب تاريخ بنائه على لوحة حجرية كانت موجودة في داخله ، ويقال : إن تأسيسه أبعد من هذا

التاريخ بكثير ، وقد رأيناه مهجوراً متداعياً البنان ولم يبق منه بصورة سليمة إلا مِئذنتُهُ المستديرة العالية ، التي يبلغ ارتفاعها نحواً من ٣٠ متراً ، والتي كانت تشرف على الحاضرة وضواحيها ، وكانت سابقاً تستخدم لأغراض استطلاعية حربية ، فأُصِيبَتْ بقذيفة مدفع ، فأُنْبِرَ جُزْؤُهَا الأَعْلَى - كما رأيناها - ثم قامت البلدية بتكملة الجزء المنهدم في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - واستخدمت لإنارة البلدة ، فكان يعلّق في أعلاها مصباح من الغاز قوته ٤٠٠ شمعة فتتير ماحولها ، أما الآن فقد أُزِيلَتْ تلك المئذنة كما أُزِيل الجامع القديم ، وجدد بناؤه واستعمل لإقامة صلاة الجمعة .

ويقدر (لوريمر) أطوال جهات القلعة بأربع مئة ياردة من الجهتين الشرقية والغربية ، و ٣٠٠ ياردة من الجهتين الشمالية والجنوبية ، كما يقدر سكانها بخمسة آلاف نسمة وأسواقها بـ ٣٠٠ محل تجاري^(٢١) وهذه الأسواق كانت تبدأ من دروازة السوق وتنتهي بالقرب من الدُّبَابِيَّة ، وهي الآن في موقع شارع الملك عبدالعزيز ، وهي عبارة عن سكة مسقوفة على شكل (جملون) بين صَفَيْن من الحوانيت ، تمتد من تقاطع شارع المدارس حتى تقاطع شارع جعفر الخطي ، ثم تنعطف إلى الغرب باتجاه الشارع نفسه حتى مؤخرة المدرسة الثانوية ، وكانت تسمى هذه الانعطافة (سوق الحرية) تنتهي ببوابة ضخمة تفتح نهراً وتغلق ليلاً .

وتقع ضواحي القلعة في الجهة الغربية والجنوبية منها ، وتكاد البساتين تحيط بها وبضواحيها من جانب ، باستثناء جهة البحر ، وقد تحولت الآن تلك البساتين التي تحيط بالقلعة وضواحيها إلى أحياء سكنية ، كما تحولت البساتين التي بجانب السوق كالصبيحة والدالية إلى أسواق عامرة .

أما الضواحي القديمة فكانت كالآتي :

١ - باب الشمال :

وسُمِّيَ بذلك لوقوعه مقابل البوابة الشمالية الغربية ، وأول الأحياء في الجهة الشمالية ، حيث يقع في الجهة الغربية من القلعة خارج السور مباشرة ، ويمتد

أهله صيد السمك والزراعة ، ويصفه (لوريمر) بأنه قرية غير مسورة ، تتكون من ٨٠ منزلاً ، ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ وصيد السمك ، ويملكون حدائق النخيل^(٢٢) .

٢ - الجسراري :

وسُمِّيَ بذلك لتركز صناعة الجرار وغيرها من الفخار ، حيث تُوجَدُ فيها الدُّوْعُ^(٢٣) وتقع إلى الجهة الغربية الجنوبية من باب الشمال ، وكان أهلها يمتهنون بالإضافة إلى ذلك تجارة سعف النخيل والجريد ، حيث تقع فيها المسامط^(٢٤) كما يوجد فيها أنوال الحُصْرِ المتخذة من الأسَل ، ووصفها (لوريمر) بأنها قرية مسورة تتكون من ٤٠ منزلاً ، معظمها أكواخ من سعف النخيل ، ويعمل أهلها بزراعة النخيل^(٢٥) .

٣ - المدارس :

ولعلها كانت في الأصل مركزاً للتعليم أو مجمع مدرسي في عهد سابق ، كما يدل على ذلك اسمها ، وهي تقع في الجنوب الغربي من القلعة ، ويصفها (لوريمر) بأنها قرية مسورة على بعد ١٥٠ ياردة من القلعة ، وتتكون من ١٢٠ منزلاً ، وأهلها يعملون بالتجارة والزراعة^(٢٥) .

٤ - الشريعة :

وهي لُغَةً مَوْرِدُ الشُّرْبِ ، ولا أعرف علة هذه التسمية ، وتقع إلى الجهة الجنوبية من القلعة ، ووصفها (لوريمر)^(٢٥) بأنها قرية مسورة على بعد ١٠٠ ياردة من القلعة ، تفصل بينها مقبرة وغابة من النخيل ، وتتكون من ١٢٠ منزلاً ، معظمها مبنية بالحجارة والطين^(٢٥) وأهلها يمتهنون التجارة ، وصيد الأسماك ، وتقع السوق في الجانب الغربي منها ، وإلى الجنوب منها ساحة أرضها جبلية (تسمى الجيلة) وهي مركز تجارة التمور ، كما يوجد في مدخل الجيلة مقهى عبارة عن نادٍ يجتمع فيه أعيان القطيف من الملاكين وسماسرة تجارة التمور .

٥ - مَيْسَاس :

ولا أعرف علة هذه التسمية ، وتقع في الزاوية الغربية الجنوبية بين سكة السوق وسكة الحرية ، وهي مسورة ، تحيط بها من الغرب والشمال غابة من النخيل ، ويصفها (لوريمر) بأنها على بعد ١٢٠ ياردة جنوب غربي القلعة ، وتتكون من ١٥٠ منزلا مبنية بالطين والحجارة ، وأهلها يشتغلون بالتجارة والزراعة^(٢٥) .

٦ - الكويكب :

تصغير كوكب ، تقع على ربع ميل من القلعة ، وكانت تحفُّ بها النخيل من كل جانب ، وهي مسورة كما يذكر (لوريمر)^(٢٥) تتكون من ٢٥٠ منزلا ، مبنية بالجص والحجارة ، وأهلها يشتغلون بالزراعة وصيد اللؤلؤ .

٧ - الدبابية :

تقع في الجهة الغربية الجنوبية من سوق الحرية ، وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب ، وتبعد عن القلعة - كما يذكر (لوريمر) بنحو نصف ميل ، وهي مسورة تتكون من ٢٥٠ منزلا أغلبها مبنية من الحجر والجص ، وتتخللها بعض الأكواخ ، ويعمل أهلها بزراعة النخيل ، حيث تلحق بها سيحة تسمى بأسمها ، ويملكون سبعة قوارب لصيد اللؤلؤ^(٢٥) وفي جانبها الشرقي عين عذبة ، تسمى باسمها بمحاذاة السور ، وتسقي النخيل المجاورة لها ، كما يستقي منها سكان القلعة وضواحيها ، وقد أقيم على مجراها بداخل البلدة حمام للرجال ، وآخر للنساء ، كما يوجد في الجانب الشرقي منها مقبرة عامة يدفن سكان الضواحي القرية منها موتاهم فيها .

هذه صورة للقلعة وضواحيها قبل ربع قرن تقريبا ، وقد شاهدناها كما وصفها (لوريمر) وسجلنا هذه الصورة للذكري والتاريخ ، وكانت تجسد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في ذلك الحين ، كما تخفي تحت أرضها كنوزا من الآثار المدفونة ، وتفصح مبانيها عن حكاية أمجاد الماضي . أما الآن فقد

اختفت هذه الصورة ، وهي في سبيلها إلى الاندثار بعد أن شُقَّت الشوارع فيها ،
وابتلعت المساكن والمتاجر مبانيها وبساتين النخيل التي كانت موجودة حولها .

القطيف : محمد سعيد المسلم

[الحواشي] :

- (١) « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد » ص ١٨٨ .
- (٢) المصدر نفسه ص ١٩٣ .
- (٣) ساحل الذهب الأسود ص ٢٧ .
- (٤) منطقة الخليج العربي خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ص ١٤٢ .
- (٥) العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٩٤ (٦) المصدر نفسه . ج ١ ص ٢١٨ .
- (٧) منطقة الخليج العربي ص ١٤٠ ، مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص ٣٧ .
- (٨) و(٩) منطقة الخليج العربي ص ١٤٠ .
- (١٠) ساحل الذهب الأسود ص ٥٣ .
- (١١) و(٢١) العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج ١ ص ١٩٤ .
- (١٣) اطلمت على بعض وثائق المبيعات ، فتعرف البائع والمشتري بأنه من أهل القرية إذا كان من سكان قلعة القطيف .
- (١٤) مؤسس الدولة الساسانية (٢٢٢ - ٢٤١ م) .
- (١٥) كانت الحراسة تفرض على الأهالي كمناية ليلية من القادرين على حمل السلاح .
- (١٦) أي المظلم وتحكي عنه أساطير ميثولوجية كمقر للجن والعفاريت .
- (١٧) جمع فريق وأصل المعنى الطائفة أو الجماعة من الناس إلا أنه يستخدم هنا بمعنى الحي اصطلاحاً .
- (١٨) كان مقرها ردة حسينية السدرة وثمرتها كبيرة مستطيلة الشكل لذينة الطعام .
- (١٩) كان هذا الحي تسكنه الطبقة الفقيرة .
- (٢٠) جمع دالية ربما كانت في الأصل مزارع للعنب وتتميز أرضها بالخصوبة ، وكانت تملكها بعض العائلات في عهدنا كآل الشماسي وآل المسلم وآل السنان وآل أبو السعود وكانت تسقى مرتين في الأسبوع ليلة الثلاثاء وصباح الخميس .
- (٢١) « دليل الخليج » ١٨٩١/٥ ومعلوماته تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .
- (٢٢) دليل الخليج ١٨٨١/٥ وقد نقل الأستاذ الجاسر نص ما ذكره لوريمر ثم قال : ولست على ثقة من صحة هذا الاسم فقد تكون الترجمة خاطئة ولوريجع إلى كتاب ساحل الذهب الأسود أو سأل أحد أبناء القطيف لصححوا معلوماته .
- (٢٣) جمع دَوْقَة اصطلاح محلي معناها فرن الفخار .
- (٢٤) جمع مسط محلي مسط الخوص من السعف من مسط الجدي نقاه من الشعر .
- (٢٥) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨١ وما بعدها .

كيف اتجهت إلى البادية ؟

[أنحف الأستاذ الباحث الواسع الإطلاع في تراث البادية وأحوالها الإجتماعية عامة ، روكس بن زائد العُزَيُزِي - أنحف صديقهُ رئيس تحرير هذه المجلة بنسخة من مذكراته التي عنوانها «أيام عشناها - ١٩٠٣/٨/٢٤» مادبا ١٩٨٧/٨/١٢ عمان، ولطرافة هذه المذكرات ولما يتمتع به الأستاذ العزيزي من سمو المتزلة في نفوس القراء - بل المثقفين عامة - مما يدفعهم إلى التطلع لمعرفة الكثير من أحوال هذا الباحث الجليل تقوم «العرب» بنشر لمحات من هذه المذكرات الطريفة].

أهو القدر؟ لست أدري ، فكلُّ يومٍ أنجُهِ إلى الدار من طريق معين ، فما الذي دعاني في هذا النهار العاصف من شباط سنة ١٩٢٢م وشآبيب المطر يصاحبها البردُ إلى المرور من باب دار الحكومة المسماة (المرابا) ؟

رأيت بدويًا من عُزَيانٍ (بني حميدة)^(١) يحيط به أربعة جُباة ، وهو يصرخ : (خذوا الفُحَمَاتِ وأعتقوني لوجه الله ، ذبحني البرد)!! فلما رأي هتف قائلاً - على طريقة البدو - : (يانشي أنا بوجهك) - أي أستجير بك - فأجبت بالطريقة البدوية : (وصلت) - أي انتهيت إلى من يحميك - .

كان أحدُ الجُباة قد نزع من الرجل عباءته ، والثاني انتزع خنجره - الشَّيرِيَّة - ، والثالث أخذَ الحبلَ المربوط حول كيس الفحم ، والرابع كان ممسكاً بِتَلَابِيْهِ !

قلت : (ارفعوا أيديكم عن الرجل) دفعتُ لهم ماطلبوا ، فانصرفوا ، وصحبتُ الرجل إلى الدار ، أدفأته ، وغيَّرتُ له ثَوْبَةَ اللَّبْتَلِ ، وباتَ ليلته ناعِمَ البال ، وفي الصباح دفعتُ له ثمن الفحم ، وساعته بما دفعت عنه ، وكان ألجؤُ قد صفا ،

وقبل أن يودع سألني قائلاً : (أنت خطيب ؟) - أي أنت متعلم ؟ أجبتُه : (أجل أنا خطيب) فقال : أكتب عني ، فأملّي علي قصيدة في مدحّي ، ليس هذا محل ذكرها^(٢) ، لقد أثر في عرفانه للجميل ، فقررت أن أدرس حياة هذا الشعب ، وكان ذلك حيناً علي ، لأنّي حاذق في ركوب الخيل ، وفرسي عندي ، فأخذت منذ ذلك التاريخ أدوّن كلّ ما يصل إليّ ، أو أصل إليه من حياة البدو ، عاداتهم ، تقاليدهم ، أسلوب حياتهم ، حكاياتهم ، أساطيرهم ، خرافاتهم ، اعتقاداتهم ، قصصهم البدوي ، مزاراتهم ، أشعارهم ، إلى غير ذلك . لكن كان غرضي هو الجمع ، إلى أن طلب مني أستاذي الأب أنستاس ماري الكرمل^(٣) أن أضع قاموساً للألفاظ الأردنية العامية ، لأن (مجمع اللغة العربية) في القاهرة يرغب في الحصول على مثل هذا العمل ، لأنه منذ إنشائه أسّس لجنة خاصة لتتقصى اللهجات العامية ، خدمة لـ (اللغة) الفصحى ، لمعرفة ما دخل في العامية من ألفاظ الأمم التي حكمت هذه الديار ، وما في العامية من ألفاظ أهلها المعاجم ، وأوصاني أن تكون الألفاظ مؤثقة بشواهد من الشعر أو الأمثال ، فاستقام لي من هذا المعجم الذي سمّيته «قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية» أربعة أجزاء ، الجزء الرابع خاصّ بسمات القبائل ، وصورها ، ودلالاتها الدينية .

فلما نهيت داري وكتبي سنة ١٩٤٨ في (القدس) أعدت مؤلفاتي المخطوطة من الذاكرة ، لأنّ الله من عليّ بذاكرة مصوّرة ، ولأنّ كلّ مساعيّ ومساعيّ الذين حاولوا مساعدتي في استعادة كتبي ومقتنياتي التي كانت تباع في عمّان ، ذهبّت مع الريح !.. أجل ، انكأْتُ على جِراحي ، وكنت كطبيب اختصاص ، يعالج وحيداً له من مرض عُضالٍ ، وقد طبعت كتبي كلها بأنفاقي الخاص ، إلا : -

١ - «قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية» الذي طبع مرتين ، وقد اهديت حقوقه كلها لأبناء الشهداء من القوات الأردنية المسلحة ، فطبعت الطبعة الأولى (دائرة الثقافة والفنون) وطبعة الطبعة الثانية (قيادة القوات المسلحة) .

٢ - «معلمة التراث الأردني» في خمسة أجزاء بـ (٢٩٠٠) صفحة من القطع

(تربة) : من أعراض نجد المشهورة قديما

رغب أحد الإخوة أن أوضح له موقع تربة في أي إقليم من أقاليم الجزيرة عند متقدمي علماء الجغرافية العرب ، وأن أورد نصوص أقوال بعضهم .

ويحسن أن ندرك قبل ذلك أن علماء الجغرافية المتقدمين حينما قسموا جزيرة العرب إلى أقاليمها المعروفة : الحجاز ونجد والعروض (اليامة والبحرين) واليمن — لاحظوا مميزات جغرافية ، وبسمات واضحة لكل إقليم ، إلا أن بعضهم كان يتأثر بالوضع الإداري للأقاليم في عهده ، عندما يُجَدَّدُ أحدها ، ومن هنا نشأ اختلاف في تحديد بعض الأقاليم بين المتقدمين ، مما يفهم منه التضارب في الآراء ، وما هو سوى تأثر بالوضع الإداري في عهد ذلك العالم الذي نُقِلَ عنه التعريف ، والتداخل بين الأقاليم من الناحية الإدارية معروف في كل عصر ، وخاصة حين تنعدم المميزات الجغرافية الواضحة . وسوف أحصر إجابة الأخ

الكبير ، طبعَتِ الجزء الأول والجزء الثاني (دائرة الثقافة والفنون) وطبعَتِ الجزء الثالث والجزء الرابع والجزء الخامس (وزارة السياحة) .

وقد ظَلُتْ علاقتي بالمجتمع البدوي تتجدد إلى يومنا هذا .

عمان : روكس بن زائد العريزي

المحاشي (من تحرير المجلة) :

١ - بنو حميدة : قال في كتاب «تاريخ شرق الأردن وقبائلها» - ص ٢٥٣ - : الأرجح أن بني حميدة هم

الحميدون ، من هلبا سويد ، من جذام انتهى . وجذام من القبائل القحطانية .

٢ - من تلك القصيدة :

(رؤيكس) غريب الاسم والرُب يزركاك بيتك وصل لـ(الصين) ويلاذ (شاما)

وآخرها :

لـ(أن) نبينا غيالتا ماسيناك ياملجي المظلوم ريف الإنسان :

٣ - توفي الأب انتاس سنة ١٣٦٦ عن عمر يناهز ٨٤ عاما .

الكريم في الناحية الجغرافية :

إنَّ المرءَ بالقاءِ نظرةٍ عامةٍ على جزيرة العرب يدرك الاختلافَ الطبيعي في وضع أقاليمها ، فهناك سهلٌ منخفض ، ممتدٌ بامتداد البحر الأحمر ، يعرف قديماً وحديثاً باسمي الغُور ، وتهامة ، فهو غور لانخفاضه بالنسبة للإقليم الممتد بمحاذاته شرقاً ، الذي يعرف باسم (الحجاز) وهذا القسم يمتد محاذياً لذلك السهل المنخفض من أقصى جنوب الجزيرة (اليمن) إلى أقصى شمالها من جهة (الشام) ويعتبر حاجزاً بين ذلك الإقليم المنخفض الذي هو (الغور) وبين أرض مرتفعة تقع شرقه هي ما يعرف باسم (نجد) .

وبالقاء نظرةٍ أخرى على شرق الجزيرة يلاحظ المرء أن هناك إقليمين مختلفين عن تلك الأراضي المرتفعة الواسعة الواقعة غرباً المحاذية للحجاز ، وهي (نجد) هذان الإقليمان تتغير طبيعة تكوينهما وتتغير مظهرهما ، وهما ما عُرِف قديماً باسم (العروض) فموقعهما بالنسبة للجزيرة يمتد معترضاً من الشمال إلى الجنوب ، وهما معروفان منذ القدم باسم (اليامة) و(البحرين) .

ولا يسع المقام تفصيل وصف تلك الأقاليم ، ولكن لا بُدَّ من إيراد بعض النصوص التي تدل بوضوح على وقوع منطقة تُرَبَّة في إقليم نجد :

١ - أورد البكريُّ في «معجم ما استعجم» - ص ١٠ - وصاحب كتاب «المناسك» وهو متقدم على زمن البكري - ص ٥٣٧ - عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ - : نَجْدٌ فيما بين الحجاز إلى الشام إلى العُدَيْب^(١) ، والطائف من نجد ، والمدينة من نجد . كما أورد البكريُّ أيضاً - ص ١٣ - : نجد ما بين جُرَش^(٢) إلى سَوَادِ الكوفة ، وأخِرُ حدوده مما يلي المغرب الحجازُ الأسود وهو سِراة شَنْوَةَ^(٣) .

٢ - وفي «معجم البلدان» عن الأصمعي : ما ارتفع من بطن الرَّمَةِ فهو نَجْدٌ إلى ثَنَيا ذاتِ عِرْقٍ^(٤) .

٣ - وفي «لسان العرب» و«تاج العروس» عن ابن الأعرابي : نَجْدٌ ما بين

العُدَيْبِ إلى ذات عِرْقٍ ، وإلى اليمامة ، وإلى اليمن ، وإلى جَبَلِ طَيْءٍ ومن المَرْبِدِ^(٥) إلى وَجْرة^(٦) .

٤ - وأورد علماء اللغة ومؤلفو كتب الأمثال المثل المشهور : (أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَنًا) وفسروه : بأنه إذا ارتفع من الغُورِ وشاهد ذلك الجبل فقد بلغ نجدًا .

٥ - بل هناك من النصوص ما هو أوضح وأصرح ، فقد ذكر البكري في «معجم ما استعجم» - ص ٣٠٩ - مانصه : تُرْبَةٌ من غَالِيف مكة النجدية وهي : الطائف وقرن المنازل^(٧) وعكاظ ونجران وتُرْبَةٌ وبِيشة وتَبَالَة والهَجيرة وكُنْتَنَة^(٨) وجُرَش .

٦ - وقال عن أعراض نجد - ص ٩ - : أعراضُ نجد بيشة وتَرْجُ^(٩) وتَبَالَة والمراغة ورُتْبَة . انتهى . والأعراضُ جَمْعُ عِرْضٍ ، وَالْعِرْضُ هو الوادي المأهول ذو القرى والنخيل والمزارع .

٧ - وفي «صفة جزيرة العرب» - ص ٣٨٣ - : أبِلْدَة^(١٠) ما بين الحَرَّة وناهية (؟) وبها وادٍ عظيم من أعظم أعراض نجد يسمى تُرْبَة ، إذ سال سال مُدَّة .

٨ - وكانت الحرة الواقعة جنوب تُرْبَة المعروفة الآن باسم (حرة البقوم) كانت تدعى حَرَّة نَجْدٍ ، وقد أورد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ص ٣٨٢ - عند ذكرها هذا البيت :

حَرَّة نَجْدٍ لَأَسْقِيَتْ الْمَطَرَا مِنْ الْكَرَاعِيْنَ إِلَى وَادِي كَرَا

٩ - وقال - ص ٣٨٠ - : بُعْطَانُ بلد الخثعم ، ينسب إليه بيشة ، وهو أحد أعراض نجد الكبار . انتهى . إن تلك النصوص لا تدع مجالاً للشك في أن منطقة تربة معدودة من إقليم نجد ، فهي واقعة شرق الطائف بمسافة طويلة ، كما أنها شرق سراة شنوء ، وهي بالنسبة إلى حضن الجبل الذي ورد فيه المثل المشهور تقع في الجنوب الشرقي منه ، فالجبل يقع على خط الطول : ٤١/٢٥° وتربة على خط الطول : ٤١/٣٩° فهي تقع شرقاً بالنسبة لموقع الجبل المذكور بـ (٣٤) دقيقة جغرافية ، كما أنها تقع على خط العرض : ٢١/٢٣° وجبل حضن على :

٢٧/٠٢° - انظر كتاب «معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة»
للدكتور أسعد سليمان عبده (ص ١٠٦ و ١٥٣).

وحدود نجد عند متقدمي الجغرافيين العرب بالنسبة إلى ذلك الجبل - جبل
حَضْنٍ - تمتد غربه بمسافة بعيدة ، لأن الطائف يقع في الجنوب الغربي منه ، ولأن
المرء المتجه صوب نَجْدٍ حين يجتاز الجبال المحيطة بالطائف إلى سَهْلٍ رُكْبَةٍ يشاهد
ذلك الجبل عن بُعْدٍ ، ومن ثَمَّ يعتبر قَدْ أنجد - أي بلغ نجداً - .
وفي النصوص الأخرى ما يوضح أن تربة من أعراس نجد كَبِيشَةَ وَرْنِيَّةَ
وترج .

وتدعو المناسبة لإيراد تعريف موجز لـ(تربة) يتصل بماضيها :

ضبط الاسم : تربة - بضم الفاء وفتح الراء ، لأكما ينطق بعض العامة فيفتح
التاء ، والاسم يطلق على وادٍ ذي قرى ونخل وزرع وفيه مدينة بهذا الاسم ،
وهذا الوادي تنحدر فروعه من سراة غامد ، وأعلى الوادي يدعى (أبيدة) وتحذف
العامة همزته من قبيل التخفيف فتقول : (بيدة) وفروع الوادي تنحدر من أعالي
السراة كما نقل صاحب «معجم البلدان» عن الهمداني : تربة وَرْنِيَّةَ وبِيشة هذه
الثلاثة أودية ضخام أسافلها في نجد ، وأعاليها في السراة .

وقد قلت عن هذا الوادي في كتاب «في سراة غامد وزهران» - ص ٢١ -
مانصه : هذا الوادي من أشهر أودية جزيرة العرب ، التي تخترق قسماً من سراة
الحجاز ، منحدره صوب نجد ، مارةً بمدينة تربة ، فالخرمة ، ثم يجتمع بالأودية
التي تحول بين استمرارها في الصحراء رمال نفود سُبَيْعٍ ، وقد يطغى سيل هذه
الأودية فتخترق الرمال ، وتفيض مشرقة . ولهذا الوادي أسماء مختلفة ، كل يطلق
على جزء منه ، فوادي أبيدة لا يشمل كل الوادي ، وإنما يطلق الآن على أعلاه ،
أو بمعنى أصح أحد فروع وادي تربة ، وهذا الفرع ينحدر من بلاد بني سار ،
شمال بلدة الباحة - قَاعِدَةُ الإمارة - بقرب الدرجة ٤١/٢٨° طولاً شرقياً
و ٢٠/٦° عرضاً شمالياً ، ويستمر مُشْجِلاً منحدرًا من الجبال ، حتى يجتمع بوادي

عَرَدَات (عردة) الواقع غربه ، والمنحدر من جبال إبراهيم ، أعلى قِمَّة في هذه السراة الذي يبلغ ارتفاعه ٢٤٠٠ متر ، ومما حوله من الجبال في بلاد بني مالك ، ويجتمع الواديان بقرب الدرجة ٤١/٢٩° طولاً ٥٥/٢٠° عرضاً ، أي أن الوادي الذي يطلق عليه اسم بيدة ، يبلغ طوله من أعلى فروعه إلى اجتماعه بوادي عَرْدَة ١٥٠ كيلاً تقريباً ، فإذا اجتمع الواديان أُطْلِقَ عليهما وادي تُرْبَة ، كما أن اسم وادي تُرْبَة يطلق أيضاً على وادٍ عظيم يخترق سراة زهران وتقع على شواطئه أكثر قرى القبيلة ، ويقع بين وادي أبيدة ووادي عَرْدَة ، ثم يجتمع بوادي عَرْدَة قبل اجتماع هذا الوادي بوادي أبيدة .

وأبيدة — بكسر الباء — لها شهرة كبيرة في كتب الأدب والتاريخ إلى عهد قريب ، ومن المعروف أن كثيراً من قبائل العرب يسهلون الهمزة ، وقد يحذفونها ، ومن هنا نشأ اسم (بيدة) بحذف الهمزة من قبيل التسهيل ، وعُرِفَت بيدة هذه بأنها من أهم البلاد التي كانت تُحْدُ غرب الجزيرة بأنواع من المنسوجات من العباءات ، والفرش ، يسمى كل واحد منها يَيْدِي ، نسبة إلى بيدة . إلى آخر ماورد في ذلك الكتاب عن وادي أبيدة .

وكان سكان وادي تُرْبَة قديماً من فروع هوازن من مضر من عدنان وفيها ورد المثل : (عرف بَطْنِي بَطْنُ تُرْبَة) قاله عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، من بني عامر من هوازن ، فقد غاب عن قومه مدة من الزمن ، فلما عاد إلى تُرْبَة وهي أرضه التي وَلِدَ فيها أُلْصَقُ بَطْنُهُ بِأَرْضِهَا فوجد في ذلك راحةً فقال ذلك المثل .

وفي كتاب «بلاد العرب» — ص ١٠٩ — : ولِلضَّبَابِ بُرْبَة وهو وادٍ طوله ثلاث ليال به النخل والزرع والفواكه والأشجار ويشاركهم فيه هلال ، وعامر بن ربيعة ، والمسمى لهم الجَزْعُ جَزْعُ بني كودرة وهو مسيرة يومين على وجه واحد . انتهى . والضَّبَابِ وبنو هلال وبنو عامر من هوازن .

وبعد ظهور الإسلام أرسل الرسول ﷺ سرية إلى تُرْبَة في شعبان سنة سبع من الهجرة بقيادة عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عَجْرِ هَوَازِنِ بِرْبَة ، فخرج ومعه دليل من بني هلال ، فكان يسير الليل وَيَكْمُنُ النهار ، فأتى الحَبْرُ هَوَازِنِ

فهربوا ، وجاء عمر بن الخطاب فحاشَهُمْ فلم يَلْقَ منهم أحداً ، فانصرف راجعاً إلى المدينة — «مغازي الواقدي» ٧٢٢/٢ و«طبقات ابن سعد» ١٧٧/٢ .

أما في عصرنا الحاضر فسكان منطقة تربة البقوم ، وهم من الأزديين من قحطان ، وفي المنطقة قرى كثيرة وقد قام أحد أبناء هذه البلاد بوضع مؤلف عنها ، فصل فيه فروع القبيلة ، وعدد القرى ، وذكر المواضع الشهيرة ، وهو الأخ رداد بن ناصر البقمي واسم كتابه «أمكنة باب الحجاز ونسب قبيلة البقوم» .

ولعل من أشهر حوادث عصرنا وقعة تربة التي حدثت سنة ١٣٣٧هـ فكانت مفتاح خير لهذه المملكة ، بحيث كانت من وسائل توحيد أجزائها ، وشمولها بحكم عادلٍ هيا لها الأمن والاستقرار ، وقوى أواصر الإخاء والمحبة في نفوس مواطنيها .

وعلى ذكر تلك الحادثة يحسن التنبيه إلى خطأ وقع فيه الأستاذ أمين الريحاني في كتابه «نجد وملحقاته» ففي ص ٢٤٩ منشورات الفاخرية في الرياض قال مانصه : تربة والخزعة : لا بُدَّ عند هذا الحد من كلمة هاتين البلدتين ، وقد أثارتنا الحرب بين نجد والحجاز . الخزعة هي على مسافة خمسين ميلاً من حَضَنٍ إلى الشرق ، وتربة هي على مسافة خمسة وسبعين ميلاً منه إلى الجنوب ، وجبل حَضَنٍ هذا هو في التقاليد الحد الفاصل بين نجد والحجاز ، فقد جاء في الحديث : من رأى حَضَنًا فقد أنجد .

من هذه الوجهة إذن تكون البلدتان في نجد . انتهى إلى آخر ما ذكر ، فقله : (فقد جاء في الحديث) خطأ إذ ذلك القول مَثَلٌ وليس حديثاً نبوياً ، ولعل هذا ناشيء عن جهله بمدلول كلمة (الحديث) عند علماء المسلمين .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

١ - العُذَيْب : على مقربة من الكوفة في حدود العراق .

٢ - جُرَش : الموضع الأثري الواقع بقرب مدينة أبا .

ما اتفق لفظه واقترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٨٤/٥٤٨ هـ)

- ٥٠ -

٢٣٧ - باب جَيْشٍ ، وَحُبْسٍ وَجَبْسٍ ، وَخَيْسٍ ، وَحَبْشٍ ، وَخَيْسٍ^(١)
أما الأول : - بعد الجيم المفتوحة ياء تحتها نقطتان ساكنة ، وآخره سين
معجمة : أولات الجيش قرب المدينة ، واد بين ذي الحليفة وبران^(٢) .
وهو إحدى مراحل رسول الله ﷺ إلى بدر وإحدى مراحل منصرفه من غزوة
بني المصطلق ، وهناك حبس رسول الله ﷺ في إيتاء عقبة عائشة رضي الله عنها ،
ونزلت آية التيمم^(٣) .
وأما الثاني : أوله حاء مهملة مضمومة بعدها باء موحدة ساكنة ، وآخره سين
مهملة : موضع بين حرة بني سليم وبين السوارقية . وفي حديث عبد الله بن
حبشي : نخرج نارا من حبس سبل^(٤) .
وأما الثالث : بكسر الحاء ، والباقي نحو الذي قبله : جبل في ديار أسد .
وقال الفتيبي عن الأصمعي : وبلاد أسد الحبس والقنان ، وأبان الأبيض ،
وأبان الأسود إلى الرمة ، والحيمان جى ضربة ، وجمى الربرة ، والدو ،
والصمان ، والدنهان في شق بني تميم^(٥) .

-
- ٣ - ازد شودة : فرع من فروع الازد الذين بقاياهم رجال الحجر وغامد وزهران وغيرهم .
 - ٤ - ذات عرق : تعرف الآن باسم الضريبة في أعلى وادي نخلة البليانة .
 - ٥ - البربد : هو مريد البصرة السوق المعروف قديماً .
 - ٦ - وجره : جانب من صحراء ركة .
 - ٧ - قرن المنازل : هو السيل الكبير .
 - ٨ - الحجيرة وكنته : موضعان في بلاد قطان ورد تحديد موقعهما في مجلة «العرب» في مواضع كثيرة .
 - ٩ - نرج : واد مشهور من روافد وادي تربة تحدث عنه فضيلة الدكتور جابر الطيب بن علي في مجلة «العرب» .
 - ١٠ - أبيدة : ينطق الآن (بيدة) وهو أعلى وادي تربة ، نجد وصفاً مفصلاً له في كتاب «في سرات غامد وزهران» .
 - ١١ - بقطان : من روافد وادي بيشة .

وَأَمَّا الرَّابِعُ : بفتح الحاء ثَلَاثًا يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ سَاكِئَةٌ ، وَآخِرُهُ سِينٌ مُهْمَلَةٌ :
شُعْبُ الْحَيْسِ بِالشَّرْبَةِ فِي دِيَارِ فَرَازَةَ ، قِيلَ : سُمِّيَ بِهِ لِأَن حَمْلَ بَنٍ بِذِرٍ مَلَأَ دِلَاءً
مِنَ الْحَيْسِ وَوَضَعَهَا فِي هَذَا الشُّعْبِ ، وَلَهُ قِصَّةٌ (٧) .

وَأَمَّا الْخَامِسُ : بَعْدَ الْحَاءِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَآخِرُهُ شِينٌ مُعْجَمَةٌ : ذَرْبُ
الْحَبَشِ بِالْبَصْرِ ، فِي خُطَّةٍ هُذَيْلٍ ، نُسِبَ إِلَى حَبَشٍ أَسْكَنَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْبَصْرَةِ ، وَهَنَّاكَ مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ (٨) .

وَقَصْرُ حَبَشٍ مُوَضِعٌ قُرْبَ تَكْرِيتٍ فِيهِ مَزَارِعُ شُرْبِهَا مِنَ الْإِسْحَاقِيِّ (٩) .
وَأَمَّا السَّادِسُ : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ سَاكِئَةٌ ،
وَآخِرُهُ سِينٌ مُهْمَلَةٌ : مِنْ بُلْدَانِ صَعِيدِ مِصْرَ ، مِنْ فُتُوحِ خَارِجَةِ بَنِي حُذَافَةَ ، إِلَيْهَا
يُنْسَبُ الْبَقَرُ الْحَيْسِيَّةُ (١٠) .

(١) فِي كِتَابِ نَصْرِ : (بَابُ الْحَسَنِ ، وَالْحَيْسِ ، وَالْحَيْشِ ، وَالْحَيْسِ ، وَالْحَيْشِ ، وَالْحَيْشِ ، وَخَشِرٍ ، وَخَشِرٍ ، وَخَشِرٍ) .

(١) الْأَتُ الْجَيْشُ : جَنْدُ نَصْرِ : ذَاتُ الْجَيْشِ : مُوَضِعٌ قُرْبَ الْمَدِينَةِ . انْتَهَى . وَلَقَدْ عُمِيَ الْمُتَقَدِّمُونَ بِتَحْيِيدِ
هَذَا الْمَوْضِعِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِمَقَاتِ الْإِحْرَامِ ، لِوُقُوعِهِ فِي طَرِيقِ الرُّسُولِ ﷺ فِي غَزْوَتِي بَنِي وَهَبِ
الْمُصْطَلِقِ ، وَلِتَرْوُلِ آيَةِ التَّيْمُمِ فِيهِ ، جِئْتُ فَقُلْتُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَقَدَهَا فَبَيَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
- وَمَعَهُ الْجَيْشُ عَلَى غَيْرِ مَا لِيَبْحَثَ عَنِ الْعَقْدِ ، وَلِكُونِهِ مِنْ حُدُودِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ خَلَدَ الْمُتَقَدِّمُونَ
الْمَسَافَةَ بَيْنَ ذِي الْخَلِيفَةِ - مَكَانِ الْإِحْرَامِ الْمَعْرُوفِ - وَبَيْنَ ذَاتِ الْجَيْشِ الَّتِي جُهِلَ اسْمُهَا الْآنَ بَمَا بَيْنَ
الْمَدِينَةِ إِلَى نَحْوِ الْعَشْرَةِ - كَمَا تَرَى هَذَا فِي «مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» وَ«وَقَاءِ الْوَقَاءِ» وَلَعَلَّ هَذَا التَّفَلُّوْتُ فِي
التَّحْيِيدِ نَاشِئٌ بِالنَّظَرِ لِمَوَاقِفِ الْمَوْضِعِ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا أَقْرَبُ إِلَى ذِي الْخَلِيفَةِ فَالْمَسَافَةُ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ
بَصِيرَةً ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا لِمَسَافَتِهِ أَبْعَدَ ، وَقَدْ أوردَ السُّمَّهَوْدِيُّ أَحَادِيثَ وَأَخْبَارًا كَثِيرَةً فِي تَحْيِيدِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ
فِي «وَقَاءِ الْوَقَاءِ» ٩٧/١ - وَمِنْهَا عَنْ كُتُبِ بَنِي مَالِكٍ : أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْلَمْتُ عَلَى الْحَرَمِ ، عَلَى
شَرْفِ ذَاتِ الْجَيْشِ ، وَعَلَى شَرْبِ ، وَعَلَى أَشْرَافِ نَجْدِ ، وَنَقَلَ فِي شَرْحِ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ زُبَيْلَةَ ذَاتُ
الْجَيْشِ لَقَبَ ثَنَةَ الْخَفِيرَةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . . . كَمَا نَقَلَ عَنِ الْمَجَرِيِّ : ذَاتُ الْجَيْشِ شُعْبَةٌ عَلَى بَيْنِ
الْمَخَارِجِ إِلَى مَكَّةَ بِحِذَاءِ الْخَفِيرَةِ وَصُدْرُ الْخَفِيرَةِ يَذْفَعُ فِي ذَاتِ الْجَيْشِ ، وَذَاتُ الْجَيْشِ تَذْفَعُ فِي وَادِي أَبِي
كَبِيرٍ فَوْقَ مَسْجِدِ الْحَرَمِ ، وَالْمَعْرَسِ ، وَطَرَفِ أَكْظَمِ الْعَرَبِ يَذْفَعُ فِي ذَاتِ الْجَيْشِ . وَأَضَافَ
السُّمَّهَوْدِيُّ : أَكْظَمُ - وَيُقَالُ أَكْظَمُ - جَبَلٌ مَعْرُوفٌ الْيَوْمَ عَلَى جَانِبِ مَكَّةَ قَالَ الْمَطْرِيُّ : وَهُوَ فِي شَايِ ذَاتِ
الْجَيْشِ . وَقَالَ السُّمَّهَوْدِيُّ - ص ٩٩ - تَعْلِقًا عَلَى قَوْلِ ابْنِ زُبَيْلَةَ أَنَّ ذَاتَ الْجَيْشِ لَقَبُ ثَنَةِ الْخَفِيرَةِ :
فَلَعَلَّهَا ثَنَةُ الْجَبَلِ الَّتِي السَّمَى الْيَوْمَ بِـ (مَفْرُوحٍ) وَهَنَّاكَ وَإِذْ قِيلَ وَادِي ثُرَيْبَانَ يُسَمُّونَهُ سُهْمَانَ يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ
الْوُصْفُ لِلذَّكُورِ ، وَهُوَ مُوَالِقٌ لِقَوْلِهِ مَنْ قَالَ : ذَاتُ الْجَيْشِ وَادِي بَيْنَ ذِي الْخَلِيفَةِ وَثُرَيْبَانَ ، فَأُطْلِقَ اسْمُهَا
عَلَى الْوَادِي الَّتِي هِيَ فِيهِ . انْتَهَى وَنَقَلَ السُّمَّهَوْدِيُّ أَيْضًا عَنِ الْمَطْرِيِّ : هِيَ وَسَطُ الْبِيَدَاءِ ، وَالْبِيَدَاءُ هِيَ
الَّتِي إِذَا رَحَلَ الْحَاجُّ مِنْ ذِي الْخَلِيفَةِ اسْتَقْبَلُوهَا مُصْبِحِينَ إِلَى جَهَةِ الْغَرْبِ ، وَهِيَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ .

انتهى . وأضيف : يظهر أن ثبوت الحفيرة التي يرى ابن زبلة أنها ذات الجيش هي الرّبع الذي في جبل مفرح (مفرحات) ومثل هذا الجبل ما اتجه منه شرقاً اجتمع بسيل وادي العقيق ، وهوذات الجيش ، وما اتجه غرباً جنوباً انحدر في وادي تزيان ، وأعلى سيل ذات الجيش يتعد عن ذي الحليفة نحو ثمان عشرة كيلو (أي ما يقرب من عشرة أميال) وأسفل الوادي متصل بالعقيق على مقربة من غل الإحرام ، وبهذا يتضح التوفيق بين ما نقل ياقوت في «معجم البلدان» : ذات الجيش جعلها بعضهم من العقيق بالمدينة ، وبين الأقوال الأخرى التي يفهم منها قربها من تزيان .

وذات الجيش من المواضع التي تغني بعض الشعراء بذكرها ، عزوة بن أذينة وجعفر بن الزبير . ومفرح من الأسباه الحديثة ، حيث تشاهد من مرتفعاته أنوار المسجد النبوي ، فمفرح الزوار . (٢) بزنان : كذا ضبطه الحازمي فيما تقدم من كتابه ، وكذا ورد في خطوطي كتابه في هذا الموضع . وكذا ضبطه ياقوت في «معجم البلدان» في حرف الباء ويتعد الرأ الساجية ثاة مثناة وألف ونون ، وقال : وإد بين ملل وألات الجيش ، كان عليه طريق النبي ﷺ إلى بدر ، وبه كان أحد منازلهم . انتهى . وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الضبط في الكلام على (باب بزنان وبزنان) في «العرب» ص ١٤ ص ٨٩٧ - وقد تأثر ياقوت بضبط الحازمي في هذا الباب ، ولكنه ذكر الاسم صحيحاً في موضعه من حرف التاء (تزيان) فقال : وتزيان أيضاً قال أبو زياد الكلابي : هو وإد بين ذات الجيش وملل والسبالة ، على المحمية نفسها ، فيه بياض كثيرة مريّة ، غزها رسول الله ﷺ في عزوة بدر ، وبها كان منزل عزوة بن أذينة الشاعر الكلابي (الكلابي خطأ) ثم أورد شعره بكثير وغيره .

ولما أورد السهوي في «وفاء الوفاء» - ١١٤٦ - كلام الحازمي ومن تابعه في (بزنان) أضاف : ولعله تصحيف تزيان - بالهاء المشددة - قاله المجد ، وهو كما ظن لما سأتى ، يعني عقد الدين القيروزي بادي . في كتابه «الغمام المطاية في معالم طابة» ثم أورد السهوي في رسم تزيان بعض ما ذكر ياقوت عن أبي زياد ، وأضاف : وقال ابن هشام في الميسر إلى بدر : قال ابن إسحاق : فسلك على نعب المدينة ، ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش - قال ابن هشام : ذات الجيش ، ثم مر على تزيان ، ثم على ملل . هكذا في أصل مخطوطة . وتقدم في حدود الحرم أن ذات الجيش نصب ثبوت الحفيرة ، قال الأسدي : بين الحفيرة وبين ملل ستة أميال انتهى ، فتزيان فيما بين ذلك وبين ثبوت مفرح موضع يقال له سهان .

وأضيف إلى ما تقدم أن وادي تزيان لا يزال معروفًا ، تمتد فروعه من المرتفعات المعروفة باسم (مفرحات) في اتجاه الغرب حتى يجتمع بوادي ملل المعروف أيضاً . ويتعد تزيان عن المدينة في وسطه بنحو ٢٥ كيلو .

(٣) خبر العزوتين مع وصف الطريق النبوي فيهما . وقصة عقد عائشة ونزول آية التيمم ، كل ذلك مفصل في كتب السيرة النبوية ، وفي كتب التفسير .

(٤) حبس سيل - أوردته نصر مفتوح الحاء في مخطوطة كتابه قاللاً : وخس سيل : إخذى خري سليم ، وهما خرتان بينهما فضاء ، كلتاهما أقل من ميلين ، وقيل : هورين خرة بني سليم وبين السواقية ، فيه حديث عبدالله بن حبشي : فخرج نازر من حبس سيل - انتهى - وفوق الماء من مخطوطة نص من كلمة (سيل) سكون ، مع أن ياقوت ضبطها بالفتح وقال إن الاسم مرملج ، وأورد في «المعجم» قولني نصر والحازمي غير منسوين ، مع قولين للأصمعي والزحسري يتعلقان ببجل الحبس الذي سباني الكلام عليه بعد هذا . ويظهر أن حبس سيل هو الذي سماه المجري حبس عوال ، إذ قال : خرة بني سليم تبدي من

ذات عِزِّي وزهاط ، ثُمَّ تَنْقَطِعُ بِحُجُسِ عُوَالٍ ، وَرَاءَ نَيْبٍ ، إِلَى قُرْبِ الطَّرَفِ « أَبُو عَلِيٍّ الْمَجْرِي » - ٢٣١ - وَقَوْلُ نَصْرِ عَنْ حَرْقِي بَنِي سُلَيْمٍ : كَلَّمَاهَا أَقْلٌ مِنْ بَيْنَلَيْسَ صَاحِبًا فَحَرَّةٌ بِبَنِي سُلَيْمٍ مُتَمَدَّةٌ مِنْ قُرْبِ ذَاتِ عِزِّي (الضَّرِيَّة) إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنَ الطَّرَفِ (الصُّوَيْدَرَة) شَرْقَ الْمَدِينَةِ ، وَيَتَخَلَّلُهَا أَوْدِيَةٌ وَاسِعَةٌ . وَلَعَلَّ مُرَادَ نَصْرِ الْفَضَاءَ الْفَاصِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ حَرَّةِ هَرَمَةَ ، وَأَنَّ هَذِهِ كَانَتْ تُعْتَبَرُ حَرَّةً ثَانِيَةً لِبَنِي سُلَيْمٍ ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِحَزْمِ بَنِي عُوَالٍ - كَمَا فِي رِسَالَةِ « أَصْنَافِ جِبَالِ هِمْلَةَ » الْبَرَامِ - ص ٤٢٤ - وَنَصَّهُ : الطَّرَفُ لِمَنْ أُمَّ الْمَدِينَةَ ، تَكْتِفُهُ ثَلَاثَةُ جِبَالٍ أَحَدُهَا ظَلِيمٌ ، وَحَزْمُ بَنِي عُوَالٍ ، وَهِيَ جَبِيحًا لَغَطْفَانٍ ، وَفِي عُوَالٍ أَبَارٌ مِنْهَا بِثَرِّ آلِيَةِ ، وَبِثَرِّ هَرَمَةَ ، وَبِثَرِّ عُمَيْرٍ وَبِثَرِّ السُّنْدَةِ . انْتَهَى وَقَدْ رُسِمَ اسْمُ هَذَا الْحَزْمِ فِي الْمَصُورِ الْجُغْرَافِيِّ (حَرَّةُ كَرَمَاء) بِمَحْرِيفِ هَرَمَةَ ، وَيُظْهِرُ أَنَّ هَذِهِ النَّارُ هِيَ الَّتِي تُحَدِّثُ صَهَا مُؤَرَّخُو الْمَدِينَةِ ، وَفَصَّلَ خَبَرَهَا السُّنْهُوْدِيُّ فِي « وَقَاءِ الْوَفَاءِ » - ص ١٣٩ إِلَى ١٥٠ ، وَمُلَخَّصُ الْخَبَرِ أَنَّهُ فِي أَوَّلِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَبَسَتْ وَبَعَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ مُتَابِعَةٌ أَغْبَقَتْهَا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنَ الشَّهْرِ ثَوْرَةٌ بَرَّكَانٍ صَارَ يَقْدِفُ بِالنَّارِ الشَّدِيدَةِ وَالْدُخَانِ الْمُرْفِعِ الْكَثِيفِ فِي صَدْرِ وَادٍ يُسَمَّى الْأَخْلَيْلِينَ ، عَلَى طَرِيقِ السُّوَارِيَّةِ عَلَى مَرَحَلَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَزَلْ النَّارُ تَسِيلُ مِنْ ذَلِكَ الْبَرَّكَانِ ، مُتَحَدِّدَةً مَعَ وَادِي الشُّطَاةِ حَتَّى تَجَاوَزَتْ حَرَّةَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَتَحَلَّفَتْ جَبَلُ أَحْبَدٍ ، فَخَمَدَ ثَوْرَانُ الْبَرَّكَانِ ، وَقَدْ تَرَكَبَ النَّارُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْأَحْجَارِ مَا يَبْلُغُ أَرْبَعًا وَمِائَةً طَوِيلٍ عَلَى الْأَرْضِ الصُّلْبَةِ ، وَانْقَطَعَ وَادِي الشُّطَاةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَصَارَ إِذْ سَالَ بِحُجُسِ سَيْلِهِ خَلْفَ مَا تَرَاكَمَ لَهُ مِنَ الْأَحْجَارِ ، وَصَارَ هَذَا السُّدُّ يُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِ (الْحَبْسِ) وَيَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ نَحْوَ ٣٥ كِيلَا ، وَقَدْ جُلِدَ لِقُرْفِ بَسَدِ الْعَاقُولِ ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ سَبَقَ أَنْ أَتَتْهُ سُدٌّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ قَالَ السُّنْهُوْدِيُّ : وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يُسَمُّونَ السُّدَّ بَيْنَا أُحْدِثْتُهُ النَّارُ بِالْحَبْسِ ، وَفِي كَلَامِهِ يَأْقُوتُ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ يُسَمَّى بِالسُّدِّ قَبْلَ هَذِهِ النَّارِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ وَادِي قَنَاةٍ عِنْدَ السُّدِّ يُسَمُّونَ الشُّطَاةَ . انْتَهَى . وَلَمْ أَرَ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ مِنَ « مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ » وَلَكِنْ عَرَفْتُ فِي رِسَالَةِ « أَصْنَافِ جِبَالِ هِمْلَةَ » ذَكَرَ السُّدَّ ، وَأَنَّ بَيْنَهُ قَنَاةً إِلَى قَبَاءِ ، وَأَنَّ شَوْرَانَ يُشْرِفُ عَلَى السُّدِّ . وَمَوْضِعُ حُدُوثِ الْبَرَّكَانِ يَقْرُبُ مِنَ الْمَكَانِ الْوَادِي فِي كَلَامِهِ الْمَجْرِي وَنَصْرٍ ، لَا الْقَوْلَ بِأَنَّهُ بَيْنَ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَبَيْنَ السُّوَارِيَّةِ ، فَهُوَ دُونَ السُّوَارِيَّةِ بِمَسَافَةِ طَوِيلَةٍ .

وَفِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ سَأَلَ : أَيْنَ جَبَسُ سَيْلٍ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ بَيْنَهُ نَارٌ تُغْصِي مِنْهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ هُوَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : هُوَ قُلُوقٌ فِي الْحَرَّةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا مَاءٌ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ أُمَّةٌ لَوَسِعَتْهُمْ . وَجَبَسُ سَيْلٍ : اسْمُ مَوْضِعٍ بِحَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ السُّوَارِيَّةِ مَسِيرَةٌ يَوْمٍ إِلَى آخِرٍ مَا ذَكَرَ قَائِلُ تَرَاهُ حُدُودَ الْمَسَافَةِ (بَيْنَهَا) - وَلَعَلَّهُ يَقْصُدُ الْبَقْعَةَ - وَبَيْنَ السُّوَارِيَّةِ بِمَسِيرَةِ يَوْمٍ ، وَقَوْلُهُ - فِي تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ : هُوَ مِنْ ذَلِكَ ، رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ فِي مَعْنَى الْحَبْسِ : هُوَ كُلُّ مَا سُدَّ بِهِ تَجَرَى الْوَادِي لِيُحْبَسَ الْمَاءُ لِيَشْرَبَ الْقَوْمُ وَيَسْقُوا أَمْوَالَهُمْ .

وَفِي الطَّرَفِ الْغَرْبِيِّ الْجَنُوبِيِّ مِنْ حَزْمِ بَنِي عُوَالٍ (حَرَّةُ الْهَرَمَةِ) حَيْثُ يَجْتَمِعُ أَوْدِيَةُ الْجَبَاكِيَّةِ (تَخْلُ قَدِيمًا) وَالشُّفْرَةُ وَغَيْرُهَا ، شِمَالُ قَاعِ حَضْرَوِيِّ تَبَرُّزُ آثَارُ بَرَّكَانِيَّةٍ (بِقَرَبِ خَطِّ الْعَرْضِ : ٢٤٠/٠) وَخَطِّ الطُّولِ : ٤٠/٠) لَيْسَ مِنَ الْمُسْتَعْدَّ أَنْ تَكُونَ آثَارُ نَارٍ بِحُجُسِ سَيْلٍ .

وَقَدْ أَغْرَبَ صَاحِبُ « نَاجِ الْعُرُوسِ » فِي مُسْتَدْرَكِهِ إِذْ قَالَ : وَحَبْسُ سَيْلٍ : إِحْدَى قُرَى سُلَيْمٍ وَهِيَ حَرَّتَانِ - إِلَى آخِرِ مَا فِي كِتَابِ نَصْرِ .

وَأَضَافَ : وَقِيلَ هُوَ طَرِيقٌ فِي الْحَرَّةِ ، يَجْتَمِعُ فِي مَاءٍ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ أُمَّةٌ لَوَسِعَتْهُمْ . انْتَهَى فَقَوْلُهُ : هُوَ إِحْدَى قُرَى سُلَيْمٍ لِأَنَّهُ مَحْرِيفٌ : (إِحْدَى حَرْقِي سُلَيْمٍ ، كَمَا فِي كِتَابِ نَصْرِ . وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ طَرِيقٌ فِي الْحَرَّةِ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ قَرِيبٌ مِنَ الصَّوَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ ، كَمَا يَفْهَمُ مِنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ لِلْكَلِمَةِ (حَبْسُ)

سَيْلٍ) وهناك فاع عظيمٌ تجتمع فيه سَيُولُ أودية وشعاب كثيرة يُعْرَفُ بِقَاعٍ خُصُوصاً ينطبق عليه الوصف .

(٥) جَبْسٌ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءِ وَسُكُونُ الْبَاءِ الْمُوحِدَةُ ، وَبَيْنَهُ مُهْمَلَةٌ - وَقِيلَ : بِضَمِّ الْحَاءِ ، وَقِيلَ : بِالْكَسْرِ - : جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ . انْتَهَى . وَذَكَرَ ياقوتٌ في «المعجم» فَرَقاً بَيْنَ الْحَبْسِ - بِالضَّمِّ - وَالْحَبْسِ بِالْكَسْرِ أَوْ الْفَتْحِ - فَقَالَ عَنِ الْأَوَّلِ : الْحَبْسُ - بِالضَّمِّ ثُمَّ السُّكُونِ وَالْبَيْنُ مُهْمَلَةٌ جَمَعَ الْحَبْسُ ، بِقَعٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقَعَهُ صَاحِبُهُ وَقَعاً مُحَرَّمًا . قَالَ الزَّعْزَعِيُّ : الْحَبْسُ - بِالضَّمِّ - جَبَلٌ لِبَنِي قُرَّةٍ ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْلِي الْحَازِمِيِّ وَنَصْرٍ - وَالْأَوَّلُ غَيْرُ مُسَمًّى - فِي حَبْسٍ سَيْلٍ - وَقَوْلًا لِلْأَصْمَعِيِّ : الْحَبْسُ جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى السَّلَاحِ (٢) لَوْ انْقَلَبَ لَوَقَعَ عَلَيْهِمْ ، وَأَشَدُّ بَيِّنٌ مِنَ الشَّعْرِ وَقَالَ عَنِ الثَّانِي : الْحَبْسُ - بِالْكَسْرِ وَرُزَى بِالْفَتْحِ - الْحَبْسُ بِالْكَسْرِ مِثْلُ الْمُضَنَّةِ وَجَمْعُهُ أَهْبَاسٌ تَجْعَلُ لِلْهَاءِ ، وَالْحَبْسُ السَّلَاحُ الْمُسْتَقْبَعُ . وَقِيلَ : الْحَبْسُ جَبَّارَةٌ تَبْنَى عَلَى مَجْرَى السَّلَاحِ لِتَحْبِسَهُ لِلسَّارَةِ (٣) وَتُسَمَّى السَّلَاحُ جَبْسًا ، ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْلَ الْأَصْمَعِيِّ اللَّبِّيَّ نَقْلَهُ الْحَازِمِيُّ عَنِ ابْنِ قَتِيْبَةَ . وَيُلاحَظُ وَقْعُ وَتَطْبِيعُ فِي (السَّلَاحِ) صَوَابُهَا : (السَّلَاحِ) ويظهر أن ياقوتاً نقلَ كلامَ الْأَصْمَعِيِّ مِنْ كِتَابِهِ «جزيرة العرب» أو «مياه العرب» وجعلَ نَصُوصَهُ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ «بلاد العرب» لِلْفَتْحِ الْأَصْفَهَانِي ، فِيهِ - ٣٦ - فِي الْكَلَامِ عَلَى بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ - : وَلَمْ يَلِزَ السَّلَاحُ إِيهًا لِبَنِي قُرَّةٍ ، وَالنَّاسِجَةُ لِبَنِي قُرَّةٍ ، فَأَمَّا السَّلَاحُ فَفِي عَرْضِ الْقَتَنِ ، وَهِيَ فِي عَطْفِ الْحَبْسِ - أَيِ بِلَازِيهِ - لَوْ انْقَلَبَ لَوَقَعَ عَلَيْهِمْ ، وَهِيَ بَيْنَهُ عَلَى فَرْسَخَيْنِ ، وَالْحَبْسُ جَبَلٌ لَهُمْ . انْتَهَى وَالْبَيِّنَانِ اللَّذَانِ أَوْرَدَ ياقوتٌ وَرَدًا فِي كِتَابِ «بلاد العرب» - ٣٨ - وَبَيَّنَّ عُمْدَتَهُ الْأَمْكِنَةُ الَّتِي يَقْرُبُ هَذَا الْجَبَلُ بِصُحْبِ أَنَّهُ فِي أَعْلَى بِلَادِ الْقَصِيمِ ، وَلَكِنْ لَا يُعْرَفُ هُنَاكَ جَبَلٌ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَأَعْلَى أَوْصَافِهِ تَنْطَبِقُ عَلَى مَا يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (سَمَارِ بَقِيْعَاءَ) بِالإِضَافَةِ إِلَى هَجَرَةٍ بَقِيْعَاءَ الزَّوَالَةِ فِي وَسَطِهِ ، شَرْقَ بَلَدَةِ الْفَوَارَةِ ، وَلِزِيَادَةِ الْإِبْضَاحِ يَجُسُّسُ الرَّجُوعُ إِلَى كِتَابِ «بلاد القَصِيمِ» أَحَدِ أَقْسَامِ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» - ١١٦٢ وَمَا بَعْدَهَا - وَكَأَنَّ كَلِمَةَ الْحَبْسِ وَصِفَتْ فِي الْأَصْلِ ، إِذْ فِي «تاج العروس» : الْحَبْسُ الْجَبَلُ الْأَسْوَدُ .

(٦) أَمَّا مَا نَقَلَ الْقَتِيْبِيُّ - الْعَالِمُ الْمَشْهُورُ عِنْدَ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ قَتِيْبَةَ (٢١٣/٢٧٦هـ) فَوُ التَّصَانِيفِ الْمَعْرُوفَةِ كَ «المعارف» وَ«عُيُونُ الْأَخْبَارِ» وَ«أَقْبُ الْكَاتِبِ» وَ«غُرُبُ الْحَدِيثِ» وَغَيْرَهَا - عَنِ الْأَصْمَعِيِّ فَيَسْتَدْعِي الرُّقُوفَ جَنَّةً ، إِذْ يَنْهَضُ مِنْهُ إِضَافَةٌ أَمْكِنَةُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، فَالْحَبْسُ وَالْقَنَانُ وَأَبَانَانِ مِنْ بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ ، وَلَكِنَّ الْحَبْشَانِ لَيْسَا مِنْ بِلَادِ بَنِي تَجْمٍ ، فَجَمْعُ ضَرْبَةٍ تَشْتَرِكُ فِيهِ قِبَالٌ مِنْهَا الْقَبْلَابُ وَغَنِي وَتَوْجَعْفَرُ وَتَوْ أَبِي بَكْرٍ وَبَطُونُ أُخْرَى مِنْ بِلَادِ بَنِي كِلَابٍ - انظر «أبو علي الهجري» - ٢٥٧ - قَالَ : وَقَدْ دَخَلَ فِي جَمْعِ ضَرْبَةٍ حَقُوقٌ لِسَبْعَةِ أَبْطَنٍ مِنْ بَنِي كِلَابٍ ، وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ أَمْلَاقًا فِي الْحَبْسِ ، ثُمَّ حَقُوقٌ غَنِي - ٢٥٨ - . وَأَمَّا جَمْعُ الرُّبْدَةِ فَمِنْ بِلَادِ غُطْفَانَ ، وَتُشَارِكُهُمْ فِيهِ سُلَيْمٌ وَحُطَابٌ - عَلَى مَا أَوْضَحَ ذَلِكَ الْهَجَرِيُّ بِتَفْصِيلٍ لَا يَوْجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِ - فِيمَا نَقَلَهُ السُّمُودِيُّ عَنْهُ فِي «وَفَاءِ الْوَفَاةِ» إِلَّا أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ غُطْلُومَةٍ مَحَلَّةٍ التَّرْتِيبَ نَشَأَ فِيهَا نَقْلٌ تَدَاخَلَ فِي أَوْصَافِ الْحَبْسَيْنِ .

وَالْقَنَانُ - فِي كَلَامِ الْأَصْمَعِيِّ أَطَالَ الْمُتَطَلِّمُونَ فِي تَحْدِيدِهِ بِمَا لَا يَنْبَغُ لَهُ الْقَامُ ، وَيُضْبَحُ بِمَا ذَكَرُوا أَنَّهُ مِنْ الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ فِي أَعْلَى الْقَصِيمِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنَ الْجِبَالِ مَا يُعْرَفُ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَتَكَادُ الْأَوْصَافُ الَّتِي ذَكَرَهَا مُتَقَدِّمُوا الْعُلَمَاءِ تَنْطَبِقُ عَلَى سِلْسِلَةٍ مِنَ الْجِبَالِ تَدْعَى الْمَوْسَمَ - بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَبِالْشَّيْنِ الْمُجَمَّعَةِ الْمُفْرَوَّةِ الْمُشَلَّةِ وَآخِرُهُ مِيمٌ - تَقَعُ شِمَالُ بَلَدَةِ الْفَوَارَةِ ، وَانْظُرْ لِتَنْطَبِقَ النُّصُوصُ الْوَارِدَةُ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَنِ الْقَنَانِ عَلَى (الْمَوْسَمِ) فِي كِتَابِ «بلاد القَصِيمِ» مِنْ «المعجم الجغرافي» - ٢٣٤٨ - وَهُوَ وَاقِعٌ فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ قَدِيمًا .

وَالدُّو - بَسَطْتُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي (قِسْمِ الْمُنَاطِقَةِ الشَّرْقِيَّةِ) مِنْ «الْمَعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ» وَهُوَ يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (الدَّيْبِيَّةِ) صَحْرَاءُ وَاسِعَةٌ تَقَعُ شَرْقَ الصُّمَالِ ، وَتَقَعُ حَتَّى قُرْبَ مَاجِلِ الْخَلِيجِ . وَالصُّمَالُ وَالنَّخْلَةُ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَا ، وَمَعَ الدُّوَيْنِ بِلَادُ بَنِي نَجِيمٍ فِي الْقَلْبِيِّمْ ، وَقَدْ أَوْضَحَ الْجُغْرَافِيُّ أَنَّ بِلَادَ بَنِي نَجِيمٍ لَا يَبْلُغُ جَمْعُ ضَرْبَةٍ ، فَهَذَا فِي الْكَلَامِ عَلَى التَّسْوِيرِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ وَادِي الرَّشَاءِ ، وَلَيْسَ التَّسْوِيرُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِهَذَا الْاسْمِ قَالَ - ٢٦٩ - : وَبَيْنَ أَسْفَلِ التَّسْوِيرِ وَأَهْلَاءَ فِي دِيَارِ غَنِيٍّ مَبِيرَةٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْقِعًا صَارَ أَخَذَ بَيْنَ قَهَسٍ وَبَنِي نَجِيمٍ ، لِأَنَّ أَوَّلَهُ لَغَنِيٍّ ثُمَّ شَرْفِيَّةٌ لِنَجِيمٍ . انْتَهَى . وَمَعْرُوفٌ أَنَّ هَذَا الْوَادِي يَقَعُ شَرْقَ الْحَبَشِيِّ ، يَمْتَدُّ مِنَ النَّبَرِ ، وَيَقْبُضُ فِي رَوْضَةِ الْحَرَمَاءِ عَلَى نَحْوِ ١٢٥ كَيْلًا جَنُوبَ غَرْبِ مَدِينَةِ بَرْبَنْدَةِ .

أَلْحَيْسُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بَعْدَ الْحَوَاءِ بَاءً سَاجِدَةً تَحْتَهَا تَقَطُّنَانِ - : شَيْبُ أَلْحَيْسِ بِالْشَّرْبَةِ ، مِنْ هَضْبِ أَلْقَلْبِيِّ ، فِي دِيَارِ فَرَاةَ ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ خَلَّ بْنَ بَذْرِ مَلَأَ دَلَاءً مِنَ الْحَيْسِ ، وَوَضَعَهَا فِي هَذَا الشَّعْبِ حَتَّى شَرِبَ مِنْهَا قَوْمٌ رَدُّوا دَاجِسًا عَنْ الْعَالِيَةِ . انْتَهَى وَالْحَبَرُ مَقْصُلٌ فِي «النَّقَاطِصِ» فِي خَرْبِ دَاجِسٍ وَالْغَبَاءِ ، وَفِي الْكُتُبِ الَّتِي فَصَّلْتُ أَخْبَارَ أَيَّامِ الْعَرَبِ . وَأَلْحَيْسُ : يُصْنَعُ مِنَ التَّمْرِ وَالْأَلِيطِ . وَابْرُؤَ بِاقُوتِ الْاسْمِ فِي رِزْمِ (شَيْبِ أَلْحَيْسِ) وَزَادَ عَلَى مَا ذَكَرَ نَصْرٌ : عَنْ الْعَالِيَةِ لَمَّا سَبَقَ الْغَبَاءُ ، يَوْمَ زَهَبِهِمْ عَلَى السَّبَاقِ ، وَخَرِبَ الْفَيْتَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي عَيْسٍ أَعْوَامًا حَتَّى هَلَكَتْ أَوْلَادُ بَذْرِ . انْتَهَى ، وَبِذَا الْحَبَرُ بِجُمْلَةٍ : (وَقِيلَ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ خَلَّ بْنَ بَذْرِ) الْخِ وَعِنْدَهُ : (بَيْنَ هَضْبِ أَلْقَلْبِيِّ مِنْ أَرْضِ فَرَاةَ) .

الشَّرْبَةُ - يَفْتَحُ الشَّيْنُ الْمُخْجَمَةَ وَالرَّاءَ وَالْيَاءَ الْمَوْحَدَةَ مَعَ تَشْدِيدِهَا - مُجَدِّدٌ مَوْقِعَهَا فِي كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَاضِحٌ ، فَهِيَ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، بَيْنَ عَطْلِي وَادِي الْجَرْبِ (الْجَرْبِ الْآنَ) وَوَادِي الرُّمَّةِ حَتَّى يَلْتَقِيَا - كَمَا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَغَيْرِهِ . وَلَكِنْ هَضْبُ أَلْقَلْبِيِّ لَيْسَ مَعْرُوفًا بِهَذَا الْاسْمِ ، وَأَغْلَبَ أَوْصَالُهُ تَطَلُّقٌ عَلَى هَضْبِ عَظِيمٍ أُطْلِقَ عَلَيْهِ حَدِيثًا اسْمُ طِخْفَةِ الْاسْمِ الَّذِي يُطْلَقُ بَيْنَ الْقَدَمِ وَلَا يَزَالُ عَلَى هَضْبَةٍ تَقَعُ شَرْقَ جَمْعِ ضَرْبَةٍ بِقُرْبِ جَلَّتْ وَبَنِي (مُنِيَّةَ) وَغَوْلٍ وَسَوَاجٍ ، أَمَّا طِخْفَةُ الْحَدِيثِ فَتَقَعُ غَرْبَ وَادِي الْجَرْبِ بِقُرْبِهِ ، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ جَبَلِيٍّ جَبَرٍ وَالْمُضِجِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا نَجِيمٌ بَنُ مَقْبَلٍ مَعَ هَضْبِ أَلْقَلْبِيِّ إِذْ قَالَ :

(٧)

سَلِّ الدَّارِ مِنْ جَنَّتِي جَبَرُ فَرَاةَ إِلَى سَارَى هَضْبِ أَلْقَلْبِيِّ الْمُضِجِ
وَانْظُرْ لِتَطْلُقَ أَوْصَابَ هَضْبِ أَلْقَلْبِيِّ عَلَى طِخْفَةِ هَذِهِ كِتَابٌ وَعَالِيَةُ نَجْدٍ أَحَدُ أَقْسَامِ «الْمَعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ» - ٨٧٦ - أَمَّا شَيْبُ أَلْحَيْسِ فَمِنْ الْأَشْيَاءِ الْمَجْهُولَةِ الْآنَ ، وَالشَّعَابُ فِي هَضْبِ أَلْقَلْبِيِّ (طِخْفَةُ) كَثِيرَةٌ .

ذَوْبُ الْحَيْسِ : تَعْرِيفُ الْخَفَرِيِّ لَهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ تَعْرِيفِ نَصْرِ ، إِلَّا يَقُولُ : وَهَذَاكَ مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ الْخِ . فَمِنْهُ نَصْرٌ : يَلِي هَذَا الذَّوْبُ مَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ الْمُدَلِّي . وَعَنْ نَصْرِ نَقْلَ يَاقُوتَ بِدُونِ ذِكْرِ اسْمِهِ . وَأَبُو بَكْرٍ الْمُدَلِّيُّ اسْمُهُ سُلَيْمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمٍ - تَرْجَمَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَهْدِيبِ التَّهْدِيدِ» ج ١٢ ص ٤٥ - وَذَكَرَ أَنَّهُ تُوُفِيَ سَنَةَ ١٦٩ -

(٨)

قَصْرُ حَيْشٍ : تَعْرِيفُهُ نَصْرٌ عَافِي كِتَابِ نَصْرِ ، وَبَنَتْهُ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» .

(٩)

أَلْحَيْسُ : كَمَا عَرَفَ نَصْرُ بَنِي (إِلَيْهَا تَنْسَبُ الْبُقَى الْخِ فَمِنْهُ نَصْرٌ : (بِهَا بَقَرٌ جِيَادٌ يُقَالُ لَهَا) الْخِ . وَزَادَ

(١٠)

يَاقُوتُ فِي «الْمَعْجَمِ» التَّعْرِيفَ فَقَالَ - بَعْدَ ضَبْطِ الْاسْمِ - : مِنْ كَوْنِ الْخَوَافِ الْغَرَبِيِّ بِمَصْرَ . وَكَانَ أَهْلُهَا مِنْ أَهْلِهَا عَلَى عَنَرٍ بَيْنَ الْعَاصِ لَسَابَتِهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ خَمْرُ بِرَدِّهِمْ إِلَى بِلَادِهِمْ عَلَى الْحِزْبَةِ أَسْوَدَ بِالْقَيْطِ . انْتَهَى . وَيُظْهِرُ أَنَّ مَوْقِعَ هَذَا الْمَوْضِعِ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، فَقَدْ ذَكَرَهُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْعَالِ عَبْدِ الْمَنَعَمِ الشَّامِي فِي كِتَابِهِ «مَدَنٌ وَبَصَرٌ وَقَرَأَهَا عِنْدَ يَاقُوتَ» وَرَسَمَ مَوْقِعَهُ فِي الْخَرِيطَةِ الثَّامَةِ ، كَوْرَةُ خَوْفِ رَمْسِييَ) مَعَ أَنَّ مَضَدَّه «الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ لِلْبِلَادِ الْمَصْرِيَّةِ» لِمُحَمَّدِ زَمْرِي جَاءَ فِيهِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ أَلْحَيْسَ مِنْ أَقْدَمِ كَوْنِ الْبَحِيرَةِ - : وَيَبَالِغُ عَنْ مَكَانِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ اسْمَهَا قَدْ تَغَيَّرَ مِنْ قَلْبِيٍّ ، وَمَكَانُهَا الْيَوْمَ الْقَرْيَةُ الَّتِي تَسَمَّى لَمْ حَكِيمٍ ، إِخْدَى قَرْيَ مَرْكَزِ شَبْرَاهِيَّتِ ، بِمُدِيرَةِ الْبَحِيرَةِ - ج ١ ص ٥٧ الْبِلَادُ الْمُنْتَرَسَةُ - أَمَّا مَزَادُهُ نَصْرٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَهُوَ :

١ - الحسن : - يفتح الحاء والسين وتون : رَمَلٌ في ديار ضبة ، وجبلٌ في ديار بني عامر . انتهى . وقد تَحَثَّتْ عَنِ الَّذِي فِي دِيَارِ بَنِي ضَبَّةِ فِي (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» بما خلاصته : أَنَّهُ مِنْ أَتَقِيَةِ الدُّعَاءِ ، لِحَايَةِ أَهْلِ وَادِي فَلَجٍ (الباطن) وشمال إقليم سدير ، وليس معروفًا الآن . أما الحسنُ الْجَبَلُ الَّذِي فِي بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ ، فَلَمْ أَرَهُ ذَكَرًا غَيْرَ مَأْرُورَةٍ فِي كِتَابِ نَصْرِ ، وما جاء في كتاب «صفة جزيرة العرب» - ٢٩٩ - عن معاوية التَّحَامَةِ وبِلَادِ رَبِيعَةَ الَّتِي تَوَلَّسَتْهَا الْيَوْمَ عَقِيلُ بْنُ كَعْبٍ : مَعْدِنُ الْحَسَنِ ، وَالْحَسَنُ قَرْنٌ أَسْوَدٌ مَلِيحٌ ، وَهُوَ مَعْدِنُ ذَهَبٍ غَزِيرٌ . انتهى ومثل هذا في كتاب «الجوهري» وَتَوَلَّسَتْ عَقِيلُ فَرَعَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَبِلَادُهُمْ تَمْتَدُّ مِنَ الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ عَالِيَةِ نَجْدٍ حَتَّى الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ لِعَارُضِ السَّيَاةِ (جبل طويق) وهناك في طَرَفِ نُقُودِ سَبِيحٍ (وَمَلَّةِ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَلَابٍ قَدِيمًا) جَبَلٌ يَدْعَى الْحَسَنَ فِي الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَثَلِ وَرْثَةٍ ، وَتَوَلَّسَتْ كَلَابُ مِنْ بَنِي حَامِرٍ - وانظر الكلامَ عَلَى (مَعْدِنِ الْحَسَنِ) مِنْ «الجوهري» - ٣٤٨ -

٢ - خَيْشٌ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَاقِيهِ مِثْلُهُ [يعني الجيش] وَقِيلَ : سَبِيئَةٌ مُهْمَلَةٌ - : جَبَلٌ بِنَخْلَةٍ قَرَبَ مَكَّةَ ، وَيُذَكَّرُ مَعَ يَسُومَ ، وَقِيلَ : ذَاكَ بِالضَّادِ . انتهى ولي «معجم البلدان» : خَيْشٌ هُوَ الْجَبَلُ الْمُسَمَّى خَيْصًا ، وَقَدْ ذَكَرَ ، سَمَاءُ حَمَرٌ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي قَوْلِهِ :

تَرَكُوا خَيْصًا عَلَى أَثَابِهِمْ وَيُسُومًا عَنْ يَسَارِ الْمُضِيدِ

وَهُوَ مِنْ جِبَالِ السَّرَّةِ - ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْلَ نَصْرٍ - وَقَالَ فِي خَيْصٍ : - خَيْصٌ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ - : شَيْعٌ بِفَهَامَةٍ سَحَ (٢) مِنَ السَّرَّةِ ، وَقِيلَ ، خَيْصٌ وَيُسُومُ جِبَلَانِ بِنَجْدٍ (٢) وَقَدْ سَمَّاهُ عَمْرٌ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ خَيْصًا ، لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْمُخَاطَبَةِ لِلنِّسَاءِ - ثُمَّ أَوْرَدَ بَيْتَهُ الْمُتَعَدِّمَ - وكلمة سح : صوابها (نحي) أو ماني معناها أما كلمة (بنجد) فخطأ صوابها (بنخلة) لأنَّ يَسُومَ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، وَيُسَمَّى مَعَ جَبَلِ بَحَاوَرِ (السُّومِيَّةِ) بِالنَّحْيَةِ ، فَخَرِيفُ (الْيُسُومِيَّةِ) مَثْنً يَسُومُ مِنَ بَابِ التَّغْلِيلِ ، وَهِيَ فِي أَهْلِ نَخْلَةِ الْهَمَامِيَّةِ يُشْرِفَانِ عَلَى قَرْنِ الْمَنَازِلِ بِلَدَةِ (السَّيْلِ) مَحَلُّ الْإِحْرَامِ ، وَقَدْ نَقَلَ الْهَمْدَانِيُّ فِي «صفة جزيرة العرب» والبكري في «معجم ما استعجم» فِي وَصْفِ جَبَلِ السَّرَّةِ الْمُتَعَدِّ مِنْ الْيَمَنِ حَتَّى يَبْلُغَ الشَّامَ أَنَّ مِنْهُ جَبَلِي خَيْصٌ وَيُسُومُ - وَخَيْصٌ عِنْدَ الْبَكْرِ فِي نَخْلَةٍ ، وَيُسَمَّيَانِ يَسُومِيَّيْنِ قَالَ الرَّاجِزُ :

يَنَانِقُ بَهْرِي قَدْ بَدَا يَسُومَانِ فَاطُونِيَا تَبْدُ قِنَانُ غَزَوَانِ

وَفِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» وَكِتَابِ «الْجِبَالِ وَالْأَمَكَةِ» لِلزَّخَشَرِيِّ : خَيْصٌ : شَيْعٌ نَحْيٌ مِنَ السَّرَّةِ يُهْدَلُّ ، وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ ، فَالْجَبَلُ قَدْ يَتَحَلَّى مِنْهُ شَيْعٌ يُسَمَّى بِاسْمِهِ . وَأَغْرَبَ صَاحِبُ «الْقَامُوسِ» حَيْثُ قَالَ : خَيْصٌ جَبَلٌ بِالطَّاءِ . وَالْيُسُومَانِ مَعْرُوفَانِ الْآنَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَيْمَنَ مِنْهَا هُوَ خَيْشٌ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ شِعْرِ صَمَرٍ .

٣ - خَشَرٌ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةَ ، وَسُكُونُ الشَّيْنِ يَلِيهَا رَاءٌ : جَبَلٌ مِنْ دِيَارِ سُلَيْمٍ ، عِنْدَ الطَّرِيقِ اللَّذَيْنِ يُقَالُ لَهَا الْإِسْفِيَانِ . لَمْ يَزِدْ بِاقْوَتْ عَلَى كَلَامِ نَصْرٍ ، وَقَالَ عَنِ الْإِسْفَيْنِ : غَرَبَانِ يَكْتَفِيَانِ مَاءَ الظُّلْمِيِّ لِبَنِي سُلَيْمٍ . وَهُوَ نَصْرٌ مَا قَالَ نَصْرٌ فِي كِتَابِهِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ . . . مَا يُقَالُ لَهُ الظُّلْمِيُّ . . . الخ - وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الظُّلْمِيَّ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْكِتَابِ ، وَلَمْ يَزِدْ فِي «معجم البلدان» فِي مَوْضِعِهِ بِأَعْيَانِهِ مِنْ مِيَاةِ سُلَيْمٍ ، وَلَكِنْ الْبَكْرِيُّ ذَكَرَهُ تَقْلًا عَنْ يَعْقُوبَ [وَلَعَلَهُ ابْنُ السَّيِّكَةِ] وَذَكَرَ فِي رَسْمِ نَصْرٍ مِنْ مَعْجَمِهِ أَنَّ النَّصْرَ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَجَنَلَهُ هُمْ مَا يُقَالُ لَهُ الظُّلْمِيُّ ، وَفِي «تَاجِ الْعُرُوسِ» : ظُلْمِي : مَاءٌ لِقَطْفَانِ ،

حول « المعجم الكبير »

{يقوم (بجمع اللغة العربية) في القاهرة بتأليف معجم للغة العربية دهام (المعجم الكبير) وأراد منه أن يكون محتوياً على جميع مفردات اللغة ، بما في المعاجم القديمة ، ودواوين الشعراء المتقدمين ، ومتضمناً جميع الكلمات التي عُرِيت منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، ومنها الأسماء التي وضعتها المجامع العربية للآلات الحديثة والأشياء المستجدة في عالم الاختراع ، وقد صدر من هذا المعجم مجلدان ضخمان أحدهما للمواد المبدوءة بحرف الألف ويقع في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير والثاني يقع في ٧٦٨ صفحة لحرف الباء وحده .

وقد أعدَّ المجمع موادَّ حرف التاء وما بعدها من الحروف إلى مادة (ح د ب) من حرف الحاء ، إذ في المجمع لجنة خاصة تتولى ترتيب المواد وتحريرها ، وبعد عرضها على مجلس المجمع تُبَعَثُ إلى الأعضاء القيمين خارج القاهرة ، ليليدوا ملاحظاتهم حولها ، ليستفى عرضها أثناء انعقاد الدورة السنوية التي تضم جميع أعضاء المجمع ، ليقرر مؤتمرهم ما يراه حياها .

وكان أن بعث الأمين العام للمجمع هذا العام لصاحب هذه المجلة - وهو عضو عامل في المجمع - بعث له ماهيَّة من مواد تبديء بكلمة (ح د ب) وتنتهي بكلمة (ح ذ ن) من حرف الحاء بما سيعرض على (المؤتمر السنوي) في دورته الرابعة والخمسين التي ستعقد في شهر رجب (فبراير سنة ١٩٨٨م) ، فكان من أثر مطالعة تلك المواد هذه الملاحظات :

يلاحظ أولاً أن مادة (حذق) بأسرها ساقطة من هذه النماذج ، وموقعها بين ص ٣٨١ ، و ٣٨٢ إذ بعد ص ٣٨١ مادة (حذف) وبعدها في ص ٣٨٢ تأتي مادة (حذل) ، فينبغي استدراك كتابة المادة وإضافتها إلى هذه النماذج .

أما الملاحظات على المواد المكتوبة فهي : -

١ - ص ٢٧١ : (الأحذب : جبل لفزارة في بلادهم ، وقيل : وهو أحد الأنثرة بمكة - أي جبالها الأربعة ، لأن كل واحد منها ثبير ، قال جميل (٨٢هـ =

لَبْنِي جَحَاشُ بْنُ ثَعْلَبَةَ - مِنْ دُبَيَّانَ - بِالْقُرْبِ مِنْ مَعْدِي بْنِ سُلَيْمٍ ، انْتَهَى ، وَمَنَازِلُ بَنِي دُبَيَّانَ تُجَاوِرُ بِلَادَ سُلَيْمٍ ، وَلِهَذَا قُلَيْسٌ مِنَ الْمُسْتَعِدِّ أَنْ يَكُونَ ظَنِّي الْمَعْلُودُ مِنْ بِيَاءِ بَنِي دُبَيَّانَ ، هُوَ الْمَذْكُورُ فِي بِلَادِ سُلَيْمٍ ، لِغُرْبِهِ مِنْ مَعْدِيهِمْ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَكْثَرَ الْمِيَاءِ الْقَدِيمَةِ قَدْ دَرَسَتْ بِاسْتِثْنَاءِ مَا أُخِيَّتْ بِالسُّكْنَى الدَّائِمَةِ .

٢ - جَشْرٌ : وَقَالَ بَصَرٌ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالشَّيْنِ - : جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي غَامِرٍ ، لَبْنِي عُقَيْلٍ ، مِنْ الدِّيَارِ الْمَجَاوِرَةِ لَبْنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ . انْتَهَى . وَضَيْطَةُ يَأْقُوتُ - بِالْجَعْفَرِيَّةِ - وَأَوْرَدَ قَوْلُ نَصْرِ ، بِقَوْلِهِ يَسْبِقُ ، وَلَمْ يَزِدْ ، وَكَذَا صَاحِبُ « النَّجَاحِ » وَهُوَ يَتَرَسَّمُ خَطًا يَأْقُوتُ ، وَبِلَادُ بَنِي عُقَيْلٍ تَمْتَدُّ إِلَى أَسَافِلِ الْأَوْدِيَةِ الْمُتَحَلِّبَةِ مِنْ سَرَإِ جَنْبِ (سَرَاةِ حَبِيلَةِ الْآنَ) الْوَالِيَةِ لِبِلَادِ نَجْرَانَ جَنُوبًا حَيْثُ دِيَارُ بَنِي الْحَارِثِ الَّتِي اسْتَوْطَنَتْهَا الْآنَ قَبِيلَةُ يَامٍ وَمَنْ خَالَطَهَا .

(٧٠١م) :

ألم تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ وهل تُخْبِرُنَا اليومَ بَيِّدَاءَ سَمَلَقُ ؟
فَمُخْتَلِفُ الْأَرْوَاحِ بَيْنَ سُوقَيْهِ وَأَحْدَبُ ، كَادَتْ بَعْدَ عَهْدِكَ تَخْلُقُ

يلاحظ على هذا : —

١ — الأثيرة ليست كلها في مكة ، بل منها ماهو في مِثَى وهو أشهرها (ثبير الأثيرة) فيه قيل : (أشرق ثبير ، كيما نُغِير). .

٢ — شعر جميل لا ينطبق على الأحذب الذي بقرب مكة من الأثيرة ، وهو على الأحذب الذي في بلاد فزارة أكثر انطباقاً إذ بلاد عذرة قوم الشاعر تقع جوار بلاد فزارة ، وكثيراً ماذكر مواضع من بلادهم في شعره .

٣ — ثبير الأحذب على مايفهم من كلام صاحب «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» ص ٣٤٦ أنه يلي ثبير الأثيرة الواقع في مِثَى ، على يسار الذهاب إلى عرفة ، وأنه كان يعرف في عهده باسم (الأَحْيِدْب) ولايزال هذا الاسم يطلق على جانب الجبل العظيم المطل على مزدلفة من الشمال الشرقي فيما بينها وبين مِثَى .

٤ — وكلمة (فمختلف) في شعر جميل صوابها : (بمختلف) كما في ديوانه ١٤٥ تحقيق د. حسين نصار .

٢ — ص ٢٧٣ : (الحِدَاب : موضع يَحْزَنُ بني يربوع ، له يوم معروف لبكر على سَلِيط . قال جرير (١١٠هـ = ٧٢٨م) :

لقد جُرِّدَتْ يَوْمَ الحِدَابِ نَسَاؤُكُمْ فساءَتْ مجاليها ، وَقَلَّتْ مهورها

— ديوانه ٨٩٤/٢ ، ت — .

و : جبال بالسراة ينزلها بن شَبَابَة (قوم من فهم بن مالك) . (ل عن أبي حنيفة ، ت ، ق) .

١ — البيت في ديوان جرير — ٢٩٦ طبعة الصاوي — وفي «النقائض» —

لقد جردت يوم الحداب نساؤُهُمْ .

٢ - عبارة أبي حنيفة عن حداب بني شبابة : وهي جبال من السراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد وليسوا من فهم عدوان .

وهذه الحداب وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف ، وهذه الحداب أكثر أرض العرب عسلا . على ماجاء في «معجم مااستعجم» .

٣ - فهم هاؤلاء من دوس القبيلة الزهرانية الأزدية التي لاتزال تحمل بلادها القديمة وراء شيحاط الذي تنحدر سيوله في وادي لِيَّة شرق الطائف ، وهناك قبيلة أخرى تدعى فهما هي أشهر ، ولكن ليست من أهل الحداب ، بل كانت تحمل بقرب الطائف بجوار إخوتها من عدوان ، من قيس عيلان من مضر ، ولهذا يحسن التفريق بين فَهْم الأزدية وفهم المُضَرِّيَّة ، وفهم الأزدية لايزال بقاياها مقيمين في بلادهم بلاد زهران في فرعة دوس وماحولها من سراة زهران .

ولا أرى كلمة (الحداب) ، هنا يقصد بها علما لموضع ، وإنما يُراد الأرض المرتفعة في غلظ ، وكذا حداب حزن بني يربوع .

٣ - ص ٢٧٨ : (الحدياء ماء لجذيمة) (ت) .

أصل هذا الكلام مما جاء في كتاب «بلاد العرب» - ص ٥٦ - في الكلام على بلاد بني أسد ، في ذكر مياه الثلبوت وهو وادٍ من روافد وادي الرُّمَّة يعرف الآن باسم الشعبة ، فقد عد من مياهه الحدياء لبني جَذِيْمَة ، قال الشاعر :

إِنَّ الْحَدِيَّاءَ شَحْمٌ إِنْ سَبَقَتْ بِهِ مَنْ لَمْ يُسَامِنْ عَلَيْهَا فَهَوَ مَسْمُونٌ

وينو جذيمة هاؤلاء من نصر بن مالك بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، ولثلاث يتلبس هاؤلاء ببني جذيمة الكنانيين الذين ورد ذكرهم في خير فتح مكة زمن الرسالة أو غيرهم ممن يسمى بهذا الاسم ، يحسن أن يُعرَّفوا ، والحدياء هذه على مقربة من غدير الصلب المعروف الآن باسم ثَغْب الضَّرْس ،

وتقع جنوب قرية غَضُور، وغرب قرية المُسْتَجِدَّة ، غير بعيدة بقرب خط الطول : ٤١/١٥° وخط العرض : ٢٦/٤٠° ، وينبغي أن يلاحظ أن كثيراً من المياه القديمة فَقَدَتْ أَهْمِيَّتَهَا ، إمَّا بسبب نضوبها أو بسبب عدم الحاجة إليها حيث اُسْتُعِيزَ عنها بالأبار (الأرتوازية) العميقة الغور .

٤ - ص ٢٧٨ : (الحديبية - وقد تشدد الياء - : موضع ورد ذكرها في الحديث كثيراً ، وهي قرية قريبة من مكة على طريق جدة دون مرحلة من مكة ، بينها وبين المدينة المنورة تسع مراحل ، سميت ببئر فيها . ويقال : بعضها في الحل وبعضها في الحرم (ق، ت، مص) .

وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت (مص) على تسعة أميال من المسجد (مص) .

وقيل : إنها واد بينه وبين مكة عشرة أميال أو خمسة عشر ميلاً على طريق جدة ، ولذا قيل : إنها على مرحلة من مكة أو أقل من مرحلة . (الميل = ١٩٢٠ م ، المرحلة = ٣٠ كم) .

وقال مالك : إنها من الحرم (ت)، وقيل : سميت بشجرة حذباء كانت هناك ، وهي التي كانت تحتها بيعة الرضوان) .

١ - لعل منشأ الاختلاف في تحديد المسافة بين الحديبية وبين مكة أن الاسم يطلق على سهل واسع ، فما ولي الحرم من جوانبه كان معدوداً من الحرم ، وما بُعِدَ عنه فهو خارج الحرم ، وَيُفْهَمُ هذا من خبر نزول الرسول ﷺ في الحديبية الذي أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» - ج ٢ ص ٣١٩ طبعة الحلبي - في ذكر مسيره ﷺ : حتى إذا سلك ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ مَهَيْطَ الحديبية من أسفل مكة بركت ناقته ... ثم قال للناس : «انزلوا» ... وكان مُضْطَرِباً في الحل ويصلي في الحرم - إلى آخر الخبر - فمضرب خيامه كانت في الحل من الحديبية ولقرب حدود الحرم من منزله كان يصلي فيه .

٢ - يرى كثير من المتأخرين أن الحديبية هي المكان الذي تقع فيه قرية

الشمسي ، وأول من رأته ذكر ذلك مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي في كتابه «شفاء الغرام» ٥٨/١ ، ولكن بصيغة : ويقال إن الحديبية هي البئر التي تعرف ببئر شمس . انتهى . وحدود الحرم من هذه الناحية تقع على مقربة من هذه البئر التي أصبحت الآن قرية ، قبلها بما يقارب كيلين ، وكانت تبعد عن مكة تسعة عشر كيلاً ، ولكن عمران مكة يتسع فقد تكون المسافة الآن أقل ، وكانت تقارب ٢٣ كيلاً من المسجد الحرام .

٥ - ص ٢٨٧ : (الأحداث وفي «اللسان» قال الشاعر :

تروى من الأحداث حتى تلاحقت طرائقه واهتز بالشرشر المكر

- الطرائق : آخر مايتبقى من الكلا . تلاحقت : أدرك بعضها بعضاً .
الشرشر : نبت . المكر : سقي الأرض) .

الملاحظ هنا هو القول بأن (المكر سقي الأرض) ولم أدرك معنى هذا ، والذي أرى أن المكر هنا جمع مَكْرَة ، وهو نوع من النبات معروف قديماً وحديثاً ، يمتد على الأرض كامتداد نبات الشَّرْشِير ، وأرى المعنى أن الشرشر والمكر استطال نباتهما حتى اختلطا واهتزا بعد أن رويَا من كثرة الغيث وهما لا يُسْتَقْيَانِ بل ينبتان على المطر .

٦ - ص ٢٩٢ : (الحَدَثَةُ : وإد قرب مكة ، أعلاه لهذيل وأسفله لكثانة .
(ت)

يحسن أن يضاف : في جنوبها على مقربة من واديّ إدام ويللم كما يفهم مما ورد في كتاب «بلاد العرب» ص ٢٢ - عند ذكر الاسم ، وهو مصدر ياقوت .

٧ - ص ٣٠٠ : (المُحَدَّثُ : موقعا ماء : أحدهما لبني الدليل بتهامة ، والآخر على ستة أميال (١١,٥٢ كم) من النقرة) (ت ، تك ، ق) .

كلمة (المحدث) يقصد بها في الأصل المنهل الذي حُفِرَ حديثاً ، ومن هنا فالاسم يطلق على مياه كثيرة منها :

١ - ماء لبني الدليل من كثانة ، على مقربة من مَجْنَة في تهامة على مايفهم من

٢ - والمحدث : ماء يقع على ستة أميال بعد النقرة للمتوجه إلى المدينة وهو الذي ورد فيه رجز أحمد بن عمرو ، في تنزله زُبَيْدَة حيث يقول - كتاب «المناسك» ص ٥٦١ - :

ثُمَّ رَحَلْنَا فَأَتَيْنَا الْمُحَدَّثَا نَقْرِي صُخُورًا وَطَرِيقًا أَوْعَا
حَتَّى وَرَدْنَا مَنْزِلًا مُسْتَحَدَّثَا أَبْقَى لِأُمِّ جَعْفَرٍ حُسْنَ النَّشَا

٣ - محدث الأثم : وهذا ورد في شعر الخنساء - ديوانها طبعة (الأب ش خو في بيروت سنة ١٨٩٥ وفي «المناسك» ٣٣٧ - إذ قالت :

يَجْمِي لَهَا ذَاتَ أَجْنَابٍ فَعَفُوفَةٌ فَمُحَدَّثَ الْأَثَمِ فَالْصَّرْدَاءُ أَحْيَانًا

وهذا المحدث وصفه صاحب كتاب «المناسك» - ٣٣٦ - فقال : منازل ولد طلحة بن عبدالله بن أبي بكر بالأثم ، للمصعد إلى مكة ، بعد معدن بني سليم ، عن يمين المسلح ، وهي ثلاث قُرَيَاتٍ في ثلاثة أودية يقال لأولها : الْمُحَدَّثُ وهو قَطِيعَةٌ من النبي ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر . انتهى . وهذا المحدث يقع بِقُرْبِ وادي النَجِيل ، غرب قرية المسلح ، بقرب خط الطول : ٤٠/٣٠ ° وخط العرض : ٢٢/٢٥ ° .

والأخير هو أشهر المواضع وأجدرها بالذكر ، لكونه قطيعةً من النبي ﷺ ، وأُحْدِثَتْ فيه قرية في ذاك العهد .

ومما تنبغي ملاحظته ماورد في النص من تقدير ستة الأميال بـ (١١,٥٢ كم) أي اعتبار الميل أنقص من الكيلين (١٩٢٠ متر) .

ولقد قُسْتُ أميالاً كثيرة لاتزال آثارها بارزة في طريق الحج البصري القديم ، فيما بين الرَبْدَةِ والنَّقْرَةِ فوجدتُ الميل يتراوح بين ٢٣٠٠ متر إلى ٢١٥٠ - بسير السيارة - أي إِنَّ الْمِيلَ يزيد على الكيلين .

٨ - ص ٣٠٠ : (المحدثة : موضع فيه ماء ، ونخل ، وَجُبَيْلٌ يقال له :

عمرو المحدثه (ت ، تك) .

المحدثه هذه تقع في بلاد بني جعفر بن كلاب وبلادهم في عاليه نجد ،
والجملة مقطعة من نص طويل في ذكر بلادهم ورد في كتاب «بلاد العرب» - ٩٧
- وكلمة (عمرو المحدثه) صوابها (عمود المحدثه) والعمود من الجبال ماكان دقيقاً
مرتفعاً ،

٩ - ص ٣١٢ : (وحَدَاد بن ظالم بن ذهل بن عجل) الخ ، ثم الإحالة إلى
أسماء المغتالين في «نوادير المخطوطات» ١٢٧/٢ .

والذي في «نوادير المخطوطات» : حُدَّار - بعد الحاء ذال معجمة ثم ألف ثم راء
- ويظهر أنه تصحيف ، حيث ورد في مصادر أخرى أشار إليها الأستاذ
عبدالسلام هارون في تحقيقه لكتاب «جمهرة النسب» لابن حزم ص ٢٩٧ - ورد
(حداد) .

وعلى ذكر حداد كان ينبغي إيراد أسماء أفخاذ القبائل المسماة بهذا الاسم كما
وردت في كتاب «مؤتلف القبائل ومختلفها» لابن حبيب ص ٣٢٨ منشورات «دار
البيامة» . بهذا النص : حُدَّادُ بن بداوة بن ذهل من محارب . ورسم الاسم في
الكتاب المذكور وعلى الحاء فتحة وتحتها كسرة ، ولكنها في مخطوطات «جمهرة
النسب» لابن الكلبي ومختصراتها مكسورة (جَداد) .

وفيه أيضاً وفي كنانة بن خزيمة : حُدَّاد بن مالك بن كنانة ، وفي طيء حُدَّاد بن
نصر بن سعد بن نبهان ، وفي الأزد حُدَّادُ بن مَعْن بن مالك بن فَهْم ، وفي
عبدالقيس حُدَّادُ بن ظالم بن ذهل - وهو الذي تقدم ذكره - والحاء في الأسماء
الأربعة فوقها ضمة في كتاب ابن حبيب .

١٠ - ص ٣١٢ : (ابن الحدادية: وهي أُمُّهُ من مُحَارِب بن خَصَفَة : بطن من
خزاعة): لقب الشاعر قيس بن منقذ الخ .

في هذا خلط بين قبيلتين ، فمحارب بن خصفة ليسوا من خزاعة . بل من
قيس عيلان ، وخزاعة مختلف في أصلها . وصواب الجملة : أن الحدادية أم

الشاعر قد تكون من حداد محارب — بكسر الحاء أو فتحها على ماتقدم — مع أن ابن دريد في «الاشتقاق» — ٤٧٠ — لما ذكر الشاعر قال : بنو حداد بطن من كنانة . أما الشاعر نفسه فهو من خزاعة ثم من بني سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي ، وقال أبو عبيد في أنساب خزاعة : منهم من بني ضاطر قيس بن عمرو بن الحدادية الشاعر ، والحدادية أمه ، وهي امرأة من كنانة .

١١ — ص ٣١٦ : (حدد : جبل مطل على تيماء ، وقيل : أرض لكلب (مي) قال النابغة نحو (١٨ ق هـ = ٦٠٤ م) :

ساق الرفيدات من جَوْشٍ ومن حَدَدٍ وماشٍ من رهط ربعي وحجار — الرفيدات : بنو ربيعة من بني كلب . جوش : أرض لبني القين . ماش : خلط . ربعي وحجار : رجلا من بني عذرة — . ورواية الديوان :
... .. ومن عظم . (مي ، ديوانه ٥٦ ط بيروت)

حدَدَ هذا جبل مطل على تيماء يهتدي به المسافر كما جاء في كتاب نصر الورقة الـ ٦٣ مخطوطة المتحف البريطاني وصحفت في «تاج العروس» كلمة (يهتدي به المسافر) بكلمة (يبتدي به المسافر) ولا معنى لها ، وكان في القديم على مقربة من أرض قبيلة كلب ، ومن هنا نشأ القول بأنه أرض الكلب ، وهو كما قال المهجري : جبل تيماء . إذ هو أقرب الجبال إليها ، وقد ورد في «سفر التكوين» — ١٥/٢٥ — اسم حدد مقروناً بتيماء باعتبارهما من أبناء اسما عيل ، وكُشِفَ في قمته حديثاً عن معبد للوثن (صلم) فيه كتابات ثمودية ، ولا يعرف الآن هذا الجبل باسم حدد ، وإنما باسم (عُنَيْم) ويقع في الجنوب الشرقي من مدينة تيماء على مسافة تقرب من عشرة أكيال ويشاهد منها رَأْيُ العين بقرب خط الطول : ٣٨/٤٠ وخط العرض : ٢٧/٣١ .

١٢ — ص ٣١٧ : (حد : موضع بتهامة ورد في قول الشاعر :
فلو أنها كانت لقاحي كثيرة لقد نهلت من ماء حد وعلت)
(ل ، ق ، ت)

البيت ورد في قصيدة للأخضر بن هيرة بن ضرار الضبي ، وكان قد ورد على ماء لبني عبس اسمه (جُدُّ) بالجيم فمنعوه الماء فقال :

إذا ناقة شدت برحل وتمرق لمحة عسي فآبت وكلت
في خمسة أبيات ومنها البيت على مافي «معجم البلدان» فلعل ذكره بالحاء عند البكري في «معجم ما استعجم» من قبيل التصحيف .

١٣ - ص ٣١٩ : (حدان بن مريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة : بطن من تميم) . (جمهرة الأنساب لابن حزم ٢١٩) .

- حدان بن شمس : بطن من بطون الأزد . (جمهرة الأنساب لابن حزم ٤٧٢) .

فَرَّقَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي كِتَابِ «مُؤْتَلَفِ الْقَبَائِلِ وَمُخْتَلَفِهَا» بَيْنَ حَدَّانَ بِالْفَتْحِ وَحُدَّانَ بِالضَّمِّ ، فَذَكَرَ حَدَّانَ بِفَتْحِ الْحَاءِ ابْنَ قُرَيْعٍ (لَا مَرِيْعَ وَكَمَا وَرَدَ فِي «الْمَعْجَمِ») ابْنَ عَوْفِ بْنِ تَمِيمٍ ، وَحُدَّانَ بِضَمِّ الْحَاءِ ابْنَ شُمُسٍ بِضَمِّ الشَّيْنِ (لَا بِفَتْحِهَا كَمَا وَرَدَ فِي «الْمَعْجَمِ») فَيَنْبَغِي أَنْ يُلَاحَظَ هَذَا التَّفْرِيقُ . وَنَصَّ ابْنُ دَرِيدٍ فِي كِتَابِ «الْإِسْتِقْلَاقِ» - ٥١٠ - : حَدَّانُ : فُعْلَانٌ مِنَ الْحَدِّ .

١٤ - ص ٣٢٥ : (وقال الخطيئة (٤٥هـ = ٦٦٥م) :

جاءت من بلاد الطور تحدره حصاء ولم تترك دون العصا شذبا
- بلاد الطور : يريد بها بعض جبال الشام . الحصاء : السنة التي لا نبت فيها) .

البيت في ديوان الخطيئة - ص ١٧ طبعة ١٤٠٧ - :

حطت به من بلاد الطود عارية حصاء لم تترك دون العصا شذبا
وفي تفسيره أورد محقق الديوان رواية السكري : بلاد الطور ، وقال في تفسيره : من بلاد الشام ، ولم يكن بالشام ولكنه منازل غطفان من نجد مما يلي اليمن . انتهى . كذا وردت كلمة (اليمن) ومنازل غطفان من نجد مما يلي

الشام ، فهي في الشمال الغربي من نجد ، وهي بالنسبة للحجاز في شماله ، وإذن فكلمة (الشام) هنا ليست على إطلاقها وإنما المقصود أنها في جهة الشمال من بلاد العرب ، ولا تزال كلمة الشام تستعمل عند بعض البادية في الحجاز واليمن ، ويقصد بها الشمال مطلقاً ، لا البلاد المعروفة ، وكذا (اليمن) وفي الحجاز يقولون : هَذَيْل الشام ، وهَذَيْل اليمن ، ويقصدون هذَيْلاً الذين بلادهم شمال مكة ، وهذَيْلاً الذين بلادهم جنوبها .

ويلاحظ عدم استقامة وزن عجز البيت (حصاء ولم) إلا بحذف الواو كما في الديوان .

١٥ - ص ٣٢٩ : (الحادرة : قطبة بن أوس بن محسن بن جرول ، ويلقب بالحادرة أو الحويدرة : شاعر مقل ، شارك في حروب قومه ، أعجب حسان) الخ (الأعلام ٥ / ٢٠ عن الموسوعة العربية الميسرة) .

جملة (شارك في حروب قومه) كان ينبغي تسمية هاؤلاء القوم ، والشاعر من بني مازن من ذبيان ثم من غطفان وليس فزارياً كما جاء في كتاب «الأعلام» .

١٦ - ص ٣٣٣ : (قال علي بن أبي طالب (٤٠هـ = ٦٦١م) يوم خيبر :

أنا الذي سَمَّيْتُ أُمِّي الحيدرة

المعروف في رجز علي بن أبي طالب :

أنا الذي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةَ

بدون تعريف كما في «صحيح مسلم» ٥ / ١٩٤ و«طبقات ابن سعد» ٢ / ١١٢ و«الغازي» للذهبي ٣٤١ .

١٧ - ص ٣٣٧ : (قال معد يكرب (جاهلي) :

بُعْتَرِك شَطُّ الْحُبِّيَّا تَرَى بِهِ مِنْ الْقَوْمِ نَحْدُوسًا وَآخَرَ حَادِسًا

- شط : ناحية . الحُبِّيَّا : موضع) (ل)

١ - قائل البيت هو الشاعر عمرو بن معدي كرب المعروف كما في «معجم ما استعجم» رسم (الحيا) وفي «معجم البلدان» رسم (عَمَق) وقبل البيت :
لَمَنْ طَلَّلَ بِالْعَمَقِ أَصْبَحَ دَارِسًا تَبَدَّلَ أَرَامًا وَعَيْنًا كَوَانِسًا
ويظهر أن عَمْرًا رَدَّ بها على العباس بن مرداس السلمي بعد وقعة يوم تَثْلِيث التي أشار إليها صاحب «خزانة الأدب» ٨ / ٣٢٢ وأورد قصيدة لعباس ، وهي من الْمُنْصِفَات عن تلك الوقعة ، وقد أورد قصيدة عمرو جَامِعُ ديوانه الأستاذ مطاع الطرايشتي ص ١١٠ من الديوان وفيها البيت . ونسب ابن دريد في «الاشتقاق» - ٣٧٨ - البيت للعباس بن مرداس . وكذا ذكر نشوان في «شمس العلوم» ٢ / ٣١٢ .

٢ - الْحَبِيَّا : مما ينبغي استدراكه بإضافته إلى محله من «المعجم» وهو في شعر عَمْرٍو هَذَا اسم شُعْبَةٍ كبيرة من شُعَبِ وادي تَثْلِيث ترفد الوادي من الغرب ، وعند التقائها به يقع جبل حُبَيٍّ غير بَعِيد عن بلدة تَثْلِيث .
٣ - أما (الْعَمَقُ) الوارد في أول القصيدة فلا يزال معروفاً ، وهو أرض واسعة تقع على مقربة من سلسلة جبال الْقَهْر ، في غربيها مما يلي وادي تَثْلِيث ، وليس بعيداً عن الْحَبِيَّا .

١٨ - ص ٣٣٩ : حدس : اسم للبلغل ، تسمية له باسم ما يُزَجَرُ به ، قال
الراجز :

إِذَا حَمَلْتُ بَزْرِي عَلَى حُدْسٍ
عَلَى الَّتِي بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسِ
فَمَا أَبَالِي مِنْ عَنَزٍ أَوْ مِنْ جَلَسٍ
(«البغال» للجاحظ، مق)

النص في رسالة «البغال» - ٢ / ٢٧٣ من «رسائل الجاحظ» تحقيق الأستاذ
عبد السلام هارون :

إِذَا حَمَلْتُ بَزْرِي عَلَى عُدْسٍ
فَمَا أَبَالِي مَنْ غَزَا أَوْ مَنْ جَلَسَ

وقد شرح الجاحظ كلمة (عدس) شرحاً مستفيضاً يفهم منه أن كلمة (حدس) تصحيف في الرجز وفي شمس العلوم لنشوان ٢ / ٣٠٧ - : حدس لغة في عدس زجر للبغال .

١٩ - ص ٣٣٩ : (وبنو حدس : حي من اليمن (ل) .

وقيل : بطن عظيم من العرب من لحم (ق ت) الخ .

المقصود بكلمة (اليمن) القبائل اليمنية القحطانية ، ولا يستلزم هذا أن يكون استقرارهم استمر في تلك البلاد ، فقبيلة لحَم انتقلت قبل الإسلام بعهود بعيدة فانتشرت في الشام ومصر وهي قحطانية الأصل .

وبنو حدس هاؤلاء بطن عظيم من لحَم كما في «الاشتقاق» لابن دريد ص ٣٧٨ : بنو حدس بن أريش بن إراش بن جذيلة بن لحم ، ودار لحم بالشام بين مصر وبين الشام حول العريش ، على ما ذكر ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

٢٠ - ص ٣٤٥ : (وحديقة الرحمن : بستان كان لمسيلمة الكذاب بفناء اليمامة ، فلما قتل عندها سميت حديقة الموت) (ق ، ت) .

يفهم من خبر قتل مسيلمة أن تلك الحديقة تقع على مقربة من عقرباء التي حدثت فيها الواقعة أي بقرب قرية الجُبَيْلَةِ الواقعة شمال مدينة الرياض بنحو أربعين كيلاً ، وكُنَّا - إلى عهد قريب - نشاهد غرب بلدة الجبيلة آثار قبور على ضفة الوادي يقال : إنها كانت قبور الشهداء الذين قتلوا في وقعة عقرباء ، والتي قتل فيها مسيلمة ، وكانت قبة مشيدة هناك يزعمون أنها كانت على قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - حتى هدمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حين قام بدعوته الإصلاحية سنة ١١٥٧هـ .

٢١ - ٥٣٠ : (حدال : اسم أرض بالشام لقبيلة كلب (مع) قال الراعي نحو (٩٠هـ = ٧٠٩م) :

في إثر من قُرنت مني قرينته يوم الحَدَالِ يَتَسَيَّبُ مِنَ الْقَدْرِ

— في إثر : خرج في اثره تبعه . قُرِنت : وصلت وشدت ، والقرينة : النفس . ورواية الديوان :

في إثر مَنْ قُطِعَتْ مِنِّي قَرِينَتُهُ يَوْمَ الْحَدَالِي بِأَسْبَابٍ مِنَ الْقَدْرِ
ويروى : يوم الحداك . الحدالي : موضع . (ل ، مع) .

ضبط البكري في «معجم ما استعجم» — ٤٢٩ — الحدالي بكسر اللام بعدها ياء وكذا ينطق الاسم ، والموضع لا يزال معروفاً هو أرض ذات تلالٍ وأكامٍ تقع في الشمال الشرقي من بلدة طُريف ، الواقعة في شمال المملكة على بعد ما يقارب مئتا كيل من البلدة المذكورة وكان هذا الموضع قديماً من بلاد كلب ، متصل بسماتهم .

٢٢ — ص ٥٣١ : (بنو حدال : حي نسبوا إلى محلة كانوا ينزلونها .
(ل، ق، ت، عن ابن سيده) .

وبنو حدالة : حي من العرب . (عن ابن دريد) تك، مع) .

بنو حدال على ما ذكر ابن حبيب في «مؤتلف القبائل ومختلفها» — ٣٦٦ — هم :
حدال بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وهم باليمن في غير قومهم .

أما بنو حَدَالَة الذين ذكرهم ابن دُرَيْد فلم أرَ لهم ذكراً في «الاشتقاق» ، وفي كتاب «الجمهرة» له عنهم مانصه :

٢٣ — ص ٣٧٩ : (حُدَاقة أبو بطن من قضاة منهم : محمد وإسحاق ابنا يوسف الحذاقيان الصنعانيان روى عنهما عبيد بن محمد الكشوري ، وروى محمد عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني . قال الحافظ : وذكر الدارقطني أن الذي من قضاة نسب إلى جشم والحارث ابني بكر يقال لهم بنو الحذاقية — بالقاف — (انظر/ حذق) ، وقال الحافظ أيضاً : ومنهم من قال بالفاء (ق ، ت) حذافة بن نصر بن غانم العدوي ، يتنسب إلى عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب صحابي) .

يلاحظ على الكلام المتقدم :

١ - الخلط بين مادتي حذق - بالقاف - وحذف - بالفاء - مع أن مادة (حذق) بِرْمَتِهَا سقطت من هذا النموذج كما سبقت الإشارة إلى هذا في المقدمة ، وما هنا منها يحتاج إلى زيادة إيضاح وتحرير .

٢ - حذافة بن نصر - بعد الذال المعجمة والألف فاء - وقد نص ابن حبيب في «مؤتلف القبائل ومختلفها» - ص ٣٦١ - على أن حذافة بالفاء في قريش هو حذافة بن جُحج بن عمرو من هصيص ، وفي ربيعة حذافة بن سعد بن قيس بن ثعلبة .

ومثل هذا في كتاب «الإيناس» - ١٢٧ - فيحسن ذكر قُرْعِي القبيلتين إذ ذَكَرَهُمَا من شروط المعجم مع ذكر الصحابي .

٢٤ - ص ٣٨٠ : بيت خالد بن جعفر بن كلاب على مافي كتب الخيل لابن الكلبي وابن الأعرابي والأسود الغندجاني «وخزانة الأدب» - ١٠ / ٤٤١ :
أَرِيفُونِي إِزَاغَتَكُم فَنَانِي وَحَذَفَةَ كَالشَّجَا نَحْتُ الْوَرِيدِ
وفي «الأغاني» - ١١ / ٨٢ - :

أديروني إدرا تكم فَنَانِي

من قصيدة يفهم من سياقها أن كلمة (أريغوني) أو (أديروني) أنسب من :
(فمن يك سائلا) .

٢٥ - ص ٣٩١ : (في الرجز: لتجدن بالصحارى حزمة) .

صوابه : لَتَجِدْنِي بالصحارى حزمة . كما في مخطوطة كتاب «الجسيم» ووقع في المطبوعة خطأ كما هنا .

٢٦ - ٣٩٢ : (حذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة) (ل، ق، ت، ص) هكذا جاء في «الصحاح» وجاء بخط أبي زكريا مانصه : الحاء تصحيف والصواب : جذيمة بالجيم (ت) .

الصواب فيه انه بالحاء كما جاء في مخطوطات كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي ومختصراته .

٢٧ - ص ٣٩٤ : (الحُدَّة: موضع قرب اليمامة مما يلي وادي حائل ، قاله

نصر .

الكلام في كتاب نصر في حرف الجيم : (باب جُدِيَّة وَحَدِيَّة وَحُدَّة) الخ ، وليس فيه زيادة عما تقدم ولكن هذا الكلام لا يوضح موقع حُدَّة وهي مما ينبغي الاعتناء بتحديدده ، فقد وردت في شعر مُحَرِّز بن مُكْعَب الضبي من المفضلية الـ ٦٠ حيث قال في يوم الكلاب الثاني :

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجِيرَاتٍ يَلْدَنَ بِهِمْ وَأَحْمُوهُنَّ مِنْهُنَّ أَيُّ إِيَّامٍ
حَتَّى حُدَّة لَمْ يَتْرُكْ بِهَا ضِبْعًا إِلَّا لَهَا جَزْرٌ مِنْ شِلْوٍ مِقْدَامٍ

وقد حدد الهجري موقع حُدَّة من وادي الكلاب فقال ص ٢١٦ - :
والكلابُ وادٍ . . . وبجانب الكلابِ نَهْلَانُ جبل عظيم عرضه يوم ، وحُدَّة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب . انتهى ، وهذا الكلام صحيح فَحُدَّة التي لاتزال معروفة تبعد نحو ميلين شرق وادي الكلاب المنحدر من جبل نَهْلَانُ ، وهي هَضْبَةٌ ليست كبيرة ، تُرَى من بلدة الشُعْرَاء الواقعة في سَفْحِ نَهْلَانُ رَأْيَ العين شرقاً عنها ، وغرباً عن هضبات مُجِيرَاتٍ الواردة في قول الشاعر مُحَرِّز بن المكعب ، وهضبات مُجِيرَاتٍ تبعد عن بلدة الشعراء بنحو ٢٠ كيلاً وتبعد حُدَّة عن بلدة الدوادمي بنحو ٢٥ كيلاً بقرب خط الطول : ٤٤/٢٥ ° وخط العرض : ٢٤/٣٦ ° .

وحائل - الواردة في كلام نصر - على مايفهم من تحديدها في كلام المتقدمين - : أرض واسعة تقع غرب إقليم الوشم المعداد من اليمامة ، نُفُودِي قَنِيْقَلَة والسرّ، غرب السُرُوت ، متصلة بِالْعَرَضِ عَرَضِ شَمَامٍ (عَرَضِ القويعة) وتقع حُدَّة في الشمال الغربي منها .

٢٨ - ص ٣٩٥ : (الحوذانة: بقلة من بقول الرياض ، قال الأزهري :

رأيتها في رياض الصَّمَانِ وقيعانها ، ولها نَوْرٌ أصفر رائحته طيبة) (ل، ت، ته

←

٤ / ٤١٦ (ج) الحوذان .

مع القراء في أسانئهم وتعليقاتهم

آل نُعْمَى فِي الْخِطَامَةِ

كتب الأخ حماد بن حمد آل نُعْمَى (النمي) إلى مجلة « العرب » يشير إلى أنه ورد في كتاب « جهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » (ص ٧٦٣ و ٩١٠) ذكر آل نُعْمَى الذين في عودة سدير وفي القصب فكتب الأخ : ولاشك في صحة ذلك ، ولكن هناك آل نُعْمَى يَقْطُنُونَ الْخِطَامَةَ فِي سُذَيْرٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْ فِي الْعُودَةِ وَالْقَصَبِ ، وكلهم ينتمون إلى جد واحد ، والذين في الْخِطَامَةِ سكنوها اعتباراً من نَجْمِيَّءِ حماد بن نُعْمَى (وهو الجد الثالث للكاتب حماد بن حمد بن حماد بن محمد بن حماد النمي) من بلدة القصب إلى الخطامة سنة ١٢٥٧ تقريباً على ما ورد في الأوراق المثبتة لأملآكهم في الخطامة من عقار ونخيل ، وذلك أن حماداً جاء إلى الْخِطَامَةِ وبها آل مُغَامِسِ أهلها الأصليون ، فرحبوا به كما رحبوا بِالْمُشْرِفِ وَآلِ (أبو غانم) والمُنْبِيعِ من قبل .

هذا ملاحظه الأخ حماد ، وطلب ملاحظته عند إعادة طبع الكتاب .

وشكراً له ولكل من أمدني بشيء من المعلومات حول هذا الكتاب .

آل مَرْشَد فِي حَوَاطَةِ بَنِي تَمِيم

ورد في كتاب « جهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » تفريع لهذه الأسرة الكريمة آل مَرْشَد الذين في بلاد حَوَاطَةِ بَنِي تَمِيم ، اعتماداً على ماورد في كتابي « تاريخ آل ماضي » و « معجم البيامة » .

→ يحسن أن يضاف إلى وصف الحوذان : ولايزال هذا لُنبِت معروف في نجد باسمه (حوذان) وواحد حوذانة ، وهو مما يكثر نبتة في رياض نجد وقت الربيع ، وَيُجَنَّى وَيُؤْكَل كَالْحَوَاءِ ، وهو قريب الشبه به إلا أنه أَخْلَى وَأَطْيَبَ رائحة .

حمد الجاسر

إلا أن الأخ الفاضل سعد بن عبدالله بن مهنا أمير القويح أبدى ملاحظاتٍ على ماورد في الكتاب خلاصتها : من المعلوم على ضَوْءِ وثائق ومعرفة قديمة متوارثة لدى بني تميم ، في حوطة بني تميم وعامتهم أن آل مَرُشِد يُعْنَى بهم آل موسى وآل عثمان وآل مبارك وآل رُقَيْب وآل رُشَيْد فقط دون أهل الحلوة ، وأهل القويح الذين يجتمعون في جد واحد وهو مَرُشِد الذي خلف خمسة أولاد هم :

١ - عُمر جد أهل القويح وليس (عون) كما ورد في الكتاب .

٢ - وشامان جد آل خُرَيْف ، وآل معْدِي وآل مَشَارِي .

٣ - وعلي جد آل مُسَلِّم .

٤ - وعبدالله جد آل عبدالله .

٥ - وعثمان جد آل مفرج .

فَمَرُشِدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ هُوَ جَدُ أَهْلِ الْحُلُوةِ وَأَهْلِ الْقَوَيْحِ فَقَطْ ، بَيْنَمَا جَدُ آلِ مَرُشِدِ الَّذِينَ يُعْنَى بِهِمْ آلُ مُوسَى وَآلُ عُثْمَانَ وَآلُ مُبَارَكٍ وَآلُ رُقَيْبٍ وَآلُ رُشَيْدٍ - هُوَ مَرُشِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعُودِ بْنِ عُثْمَانَ . عَلِمَا بِأَنَّ لِمَرُشِدٍ أَخًا هُوَ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعُودِ بْنِ عُثْمَانَ ، جَدُّ آلِ حُسَيْنِ الْمَعْرُوفِينَ فِي حَوِطَةِ بَنِي تَمِيمٍ .

وأضاف الأمير سعد بن عبدالله بن مهنا يقول : كما أوضح لكم حقيقة نسب أهل القويح الذي اخطأتم فيه لضعف السند الذي اكتفيتم به ، فعمر بن مَرُشِدٍ هُوَ جَدُّ أَهْلِ الْقَوَيْحِ خَلْفَ سَيْفًا ، وَسَيْفُ ابْنَاؤُهُ عُونٌ وَمُبَارَكٌ وَسَعِيدٌ وَرَاشِدٌ .

فعون خَلَفَ مَهْنًا وَسَيْفًا وَمُحَمَّدًا وَإِبْرَاهِيمَ وَنَاصِرًا وَفَرْحَانَ وَحَسَنًا وَدَهَامَ وَصُقْرًا وَسَلْمَانَ ، هَؤُلَاءِ هُمُ أَبْنَاءُ عُونٍ .

أما مبارك فهو جد آل مبارك .

وسعيد بن سيف جد آل (أبو حاضر) .

وراشد بن سيف هو جد آل قريع .

وأضاف الأمير سعد يقول : وساءني جداً عندما ذكرتُم آل مُهنا (ص ٨٨٣) لم تذكرُوا آل مهنا أهل القويح الذين هم في تميم ، وهم أمراء القويح منذ القدم حتى الآن .

وأضاف في ورقة مفردة فروع عُمر جدُّ أهل القويح ، ومن تلك الفروع آل مهنا بن عون بن سيف بن عمر .

كما أشار الأخ سعد بن عبدالله بن مهنا إلى أن من الأسر التي لم تذكر في الكتاب من أهل القويح : آل جميل من تميم من آل عبّدل ، وآل عُميحان الذين يقال إنهم في عائد .

والحقّ بِكِتَابِهِ مُشْجَرًا لَانْسَابِ تِلْكَ الْأَسْرِ فِي الْحَوِطَةِ وَالْحُلُوةِ وَالْقَوِيحِ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحْسِنِ نَشْرَهُ لَوْ كَانَتْ كِتَابَتُهُ وَاضِحَةً ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَكْثَرَ أَمْثَالَهُ .

العوازم : بعض أفعالها

اتصل بمجلة «العرب» الأخوان سليم بن سالم بن سليم أبا الركاب العازمي وعيد بن سعيد بن مرشود العازمي من قرية المُعَرَّشِ ، وأوضحا أن بعض الكتب المؤلفة عن قبائل العرب تذكر فيها أفعال قبيلة العوازم ناقصة ، ومن تلك الأفعال التي ذُكِرَ الأخوان : —

١ — العباهيل — واحدهم عُبْهولي — ويقيمون في ضواحي بلدة أم لُجج على ساحل البحر الأحمر ، ومن مناهلهم كُتَّانُ وادٍ في ضواحي أم لُجج .

٢ — السَّوَالِين — بتخفيف الواو — واحدهم بولاني — في ضواحي الوجه ، ومن مواردهم مَثَر — بالميم المفتوحة بعدها ثاء مثلثة ساكنة ثم راء — وهو وادٍ فيه مياه .

٣ — العُويضات — واحدهم عويضي — منتشرون في ضواحي خيبر والعلا والمدينة المنورة — في وادي النُّعْمِي بِقَرَبِ الْمَدِينَةِ وَالصُّوْرَةِ بَيْنَ الْعَلَا وَخَيْبَرِ .

٤ — الرِّكَابِيَّة — واحدهم رِكَابِي — وهم في قرية المُعَرَّشِ الواقعة في الطريق بين المدينة وخيبر تبعد عن خيبر نحو ١٧ كيلاً قبل قرية الشَّمَدِ .

مخالفة قواعد الإملاء

كتب أخذ الإخوة إلى « العرب » بما ملخصه :

١ - كتابة كلمة (ذلك) : من خلال متابعتي لقراءة مجلة (العرب) لاحظت أن كلمة (ذلك) بزيادة ألف (ذلك) خلافا لما تكتب في الكتب والصحف الأخرى .

ويبدو أن لأستاذنا (حمد الجاسر) وجهة نظر في طريقة كتابتها . والذي أعرفه أن كلمة (ذلك) تكتب بدون ألف .

في صفحة ٢٧١ من كتاب « معجم الطلاب في الإعراب والإملاء » ما يأتي :

حذف الألف : يحذف حرف الألف :

١ - من الكلمات التالية : الرحمن ، الله ، الاله ، السموات ، أولئك ، لكنْ ، لكنْ طه .

٢ - من (ها) التنبيه إذا جاء بعدها اسم إشارة لا يبدأ بالياء أو إذا جاء بعدها ضمير مبدوء بهمزة نحو : هذا ، هذه ، هذان ، هذين ، هؤلاء ، هانذا ، هأنتم ، هكذا .

٣ - من (ذا) الإشارية إذا وقع بعدها لام البعد نحو : ذلك ، كذلك ، ذلكم .

وفي صفحة ١٢٣ : ذلك : مركبة من (ذا) الإشارية التي حذفت ألفها لدخول لام البعد عليها ، ولام البعد (وهو حرف مبني على الكسر لا محل له من الاعراب) وكاف الخطاب (وهو حرف مبني على الفتح لا محل له من الاعراب) .

ولا أدري عن وجهة نظر استاذنا حمد في كتابة (ذلك) باضافة الألف مع أن القاعدة في الإملاء كتابتها بحذف الألف .

٢ - حسن الاخراج : وأمر آخر أود الاستفسار عنه وهو : لماذا لا تستفيد المجلة من فن الاخراج في الصحافة وتزود المقالات التي تنشرها بالصور والخرائط

مثل مجلة (الدارة) وغيرها تشويقاً للقارىء وزيادة في الإيضاح .

أمل أن أجد الاجابة على الملاحظة والاستفسار والله الموفق .

الرياض/الربوة : عبدالله أحمد عبدالرحمن

« العرب » : حقاً إن لصاحب هذه المجلة رأياً حول كثير من الكلمات التي تخالف صورتها طريقة نطقها مثل كلمة (ذالك) و (مئة) وغيرها من كثير من الكلمات باستثناء كلمات أصبحت لها صورة معبرة عن صحة النطق بها .

ويتلخص ذلك الرأي بأن قواعد الاملاء وُضِعَتْ وسيلةً لصحة النطق وليست غايةً في ذاتها ، وإذن فالصورة التي تمكّننا من نطق الكلمة نطقاً صحيحاً ينبغي أن تُرَسِّمَ بها الكلمة مثل : (مئة) لا أن تكتب بصورة تخالف نطقها هكذا (مائة) إذ مِنْ هُنا نشأ الخطأ في نطقها ، فنسمع كثيراً من الناس من يقول : (مائة) و (مائة) ولهذا قرر (مجمع اللغة العربية) كتابة الهمزة في هذه الكلمة على ياء (مئة) مع حذف الألف .

أما عن استفادة المجلة من حيث حسن الإخراج وتزويد المقالات بالصور والرسوم فكما قيل : (العين بصيرة ، واليد قصيرة) . وفوق ذلك وقبله وبعده المجلة متخصصة في ناحية من نواحي العلم ، هذه الناحية لا تستدعي التفنن في حسن الإخراج ، أما الصور والرسوم فهي تحرص على نشرها ما وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وبعد فهل يسمح القارئ الكريم بأن توجه المجلة إليه سؤالاً : لماذا حذف كلمة (ابن) بين اسمه واسم أبيه واسم جده ؟ أهو من قبيل التقليد ، أيها الأخ الكريم إن هؤلاء الذين قلدناهم في حذف كلمة (ابن) من الغربيين لهم مايبرر ذلك ، فقد ينسب الواحد إلى أسرة وليس ابناً لها ولكن إضافته إليها من قبيل التَّبَنِّي أو المصاهرة أو القرابة البعيدة ، ومن هُنا نشأ حذف كلمة (ابن) عندهم ، أما نحن فقد قلدناهم في ذلك على غير هدى .

وشكراً للكاتب الكريم على حرصه لأن تبدو مجلته بخير صورة .

* العقد المفصل بالعجائب والغرائب :

لمنطقة جازان المعروفة باسم (المخلاف السليمانى) تاريخٌ تصدَّى علماء تلك المنطقة بتدوينه حتى أصبح متسلسل الحلقات إلى عهد مؤرخ ذلك القطر في عصرنا الأستاذ الباحث المحقق الشيخ محمد بن أحمد العقيلي .

وكان من سلسلة تاريخ تلك المنطقة كتاب «العقد المفصل بالعجائب والغرائب» ، في دولة الشريف أحمد بن غالب « تأليف الشيخ عبدالرحمن بن علي البهكلي ، وهو يتناول تسجيل حوادث فترة قصيرة من الزمن من أول القرن الثاني عشر الهجري ، تفيد المعنيين بتاريخ هذا الجزء الحبيب من وطننا .

وقد قام الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي بتحقيق هذا الكتاب ، فهياً للباحثين أخذ المراجع التي لا يُستغنى عنها ، وقد طُبِعَ بطباعة يعوزها الترتيب ، وحسنُ الإخراج ، ولعل هذا راجع لكون المحقق الفاضل لم يُشرف على تجارب الطبع ، وهذا لا يقلل من قيمة الكتاب الذي برز أثرُ محققه الفاضل بما أضاف إليه من معلومات ، وبما وضع له من فهرس مفصلة .

* نور العيون وجامع الفنون :

هذا أثر جليل من آثار سلفنا الصالح - وما أكثر آثارهم النافعة!! - في المجال العلمي ، وهو كتاب ألفه أخذُ الأطباء العرب من بلدة حماء في القرن السابع الهجري ، ويدعى صلاح الدين بن يوسف الكَّحَّال الحموي ، ورتبه على عشر مقالات تتعلق بالعين ، وذكر الأمراض التي تعترىها وقوانين حفظ الصحة ، وذكر أشهر أمراض العين المعروفة ، وطرق علاجها ، وختمه بذكر الأدوية المفردة المستعملة في العين .

وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور محمد ظافر الوفايى رئيس قسم الشبكية

والليزر في (مستشفى الملك خالد للعيون) وراجع وضبطه ، وزاد في تعليقاته الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعجي بجامعة الملك سعود بالرياض .

ويظهر أن سعة مباحث الكتاب حالت دون وضع فهرس شاملة والاكتفاء بإلحاق أسماء الأدوية المفردة المذكورة في الكتاب باللغة العربية مع أسمائها اللاتينية، ثم بتراجم موجزة للأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب ولعل المحقق الفاضل لم يَرَّ ما يذعُّو إلى وضع فهرس أخرى بعد ذكر أسماء الأدوية وتراجم الأعلام ، مرتبة على حروف المعجم . ولكن كان من المناسب ذكر أسماء الأمراض والآلات المستعملة في العلاج ليستفيد من ذلك المعنيون بتعريب الطب العربي .

وقد جاء الكتاب في ٦٧٨ صفحة مع مقدمة باللغة الانجليزية في ٧ صفحات ، وقدم الكتاب الدكتور زيد بن عبدالمحسن آل حسين المدير العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) وتولى هذا المركز طبع الكتاب طباعة جيدة حروفاً وجودة ورق ، وحسن إخراج ، وصدر سنة ١٤٠٧ (١٩٨٧م) بدون ذكر اسم المطبعة .

* معجم الألفاظ المفسرة في كتاب الأغاني :

كتاب «الأغاني» معروفة منزلته بين كتب الأدب ، ومؤلفه علي بن الحسين الاصفهاني (٣٥٦/٢٨٤) من متقدمي العلماء الواسعي الاطلاع في علوم اللغة ، وفي ثنايا كتابه «الأغاني» بتصدى لتفسير كثير من الكلمات اللغوية ، وقد يكون من بينها ما يحتاج اللغويون في عصرنا إلى الاستشهاد به ، ولعل هذا من الأسباب التي دفعت الدكتور حسن محسن رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة الكويت - وَحَسَنًا فَعَلَ - إلى استخراج تلك الألفاظ التي فسرهما الاصفهاني في كتابه ، وإبرازها في مؤلف قامت (وزارة الاعلام) في الكويت بنشره ، فكان الحلقة التاسعة في السلسلة التي تصدرها بعنوان (دراسات في التراث العربي) ، وصدر الكتاب مطبوعاً بمطبعة حكومة الكويت في ٣٢٣ صفحة يحوي كشافاً للألفاظ المفسرة مرتباً على حروف الهجاء ، وقد طبع الكتاب سنة ١٤٠٧ (١٩٨٧م) بطباعة حسنة .

* طبقات النساين :

اتجاه الباحثين في بلادنا للكتابة بما هو الصق بحياتنا من تراث وتاريخ وجغرافية من الأمور المحمودة ، وفي عصرنا اتجهت العناية لدراسة التراث قديمه وحديثه ومايتصل به من علوم وآراء ، ومن ذلك علم النسب ، فقد كثرت المؤلفات فيه في زمننا بالنسبة إلى العصور الماضية القريبة ، ومن آخر ماألف في هذا العلم كتاب «طبقات النساين» لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ بكر أبي زيد، ومما جاء في مقدمة هذا الكتاب : ولم أر هذا العُباب من أهل السنة من أقرَدَ النساين في كتاب، أو جمعهم في طباق مع وفرة مؤلفاتهم . . . ومع شرف هذا العلم لشرف موضوعه ، وأنَّ جهله يضرُّ وعلمه ينفع ، لما عُلِمَ من مَذارك الشرع في جملة من الأحكام تجدها بسطاً في كتابي «بذل السبب في جمع أبحاث النسب» .

وقد رتب الأستاذ الشيخ بكر كتابه على طبقات : —

١ — قسم الصحابة رضي الله عنهم من سنة ١ إلى سنة ١٠٠ وذكر التابعين من النساين من سنة ٦٠ إلى ١٠٠ .

٢ — الطبقة الثانية من سنة ١٠١ إلى سنة ٢٠٠ .

وهكذا إلى الطبقة الخامسة عشرة من سنة ١٤٠١ إلى ١٤٠٦ .

ثم أضاف إلى الكتاب ملاحق أربعة ذات صلة بالموضوع .

- وجاء الكتاب في ٢٩٠ صفحة مطبوعاً بمطابع الفرزدق عام ١٤٠٧ (١٩٧٨م) ولعل الأستاذ الجليل يتسنى له من الوقت مايعيد النظر فيه ليحرر بعض هفوات لعلها وقعت تطبيعاً (أي خطأ مطبعي) مع إضافة مايراه جديراً بالإضافة .
- ولاشك أنَّ الشيخ بَكَرَ بهذا الكتاب قدَّ سَدَّ ثغرة طالما تَطَلَّعَ المهتمُّون بدراسة علم النسب إلى من يقوم بِسَدِّهَا .

السنون
شاهج الملك فيصل مائة (٤٢٢٩)
ص. ب. ١٣٧ الإمبراطوري (١١٤١)
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
شأنها الرئيس تحريرها : محمد الجابري

الأسبوع (الأسبوعي)
٢٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ش. الجزء : ١٧ ريال

ج ٤/٣ ص ٢٣ - رمضان/شوال ١٤٠٨ هـ - آيسار/حزيران (مايو/يونيو) ١٩٨٨ م

من تاريخ الدولة السعودية الأولى

- ١ -

(نابليون) .. والدولة السعودية الأولى

كنت سُئِلْتُ من جهة كريمة عن صلة الإمبراطور الفرنسي (نابليون) بالدولة السعودية الأولى ، وهل هناك ما يثبت أنه بعث وفداً إلى الدرعية يحمل رسالة للإمام سعود بن عبدالعزيز الأول ، فأبدت عدم علمي بشيء من ذلك . وإن كنت قرأت ما يؤيده في مؤلف الكاتب الفرنسي - بنوا ميشان - « عبدالعزيز آل سعود رجل دولة » تعرب الأستاذ عبدالفتاح ياسين ، إلا أنني وقد اتضح لي أنَّ الكتاب مَحْشُوٌّ بالأغلاط بحيث لا يصح اعتباره مصدراً تاريخياً موثقاً به ، وقد كتبت عنه إبَّان صدوره في مجلة « اليمامة » منذ نحو ثلاثة وعشرين عاماً .

وكان خلاصة ما ذكر بنوا ميشان في كتابه - ص ٣٤ - ٣٥ - : ... لذلك أوفد نابليون إلى الدرعية رسولا دبلوماسيا يدعى (لاسكاريس) في نهاية عام ١٨١١ تمكن من عقد عدة اجتماعات سرية مع الإمام السعودي ... أصاخ سعود باهتمام إلى عروض رسول نابليون ، ولكن الإنكليز لم يكونوا غافلين عما يجري ، فبادرت حكومة لندن إلى إفقاد مبعوثيها ، لمقابلة سعود ، ومحاولة اقناعه بالابتعاد عن الفرنسيين ، لقاء وعد يحمل السلطان العثماني على الاعتراف بالسلطة السعودية ... ووازن سعود بين العرضين المتناقضين ، فوجد العرض الفرنسي أقرب إلى تحقيق أماني الشعوب العربية ، ولما تم توقيع الاتفاق أصدر سعود أوامره بالاستعداد للمعركة ، وبدأ الهجوم في نهاية العام ١٨١٢ على بلاد ما بين النهرين ... استولوا على كربلاء ، وهاجوا حلب ، فأرغموها على

الاستسلام . . . إلى آخر ماذكر ، مما لا داعي لإيضاح أوجه الخطأ فيه .

وكان الدكتور منير العجلاني قد كتب فصلا في كتاب « تاريخ البلاد العربية السعودية » - عهد سعود الكبير - القسم الثالث ج ١ ص ٢٣ بعنوان : (هل اتصل نابليون بالإمام سعود؟) استناداً إلى مادعاه : (مغامرات لاسكاريس) في البلاد العربية ، وبعد إشارة إلى قصة غالبية البَقِيَّة استخلص الدكتور العجلاني ص ١٢ - (اتصال الامبراطور نابليون بالإمام سعود بتوسط مغامر كبير ، تنكر بملابس عربية وتسمى باسم الشيخ إبراهيم ، وجاء مع الشيخ دريعي الشعلان إلى الدرعية ، وكان بينه وبين الإمام سعود لقاءً وحديث .

قد يكون في هذين الحداث شيء من التصوير الخيالي ولكنها (واقعان) لا سبيل إلى نكرانها ولا يجوز ان يخلو منها تاريخ عربي) - كذا قال الدكتور - .

ثم بعد مدة نشرت « المجلة العربية » في فاتحة جزء شعبان ورمضان سنة ١٣٩٨ بحثاً للدكتور منير العجلاني بعنوان : (هل يصبح العرب الدولة العظمى الثالثة ؟) جاء فيه : . . . ص ٨ - أن نابليون أراد حقاً أن يعقد حلفاً مع أمير نجد وأقوى أمراء العرب الإمام سعود بن عبدالعزيز . . . ولذلك أرسل نابليون أحد أعوانه الدهاة ، وموضع ثقته وهو (لاسكاريس ده فانتميل LASCARIS DE VINTIMILLE) إلى الجزيرة رسولاً من لدُّنه ، وقد رافق (لاسكاريس) عربي مسيحي من حلب يجيد اللغة الفرنسية يدعى فتح الله الصغير (؟) . . . عرض سفير نابليون مطالبهما على الإمام سعود إلى آخر ماذكر الدكتور العجلاني ، مما لخصت جملاً منه .

وقد نشرت مجلة « الضاد » الحلبية في عددها الصادر في كانون الثاني ١٩٨٦م مقالة للأستاذ فريد جحا بعنوان (فتح الله الصايغ بطل حليبي عمل من أجل العروبة وتحرير بلاد العرب من نير العثمانيين) . ومن ملخص ماجاء في ذلك المقال : أنه كان بين عامي ١٨١٠ - ١٨١٣ ، حين كان نابليون امبراطور فرنسا في ذُرْوَةِ مجده ، فكر في إنزال حملة فرنسية على ساحل بلاد الشام للزحف إلى دمشق وبغداد والبصرة لقطع طريق الهند على عدوه اللدود انجلترا ، وكان يلزمه من

أجل ذلك معرفة حالة الصحراء الشامية وكسب صداقة القبائل العربية فيها فكلف عميلا فرنسيا يدعى (لاسكاريس) . . . تنكر في زيِّ تاجرٍ ، ومعه من حلب شاب يدعى فتح الله الصايغ ، وعاش الاثنان عند القبائل البدوية ثلاث سنوات (١٨١٠ - ١٨١٣) وبعد أن وفق الاثنان في جمع القبائل اصطدم ذلك بمشروع سعود الأول ، الذي حرر الجزيرة العربية ، وطرد الأتراك منها ، وزحف يريد طردهم من بلاد الشام والعراق ، ثم ذكر الأستاذ فريد جحا أن (لاسكاريس) وقف في وجه سعود ، وأقنع القبائل بذلك ، وأنه وُفِّقَ مع من جمعهم من العرب في صدِّ هجوم السعوديين قرب مدينة سَلَمِيَّة ، وأن فتح الله الصايغ رفض الاشتراك في القتال ضدَّ سعود ، باعتباره عربيا عاملا من أجل حرية العرب ، وأنه آلَى على نفسه إصلاح ذات البين ، بين ابن شعلان شيخ الرُّوَلَةِ والعشائر المتحالفة معها ، وبين سعود ، وأن الاثنین فتح الله الصايغ وابن شعلان ارتحلا إلى الدرعية ، ووفقا في إعادة الوثام ، وفي الاتفاق على العمل معا ، وبالقوة العسكرية من أجل عزة العرب وتحررهم وتخليصهم من الاستعمار العثماني ، إلا أن الظروف لم تسمح بذلك لأن سعودا لم يتمكن من الزحف على بلاد الشام ، بسبب انكساره أمام جيش إبراهيم باشا ، وأن فتح الله الصايغ عاد إلى حلب حزينا ، وتوفي حوالي سنة ١٨٢٧ بعد أن باع مذكراته إلى قنصل فرنسا في حلب الذي أرسلها إلى وزارة الخارجية الفرنسية فحفظتها مع مذكرات (لاسكاريس) ، وأشار إلى أن مذكرات فتح الله الصايغ عثر عليها الدكتور يوسف شلحد المقيم في باريس .

من هذا العرض يتضح للقارئ أن محور القضية التي هي صلة نابليون بحكومة الدرعية يدور حول (لاسكاريس) فهل هذا الجاسوس الفرنسي وصل إلى الدرعية ؟ .

ليس أمام الباحث سوى الرجوع إلى ماخلفه (لاسكاريس) نفسه ، هو ورفيق رحلته فتح الله الصايغ (لا الصغير) من مذكرات .

ومن حسن الحظ أن هذه المذكرات لاتزال باقية ، وهي وإن كانت بعيدة عن

متناول أكثر القراء ، إلا أنه أصبح الآن من الممكن الاطلاع على مصدرين أساسيين لتلك المذكرات منها تتضح القضية .

أحدهما بل أهمها : « رحلة فتح الله الصايغ » التي تمكن الدكتور يوسف شلحد (مدير أبحاث فخري في المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي في باريس) من الاطلاع عليها بخط مؤلفها ونسخها وإعدادها للنشر .

والمصدر الثاني كتاب ألفه فرنسي يدعى (جان سوبلان JEAN SOUBLIN LASCARIS D' ARABIE) عن (لاسكاريس) وعربه الأستاذ فريد جحا (المفتش الاختصاصي لمادة اللغة العربية وآدابها - مديرية التربية في حلب) باسم « لاسكاريس العرب » ونشر في دمشق هذا العام .

وهذان المصدران الأساسيان يُضَيِّقان بوضوح على أن (لاسكاريس) لم يذهب إلى الدرعية حين زعم صاحبه الصايغ أنه ذهب إليها هو والدريعي بن شعلان .

كان (لاسكاريس) قد تخفى تحت اسم إبراهيم الطيب : يقول الصايغ في رحلته (الورقة ١٠٤ من المخطوطة الأصلية) : ثم رحلنا وقطعنا الفرات من مقطع بالقرب من بلد يقال لها (هيت) وصرنا بالحماد ، قاصدين تَدْمُرَ وَبَرَّ الشام ، وإذا مقبل علينا هجَّان وبصحبتة مكتوب إلى الدريعي من عند الوهابي ، من غير ختم - ووصف الكتاب ، وذكر محتواه دعوة الدريعي للحضور إلى الدرعية ولكن بأسلوب لا يشك من قرأه بأنه مِخْتَلَقٌ ثم قال : فابتدأنا نتشاور ، ورأينا من المستحسن أن يذهب الدريعي عنده لعدة أسباب . . . فاعتمد رأي الدريعي على الذهاب عند الوهابي فقال الشيخ إبراهيم (يقصد لاسكاريس) : ماهي نيتك يا ولدي ؟ هل لك جرأة على التوجه مع الدريعي ؟ فقلت : نعم أتوكل على الله ! . . . دبرت أموري مع الشيخ إبراهيم وودعته وأوصيته بوالدتي ، وركبنا ، وكان عددنا اثنا عشر نفرا لا غير ، وهم : الدريعي وابنه سعدون ، وابن أخيه الأمير هجرس ، وابن عمه جبل الدريعي ، واثنا عشران من وجوه العرب ، وأنا وخمسة عبيد ، ثم ذكر مسيرهم ووصولهم إلى الدرعية واجتماعهم بسعود ، وإقامتهم في مدينة الدرعية ، ووصفها وما شاهد فيها بعبارات هي أقرب إلى

الخيال منها إلى الحقيقة ، ثم ذكر بعد ذلك عودته واجتماعه بصاحبه (لاسكاريس) .

ومما جاء في كتاب « لاسكاريس » (مذكرات تشرين الأول ١٨١٥) المنقول من محفوظات وزارة العلاقات الخارجية مراسلات الاسكندرية ١٨١٣ - ١٨١٩ المجلد التاسع عشر في كتاب « لاسكاريس العرب » في مذكرات كانون الأول إذ يصف (لاسكاريس) اجتماعه بصاحبه فتح الله الصايغ بما ملخصه - ٣٥٠ - :
واقترح الخيمة بعد قليل متدثرًا بمعطف من قُرو الغنم ، لقد وجدته قد نحل ، بعد رحلة طويلة في جزيرة العرب المقفرة . . . شعرت بعاطفة عميقة عندما رأيته بعد ستة أشهر ، واعتقد أنه سعيدًا بلقاء مُعلِّمه . . . قصُّ علي فتح الله قصة سعود ، لم احتفظ من حكايته الطويلة إلا بالأساسي ، ثم نقل وصفا موجزا لتلك الرحلة ، ولكنه لا يتفق مع ماهو موجود من النص في رحلة الصايغ ، ويخط الصايغ نفسه ، لا من حيث الأسلوب فحسب بل حتى ولا من حيث وصف الطريق ، وذكر الأمكنة الواقعة فيه .

وقال - ٤١٢ - : انباء حرب الحجاز تصل إلى هنا على شكل مقتطفات غامضة ، تحورها الدعاية التركية لصالحها ، لقد جندوا فرقا من أجل الحرب ، وأساطيل في الموانئ ، وفرضوا على الأسواق ضرائب جديدة . ووصل محمد علي نفسه إلى الطائف ، قريبا من مكة . واستلم إبراهيم ابنه قيادة الجيش ، وأقسم بأنه سيدمر الدرعية .

الدرعية التي وصفها لي فتح الله جيِّداً ، والتي رسمها فتح الله جيِّداً ، بدقة مهندس عصامي ، لا ينسى مَعْقِلا ولا حصنا . الدرعية التي أملك مخططاتها في صندوقي . أهي فرصة تتهز ؟ .

فـ (لاسكاريس) هنا يقرر أن فتح الله هو الذي وصف له الدرعية ورسم معاقلها وحصونها .

ولا تفوت الإشارة إلى أن رحلة الصايغ قد سبق نشرها في مجلة « العرب »
س ١٩ ص ١٥٢ و ٦٩٧ مع تعليق الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي عليها ، ومما جاء —

عبدالله بن همام السلوي

حياته وما تبقى من شعره

[قبل مايزيد على عشرين عاماً ، حاولت أن أقدم لقراء مجلة « العرب » في سبتمبر الأول - رجب ١٣٨٦ هـ - ص ١١٥٤/٦٤٨/١٥٧/٣٧ - ما اطلعت عليه من شعر عبدالله بن همام السلوي ، للتعريف به كأحد شعراء القبائل التي تعيش منذ أقدم العصور المعروفة التاريخ في هذه البلاد حتى عصرنا الحاضر ، لعل في دراسة أولئك الشعراء ما يكون حافزاً للخلف لاستجلاء مآثر أولئك السلف .

وكان من غريب الاتفاق ان تلقيت هذه الأيام كتاباً بتاريخ ١٢/٣/١٤٠٨ هـ من ابن كريم هو عبدالرحمن بن فايز بن عجم ، في بلدة بيشة قاعدة قبيلة بني سلول ، ينشئ بأنه قد عزم على جمع أشعار تلك القبيلة ، مشيراً إلى ما نشرته « العرب » عن الشاعر السلوي عبدالله بن همام ، وفي مقدمته ذكر بعض مشاهير شعرائها ، طالباً مني النصح والتوجيه .

ثم كان أن وصلت إلي بعد ذلك مجموعةً اتحفني بها عجمنا الكريم (المجمع العلمي العراقي) من مطبوعاته ، ومن بينها الأجزاء التي صدرت أخيراً من مجلته ، وبها من فرحة غامرة حين طالعت بين أبحاث الجزء الرابع من

→ في ذلك التعليق بعد وصف الصايغ بأنه كذاب مزور ، قال الشيخ : ولنا صاحب من أكبر أهل الدرعية ابن للشيخ الوهابي ، موجود الآن تحت سفرية أفندينا الخديوي اسمه إبراهيم بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من المشايخ الرُّكَّع العُباد العلماء لما عرضت عليه كلام هذا النصراني رأى مثل ما رأيت ، وكذبه مثل ما كذبت ، وأخبر أن الدُّرَيْعِي ما قدم الدرعية لافي أيام سعود ، ولا في أيام أبيه عبدالعزيز ولا في أيام ابنه . انتهى كلام الشيخ .

أما الرسالة التي رُغمَ بأنها موجهة من نابليون إلى سعود ، وأن مصدرها القنصلية الفرنسية في حلب ، ومنها وصلت إلى محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية فينبغي ملاحظة أن فتح الله بعد أن رحل مع الرولة بعض الوقت عاد إلى مدينة حلب وغدا موظفاً في قنصلية فرنسا حتى توفي - ص ٤٢٣ - « لاسكاريس العرب » . فهل هي مُزوَّرة كرحلة الصائغ إلى الدرعية ؟! هذا ما سأحدث عنه مفصلاً ، بعد اطلاعي على تلك الرسالة التي حدثني من أثق به أنها لاتزال في محفوظات (أرشيف) وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية .

[للبحث صلة]

حمد الجاسر

المجلد الـ (٣٧) لشهر ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ (كانون الأول سنة ١٩٨٦م) ذلك البحث الممتع (عبدالله بن همام السلولي : حياته وماتبقى من شعره) لأستاذنا الجليل الدكتور نوري حمودي القيسي .

لقد سارعتُ إلى إضافته لمواد الجزء الذي أُمِّيَّ إعدادُه للنشر من مجلة « العرب » لا يستفيد منه الأخ السلوليُّ المُنْفِيَّ بجمع شعر شعراء قبيلته - فحسب ، بل لأَقْدَمَ لِلْمُهْتَمِّينَ بدراسة الشعر العربي القديم - من قراء « العرب » في بلادنا ممن قد يفوت كثيرٌ منهم الاطلاع على مجلة المجمع - دراسة تنصف بالعمق والشمول والاستيعاب لجوانب حياة ذلك الشاعر . وجمع ماتفرق من شعره في المؤلفات التي قد لا يتسنى الاطلاع عليها لكثرتها لغیر الدكتور القيسي ، الذي يُعَدُّ فَرْدًا في هذه الناحية الثقافية - أعني الاطلاع على أشعار المتقدمين .

ولا تفوتني الإشارة - بل الإشادة - إلى ما يتحلُّ به أستاذنا القيسي الذي تتجلَّى رُوحُ العالم المنكر لذاته ، المتجرد من كل غاية لا تمت إلى العلم بصلة ، في مؤلفاته وأبحاثه ، لا كحالة كثيرٍ ممن مُلِثَتْ بل أُبْثِلَتْ - بهم الساحة العلمية ، ممن لا يتورعُ أحدهم عن ارتكاب أية فَعْلَةٍ يبرز من خلالها بمظهر العالم ، أمثال ذلك (التملع) الذي أغار على بحث لصاحب هذه المجلة . عن (الصمة بن عبدالله القُشَيْرِي) فنشره باسمه في كتيب متوج بلقب هو من أبعد الناس عن حامله بحق وجدارة .

أما أستاذنا الدكتور نوري حمودي القيسي فقد نظر إلى تلك اللمع اليسيرة مما كتبه عن الشاعر السلولي نظرةً تتلاءم مع سُمُو منزلته الخلقية ، وتشبیهه بروح الأمانة العلمية مما سيدركه القارئ في ثانيا عبارات مقدمة هذا البحث النفيس الذي وفي الموضوع حقًا . ويبدو أن أستاذنا الجليل لم يطلع على أجزاء مجلة « العرب » الثلاثة من سنتها الأولى التي تحدثت فيها عن ابن همام وهي :

الأول : رجب ١٣٨٦هـ (ص ٣٧ - ٥٤) .

والثاني : شعبان ١٣٨٦هـ (ص ١٥٧ - ١٧١) .

والسادس : محرم ١٣٨٧هـ (ص ٦٤٨ - ٦٦١) .

والثاني عشر : جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ (١١٥٤ - ١١٥٥) .

ولهذا أشار - رعاه الله - إلى أن مجموع ما وقع بين يدي من شعر ابن همام مئة وسبعة أبيات ، والواقع أنها ثمانية وتسعون ومئة بحيث لا ينقص عما جمعه أستاذنا سوى ستة وثلاثين بيتا ، أَصَفْتُ إليها في عمل أستاذنا ثمانية ليصبح بين يدي القارئ (٢٤٢) بيتا . وقد يوفق باحثٌ للعثور على أكثر من ذلك ، كما قال أستاذنا الدكتور القيسي . ومن غريب الاتفاق أنني وأنا أعد هذا البحث للنشر طالعت مادة (زبر) من كتاب « التكملة » فرايت هذا النص : والزبيرُ الداهية ، أنشدَ القُرَاءُ منسوباً لعبدالله بن همام السلولي :

وقد جَرَّبَ النَّاسُ آلَ الزُّبَيْرِ فَلَأَقْوَا مِن آلِ الزُّبَيْرِ الزُّبَيْرَا

أي الشدة ومثله في « تاج العروس » رسم (زِبَر) .

ومع كُلِّ ماتقدم فعلُ الأستاذ القيسي يُعْتَبَرُ وافيًا .

لازال مُتَمَتِّعًا بالقُوَّة ، مُسْتَعِنًا بالتوفيق ، لِيُؤَاصِلَ جُهْدُهُ المشكورَ في خدمة أُمِّيَّتَا بلخياً تراثها النافع] .

لعلَّ من أبرز ما يميز الشاعرَ عبدالله بن همام السلوليُّ هو إحساسه بالتعبير عن هموم الآخرين ، والتزامه بالحديث عن سوء معاملة العمال للناس ، وجُرأَتُهُ في مواجهة المواقف الصعبة وولاؤه الصادق للبيت الأموي الذي أثار عليه حفيظة الخارجين ، والذين كانوا يُضْمِرُونَ لهذا البيت الحقد والحسد والضعفينة ، ، وقد

كلفه هذا الموقف نقداً جارحاً ، وتعرضاً لمواقف حرجة ، واستطاع أن يُجِدُّ لنفسه منهجاً شعرياً تميز بقدرته على التعبير ، وجودته في الأداء عن الكوامن ، والوقوف على المواطن التي كانت تمسُّ إحساسَ الجمهور ، الذي يشعر بوطأة المعاملة ، وقسوة الظالمين من العمال ، وهم يجورون بالأحكام ، وَيَسْتَمِرُّونَ تعذيب الآخرين . . وكانت أبياته صورةً تُرْفَعُ إلى الخلفاء ليققتصوا من أولئك الذين أسأوا إلى الدولة ، وأفسدوا ذِمَمَ الناس ، وهياوا الأجواء المناسبة لاستثارة الحاقدين ، وتَذْرِعُ الناقمين ، إنها الصوت الشعريُّ الذي أولى هذا الجانب ما يستحق والزم نفسه بما يراه كفيلاً لبيان صِدْقِهِ في الولاء للدولة من خلال كشفه عن أعمال هذه الفئات ، وتشخيصه أساءتهم ، وتشهيره بهم على رؤوس الأشهاد ، على الرغم من كونهم محسوبين على الحكم الأموي . . . ولم تكن ظاهرة الشاعرِ عبدالله بن همامٍ فريدةً ، وإنما هي امتداد لتوجُّهٍ شعريٍّ واضح ، يعكس نمطَ الشعور الذي ألفه العربي ، وصورة الإحساس التي وَجَدَ نفسه عليها . وهو يتحمل أعباء التزامات إنسانية لم تترك له حرية الاختيار بين السكوت والتعبير ، أو الانصراف عن المشكلات وهو يراها قائمة ، والابتعاد عن هموم الناس وهو يتلمسها حادة عنيفة ، فكان عليه أن يُعْطِيَ هذا الجانب حجه ، وهو يشعر بارتياح واطمئنان . وكانت شكوى الشعراء تُرْفَعُ - وبصوت مُدَوِّيٍّ - عن معاملة بعض العمال والولاة والأمراء لِتَصَرُّفِهِمْ غير المقبول ، واستغلال مناصبهم ، وكانت دعوى الشعراء صريحة لمعاقبتهم ، وتجريدهم من مهماتهم ، ولعلَّ أبيات يزيد بن الصُّعْقِي إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - التي تؤكد فيها هذه المحاسبة خير دليلٍ على الدعوة التي أكدتها هذه الروح ، والتزم بها الشعراء ، وحملوا أنفسهم على مواجهة الظالمين^(١) . ولم يمنعه إحساسُهُم من التصريح بأسماء المقصَّرين ، والمواضع التي قصرُوا فيها والحجج الكفيلة بإدانتهم وكانت أصداء تلك القصائد تجدد أهميتها في أعمال الخليفة ليقاسم الذين ذكرت أسماءُهُمْ شطر أموالهم^(٢) . وتأتي أشعار عبدالله بن همام وهو يهجو فيها عامر بن مسعود وإلى الكوفة ، ويذكر فيها بعض عُمَّالِهِ الذين أسرفوا في معاداة الرعية ، ومالوا إلى الخيانة ، تعد صرخة من صرخات الشعراء ، الذين وظفوا الشعر للتعبير عن

إحساس المظلومين الذين أطبقت عليهم سطوة الحاكمين ، وحرمتهم من أبسط حقوقهم المشروعة . . وَجَنَّدُوا طاقاته لإيقاف الجائرين عن ممارسة هذا الدور التعسفي ، وإشعار المسؤولين بأعمال هؤلاء الذين سُلِّمَتْ إليهم أحوال الرعية ، وترك لهم حق التصرف في شؤونهم فأساؤوا السيرة . . ولم يكن عبدالله بعيداً عن الدولة ، أو معادياً لها وإنما هو رجلٌ له جاهٌ عند السلطان ، ووصلة به ، وكان سرّياً في نفسه ، له همة تسمو به ، وكان عند آل حرب مكيّناً ، حَفِظَيا فيهم ، وكان الذي حَدَا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد : أن عبدالله بن همام السلولي قام إلى يزيد ابن معاوية فأنشده شعراً رثى فيه معاوية بن أبي سفيان ، وحَضَّه على البيعة لابنه معاوية^(٣) فبايع الناس ، وحين يسمع أحداً ينال من عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يغضب ويشور . وفي حادثة أبي عمرة - صاحب شرطة المختار - وكيف علاه بالسوط دلالة على صدق انتباهه الذي عرف به الشاعر وصدق المبدأ الذي ألزم به نفسه^(٤) . وفي اعتزاله عند ظهور المختار حتى استأمن له عبدالله بن شداد وما تعرض له في مجلسه لولا إجارة ابن الأشر^(٥) وتحذير المختار وهو يقول : ويل لابن همام اللعين^(٦) . . تَتَحَقَّقُ المواقف المتباعدة من حيث المصادر والمتقاربة من حيث التوجه وتحدد الطرف الذي يقف فيه الشاعر من حركة المختار ، فهو عثمانى الهوى ، كما وصفه البلاذري^(٧) . ويمكن أن نقول في مديحه للمختار أنه كان مديحاً سياسياً ، وقد وجد الفرصة مواتية حين استأمن له عبدالله بن شداد ، وأن الظرف السياسي يدعوه إلى هذا الموقف ، وفي تعليق المختار على القصيدة بعد انتهائها ما يشير بعض التساؤلات وهو يقول لأصحابه : قد اثني عليكم كما تسمعون ، وقد أحسن الثناء عليكم ، فأحسنوا الجزاء . ثم قام المختار وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى أخرج إليكم . . إن إْحْجَامَ المختار عن إكرامه وتركه في المجلس يوحي بأكثر من مسألة ، وإذا تابعنا الحوار الذي جرى في هذه الجلسة ، وما انتهت إليه بعد أن رفع يزيد بن أنس السوط ، وطلب من ابن شُمَيْط أن يضربه بالسيف لولا إبراهيم بن الأشر الذي أجاره . إن هذه الصورة تكشف عن عدم رضا المختار عن الشاعر - على الرغم من قصيدته التي قالها - ولما خرج المختار وهو يسمع لغظهم ، وقد توائبوا على الشاعر ، كانت

مقولته تدل على ما يضمرة له : (واتقوا لسان الشاعر فإن شره حاضر ، وقوله فاجر ، وسعيه بائر ، وهو بكم غداً غادر)^(٨) .

أن هذه النظرة وطريقة الحوار وما شابه من ألفاظ تنبئ بالكوامن التي كانت تخالج فكر المختار ، وتغلي في قلوب أصحابه ، وتجدد طبيعة العلاقة غير الطبيعية بين الشاعر وبين أولئك الخصوم ، وما يضمرونه حتى بعد قول القصيدة ، وكأنهم كانوا يترصدون به للانتقام ، ويتضح هذا في قولهم : أفلا نقتله !؟ . . . فالشاعر سياسي ، أخذ نهجه في الذي ارتضاه ، واتخذ من شعره الوسيلة التي يدافع فيها عن فكره ، ويعرض بها من خلال هجائه لكل الذين حاولوا أن يكونوا في المواقف المناهضة لفكره ، والمناقضة لما ألزم به حياته ، ولم يمنعه هذا من مخاطبة الولاة بما يراه مناسباً للمخاطبة ، بعد أن باعوا الطعام واقتسموا جلب الخراج ، واستعانوا بوسائل التزوير التي تبيح لهم أعمالهم بعد أن استمروا بالخيانة ، وقد حدّد أماكنهم في الكوفة واصبها ونهاوند ، وامتلات خزائنهم ، وأصبحوا من أهل الخيل والإبل بعد أن جاؤوا وهم لا يملكون ما يركبونه ، وأن السياط ستحملهم على الاعتراف بما اقترفوا ليعيدوا إلى الدولة ما سرقوه من أموال وحلل^(٩) .

إن جرأته في المقارعة ، وصراحته في مواجهة الخصوم كانت تبدو واضحة في كثير من مواقفه ، وهو يكيل الشتائم لخصومه ، ويسخر منهم في قصائده^(١٠) وقد تركته حالته هذه هدفاً لأولئك الذين وجدوا في لسانه سوطاً يلهب ظهورهم ، وصحيفة تنشر فضائحهم ، وتكشف عن آثامهم بحق من ائتمنوا عليهم^(١١) . وكانت مراثيه لمعاوية تنم عن ولائه المطلق ، واقرن ذكر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في شعره بالشهيد^(١٢) ، وأظهر تفجعه لمقتل الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في الأشهر الحرم^(١٣) ، وكيف ضرجت أثوابه بالدم . وتتوزع قصائده بين الممدوحين من آل أبي سفيان وبين أولئك الذين وقفوا إلى جانبه عند الشدة ، ودفعوا عنه أذى الغاضبين الذين تلهبهم عباراته ويؤذيهم هجاؤه ، واتسمت مدائحه بإخلاصه لهذا البيت ، ودعوته إلى التمسك بالخلافة ، وتحريضه على توريتها بين الأبناء والأحفاد ، وحصرها بينهم ، وتحذيره لهم من

الخصوم الذين يترصدون بهم^(١٤) . وتردد في قصائده مفردات الاحساس بالتهيب والتوجس من السعاية مثل (واش) و(ساع) و(الحيانة) و(الاثم) و(يُحْرَضُ) و(يؤْلَبُ) و(يفترى) وهي مفردات توحى بحالة الشاعر النفسية الفلقة ، وصورة التشكيك التي يراها في وجوه الآخرين ، ولجاجة السعاية التي تأخذ بخناق عبارته ، وهي تلاحق حركة الوشاة ، الذين يعجزون عن مواجهته ، وتكشف القصة التي رواها ابن قتيبة والقالبي بشأن الرجل الذي وشى به إلى زياد وأبياته التي جابهه بها ، وإعجاب زياد بجوابه ، واقصاؤه الواشي الذي لم يقبل منه ، عن حجة الشاعر في الرد وصراحته في المواجهة^(١٥) .

إنَّ المقطعات التي توحى باقتطاعها من قصائد ، والأبيات المفردة التي وقفنا عندها من خلال استشهد سريع ، تؤكد نَفْسَ الشاعر وهو يجول في ميدان الشعر ليقدم شعراً متميزاً في عبارته ، محكماً في نسجه وتسلسل معانيه ، يمكن أن يأخذ مكانته في صفوف الشعراء المتقدمين ، مع أن ابن سَلَامٍ قد صنّفه في الطبقة الخامسة مع أبي زُبَيْد الطائي ، والعُجَيْر السلولي ونُفَيْع بن لَقِيط الأسدي^(١٦) .

وتأتي أخباره متباعدة ، فهو كما يذكر صاحب « السمط » شاعر إسلامي قديم أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان أو بعده^(١٧) (حكم من سنة ٩٦ - ٩٩) وألحقه صاحب « الخزائن » بالتابعين ، وقال : وكانت له صحبة^(١٨) ، وكنيته أبو عبد الرحمن^(١٩) ، وعَدَهُ اليعموري من فصحاء الكوفة الاثنيين ، ومن فصحاء العرب الأربعة^(٢٠) ، وتبقى حياته التي لم يعرض لها في شعره بعيدة عن التداول ، خارجة على إطار الأحداث السياسية التي عاصرها أو خاض غمارها ، أو اكتوى بلهبها ، ويبدو أن إقامته كانت في الكوفة ، كما تدل أخباره وعلاقاته بولاية هذه المدينة وأن أكثر الأحداث التي أرخ لها كانت وقائعها في الكوفة ، وربما حملت هذه الاقامة الطويلة بعض الرواة على اعتباره من فصحاء الكوفة ، وكان يقال له من حسن شعره (الطار)^(٢١) . وقيل : لُقِّبَ بذلك لحسن شعره^(٢٢) . وقد وجد الشاعر في أيام قومه من هَوَازَنَ مجالاً للفخر ، وميداناً يتناول به عند المناظرة ، كما وجد في أيامهم التي سجلوا فيها المآثر مجداً يعتزُّ به ، وسجلاً من المحامد يغرف من

بطولاته ما يُعِينه على ردِّ أولئك الذين كانوا يضمرون له الكيد ، ويهيئون له أسبابَ القتل ، أما خؤولته لِبني أمية فكانت هي الأخرى موضع إبطائه ومرتكز اعتداده بما ظل يردده في مديح الأمويين ، وينفرد صاحب « العقد الفريد » برواية عن خطبته لامرأة ولكنه لم يتزوجها ويذكر أربعة أبيات يسجل فيها هذا الحدث (٢٣) .

وعبدالله بن همام ، سلوليٌّ من بني مُرة بن صعصعة من قيس عيلان ، وبنو مرة — كما يذكر ابنُ قتيبة في « الشعر والشعراء » (٢٤) — يُعرفون ببني سلول لأنها أمهم وهي بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة (٢٥) ، وقد فرَّق أستاذنا الكريم المحقق حمد الجاسر بين قبيلة سلول هذه وبين سميتها القبيلة القحطانية المنسوبة إلى سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة (٢٦) وأسهب في تحديد منازل سلول من هوازن ، وهي تتجاوز فيها فروع القبيلة ، وكانت بنو سلول تُحلُّ الجزء الغربي الجنوبي منها ، وهو فروع الأودية التي تنحدر من جبال الحجاز ، جنوب الطائف ، ثم تغيض في نجد ، وتنتشر بقية فروع هوازن على جوانب هذه الأودية مختلطة ، وأعلى هذه الأودية تحلُّها قبائل قحطانية ، وبنو سلول هم الذين يُحَادُّون تلك القبائل في أعلى بلاد هوازن ، فهم يُحَادُّون قبيلة خثعم القحطانية ، ويجاورهم منها بنو الحليس يشاركون بني سلول في بعض المياه (٢٧) . وبدأت منازل سلول تنكمش بترك القبيلة بعض مياهها وانضمامها حول نفسها في وادي (بيشة) موطنها القديم ، الذي لاتزال تستوطنه ، ويفيض أستاذنا الجاسر في حديثه عن منازل سلول وأسماء مناهلها وجبالها وقراها وشعرائها بما لم يترك لمزيد أن يستزيد فجزاه الله خير الجزاء وأمدّه بقوة من عنده .

ديوانه وشعره :

تعدّ إشارة صاحب « الخزائن » إلى ديوان عبدالله بن همام أول إشارة وآخرها لأن المصادر الأولى لم تقف له على ذكر وفي حدود ما توفر لنا من المراجع (٢٨) . وتأتي محاولة الأستاذ المحقق حمد الجاسر أول مبادرة لجمع شعره ودراسة حياته

ونشره ضمن سلسلة شعراء الجزيرة في مجلة « العرب » وفي عديد . وهي كما قدم لها مقتطفات من شعره هي جل - ان لم يكن كل - ما أمكنه العثور عليه مما بين يديه من كتب الأدب والتاريخ ، وهي على قلتها قد تضع أمام القارئ ملامح واضحة عن شاعريته^(٢٩) . وبهذا العمل الكريم يكون استاذنا الجاسر قد وضع يده على مقتطفات من شعر هذا الشاعر الذي يضيف إلى التاريخ حقائق جديدة . ويؤرخ لحوادث خطيرة تجاوزتها روايات المؤرخين ، وهي وثائق لها أهميتها في تحديد الصورة التي كان بعض العمال يعاملون بها الجمهور ، وقد استطاع الشاعر أن يقف بحزم لمجابهة المقصرين ويهاجم بمعادة السراق واللصوص . وكان مجموع ما وقع بين يدي الاستاذ الجاسر مئة وسبعة أبيات ، وهو مجموع يحمد عليه في حينه .

وقد توفرت لدي إضافات شعرية تغني حياته وتوسع الدائرة الشعرية التي تحرك فيها ، وتؤكد اهتمامه السياسي الذي صرف إليه شعره . فكان عدد الأبيات التي جمعتها مئتين واثنين وأربعين بيتاً ، ومن المؤمل أن يزداد هذا العدد بعد ظهور مجاميع شعرية أو تحقيق مخطوطات تحتفظ بقصائد أو مقطعات لشاعرنا الذي شق تياراً جديداً ، وهياً لغرض شعري ، وجاهر بموقف سياسي عبّر فيه عن جسّه وجراته ، ونقل إلى الخلفاء هموم الجمهور الذي أنقلته مغارم العمال ، ونفرتة سوء إدارتهم . ويبقى الفضل للمتقدم في هذا الجهد المحمود .

ولم تكن محاولة جمع شعره إلا بداية لوضع هذا الشاعر على طريق الدراسة التي يستحقها ، وإظهار التيار الشعري الذي حمل رايته ، ونادى به ورفع لواءه ، ليس من باب الانتقاص من الدولة ، وليس من جانب التنكيل بها فهو معروف بإخلاصه ، وصادق بولائه ، ولكنه كان يجد في هذا الولاء مسئولية تفرض عليه الإخلاص في نقل الاحساس ، والصراحة في التعامل ، والكشف عن كل الذين يعملون تحت خيمة الدولة ، ويمجدون في حمايتها سترأ لمواقفهم الشائنة ، وفي مواقعهم إخفاء لما يحققونه من مطامع ، أو يحصلون عليه من مكاسب ، وأن الولاة والخلفاء كانوا يسمعون صوته ، ويستجيبون له ، ويتخذون من المواقف

ما يردع هؤلاء المتلاعبين ، ويقتص من المقصرين ، ويسترد الحقوق ممن تجاوز عليها بغير حق . فهو صوت شعري أمين ، وضمير انساني مخلص ، ولون أدبي معبر . وهذه صورة تدعو الباحثين إلى الوقوف عليها ، وتحمل الدارسين على إعطائها ما تستحق من العناية لكشف عن جانب مشرق من تراثنا الشعري ، وهو غاية هذه الدراسة .

وفاته :

اقتربت قصائد الشاعر بأحداث تاريخية أرّخها المؤرخون ، ووقف عندها أصحاب الأخبار ، فكان من الداخلين على الوليد بن عبد الملك حين مات والده ، وقال أبياتاً في مدحه وكان ذلك سنة ست وثمانين . وأشار البكري إلى أنه بقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك أو بعده . وانتهت خلافة سليمان سنة تسع وتسعين ، فإذا أخذنا برأي البكري فإن وفاته كانت سنة مئة أو بعدها وربما كان هذا التصور سبباً من أسباب تغليب وفاته سنة مئة كما ذهب صاحب « الاعلام » . ولم نجد ذكراً للشاعر بعد هذه الحقبة ولم نتحدث عنه الأخبار ، ويبدو أن صوته قد خَفَت ، وأن حياته السياسية قد انتهت ، وأن عامل الزمن قد أخذ نصيبه منه ، فوجد في الانزواء أو الانصراف إلى الأمور الذاتية ما يرضيه بعد أن قطع مرحلة متقدمة من العمر . .

[حواشي] :

- (١) تنظر الأبيات في البلاذري «فتوح البلدان» ٥٤١ ، ٥٤٢ و«الاصابة» ٢٩٦/٢ .
- (٢) البلاذري «فتوح البلدان» ٥٤٢-٥٤٣ .
- (٣) ابن سلام «طبقات فحول الشعراء» ٥٩٣/٢ والجاحظ . «البيان والتبيين» ٣٨٣/١ .
- (٤) «تاريخ الطبري» ٣٥/٦ .
- (٥) البلاذري «أنساب الأشراف» ٢٣٠/٥ .
- (٦) البلاذري «أنساب الأشراف» ٢٣٥/٥ .
- (٧) البلاذري «أنساب الأشراف» ٢٣٠/٥ .
- (٨) «تاريخ الطبري» ٣٥/٦-٣٧ وينظر «أنساب الأشراف» ٢٣٠/٥ .
- (٩) تنظر القصيدة رقم (٢٧) .
- (١٠) تنظر القطعة رقم (٨) .
- (١١) تنظر القصيدة رقم (٩) .
- (١٢) تنظر القصيدة رقم (٧) .

- (١٣) تنظر القصيدة رقم (٢٥) .
 (١٤) تنظر القصيدة رقم (٣٠) .
 (١٥) تنظر القصيدة رقم (٣٧) .
 (١٦) ابن سلام «طبقات فحول الشعراء» ٥٩٣/٢ .
 (١٧) ينظر «سبط اللالي» ٦٨٣/٢ .
 (١٨) البغدادي «خزانة الأدب» ٦٣٩/٣ و«الشعر والشعراء» ٦٥١/٢ .
 (١٩) ابن حبيب . كنى الشعراء ومن غلبت عليه كنيته ٢٩٠ (نواذر المخطوطات) .
 (٢٠) اليعموري «نور القيس المختصر من المقتبس» ٢٣٦ .
 (٢١) البغدادي «خزانة الأدب» ٦٣٨/٣ .
 (٢٢) ابن حبيب . ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه ٣١١/٢ (نواذر المخطوطات) .
 (٢٣) ابن عبد ربه «العقد الفريد» ١٢٧/٦ .
 (٢٤) ابن قتيبة «الشعر والشعراء» ٦٥١/٢ .
 (٢٥) حمد الجاسر مجلة «العرب» . من شعراء الجزيرة . الشاعر عبدالله بن همام ص ١ ص ٣٨ .
 (٢٦) المصدر نفسه ٣٨ .
 (٢٧) المصدر نفسه ٣٩ .
 (٢٨) البغدادي «خزانة الأدب» ١٠/١ .
 (٢٩) مجلة «العرب» ص ١ : ١٥٧ .

* * * *

شعر ابن همام السلولي :

(١)

قال لما قتل زياد أوفى بن حصن الطائي ، وكان أول من قتله في الكوفة بسبب حوار جرى بينهما بعد أن بلغه عنه شيء فطلبه فهرب . [من الخفيف] ..
 حَيَّبَ اللهُ سَفِيَّ أَوْفَى بْنِ حِصْنٍ حِينَ أَضْحَى فَرُوجَةَ الرُّفَاءِ
 فَادَّةَ الْحَيْنِ وَالْمُثَقَّاءِ إِلَى لَيْثٍ عَرِينٍ وَحَيَّةٍ صَمَاءِ

(٢)

قال ابن همام السلولي : [من البسيط] ..

١- إني أرى فتنة تغلي مَراجِلَها والمُلكَ بَعْدَ لَيْلٍ لِمَنْ غَلَبَا*

(٣)

وقال في أمر المختار : [من الكامل] ..

١- أَضْحَتْ سُلَيْمَى بَعْدَ طَوْلِ عِتَابٍ وَتَجَرَّمِ وَنَفَادِ غَرْبِ شَبَابِ

- ٢- قد ازمنت بضربتي وتجنبي
 ٣- لما رأيت القصر أغلق بابه
 ٤- ورأيت أصحاب الدقيق كأنهم
 ٥- ورأيت أبواب الأزقة حولنا
 ٦- أيقنت أن حيول شيعة راشد
 وتهوك منذ ذاك في إغتاب
 وتسوكت همدان بالأسباب
 حول البيوت ثعالب الأتراب
 دزيت بكل هراوة وذباب
 لم يبق منها فيش أير ذباب

(٤)

ودخل عبدالله ذات يوم على ابن زياد فقال ألك حاجة ؟ فقال : [من الطويل] ..

- ١- نعم حاجة كلفتها الفيظ كله
 ٢- يعاودها حسان عمرو بن نافع
 أراوحها البردين حتى شيتها
 فحسان يحييها وعمرؤ يميها^(١)

(٥)

وقال : [من الطويل] ..

الأرب ذي نصح وقد تستغشه
 ومن جاهد في الغش يحسب ناصحاً

(٦)

وقال أيضاً : [من الطويل] ..

- ١- رأيك تقصي من يودك قلبه
 ٢- وقد يستغش المرء من لا يغشه
 وتذني الذي يطوي الأذى في الجوانح
 ويامن بالغيب امرأة غير ناصح

(٧)

وكان الذي جدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد أن عبدالله بن همام السلولي قام إلى يزيد بن معاوية فأنشده شعراً رثى فيه معاوية بن أبي سفيان وحضه على البيعة لابنه معاوية فقال : [من الوافر] ..

- ١- تغزوا يابني حرب بضرب
 فمن هذا الذي يرجو الخلودا

- ٢ - لَعَمْرُؤُا مُسَاجِحِينَ يَسْطِنُ جَمْعُ
- ٣ - لَقَدْ وَارَى قَلْبُكُمْ بَيَانًا
- ٤ - وَجَدْنَاهُ بَغِيضًا فِي الْأَعَادِي
- ٥ - يَمُودُ لَمْ يَمَّا مَلَكَتْ يَدَاهُ
- ٦ - أَمِينًا مُؤْمِنًا لَمْ يَقْضِ أَمْرًا
- ٧ - إِمَامًا لَا يَمُورُ كَانَ فِينَا
- ٨ - فَقَدْ أَصْحَى الْعَدُوُّ رَجِيئِي بِالِ
- ٩ - فَعَاضَ اللَّهُ أَهْلَ الدِّينِ مِنْكُمْ
- ١٠ - مُجَانِيَةً الْحَقِّ وَكُلَّ نَحْسٍ
- ١١ - جَلَاةً رَبِّكُمْ حَامُوا عَلَيْهَا
- ١٢ - تَعْلُمُهَا الْكُهُولُ الرَّذْ حَتَّى
- ١٣ - إِذَا مَا بَانَ ذُو ثِقَةٍ تَلَقَّتْ
- ١٤ - تَلَقَّفَهَا يَزِيدٌ عَنْ أَبِيهِ
- ١٥ - أَوْبَرُوهَا بَنِي حَرْبٍ عَلَيْكُمْ
- ١٦ - فَإِنَّ ذُنُوبَكُمْ بِكُمْ أَطْمَأْنَتْ
- ١٧ - وَإِنْ ضَجَرَتْ عَلَيْكُمْ فَأَعْصِبُوهَا
- لَقَدْ جَهَزْتُمْ مَيْنًا فَقِيدًا
- وَجِلْمًا لَا كِفَاءَ لَهُ وَجُودًا
- حَبِيبًا فِي رَعِيَّتِهِ حَمِيدًا
- وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ إِلَّا الْحُدُودًا
- فَيُوجِدُ غِبَّةً إِلَّا رَشِيدًا
- بِهِ الصُّدُوقُ أَوْ عَمَرَ الشُّهِيدَا
- وَقَدْ أَمْسَى التَّقِيُّ بِهِ عَمِيدًا
- وَرَدَّ لَنَا خِلَافَتَكُمْ جَدِيدًا
- مُقَارِنَةً الْإِيمَانِ وَالسُّعُودَا
- إِذَا غَمِرَتْ، غَنَابَةً أَسُودَا
- تَذِلُّ بِهَا الْأَكْفُ وَتُسْتَقِينَا
- أَخَائِقَهُ بِهَا صَنَعًا مُجِيدًا
- وَحُدًى يَامُعَاوِيَّ عَنْ يَزِيدَا
- وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْفَرَضَ الْبَعِيدَا
- فَاوْلُوا أَهْلَهَا خُلُقًا مَدِيدَا
- عَصَابًا تَسْتَدِيرُ بِهِ شَدِيدَا

(٨)

قال ابن همام يذكر عمر بن يزيد وقد اصابته صاعقة فهلك ويقال رعدت السماء رعدة شديدة فمات خوفاً... [من الخفيف]...

- ١ - عُمَرَ الْخَيْرِ يَا شَيْبَةَ أَبِيهِ
- ٢ - سُلْطَ الْحَتَفُ فِي الْغَمَامِ عَلَيْهِ
- ٣ - أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ
- ٤ - أَنَّ خَيْرَ الْفَتَيَانِ أَصْبَحَ فِي لَحْدِ
- أَنْتَ لَوْ عِشْتَ قَدْ خَلَفْتَ يَزِيدَا
- فَتَلْقَى الْغَمَامَ رُوحًا سَعِيدَا
- بَلَّغَا الشَّامَ أَهْلَهَا وَالْجُنُودَا
- سِدِّ وَأَمْسَى مِنَ الْكِرَامِ فَقِيدَا

(٩)

خطب عامر بن مسعود - وكان يقال له دُحْرُوجَةُ الْجَعَلِ لِقَصْرِهِ - أَهْلَ

الكوفة - فقال : إن لكل قوم أشرية ولذات فاطلبوها في مظانها وعليكم بما يجمل
ويحل منها واكسروا شرايكم بالماء ، وتواروا عني بهذه الجدران فقال عبدالله بن
همام السلوي : [من البسيط] ..

١- اشرب شرايكم وانعم غير محسود واكسره بالماء لا تنصر ابن مسعود
٢- إن الأمير له في الخمر مأزبة فاشرب ميثا مريثا غير تصريد
فلما بلغ ابن مسعود قول ابن همام قال : قطع الله لسان عدل الحمار فقد أساء
القول ..

(١٠)

هجا عبدالله بن همام عمرو بن نافع مولى بني أمية ، وكان يتولى ديوان الكوفة
لزياد فلما ولي عبيدالله وثيبي به إليه فطلبه فهرب إلى يزيد بن معاوية ، ومدح عثمان
ابن عنسة بن أبي سفيان واستجار به في شعر يقول فيه : [من الوافر] ..

١- أراك إذا أجرت على أمير وثيق عرى ألمانة والجوار
٢- فإني لأبشك بث فقري ولكني أحاذر من طمار^(١)
٣- أعوذ من العقوبة يا ابن حرب ومعقد ما عقدت من الإزار

(١١)

وقال عبدالله بن همام السلوي : [من الطويل] ..

١- أقبل عليّ اللوم يابنت مالك وذمي زمانا ساد فيه الفلاف^(٢)
٢- فساع مع السلطان يسقى عليهم ومخترس من مثله وهو حارس
٣- وكنم قاتل مابال مثلك راجلا فقلت له : من أجل أنك فارس
٤- إذا لم يكن صدر المجالس سيد فلاخير فيمن صدرته المجالس

(١٣)

وقال : [من الطويل] ..

أنيح له من شرطة الحني أبد غليظ القصيري لحمه متكاس^(٤)

نَرَاهُ إِذَا يَمْضِي بِحُكِّكَ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَافِئُ

(١٤)

وقال عبدالله بن همام : [من الطويل] ..

- ١- تَرُمْتُ يَا ابْنَ الْحَرِّ وَحَذَكَ خَالِيَا
 - ٢- أَتَذْكُرُ قَوْمًا أَوْجَعَتْكَ رِمَاحُهُمْ
 - ٣- وَتَبْكِي لِمَا لَأَقْتُ زَبِيعَةً مِنْهُمْ
 - ٤- فَهَلَّا بِجَنَفِي طَلَبْتَ دُحُولَهَا
 - ٥- تَرَكْنَاهُمْ يَوْمَ الشَّرِيِّ أَذْلَةً
 - ٦- وَخَالَطَكُمْ يَوْمَ النُّخَيْلِ بِجَمْعِهِ
 - ٧- وَيَوْمَ شَرَّاجِيلٍ جَدَعْنَا أَنْفُوكُمْ
 - ٨- ضَرَبْنَا بِحَذِّ السَّيْفِ مَفْرُقَ رَأْسِهِ
 - ٩- فَإِنْ رَغِمَتْ مِنْ ذَلِكَ أَنْفٌ مَذْجِحٍ
- بِقَوْلِ امْرِئٍ نَشْوَانٍ أَوْ قَوْلِ سَاقِطٍ
وَذُبُّوا عَنِ الْأَحْسَابِ عِنْدَ الْمَاقِطِ
وَمَا أَنْتَ فِي أَحْسَابٍ بِكُفْرٍ بِوَاسِطِ
وَرَهْمُكَ ذُنْيَا فِي السَّيْنِ الْقَوَارِطِ
يَلُودُونَ مِنْ أَسْيَافِنَا بِالْعَرَافِطِ
عُمَيْرُ فَمَا اسْتَبَشَّرْتُمْ بِالْمُخَالِطِ
وَلَيْسَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَلِكَ بِقَاسِطِ
وَكَانَ حَدِيثًا عَهْدُهُ بِالْوِثَاقِطِ
فَرَعْنَا وَسُخْطًا لِلْأَنْوَابِ السَّوَاقِطِ

(١٥)

وقال : [من الطويل] ..

- فَأَمَّا تَرَبِّيَ الْيَوْمَ مُزْجِي مَطْيِي أَصَيْدُ سَيْرًا فِي الْبِلَادِ وَأَفْرَعُ^(٥)
فَلَيْتَ مِنْ قَوْمِ سِوَاكُمُ وَإِنَّمَا رِجَالِي فَهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَشْجَعُ

(١٦)

وكان عبدالله بن همام سمع أبا عمرة صاحب شرطة المختار يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فقنعه بالسوط فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمن له عبدالله بن شداد ، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال : [من الطويل] ..

- ١ - أَلَا انْتَسَاتِ بِالْوَدِّ عَنْكَ وَأَذْبَرْتَ
 - ٢ - وَخَمَلَهَا وَاشْرَ سَمَى غَيْرُ مُوتَلٍ
- مُعَالِنَةً بِالْمَخْرِ أَمْ سَرِيعٍ
فَأَبَتْ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ بِجَمِيعِ

فليس انتقال غلة ببديع
 ويليه عن زود الشاب شموع
 كئائب من همدان بعد مزيج
 يقود جوعا عقت بجموع
 بكل فتى حامي اللمار ميع
 بأمر لدى الهجاء جد جمع
 هناك بمخول ولا بمضيع
 وكل أخو إخبابة وخشوع
 إلى ابن إياس مضجرا لوقوع
 وأخرى حورا غير ذات ذروع
 وشد بأولاهما على ابن مطيع
 وطعن غداة السكتين وجمع
 بذل وإرغام له وخضوع
 وكان لهم في الناس خير شفيع
 لخير إياب آبه ورؤيع
 فنحن له من سامع ومطيع

٣ - فحفض عليك الشأن لا يزدك الهوى
 ٤ - وفي ليلة المختار ما يذهل الفنى
 ٥ - دعا بالثارات الحسين فأقبلت
 ٦ - ومن مذبح جاء الرئيس ابن مالك
 ٧ - ومن أسد وآق يزيد لنضره
 ٨ - وجاء نعيم خير شتيان كلها
 ٩ - وما ابن شنيط إذ يحرض قومه
 ١٠ - ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن
 ١١ - وسار أبو النعمان لله سعيه
 ١٢ - بخيل عليها يوم هيجا ذروها
 ١٣ - فكر الخيول كرهة نفقتهم
 ١٤ - قول يضرب يشدخ الهام وقعه
 ١٥ - فحوصر في دار الإمارة بئسا
 ١٦ - فمن وزير ابن الوصي عليهم
 ١٧ - وآب الهدى حقاً إلى مستقره
 ١٨ - إلى الهاشمي المهتدي المهتدى به

(١٧)

وقال ابن همام في عمرو بن نافع : [من الطويل] ..

وفينا أبو عثمان عمرو بن نافع
 بقية ميراث لشيخك ضائع
 وأم جراء تتقي في المراقع
 فكم كان فيكم من مشير وتارع

١ - أفي (جرجرايا) أنت كفنا بن قرزبن
 ٢ - وأنبئت في (جوجا) فلا تتركه
 ٣ - ثلاثة أخلاق بليين ومنجلا
 ٤ - فلهني عليكم آل كفنا بن قرزبن

(١٨)

قال أنس بن أبي أناس وبعضهم يقول : ابن همام والاول اثبت : [من الكامل] ..

- ١- أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح ما إن يُريد متاعاً
- ٢- بضع الفتاة بألف ألف كامل
- ٣- قلوا أنني الفاروق أخيراً بالذي شامدته ورأيتُهُ لأرتاعاً

(١٩)

ودعا ابن مطيع الناس إلى البيعة لابن الزبير ولم يُسمه وقال : بايعوا لأمر المؤمنين فكان من بايعه فضالة بن شريك الأسدي . ويقال : ابن همام السلوي وقال : [من الطويل] ..

- ١- دَعَا ابْنَ مُطِيعٍ لِلْبَيْعِ فَجِثَّهُ إِلَى بَيْعَةِ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ عَارِفٍ
- ٢- فَأَخْرَجَ لِي خَشَنَاءَ حَيْثُ لَمَسْتُهَا مِنْ الْحُثْنِ لَيْسَتْ مِنْ أَكْثَفِ الْخَلَائِفِ
- ٣- مِنَ الشُّبَّانِ الْكُزْمِ أَتَكَرَّتْ مَعَهَا وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ السَّبَاطِ اللَّطَائِفِ
- ٤- مُعَاوِدَةٍ ضَرَبَ الْهَرَاوِي لِقَوْمِهَا فَرُودًا إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ التَّسَائِفِ
- ٥- وَلَمْ يُسَمِّ إِذْ بَايَعْتُهُ مَنْ خَلِيفَتِي وَلَمْ يَشْتَرُ إِلَّا اشْتِرَاطَ الْمُجَازِفِ

(٢٠)

وقال : [من الوافر] ..

- ١- أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا بَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُ عَلَى شَرَافٍ
- ٢- وَأَنَّكَ إِنَّمَا هَدُمْتَ طِينًا وَلَنْ تَسْطِيعَ تَهْدِيمَ الْقَوَافِ

(٢١)

وكان أول من قام لبيعة الوليد بن عبد الملك - سنة ست وثمانين - عبدالله بن همام السلوي ، فانه قام وهو يقول : [من الرجز] ..

- الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراذ المُلجئون عوقها
عنك وبأى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها
- فبايع الناس ..

(٢٢)

وَمَنْ ذَكَرَ حَيَّةَ الْمَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ هَمَامِ السَّلُولِيِّ فَقَالَ : [مِنْ الْبَسِيطِ] ..

١ - كَحَيَّةِ الْمَاءِ لَا تَنْحَاشُ مِنْ أَحَدٍ صُلْبُ الْمِرَاسِ إِذَا مَا حُلَّتِ النَّطْقِي

(٢٣)

وَفِي آيِنَ : قَوْلُهُ وَهُوَ ابْنُ هَمَامِ السَّلُولِيِّ : [مِنْ الْخَفِيفِ] ..

آيِنَ تَضْرِبُ بِنَا الْعُدَاةُ نَجْدَنَا نَضْرِبُ الْعَيْسَ نَحْوَهَا لِلتَّلَاقِي

(٢٤)

لَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ أَحْمَلَ إِلَيَّ ابْنَ هَمَامِ السَّلُولِيِّ وَكَانَ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

حُثِينَا الْغَيْظُ حَتَّى لَوْ شَرِينَا دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رَوِينَا

فَأَخَذَهُ ابْنُ زِيَادٍ فَسَأَلَهُ أَنْ يُكْفِلَهُ عَرِيفَهُ ، وَكَانَ اسْمُ الْعَرِيفِ مَالِكًا فَفَعَلَ ، وَهَرَبَ ابْنُ هَمَامٍ وَأَخَذَ عَرِيفُهُ بِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى يَزِيدٍ فَعَزَاهُ عَنْ مُعَاوِيَةَ وَهَنَاهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَأَتَى ابْنَهُ مُعَاوِيَةَ فَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَمَنَهُ يَزِيدٌ وَصَفَحَ عَنْهُ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ بِأَمْرِهِ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لَهُ ، وَأَوْصَاهُ بِهِ فَقَالَ ابْنُ هَمَامٍ حِينَ رَجَعَ : [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] ..

- | | |
|---|--|
| ١ - جَعَلْتَ الْغَوَايِي مِنْ بَالِكَا | وَلَمْ يَنْتَهِكِ الشَّيْبُ عَنْ ذَالِكَا |
| ٢ - عَلَى حِينٍ كَانَ الصَّبَا شَانِيَا | وَأَقْصَرَ بَاطِلُ أَخْدَانِكَا |
| ٣ - بَكَيْتُ الْعَشِيرَةَ إِذْ فَارَقُو | كَ لِإِلْفِكَ فِيهِمْ وَأَوْطَانِكَا |
| ٤ - أَقُولُ لِغُلْثِمَانَ لَا تَسْلَحْنِي | أَفِئْتُ عَنْهُمْ عَنْ بَغْضِ تَغْذَالِكَا |
| ٥ - غَرِيبُ تَذَكَّرَ إِخْوَانَهُ | فَهَاجُوا لَهُ سَقَمًا نَاهِكَا |
| ٦ - وَكَرَّمَنِي أَرْضَكُمْ أَنِّي | رَأَيْتُ بِهَا أَسَدًا نَاهِكَا |
| ٧ - فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْأَفِيرَهُ | نَجَوْتُ وَأَزْمَنْتُهُمْ (مَالِكَا) |
| ٨ - عَرِيفًا مُقِيمًا بِدَارِ الْقَوَا | بِ أَمْرٍ عَلِيٍّ بِهِ هَالِكَا |

- ٩- وَكُنْتُ أَبْيَضَ ذَا سُودٍ
 ١٠- أَجُوبُ إِلَيْهِ أَيْتِمَ النَّهْ
 ١١- بِأَدْنَاءَ قَدْ ضَمَّ مِنْهَا السَّفَا
 ١٢- فَلَمَّا أَنْخَتُ إِلَى بَابِهِ
 ١٣- فَقُلْتُ أَجِزْنِي أَبَا خَالِدٍ
 ١٤- فَجَادَ بِنَا ثُمَّ قُلْتُ أَعْطِنِي
 ١٥- فَأَطَعْتُ لَنَا رَجَمَ بَرَّةٍ
 ١٦- فَكَمْ فُرِجَتْ بِكَ مِنْ كَرْبَةٍ
 ١٧- وَكَانَ وَرَاءَكَ ضِرْغَامَةٌ
 ١٨- فَيَا ابْنَ زِيَادٍ وَكُنْتُ امْرَأً
 ١٩- فَإِنْ مَعِيَ ذِمَّةٌ مِنْ يَزِيدَ
 ٢٠- مِنْ أَنْ أَظْلَمَ الْيَوْمَ أَوْ أَنْ تُطِ
 ٢١- فَلَوْلَا الثِّقَالُ شَفَاعَتُهُمْ
 ٢٢- فَقَدْ خَطَّ لِي الرُّقْ فِيهِ الْإِمَا
 ٢٣- فَلَا تُحَقِّرْنَهُ فَقَدْ خَطَّ لِي
 ٢٤- وَأَخْضَرْتُ عُذْرًا عَلَيْهِ الشُّهُو
 ٢٥- أَجِبْ رِضَاكَ وَإِنْ لَمْ تُشِبْ
 ٢٦- وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا
- عَلَا ذِرْوَةَ الْجِدِّ وَالْحَارِكَ
 ر، وَأَدْرُعُ الْأَسْوَدَ الْحَابِكَ
 ر، وَأَنْفَى سَنَامًا لَهَا تَابِكَ
 رَأَيْتُ خَلِيفَتَنَا ذَالِكَ
 وَلَا فَهَبَنِي امْرَأً هَالِكَ
 بِنَا يَا صَفِيَّ وَيَا عَائِكَ^(١)
 وَلَمْ نَحْقِرِ النَّسَبَ الشَّابِكَ
 وَمِنْ خُلْفَةٍ عِنْدَ أَبَوَائِكَ
 تَوَائِلُ مِنْهُ بِخَوَائِكَ
 - كَمَا زَعَمُوا- عَابِدًا تَابِكَ
 وَإِيَّيْ أَهْوَدُ بِإِسْلَامِكَ
 حَ بِِ الْكَاذِبِ الْإِيْمِ الْإِيْكَ
 وَعَهْدُ الْخَلِيفَةِ لَمْ آتِكَ
 نْ، إِلَيْكَ غَفَاةً أَنْبَاكَ
 رُقَى مِنْ خَفَاةٍ حَيَاتِكَ
 دُ إِنْ قَابِلًا ذَاكَ أَوْ تَارِكَ
 حِي بِهِ، وَتَشَبَّهْتَ سُلْطَانِكَ
 م. أَنِّي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكَ

(٢٥)

دخل عطاء بن أبي سفيان بن نضلة بن قائف الثقفي على يزيد وقد مات معاوية فقال : أصبحت يا أمير المؤمنين فارقت الخليفة ، وأعطيت الخلافة ، فأجرك الله على عظيم الرزية ورزقك الشكر على حسن العطية ، فاحتلى ابن همام مثاله في هذا النثر فنظمه فقال : [من البسيط] ..

- ١- اضْبُرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا بَقَّةٍ
 ٢- أَصْبَحْتَ لَا رُزَّةَ فِي الْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ
 وَاشْكُرْ عَطَاءَ الَّذِي بِأَلْمَلِكِ أَضْفَاكَ
 كَمَا رُزِنْتَ وَلَا عَقْبَى كَعُقْبَاكَ

٣- أُعْطِيَتْ طَاعَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ نَزَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَزْعَاكَ
٤- وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا هَلَكْتَ ، وَلَا نَسْمَعُ بِمَنَّاكَ

(٢٦)

قال يمدح ابن الاشر: [من الطويل] ..

- ١- أَطْفَأَ عَنِّي نَارَ كَلْبَيْنِ أَلْبَا عَلَى الْكِلَابِ ذُو الْفَعَالِ ابْنُ مَالِكٍ^(٧)
- ٢- فَتَى جَبْنَ يَلْقَى الْخَيْلَ يَفْرِقُ بَيْنَهَا بِطْعَنٍ دِرَاكِ أَوْ بِضَرْبِ مُوَابِيكِ
- ٣- وَقَدْ غَضِبْتُ لِي مِنْ هَوَازِنَ عُصْبَةٍ طَوَالَ الذَّرَى فِيهَا عِرَاضُ الْمَبَارِكِ
- ٤- إِذَا ابْنُ شُمَيْطٍ أَوْ يَزِيدُ تَعَرَّضَا لَهَا وَقَعَا فِي مُسْتَحَارِ الْمَهَالِكِ
- ٥- وَتَبَسُّمِ عَلَيْنَا يَا مَوْلِي طَيِّبٍ مَعَ ابْنِ شُمَيْطٍ شَرٌّ مَاشٍ وَرَاتِكِ^(٨)
- ٦- وَاعْظِمِ دِيَارِ عَلِ اللَّهِ فِرْيَةً وَمَمَافِقَ طَاغٍ كَأَخَرِ نَاسِكِ
- ٧- فَيَا عَجَبًا مِنْ أَحْمَسَ ابْنَةِ أَحْمَسٍ تَوَثَّبُ حَوْلِي بِالْقَنَا وَالنَّيَازِكِ
- ٨- كَانَكُمْ فِي الْعِزِّ قَيْسٌ وَخُثْعَمٌ وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا لِنَامِ عَوَارِكِ

(٢٧)

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشر دنانير في أعطياتهم ، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير . وكان عثمانياً ، فأبى أن ينفذها لهم ، فكلموه وسألوه بالله فأبى أن يفعل ، وكان إذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن .. فقال عبدالله بن همام السلوي : [من الطويل] ..

- ١- زِيَادَتَنَا نَعْمَانُ لَا تُحْبِسْهَا خَفِ . اللَّهُ فِينَا وَالْكِتَابُ الَّذِي تَتْلُو
- ٢- فَمَا نَكَ قَدْ مُمَلَّتْ مِنَّا أَمَانَةٌ بِمَا عَجَزْتَ عَنْهُ الصَّلَاحَةُ الْبَزْلُ
- ٣- فَلَا يَكُ بَابُ الشَّرِّ مُحْسِنٌ فَتَحَهُ لَدَيْنَا وَبَابُ الْخَيْرِ أَنْتَ لَهُ قُفْلُ
- ٤- وَقَدْ نِلْتَ سُلْطَانًا عَظِيمًا فَلَا تُكُنْ لغيرِكَ جَمَاتُ النَّدَى وَلَكَ الْبُخْلُ
- ٥- وَأَنْتَ أَمْرٌ حُلُوُ اللَّسَانِ بَلِيغُهُ فَمَا بَالُهُ عِنْدَ الزِّيَادَةِ لَا يَجْلُو
- ٦- وَقَبْلَكَ قَدْ كَانُوا عَلَيْنَا أَيْمَةً يَسْمُهُمْ تَقْوِيمُنَا وَهُمْ عُضْلُ
- ٧- إِذَا أَنْصَتُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا وَلَكِنْ حَسَنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ

- ٨ - يَنْتُمُونَ دُنْيَانَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَأَبْقَى حَقَّ مَا يَدِرُّ لَهَا تَعْلُ^(٩)
 ٩ - فَيَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنِّي أَخَوَكُمُ وَاللَّيْلُ لِمَعْرُوفٍ أَتَى مِنْكُمْ أَقْلُ
 ١٠ - وَمَنْ أَجَلُ لِإِنْوَاءِ النَّبِيِّ وَنَصْرِهِ يُحِبُّكُمْ قَلْبِي وَغَيْرُكُمْ الْأَصْلُ

(٢٨)

لما وصلت إلى الشاعر عبدالله بن همام جائزة معاوية شكرها ثم كتب إليه بهذه
 الأبيات : [من الطويل]

- ١ - أَتَانِي كِتَابُ اللَّهِ وَالِدَيْنِ قَائِمٌ وَبِالشَّامِ أَنْ لَا فِيهِ حُكْمٌ وَلَا عَذْلُ
 ٢ - أُرِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الزَّمَانِ لَهُ الْفَضْلُ
 ٣ - فَهَاتِيكُمْ الْأَنْصَارُ يَرْجُونَ فَضْلَهُ وَهَلَاكُ أَعْرَابٍ أَصْرٌ بِهَا الْقَهْلُ
 ٤ - وَمِنْ بَعِيدِهَا كُنَّا عِبَادِيَدَ شُرَدَا أَقَمْتَ قِنَاةَ الدِّينِ وَاجْتَمَعَ الشُّمْلُ
 ٥ - فَأَيُّ أَنْاسٍ أَثْقَلَتْهُمْ جُنَايَةُ فَمَا انْفَكَّ عَنْ أَعْنَاقِهِمْ ذَلِكَ الثَّقْلُ
 ٦ - أَبُو خَالِدٍ أَخْلَقَ بِهِ أَنْ يُصَيِّبَنَا بِسَجَلٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ يَتَّبِعُهُ سَجْلُ
 ٧ - هُوَ الْيَوْمَ ذُو عَهْدٍ وَفِينَا خَلِيفَةُ إِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا خَلِيفَتُنَا الْكَهْلُ

(٢٩)

قال عبدالله بن همام : [من الطويل] ..

- ١ - زِيَادَتُنَا نِعْمَانُ لَا تُحَرِّمُنَا تَقِ اللَّهَ فِينَا وَالْكِتَابَ الَّذِي تَتْلُو
 ٢ - أَيْبُتُ مَا زِدْتُمْ وَتُلْقَى زِيَادَتِي دَمِي إِنْ أُسْبِغَتْ هَذِهِ لَكُمْ بَسْلُ

(٣٠)

وقال عبدالله بن همام السلولي : [من الطويل] ..

- ١ - فَأَخْلِفَ وَأَتْلَفَ إِنَّمَا أَمَالُ عَارَةٌ فَكُلُّهُ مَعَ الدُّمْرِ الَّذِي هُوَ أَكْلُهُ^(١١)
 ٢ - فَأَهْمُونَ مَقْفُودٍ وَأَيَّسَرُ هَالِكٍ عَلَى الْحَيِّ مَنْ لَا يَبْلُغُ الْحَيَّ نَائِلُهُ

(٣١)

وولي عامر غملاً فأساءوا السيرة ومالوا إلى الخيانة فقال ابن همام في ذلك :
 [من البسيط] :

يَتْلُفَكَ مَا فَعَلَ الْعَمَالُ بِالْعَمَلِ
 صُلِبَ الْحَرَجُ شَحَاحًا قِسْمَةَ النَّفْلِ
 مَهْمَا يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كَاذِبٌ يَقُلْ (١١)
 جَلَدُ الْقَوَى لَيْسَ بِالْوَايِ وَلَا الْوَكَلِ
 وَاشْفِ الْأَرَامِلَ مِنْ دُخْرُوجَةِ الْجَعْلِ (١٢)
 يَرَى الْخِيَانَةَ شُرْبُ الْمَاءِ بِالْعَسَلِ (١٣)
 حَتَّى يَنْوَى بِشَرٍّ بَعْدَ مُقْتَبِلِ (١٤)
 لَا غَمَزَ فِيهَا وَلَكِنْ جَمَّةُ السَّبَلِ (١٥)
 سُرَّةُ الْأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (١٦)
 وَمَنْ عَذَرْتَ فَلَا تَعْلِزْ بَنِي فَقُلْ (١٧)
 إِلَى الْخَيْصَرِ عَنِ الصُّخْرَةِ وَالْبَصْلِ
 كَمَنْ عَزَا (دَشَبَاءَ) غَيْرَ مُجْتَبِلِ
 مُسْتَهْزَأًا بِغِنَاءِ الْقَيْنَةِ الْفَضْلِ
 فَزَالَ مِهْرَانٌ مَذْمُومًا وَلَمْ يَزَلِ (١٨)
 قَبْلَ السَّيْعِ فَقَدْ أَجْرَى عَلَى مَهْلِ (١٩)
 لِكُلِّ أَرْزَقٍ مِنْ هَمْدَانٍ مُكْتَجِلِ
 فِي شَارِبٍ بَدَلَتْ مِنْ رَغِيَةِ الْإِبْلِ (٢٠)
 أَنْبِثْتُ عَامِلَهُمْ قَدْ رَاحَ ذَا ثَقْلِ (٢١)

١ - يَا ابْنَ الرُّبَيْرِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ
 ٢ - بَاعُوا التَّجَارَ طَعَامَ الْأَرْضِ وَاقْتَسَمُوا
 ٣ - وَقَدُّمُوا لَكَ شَيْخًا كَاذِبًا خَذَلًا
 ٤ - وَفِيكَ طَالِبٌ حَقِّ ذُو مَرَانِيَّةٍ
 ٥ - أَشَدُّ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ
 ٦ - أَنَا مُنِينَا بِضَبٍّ مِنْ بَنِي خَلْفٍ
 ٧ - اخُذِ الْعَصْفِيرَ فَانْتِفِ رَيْشَ نَاهِضِهِ
 ٨ - وَمَا أَمَانَةُ عَتَابٍ بِسَالِةٍ
 ٩ - وَقَيْسُ كِنْدَةَ قَدْ طَالَتْ إِمَارَتُهُ
 ١٠ - وَخُذْ حُجَيْرًا فَاتَّبِعْهُ مُحَاسِبَةً
 ١١ - مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا ارْتِفَاعَهُمْ
 ١٢ - وَمَا غَلَامٌ عَلَى أَرْضٍ مُسَالِمَةٍ
 ١٣ - يُجْبَى إِلَيْهِ خَرَجُ الْأَرْضِ مُتَكِنًا
 ١٤ - وَالْوَالِيُّ الَّذِي مِهْرَانٌ أَمْرُهُ
 ١٥ - وَدُونَكَ ابْنُ أَبِي عَشْرٍ وَصَاحِبُهُ
 ١٦ - لَا تَجْعَلَنَّ [...] بَيْتَ مَأْكَلَةٍ
 ١٧ - وَالذَّارِمِيُّ يُطِيفُ (الْبَهْرَمَانُ) بِهِ
 ١٨ - وَمُنْقَذُ بْنُ طَرِيفٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ

يعني منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دؤدان ..

مِنْ الْمَتَاعِ قِيَامُ اللَّيْلِ بِالطُّولِ (٢٢)
 بَعْضُ الْمَنَالَةِ إِنْ تَرَفَّقَ بِهَا تَنَلِ
 بَكَرٌ عَلَيْهِ عِدَاةُ الرُّوعِ وَالْوَهْلِ (٢٣)
 إِنْ نَالَ شَيْئًا بِذَلِكَ الْخَائِفِ الْوَجَلِ (٢٤)
 إِذَا تَجَاوَزْتَ عَنْ أَعْمَالِهِ الْأَوَّلِ (٢٥)
 وَاجْمِلْ خِيَانَةَ مَسْعُودٍ عَلَى جَمَلِ (٢٦)

١٩ - وَمَا أَخْيَسُ جُعْفِيٍّ بِمَانِعِهِ
 ٢٠ - وَأَخْرَانِ مِنَ الْعَمَالِ عِنْدَهُمَا
 ٢١ - مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَالَّذِي كَذَبَتْ
 ٢٢ - وَمَا فَرَاتٌ وَإِنْ قِيلَ امْرُؤٌ وَرِعٌ
 ٢٣ - وَالْحَارِثِيُّ سِرَاضِي أَنْ تُقَاسِمَهُ
 ٢٤ - وَادَّعِ الْأَقَارِغَ فَاقْرَعَهُمْ بِدَاهِيَةٍ

- ٢٥- كَانُوا أَتُونَا رِجَالًا لَا رِكَابَ لَهُمْ فَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
 ٢٦- لَنْ يُعْيِيوكَ وَلَمَّا يَقُلْ هَامَهُمْ ضَرَبَ السَّيَاطِ وَشَدَّ بَغْدُ فِي الْحُجْلِ (٣٧)
 ٢٧- إِنْ السَّيَاطِ إِذَا عَضَّتْ غَوَارِيَهُمْ أَبَدُوا ذَخَائِرَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ حُلَلٍ

(٣٢)

أرسل عبدالله بن همام السلولي شاباً إلى امرأة ليخطبها عليه ، فقالت له : فما يمنعك أنت ؟ فقال لها : ولي طمع فيك ؟ قالت : ما عنك رغبة . فتزوجها ثم انصرف إلى ابن همام ، فقال له : ما صنعت ؟ فقال : والله ما تزوجتني إلا بعد شرط . فقال : أولهذا بعثتك ؟ فقال ابن همام في ذلك : [من البسيط] ..

- ١- رَأَتْ غُلَامًا عَلَا شُرْبُ الطَّلَاءِ بِهِ يَغْيَا بِإِرْقَاصِ بَرْدِي الْخَلَاخِيلِ
 ٢- مَبْطُنًا بِدَخِيسِ اللَّحْمِ تَحْسِبُهُ مِمَّا يُصَوِّرُ فِي تِلْكَ التَّمَائِيلِ
 ٣- أَكْفَى مِنَ الْكُفْرِ فِي عَقْدِ النِّكَاحِ وَمَا يَغْيَا بِهِ حُلُ هِمَّانِ السَّرَاوِيلِ
 ٤- تَرَكْتُهَا وَالْأَيْامُ غَيْرَ وَاحِدَةٍ فَاحْبِسْ عَنْ بَيْتِهَا يَاحَابِسَ الْفَيْلِ

(٣٣)

وقال عبدالله بن همام السلولي : [من الطويل] ..

- ١- مَتَى مَا أَقْلُ يَوْمًا لَطَالِبَ حَاجَةٍ : (نَعَمْ) أَقْضِيهَا قَدَمًا وَذَالِكَ مِنْ شَكْلِي
 ٢- وَإِنْ قُلْتُ (لَا) بَيْتَهَا مِنْ مَكَانِهَا وَلَمْ أُوْذِهِ فِيهَا بِجَرٍّ وَلَا مَظَلٍ
 ٣- وَلِتَبْخُلَةَ الْأَوَّلَى أَقْلُ مَلَامَةً مِنَ الْجُودِ بَدْءًا ثُمَّ تُثْنِيهِ بِالْبُخْلِ

(٣٤)

وقال ابن همام السلولي : [من البسيط] ..

- ١- لَمَّا تَمَكَّنَ دُنْيَاهُمْ أَطَاعَهُمْ فِي أَيِّ نَحْوٍ يَمِيلُوا دِينَهُ يَمِيلُ

(٣٥)

وقال ابن همام السلولي يحذر قومه : [من الطويل] ..

- سَأَنْصَحُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنِّي جَدِيرٌ بِنُضْحٍ لِلْعَشِيرَةِ وَالْأَصْلِ

وَكَيْفَ إِخَارِي النُّصْحَ عَنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
فَلَا تَأْمَنُوهُ وَارْكَبُوا الْقَصْدَ تَسْلَمُوا
عَلَيْكُمْ بِمِرِّ الْحَقِّ، لَا تَغْتَدُونَهُ
وَلَا تَشْتُمُوا أَسْلَافَكُمْ وَتَعَاظِفُوا
وَأِيَّكُمْ أَنْ تَشْتُمُوا أَسْرَاءَكُمْ
فَإِنَّ زِيَادًا لَا عَزِيزَ بِأَرْضِهِ
فَلَا تُحْمِلُوهُ أَنْ يُرِيْقَ بِمَاءِكُمْ

زِيَادًا بِلَا ذَنْبٍ مَرَّاجِلُهُ تَغْلِي
وَكُفُّوا عَنِ التَّائِيْبِ تَتَجَوَّأُ مِنَ الْجَهْلِ
إِلَى غَيْرِهِ فَالْحَقُّ مِنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ
عَلَى الْبِرِّ إِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَفْضَلِ الْفِعْلِ
فَتَضْحَكُوا مِنَ الْبَلَوَى عَلَى كَيْفَةِ الْحَبْلِ
سِوَاهُ وَقَدْ أَعْطَاكُمْ النُّصْفَ فِي مَهْلِ
فَلَيْسَ زِيَادٌ بِأَهْيُوبَ، وَلَا الْوَعْلُ

(٣٦)

وقال : [من البسيط] ..

- ١ - يَازَارَ لَيْلٍ بِأَيْلٍ قَلْبِي حُسْمٍ
- ٢ - إِنَّا نَقُولُ وَيَقْضِي اللَّهُ مُقْتَدِرًا
- ٣ - يَزِيدُ يَا ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ هَلْ لَكُمْ
- ٤ - اعْزِمِ عَزِيمَةَ أَمْرِ غِبُّهُ رَشْدُ
- ٥ - وَاقْدُ بِقَائِلِكُمْ : خُذْهَا يَزِيدُ فَقُلْ :
- ٦ - إِنَّ الْخِلَافَةَ إِنْ تُعْرِفَ لِنَاثِكُمْ
- ٧ - وَلَا تَزَالُ وَفُودُ فِي دِيَارِكُمْ
- ٨ - يَزُمُ أَمْرَ قُرَيْشٍ غَيْرَ مُتَكَبِّثٍ
- ٩ - عِيشُوا وَأَنْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ
- ١٠ - وَلَا تُحْمِلْنَهَا فِي دَارٍ غَيْرِكُمْ
- ١١ - وَأَطَعَمَ اللَّهُ أَقْوَامًا عَلَى قَدَرٍ
- ١٢ - وَلَا يَلْنُ سَالِكُ الشُّوَرَى مُشَاوَرَةً
- ١٣ - أَنِ تَكُونَ لَهْمُ شُورَى وَقَدْ قَتَلُوا
- ١٤ - خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، رَاعُوا الْمُسْلِمِينَ بِهِ
- ١٥ - وَكَانَ قَائِلُهُ مِنْكُمْ بِضَرْعِهِ
- ١٦ - أَوْ كَالدُّعِيمِ، وَمَا كَانَتْ مُبَارَكَةً

فَجَانِبِ الْقَفِّ فِي الْقِيَعَانِ فَالْأَكْمِ
مَهْمَا يَدُمُ رَيْنًا مِنْ صَالِحٍ يَدُمُ
إِلَى ثَنَاءٍ وَتَجِدُ غَيْرَ مُنْصَرَمٍ ؟
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَقَطَعَ قَالَةَ الْكَلِمِ
خُذْهَا مُعَاوِيَ لَا تَعْجِزْ وَلَا تَلَمِ
تَثَبُّتْ مَرَاتِبَهَا يَكُمُ وَلَا تَرِمِ (٢٨)
يَغْتَسُونَ أَبْلَجَ سَبَاقًا إِلَى الْكَرَمِ
وَلَوْ سَمَا كُلُّ قَرَمٍ مِنْهُمْ قَطِمِ (٢٩)
وَاسْتَصْلِحُوا جُنْدَ أَهْلِ الشَّامِ لِلْبَهْمِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَسْرَةَ النَّدَمِ
وَلَمْ يُحَاسِبِكُمْ فِي الرُّزْقِ وَالطَّعْمِ
إِلَّا بِطَعْنٍ وَضَرْبٍ صَائِبٍ خَلِيمِ
عُثْمَانُ، ضَحُّوا بِهِ فِي أَشْهُرِ الْحَرَمِ (٣٠)
مُلْحَبًا ضَرَجَتْ أَثْوَابُهُ بِدَمِ (٣١)
مِثْلَ الْأَخِيرِ إِذْ قَفَى عَلَى إِرَمِ (٣٢)
أَدَّتْ إِلَى أَهْلِهَا أَلْفًا مِنَ اللَّجَمِ

- ١٧- تَفْسِي فِذَا الْفَتْحُ فِي الْحَرْبِ لَزُهُمْ حَتَّى تَدَانُوا وَأَلْهَى النَّاسَ بِالسَّلَامِ
١٨- وَبَارَكَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي ضَمِنَتْ أَوْصَالَهُ، وَسَقَاهَا بِأَكْرُ الدِّيمِ

(٣٧)

وقال في رجل وشى به إلى زياد : [من الطويل] ..

- ١- وَأَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا اتَّمَتَكَ خَالِيَا فَخُنْتُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِسَلَا عِلْمِ
٢- فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْإِنْسِ
فَاعَجَبَ زِيَادُ بِجَوَابِهِ وَأَقْصَى الْوَاشِي وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ .

(٣٨)

قال عبدالله بن همام السلولي في أبي العَمْرُطَةَ وهو يختلط سيفه ويضرب به
رأس يزيد بن طَرِيفٍ فيخر لوجهه ويبرأ : [من الطويل] ..

- ١- أَلْوَمَ ابْنُ لُؤْمٍ مَا عَدَا بِكَ حَاسِرًا إِلَى بَطَلٍ ذِي جُرْأَةٍ وَشَكِيمِ
٢- مُعَاوِدُ ضَرْبِ الدَّارِعِينَ بِسَيْفِهِ عَلَى الْقَامِ عِنْدَ الرُّوْعِ غَيْرَ لَيْمِ
٣- إِلَى فَارِسِ الْغَارِثِينَ يَوْمَ تَلَايَا بِصَفِينِ قَرْمٍ خَيْرِ نَجَلٍ قُرُومِ
٤- حَبِيبُ ابْنِ بَرْصَاءِ الْحِنَارِ قِتَالَهُ قِتَالِكَ زَيْدًا يَوْمَ دَارِ حَكِيمِ

(٣٩)

قال عبدالله بن همام السلولي : [من الوافر] ..

- ١- لَقَدْ ضَاعَتْ رَعِيَّتُكُمْ لَدَيْكُمْ تَذَرُونَ الْأَرَانِبَ غَافِلِينَ
٢- إِذَا مَامَاتِ كِمْرَى قَامَ كِمْرَى نَعُدُّ ثَلَاثَةَ مُتَتَابِعِينَ
٣- وَكُلُّ النَّاسِ نَحْنُ مُبَايَعُوهُ وَإِنْ شِئْتُمْ فَعَمَّكُمْ السُّمِينَا
٤- وَإِنْ جِئْتُمْ بِرَمْلَةٍ أَوْ بِهِنْدٍ نُبَايِعُهَا أَمِيرَةً مُؤْمِنِينَ
٥- نُنْفِثُ مُلْكَكُمْ وَإِذَا أَرَدْتُمْ بِنَا الصُّلْعَاءَ قُلْنَا نَحْبِبِينَ
٦- فَيَا لَهْفِي لَوْ أَنَّ لَنَا أَنْوْفًا وَلَكِنْ لَنْ نَعُودَ كَمَا غَنِينَا
٧- إِذَنْ لَضَرَبْتُمْ حَتَّى تَعُودُوا بِكُمْ تَلْحُسُونَ بِهَا السُّخِينَا

- ٨- حُبِينَا الْغَيْظَ حَتَّى لَوْ شَرَبْنَا
 ٩- ضَعُوا كَلْبًا عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنَّا
 ١٠- هُبُونَا لِأَتْرِيدُكُمْ بِسُوءِ
 ١١- فَأُولُوا بِالسَّدَادِ فَقَدْ بَقِينَا
 دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَارُونَنَا
 وَسَرَحَكُمْ أَصَاغِرَ، وَرَثُونَا
 وَلَا نَغْصِيكُمْ مَاتًا مُرُونَا
 لِحَلْفِكُمْ عِنَادًا مُفْتَرِينَا

(٤٠)

خطب عامر بن مسعود فقال : يا أهل الكوفة لأنسينكم سيرة عمر بن الخطاب . وقال يوماً : يا أهل الكوفة اني قد تزوجت امرأة من بني نصر بن معاوية فأعينوني بأرزاقكم شهراً فقال قائل : نعم فأخذوا أرزاقهم كلها لشهر ، وحُصِبَ ذات يوم على المنبر فغطى وجهه بكُمه وقال : لِمَ ذَا ؟ حُسِبَكم الآن !! وقال ابن همام السلولي : [من البسيط] ..

- ١- مَا زِلْتُ أَرْجُو أَبَا حَفْصٍ وَسَيَرَتَهُ
 ٢- أَنْ كُحْتُمْ يَا بَنِي نَصْرٍ قَتَانُكُمْ
 ٣- أَنْ كُحْتُمْ لَأَفْقَى دُنْيَا يُعَاشُ بِهِ
 ٤- يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ لَقَدْ وَلَّيْتُهُ شَيْفَا
 ٥- لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ مَالٌ فَيُتْرَكُهُ
 حَتَّى نَكُحْتَ بِأَرْزَاقِ الْمَسَاكِينِ
 وَجُهَا يَشِينُ وَجْهَ الرَّبْرِ الْعَيْنِ
 وَلَا شُجَاعًا إِذَا شُقَّتْ عَصَا الدِّينِ
 كَرَّ الْيَسْذِينَ بِخَيْلٍ غَيْرِ عَيْنِ
 وَلَا يَقُولُ لِمَا يُقْطَأُ : يَكْفِينِي

(٤١)

قال عبدالله بن همام : [من الطويل] ..

- ١- أَلَا رَبُّ مَنْ نَعَشْتُهُ لَكَ نَاصِحٌ
 ٢- فَلَا يَحْتَلِيكَ الْقَوْلُ لَا فِعْلَ نَحْتُهُ
 وَمُؤَمَّنٌ بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينٍ
 فَكَمْ مِنْ نَصِيحٍ بِاللِّسَانِ خَوْونٍ

(٤٢)

وقال أيضاً :

رُبُّ مَنْ أَعَشْتُهُ يَنْصَحُنِي وَأَخِي نُصَحِ بِغَيْبٍ قَدْ يَحْشُونُ

ما نسب له ولغيره وهي لغيره :

(٤٣)

وفي تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبدالله بن همام السلولي : [من الطويل] ..

- ١- أَقْتَبَ قَدْ قُلْنَا غَدَاةً أَتَيْنَا : بَدَلْ لَعَمْرُكَ مِنْ يَزِيدٍ أَعْوَرُ
- ٢- إِنْ أَلْهَبَ لَمْ يَكُنْ كَأَبْنِكَمُ هَيْهَاتَ شَأْنُكُمْ أَرْقُ وَأَحْقَرُ
- ٣- شَتَانُ مَنْ بِالصَّنَجِ أَذْرَكَ وَالَّذِي بِالسَّيْفِ شَمْرُ وَالْخُرُوبُ تُسْعَرُ
- ٤- حَوْلَانُ بِأَهْلَةِ الْأَلَى فِي مَلِكِهِمْ مَاتَ النَّدَى فِيهِمْ وَعَاشَ الْمُنْكَرُ



[حواشي :

- * أبو ليل : معاوية بن يزيد كان يكنى أبا ليل .
- (١) عمرو بن نافع وحسان مولى الانصار كاتباً يزيد وقد أمرهما ان يدفعوا إلى الشاعر جائزته فكان عمرو يدافعه وحسان يعينه .
- (٢) طمار : كل مرتفع .
- (٣) وكان الفلاس هذا على شُرْطِ الكوفة ، من قِبَلِ الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وخرج الفلاس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج . وفي « فصل المقال » ٩٤/١ . ساد فيه الحمارس .
- (٤) القصيرى : الضلع التي تلي الشاكلة وهي الواهنة في أسفل البطن . آلأيد : السمين . ومتكاوس : متراكب .
- (٥) صعد في الجبل ، وعليه ، وعلى الدرجة : رقي .. وأفرع : انحدر .. وانما انتسب إلى فهم واشجع وهو من سلول بن عامر لأنهم كانوا كلهم من قيس عيلان .
- (٦) يريد صفية بنت خزن ، وعاتكة بنت مرة .
- (٧) الكلبان يعني يزيد بن أنس وأحر بن شميظ .
- (٨) الراكب : الراكب .
- (٩) الثعل : السن الزائدة عن الاسنان وخلف زائد صغير في اخلاف الناقة وفي ضرعها . ذكر الثعل للمبالغة في الارتضاع والثعل لا يدر .
- (١٠) عارة : أي معار .
- (١١) الشيخ هو مَرْثَد بن شراحيل كان أميناً على التجار في بيع الطعام ..
- (١٢) زيد خازنه وهو مولى عتاب بن ورقاء ..
- (١٣) يعني عامراً ..
- (١٤) يعني عبدالله بن أبي عصفير الثقفي وكان على المدائن وهو الذي مات الأحنف في داره بالكوفة ..
- (١٥) يعني عتاب بن ورقاء كان على اصبهان ..
- (١٦) قال هشام ابن الكلبي : هو قيس بن يزيد بن عمرو بن شراحيل بن النعمان بن المنذر بن مالك بن الحارث الكندي ، وبعض من لا علم له يقول : هو قيس بن الأشعث ..
- (١٧) يعني حجير بن حجار بن الحر ، ويقال : حجير بن جميل الجمحي كان على الزواهي أو الراذانات .
- وبنو قفل من نيم الله بن ثعلبة كان منهم قوم على صدقات بكر بن وائل ..

- (١٨) مهران مولى زياد كان شفع في هذا الرجل فصار في عداد العمال ، والرجل سعيد بن حرملة بن الكاهل الوالبي ، ويقال : هو أبو هياج عمرو بن مالك الوالبي ..
- (١٩) ابن أبي عس همداني قدم الكوفة فقال : من سيد قومي ؟ قالوا : الحجاج بن عمر الزبيدي . قال : أنا لا أقيم ببلدة يسود فيها زيدي ، وكان علي الدينور ، وصاحبه عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ..
- (٢٠) الدارمي لبدي بن عطارد ويقال مسعود بن قيس بن عطارد .
- (٢١) ابن أسد ، وأخير أن عاملهم ، وهو رجل منهم ، قد حسنت حاله للخيانة ، وقال ابن الكلبي : كان عاملهم نعيم بن دجاجة وكان على أسفل الفرات ..
- (٢٢) يعني زحر بن قيس ، ويقال محمد بن أبي سبرة كان على جوشي ..
- (٢٣) محمد بن عمير بن عطارد ويزيد بن رويم حين أمر به عمر بن حريث ..
- (٢٤) فرات بن زحر قتله المختار يوم جبانة السبيع ..
- (٢٥) الحارثي السري بن وقاص وكان على نهاوند ..
- (٢٦) مسعود من بني أسد ..
- (٢٧) جمع حجل ..
- (٢٨) ثالثهم معاوية بن يزيد بن معاوية والأول معاوية والثاني يزيد .
- (٢٩) زم الشيء يزمه . شدة بالزمام لينقاد . الانتكاث : الانتقاض بعد قوة والقرم : أصله الفحل من الأبل ، يترك من الركوب والعمل والقطم : من الأبل الهاتج .
- (٣٠) كان عبدالله عثمانيا وكان مقتله في الأشهر الحرم . ضحوا به قتلوه .
- (٣١) لحبه : مشددة الحاء بالسيف ضربه أو جرحه أو قطعه ..
- (٣٢) الأحيمر : هو أحمز ثمود ، عاقر ناقة صالح عليه السلام ورم : أرض عاد . قفى على الشيء : ذهب به وأباده .

تخريج الشعر :

- ١ - البيتان في «تاريخ الطبري» ٥ / ٢٣٦ .
- ٢ - البيت في «اللسان» منسوب لابن همام ولم ينسب في «نسب قريش» ١٢٨ .
- ٣ - الأبيات (١-٦) في الطبري ٦ / ٣٨ ، والأبيات (٣-٦) في «أنساب الأشراف» ٥ / ٢٣٠ ورواية الثالث : وتعلقت همدان ، والخامس : ٩ ورأيت أفواه الأزيقة ملىئت والسادس : أيقنت أن إمارة ابن مضارب لم يتيق منها قيس وبلا نسبة في «الحيوان» ٣ / ٣١٧ ورواية الأبيات تختلف . والبيتان (٣ و٦) في «نهار القلوب» ٥٠٤ بلا نسبة وفي روايتهما اختلاف .
- ٤ - البيتان في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ٨ .
- ٥ - «حماسة البحتري» ١٧٥ .

٦ - «حماسة البحترى» ١٧٥ .

٧ - الأبيات في «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام ٦٢٦ - ٦٢٨ عدا الخامس والسابع فهما زيادة من «نقائض جرير والأخطل» (١ - ٣) ونسبت الأبيات لعلي بن الغدير الغنوي خطأ ، والأبيات (١ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧) في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ٥ مع اختلاف في الرواية ، والبيتان (١٤ و ١٥) في «مروج الذهب» ٣ / ٥٣ مع اختلاف في الرواية والبيتان (١٤ و ١٦) في «نسب قريش» ١٢٩ .

٨ - الأبيات (١ - ٤) في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ٧٣ .

٩ - البيتان في «أنساب الأشراف» الجزء الخامس ١٩٠ .

١٠ - الأبيات (١ - ٣) في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني

٨٣ - ٨٤ .

١١ - البيتان الأول والثاني في «حيوان الجاحظ» ١ / ٢١٦ ورواية الأول :

يَابَنَةُ مَالِك .

والثاني : وساع ...

وهما في «الشعر والشعراء» ٢ / ٦٥١ و«عيون الأخبار» ١ / ٥٨ ورواية

الأول :

أَقْبَلِي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا بَنَةَ مَالِكٍ وَذُمَّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفَلَاكُ
وَسَاعٍ مَعَ السُّلْطَانِ لَيْسَ بِنَاصِحٍ وَتُحْتَرَسُ ، مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ

١٣ - البيتان في «حيوان الجاحظ» ٤ / ١٣٦ ، ١٣٧ . وهما في «بلدان

ياقوت» ٢ / ٧٣ ورواية الأول : عريض القصيرى ...

والثاني : ... ابدا إذا يمشي يحبك ...

١٤ - الأبيات (١ - ٩) في الطبري ٦ / ١٣٧ ، ١٣٨ ، والأبيات (١ - ٤) في

«أنساب الأشراف» ٥ / ٢٨٧ وعقب عليها .. في أبيات ، وقال : وقد أنكر أن

ابن الحر قُتِلَ هذه القتلة .

- ١٥ - البيتان في «اللسان» (صعد) .
- ١٦ - الأبيات (٤ و ٥ و ٦ و ٧) في «أنساب الأشراف» ٢٣٤ / ٥ ورواية السادس: ... لجموع ... والسابع: ... ماضي الجنان منيع .
- والأبيات (١ - ١٨) في الطبري ٦ / ٣٥ ، ٣٦ ، والأبيات عدا البيتين (١٢ و ١٥) في «طبقات فحول الشعراء» ٦٣٣ - ٦٣٥ مع اختلاف في رواية الأبيات .
- ١٧ - الأبيات (١ - ٤) في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ٨ .
- ١٨ - الأبيات (١ - ٣) في «أنساب الأشراف» الجزء الخامس ٢٨٣ وينظر تخريجها في شعر انس بن زعيم الدؤلي . وفي «الأغاني» ١٤ - ساسي ص ١٧٠ ورواية الأول :

... من ناصح لك لا يريد خداعا
والثاني : ... وتبيت سادات الجنود جيعا
والثالث : لولائي حفص أقول مقالتي وأبث ما أبشتكم لارتعا

- ١٩ - الأبيات (١ - ٥) في «أنساب الأشراف» ٥ / ٢٢٠ .
- ٢٠ - البيتان في «الوحشيات» ١٠٣ .
- ٢١ - البيتان في الطبري ٦ / ٤٢٣ .
- ٢٢ - البيت في «حيوان الجاحظ» ٤ / ٢٣٩ ، وحلّت النطق : كناية عن اشتداد الأمر .

- ٢٣ - سيبويه ١ / ٤٣٢ و«المقتضب» ٢ / ٤٨ .
- ٢٤ - الأبيات (١ - ٢١) في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ٨ ، والأبيات (١ - ٢٦) عدا ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ في شرح أبيات «مغني اللبيب» ٧ / ٢٦٢ و ٢٦٣ و«الشعر والشعراء» ٢ / ٦٥١ ، والبيتان السابع والثامن في «الشعر والشعراء» ٢ / ٦٥١ ، و«خزانة الأدب» ٣ / ٦٣٩ مع اختلاف ، والأبيات (٥ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٦) مع اختلاف في «اللسان» (رهن) ، والبيت (١٤) في «نسب قريش» ١٢٢ وروايته : فحلّت بنا ثم قلت اعطفيه ... والبيتان الخامس والسادس في «الشعر والشعراء» ٢ / ٦٥١ ، ورواية الأول : ولما خشيت أظافيرهم .

٢٥ - الأبيات (١ - ٤) في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ٥ ،
والأبيات في «البيان والتبيين» ٢ / ١٣٦ ، ١٣٧ وهما في «الشعر والشعراء»
٢ / ٦٥٢ ورواية الأول :

فقد فارقتَ ذامِقَةً وأشكر حُبَاءً ... حاباكَا

والثاني : لارُزءَ أعظمُ .

والثالث : أصبحتَ راعي أهل الدين

والرابع : إذا تعيت ..

ويعني معاوية بن يزيد ، وهو أبو ليلى ...

ورواية الأول : ... فارقتَ ذا كَرَمٍ وأشكر حباء ...

ورواية الثاني : لارُزءَ أصبح في الأقوام قد علموا

ورواية الثالث : أصبحتَ راعي أهل الدين كلهم

ورواية الرابع : إذا تعيت ...

والأبيات (١ - ٤) في «كامل المبرد» ٣ / ١٢٧٠ ، ورواية الأول :

وأشكر بلاء ..

والأبيات (١ - ٤) في «الخزانة» ٣ / ٦٣٩ وفي روايتها اختلاف .

والأبيات عدا الثاني في «نهاية الأرب» ٥ / ٢١٩ مع اختلاف الرواية .

ورواية الثاني : ما أن رُزي أحد في الناس نعلمه ..

ورواية الثالث : أصبحتَ تملك هذا الخلق كُلَّهُمْ ..

ورواية الرابع : إذا تعيت ..

وفي كتاب «الفتوح» ٥ / ٩ مع اختلاف في الرواية ، وعدا الثالث في «أنوار

الربيع» ١ / ٣٢١ مع اختلاف في الرواية .

٢٦ - الأبيات (١ - ٨) في الطبري ٦ / ٣٧ ، والأبيات عدا السابع في

«طبقات فحول الشعراء» ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

٢٧ - الأبيات (١ - ١٠) في «الأغاني» ١٦ / ٥ ، ٦ والأبيات (١ ، ٧ ، ٨) في

«السمط» ٢ / ٩٢٣ والبيتان (٧ ، ٨) في «كامل المبرد» ١ / ٥٢ و ٢ / ٦٥٧ ،

والثامن في «اللسان» (رضع) وفي الرواية اختلاف .

والأبيات (١ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٨) في «الحماسة البصرية» ٢ / ٢٧١ مع اختلاف ، والأول في القالي ١ / ٤٦ و«اللسان» (وقي) والثامن في «بلدان باقوت» ١ / ٢٧ .

٢٨ - الأبيات (١ - ٧) في كتاب «الفتوح» لابن أعثم الكوفي ٤ / ٢٢٨ .
٢٩ - البيتان في «نوادير أبي زيد الأنصاري» ٤ وقال : أَلْبَسُ : الحلال وهذا الحرف من الأضداد . وقال : وقال أبو الحسن ويروى : أُجِيزَتْ وَأُجِلْتُ أي حلال ، ويروى : لا تَنَحُونَهَا و«أضداد أبي الطيب» ١ / ٣٥ . والثاني في «أضداد أبي حاتم السجستاني» ١٠٤ ، والثاني في «شروح سقط الزند» السفر الثاني القسم الثالث ١١٠٧ ، وروايته :

أُثْبِتَ مَا نِلْتُمْ وَتُلْفَى زِيَادَتِي دَمِي إِنْ أْبِيحَتْ
و«اللسان» (بسل) وروايته :

..... وتُلْفَى . . . دَمِي إِنْ أُجِلْتُ
والأول كرر في القطعة ٢٧ .

٣٠ - البيتان في «كامل المبرد» ٤٨١ .

٣١ - الأبيات (١ - ٢٧) في أنساب الأشراف ٥ / ١٩١ - ١٩٤ والأبيات (١ - ٥) مع اختلاف في رواية الرابع في «أنساب الأشراف» الجزء الرابع القسم الثاني ١٠١ ، والبيت (١٦) في «حيوان الجاحظ» ٥ / ٣٣٢ وروايته : ولا يكوننَّ مَالُ اللَّهِ مَأْكَلَةً .

٣٢ - الأبيات (١ - ٤) في «العقد الفريد» ٦ / ١٢٧ .

٣٣ - «حماسة البحتري» ١٤٥ ، ١٤٦ .

٣٤ - «اللسان» (ميل) .

٣٥ - [العرب : ومن شرع ابن همام ما أورده ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ج ٣٩ ص ٣١٣ أثناء ترجمة الشاعر ، فقد روى بسنده إلى أحمد بن الخليل قال : قال ابن عبيدة يعني عُمَرُ بن شُبَّة - قال المدائني وقال ابن همام ثم أورد الشعر] .

٣٦ - الأبيات (٢-١٨) في «طبقات فحول الشعراء» ٢ / ٦٢٩ - ٦٣٢
والأول وبقية الأبيات في «نقائض جرير والأخطل» ٣-٥ والأبيات (٢ ، ٣ ،
٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠) مع اختلاف في الرواية في «أنساب الأشراف» الجزء السابع
القسم الثاني ٥ .

٣٧ - البيتان في «حماسة أبي تمام» ٣ / ١١٣٩ - ١١٤٠ و«عيون الأخبار»
٤١ / ١ .

البيتان في «أمالى القالي» ٢ / ٤٦ و«بهجة المجالس» ١ / ٥٧٥ بلا نسبة ،
وهي في «محاضرات الأدباء» ١ / ١٩٠ و«مجموعة المعاني» ٧١ وفي بعض المصادر:
فأبت . . . ، وفي بعضها الآخر : وانك في الأمر الذي قد أتيت له
منزل

٣٨ - الأبيات (١-٤) في «تاريخ الطبري» ٤ / ٢٦٠ و«كامل ابن الأثير»
٤٢٥ .

٣٩ - الأبيات في «الوحشيات» ١٠٢ ، والأبيات (١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨)
في «مروج الذهب» ٣ / ٢٨ مع اختلاف في الرواية والتسلسل ، ونُسبت إلى
عبدالرحمن بن همام ، وهو وهم وينظر تخريج الأبيات في «الوحشيات» .
والأبيات (١-١١) مع اختلاف في رواية الأبيات (١-٨) في كتاب «الفتوح»
لابن أعثم الكوفي ٤ / ٢٢٦ - ٢٢٧ وعقب على الأبيات : فبلغ ذلك معاوية
فقال : ماترك ابنُ همام شيئاً ، ذكر الحرم وعيرنا بالسخينة ، ماله إلا يخرجنا من
جندنا ، قال ثم وجه إليه معاوية ببكرة .
والرابع في «اللسان» (امر) وروايته :

ولسو جاءوا برملة أو بهند لباعنا

٤٠ - الأبيات (١-٥) في «أنساب الأشراف» ٥ / ١٩١

٤١ - البيتان في «حماسة البحتري» ١٧٥ والأول بلا نسبة في «بهجة المجالس»
١ / ٥٧٦ وروايته : أَلَا رُبُّ مَنْ تَعْتَدُهُ لَكَ نَاصِحًا وَمُؤَمَّنًا . . .
وينظر «محاضرات الأدباء» ١ / ٦١ و«وفيات الأعيان» ٦ / ١٩٦ .
٤٢ - «حماسة البحتري» ١٧٥ .

الضرائر الشعرية والنثرية

[«العرب» س ٢٢ ص ٣٥٩/٧٧٥]

لقد غني العلماء - قديماً بحفظ اللغة العربية ، وخدمتها ، وروايتها وضبطها ، وحرصوا على نقائها .

ودافعهم في ذلك أنها لغة القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ^(١) ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ^(٢) ﴾ .

وقد جمعوا الشعر العربي ، لأنه ديوان مآثرهم ، وسجل مفاخرهم ، وترجمان أفكارهم ، وعنوان تراثهم ، ورافع ألوية عظمتهم . وهو الذي حفظ على العرب تاريخ مجدهم الأدبي ، الذي تاهوا ولا يزالون يتيهون به بين الشعوب والأمم ، ويرفعون به الرأس عالياً ، وأنه لتتجلى به قدرتهم على البيان وسحره .

ولما اتسعت رقعة البلاد ، وكثرت الفتوحات الإسلامية ، واختلط أبناء المسلمين العرب بالأعاجم تسرب اللحن إلى الألسنة .

قال المبرد ^(٣) في «الفاضل» - ص ٤ - : (كان الصدر الأول من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُعْرِبُونَ طبعاً حتى خالطهم العجم ،

→ ٤٣ - الأبيات (١ - ٤) في «وفيات الأعيان» ٦ / ٢٩٠ ، ٢٩١ ، وقيل : إن هذه الأبيات ليست لعبد الله بن همام ، وأنها لنهار بن تَوْسِعة الشكري ، والذي أراه أنها لنهار لصلة الشاعر بقتيبة وفي أخبارهما ما يؤكد هذه الصلة ، ونسب الأول في «التاج» (عور) إلى عبد الله بن همام وينظر شعر نهار بن تَوْسِعة في مجلة «المورد» .

ففسدت ألسنتهم ، وتغيرت لغاتهم) .

فقام الفيورون من علماء العربية باستقراء كلام العرب - مشوره ومنظومه - بغرض وضع القواعد ، وتثبيتها ، لحماية الألسنة والأقلام من الخطأ .

قال المبرد في «الفاضل» - ص ٥ - : (ذكر أن السبب الذي بُني له أبواب النحو ، وعليه أصلت أصوله أن ابنة أبي الأسود الدؤلي^(٤)) قالت : يا أبت ما أشدُّ الحرَّ ! قال : الحَضَباء بالرمضاء .

قالت : إنما تعجبت من شدته . قال : أوقد لحن الناس ؟ فأخبر علياً - رحمه الله عليه - فأعطاه أصولاً بنى منها ، وعمل بعده عليها ، فأخذه عن أبي الأسود عَنبَسَةُ بْنُ مَعْدَانَ الْمَهْرِيِّ الذي يقال له : عَنبَسَةُ الْغِيل^(٥) .

● تصدى علماء النحو العربي لظاهرة اللحن ، وكان من أبرز مصادرهم بعد «القرآن الكريم» : الشعر العربي ، والنثر العربي ، فقد استمدوا منها أصول النحو وقواعده .

وقد عثروا في مسيرتهم هذه على ألفاظ وتراكيب تشذ عن الأصول التي استنبطوها ، والقواعد التي قعدوها .

وليس كل شاذ أو نادر مرفوضاً ، كما أنه ليس كل مطرد مقبولاً . وأبسط القول في ذلك :

فقد قسم ابن جني في «الخصائص» - ١ : ٩٧ - الكلام إلى أربعة أصرب : الأول : مطرد في القياس والاستعمال جميعاً ، وهذا هو الغاية المطلوبة ، والمثابة المثوبة ، وذلك نحو : قام زيد ، وضربت عمراً ومررت بسعيد .

الثاني : مطرد في القياس ، شاذ في الاستعمال ، وذلك نحو الماضي من يذر ويدع . وكذلك قولهم : مكانٌ مَبْقِلٌ هذا هو القياس ، والأكثر في السماع : باقِلٌ ، والأول مسموع أيضاً .

والثالث : مطرد في الاستعمال ، شاذ في القياس ، وذلك نحو : استصوئت

الامر، يقال استصوبت، ولا يقال: استصببت ومنه استخوذ، وأُغِيلَتْ^(٦) المرأة.

والرابع: شاذ في القياس والاستعمال جميعاً، وهو كتتميم مفعول فيها عينه وأو، وذلك نحو: ثوب مَصْنُون، ومسك مدووف^(٧).

ولا يحسن استعماله فيها استعملته العرب فيه إلا على وجه الحكاية.

واعلم أن الشيء إذا اطرَد في الاستعمال، وشذ عن القياس، فلا بُد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره، ألا ترى أنك إذا سمعت: استخوذ واستصوب أدبتهما بحالهما، ولم تتجاوز ماورد به السمع فيهما إلى غيرهما. ألا تراك لا تقول في استقام: استَقَوَمَ، ولا في استساع: استَسَوَّعَ، ولا في استباع: استَبَّيعَ، ولا في أعاد: أعَوَدَ، لو لم تسمع شيئاً من ذلك قياساً على قولهم: أخوَصَ الرُّمْتُ^(٨).

فإن كان الشيء شاذاً في السماع، مُطَرِّداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعهم من: وَذَرَ، وَوَدَعَ؛ لأنهم لم يقولوها.

وقد وجد علماء العربية في تتبعهم واستقرايهم مفرداتٍ وأساليب خرجت عن قواعدهم، وشذت عن أصولهم التي أصلوها من كلام العرب الخُلص، ولا يباح لهم أن يرفضوا هذا الشذوذ، أو الخروج عن القواعد، لأنه مطرد في الاستعمال.

فما كان من علماء النحو العربي إلا أن يُصَنِّفُوا هذه المفردات، والأساليب تحت عنوانِ الشذوذ أو الضرورة.

* * * *

وقد اختلف النحاة في حد الضرورة:

ففي «الضرائر» لـ الألويسي - ص ٦ - ٨ - بتصرف: - ذهب الجمهور: إلى أن الضرورة ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر سواء أُوْجِدَ للشاعر عنه مندوحة^(٩) أم لم يُوجَد.

— ومنهم من قال : إنها مالميس للشاعر عنه مندوحة . وبه قال ابن مالك^(١١) ، فإن الضرورة مشتقة من الضرر ، وهو النازل بما لا مدفع له . وقد بسط الرد على القول الثاني أبو إسحاق الشاطبي^(١٢) في «المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية» .

وتوسع في بيان هذه المسألة في (باب الضرائر) من كتابه : «أصول العربية» .

وحاصل ما ذكره في «شرح الألفية» أن هذا القول باطل من وجوه :

أحدها : إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع ، وعلى إهماله في النظر القياسي جملة ، ولو كان معتبراً لنبهوا عليه .

الثاني : أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير مذكر ، إذ مامن ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره . ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل . هذه الرأى في كلام العرب من الشيع في الاستعمال بمكان لا يجهل ، ولا تكاد تنطق بجملتين تعريان عنها ، وقد هجرها واصل بن عطاء^(١٣) ، لمكان لثغته فيها ، حتى كان يناظر الخصوم ، ويخطب على المنبر ، فلا يسمع في نطقه رأى^(١٤) . فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلاً .

ولا مربة في أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير .

وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدنى إلى أن لا ضرورة في شعر عربي ، وذلك خلاف الإجماع .

ولأما معنى الضرورة أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ماتضمنته ضرورة النطق به في ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص ، أو غير ذلك بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتمل في شيء يُزيل تلك الضرورة .

الثالث : أنه قد يكون للمعنى عبارتان ، أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة ، إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال .

ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ؛ لأن اعتناءهم بالمعاني أشد

من اعتنائهم بالألفاظ ، وإذا ظَهَرَ لنا في موضعٍ أن مالا ضرورةً فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال ؟

الرابع : أن العرب قد تأبى الكلام القياسي لعارض زحاف ، فتستطيع المزاجف دون غيرها ، أو بالعكس ، فتركب الضرورة ، لذلك .

وقد تَعَقَّب أبوحيان^(١٤) ابن مالك في (مسألة الضرورة) ، قال في شرحه للتسهيل :

لم يفهم ابن مالك معنى قول النحويين في ضرورة الشعر ، فقال في غير موضع : (ليس هذا البيت بضرورة ، لأن قائله متمكن من أن يقول : كَذَا ، ففهم أن الضرورة في اصطلاحهم هي الإلجاء إلى الشيء . . فعل زعمه لا توجد ضرورة أصلاً ، لأنه مامن ضرورة إلا ويمكن إزالتها ، ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب . وإنما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبيهم الواقعة في الشعر ، المختصة به .

ولا يقع في كلامهم النثر ، وإنما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام . . .)

وقد اختلف «النحاة» أيضاً في محل الضرورة ، فمنهم من خصّها بالشعر وحده ، دون النثر ، باعتبار أن الشعر فن له قافية ووزن ، ومنعها في النثر .

والحق جوازها في النثر المسجوع أيضاً ؛ لأن السجع هو النطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن .

والحكم بامتناع الضرورة في النثر دعوى بلا دليل ، وتقييد جوازه بالشعر تخصيص بلا مخصص .

وفي «مع الهوامع» - ٢ : ١٥٨ - بتصرف : (المختار وفاقاً للأخفش ، وخلافاً لأبي حيان وغيره جواز ما جاء في الضرورة في النثر ، للتناسب والسجع ، نحو قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الحاكم^(١٥) وغيره : «اللَّهُمَّ رَبِّ

السماء السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين
وما أضللن ، وكان القياس «أصلوا» فأتى بضمير مؤنثٍ لمناسبة أظللن ، وأقللن .

وقوله فيما رواه البزار^(١٦) في مسنده وغيره :

«أنفق بلائاً ولا تحس من ذي العرش إقللاً»^(١٧).

نَوْنُ المنادى المعرفة ، ونَصْبُهُ لمناسبة إقللاً .

وقوله فيما رواه البخاري^(١٨) : «أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان
وهامة ، ومن كل عين لامة» .

شيطان هامة أي : حنشٌ مُخَوِّفٌ ، وعين لامة أي : تصيبُ بسوء .

قال : لامة ليزواج ويؤاخي لفظ هامة ، لكونه أخفُّ على اللسان . والقياس :
مِلْمَةٌ من أَلَمْتُ بالشيء .

والشواهد على الضرورة النثرية كثيرة في الحديث النبوي ، والكلام
الفصيح .

أبها - د : محمود فجال

استاذ النحو العربي المشارك ورئيس قسم النحو والصرف

كلية اللغة العربية

الهوامش :

- (١) الحجر : ٩ .
- (٢) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
- (٣) هو أبو العباس ، محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٨٥هـ .
- (٤) اختلف في اسمه ، قيل : عمرو بن سفيان ، وقيل : ظالم بن عمرو بن سفيان وهو من كبار التابعين ،
مخضرم ، متوفى سنة ٦٩هـ .
- (٥) انظر «مراتب النحويين» (ص ٢٣ - ٣٠) .
- (٦) يقال : أغليت المرأة وَلَدَهَا إِذَا أَرْضَعَتْهُ ، وهي حامل .
- (٧) أي : مخلوط أو مبلول - قال :
وَالْبَسْتُ فِي عُنْتِي مَدَووْفٌ
«لسان العرب» - دوف ٩ : ١٠٨ -
- (٨) الرمث : شجر ترعاه الإبل ، وإخواسه أن يبلو فيه ورق ناعم كأنه خوصة .
- (٩) المدوحة : المخلص . والمنع .

(١٠) هو محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك ، جمال الدين ، أبو عبدالله ، الطائي الجبالي المتوفى سنة ٦٧٢هـ .

(١١) هو إبراهيم بن موسى اللخمي ، الغرناطي المتوفى سنة ٧٩٠هـ .

(١٢) أبو حذيفة ، المعتزلي . طرده الحسن البصري عن مجلسه فاعتزل عنه . توفي سنة ١٨١هـ .

(١٣) انظر «البيان والتبيين» (١ : ١٤) .

(١٤) هو محمد بن يوسف بن علي ، أثير الدين ، الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥هـ .

(١٥) «المستدرک» في (كتاب المناسك) - ١ : ٤٤٦ - من حديث صهيب . وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» في (ذكر مايقول المسافر إذا رأى قرية يريد دخولها) - ٤ : ١٧٠ - والدليل في «الفردوس» - ١ : ٤٤٧ - .

(١٦) هو أحمد بن عمرو بن عبدالحق البصري ، أبو بكر ، العتكي المتوفى سنة ٢٩٢هـ بالرملة . صاحب المسند الكبير ، المسمى «البحر الزاخر» . حافظ ، صدوق .

(١٧) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (١ : ٤٣٢) من حديث عمرو أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢ : ٢٨٠) من حديث أبي هريرة .

وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠ : ٢٤١) ، وعزاه للطبراني والبخاري .

وأورده العجلوني في «كشف الخفاء» (١ : ٢١٠) .

أقول : روايات الحديث التي عثرت عليها بلال ، بضم اللام .

وتعرب : منادي مبني على الضم إما به (يا) مذكورة ، كما في بعض الروايات وإما به (يا) مقدره ، كما هو في غالبها .

وظاهر كلام السيوطي في كتابيه «معجم المصنفين» و«الأشياء والنظائر» (١ : ٣٦) أن الرواية بالنصب ،

وكلامه لا يفيد حصر الرواية بالنصب . وتوفي البخاري في «المقاصد الحسنة» (ص ١٠٣) الوقوف على

رواية النصب لا ينفي ورود ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ . فهما روايتان فلا منافاة .

والسيوطي : هو جلال الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الخضير ، السيوطي

المتوفى سنة ٩١١هـ . الحافظ ، المسند ، المحقق ، المدقق ، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ، التي

قاربت الألف مصنف . انظر «شذرات الذهب» (٨ : ٥٠) .

(١٨) أخرجه البخاري في «كتاب الأنبياء» (٤ : ١١٩) ، من حديث ابن عباس - رضي الله عنها - برواية :

أحمد بكلمات الله التامة .. وانظر «فتح الباري» (٦ : ٤١٠) .

وابن ماجه في «سننه» في «كتاب الطب» - باب رقية الحية والمغرب (٢ : ١١٦٥) مثله .

وأخرجه أبو داود في «كتاب السنة» - باب في القرآن .

انظر «مختصر سنن أبي داود» (٧ : ١٢٧) برواية : أحمد .

مراجع البحث :

١ - «الأشياء والنظائر» السيوطي مراجعة د. فائز ترحفي . دار الكتاب . الأولى ١٤٠٤هـ .

٢ - «البيان والتبيين» للجاحظ ، الخانجي . الرابعة ١٣٩٥هـ .

٣ - «حلية الأولياء» لأبي نعيم دار الكتاب . بيروت . ثالثة ١٤٠٠هـ .

٤ - «الخصائص لابن جني تحقيق : محمد علي النجار . دار الكتب ١٣٧١هـ .

٥ - «سنن ابن ماجه» تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى . عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ .

٦ - «شذرات الذهب» لابن العماد تصوير بيروت . دار المسيرة . ثانية ١٣٩٩هـ .

٧ - «صحيح البخاري» مصورة عن طبعة إستانبول - دار الفكر .

٨ - «صحيح ابن حبان» ترتيب الأمير علاء الدين - دار الباز . الأولى ١٤٠٧هـ .

قبيلة هذيل وأصولها القديمة

قبيلة هُذَيْلٍ قبيلة عربية مُضَرِّيَّةٌ عدنانية : بَنُو هُذَيْلِ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ يَزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ ، قَالَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي « قَلَانِدِ الْجَمَانِ » : وَبَوَادِي نَخْلَةٍ مِنْهُمْ الْجَمُّ الْغَفِيرُ ، وَلَهُمْ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ .

وقال ابن سعيد في « نشوة الطرب » : ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ أَنَّهُمْ مِنْ أَنْصَحِ الْعَرَبِ . . . وَكَانُوا مَشْهُورِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَلَهُمْ صَوْلَةٌ .

ويذكر الدكتور عبد الجواد الطيب وهو ينقل عن الجاحظ أنه يقال : إِنَّ هُذَيْلًا أَكْرَادُ الْعَرَبِ ، بِسَبِّ طِبَاعِهِمْ ، وَصَبْرِهِمْ عَلَى تَحْمُلِ الْقِتَالِ ، وَأَضَافَ : قَالَ يُونسُ بْنُ حَبِيبٍ : لَيْسَ فِي هُذَيْلٍ إِلَّا شَاعِرٌ ، أَوْ رَامٍ ، أَوْ شَدِيدُ الْعَدُوِّ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا فَاتَكَ الْهُذَلِيُّ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا أَوْ سَاعِيًا أَوْ رَامِيًا فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، وَنَقَلَ الطَّيِّبُ عَنْ « مَعْجَمِ الْأَدَبَاءِ » : كَانَ لِلْهُذَلِيِّينَ مِثَّةٌ وَثَلَاثُونَ شَاعِرًا مَا فِيهِمْ إِلَّا مُفْلَقٌ .

وفي هذا البحث استعراض للبطون الهذليّة في ضوء المعلومات المتوفرة للباحث ، ويبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين لإبداء الملاحظات ، أو استدراك ما فات من مراجع ومصادر أخرى .

وفي هذا البحث ذكرتُ فُرُوعَ هُذَيْلٍ الْقَدِيمَةِ وَبَطُونَهَا مَعَ إشاراتٍ خاطفةٍ إِلَى مَنْ يُمَثِّلُهَا مِنْ فُرُوعِ هُذَيْلٍ الْحَدِيثَةِ ، مَعَ التَّأْكِيدِ أَنَّ هَذَا الْبَحْثَ يَخْتَصُّ بِبَطُونِ

-
- ٩ - « الضرائر » للالوسي تصوير بيروت .
 - ١٠ - « الفاضل » للمبرد تحقيق : عبدالعزيز الميني . دار الكتب المصرية . الأولى ١٣٧٥ هـ .
 - ١١ - « فتح الباري » لابن حجر مصورة عن الطبعة السلفية .
 - ١٢ - « الفردوس » للدليمي تحقيق : السعيد بن بسولي . دار الباز - الأولى ١٤٠٦ هـ .
 - ١٣ - « كشف الحفاء » للعجلوني . - الثالثة - تصوير بيروت .
 - ١٤ - « لسان العرب » لابن منظور دار صادر - بيروت ١٣٧٤ هـ .
 - ١٥ - « مجمع الزوائد » للهيتمي . القدسي ١٣٥٣ هـ .
 - ١٦ - « مختصر سنن أبي داود » للمشنري تحقيق : أحمد محمد شاكر . دار المعرفة - بيروت ١٤٠٠ هـ .
 - ١٧ - « مراتب النحويين » لأبي الطيب اللغوي دار نهضة مصر ١٣٩٤ هـ .
 - ١٨ - « المستدرک » للحاكم مصورة دار الكتاب - بيروت .
 - ١٩ - « ومع الهوامع » للسيوطي دار المعرفة - تصوير بيروت .

هذيل القديمة ، إذ تَرَكْتُ الشُّقَّ الثَّانِيَّ من هذا البحث الذي يدور حول قبيلة هُذَيْل ، وفروعها الحديثة ، لأخينا الأستاذ محمد بن علي بن هلال الحُتَيْرِشِي الهُذَلِي ، الذي نأمل أن يشمل بحثه تلك الفروع ، مع ربطها بالأصول القديمة ، دون النظر للتقسيمات الهذلية الحديثة ، فإن وفقت في ذلك فبفضل الله تعالى ، وإن قصرت أو أخطأت فكلُّ بني آدم خطاؤون ، وخير الخطائين الراجعون إلى الحق . والله ولي التوفيق .

أقسام قبيلة هُذَيْلِ الرئيسة :

- ١ - بنو سعد بن هُذَيْل^(١) .
- ٢ - بنو عمير بن هُذَيْل^(٢) .
- ٣ - بنو لحيان بن هُذَيْل^(٣) .
- ٤ - بنو هرمة بن هُذَيْل^(٤) .
- ٥ - بطون هُذَيْلِيَّةٌ أخرى .

وألقت النظر إلى أنه جاء في « نهاية الأرب » للقلقشندي الطبعة التي نشرها علي الخاقاني - ص ٣٨٧ - : أنه كان لهذيل من الولد : سعد وجناب بطن ، وعمير وهرمة بطن ، في حين أن الطبعة التي حققها الأستاذ إبراهيم الإياري ، جاء فيها - ص ٣٢٥ - : أنه كان لهذيل من الولد : سعد ولحيان وبذا أسقط ذكر عُمَيْرٍ وَهَرْمَةٍ ، ولم يرد في أي مصدر - مما توفر لديّ - أن من أبناء هذيل من اسمه (جناب) أو (خباب) كما في « سبائك الذهب » للسويدي - ص ٣٤ - وهذا يؤيد رأي حمد الجاسر أن جناب أو خباب تحريف للحيان^(٥) ويؤكدُ هذا ما جاء في « قلائد الجمان » - ص ١٣٣ - للقلقشندي مؤلف « نهاية الأرب » أنه كان لهذيل من الولد سعد ولحيان بطن ، وعمير وهرمة بطن وهذا يصحح التصحيف الذي وقع في الطبعة التي نشرها الخاقاني ، وفي « سبائك الذهب » .

بطون بني سعد بن هذيل :

ذكر ابن سعيّد أنهم جِذْمٌ من هذيل . وقال النُؤَيْرِيُّ : بطن من هذيل .
وقلت : وفيهم العدد والعدة ويتألفون من أحد عشر فرعاً وهي :

١ - بنو تميم بن سعد بن هذيل^(٦) .

فرع كبير من هذيل ، انبثقت منه أشهر بطون هذيل .

من منازلهم نواحي وادي نخلة ، والمناقب ، قال السُّكْرِيُّ : المناقب طريق الطائف من مكة ، ووادي مَرٍّ وذُو يَدُوم ، وقران ، وَضَيْمٌ ، ولهم ذكر كثير ومن ذلك ، قال أبو جَنْدَلٍ الهذلي :

أَقُولُ لِأُمِّ زَنْبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْغَيْسِ شَطَرَ بَنِي تَمِيمٍ
وَعَرَبْتُ الدُّعَاءَ وَأَيْنَ مِنِّي أَنَاسٌ بَيْنَ مَرٍّ وَذِي يَدُومٍ
وَحَيٍّ بِالنَّاقِبِ قَدْ حَمَوَهَا لَدَى قُرْآنٍ حَتَّى بَطْنِ ضَيْمٍ

« معجم البلدان » مناقب ، يدوم ، و « شرح أشعار الهذليين » .

وقال الحِشْرُ من بني ثابر :

فَبَاعَجِبَا مِنْكُمْ تَمِيمًا وَدَارَكُمْ بَعِيدًا بِجَنَبِي نَخْلَةً فَالنَّاقِبِ

وقال المليلح بن الحكم السهمي الهذلي :

أَبِي نَصَبَ الرِّايَاتِ بَيْنَ هَوَازِينَ وَبَيْنَ تَمِيمٍ بَعْدَ خَوْفٍ مُحَدَّقِ

« شرح أشعار الهذليين » - ص ٧٩٩ و ١٠٠٣ - .

وقد تفرع عن بني تميم عدة بطون هي :

١ - بنو الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٧) .

٢ - بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٨) .

قال القلقشندي في « نهاية الأرب » : بطن من هذيل ، وزعم ابن قتيبة في « المعارف » أنهم رهط عبدالله بن مسعود - رحمه الله تعالى - ونص عبارته - ص ٢٤٩ - : كان عبدالله بن مسعود من هذيل ورهطه منهم بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، والصحيح أَنَّ عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه من بني صاهلة بن كاهل بن الحارث كما سيجيء فيما بعد .

ومن أعلامهم زهير بن العجوة « الأغاني » ٢١٠/٢١ .

ومن ديارهم وادي نعمان قال الأصفاني في « بلاد العرب » : ونعمان وادي يسكنه عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وذكر ياقوت الحموي في « معجم البلدان » رسم نعمان : وادي يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

ومنها اللهيماء قال البكري في « معجم ما استعجم » : اللهيماء من نعمان ، ومنازل بني عمرو بن الحارث الهذليين فوثق ذلك موضع يقال له : أديمة . ومنها أيضا أديمة قال البكري : جبل معروف ، قال مالك بن خالد : كَأَنَّ بَنِي عَمْرٍو يُرَادُ بِدَارِهِمْ بَنِعْمَانَ رَاعٍ فِي أَدِيمَةٍ مُعْزِبُ ثم قال البكري في رسم أريمة - ثانيه راء - أريمة : منازل بني عمرو بن الحارث الهذليين وقد ذكرته بشواهد في رسم اللهيماء ، وقد رأينا أن مذكره في رسم اللهيماء هو أديمة التي قال في رسمها : إنها جبل معروف ، وأورد شعر مالك بن خالد ، مع أن السكري في « شرح أشعار الهذليين » - ص ٥٦١ - يذكر هذا البيت لحذيفة بن أنس الهذلي ويذكر الاسم أديمة بالذال . وما ورد في بني عمرو هاؤلاء من الشعر ، قول قيس بن العيزارة :

سَتَنْصُرُنِي أَفْنَاءَ عَمْرٍو وَكَاهِلٍ إِذَا مَاعَزَا مِنْهُمْ مَطِيٌّ وَعَاوُغُ
وقال أيضا :

خَدْتُ بَنِي عَمْرٍو عَلَى أَنْ تَصَالِحُوا وَإِنِّي سَأَلْتِي كَاهِلًا وَالْوُمَهَا
وقال أبو قلابة :

يُصَاحُ بِكَاهِلٍ حَوْلِي وَعَمْرٍو وَهُمْ كَالضَّارِيَاتِ مِنَ الْكِلَابِ
وقال الحشر من بني ثابر :

تَنَاولَنِي عَمْرٍو بِضَرْبَةِ رِجْلِهِ عَلَى كِبَرٍ مِنْهُ وَشَيْبِ الذُّوَابِ

وقال محرث بن زبيد الصاهلي :

يَذْعُو بَنِي عَمْرٍو وَأَذْعُو صَاهِلَةَ .

وقال صخر الغي :

أَبَتْ لِي عَمْرٍو أَنْ أَضَامَ ، وَمَازَنْ وَقَرْدَ وَلِحْيَانٍ وَسَهْمٍ فَسَلَّمْ .

وقال عبد مناف بن ريع الجربي :

فِدَى لِيْنِي عَمْرٍو وَآلِ مُؤْمِلٍ غَدَاةَ الصَّبَاحِ فِدْيَةُ غَيْرِ بَاطِلٍ .

« شرح أشعار الهذليين » - ص ٢٦٦ / ٥٦١ / ٥٩٢ / ٦٠٥ / ٧١٨ / ٨٧٤ ،

« معجم البلدان » : أنف ، مراخ .

ومن بطون بني عمرو :

بنو جشم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٩) .

٢ - بنو خُثَيْم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(١٠) .

ومن ديارهم جبل يعر الذي ذكره البكري فقال ، يَعْرُ : جبل بالحجاز ، في

ديار بني خثيم من هذيل ، ووادي نَعْمَان ، قال أُمَيَّةُ بن أَبِي عَائِدٍ :

مَتَى رَجُلٌ آسَادُ نَعْمَانَ ذُوْنَهُ خُثَيْمٌ وَمَطْرُودٌ وَرَيْشَةُ مُبْسَلٌ

وذكرهم حذيفة بن أنس فقال :

وَفَرْتُ خُثَيْمٌ يَحْطُمُونَ وَعِشْرُقٌ كِمَارُهُمْ كَأَنَّهُنَّ الْمَذَانِبُ

« شرح أشعار الهذليين » - ص ٥٣٨ / ٥٥٢ - وعِشْرُقُ : من هذيل - .

٣ - بنو ضَبَّةَ بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(١١) .

قال ابن الأثير : ضبة بن عمر بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ينسب

إليه جماعة « اللباب » ج ٢ ص ٧١ .

٤ - بنو عامر بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(١٢) .

جاء ذكرهم في «ديوان الهذليين» - ج ٣ ص ١٨ - قال حذيفة بن أنس أحد بني عامر بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٥ - بنو عترة بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (١٣) .

ذكرهم ابن الأثير فقال : العتري : هذه النسبة إلى عترة ، وهو اسم لعدة بطون منها ... عترة بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بطن من هذيل ، «اللباب» ج ٢ ص ١٢٠ .

٦ - بنو مازن بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (١٤) .

ذكرهم صخر النقي فقال :

أَبَتْ لِي عَمْرُو أَنْ أَضَامَ وَمَازِنْ وَقِرْدَ وَلِحْيَانٍ وَسَهْمَ فَسَلِمَ
«شرح أشعار الهذليين» ٢٦٦ .

ومن بطون مازن :

أ - بنو مطرود بن مازن بن عمرو بن الحارث بن سعد بن هذيل (١٥) .

كانوا من سكان وادي نَعْمَانَ ، ذكرهم أمية بن أبي عائذ مع بني عمومته بنو خُثَيْم قال :

مَتَى رَجُلٌ آسَادُ نَعْمَانَ دُونَهُ خُثَيْمٌ وَمَطْرُودٌ وَرِيْشَةُ مُبْسَلٌ
«شرح أشعار الهذليين» - ص ٥٣٨ .

ومنهم :

١ - بنو سيار بن مطرود بن مازن بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، ومن أعلامهم المذال بن المعتض بن جندب بن سيار بن مطرود بن مازن ابن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (١٦) وقد جاء ذكرهم مقرونا بذكر بني عمومته بني خُثَيْم بن عمرو بن الحارث .

قال تَابُطُ شَرًّا :

إِذَا وَقَعَتْ بِكَعْبٍ أَوْ خُثَيْمٍ وَسَيَّارٍ يَسُوعُ لَهَا شَرَّابِي (١٧)

وتتمثل اليوم في قبيلة بني عَمْرُو ، أو بني عُمَيْر ، وهو الأشهر ، وهي إحدى قبائل هذيل في يومنا هذا .

بنو كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (١٨) .

ذكر السيوطي أنهم بطن من هذيل .

وما قيل فيهم قول قيس بن العيزارة :

بني كاهل لا تَنْغِلْنَ أَدِيمَهَا ودَعْ عَنْكَ أَفْصَى لَيْسَ مِنْكَ أَدِيمُهَا
وقال أبو قلابة :

يُصَاحُ بِكَاهِلٍ حَوْلِي وَعَمْرُو وَهُمْ كَالضَّارِيَاتِ مِنَ الْكِلَابِ
وقال تَابُطَ شَرًّا :

وَلَا تَمْ آتِ جَمَعَ بَنِي خُثَيْمٍ وَكَاهِلَهَا بِرَجُلٍ كَالضُّبَابِ
« شرح أشعار الهذليين » ص ٨٤٧/٧١٨/٦٠٥ ، « معجم البلدان » :
مراخ .

ويتألف بنو كاهل من البطون التالية :

أولا : بنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (١٩) .

وقد اشتهروا بأنهم من أفصح العرب قال الزُّبَيْدِيُّ : بنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل قبيلة ، ويقال لهم الكاهليُّون بكسر الهاء ، وقيدَه الْوَقْشِيُّ هكذا : كَاهِل - بفتح الهاء - وفي « المقدمة » لابن الجَوَانِي : وهم أفصح العرب ، قال : وبلغني أَنَّ بطناً منهم مقيمون إلى الآن على اللغة السالمة من اللحن والتغيير والفساد ، ومنهم سيدنا عبدالله بن مسعود « تاج العروس » رسم كهل .

قال القرطبي : بطن من هذيل .

وقد كانت ديارهم أوسع ديار هذيل على الإطلاق ، حيث تمتدُّ من نواحي

رُهَاطُ شَمَالِ شَرْقِي مَكَّةَ ، إِلَى أَقْصَى دِيَارِ هَذِيلِ نَحْوِ الْيَمَنِ ، قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ :
اتَّخَذْتُ هَذِيلُ سَوَاعاً رَبُّاً بِرَهَاطِ ، « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » : رَهَاطُ ، وَيُؤَافِقُهُ الْبَكْرِيُّ
الَّذِي قَالَ : وَبِرَهَاطِ كَانَ سَوَاعُ صَنْمَ لَهْذِيلِ « مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ » : رَهَاطُ .

وَكَانَ سَدْنَتُهُ بَنُو صَاهِلَةَ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَسَدْنَتُهُ بَنُو صَاهِلَةَ مِنْ هَذِيلِ « جَمْهَرَةُ
أَنْسَابِ الْعَرَبِ » ص ٥٩٢ .

وَنَجِدُ أَنَّ بَنِي صَاهِلَةَ يَقْطُنُونَ أَيْضاً جَنْبَ الدِّيَارِ الْهَذَلِيَّةِ مُصَاقِبِينَ وَمَجَاوِرِينَ
لِبَنِي فَهْمٍ قَالَ الْجَمْحِيُّ : كَانَتْ بَنُو صَاهِلَةَ أَقْصَى هَذِيلِ نَحْوَ الْيَمَنِ « شَرْحُ أَشْعَارِ
الْهَذَلِيِّينَ » ص ٧٦٣ ، وَمِنْ أَعْلَامِهِمْ قَيْسُ بْنُ خُوَيْلِدِ الصَّاهِلِيِّ . وَسَلَمَى بْنُ
مَعْقِلٍ (؟) الصَّاهِلِيِّ .

وَمِنْ بَطُونِهِمْ :

أ - بَنُو خَزِيمَةَ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيلِ (٢٠) .

وَمِنْ بَنِي خَزِيمَةَ :

١ - بَنُو عَاتِرَةَ : نَسَبُهُ إِلَى عُثَيْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ (٢١) بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ تَمِيمٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيلِ .

ذَكَرَهُمْ جَارُ اللَّهِ بْنُ فَهْدٍ الْمَكِّيُّ فِي كِتَابِهِ « حَسَنُ الْقُرَى فِي أَوْدِيَةِ أُمِّ الْقُرَى »
وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْبَرْدَانِ حَيْثُ قَالَ : الْبَرْدَانُ أَقُولُ : وَهُوَ عُلوُّ وَادِيَا
- يَعْنِي نَخْلَةَ الشَّامِيَّةِ - لِعَاتِرَةِ قَبِيلَةٍ مِنْ هَذِيلِ ، وَلَهُمْ فِيهِ حَصْنٌ قَدِيمٌ ، عَلَى جَبَلٍ
عَلُوُّ مَسِيلِ الْوَادِي « الْعَرَبِ » س ١٨ ص ١٩٤ وَزَعَمَ فِي الْهَامِشِ ص ٢١٠ ،
أَنَّهُمْ انْقَرَضُوا قَالَ : وَعَاتِرَةُ قَدْ انْقَرَضُوا ، مَعَ أَنَّهُ قَالَ - وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّنْضُبِ
وَالْبَرْدَانِ - : وَبَقِيَ الْبَرْدَانُ وَالتَّنْضُبُ عَامِرَانِ وَقَدْ دَخَلَتْهُمَا مَرَاراً ، وَصِفَتْ فِيهِمَا
عَاماً وَرَأَيْتُ (بِيَاضٌ فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ أَهْلُهَا) مَعْرُوفُونَ بِالرَّجَالَةِ وَالشَّجَاعَةِ يُقَالُ
لَهُمْ هُذَيْلٌ ، مَفْتَرِقُونَ فَرَقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا عَاتِرَةُ ، وَثَانِيَتُهُمَا نَبَاتَةٌ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا شَيْخٌ
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِ ، وَبَعْضُ الْأَحْيَانِ يَقَعُ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ
فَتَلُومُ الدَّوْلَةُ شَيْخَهُمْ ، وَيَجْعَلُونَ عَلَيْهِ مَالاً يُوْزَعُهُ عَلَيْهِمْ حَالاً وَمَالاً ، فَاللَّهُ تَعَالَى

يلطف بنا وبهم أجمعين ويختم لنا بخير أمين ، « العرب » ص ١٨
ص ٣٦٥/٣٦٦ ، وقد ذكرهم أبو علي الهجري ص ٥٩ وذكر أن منهم نجدة بن
عبد الأعلى العتيري الهذلي من عاترة من صاهلة هذيل .

وذكرهم السكري قال : كان لهم - أي لحَيَّانَ - جار فَقَدِمَ له أن يأخذه رجلٌ
من بني خزيمة بن صاهلة بن كاهل فخرجوا - لحَيَّانَ - حتى قدموا لبني
خزيمة وسيدهم وَبَرَّة بن ربيعة ، فنادوهم من بعيد ولم يقدموا لهم - يابني خزيمة -
أبو عبدالله : يابني عاترة - ردوا علينا جارنا . . . ص ٧٠٩ وقد هجا - بني عاترة
سَلَمَى بن الْمُقْعَد الْقُرَيْمِي الصاهلي « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٩٣ .

ومن أعلامهم عبدالله بن مسلم بن جندب بن حذيفة بن عمرو بن خدّاش بن
عُتَيْر بن خزيمة بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٢٢) .

وقد ذكرهم صاحب « الأغاني » حيث ذكر أن تَأَبَّطُ شَرَأْ انشد عندما قُتِلَ
أخوه عَمْرُو :

حَيَاتِي أَنْ أَزُورَ بَنِي عُتَيْرٍ وَكَاهِلَهَا يَجْمَعُ ذِي ضَبَابٍ

ويفهم مما أورده صاحب « الأغاني » - ١٥٧/٢١ - : أنهم كانوا يقطنون جنوب
الديار الهذلية ، مجاورين لبني قَهْمٍ .

والنسبة إلى بني عاترة . . . عتيري^(٢٣) .

ومن ديارهم ذِي جَاهِمٍ « الأغاني » ١٥٨/٢١ .

ب - بنو قُرَيْمٍ بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن
هذيل^(٢٤) .

قال البكري : بطن من هذيل .

وقد كانت ديارهم تمتد بامتداد ديار قومهم بني صاهلة من شمال شرقي مكة
حتى نواحي اللَّيْثِ جنوباً ومن ديارهم حُثْنٌ - حُثْنٌ عند البكري - والعوصاء ،
وذو حماط ، ومرخة الشامية ، وذو حماط بالليث ومرخة الشامية وكلها مواضع

ذكرها البكري وأضاف ياقوت الحموي منطقة أخرى من ديارهم وهي السُرو ،
ومن ديارهم أيضا الحُرَيْضَةُ وَثَمَارُ وكلها من نواحي حُثُن .

ولهم ذكر كثير في الشعر ومن ذلك قال أَهْبَانُ بن لُعْطِ الدَّيْلِي :
أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي قُرَيْمٍ مُغْلَغَلَةٌ يَجِيءُ بِهَا الْخَبِيرُ
وقال العجلان بن خليفة :

فَأَوَفْتُ قُرَيْمَ صَاعَهَا إِذْ أَمَرْتُهُمْ بِأَمْرِهِمْ وَضَلُّ فِي عَائِدِ أَمْرِي
وقالت أُمُّ تَائِبُ شَرًّا مِنْ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرِ :
قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ بَنِي قُرَيْمٍ إِذَا ضُنَّتْ جُمَادَى بِالْقِطَارِ
وقال تائب شرا :

إِذَا وَقَعَتْ بِكَعْبٍ أَوْ قُرَيْمٍ وَسَيَّارٍ فَقَدْ سَاغَ الشَّرَابُ
وقالت ذُبَّةُ ابْنَةُ نُشْبَةَ بن لَآيٍ مِنْ قَهْمٍ :
لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَكْتُ قُرَيْمٌ وَأَوْجَعُوا بِجِرْعَةِ بَطْنِ الْغَيْلِ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
وقال شاعرُ بني سُلَيْمٍ :

لَعَمْرُكَ مَا خَسِينَ بَنِي قُرَيْمٍ غَدَاةَ عَدَوْنِ مِنْ أَهْلِ الْعَقِيقِ
وقال سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ :
وَلَوْ أَذْرَكُنْ دَارَ بَنِي قُرَيْمٍ وَجَارِهِمْ إِذَا وَرَبَّ الْجَوَارِ
وَرَبِّ : فَسَدَ .

وقال كانفُ مِنْ بَنِي قَهْمٍ :
لَقَدْ فَسَحَتْ رَبْعًا قُرَيْمٌ وَقَوْمُهُمْ لَنَا بَعْدَمَا سَدُّوا الطَّرِيقَ وَشَجَّعُوا

« شرح أشعار الهذليين » ص ٧٢٦ / ٧٦٥ / ٨٤٦ / ٨٤٧ / ٨٤٩ / ٨٥٠ / ٨٥٢ / ٨٥٧ « معجم البلدان » : صورة ، فرقة .

ومن أعلام بني قُرَيْمٍ سيدهم غافل بن صخر ومنهم ساعده بن عمرو القُرَيْمِيّ وعَبْدُ بن حبيب القُرَيْمِيّ ، وَسَلْمَى بن الْمُقْعَدِ القُرَيْمِي الصاهلي . « شرح أشعار الهذليين » ص ١١٢ / ٣٨٩ / ٧٧٠ ، و« معجم ما استعجم » ص ٩٨٠ / ١١٦٦ .

ومن بطونهم :

١- بنو حارثة بن قُرَيْمٍ بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٢٥) .

وقد كانوا يقطنون نواحي حُثْنٍ في نمار ، والحريضة ورخان ، وهي مواضع متجاورة بنواحي حثن .

ومنهم سفيان بن ساعدة ، الذي قتل فارس بن قُهمٍ الشهير تَابُطَ شَرَاءَ « معجم ما استعجم » ص ٤٢٤ .

٢- آل أبي طرفة^(٢٦) .

وهاؤلاء كانوا يقيمون في مكة ، فقد ذكر الأزرق في كتابه « أخبار مكة » ١١٣/١ - أنه كان يقيم في مكة آل أبي طرفة الهذليين ، وكان لهم جانب من رِبَاعِ بني عامر بن لُؤَيٍّ ، ومن دورهم هناك : دار أبي طرفة ، ودار الطُّلُجِيِّينَ ، والنسبة إليهم ابن أبي طرفة ، ومنهم أبو عمارة بن أبي طرفة عمر بن سلم بن أبي طرفة بن جندب بن حبيب بن سفيان بن سَوَاءَةَ بن قُرَيْمٍ بن صاهلة بن كاهل^(٢٧) بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ومنهم :

أ- الطُّلُجِيُّونَ^(٢٨) : ذكرهم الأزرق في - النص السابق - .

ب- بنو غزوم بن صاهلة^(٢٩) بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

قال ابن الأثير: بطن من هذيل ينسب إليه كثير، وعدهم ابن حزم (٤٥٦/٣٨٤) أخذ أشهر ثلاثة بطون هذلية، إضافة إلى بني لَحْيَان وبني قُرَيْد قال: وهاؤلاء البطون المشهورة من بني هذيل بن مدركة وهم وبني مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة « جمهرة أنساب العرب » ص ٤٦٦ .

• شبهة حول نسب بني مخزوم :

قال البكري في « معجم ما استعجم » رسم العوصاء : والعوصاء أيضا في ديار هذيل ، وفيه رَمَى سَاعِدَةُ بْنُ عَمْرِو الْقُرَيْمِيِّ - وَقُرَيْمٌ بطن من هذيل - رَمَى ناقة عَمْرِو بن قيس المخزومي ، رهط عبدالله بن مسعود ، حلفاء هذيل ، فقال عمرو :

أَصَابَكَ لَيْلَةُ الْعَوْصَاءِ عَمْدًا . بِسَهْمِ اللَّيْلِ سَاعِدَةُ بْنُ عَمْرِو
وكان ذلك السبب في خروجهم عن جوار هذيل . انتهى .

والبكري وحده الذي انفرد بهذه الرواية الشاذة التي يفهم منها : أن بني مخزوم حلفاء هذيل ، ويعيشون في جوارهم ، وأن بني مخزوم ليسوا من هذيل نسبا وأصلا . وفي هذا الزعم الشاذ شطط لم يسبقه إليه أحد ، وسياق ما ذكره لا يعُدُّ رواية محرفة للحدث الذي ذكر فيه من الخلل والتشويش مافيه ، وعند مراجعة مارواه السكري في « شرح أشعار الهذليين » - ٨٠٢/٨٠٠ - حول هذه الواقعة يَتَضَحُّ :

١ - ان بني شمش - رهط عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه - وهم من فروع بني مخزوم كما سيجيء - حلفاء بني قُرَيْم بن صاهلة إذن فإن بني شمش وحدهم من بني مخزوم هم الذين حالفوا بني قُرَيْم بن صاهلة ، دون ان يشمل هذا التحالف بقية بني مخزوم .

٢ - دبّ نزاع بين عمرو بن قيس الشمخي المخزومي وساعدة بن عمرو الْقُرَيْمِيِّ وأخيه ، تطور ليشمل بني شمش وبني قُرَيْم ، والجميع من بني صاهلة .

٣- عند اشتداد النزاع تخلّى بنو قُريم عن تحالفهم مع بني شَمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة ، حمة لأخيهم ساعدة بن عمرو القُريبي ، فردّوهم إلى قومهم بني مخزوم فقال في ذلك سَلَمَى بن المَقْعَدِ القُريبي :

أَلَا أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي زُبَيْدٍ فَدُونَكُمْ بَنِي شَمخِ الضَّلَالِ
أَتَوْنَا يَبْتَغُونَ وَلَاءَ حِلْفٍ فَالْفَيْنَاهُمْ شَرَّ الْمَوَالِي

قال السكري : يريد أتونا يريدون أموالنا ، وزُبَيْدُ هاؤلاء هم بنو زُبَيْدِ بن مخزوم بن صاهلة ، إخوة بني شَمخِ بن فار بن مخزوم ، وسَلَمَى بن المَقْعَدِ القُريبي يطالب بني زُبَيْدِ بإعادة بني شَمخِ إليهم ، أي إلى بني مخزوم ، وبالمقارنة بين ما ذكره البكري وما ذكره السكري - والأخير أقدم ويظهر أنه مصدر البكري - يتضح أن السكري يبيّن :

أن الحلف كان بين فروع من بني صاهلة ، بين بني شَمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة وبني قريم بن صاهلة .

وأن هذا الحلف لم يشمل عامة بني مخزوم بل كان خاصا ببني شَمخ منهم ، وبذا يبدو أن صواب عبارة البكري وضع اسم (بني قُريم) مكان (هذيل) ليستقيم المعنى . وقد تفرع عن بني مخزوم عدة بطون منها :

١- بنو زُبَيْدِ من مخزوم بن صاهلة^(٣٠) بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ذكرهم السكري في « شرح أشعار الهذليين » - ٨٥٨ - وقال : زُبَيْدُ رهط عبدالله بن مسعود - رحمة الله عليه - والصحيح أنهم من قومه بني مخزوم ، أما رهطه خاصة منهم فهم بنو شَمخ بن فار بن مخزوم وقد ذكر ذلك معلقا وشارحا شعر شاعر بني قُهم الذي ذكر بني زبيد فقال :

نَمَى لَكَ عِرْقٌ فِي النَّيْشَاتِ مَاجِدٌ وَعِرْقُ زُبَيْدٍ فَهَوَ فِي الْمَجْدِ مُتْلِعٌ
وقال سَلَمَى بن المَقْعَدِ القُريبي الصاهلي :

رِجَالُ بَنِي زُبَيْدٍ غَيَّبَتْهُمْ جِبَالُ أُمُولَ ، لَا سُقَيْتَ أُمُولُ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٧٩٦ ، « معجم البلدان » : أمول .

وعندما أورد البكري البيت الأخير ذكر قصة محرفة فقال : وكان بنو صاهلة غزت نفرا من بني زُبَيْد ، يقال لهم ثابِرٌ بِحَلِيَّةٍ من ديار هذيل ، فقتلتهم ثابِر ، فغضب لذلك سلمى بن المقعد القرمي الصاهلي ، فغزا ثابِرًا فصباحهم فأباحوا دارهم ، فقال سلمى هذا الشعر « معجم ما استعجم » ص ١٩٦ - والصحيح أن زُبَيْدًا هاؤلاء من بني صاهلة وليست لهم علاقة ببني ثابِر ، والقصة - كما ذكرها السكري - تفيد أن قوما من بني صاهلة ثم من زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة غزوا ثابِرًا بِحَلِيَّةٍ فقتلتهم ثابِر ، فنعاهم سلمى بن المقعد القرمي الصاهلي وقال ذلك الشعر ، وعبارة البكري هنا - وهي تفيد أن ثابرا من بني زُبَيْد - تناقض ما ذكره في المقدمة ص ٥٨ ، ٥٩ ، وهو الأصح حيث ذكر أنهم حي من العرب العاربة فقد قال : فظعنن بَحِيلَةَ وَخَثْعَمَ . . . فتزلت قَسْرُ بْنُ عُبْرٍ بْنِ أَمَارٍ جِقَالَ حَلِيَّةٍ وَأَسْلِمَ وَمَاصَاقِبَهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وأهلها يومئذ حي من العاربة الأولى يقال لهم بنو ثابِر ، فأجلوهم عنها ، وحلوا مساكنهم منها ، ثم قاتلوهم فغلبوهم على السراة ونفوهم عنها ، ثم قاتلوا بعد ذلك خَثْعَمَ ، فنفوهم عن بلادهم ، فقال سُوَيْدُ بْنُ جُدْعَةَ أَحَدُ بَنِي أَفْصَى بْنِ نَذِيرِ بْنِ قَسْرٍ ، وهو يذكر ثابِرًا وإخراجهم إياهم من مساكنهم ، ويفتخر بذلك ويجللهم خثعم :

وَنَحْنُ أَرْحَنُ ثَابِرًا عَنْ بِلَادِهِمْ وَحَلِي أَبْخَنَاهَا فَتَحْنُ أَسْوَدَهَا

وقال عمرو بن الحثارم وهو يذكر نفيتهم إياهم عن السراة وقتلهم إياهم عنها :

وَنَلَوِي بِأَثْمَارٍ وَيَدْعُونَ ثَابِرًا عَلَى ذِي الْقَنَا وَنَحْنُ وَاللَّهِ أَظْلَمُ

وقد ذكر نحو ذلك ياقوت الحموي في « معجم البلدان » في رسم حلية ، وبذا

يتضح أن رواية البكري هذه حدث فيها خلل .

ومن أهم أعلام بني زُبَيْد قاطبة وأحد مشاهير قبيلة هذيل الشاعر القُدُّ أَبُو ذُوَيْبٍ الهذلي خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مِحْرَثِ بْنِ زُبَيْدِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيلِ « الأغاني » ج ٦ ص ٢٦٤ .

ومن بطونهم :

١ - بنو المحرث بن زُبَيْد بن غَزُوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل « شرح أشعار الهذليين » ص ٧١٠ .

٢ - بنو شَمَخ بن فار بن غَزُوم^(٣١) بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ،

قال السكري : بنو شَمَخ رَهْطُ عبدالله بن مسعود « شرح أشعار الهذليين » ص ٨٠٠ .

كانت ديارهم في نواحي العوصاء « معجم البلدان » العوصاء و « معجم ما استعجم » ص ٩٨٠ و « شرح أشعار الهذليين » ص ٨٠٢/٨٠٠ .

ومن بطونهم :

أ - بنو مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمَخ^(٣٢) بن فَار بن غَزُوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

قال الصغاني : بطن من هذيل « التكملة » ج ٥ ص ٤٠٠ .

وقد حالف جَدُّهُم مسعودُ بنُ غافل بن زُهْرَةَ بن كلاب قال ابن سعد في « الطبقات الكبرى » - ١٥٠/٣ - : ومن حلفاء بني زهرة بن كلاب - من قبائل العرب - عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمَخ بن فار بن غَزُوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . واسم مدركة عمرو بن الياس بن مضر ، ويكنى ابا عبدالرحمن ، حالف مسعودُ بنُ غافل عَبدَ بن الحارث بن زهرة في الجاهلية ، وأمُّ عبدالله بن مسعود أمُّ عَبدِ بَنَتْ عَبدِ وَدَّ بن سواء بن قُرَيْم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وأمها هند بنت عبدالحارث بن زهرة بن كلاب ، وكانت ديارهم في نواحي سَوَّلَة ، والتَّنْضُب ، في وادي نخلة الشامية . قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » رسم سَوَّلَة : سَوَّلَة : قَلْعَةٌ على رابية بوادي نَخْلَة ، تحتها عين جارية ، وهي لبني مسعود

بطن من هذيل انتهى . وقال جابر الله بن فهد المكي في حديثه عن التَّنْضُب :
وفيها الآن نخيلٌ ومزارع للحب ، مَرْصِيَّةٌ ، يسكنها عرب نباتة من هذيل ،
ولأجلهم تُعرف ببني نباتة ، وبني مسعود ، ولهم بها حصن قديم ، علو جبل في
سفل وادي نخلة كالعاترة في علوها في البردان ، وتقع بينهم الحروب في بعض
الأزمان ، فيؤذيتهم صاحبُ مكة بأخذ أموال جمة لقوتهم وكسر شوكتهم - «العرب»
س ١٨ ص ١٩٦ - وذكر في الهامش أن نباتة وبني مسعود موجود عقبهم بجبل
يقال له جبل بني مسعود ، ونقل الشيخ حمد الجاسر في الهامش ص ٢١٠
- ٢١١ ، عن الفاسي في « العقد الثمين » في ترجمة رميثة بن أحمد الهذلي المسعودي
المتوفي سنة ٨١٩ ، كان من أعيان الخفراء الذين يسكنون قرية سَوَّلَة من وادي
نخلة اليمانية ، وأظن أن السبب في شهرته بالخفير هو وأقاربه لكون بعض
أجدادهم يَخْفِرُونَ الحاجَّ العراقي ، إذا قدم عليهم بلادهم ، ولا مندوحة لهم عن
المرور بقرية التَّنْضُب من وادي نَخْلَة الشامية ، وأمرها لبني مسعود الذين الخفراء
منهم ، «العقد» ٤٠٣/٤ (العرب س ١٨) .

ومن بني مسعود هاؤلاء فريق اتجه إلى نواحي وادي الجريز في نجد ، ذكرهم
الحمداني وذكر ابن فضل الله العمري أنهم يجاورون بني خالد والزراق وآل عيسى
والمفارقة ، من بني لأم ، ثم اتجهوا فيما بعد إلى ديار شمال الحجاز وانتشروا في
أنحاء مختلفة ، وقد ذكرهم عبد القادر بن محمد الجَزِيرِي في « الدرر الفرائد
المنظمة » تحقيق الشيخ حمد الجاسر وقد ناقشنا ذلك في بحث لنا حول ديار
المساعيد القديمة وجيرانهم لم ينشر بعد .

٢ - بنو نباتة : بطن من هذيل ورد ذكره مقرونا بذكر بني مسعود ، ويشاركهم
في ديارهم^(٣٣) وأميل إلى أنهم إما أن يكونوا من بني مسعود أو من بني شمع بن فار
ابن غزوم بن صاهلة وذلك من خلال الملاحظات على النصوص الأنف ذكرها
لجابر الله بن فهد المكي :

١ - إن عاترة : هم بنو عَتِير بن خُزَيْمة بن صاهلة كما سبق .

٢ - ان بني مسعود : هم بنو مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن

مخزوم بن صاهلة أي إن الجميع من بني صاهلة ، ومع ذلك كان بينهم نزاع دامي ، كما ذكر جابر الله بن فهد المكي ، وهذا النزاع كان بين فرع ينتمي إلى مخزوم بن صاهلة كبني مسعود وفرع ينتمي إلى خزيمة بن صاهلة كهاترة ، وهذا يدفعنا إلى القول بأن بني نباتة الذين كانوا إلى جانب بني مسعود هم أقرب نسبا إلى بني مسعود منهم إلى كهاترة والله أعلم ، وقد يكون بنو نباتة هاؤلاء - وقد لاحظنا أنهم يتزعمون إحدى فرقتي هذيل الهامتين آنذاك - هم شيوخ بني مسعود وأمرأؤها والله أعلم .

وقد ذكر جابر الله بن فهد المكي في الهامش من ديارهم ، إضافة إلى ماسبق ذكره - البردان حيث قال : وبه - أي البردان المشهور - يعني المضيق - قريتان للحرث ونباتة من هذيل « العرب » س ١٨ ص ٢٠٨ .

٣ - بنو الحارث بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (٣٤) .

٤ - بنو حارثة بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (٣٥) .

٥ - بنو ملاص بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (٣٦) .

ذكرهم شاعر يمني فقال :

يَأْرُبُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي مِلَاصٍ عَجْرِدٌ كَالذُّبِ ذِي الْخِصَاصِ
« شرح أشعار الهذليين » ص ٦٢٣ .

ثانياً : بنو صُبْح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (٣٧) .

قال ابن عبد ربّه : بطن من هذيل .

ومن مشاهيرهم أبو بكر الهذلي الصبحي الفقيه المشهور ، وسلمى بن عبد الله بن سلمى « جمهرة أنساب العرب » ص ١٩٨ ، ذكرهم إياس بن سهم فقال :

مَتَى يَدْعُوا صُبْحًا وَقِرْدًا يُجِيبُهُمَا مَصَالِيْتُ يَزُودُونَ الْقَنَا غَيْرَ عَزَلٍ

وقال صخر الغي :

وَالله يُسْمِعُ صُبْحًا وَالصَّوَاهِلَ لَا لِأَصَارِخٍ فِي عَنَاءِ صَوْتِهِ صَهْلٌ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٥٢٩ ، ٢٧٨ .

وذكر المسعودي أن الرئاسة على هذيل في الجاهلية كانت في صُبْحِ بن كاهل
قال : وكانت الرئاسة في الجاهلية في صبح بن كاهل بن الحارث « مروج الذهب »
ج ٣ ص ٣٧٢ - ومن بطونهم :

١ - بنوربيعة بن صبح^(٣٨) بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٢ - بنو زُليْفَةَ بن صبح بن كاهل^(٣٩) بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

قال السيوطي : بطن من هذيل .

وكانت ديارهم بنواحي المنحاة ووادي يعرج ، قال البكري في « معجم
ما استعجم » رسم المنحاة : موضع في ديار بني زُليْفَةَ فخذ مِنْ هُذَيْلٍ وقال
الأصفهاني : وأعله - أي يعرج - لزليفة من هذيل « بلاد العرب » ص ١٩ ،
ومن أعلامهم عطاء بن رافع الزليفي ولي بَحْرٍ مِصْرَ لعبد العزيز بن مروان ،
وتوفي سنة خمس وثمانين (ابن الأثير في « اللباب » : ج ١ ص ٥٠٦) .

وما جاء فيهم شعراً ما قاله أبو جندب :

مَنْ مُبْلِغٌ مَلَاتِكِي حُبَشِيًّا أَخَا بَنِي زُليْفَةَ الصُّبْحِيًّا

« شرح أشعار الهذليين » ص ٣٥٠ ، وذكرهم المعطل الهذلي فقال :

لِظُمِيَاءَ دَارٍ كَالِكِتَابِ بَغْرَزَةٍ قِفَارٌ وَبِالْمُنْحَاةِ مِنْهَا مَسَاكِينُ
وَمَا ذِكْرُهُ إِحْدَى الزُّلَيْفَاتِ دَارَهَا أَلْ مَحَاضِيرُ إِلَّا أَنْ مَنْ حَانَ حَائِنُ

« معجم ما استعجم » رسم المنحاة . وفي « شرح أشعار الهذليين » - ٤٤٤ -

وقال مالك بن خالد - ويقال للمعطل :

لظمياء دارٌ قد تعفَّتْ رؤوسُها - من قصيدة طويلة

٣ - بنو كعب بن صُبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

ذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه « أبو علي الهجري » : أن الهجري روى عن
عبدالله بن دُحيم بن عبدالله بن الوليد بن نافع بن زهير بن شريك بن نعيمة بن
كعب بن صبح - وزعم أن زُليفة هو صُبح - بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد
ابن هذيل - روى عنه مرات ، ص ٥٥ - ثم ذكر ابن دُحيم مرة واحدة على أنه ابن
دحيم الزُّلفي من هذيل - ص ٥٢ - .

وأرى أن زُليفة هو ابن صبح وليس هو صبح وقول الهجري : إن زُليفة هو
صُبح زعمٌ لم يقل به أحد من علماء النسب - فيما أعلم - .

وأن نسبه ابن دحيم إلى زُليفة هو لكون زُليفة أشهر بطون بني صبح بن
كاهل ، فلعل الفروع الصغيرة من بني صُبح انضمت إلى البطن الأكبر فيها وهو
زُليفة من صبح والله أعلم .

ثالثاً : بنو كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (٤) .

قال ابن الأثير : بطن من هذيل .

ومن أعلامهم الشاعر الشهير صخر الغي بن حبيب بن سويد بن رياح بن
كُليب بن كعب بن كاهل الشاعر « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ تحقيق
الاستاذ عبدالستار فراج ص ٥٠٠ و « القاب الشعراء » ومن يعرف منهم باسم أمه
« لابن حبيب » نواذر المخطوطات ص ٣٠٠ .

ومنهم أبوبكر الهذلي سلمى بن عبدالله بن سلمى بن حبيب بن عويمر بن
مالك بن كعب بن كاهل المحدث « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ - فراج -
ص ٥٠٠ ومنهم ساعدة بن جُوَيْة الهذلي « ديوان الهذليين » ج ١ ص ١٦٧ .

وأبو كبير عامر بن ثابت بن عبد شمس بن خالد بن عمرو بن كعب بن مالك بن كعب بن كاهل الهذلي « كفى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه » لابن حبيب « نوادر المخطوطات » ص ٢٨٢ .

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه عن الهجري أن الهجري روى عن الكعبي الهذلي : ونقل طائفة من أشعار هذيل عن أبي عبدالله بن عبد الكريم ، وهو كعبي هذلي ، من ولد عتبة بن جؤبة على ما يقول الهجري - ص ٤٦ - .

٣- بنو مالك بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤١) .

ذكر السكري في « شرح أشعار الهذليين » - ٢٣٧ - : من أعلامهم مالك بن الحارث أخو بني مالك بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٤- بنو المقعد :

بطن من بني الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

ورد ذكرهم في يوم الأَحْثُ ، بين بني لَحْيَانَ وبني عاتِرة من صاهلة بن كاهل بن الحارث « شرح أشعار الهذليين » ص ٧١٠ .

٥- بنو المعترض :

بطن من بني الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

ورد ذكرهم في يوم الأَحْثُ بين بني لَحْيَانَ وبني عاتِرة من صاهلة بن كاهل بن الحارث « شرح أشعار الهذليين » ص ٧١٠ .

ويتمثل بنو كاهل بن الحارث في الفروع الهذلية التالية :

١- حي من بني صاهلة ، يجاور قبيلة بني قَهْمٍ في نواحي يلملم

٢- المطارفة : ذكر الأخ محمد بن علي بن هلال الحثيرشي أنهم أبناء مطرف بن عائذة القرمي « العرب » ص ١٨ ص ١٩٣ وقد يكونون أعقاب آل أبي طرفة من بني قُرَيْمٍ الهذليين الذين منهم الطلحيون لاسيما وأن من فروع المطارفة الطلحات .

٣- المساعيد : بني مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٤- بنو نباتة من فروع صاهلة .

٥- بنو زُلَيْفَةَ بن صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٦- بنو كعب : لاحظ عشيرة بني كعب الذين منهم السبعان ، سكان نواحي جبل كبكب .

٧- الصلمان : ينسبون إلى صخر الغي الشاعر الشهير « العرب » ص ١٦ ص ٦٦ ، وهو كما سبق أن ذكرنا من بني كعب بن كاهل .

٨- بنو عوف بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤٢) .

لا يتوفر للباحث أية معلومات عن تفرعاتهم .

ج- بنو معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤٣) .

وهم سكان نواحي جنوب نخلة الشامية ذكرهم صخرُ الغي فقال :
لَوْ أَنَّ أَصْحَابِي بَنُو مُعَاوِيَةَ أَهْلَ جَنُوبِ نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ
« شرح أشعار الهذليين » ص ٢٨٠ وينقسمون إلى عدة بطون منها :

١- بنو جُعيل بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤٤) .

قال ابن الكلبي : بطن من هذيل .

٢- بنو حُثَيِّ بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤٥) .

ذكرهم ابن الكلبي وقال : بطن من هذيل .

٣- بنو حنيف بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤٦) .

٤- بنو سهم بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل^(٤٧) .

قال ابن الكلبي : بطن من هذيل .

وقال صَخْرُ الْغَيِّ :

أَبَتْ لِي عَمْرُو أَنْ أَضَامَ وَمَازَنْ وَقِرْدٌ وَلِحْيَانٌ وَسَنَهُمْ فَسَلَمَ

وقال حذيفة بن أنس :

وَقَرَّتْ بَنُو سَهْمٍ يَجْرُونَ سَاهِفًا لِحْمَتِهِ مِنْ نَاصِعِ الدُّهْنِ صَائِبُ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٥٥٢/٢٦٦ - ساهف : اسم رجل ، صائب : قاطر .

ومن أعلامهم مُلَيْحُ بن الحكم بن صخر بن عمير بن زيد بن إياس بن سهم
« شرح أشعار الهذليين » ص ٩٩٩ .

وقد كانوا يقطنون نواحي وَدَّانَ والجُرُفَ قال البكري في « معجم ما استعجم »
رسم ودان : هو من منازل بني سهم بن معاوية من هذيل ، وقال في رسم الجرف :
إنه من منازل بني سهم بن معاوية من هذيل .

ومن بطونهم :

أ - بنو ضَبِيس (٤٨) .

ذكرهم السكري وقال : قُتِلَ عَامِرُ بْنُ عُيَيْدٍ وقام عنده ابن أخ له يرتجز :

لَأَرْفَعَنَّ ذِكْرَ بَنِي ضَبِيسٍ
بِضَرْبَةٍ أَوْ طَعْنَةٍ خُلُوسٍ
نَفَاحَةٍ كَذَنْبِ الشُّمُوسِ

قال السكري : بنو ضَبِيس من بني سهم من هذيل « شرح أشعار الهذليين »
ص : ٨٦١ .

ب - بنو مُرْمَضٍ بن حرب بن جداعة بن سهم (٤٩) بن معاوية بن تميم بن
سعد بن هذيل ومن أشهر أعلامهم الشاعر الكبير أبو صخر الهذلي عبدالله بن
سلم « شرح أشعار الهذليين » ص ٩١٥ ، « الأغاني » ج ٢٤ ص (١١٠) .

ومنه عبد الله بن عُتَيْبَةَ ذِي الْمَجْنَيْنِ « شرح أشعار الهذليين » ص ٣٨٣ ،
(ديوان الهذليين) ج ٣ ص ٦٥ .

ومن بطونهم :

١ - بنو وائلة بن مِطْحَلٍ بن مَرْمَضٍ بن حرب بن جداعة بن سهم (٥٠) بن
معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل .

وهم سكان نواحي الْقُدُومِ من نَعْمَانَ ، قال ياقوت الحموي في « معجم
البلدان » رسم القدوم : بني وائلة بن مِطْحَلٍ وهم بِالْقُدُومِ من نَعْمَانَ ، وذكر
البكري في رسم الْمَخِيمِ أَنَّ الْمُعْتَرِضَ بنَ حَنْوَاءَ الظُّفْرِيِّ وَأَقَعَ بَنِي وائلة من
هَذِيلَ ، بَيَّتَهُمْ لَيْلًا وهم بِالْقُدُومِ .

ذكرهم المعترض بن حنواء الظُّفْرِيُّ السُّلَمِيُّ وهو يرتجز فقال :

إِنْ أَقْتَلَ الْيَوْمَ فَمَاذَا أَفْعَلُ
شَفَيْتُ نَفْسِي مِنْ بَنِي مُؤْمَلٍ
وَمِنْ بَنِي وَائِلَةَ بْنِ مِطْحَلٍ
وَحَالِدِ رَبِّ الْقَلَّاحِ الْبُهْلِ
يُعَلُّ سَيْفِي فِيهِمْ وَيُنْهَلُ

« معجم ما استعجم » : أنف .

ومن أشهر أعلامهم أَبُو خُوَيْلِدٍ مَعْقِلُ بن خويلد بن وائلة بن مِطْحَلٍ بن
مَرْمَضٍ بن حرب بن جداعة بن سهم الشاعر « جهرة النسب » لابن الكلبي
- فراج - ص ٥٠٥ الذي ذكره أَبُو جُنْدَبٍ فقال :

فَأَبْلَغُ مَعْقِلًا عَنِّي رَسُولًا مُغْلَغَلَةً وَوَائِلَةَ بْنَ عَمْرِو
إِلَى أَيِّ نَسَاقٍ وَقَدْ بَلَّغْنَا ظَمَاءً مِنْ مَسِيحَةِ مَاءٍ بَسْرٍ

« شرح أشعار الهذليين » - ٣٦٩ - .

« معجم البلدان » : مسيحة .

٤ - بَنُو أَضْبَسَ (٥١) .

ذكرهم السكريُّ فقال عن عبد الله بن عُتَيْبَةَ ذِي الْمُجَنِّينَ أحد بني مُرْمُضٍ ، وبطن منهم يقال لهم بنو أَضْبَسَ « شرح أشعار الهذليين » ص ٣٨٣ .
وبقية بني سهم بن معاوية ويدعون (السَّهْمَةُ) يسكنون بشعبٍ مدفارٍ في جبل كَبْكَب « العرب » ص ٦٥ س ١٦ .

٥ - بنو عوف بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل (٥٢) .

ذكرهم ابن الكلبي وقال : بطن من هذيل .

٦ - بنو قِرْد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل (٥٣) .

وهم أحد أشهر بطون قبيلة هذيل قاطبة ذكرهم المُبَرِّدُ وقال : بطن من هذيل . وعدهم ابن حزم أحد أشهر ثلاثة بطون هذلية في زمانه - القرن الرابع والخامس - هم وبنو لَحْيَان وبنو غَزُوم قال : وهاؤلاء البطون المشهورة من بني هذيل وهم بنو لَحْيَان . . . وبنو قِرْد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل « جمهرة أنساب العرب » ص ٤٦٦ .

ذكرهم صَخْرُ الْغَيِّ فقال :

أَبَتْ لِي عَمْرُو أَنْ أَضَامَ وَمَازِنُ وَقِرْدُ وَلَحْيَانُ وَسَهْمٌ فَسَلِمُ
وقال حذيفة بن أنس :

فَرْتُ بَنُو قِرْدٍ وَبِرْدُ وَمَازِنُ وَلَحْيَانُ وَالْفَلَحُ الشُّفَاهُ الْجَائِبُ
« شرح أشعار الهذليين » ص ٢٦٦ ، ٥٥٢ .

وقال عبد مناف بن ربيع الجُرِّيُّ :

فِدَى لِبَنِي قِرْدٍ غَدَاةَ لِقْوِهِمْ بِمَهْطِ أَنْفٍ فِدْيَةٍ غَيْرَ بَاطِلِ
« أبو علي الهجري » : أنف .

ومن بطونهم :

١ - بنو حَنْيْفُ (٥٤) :

ذكرهم الهجري - ص ٥١ - وقال : الحَنْيْفِيُّ مِنْ قِرْدٍ هَذِيلٍ .

٢ - العصمة (٥٥) :

ذكرهم الهجري - ٥٧ ، ٥٩ - وذكر منهم أَبُو محمد العصمي من قِرْدٍ هَذِيلٍ
ووهب بن عبدالله العصمي القِرْدِي الهذلي .

٣ - بنو مرة (٥٦) :

ومنهم الشاعر الهذلي أَبُو خُرَاشٍ خُوَيْلِدُ بْنُ مَرَّةٍ « الأغاني » ج ٢١ ص ٢٠٥ .
قال ابن حبيب في « كنى الشعراء » : أَبُو خُرَاشٍ ، وهو خُوَيْلِدُ بْنُ مَرَّةٍ ، أَخُو
بَنِي قِرْدٍ مِنْ مَعَاوِيَةِ الْهَذَلِيِّ « نواذر المخطوطات » ص ٢٨٢ .

ومن ديارهم دَاعَةُ قَالَ الْبَكْرِي : وَبَنِعْمَانُ مِنْ دَاعَةِ بَنِي مَرَّةٍ الْهَذَلِيِّينَ عَلَى
مَاءِ دَاعَةٍ .

٤ - بنو مُؤْمَلٍ بْنُ حَطِيطٍ بْنُ زَيْدٍ بْنُ قِرْدٍ (٥٧) بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنُ سَعْدٍ بْنُ
هَذِيلٍ قَالَ السُّكَّرِيُّ : بَنُو مُؤْمَلٍ حَيٌّ مِنْ هَذِيلٍ ، وَذَكَرَ مِنْهُمْ : نُشَيْبَةُ بْنُ
مُحَرَّبٍ ، أَحَدُ بَنِي مُؤْمَلٍ بْنُ حَطِيطٍ بْنُ زَيْدٍ بْنُ قِرْدٍ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنُ سَعْدٍ بْنُ
هَذِيلٍ « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٠ ، ٩٠٤ .

قال عبد مناف بن رِئِيعٍ الْجُرَيْمِيُّ :

فَدَى لِبَنِي عَمْرٍو وَآلِ مُؤْمَلٍ غَدَاةَ الصُّبْحِ فِدْيَةً غَيْرَ بَاطِلٍ

« معجم البلدان » : أَنَفٌ وَقَالَ الْمَعْتَرِضُ الظَّفَرِيُّ يَرْتَجِزُ :

إِنْ أَقْتَلَ الْيَوْمَ فَمَاذَا أَفْعَلَ
شَفَيْتُ نَفْسِي مِنْ بَنِي مُؤْمَلٍ

« معجم ما استعجم » ص ٢٣٠ .

ويتمثل بقية بني قرد في آل جابر القُرَيْدَات « العرب » س ١٦ ص ٦٦ ،
وس ١٨ ص ١٠٩٣ - « معجم قبائل الحجاز » للبلادى ط ٢ ص ٤١٦ و ٤٣٨ .

٧- بنو مازن بن معاوية بن تميم بن سعيد بن هذيل^(٥٨) .

قال ابن الكلبي : بطن من هذيل .

ومنهم أبو شهاب المازني « شرح أشعار الهذليين » ص ٦٩٤ ذكرهم حذيفة بن
أنس فقال :

فَرَرْتُ بَنُو قِرْدٍ وَبُرْدٌ وَمَازِنٌ وَلِحْيَانٌ وَالْفُلُحُ الشَّفَاءُ الْجَانِبُ
الْجَانِبُ : جمع جَانِب . وهو القصير ، أو الضخم الغليظ .
« شرح أشعار الهذليين » ص ٥٥١ .

٢- بنو جُرَيْب بن سعد بن هذيل^(٥٩) .

ذكرهم حذيفة بن أنس فقال :

وَفَرْتُ جُرَيْبٌ بَعْدَمَا قَالَ رَجُلُهُمْ سَنَرَمِي نُحُورَ الْقَوْمِ أَوْ سَنَضَارِبُ
وقال المعترض بن حنواء الظفري السلمي :

رَغَبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي جُرَيْبٍ وَنَعَشُوا بِالصُّمَيْمِ إِلَى الصُّمَيْمِ
وقال البريق الخناعي :

عَلَى أَنِّي قَلَيْتُ بَنِي جُرَيْبٍ زَمَانَ زَمَانُهُمْ فِيمَنْ قَلَاهُ
« شرح أشعار الهذليين » ص ٥٥٢ ، ٦٧١ ، ٧٥٧ .

وهم رهط الشاعر أبو كبير الهذلي عامر بن الحُلَيْس ومنهم عبد مناف بن رُبْع
الْجُرَيْبِ « شرح أشعار الهذليين » ص ٦٧٧ ، « ديوان الهذليين » ج ٢ ص ٨٨ .

وذكرهم ابن حزم باسم خريب ، إلا أنه لم يخالف بأنهم رهط أبي كبير الهذلي وهو من بني جريب بلا خلاف وتمثل بقية بني جريب في الفروع التالية :
أ- بنو ريشة :

قال الأخ محمد بن علي بن هلال الحثيرشي : وأعتقد انهم من بني جريب بن سعد ابن هذيل قال كبار السن منهم - يعني من بني ريشة - : إنهم يجتمعون مع الحتارشة في النسب ، والحتارشة كما هو مثبت في الوثائق القديمة الموجودة لديهم ، ولدى القبائل المجاورة ، والتي تحدد ديارهم أنهم من بني جريب « العرب »
س ١٨ ص ١٠٨٨ / ١٠٨٩ .

وقد كانوا يسكنون نواحي وادي نعمان . وقال في « قلائد الجمان » : بنو ريشة بطن من هذيل ... على القرب من نخلة ، وذكرهم أبو علي الهجري - ص ٥٢ - فقال الريشي وبنو ريشة من هذيل . وقال أيضا : أنشدني جماعة من بني ريشة من هذيل ص ٦٠ - وذكرهم أمية بن أبي عائذ فقال :

مَتَى رَجُلٌ آسَادُ نَعْمَانَ دُونَهُ خُثَيْمٌ وَمَطْرُودٌ وَرِيشَةُ مُبْسَلٌ
« شرح أشعار الهذليين » ص ٥٣٨ .

وهم اليوم يقطنون في قرية باسمهم تقابل عرفة من الغرب . من وراء وادي عرفة مما يلي الخطم « معجم معالم الحجاز » للبلادي ج ٤ ص ١١١ .
ب- الحتارشة :

ذكر الأخ محمد بن علي بن هلال الحثيرشي أن الحتارشة كما هو مثبت في الوثائق الموجودة لديهم أنهم أبناء حثيرش بن جميل الجربي ، وفي بعض الوثائق : يَحْدُنَا الحثيرشي الجربي « العرب » س ١٨ ص ١٠٩٣ - وقال أيضا : والحتارشة كما هو مثبت في الوثائق القديمة الموجودة لديهم ولدى القبائل المجاورة والتي تحدد الديار أنهم من بني جريب - « العرب » س ١٨ ص ١٠٨٨ .

ذكرهم في « قلائد الجمان » ص ١٣٤ وقال : بطن من هذيل ... على القرب

من نخلة، وهم إلى سعد بن هذيل هذا من قبائل هذيل المعروفة .

٣- بنو جهام بن سعد بن هذيل^(٦٠) .

ولعل بقبيتهم تتمثل في بطن عجا من هذيل ذلك أنه يطلق على عجا اسم الجهمة « العرب » س ١٨ ص ١٠٩٣ .

٤- بنو حُرَيْث بن سعد بن هذيل^(٦١) .

ومن أعلامهم غابيل بن قَمِيْثَة « ديوان الهذليين » ج ٢ ص ١٦٤ .
ومن بطونهم :

١- بنو صِرْمَة^(٦٢) : وهاؤلاء كانوا يقيمون في نواحي البوابة ، ذكرهم السكري وقال : أغار مالك بن عوف النصري على معاوية من هذيل يوم البوابة ، فاستاقوا دِيَارَ بني لحيان من بني كاهل بن عامر ، وبني صِرْمَة من بني حُرَيْث بن سعد بن هذيل « شرح أشعار الهذليين » ص ١٥٩ .

٥- بنو حُوَيْة بن سعد بن هذيل^(٦٣) .

ذكرهم ابن حزم في « جمهرة أنساب العرب » ١٩٧ - : فقال : حُوَيْة دخلوا في بني عبس ، وقيل : إن الخطيئة الشاعر منهم .

٦- بنو خُناعَة بن سعد بن هذيل^(٦٤) .

قال ابن دُرَيْد : بطن من هذيل .

ومن أعلامهم : أبو العيال بن أبي عنترة « الأغاني » ج ٢٤ ص ١٩٧ والبريق الخناعي « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٥٧ ، وعطاء بن دينار أبو طلحة الخناعي « اللباب » لابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٨ .

ذكرهم حذيفة بن أنس :

خُناعَة ضَبْعُ دَجْجَتْ فِي مَغَارَةٍ وَأَذْرَكَهَا فِيهَا قِطَارٌ وَرَاضِبٌ
دَجْجَتْ : دَخَلَتْ .

وقال شاعر من خُناعَة :

أُخَوَّنَا الْجَوَادُ أَبُو مَالِكٍ نَمَى مِنْ خُناعَة عِرْقًا أَصِيلًا
وقال حُذِيرُ شاعرُ بني دُوَيْبَةَ :

فِدَى لِبَنِي خُناعَة يَوْمَ لَأَقْوَا دُوَيْبَةَ مَا أَرَاخَ وَمَا أَسَامَا
« شرح أشعار الهذليين » ص ٥٥١ ، ٨٦٩ .

ومن بطونهم :

أ- الرَّمْدَاءُ^(٦٥) :

وربما كانت بقية بني خناعَة تتمثل في السراونة ، أحد بطون هذيل الذين يقال
لهم الرمداء ، « العرب » س ١٦ ص ٦٤ .

٧- بنو دهام بن سعد بن هذيل^(٦٦) .

لم يتوفر للباحث أية معلومات عن فروعهم وديارهم .

٨- بنو رُهم بن سعد بن هذيل^(٦٧) :

وأشهر أعلامهم المعروفين المعطل الهذلي الشاعر المعروف « ديوان الهذليين »

ج ١ ص ٤٠ .

٩- بنو رَيْث (عوف) بن سعد بن هذيل^(٦٨) :

انفرد فيما أعلم بذكرهم ابن الكلبي ، وأمِيلُ إلى أن هذا الاسم - ريث - هو
ذاته حريث ، ولم أجد مصدرا فيه جريب وحريث معا - حيث يميل بعض الكتاب
إلى أن (حريث) تصحيف لجريب - باستثناء ابن الكلبي إذا ما اعتبرنا أن
(ريث) هي (جريب) وابن الكلبي وحده الذي ذكر ريثا إضافة إلى بني
جريب ، في حين أن علماء النسب لم يذكروا - فيما أعلم - ريثا هذا ، وإن كان
العديد منهم قد ذكروا حريثا ، ولم نجد مرجعا واحداً جمع بين جريب وحريث
والله أعلم .

١٠- بنو غنم بن سعد بن هذيل^(٧٩) ومن بطونهم :

١- بنو شَمَخ^(٧٩) :

١١- بنو مَنَعَة بن سعد بن هذيل^(٧٩) :

لعل بقيتهم تتمثل في آل مناع الذين يقطنون وادي نعيان « العرب » ص ١٦
ص ٦٦ .

ثانياً : بنو عُمير بن هذيل :

لا يتوفر للباحث أية معلومات عنهم إلا ما ذكره ياقوت الحموي في « معجم البلدان » في رسم (مجدل) حيث قال : قالت سودة بنت عمير بن هذيل :
نُغَاوِرُ فِي أَهْلِ الْأَرَاكِ وَتَارَةً نُغَاوِرُ أَصْرَامًا بِأَكْنَافِ مَجْدَلِ
ولم يُشير الذين ذكروا عميراً أو عميرة كابن الكلبي وابن قتيبة والقلقشندي إلى
أية معلومات عنهم أو عن ديارهم إلا ما أشرنا إليه آنفاً من شعر سودة بنت عمير
ابن هذيل ، وسبق أن أشرنا في حديثنا عن بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد
ابن هذيل انهم يتمثلون في قبيلة بني عُمَيْر من قبائل هذيل اليوم ، فلعل بني عمير
دخلوا في بني عمرو بن الحارث الذين أعقابهم اليوم بنو عمير ، أو لعلهم هم والله
أعلم .

ثالثاً : بطون بني لحيان بن هذيل :

لِحْيَانُ أشهر فروع هذيل قديماً وحديثاً ، ولأبْدُ قبل أن نبداً حديثنا عنهم من
نقد ما يدور حولهم من شبهة .

* شبهة حول لحيان :

قال الدكتور عبد الجواد الطيب في كتابه « هذيل في جاهليتها وإسلامها » تحت
عنوان (نظرة ناقدة) : ومن أمثلة ذلك ما نجده من خلاف حول بعض البطون
الكبرى مثل لحيان ونسبه إلى هذيل ، على أساس من قرابة الدم ، ولَحْمَة

النسب ، أو على مجرد الحلف والجوار والولاء ، فقد تضافر أغلب كتب الأخبار والأنساب وسائر المراجع القديمة على نسبتها إلى هذيل عن طريق النسب ، لا عن طريق الجوار ، فقد ذكرت هذه المصادر أن لهذيل ولدين من صلبه هما لحيان وسعد كما سبق أن مرّ بنا - يعني خلال الكتاب - ولا نكاد نجد خلافاً في هذا بين قدمائنا إلا ما أورده الهمداني من أنهم كانوا من بقايا جرهم ودخلوا في هذيل « تاج العروس » ، رسم (لحا) ، و « تاريخ العرب قبل الإسلام » ٤٢٩/٣ أو أنهم من بقايا العماليق الذين هلكوا بتهامة وحالفوا هذيلاً « معجم قبائل العرب » ١٠١٠/٣ « معادنة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب » - (؟) ص ٤٦٠ - وأغلب من كتبوا في الأنساب من المحدثين لم يخالفوا جبهة القُدَامَى في هذا النسب ، وإن كان قد خالف أولئك وهاؤلاء فيما اتجهوا إليه الدكتور جواد علي حيث اعتبر بني لحيان هاؤلاء من بقايا دولة اللحيانيين القديمة ، ذات الآثار والنقوش اللحيانية المعروفة ، وانهم بعد ضعفهم وسقوط مملكتهم ، وضغط القبائل عليهم اضطروا إلى الانتقال من مواطنهم الأصلية في منطقة العُلا - مدائن صالح - والاتجاه نحو الجنوب ، حيث اختلطوا بغيرهم ، وقد كانوا قبل الإسلام في هذيل ، ولهذا عدّهم النسابون من بطونها « تاريخ العرب قبل الإسلام » ٤٢٩/٣ ولعل الرجل متأثر في هذا برأي المستشرقين ذلك الرأي الذي لودلت الدلائل العلمية يقينا أو ظنا على ثبوته وصحته لسلمنا به دون شك أو مرأ ، ولكن أغلب الظن أنه رأيٌ أَوْحَى به الاشتراك في الاسم بين بني لحيان هاؤلاء وبين أولئك اللحيانيين الغابرين ، والحق أن بني لحيان الهذليين هم - فيما أرى من هذيل لحما ودما ، وهم غير اللحيانيين القُدَامَى ذوي التاريخ العريق المعروف ، فلم يَقُلْ أحدٌ بأن الاشتراك في الأسماء يصلح أساسا لاطلاق الأحكام في القضايا العلمية ، فكثيرا ما نجد أنَّ الأسماء تكرر نفسها بين الأشخاص والقبائل العربية ، في العرب سعود كثيرة منها سعد تميم ، وسعد هذيل ، وسعد قيس ، وسعد بكر « الجمهرة » د.س : ٢٦٢/٢ « الصحاح » سعد - ومنهم موازن كثيرة منها مازن تميم ومازن قيس ص ٣٨ ومازن اليمن ومازن ربيعة « شرح شواهد ابن عقيل » ص ١١٨ - وهناك تميم القبيلة المعروفة وتميم أخرى بطن من

هذيل ، وبنو مخزوم في قريش ، وغيرها في هذيل ، وهكذا بل إننا نجد أن كثيرا من أسماء الأعلام في العبرية القديمة شائعة الاستعمال عن العرب في الجاهلية ، ومن أمثلة ذلك : علي وعبدالله وعفراء، ثم إنه يوجد كثير من هذه الأعلام العربية في النقوش السبئية والشمودية ، ومن يتابع هذه النقوش القديمة في النمارة وفي منطقة العلا يجد كثيرا من هذا التكرار في الأسماء - إسرائيل ولفنسون : «تاريخ اللغات السامية» ص ٨٠ - ومن حقنا ألا نذهب بعيدا فكثير من أسماء الأشخاص والعائلات اليوم مكرر بين الناس إلى حد كبير ، تيمنا بأسماء أو تشبها بعظماء ، وهذا مسلك الناس دائما في كل زمان ومكان . ثم إن علم الأنساب كان يعتز به العرب اعتزازا بالغا ، ولهم نسابون قد اشتهر بعضهم بالحفظ والضبط ، فكيف يخفى عليهم أمر لحيان ؟ .

وهذا حسان بن ثابت يهجو هذيلًا لأن منها لحيان ، إثر غديرهم بأهل الرجيع . وحسان مخضرم عاش ردها طويلا من عمره في الجاهلية ، فكيف يخفى عليه أمر هاؤلاء ؟ ثم كان معه أبو بكر من وراء هجائه ، وقد كان من أعلم الناس بالأنساب كما هو معلوم ، هذا وثمة نصوص أوردها الرواة تفيد أن لحيان من هذيل ، وليسوا بجيران لها ، أو لإحدى بطونها ، بل تصرح تلك النصوص تصريحاً بأن لحيان هذا هو لحيان بن هذيل « شرح أشعار الهذليين » ص ٨١٨ ، وكذلك شعر معقل بن خويلد السهمي الهذلي صريح في تقرير نسب لحيان حيث يقول :

تَقُولُ سُلَيْمٌ سَالِمُونَا وَحَارِيُونَا هُذَيْلًا وَلَمْ تَطْمَعْ بِذَلِكَ مَطْمَعًا
فَأَمَّا بَنُو لِحْيَانَ فَأَعْلَمُ بِأَنَّهُمْ بَنُو عَمِّنَا مَنْ يَرِمُهُمْ يَرِمُنَا مَعًا
- المرجع السابق ٣٧٥/٢ - .

ومن الأدلة القاطعة في نسبة لحيان إلى هذيل نسبة تقوم على الدّم لا على الجوار تلك المفاخرة والمهاجاة التي ثارت بين عمرو بن هُمَيْل اللّحيانى وعمرو بن جنادة الخزاعي وفيها يقول عمرو بن هُمَيْل مُنْذَدًا بِصَاحِبِهِ فِي فَخْرٍ وَاعْتِزَازٍ :

فَإِنَّ بُيُوتَنَا شَمٌّ طَوَالَ وَيَيْشُكَ لَا يَظْلُ وَلَا يَبِيتُ

وَأَنَا نَحْنُ أَقْدَمُ مِنْكَ عِزًّا إِذَا بُيِّنَتْ بِمُخْلَفَةِ الْبُيُوتِ
خُزَيْمَةُ عَمَّا وَأَبِي هُذَيْلٍ وَكُلُّهُمْ إِلَى عِزٍّ وَلَيْسَتْ
وَمَنْعَكَ الْوَلَاءُ وَأَنْتَ عَبْدٌ وَأَمْنَعُ حَيْثُ كُنْتُ إِذَا لَقِيتُ
أَبِي لِي صَارِخٌ كَالسَّيْلِ فَهَذَا وَعِزُّ لَّا يَزُولُ لَنَا ثَبِيتُ

فهذا كلام واضح وصريح في أن أباه وجدّه الأكبر هو هذيل بن مدركة ، وأن عمه هو خزيمه بن مدركة ، وأنه يستمدُّ من هاؤلاء العز والمنعة والسؤدد والفخار ، ص ٤٠ - وبعد هذا النقد والتحليل والرد على شبهة أن لحيان ليست من هذيل وإثبات أن لحيان هو ابن هذيل لا بُدَّ لي من إبراز هذه الملاحظات التالية حيث أن لي تعقيباً أود الإشارة إليه :

الأولى : أن مؤلف « تاج العروس » من المحدثين ، وليس من قدماء العلماء ، ثم إن كتابه كتاب لغة لا كتاب أنساب ، ثم ماهو مدى صحة نسبة هذا القول إلى الهمداني ؟ وهل ورد حقيقة في مصدر قديم للهمداني ؟ أم انه نُسِبَ إلى الهمداني دون توضيح أين ذكر ذلك ؟ وحتى ولو قال الهمداني بهذا فإن قوله شاذ ، لا يُحْتَجُّ به ، نظرا لمخالفته لكثير من علماء الأنساب الذين عاصروه أو جاؤوا بعده ، أو سبقوه ، وقرروا أن لحيان هو لحيان بن هُذَيْل ، وطالما توافرت الأدلة على ذلك فإن الاحتجاج برواية شاذة لا يصح ، كما يقتضي ذلك منهج البحث العلمي السليم .

الثانية : أن مؤلف « تاريخ العرب قبل الإسلام » الدكتور جواد علي - من المحدثين أيضا ، وزعمه الذي زعمه لا يصح الأخذ به اعتماداً على رواية شاذة خالفت ماتواتر من روايات ونصوص عديدة ، وما يقرره الواقع والمنطق من أن لحيان ابن هُذَيْل ، ولو كان ثمة شك في نسبة بني لحيان - لطعن العرب بأنسابهم ، وأشارت إلى ذلك ، ونحن نعلم أن العرب كانت ولا زالت تبدي اهتماماً كبيراً بعلم النسب والتفاخر ، والطعن في أنساب أعدائهم ، طالما توفر ذلك المطعن ، ولسنا ندري هل يعلم الدكتور جواد علي بأن بني لحيان كان لهم أعداء كثيرون ومع ذلك لم نجد من أعدائهم من طعن في نسبهم أو غمز فيه ؟ أما

ما ذكره من أنهم من بقايا اللحيانيين القدماء في شمال الحجاز فلا دليل عليه ، ولو صح اعتماد تشابه الأسماء دليلاً على قضية علمية ما ، لاختلطت الأمور ، واحتار العقل - ولا نظن الدكتور يرى هذا ، حيث أن العلم يتبع الدليل والحجة والمنطق والعقل السليم في مناقشة أي قضية يدور حولها خلاف ما ، وأعجب العجب أن يزعم الدكتور جواد علي أن دخول بني لحيان حين جاءوا من شمال الحجاز كان قبيل الإسلام ، أي قبله بزمان قصير كما تفيد لفظة (قُبَيْل) ثم أيجوز اعتماد رأي لا دليل عليه مع وجود أدلة على رأي آخر ؟ إن كان كذلك فإن هذا يمثل قمة التعصب للآراء الشخصية على حساب المنهج العلمي الذي يفترض أن تكون كتابات الباحث مطابقة له ، أم أن عقدة الأجني جعلت الدكتور يأخذ برأي أحد المستشرقين حول هذيل ، ضارباً بعرض الحائط ما قرره علماء النسب العرب من أن لحيان هو لحيان بن هذيل ؟!

ونعود للحديث عن بني لحيان الذين وصفهم عبدالله بن إبراهيم الجمحي فقال : كان من شأن بني لحيان من هذيل أنها كانت شوكة من هذيل ، ومنعة وبغيا ، وكانوا أهل الهزوم ورخمة وأليان وعرق ، وكانت لهم مياه كساب « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٠٩ .

ولهم ذكر وبقية، ذكرهم تأبط شراً فقال :
أقولُ لِلْحِيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَائِي ، وَيَوْمِي ضَيَّقُ الْبَاعِ مُغْسِرُ

« نشوة الطرب » لابن سعيد ج ٢ ص ٥٨٨ .

وقال مالك بن خالد الحنّاعي :

فَدَيْ لِبَنِي لَحِيَانَ أُمِّي فَلَمَّئِهِمْ أَطَاعُوا رَئِيسًا مِنْهُمْ غَيْرَ عُوقِي

« ديوان الهذليين » ج ٣ ص ٢٢٥ و « شرح أشعار الهذليين » - ٤٧١ - .

وقال حسان بن ثابت :

لَحَى اللَّهُ لَحِيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ لَنَا مِنْ قَتِيلِي غَدْرًا بِوَفَاءِ

« معجم ما استعجم » ص ٦٤٢ .

وقال مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ السَّهْمِيُّ :

فَأَمَّا بَنُو لَحْيَانَ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ بَنُو عَمَّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِينَا مَعًا

« شرح أشعار الهذليين » ص ٨١٨ .

ولهم في الشعر ذكر كثير اكتفينا بما ذكرناه .

وقد عددهم ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) من أشهر ثلاثة بطون هذلية ، إضافة إلى بني مخزوم وبني قِرْد قال : وهذه البطون المشهورة من بني هذيل بن مدركة ، وهم بنو لَحْيَانَ بن هذيل بن مدركة « جمهرة أنساب العرب » ص ٤٦٦ ، ومن بطونهم :

١ - بنو دابغة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٢) .

ومن بطون دابغة :

أ - بنو وائلة بن دابغة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٣) ، ومنهم :

١ - بنو عبد العُزَّى بن وائلة بن دابغة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٤) ، ومنهم :

أ - بنو الحارث بن عبد العزى بن وائلة بن دابغة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٥) .

ومن أعلامهم الْمُحَبَّقُ ، وهو صخر بن عُتْبَةَ بن صخر بن حضير بن الحارث بن عبد العزى وابناه سلمى و سنان رُوي عنهما « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ ص ٥٠٨ ، « جمهرة أنساب العرب » ص ١٩٦ .

٢ - بنو طابخة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٦) .

ومن بطونهم :

١ - بنو ثُور بن طابخة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٧) ومنهم :

أ - بنو دُهْمَانَ بن سعد بن مالك بن ثور بن طابخة بن لَحْيَانَ بن هذيل^(٧٨) .

قال الزَّيْدِيُّ : وبنو دُهمان - كعثمان - بطنٌ من هذيل قال صَخْرُ الْغَيِّ :
وَرَهْطُ دُهمَانَ وَرَهْطُ عَادِيَةَ

قلت : وهم بنو دهمان من سعد بن مالك بن ثور بن طابخة بن لحيان بن
هذيل « تاج العروس » رسم دهم .

وقال ابن منظور : ودُهمان بطن من هذيل « لسان العرب » - رسم دهم - .
ذكرهم صخرُ الغي فقال :

لو أَنَّ أَصْحَابِي بَنُو معَاوِيَةَ أَهْلُ جَنْوِبِ نَخْلَةِ الشَّامِيَةِ
وَرَهْطُ دُهمَانَ وَرَهْطُ عَادِيَةِ وَمِنْ كَبِيرِ نَفَرٍ زَبَانِيَةِ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٢٨٠ - وفي رواية « الأغاني » ٣٤٩/٢٢ :

وَرَهْطُ دُهمَانَ وَرَهْطُ عَادِيَةِ مَا تَرْكُونِي لِلذَّئَابِ الْعَاوِيَةِ

٢ - بنو كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل^(٧٩) ، ومنهم :

أ - بنو صعصعة بن كعب بن طابخة^(٨٠) بن لحيان بن هذيل ، ومنهم :

١ - بنو عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل^(٨١) .

قال ابن دريد : بنو عادية بطن من هذيل « الاشتقاق » ص ١٧٦ .

ومن أعلامهم الشاعر الكبير المتنخل الهذلي : مالك بن عويمر بن عثمان بن
سويد بن خنيس بن خناعة بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان
ابن هذيل « الأغاني » ج ٢٤ ص ١٠١ - ، « ديوان الهذليين » ج ٢ ص ١ .
وقال صَخْرُ الْغَيِّ يذكرهم :

وَرَهْطُ دُهمَانَ وَرَهْطُ عَادِيَةِ مَا تَرْكُونِي لِلذَّئَابِ الْعَاوِيَةِ

« الأغاني » ج ٢٢ ص ٣٤٩ ، ومن بطونهم :

أ - بنو حُبْشِيِّ بن عَادِيَةِ بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن
هذيل^(٨٢) .

ب- بنو عامر بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل (٨٣) .

ومن أعلامهم زهير بن الأغر - واسم الأغر - حبيب بن عمرو بن عبدة بن عامر ابن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل الذي ذكره حسان ابن ثابت في شعره « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ - فراج - ص ٥١١/٥١٢ .
قال حسان :

أَبْلَغُ بَنِي عَمْرٍو بِأَنَّ أَحْبَابَهُمْ شَرَاهُ أَمْرُوْ قَدْ كَانَ لِلشَّرِّ لَازِمًا
شَرَاهُ زُهَيْرُ بْنُ الْأَغْرَ وَجَامِعٌ وَكَانَا قَدِيمًا يَرْكَبَانِ الْمَحَارِمَا
« معجم البلدان » رسم : الرجيع .

ج- بنو عترة بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل (٨٤) .

د- بنو كلفة بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل (٨٥) .

بنو الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل (٨٦) .
ومن أشهر أعلامهم أحد مشاهير شعراء هذيل أبو قلابة الحارث بن صعصعة ابن كعب بن طابخة بن لحيان « جمهرة أنساب العرب » ص ١٩٧ وكان أبو قلابة هذا سيد بني لحيان « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٠٩ .

٣- بنو هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل (٨٧) ، ومنهم :

أ- بنو كبير بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل (٨٨) ، ذكرهم صخر الغي فقال :

وَرَهْطُ دُهْمَانَ وَرَهْطُ عَادِيَةٍ وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرُ زَبَائِيَةٍ
وقال أيضا :

أَبْلَغُ كَبِيرًا عَنِّي مُغْلَغَلَةً تَبْرُقُ فِيهَا صَحَائِفُ جُدُدُ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٢٥٦ ، ٢٨٠ .

وقال المتنخل :

لَكُنْ كَبِيرُ بْنُ هِنْدٍ يَوْمَ ذَالِكُمُ قَتَحُ السَّمَائِلِ فِي أَيْمَانِهِمْ رَوْحُ

« ديوان الهذليين » ج ٢ ص ٣٢ .

ومنهم :

١- بنو الحارث بن كبير بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل^(٨٩) .

ومن بطونهم :

أ- بنو عمرو بن الحارث بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل^(٩٠) .

ومن أعلامهم أبو مليح بن اسامة بن عمير بن عامر بن الأقيشر وهو عمير بن عبدالله بن حبيب بن يسار بن ناجية بن عمرو بن الحارث كان شريفا « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ - فراج - ص ٥١٠ .

ب- بنو كعب بن الحارث بن كبير بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل^(٩١) .

٣- بنو كاهل بن لحيان بن هذيل^(٩٢) وهم قوم عمرو ذي الكلب بن العجلان ابن عامر بن برد بن منبه^(٩٣) .

• شبهة حول نسب بني كاهل بن لحيان بن هذيل :

وردت شبهة حول نسب بني كاهل بن لحيان في كل من « شرح أشعار الهذليين » و « ديوان الهذليين » جاء في ديوان الهذليين : عمرو بن الكلب من كاهل وكان جاراً لهذيل ج ٣ ص ١١٣ وجاء أيضاً : عمرو ذو الكلب ابن العجلان بن عامر بن برد بن منبه وهو أحد بني كاهل وكان جاراً لهذيل ج ٢ ص ٥٦٥ .

وأورد السكري عن الجمحي أن : كاهل أخو ثقيف « شرح أشعار الهذليين »

ص ٢٣٧ وقد نقد الدكتور عبد الجواد الطيب هذه الشبهة وأثبت أن كاهلا من بني هذيل إلا أنه جانب الصواب حينما اعتقد أن بني كاهل هم بنو كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل ، وسنورد نقده ونتبعه بآثبات بأن بني كاهل المعنيين هم بنو كاهل بن لحيان بن هذيل . قال : هذا وقد نسب الجمحي بني كاهل أيضا إلى هذيل نسبة الحلف والولاء لا نسبة القرابة والنسب ، وجعل كاهلا أخا ثقيف « شرح أشعار الهذليين » ٢٣٧/١ وعلى هذا نجد في بعض المراجع أن عَمْرًا ذَا الْكَلْبِ وهو من رجالات كاهل كان جاراً لهذيل « ديوان الهذليين » ١١٣/٣ - ولم تعد هذه المراجع من هُذَيْلٍ دَمًا وَنَسَبًا ، ومعنى هذا أن الشك سيحوم حول نسب جميع الفروع التي تُدَلِّي إلى هُذَيْلٍ بكاهل هذا مثل بني صُنْج ، وبني زُلَيْفَة ، وبني صاهلة ، وبني كعب وبني مخزوم - مخزوم هُذَيْل - وجميع مَنْ ينسبون إلى هاوِلاء من بطون كاهل ورجالها ، ولكن يبدو أن كاهلا من أحفاد هذيل صُلَيْبِيَّة ، وليس مُجَرَّدَ حَلِيفٍ أو جَارٍ للهذليين ، فإنَّ أغلب الكتب التي كتبت في الانساب وغيرها تقرر ذلك النسب لكاهل ومن يلونه من أبناء وأحفاد ، ثم إنَّ القِلَّةَ القليلة من المراجع التي تقول بهذه المخالفة أو هذا الجوار ذكرت ذلك مُبَهِّمًا ، ولم تنسب كاهلا من جهة النسب إلى قبيل آخر غير هذيل ، نسبةً صحيحة ، وهذا يثير الشكَّ فيما ذكر بشأن هذا النسب ، ويقوّي الاحتمال الآخر ، وهو اعتبار كاهل وبطونها من صميم هذيل ، هذا وعَمَرُو ذُو الْكَلْبِ الذي أشرنا إلى أنه أحد رجالات كاهل لا يُحْسُ في شعره أثرًا لهذا الجوار المزعوم ، فليس في هذا الشعر تابعا ولا جارا ، ولا حليفا لهذيل ، وإنما هو يتسّم الذروة في قومه من هذيل ، ويتقدم فتيانهم في غاراتهم :

فَإِذَا تَشَقُّفُونِي فَاقْتُلُونِي	وَأِنْ أَتَقَفْ فَسَوْفَ تَرَوُنَّ بَالِي
فَأَبْرَحَ غَارِيًا أَهْدِي رَعِيلاً	أَوْمٌ سَوَادٌ طَوْدٌ ذِي نَجَالٍ
يَفْتِيَانِ عَمَارِطٌ مِنْ هُذَيْلٍ	هُمْ يَنْفُونِ آنَاسَ الْحِلَالِ
فَهَذَا ثُمَّ قَدْ عَلِمُوا مَكَانِي	إِذَا اخْتَضَبْتَ مِنَ الْعَلَقِ الْعَوَالِي

« ديوان الهذليين » ١١٤/٣ و « شرح أشعار الهذليين » - ٥٦٧ وما بعدها .

وهذه أخته جنوب تقول في رثائه مالا يقال إلا في سيد جحججاج من سادات قومه :

فَأَقْسِمُ بِأَعْمُرُو لَوْ نَبَّهَكَ	إِذَنْ نَبَّهَا مِنْكَ ذَاءً غَضَالاً
إِذَنْ نَبَّهَا غَيْرَ رَغْدِيْدَةٍ	وَلَا طَائِشٍ رَعِشٍ حِينَ صَالاً
إِذَنْ نَبَّهَا لَيْثٌ عَرِيْسَةٍ	مُفِيدَا مُفِيْتَا نَفُوسَا وَمَالاً
إِذَنْ نَبَّهَا وَاسِعَا ذَرْعُهُ	جَمِيعِ السَّلَاحِ جَلِيْدَا بُسَالاً
هَزَنَرَا فَرُوسَا لِأَقْرَانِهِ	أَيُّهَا إِذَا صَاوَلَ الْقِرْنَ صَالاً
وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُرْمِلُونَ	إِذَا اغْبَرَّ أَفَقٌ وَهَبَّتْ شَمَالاً
وَحَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْمَرْضِعَاتُ	فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ لِمَزْنٍ بِلَالاً
بِأَنَّكَ كُنْتَ السَّرِيْعَ الْمَرِيْعَ	وَكُنْتَ لِمَنْ يَغْتَفِيْكَ الثَّمَالاً

« ديوان الهذليين » ١٢١/٣ - ١٢٣ .

ثم نراها تقول في هذا البكاء وذلك الرثاء :

أَبْلِغْ بَنِي كَاهِلٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً	وَالْقَوْمَ مِنْ دُونِهِمْ سَعْيَا وَمَرْكُوبَ
أَبْلِغْ هَذِيْلًا وَأَبْلِغْ مَنْ يَبْلُغُهَا	عَنِّي رَسُولًا وَبَعْضُ الْقَوْلِ تَكْذِيبُ
بِأَنَّ ذَا الْكَلْبِ عَمْرًا خَيْرُهُمْ حَسْبًا	بِبَطْنِ شِرْيَانٍ يَغْوِي حَوْلَهُ الذَّيْبُ

« ديوان الهذليين » ١٢٥/٣ .

ومن هذا كله يمكن ان نستنتج - مطمئنين - أَنَّ عَمْرًا ذَا الْكَلْبِ هذا ليس للهذليين مجرد جَارٍ أَوْ حَلِيفٍ ، بل هو هَذَلِيٌّ في أصله ودمه ، ثم هو في السَّنام والذروة من قومه هذيل ، ومن أفضلهم في الحسب والنسب والجاه ، وهكذا نستطيع بعدما قدمنا - أن نرتاح إلى ما نقوله ، من إثبات ذالكم النسب الهذلي لكاهل ، ومن ينتسب إليه من عشائر هذيل وبطونها ، أو من ينتمي إليه من رجالات هذه العشائر والبطون ، هذا إلى أَنَّ تلك القلة القليلة من المراجع التي تجنح إلى القول باستبعاد نسبة هذا البطن من هذيل إلا عن طريق الحلف والجوار - تلقي القول على عواهنه ، ولا تسلك في ذلك مسلكا علميا يُؤدِّي إلى الحقيقة ،

ويسلمها إلى الرأي الصحيح ، بل تسوق ذلك في إبهام لم تتجشم معه أن تنسب كاهلا إلى قبيلة أخرى غير هذيل نسبة صحيحة ، وهذا مما يثير الشك فيما يقولون به من حلف وجوار ، ويزكي الاحتمال الآخر الذي قررناه في اعتبار كاهل وبطونه من صميم هذيل .

وثمة رأي مرجوح هو الآخر في نظرنا - ينسب عمرو هذا إلى لحيان « شرح أشعار الهذليين » ٥٦٥ - وعلى أساس من الخلاف الذي سبقت الإشارة إليه في نسب لحيان يعتبرونه من هذه الناحية أيضا جارا لهذيل ، وقد سبق أن فندت ذلك الرأي الذي يقوم عليه هذا الاحتمال . انتهى كلام الدكتور عبدالجواد عبدالطيب .

وملاحظاتنا على هذا تتمثل فيما يلي :

١ - ما الدليل الذي اعتمده الدكتور عبدالجواد الطيب على أن كاهلا قوم عمرو ذي الكلب هم كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ؟ وهل يصح اعتبار توافق الأسماء وتشابهها دليلا على ماذهب إليه ؟

٢ - إن كاهلا المعنى هنا هو كاهل بن لحيان ، وليس ثمة من مصدر - فيما نعلم - ينسب قوم عمرو ذي الكلب إلى كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، بل إننا نجد فيما توفر لنا من مصادر أن نسبهم في بني لحيان ، ومن هنا فإن الجدل الذي ثار كان حول كاهل بن لحيان لا كاهل بن الحارث ، وقد جاء في « أنساب الأشراف » للبلاذري ص ٧٧٢ : عمرو ذو الكلب وهو من بني لحيان ، وكان شاعرا وكانت أخته جنوب شاعرة « جمهرة النسب » لابن الكلبي - فراج - هامش ص ٤٩٨ ، وراجع حول ذلك هوامش بحثنا هذا من ٩٢/٩٤ وقد ذكرتهم جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

أَبْلَغُ بَنِي كَاهِلٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةٌ وَالْقَوْمُ مِنْ دُونِهِمْ سَعْيَا وَمَرْكُوبٌ

« معجم ما استعجم » ص ٧٣٩ ، ١٢١٦ و « معجم البلدان » (سعيا)
(و شريان) « ديوان الهذليين » ج ٣ ص ١٢٥ .

ومن بطونهم :

١- بنو بُرْد بن مُنْبَه : ذكرهم حذيفة بن أنس فقال :

فَرَّتْ بَنُو قِرْدٍ وَبُرْدٌ وَمَازِنٌ وَلِحْيَانٌ وَالْفُلُحُ الشُّفَاةُ الْجَحَانِبُ

قال السكري : بنو قرد وبُرد وسائر هذه القبائل من هذيل « شرح أشعار الهذليين » ص ٥٥١ .

ومنهم :

أ- بنو كاهل بن عامر بن برد بن منبه^(٩٤) .

ومنهم العجلان بن خُلَيْدَة « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٦٣ ، قال السكري : أغار مالك بن عوف النَّصْرِيُّ على مُعَاوِيَة من هذيل يوم الْبَوَابَةِ ، فاستاقوا ديار بني لِحْيَان من بني كاهل بن عامر . . . « شرح أشعار الهذليين » ص ١٥٩ .

ومنهم عَمْرُو ذُو الْكَلْبِ ، فَاتِكُ شُجَاع ، وَأَخْتُهُ جَنْوَب ، وهما من بني كاهل ابن عامر « جبهة أنساب العرب » ص ١٩٨ .

٤- بنو معاوية بن لِحْيَان بن هذيل^(٩٥) .

ورد ذكرهم في يوم البوابة الأنف ذكره .

٥- بنو عُجْرَة من بني لِحْيَان بن هذيل^(٩٦) .

ثُمَّ بَطْنٌ مِنْ لِحْيَانٍ لَمْ نَسْتَطِعْ إِيْصَالَ نَسَبِهِ بِلِحْيَانٍ وَهُمْ بَنُو عُجْرَةَ اللَّحْيَانِيِّينَ ، ذكرهم أبو ذؤيب فقال :

أَبْعَدُ ابْنِ عُجْرَةَ لَيْثُ الرَّجَا لَ أَسَى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ ذَا نَفَرٍ ؟
وقال أيضا :

وَيْلٌ أَمْ قَتَلَ فُؤَيْقَ الْقَاعِ مِنْ عَشْرِ مِنْ آلِ عُجْرَةَ أَسَى جَدُّهُمْ هُصَيْرًا

« شرح أشعار الهذليين » ص ١١٨ ، ١٧٠ .

ولأزال لبني لِحْيَانَ وجودَ وبقية إلى اليوم . ويقطنون اللَّحْيَانِيَّةَ ، وديارهم في الوقت الحاضر أوسع ديار هذيل ، حيث تمتد من أسفل وادي يَدْعَانَ إلى عَيْنِ شَمْسٍ [في وادي مَرَّ (وادي فاطمة)] ومنهم من يسكن الجموم « العرب » س ١٨ ص ١٠٨٠ .

رابعاً : بنو هَرْمَةَ بن هذيل :

قال في « قلائد الجمان » : بطن من هذيل ، ولا تتوفر للباحث أية معلومات عن فروعهم ومواطنهم .

خامساً : البطون الهذلية الأخرى :

هي تلك البطون التي لم يتصل لنا نسبها بأحد فروع هذيل الأربعة الأنف ذكرها ، إنما نسبت رأساً إلى هذيل ، وهذه البطون هي :

١ - بنو أُسامَةَ بن لُعط :

بطن من هذيل ذكره الزُّبَيْدِي في « تاج العروس » - رسم لعط - قال : وأسامَةُ ابن لُعط - بالضم - في هذيل وفيه يقول أبو جندب الهذليُّ لبني نَفَاثَةَ :

أَيْنَ الْفَتَى أُسَامَةُ بْنُ لُعط هَلَّا تَقُومُ أَنْتَ أَوْ ذُو الْإِبْطِ

« شرح أشعار الهذليين » - ٣٦٦ - .

٢ - بنو بَعْجَةَ (٩٨) .

قال السكريُّ : بَعْجَةُ قَبِيلَةٌ من هُذَيْل ، ذكرهم أبو ذؤيب الهذليُّ الذي رثى بَعْجَةَ حينما غَدَرَتْ بهم بَهْرُ :

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تُجِفُّ دُمُوعُهَا كَثِيرًا تَشْكِيهَا قَلِيلًا هُجُوعُهَا
أَصِيتُ بِقَتْلِ آلِ عَمْرٍو وَتَوَفَّلِ وَبَعْجَةَ فَاخْتَلْتُ وَرَاثَ رُجُوعُهَا

« شرح أشعار الهذليين » ص ٢٢٥ و « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٨٦ .

جاء ذكرهم في «ديوان الهذليين» وأتهم بطن من هذيل ، قال الفيروز آبادي :
وَجُعْثَمَةُ بالضم - حيٌّ من هذيل أو من أزد السَّرَّاءِ ، والجُعْثَمِيَّاتُ الْقِسِيُّ ،
«القاموس المحيط» - جعثم - ، وقال ابن منظور : قال أبو ذؤيب :

كَأَنَّ ارْتِجَازَ الْجُعْثَمِيَّاتِ وَسَطَهُمْ نَوَائِحُ يَشْفَعُنَ الْبُكَاءُ بِالْأَزَامِلِ

يعني بالجُعْثَمِيَّاتِ قِسِيًّا منسوبة إلى هذا الحي . . . وقال أبو نصر : جُعْثَمَةُ من
هذيل «لسان العرب» - رسم جعثم - وقال الزبيدي : وَجُعْثَمَةُ بالضم اسم .
وقال أبو نصر : حَيٌّ من هذيل ، أو من أزد السراة الأزهرية ، وفي «شرح
الديوان» من أزد شَنْوَةَ أو مِن اليمن ، والجُعْثَمِيَّاتُ الْقِسِيُّ المنسوبة إلى هذا الحي
قال أبو ذؤيب - وأورد البيت - .

وقال : وَيُرْوَى الْخُثْعَمِيَّاتِ «تاج العروس» - رسم جعثم - قلت : فإن
صحت رواية الخثعميات فإننا نشير إلى الخثاعمة أحد بطون المطارقة من هذيل
اليوم ، وحين ذكرهم د. عبد الجواد الطيب في كتابه «هذيل في جاهليتها
وإسلامها» قال : . . . وجعثمة في قوله - أبو ذؤيب الهذلي : «ديوان الهذليين»
القسم الأول ص ٤٨ - فيذكر شُرَّاحُ شعر هذيل أنَّ ارتجَاز الجعثميات معناه
أصوات القِسِيِّ المنسوبة إلى حي من جعثمة من هذيل «ديوان الهذليين» القسم
الأول ص ٨٤ وهناك رواية هي الخثعميات بالخاء المعجمة ، وهي في الأصل
المخطوط الذي أخذ عنه الديوان المطبوع ، وهذه الرواية ذكرها صاحب «التاج»
(مادة جعثم) إلا أنه يظهر عدم صحتها إذ أنَّ خثعم لا تُنسَبُ إلى هذيل .
ولا تنسب إليها الْقِسِيُّ ، بخلاف جعثمة بضم الجيم والطاء المثلثة ، وهي التي
تنسب إلى هذيل ، وتنسب إليها القسي - انظر الحاشية رقم ٣ من ديوان الهذليين
(طبع دار الكتب) القسم الأول ص ٨٤ ص ٢١ ، وأضاف في موضع آخر :
ومن هذا النحو من الخلاف تقريبا ماثار حول جعثمة التي ينسب إليها بعض
القِسِيِّ فقد ورد في «ديوان الهذليين» أنها من هذيل «ديوان الهذليين» القسم الأول
ص ٨٤ ، وأورد مافي «القاموس» وأضاف : وفي «اللسان» - جعثم - مايفيد

انها من هذيل أو من ازد السراة أو من أزد شنوءة ولعل ما قد أدى إلى هذا الخلط قرب مواطن هذه القبائل التي نسبت جعشمه إليها ثم ضالّة شأن جعشم هذه وأمثالها ، وعدم شهرتها واستقامة اخبارها ص ٤٣ - ٤٤ ، ولست أدري ما الذي جعل الدكتور عبد الجواد الطيب يعتقد أن جعشمه هذيل وجعشمه الأزد هما ذات البطن نفسه ، لاسيما وأن مصدرا أصيلا كديوان الهذليين ذكر أنهم من هذيل ، أما ماورد في « اللسان » و « القاموس » فإنه يدل على وجود حيّ يدعى جعشمه من الأزد ، إلى جانب وجود حيّ من هذيل تُنسب إليه القسيّ ، أما جعشمه الأزد فقد ذكر الدكتور عبد الجواد الطيب أنهم حلفاء في بني عديّ بن الدليل بن بكر ، حيث قال : أغارت جعشمه وهم حي من أزد شنوءة حلفاء في بني عدي بن الدليل بن بكر على بني قُرَيْم بن صاهلة فطوقتهم بنو قُرَيْم ، وأوقعت بهم - ص ١١٥ - . ونخرج من هذا أن جعشمه هذيل الذين تنسب إليهم القسي وذكروهم أبو ذؤيب غير جعشمه أزد شنوءة حلفاء بني عدي بن الدليل بن بكر .

٤ - آل جميل^(١٠٠) .

بطن من هذيل : ذكر العَصَامِيّ في « سمط النجوم العوالي » ٢٥٥/٤ - : أن الشريف حسن بن عجلان شريف مكة أوقع بآل جميل قال : وفي موسم خمس عشرة وثمان مئة قتل من آل جميل جماعة أهل شرّ وفساد ، ففزع الحاج ، وركب الشريف حسن بنفسه حتى أخذ الفتنة وسلم الله المسلمين . وآل جميل اليوم اسم يشمل بطونا عديدة من هذيل كالعلوّيين ، وبني إياس ، والجوابرة والسوالمة وآل زيد ، وبني كعب والكباكة ، والشعايين « العرب » س ١٨ ص ١٠٨٢ و ١٠٨٥ .

٥ - بنو جنادة^(١٠١) :

يقال : إنهم بطن من هذيل .

٦ - بنو حرب^(١٠٢) :

بطن من هذيل ذكره ابن جني في كتابه « المتصف » شرح كتاب التصريف

- ٢٠٢/٣ - قال : أبو كبير الهذلي واسمه عامر بن الحليس الخوفي أحد بني سعد من هذيل ثم أحد بني حرب شاعر جاهلي ، ثم أسلم وصار صحابيا وفي العيني على « الخزنة » ٥٤/٣ : أبو كبير الهذلي واسمه عامر بن الحليس الخوفي ، أحد بني سعد بن هذيل . ثم أحد بني حرب « جمهرة النسب » لابن الكلبي - فراج - ص ٥٠٢ .

٧ - بنو خالد (١٠٣) :

بطن من هذيل لهم ذكر في أشعار هذيل ، قال أبو ذؤيب الهذلي :
تَظَلُّ عَلَى الثَّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسُ مَرَاضِيْعُ صُهْبُ الرِّيشِ رُغْبُ رِقَابِهَا
فَلَمَّا رَأَاهَا الْخَالِدِيُّ كَانَتْهَا حَصَا الْخَذَفِ تَهْوِي مُسْتَقِلًّا إِيَّابَهَا
قال في « ديوان الهذليين » ٧٨/١ : الخالدي رجل من بني خالد ، وقال أبو صخر الهذلي :

إِذَا نَفَسَ الْمَنْفُوسُ مِنْ آلِ خَالِدٍ بَدَا كَرَمٌ لِلنَّاطِرِينَ مُبِينٌ
تَبَيَّنَ سَيْمَا سَرُوهُ قَبْلَ سَبْعَةٍ تَمَامًا وَوَجْهٌ وَاضِحٌ وَجَبِينٌ
يَسُودُونَ مُرْدًا قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمُ وَشَيْخُهُمْ طَاجِي الْقِيَابِ ثَخِينٌ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٩٧٥ .

ومن ديارهم جبل لباب . قال الأصفهاني في « بلاد العرب » - ص ١٩ - وهو يعدد ديار هذيل : وجبل يقال له لباب . وهو لبني خالد ، وفي « معجم البلدان » - رسم لباب - ثم أودية واسعة ، وجبل يقال له لباب ، وهو لبني خالد ، وذكر العصامي أن الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات اصطدم مع بني خالد قال : فأخبره بعض عيونه التي يثبها في البلاد لتأتيه باخبار العباد ، أن جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا ، ومن طريقك ترصدوا ، في جمع من الشجعان والأبطال ، حتى جرائد الخيل وكرائم الجمال ، فتدارك مولانا المشار إليه من الحزم والعزم ما أمكن ، وقَدَّمَ مَنْ قَدَّمَ وَأَخَّرَ مَنْ أَخَّرَ وَأَكْمَنَ مَنْ أَكْمَنَ ، فوافاه الجيش الخالدي فوجد مولانا على غاية الحذر ، فتقابلا وتقاتلا فهرب الخالدي وانكسر ،

فقتل مولانا أكثرهم عَدَدًا، وغنم خيلا وإبلا وعَدَدًا، ولم ينج منهم إلا الهارب ،
ومن خيلهم ورَجِلِهِمْ وإبلهم إلا الذاهب ، وهذه النصرة أعظم في صدور الأعداء
شوكة ونكاية وأعلى منصبا وأجل ولاية . « سمط النجوم العوالي » ج ٤
ص ٣٧٠ .

ولهم أخبار في القرن العاشر الهجري أشار إليها الشيخ حمد الجاسر الذي قال :
وَنَجِدُ في أخبار الحجاز في القرن العاشر الهجري ذكراً لمناوشات جرت بين بني
خالد (في سنة ٩١٠ وفي سنة ٩٨٩) وبين أشراف مكة وأضاف يقول : إن
هاؤلاء يتزلون جنوب مكة « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » القسم الأول
ص ٢١٢ .

وبنو خالد من بطون هذيل اليوم ، وهم يسكنون شَفَا بني خالد ، ومن ديارهم
وادي سَان ، وهو (وادٍ في شَفَا هُذَيْل ، جنوب شرق مكة) « العرب » س ٢٠
ص ٥٦٤ .

٨ - آل زهير^(١٠٤) :

ذكرهم الهجري ومن بطونهم :

١ - بنو دَعْدٍ^(١٠٥) :

ذكرهم الهجري قال حمد الجاسر : ويروي الهجري عن أمة الرحمن الدعدية
الهذلية كثيرا ، بحيث تكون في المرتبة الثانية من حيث كثرة الرواية من رواة
هذيل ، بعد شيخه أبي سليمان ، وبنو دَعْدٍ على مايقول : هم رُجَازُ هذيل ، ولهذا
روى عن الدعدية كثيرا من الشعر ومنه الرجز ص ٣٥ - وقال أيضا : والدُّعْدِيَّةُ
هذه من بني دعد ثم من بني زهير من هذيل ، وبنو دعد هاؤلاء هم رجاز هذيل
كما يقول الهجري ، وقد روى عن الدعدية كثيرا من أشعارهم ص ٤٥ - ٤٦ .

وقال أيضا : إن الهجري أنشد لعليقة الدعدِي ، ودَعْدُ رجاز هذيل ص ٣٠٧
وأضاف : أنشد لعليقة الدعدي ، وبنو دعد رجاز - ص ٣٣٨ .

وآل زُهير اليوم بطن كبير من هذيل ، يشمل الندويين والسرؤانة ودعد ، ومن

دعد الحسنة والعمران والحساسنة « العرب » س ١٨ ص ١٠٨٦ - ١٠٨٨ .

٩- بنو زيد^(١٠٦) :

ذكرهم البرقي بن عياض بن خويلد الحناعلي فقال :

وَأَنَّ تَبِكَ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ فَلَانَهَا دِيَارُ بَنِي زَيْدٍ . وَهَلْ عَنْهُمْ صَبْرٌ ؟

« شرح أشعار الهذليين » ص ٧٤٩ .

ولعل بقيتهم تتمثل آل زيد الذين يقطنون وادي رهجان « العرب » س ١٨ ص ١٠٨٤ .

١٠- بنو ظاعة^(١٠٧) :

قال ابن دريد : بنو ظاعة بطن من هذيل .

١١- بنو عشرق^(١٠٨) :

ذكرهم حذيفة بن أنس فقال :

وَفَرْتُ خَثِيمَ يَخْطُمُونَ وَعِشْرُقَ كِمَارُهُمْ كَأَنَّ الْمَذَانِبَ

قال السكري : وخثيم وعشرق من هذيل ، « شرح أشعار الهذليين »

ص ٥٥٢ - والمذانب : المغارف - .

١٢- آل مُحْرَق^(١٠٩) :

وهم سكان نواحي رهاط والرَّجِيع ذكرهم أبو صخر الهذلي فقال :

مَاذَا تُرْجِي بَعْدَ آلِ مُحْرَقٍ عَفَا مِنْهُمْ وَادِي رَهَاظَ إِلَى رُحْبِ

فَسُنِّي فَأَعْنَاءُ الرَّجِيعِ بَسَاسٍ إِلَى عُتْقِ الْمِضْيَاعِ مِنْ ذَلِكَ السَّهْبِ

« شرح أشعار الهذليين » ص ٩٧٠ - ٩٧١ ، قال السكري : هذه كلها أماكن

متدانية .

١٣- بنو معاوية بن صخر^(١١٠) :

سكان وادي ضيم ذكرهم الألبع بن مرة القردي فقال :

لَعَمْرُكَ سَارَىٰ بن أَبِي زُنَيْمٍ لَأَنْتَ بِعَرَعَرِ الشَّارِ الْمُنِيمِ
عَلَيْكَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرٍ فَأَنْتَ بِعَرَعَرٍ وَهُمْ بِضَيْمٍ
وقال السيد علي :

تركت لنا معاوية بن صخر وأنت بمريع وهم بضيم
١٤- بنو الملجم^(١١١) :

وهم سكان جبل يعرج ، قال الأصفهاني وهو يعدد ديار هذيل : وجبل يقال له يعرج فيه طريق يظهر إلى الطائف ، أسفله لبني الملجم من هذيل « بلاد العرب » ص ٢١ - وقال ياقوت في « معجم البلدان » رسم يعرج : جبل بنعمان فيه طريق إلى الطائف أسفله لبني الملجم من هذيل وأعلاه لزليفة من هذيل أيضا .

١٥- بنو الملحم^(١١٢) :

لعلهم الذين قبلهم : ذكرهم الهجري ، وأنشد لأبي المسيب ثابت بن عبد الله الملحمي الهذلي ص ٣٦٦ و ٣٩٠ .

١٦- بنو نوفل^(١١٣) :

قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَصِيَّتْ بِقَتْلِ آلِ عَمْرِو وَنَوْفَلٍ وَيَعْجَظُ فَاخْتَلَّتْ وَرَأَتْ رُجُوعَهَا

« شرح أشعار الهذليين » ص ٢٢٥ ، « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٨٦ .

هذا ماتيسر للباحث جمعه من المصادر المتوفرة والله ولي التوفيق .

العقبة : راشد بن حمدان الأحيوي

[الهواشي] :

(١) « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان » للقلقشندي (٨٢١ هـ) تحقيق إبراهيم الأبياري ط ٢ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م دار الكتاب اللبناني - بيروت ص ١٣٣ « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » للقلقشندي (ت ٨٢١ هـ) ط ١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - نشر علي

الخاقاني ص ٣٨٧ ط ٢ - تحقيق إبراهيم الأبياري ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار الكتاب اللبناني ص ٤٣٥ ،
 « جهرة النسب » لابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) تحقيق محمود فردوس العظم مراجعة محمود فاخوري ، دار
 البقعة العربية - دمشق - سوريا - ج ١ ص ١٨٨ ورمزنا لهذه النسخة بـ (عظم) « جهرة النسب » لابن
 الكلبي تحقيق عبدالستار أحمد فراج مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ج ١ ص ٤٩٦ ورمزنا لهذه
 النسخة بـ (فراج) ، « نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » لابن سعيد الأندلسي (٦١٠هـ - ٦٨٥)
 تحقيق د. نصرت عبدالرحمن - كلية الآداب الجامعة الأردنية - مكتبة الأقصى - عمان ١٩٨٢م ،
 ١٤٠٢هـ ، ج ١ - ص ٤٠٩ ، « معجم ما استعجم » للبكري (ت ٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا
 - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م عالم الكتب - بيروت - ص ٦٤ ، « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٦٧٧
 - ٧٣٣هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ج ٢
 ص ٣٤٩ ، « المعارف » لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦هـ و ٨٢٨ - ٨٨٩م) تحقيق د. ثروت عكاشة ط ٢ دار
 المعارف بمصر ص ٦٤ ، « ديوان الهذليين » : نشر الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٥هـ
 ١٩٦٥م ج ٢ ص ٥٧ و ٨٨ ، « جهرة أنساب العرب » لابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) تحقيق عبدالسلام
 محمد هارون مطبعة دار المعارف ١٩٧١م ص ١٩٦ « معجم قبائل العرب القديمة والحديثة » عمر رضا
 كحالة طبعة ٣ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ج ٢ ص ٥٢٠ .

(٢) « قلائد الجمان » ص ١٣٣ ، « نهاية الأرب » ط ١ ص ٣٨٧ ، ط ٢ ص ٤٣٥ ، « معجم البلدان »
 ياقوت الحموي - دار احياء التراث العربي ط ٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م عالم الكتب - بيروت (رسم :
 مجدل) « جهرة النسب » لابن الكلبي (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٧ .

(٣) « قلائد الجمان » ص ١٣٣ ، « نهاية الأرب » ط ١ ص ٣٦٧ ط ٢ ص ٤١٠ « جهرة النسب » لابن
 الكلبي (عظم) ص ١٨٨ و ١٩٣ (فراج) ص ٤٩٧ و ٥٠٧ ، « العقد المفرد » لابن عبدربه (٢٤٦
 - ٣٢٧) ط ٢ - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة المجلد الثالث ص ٣٣٨ ،
 « نشوة الطرب » ص ٤٠٩ و ٤١١ ، « معجم ما استعجم » الفهرس العام ، « الاشتقاق » لابن دويد
 تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ط ١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م منشورات مكتبة المثنى - بغداد - العراق
 - ص ١٩٦ ، « المعارف » ص ٦٤ - ٦٥ ، « نهاية الأرب في فنون الأدب » ج ٢ ص ٣٤٩ ، « نسب
 عدنان وقحطان » للبرد (ت ٢٨٥هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكيمالية (٨) في الأنساب نشر مكتبة
 المعارف محمد سعيد حسن كمال مطابع دار الشعب القاهرة ص ٢٦ « لب اللباب في تحرير الأنساب »
 لجلال الدين السيوطي (فرغ منه ٦١٥هـ) أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد ص ٢٣٠ « ديوان
 الهذليين » ص ٧٠ ، شرح أشعار الهذليين للسكري تحقيق عبدالستار أحمد فراج - طبعة دار العروبة -
 القاهرة (فهرس الشعوب والقبائل) ، « اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) مكتبة
 القدسي ، مكتبة السعادة بجوار محافظة مصر ج ١ سنة ١٣٥٧هـ - وج ٢ سنة ١٣٥٦هـ - وج ٣ سنة
 ١٣٦٩هـ - رسم (لحيان) ، « معجم البلدان » ج ٥ ص ٥٩٩ ، « جهرة أنساب العرب » ص ١٩٦ ،
 « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني (٢٨٤ - حوالي ٣٥٧هـ) مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت تحقيق
 إبراهيم عبدالكريم محمود محمد غنيم ج ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٦ .

(٤) « قلائد الجمان » ص ١٣٣ ، « نهاية الأرب » ط ١ ص ٣٨٧ « جهرة النسب » لابن الكلبي (عظم)
 ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٧ « المعارف » ص ٦٤ - ٦٥ .

(٥) مجلة « العرب » ج ٤/٣ ص ١٦ ص ٢٣٤ .

(٦) « جهرة النسب » لابن الكلبي (عظم) ص ١٨٨ (فراج ص ٤٩٧) « نهاية الأرب » ط ١ ص ١٧٨
 ط ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ « نهاية الأرب في فنون الأدب » ج ٢ ص ٣٤٩ « المعارف » ص ٦٤ - ٦٥ « شرح
 أشعار الهذليين » ص ٢٦٩ « جهرة أنساب العرب » ص ١٩٧ .

- (٧) « جمهرة النسب » لابن الكلبي (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ « نهاية الأرب » ط ١ ص ٥٨ و ١٧٨ ط ٢ ص ٥٠ و ١٨٩ « نهاية الأرب في فنون الأدب » ج ٢ ص ٣٤٩ « المعارف » ص ٦٤ - ٦٥ « معجم البلدان » (سواع) « جمهرة أنساب العرب » ص ١٩٧ .
- (٨) « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ و ١٨٩ (فراج) ص ٤٩٨ و ٥٠٥ « نهاية الأرب » ط ١ ص ٣٣٩ و ط ٢ ص ٣٧٧ « جمهرة أنساب العرب » ص ١٩٧ « المعارف » ص ٢٤٩ « شرح أشعار المذليين » ص ١٦٣ و ٢٤٥ و ٢٦٦ و ٥٢٢ و ٥٣٩ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٦٨٣ و ٧٠٩ و ٧١٨ و ٧٩٩ و ٨٣٦ و ٨٦٩ و ١٢٢١ « ديوان المذليين » ج ٢ ص ٢٤٥ ، « بلاد العرب » للأصفهاني تحقيق حمد الجاسر طبعة دار اليمامة - الرياض - ص ٢٠ « معجم البلدان » (نعمان) « معجم ما استعجم » - اللهياء - أرييه « الأغاني » ج ٢١ ص ٢١٠ و ج ٢٤ ص ٥ .
- (٩) « جمهرة النسب » لابن الكلبي (عظم) ص ١٩٠ (فراج) ص ٥٠٥ .
- (١٠) المصدر السابق (عظم) ص ١٨٩ (فراج) ص ٥٠٥ « الأغاني » ج ٢٢ ص ٣٤٥ ، « معجم ما استعجم » ج ٤ ص ١٣٩٦ « ديوان المذليين » ج ٣ ص ١٠٨ « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » من أهل القرن الثالث والرابع الهجريين - بقلم الشيخ حمد الجاسر منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - طبعة ١ - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - ص ٣٥٥ ، « شرح أشعار المذليين » ص ١٠٩ و ٢٤٥ و ٥٣٨ و ٥٥٢ .
- (١١) « جمهرة النسب » لابن الكلبي (عظم) ص ١٨٩ (فراج) ص ٥٠٥ « الإنباس في علم الأنساب » للوزير المغربي (١٤١٨/٣٧٠ هـ) أعده للنشر حمد الجاسر طبعة النادي الأدبي في الرياض - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ص ١٩٧ « مختلف القبائل ومؤلفها » لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) أعده للنشر حمد الجاسر - طبعة النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ص ٢٩٩ ، « لب اللباب » للسيوطي ص ١٦٥ ، « اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير ج ٢ ص ٧١ ، « المشبه في الرجال اسماءهم وأنسابهم » لأبي عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قبياز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق محمد علي البجاوي - طبعة دار أحياء الكتب العربية ج ٢ ص ٤٠٨ « الإنباء على قبائل الرواة » لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥٠ هـ ص ٨١ .
- (١٢) « ديوان المذليين » ج ٣ ص ١٨ .
- (١٣) « الإنباس في علم الأنساب » ص ٢٢٠ « مختلف القبائل ومؤلفها » ص ٣٢٥ « اللباب » لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٠ .
- (١٤) « جمهرة النسب » لابن الكلبي (عظم) ص ١٨٩ (فراج) ص ٥٠٥ « شرح أشعار المذليين » ص ٢٦٦ و ٤٥٥ .
- (١٥) « شرح أشعار المذليين » ص ٥٣٨ و ٨٥٩ .
- (١٦) المصدر السابق ص ٨٥٩ .
- (١٧) « الأغاني » ج ٢١ ص ١٥٧ و ١٧٢ .
- (١٨) « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ ((فراج) ص ٤٩٨ « نهاية الأرب في فنون الأدب » ج ٢ ص ٣٤٩ ، « لب اللباب » للسيوطي ص ٣٢٣ « ديوان المذليين » ج ٣ ص ١١٥ « اللباب » لابن الأثير ج ٣ ص ٢٥ « شرح أشعار المذليين » ص ٦٧ و ١٤٨ و ٧١٠ و ٧١٨ و ٧٦٣ و ٧٧٩ .
- (١٩) « الإنباء على قبائل الرواة » ص ٧٤ « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ « العقد » ج ٣ ص ٣٣٨ « معجم ما استعجم » ص ١٩٦ و ٥١٢ و ٧٤١ ، « نهاية الأرب » ط ١ ص ٢٨٥ و ط ٢ ص ٣١٢ « نسب عدنان وقحطان » للمبرد ص ٢٦ « نهاية الأرب » ج ٢ ص ٣٤٩ « ديوان المذليين » ج ٢ ص ١٦٦ « شرح أشعار المذليين » ج ٢ ص ١٦٦ « شرح أشعار المذليين »

- ص ٢٧٨ و ٢٨٢ و ٧١٠ و ٧٦٣ و ٨٠٠ و ٨٤٣ و ٨٤٨ و ٨٦٩ و ٨٧٤ و «معجم البلدان» (حاط ،
العوصاء) «الأغاني» ج ٢١ ص ١٦٩ و «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٦ و ٥٩٢ و «معجم قبائل
العرب» ج ٢ (صاهلة) ص ٦٢٧ و «تاج العروس» ج ٨ ص ١٠٦ و ج ٧ ص ٤٠٩ .
- (٢٠) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) و «شرح أشعار الهذليين» ص ٤٠
و ٧٠٩ .
- (٢١) «شرح أشعار الهذليين» ص ٧٠٩ و ٧٩٣ ، «الأغاني» ج ٢١ ص ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و «حسن القرى
في أودية أم القرى» لجار الله بن فهد المكي مجلة «العرب» ص ١٨ ص ١٩٤ و ٢١٠ و ٣٦٦ و أبو علي
الهجري ، ص ٥٥ و ٥٩ .
- (٢٢) «شرح أشعار الهذليين» ص ٩٠٩ .
- (٢٣) «أبو علي الهجري» ص ٥٥ و ٥٩ .
- (٢٤) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) «الأغاني» ج ٢١ ص ١٧٠ و ج ٢٤
ص ١٠٢ و «معجم ما استعجم» ص ٤٢٤ و ٩٨٠ و ١١٦٦ و ١٢١٠ و «نسب عدنان وقحطان» للمبرد
ص ٢٦ و «ديوان الهذليين» ص ٢٣٧ و ج ٣ ص ٩٥ و «شرح أشعار الهذليين» ص ٢٨٢ و ٣٨٩ و ٦٣١
و ٧٢٥ و ٧٧٠ و ٨٠٠ و ٨٠٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و «معجم البلدان» (حاط . درادر - المرضتان)
«جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٦ ، «معجم قبائل العرب» ج ٣ (قديم) ص ٩٥٢ .
- (٢٥) «معجم ما استعجم» ص ٤٢٤ و «شرح أشعار الهذليين» ص ٨٤٥ «الأغاني» ج ٢١ ص ١٧٠ .
- (٢٦) «أخبار مكة» للأزرقي ج ١ ص ١١٣ (انظر «هذيل في جاهليتها وإسلامها» للدكتور عبد الجواد الطيب
ص ٧٣) .
- (٢٧) «شرح أشعار الهذليين» ص ٨٧٧ .
- (٢٨) «أخبار مكة» للأزرقي ج ١ ص ١١٣ (انظر «هذيل في جاهليتها وإسلامها» للدكتور عبد الجواد الطيب
ص ٧٣) .
- (٢٩) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ و «لب اللباب» للسيوطي
ص ٢٣٩ و «اللباب» لابن الأثير ج ٣ ص ١١٠ و «شرح أشعار الهذليين» ص ٨٠٠ و ٩٨٠ ، «معجم
ما استعجم» ص ٩٨٠ و ٩٨١ و «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٦ .
- (٣٠) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ «الأغاني» ج ٦ ص ٢٦٤
و «شرح أشعار الهذليين» ص ٧٩٦ و ٨٠٢ و ٨٥٨ .
- (٣١) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ و ١٨٩ (فراج) ص ٤٩٨ و ٥٠٠ ، «اللباب» لابن
الأثير ج ٢ ص ٢٨ و «شرح أشعار الهذليين» ج ٢ ص ٨٠٠ و ٨٠٢ و «معجم البلدان» رسم العوصاء .
- (٣٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨/١٨٩ (فراج) ص ٤٩٨/٥٠٠ و «جمهرة أنساب
العرب» ص ١٩٨ و «التكملة والذيل والصلة» ج ٥ ص ٤٠٠ و «معجم البلدان» رسم سولة و حسن
القرى «لجار الله بن فهد المكي» «العرب» : ص ١٨ ص ٢١٠/٢١١ ، «اللباب» لابن الأثير
ج ٣ ص ١٣٧ .
- (٣٣) «حسن القرى» لجار الله بن فهد المكي (العرب ص ١٨ ص ٢١٠/٢٠٨/١٩٦) .
- (٣٤) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ .
- (٣٥) المصدر السابق .
- (٣٦) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ و «شرح أشعار الهذليين»
ص ٦٢٣ ، ٧٩٦ .

- (٣٧) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ «العقد الفريد» ج ٣ ص ٣٣٨ «نهاية الأرب» ط ١ ص ٢٨٦ ط ٢ ص ٣١٢ «ديوان المهذلين» ج ٣ ص ٨٦ ، «شرح أشعار المهذلين» ص ٢٧٨ و ٣٥٠ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٨ .
- (٣٨) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٩ (فراج) ص ٥٠٢ .
- (٣٩) «جمهرة النسب» لابن الكلبي (عظم) ص ١٨٩ (فراج) ص ٥٠٢ «لب اللباب» للسيوطي ص ١٣٧ «ديوان المهذلين» ج ٢ ص ١٦٦ وج ٣ ص ٨٦/٤٣ «أبو علي الهجري» ص ٥٥/٥٢ «شرح أشعار المهذلين» ص ٨٠٢/٥٣٦/٤٤٥/٣٥٠/٣٢٦ «بلاد العرب» للأصفهاني ص ١٩ «معجم ما استعجم» ص ٢٦٧ «اللباب» لابن الأثير ج ١ ص ٧٠٦ «معجم قبائل العرب» ج ٢ ص ٤٧٧ (زليقة) .
- (٤٠) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٩/١٨٨ (فراج) ص ٥٠٠/٤٩٨ ، «العقد الفريد» ج ٣ ص ٣٣٨ «شرح أشعار المهذلين» ص ١٠٩٧ «لب اللباب» للسيوطي ص ٣٢٣ «ديوان المهذلين» ج ١ ص ١٦٧ «أبو علي الهجري» ص ٤٦ و ٥٣ «اللباب» لابن الأثير ج ٣ ص ٤٤ .
- (٤١) «شرح أشعار المهذلين» ص ٢٣٧ .
- (٤٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ «نهاية الأرب» ط ١ ص ١٧٨ وط ٢ ص ١٨٩ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٧ .
- (٤٣) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ «نهاية الأرب» ط ١ ص ١٧٨ ط ٢ ص ١٨٩ ، «شرح أشعار المهذلين» ص ٢٨٠ و ٦٩٣ و ٨٠٥ «المعارف» لابن قتيبة ص ٦٤ و ٦٥ «معجم ما استعجم» ج ١ ص ٢٨٤ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٧ .
- (٤٤) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٨ .
- (٤٥) المصدر السابق .
- (٤٦) «شرح أشعار المهذلين» ص ٦٥٥ و ٨٥٩ .
- (٤٧) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٠ (فراج) ص ٥٠٠ «معجم ما استعجم» ص ٣٧٧ «شرح أشعار المهذلين» ص ٢٦٦ / ٣٣٥ / ٣٨٩ / ٥٥٢ / ٦١١ / ٦٨٣ / ٧٠٣ / ٨٦١ / ٨٦٢ «ديوان المهذلين» ج ١ ص ٥٦ ج ٣ ص ٤٠ «اللباب» لابن الأثير ج ١ ص ٥٨١ «الأغاني» ج ٢٤ ص ١١٠ .
- (٤٨) «شرح أشعار المهذلين» .
- (٤٩) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٠ (فراج) ص ٥٠٥ «الأغاني» ج ٢٤ ص ١١٠ «شرح أشعار المهذلين» ص ٩١٥/٦٧٧/٣٨٣ «ديوان المهذلين» ج ٣ ص ٦٥ .
- (٥٠) «معجم البلدان» (قدوم) «معجم ما استعجم» ج ١ ص ٢٠٣ وج ٤ ص ١١٩٨ .
- (٥١) «شرح أشعار المهذلين» ج ١ ص ٣٨٣ .
- (٥٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٠ (فراج) ص ٥٠٥ .
- (٥٣) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٠ (فراج) ص ٥٠٥ و ٦٠٦ «الأغاني» ج ٢١ «معجم ما استعجم» ص ٢٠٢ و ٢٠٣ «شرح أشعار المهذلين» ص ٨٩ و ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٩٥٩ «معجم البلدان» (انف) «ديوان المهذلين» ج ٢ ص ١١٦ «كفى الشراء ومن غلبت كنيته على اسمه» لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) تحقيق محمد عبدالسلام هارون (نوار المخطوطات) ط ١ - ١٣٧٤هـ - ١٩٤٥م - نشر مطبعة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ص ٢٨٢ «نسب عدنان وقحطان» للمبرد ص ٢٦ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٨ «معجم قبائل العرب» (قرط) ص ٩٤٤ .

- (٥٤) «أبو علي الهجري» ص ٥١ .
- (٥٥) المصدر السابق ص ٥٧ و ٥٩ .
- (٥٦) «شرح أشعار الهذليين» ص ٣٤٥ «ديوان الهذليين» ج ٢ ص ١٧٢ «معجم ما استمعجم» ج ٢ ص ٥٣٠ «الأغاني» ج ٢١ ص ٢٧٢ .
- (٥٧) «شرح أشعار الهذليين» ص ٧ و ٩٠٤ .
- (٥٨) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٠ (فراج) ص ٥٠٥ و ٥٠٧ «شرح أشعار الهذليين» ص ٣ و ٤٥ و ١٥٩ و ٥٥١ و ٦٩٣ و ٦٩٤ «كنى الشعراء» لابن حبيب ص ٢٨٢ .
- (٥٩) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٧ «معجم ما استمعجم» ص ٢٠٢ «شرح أشعار الهذليين» ص ٥٥٢ / ٦٧٧ / ٦٨٢ / ٦٩٣ «لب اللباب» للسيوطي ص ٦٤/٦٢ «ديوان الهذليين» ج ٢ ص ٨٨ «اللباب» لابن الاثير ج ١ ص ٢١٩ «تبصير المنتبه» بتحريه المشتبه «لابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) قسم أول تحقيق علي محمد البجاوي مراجعة محمد النجار ج ١ ص ٤٢٩/٣١٥ «المشتبه في الرجال أسماهم وأنسابهم» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق محمد علي البجاوي دار احياء الكتب العربي ج ١ ص ١٤٨/٢٢٨ وج ٢ ص ٤٠٨ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٧ .
- (٦٠) «المعارف» لابن قتيبة ص ٦٤/٦٥ .
- (٦١) «العقد الفريد» ج ٣ ص ٣٣٨ «المعارف» لابن قتيبة ص ٦٤/٦٥ «شرح أشعار الهذليين» ص ١٥٩ و ٣٨٥ و ١٢٣٧ «ديوان الهذليين» ج ٢ ص ١٦٤ .
- (٦٢) «شرح أشعار الهذليين» ص ١٥٩ .
- (٦٣) «جمهرة أنساب العرب» ١٩٧ .
- (٦٤) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٧ «العقد الفريد» ج ٣ ص ٣٣٨ «الأغاني» ج ٢٤ ص ١٩٧ و ١٩٩ وج ٢٢ ص ٣٤٥ «نهاية الأرب» ط ١ ص ٢٣٠ ط ٢ ص ٢٤٧ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٧ .
- (٦٥) «الأغاني» ج ٢٢ ص ٣٤٥ «ديوان الهذليين» ج ٢ ص ٧ «شرح أشعار الهذليين» ص ٢٥٤ .
- (٦٦) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ (فراج) ص ٤٩٧ .
- (٦٧) المصدر السابق «شرح أشعار الهذليين» ص ٣٨٤ و ٦٣٢ «ديوان الهذليين» ج ٣ ص ٤٠ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٧ .
- (٦٨) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٨ (فراج) ص ٤٩٧ .
- (٦٩) المصدر السابق «المعارف» ص ٦٤/٦٥ «لب اللباب» للسيوطي ص ١٥٥ .
- (٧٠) «لب اللباب» للسيوطي ص ١٥٥ .
- (٧١) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٨٨ «المعارف» لابن قتيبة ص ٦٤/٦٥ .
- (٧٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥٠٧ «نهاية الأرب» ط ١ ص ٣٦٧ ط ٢ ص ٤١٠ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٦ .
- (٧٣) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (فراج) ص ٥٠٧ وفي نسخة (عظم) أنه وائل بن حليان .
- (٧٤) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥٠٧ .
- (٧٥) المصدر السابق .
- (٧٦) المصدر السابق «نهاية الأرب» ط ١ ص ٣٦٥ ط ٢ ص ٤١٠ «جمهرة أنساب العرب» ص ١٩٦ .
- (٧٧) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١٠ .
- (٧٨) «الاشتقاق» ص ١٧٦ «شرح أشعار الهذليين» ص ٢٨٠ «معجم قبائل العرب» (دهمان) .

- (٧٩) « جهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١١/٥١٠ .
- (٨٠) المصدر السابق .
- (٨١) المصدر السابق « الاشتقاق » ص ١٧٦ « شرح أشعار الهذليين » ص ٢٨٠ .
- (٨٢) « جهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١٠ .
- (٨٣) المصدر السابق .
- (٨٤) « جهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١١ « الإنساب في علم الأنساب » ص ٢٢٠ « مختلف القبائل ومؤلفها » لابن حبيب ص ٣٢٤ « الباب » لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٠ .
- (٨٥) « جهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١١ .
- (٨٦) المصدر السابق .
- (٨٧) المصدر السابق (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١٠ .
- (٨٨) المصدر السابق « شرح أشعار الهذليين » ص ٢٥٦ و ٢٨٠ .
- (٨٩) « جهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (عظم) ص ١٩٣ (فراج) ص ٥١٠ .
- (٩٠) المصدر السابق .
- (٩١) المصدر السابق .
- (٩٢) « الأغاني » ج ٢٢ ص ٣٥١ .
- (٩٣) المصدر السابق « شرح أشعار الهذليين » ص ٦٥٥ « أنساب العرب » ص ١٩٨ « أسماء القتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام ، وأسماء من قتل من الشعراء » لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) تحقيق محمد عبدالسلام هارون (نوادير المخطوطات) ط ١ - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م نشر مطبعة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد هامش ص ٢٤٠
- (٩٤) « الأغاني » ج ٢٢ ص ٣٥١ « شرح أشعار الهذليين » ص ١٥٩ و ٧٦٣ و ٧٦٥ و ٦٩٣ ، « معجم البلدان » رسم شريان ج ٣ ص ٣٤٠ .
- (٩٥) « جهرة النسب » لابن الكلبي ج ١ (فراج) ص ٥٠٧ « شرح أشعار الهذليين » ص ١٧٩ .
- (٩٦) « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٤٤ و ١٥٠ « شرح أشعار الهذليين » ص ١١٨ و ١٧٠ .
- (٩٧) « هذيل في جاهليتها وإسلامها » ص ٣٥ .
- (٩٨) « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٨٦ « شرح أشعار الهذليين » ص ٢٢٥ .
- (٩٩) « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٨٤ .
- (١٠٠) « سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١٠٤٩ - ١١١١هـ) ج ٤ المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة - ج ٤ ص ٣٧٠ .
- (١٠١) « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٥٤ .
- (١٠٢) « هذيل في جاهليتها وإسلامها » ص ٤٥ .
- (١٠٣) « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٧٧ و ٧٨ « شرح أشعار الهذليين » ص ٥١ و ٩٧٥ « بلاد العرب » ص ١٩ « معجم البلدان » (لباب) « جهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » للشيخ حمد الجاسر ط - دار اليمامة - بالرياض قسم أول ص ٢١٢ .
- (١٠٤) « أبو علي الهجري » ص ٤٥ .
- (١٠٥) المصدر السابق ص ٣٥ و ٤٥ و ٤٦ و ٣٠٧ و ٣٣٨ و ٤٦٥ .
- (١٠٦) « شرح أشعار الهذليين » ص ٧٤٩ .
- (١٠٧) « الاشتقاق » ص ١٧٦ .

قراءة أولى في شعر أبي البحر الخطّي

[ألقى الأستاذ محمد رضا نصر الله هذه المحاضرة ليلة الأربعاء ١٥ رمضان سنة ١٤٠٧ هـ (١٣ / ٥ / ١٩٨٧ م) . بدعوة من جمعية الثقافة والفنون في الغرفة التجارية الصناعية في الدمام] .

.. ماهي اللغة التي لا تحيل إلى شيء خارجها ؟

يجيب (تزيفتان تودوروف) :

إنها اللغة المختزلة إلى ماديتها فحسب ، إلى أصوات وأحرف ، إنها اللغة التي ترفض المعنى .

السنيا تصبح الأصوات موضوع انتباه ، انها تكشف عن قيمتها المستقلة^(١) .

وهنا أثيرُ سياق هذه المقولة النقدية لأقتحم وإياكم هذا النص الشعري الذي نقرؤه هذه الليلة .

بادي ذي بدء .. نجد أن القراءة الأولية لهذا النص تستوقفنا فيها مجموعة من الأصوات الحادة ، والملامح النافرة ، في هذا الجسد اللغوي .. منظومة في منظومات دلالية ثلاث تتحدد فيما يلي :

الأولى : منظومة البحر .

الثانية : منظومة الحرب .

(١٠٨) « شرح أشعار الهذليين » ص ٥٥٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ص ٩٧٨ و ٩٧٩ « معجم البلدان » (رجب) (مضياغ) « معجم ما استعجم » (رهاط) .

(١١٠) « معجم البلدان » (ضميم) و (عرعر) و (مربع) .

(١١١) « بلاد العرب » ص ٢١ « معجم البلدان » ج ٥ ص ٤٣٨ (يعرج) .

(١١٢) « أبوعلى المجري » ص ٣٦٦ و ٣٩٠ .

(١١٣) « ديوان الهذليين » ج ١ ص ٨٦ « شرح أشعار الهذليين » ج ١ ص ٢٢٥ .

الثالثة : منظومة الدم .

إن لكل منظومة أسرة معرفية ، ولغوية دلالية تشكل في النهاية عالم النص . . وتبرز في الحقل الواضح للوعي . . كما يقول (تودوروف) مستكملاً جملته المبتورة تلك - ذلك أن قراءتنا لمجمل الدلالات - الآتي ذكرها - في إطار النص الموضوعي . . توقفنا أمام تشكيلة متلاحمة من المدلولات ضمن بنية جدلية تتركب - مادياً وتاريخياً وانسانياً - في رؤية شعرية جمالية لها خصوصيتها التاريخية وقوانينها الفنية واطارها المعرفي .

إن العلاقة الجدلية التي يطرحها هذا الناقد الشكلي (تودوروف) بين مفردات النص البارزة وبين الحقل الواضح للوعي هي مصادرة للقراءة النقدية المغلقة ، إذ (لا توجد العلامات خارج مجتمع ما، مهما كان عدد الأفراد ضئيلاً) ^(٢) وما هذا الاهتمام (الميتافيزيقي) بتفسير النص تفسيراً إشارياً إلا تعبير عن (أزمة سببها نفاذ المواضيع الفكرية التقليدية) . . ذلك أن استعمال الإشارة في عملية التواصل لا يتم إلا ضمن عمل اجتماعي ^(٣) .

ومن هنا فإننا سوف نقوم بقلب صيغة السؤال الذي طرحه (تودوروف) ونحن نقرأ نص شاعرنا الخطي . . ليكون على هذه الصيغة . .

على أي شيء يحيل إليه هذا النص في الخارج ؟

إن هذا السؤال يشكل هاجساً (استراتيجياً) جمالياً سنجده ينفجر كلما واصلنا قراءتنا لـ (السُّبْطِيَّة) وهو بطبيعة الحال يواجه القراءة التقليدية ، ، التي تبعثر هذا النص إلى موضوع شعري يقوم على حكاية عادية ، أو حدث مألوف كان يتعرض له كل إنسان عاش في هذه المنطقة الغارقة في البحر .

لقد كان مألوفاً وطبيعياً أن يركب البحر من أجل الصيد أو الغوص . . أو الانتقال من مكان إلى آخر . . وهذا بالضبط ماحدث للشاعر حين رافقه ابنه عابراً (البحر من محله قرية (كتكان توبلي) قاصداً قرية (بوهان) وذلك حالة الجزر ولما توسط معظم الماء وثب بعض السمك واسمه السبْطِي نافرأ في وجهه ، فشق

وجنته اليمنى فنظم هذه القصيدة الغراء سنة ١٠١٩هـ^(٤) كما يقول راويته
القنوي .

غير أنني سأتجاوز عن هذا منساقاً وراء (تودوروف) في نظرتة إلى اللغة المختزلة
التي لا تحيل إلى معنى ، بل تختزله إلى أصوات وأحرف . . منطلقاً من ذلك - في
البداية - بالتركيز على مظهر النص الحسي : إن هذا سيجعلنا قريبين من
استخدامات الشاعر للغة في هذا النص . . وما إذا كانت تعبيراً انحرافياً عن
السياق الشعري السائد في عصر الشاعر الذي كان ينوء بإعاقات موضوعية وفنية
عرفها الدارسون في ظاهرة أدب عصر الانحطاط الذي ران على المنطقة العربية
منذ سقوط بغداد تحت سنانك التتار سنة ٦٥٦هـ حتى قيام معركة الاستعمار
الحديث في القرن العاشر الهجري ليبارس دوراً آخر أشد خطورة وفداحة في إعاقة
المجتمع العربي الإسلامي إعاقة حضارية مركبة .

تتكون تلك المنظومات الدلالية الثلاث من مفردات أي علامات ذات طابع
تكراري مما يشير إلى شخصية لغوية في النص .

المنظومة الأولى : وتشكل من الدلالات التالية :

السيببية ، البحر ، بحر البلاد ، الحوت ، خور الماء ، الجزر ، طافر ،
راكب البحر ، الطفح ، الرسو ، الغيص ، الدر ، السباحة ، القعر .

المنظومة الثانية : وتشكل من الدلالات التالية : العوالي ، المهنّدة ، البتر ،
حرب ، الغوث ، المثقفة السمر ، نيوب الليث ، ضربة الفهر ، نطحة الكر ،
الشجعان ، الفتكة البكر ، الحُمام ، النصر ، الثار .

المنظومة الثالثة : وتشكل من الدلالات التالية : دم ، يراق ، أطرف ،
القنا ، دامي القم ، الذبيح ، السكين ، نزيف الدماء ، النقط الحمر .

●● هذه المفردات التي تكون محاور النص ، نستطيع تركيبها في معادلات
موضوعية ، لتأخذ المنظومة الأولى عالم البحر أو الوطن ، وتأخذ المنظومة الثانية
عالم الحرب أو الاستعمار ، أما المنظومة الثالثة فتأخذ عالم الإنسان .

وسوف يبلور لنا سياق هذه القراءة كيف تتشكل هذه المنظومات الدلالية في بناء رؤية الشاعر في هذا النص . . الذي كان من أبرز انحرافاته عن سياق مرحلته الشعرية - أنه نصٌ واحد يتنامى فنياً وموضوعياً غمواً يثور على تعددية الأغراض التي عرفتھا القصيدة التقليدية .

وبعد ذلك فإن مجموع هذه الدلالات السطحية تشير إلى مدلولات عميقة غائبة !! كأنَّ الشاعر قد قرر عن إرادة فنية واعية عدم الإفصاح عنها . . لأسباب سوف تتضح لنا .

فهو - كما سبق القول - يقوم بصياغة نصه الشعري ، ساكباً في نسقه تفاصيل حدث محدد ، يتمحور حول إصابته بضربة شقت يميني وجتيه - ولا ضربة الفهر ! - وهو يخوض بحر البلاد بين (توبلي) و(بوهان) في البحرين . . حين فاجأه طافر من الحوت .

إن هذا الحدث العاديَّ يأخذ في نفسية الشاعر وأدائه الشعري بُعداً (خيالياً) يومنا ، ويظللنا بانتصار السمكة على الإنسان - على غير العادة . . في زمن ومكان جعلنا الإنسان قادراً على التحكم بأهوال البحر وموارده . . بأسماكها ولثائثه ، فكيف بالشاعر - هنا - ينهزم أمام ضربة (سببوية) ؟

إن الشاعر يوسع من دائرة التعبير الشعري عن حدث عادي ، بل إنه يُجَمِّله مالا طاقة باللغة الشعرية السائدة في عصره ، راسماً أجواء مهولة ومفرعة ، تتقاطر منها الدماء . . حتى كأنه يشير إلى حقيقة موضوعية أكبر من الشعر نفسه !

إن صروف الأيام ، أو القضاء - كما يؤكد الشاعر - تحامته ، وأطراف القنا تعرضت له ، فيأبؤس الحوادث والدهر الذي جعله يركب البحر ليضربه طافر من الحوت . وأين ؟ في وجهه !! هكذا يجرد هذا الطافر الذي ضربه في مكان يرمز إلى كرامته واعتزازه . . ويحيله إلى قوة كونية يخترها الشاعر في سمكة شهية المأكّل !! أهكذا تنظر الشعوب الصغيرة إلى مستعمرها المتحضرين ، الآتين من وراء البحار !! وتأخذ هذه القوة الكونية في تشكل شعري متعدد . فتارة تأتي على هيئة أطراف القنا - كما في البيت الخامس - وهي تحيط بالشاعر الذي يؤكد على

وحدثه في القصيدة دون أن يشير إلى أي دور مضاد قام به هو نفسه ، أو حاوله ابنه (حسان) الذي كان معه في هذه المحنة . وكأن هذا الاستلاب الذاتي والاجتماعي الذي يسقطه الشاعر على محنته هو ما كانت تعانيه المجتمعات الزراعية في المنطقة أمام فلول البادية التي كانت تكتسح الأخضر واليابس دونما رادع مدني !! حتى أصبحت الاحساء والقطيف - آنذاك - مجالا حيويا خصبا لنزاعات قَبَلِيَّة متصارعة ، وقد أشار الشاعر أو رَآوِيَتُهُ إلى ذلك في رثائه لأحد شباب القطيف - الذي كان أبوه قبل وفاته قد وقعت عليه اللصوص ونهبوه وأخذوه جراحاً وبقي في البادية مطروحاً بين الاحساء والقطيف وذلك سنة ١٠٢٢هـ^(٥) .

إن هذه الحادثة تتصل بمجموعة من الدلالات ، وردت في عدد من قصائد الشاعر ، تشير إلى واقع سياسي واقتصادي مضطرب . . يتضح أحياناً في مواقف شعرية صارخة . يقول - وقد فر من وطنه ، متشوقاً إلى ربوعه - :

وَلَعِنْدِي عَلَى الْوُقُوفِ بِهَا تَيْكَ النَّوَاجِي وتلكم الأبواب
مثل ماعند ذي المخافة لِلْأَمَنِ وما عِنْدَ ذِي الصُّدَى للشراب

وتكامل الصورة المخيفة حين يشتد نشاط الإقطاع في بلده نشاطاً يجعل الشاعر على هامش الحياة ، فهو يستهدي أحد أصدقائه شيئاً من التمر :

لَكَ اللَّهُ يَبْتَ أَقْفَرْتُ حُجْرَاتُهُ مِنْ التَّمْرِ يَسْتَهْدِيكَ شيئاً مِنَ التَّمْرِ

وفي نص آخر يقول : إنه لا يملك في بيته حبة شنبه . . وهو من أردأ أنواع الرز - وَتَذَاكَ - وما البؤس الذي يشير إليه الشاعر في البيت السادس من (السبئية) إلا نتيجة لهذا النهب الداخلي الذي جعله وهو يمدح وزير البحرين ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين يقول : إنه - أي الوزير - « يقتاد من أملكها ما شاء »^(٥) .

إن الشاعر هنا يشير إلى شبكة العلاقات التاريخية المتبادلة بين النهب الداخلي الاقطاعي والنهب الخارجي الاستعماري ، التي كان يقوم عليها النظام الاجتماعي المختل في وطنه ، فالوزير ذاك لم يكن سوى والٍ تركي ، والذي كان لا يستقر في

مكانه لفترة . . حتى يتحالف الاستعمار البرتغالي مع الشاه عباس الصفوي ليحكم البحرين أمير فارسي، ليمد نفوذه إلى القطيف، ضمن معاهدة يكتبها الطرفان لمراجعة الأتراك الذين يعاركون الصفويين في تلك الفترة . وقد يحكم قائد حملة برتغالي المنطقة كما حدث لـ (الفونسو دي انورونها) وما إن يثور عليه الأهالي حتى يعمل السيف في الرقاب .

إن ثمة قوة كونية تكبر في (خيال) الشاعر . . فإذا (صروف القضاء التي جرت على الحر) كما يقول في (السيبوية) تأتي على هيئة استعمار عالمي مدجج ودموي، حمل البرتغاليين إلى حواضر الخليج العربي ووطن الشاعر في القطيف ليعيشوا فساداً وقتلاً وحرّفاً ونهباً .

إنه شيء كبير جداً، لا يتصوره عقل بشر، ولا يخطر على هاجس شاعر، ولا تستوعبه لغة جبانة كاللغة الشعرية في زمن الشاعر . . حين انطلقت بواخر البرتغاليين سنة ١٤٠٦م من (لشبونة) مروراً بـ (ماليندي)، على الشاطئ الشرقي للقارة الأفريقية . . ومن هناك يدلم البحار العربي ابن جلفار (أحمد بن ماجد) على طريق التجارة العالمي الذي يصل الهند بأوروبا . . ثم ترتد الحملة البرتغالية إلى شواطئ الخليج العربي بقيادة البوكيرك سنة ٩١٣هـ - ١٥٠٧م .

وحينما وصل البرتغاليون إلى المنطقة بهدف اقتحام مملكة هرمز من أيدي بعض القبائل . . فإنهم يواصلون غزوهم إلى البحرين والقطيف سنة ٩٢٨هـ - ١٥٢١م بعدما سيطروا على مسقط وقلعات وخورفكان وصحار، وتتحرك المقاومة الشعبية إثر ذلك في المنطقة، ويتحدد يوم ٣٠ نوفمبر ١٥٢١م (٩٢٨هـ) يوماً للثورة على الاستعمار البرتغالي في كل مراكز الخليج العربي . . وتم إحراق المراكب البرتغالية . . وقتل الحامية البرتغالية في هرمز، وقامت بقية المراكز التجارية العربية بتنفيذ المهمة المتفق عليها^(٦) .

. وفي سنة ٩٣٣ قامت انتفاضة أخرى، ورغم حركات القمع الشديدة التي مارسها البرتغاليون ضد أبناء الخليج إلا أنهم لم يأسوا ولم يركنوا إلى الاستسلام أو الضعف ففي سنة ٩٣٦هـ - ١٥٢٩م قام أهالي البحرين بانتفاضة ضد السيطرة

البرتغالية ، ولم يكفَّ أهالي الخليج العربي . . ففي سنة ٩٩٤هـ حاول البرتغاليون شنَّ حملة بحرية على (نخيلوه) تقع على ساحل الخليج العربي ولكنهم وقبل ان يصلوا إلى الساحل ظهر أهل (نخيلوه) على حين غرة وأوقعوا بالبرتغاليين الهزيمة^(٧) .

لقد كانت حركات المقاومة الشعبية هذه - التي وصلت إلى مسامع شاعرنا دون شك - ردُّ فعل وطني ضد ما قام به الاستعمار البرتغالي العسكري من مجازر ومذابح بشعة ، لم يستطع المؤرخون ذوو النزعة العنصرية الاستعمارية من أمثال (مايلز) إلا إدانتها . . ان واحدا مثل (سوزا) يصف - بنوع من التباهي - وحشية البرتغاليين بعد المعركة فيذكر كيف أن الجنود البرتغاليين كانوا يصطادون جنث المسلمين التي طفت على سطح الماء ، لنهب حليهم الذهبية التي يرتدونها^(٨) أما (مايلز) فإن كتابه «الخليج . . بلدانه وقبائله» يشير - ضمن إشارات المؤرخين - إلى دم مراق . . دم يصبغ البحر . . ويحاصر الأفق . . وكان ذلك طبيعياً والبرتغاليون يختارون لمعاركهم وغزواتهم البحر مجالا حربيا . فصاروا . . كما يعبر النهر والي - صاحب «البرق اليماني في الفتح العثماني» : (يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً . . ويأخذون كل سفينة غصباً) .

لقد أفرغت الشاعر حمرة البحر القانية . . التي تراءت له ، والسيببية تضربه لينزف دما لم يرق من عهد نوح . . هكذا ليس بصورة (فانتازية) كما نتخيل . وإنما هو واقع حي ترسب في الذاكرة الشعبية ، لتنفجر في قريحة شاعرنا الخطي ، فقد كان البرتغاليون - كما أجمع المؤرخون - يقومون حتى في حالة استسلام الأهالي وإخلاء المواقع ، بحرق المدن ودك الحصون ، وهدم المساجد وجذع الأنوف وصلم الأذان وقطع الرقاب . (انهم يقومون بالقتال والابادة دون تمييز بين النساء والرجال والأطفال إضافة إلى النهب والسلب وحرق المنشآت والمنازل ، وحرق السفن ، والاستيلاء على الأسلحة من السيوف والسهام والأقواس)^(٩) .

إن وضعنا البيت الثاني والعشرين من قصيدة (السيببية) في هذا الإطار يجعلنا نتحسس مدى الرعب الذي كان يسيطر على أبناء المنطقة . وإلا ما الذي يجعل

مواطناً قطيفياً أو عُمانياً أو بحرانياً يعبر البحر من مكان إلى آخر - وقد تعود على ذلك في حياته - فتضربه (سببوية) ليقوم :

كهديّ نُدُّ من يَسِدْ ذابح وقد بلغت سكينُهُ ثَغْرَةَ النحر
وحين يطرحه نزع الدماء من جراء ذالك لا ينسى أن يستعيد في تلك اللحظة
علاقة الاستبداد والنهب والذبح الاستعماري بالنهب الداخلي . . ويتساءل بحس
(درامي) شعري ، ساخر ومر . . نافذ وذكي . . عن امرئ لا يلبس الوشي
كيف غدا موشى الجيب ولكن بالنقط الحمر؟!

بالدم الذي كان مراقا من دم البسطاء . . هذه هي قضية الشاعر الأساسية -
كما تملحها شواهد أخرى في عدد من قصائده - وتتخطى دلالة الدم عند
الشاعر . . إلى الثأر . . في نهاية القصيدة . . وهو ثأر مقموع تاريخياً لكنه ينفجر
في زمن الشاعر ، وكأنه يجمل القضية في البيت الأخير . . يجعلها قضية صراع
طبقي فكري ، أوجده الاستعمار الحديث منذ بداية وصوله إلى منطقة الخليج
العربي في القرن السادس عشر الميلادي . . وذلك قبل بروز الدول القومية في
المنطقة .

وإن الأتراك حين جاءوا إلى المنطقة بعد ذالك أكدوا على هذه التركيبة السياسية
الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ضمن السياق الاقطاعي منذ مجيئهم سنة ٩٥٧هـ -
١٥٥٠م حين أعلن أهالي القطيف تبعيتهم للدولة العثمانية احتفاءً بهم من
السيطرة البرتغالية .

تداخل النصوص :

(في مثل هذه الرهبة ، وفي هذا البحر المتلاطم الأمواج ولد شاعرنا أبو البحر
ولسانه معقود من السيف المسلول على رأسه ، وقلبه يزحف فرقا من أن يلمح ولو
تلميحاً إلى حالة عصره السياسية)^(١) هكذا يعبر خالد الفرج .



لكن ماذا عن الواقع السياسي الذي عاشه شاعرنا؟

الأستاذ خالد الفرج يصف هذا الواقع الممزق إقليمياً في المنطقة ويؤكد على وجود ملتزمين من أعيان العرب يؤدون الأيالة إلى الاستعمار البرتغالي . . غير أن الأتراك حين احتلوا القطيف ، انتهجوا سياسة غير عادلة مما اضطر أمراء القطيف من آل المقلد إلى الفرار إلى البحرين وكان في مقدمتهم زعيمهم عبدالله بن مقلد الذي ترك القطيف مع جماعة من اشرافها لأمر هناك !! كما يعبر الخطي أو شارح ديوانه في مقدمة رثائه له :

واقسم لولا موته في فراشه لجردت البيض المهندة البستر
وأرغشت الملد المثقفة السمر وأقبلت الخيل المسومة الشقر
عليهن من آل المقلد غلمة مساعير حُرْب لا يضيغ لهم وتر
تتقف مناد الرماح أكفهم وتمنحها طولا إذا شأها قصر
كانهم والسابغات عليهم إذا ما دجى ليل الوغا أنجم زهر

ويصف الأستاذ عبدالله الجشي الواقع الثقافي لعصر الشاعر بأنه عرف انتعاشاً في الحياة الفكرية ، وبرز عدد من العلماء المبرزين في العلوم العقلية والفلسفية الدينية وغيرها^(١١).

ويترجم مؤلف «أنوار البدرين» لعدد من أبرز هؤلاء العلماء^(١٢) بيد أن هذا لا يعني أن هذا الفكر والأدب كان ينسجم وتطلعات الإنسان العربي في الحرية والإبداع والإضافة الحضارية . فالثابت إن المنطقة العربية الإسلامية عرفت — آنذاك — ركوداً عاماً مظلماً بعد سقوط بغداد مما أنتج عنه اهتزاز حاد في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كان سبباً في انهيار مشروع الحضارة العربية الإسلامية ، الذي تناثر في وحدات إقليمية غير ثابتة . مما جعل طابع الصراع دامياً بين إقليم وآخر ، وبين قبيلة وأختها . . وبين طائفة وأخرى . . وقد غدا النشاط الاقطاعي هو الأكثر بروزاً . . خصوصاً بعدما نشرت الخلافة العثمانية سيطرتها على ماتبقى من الخلافة الإسلامية العباسية .

في هذا الجو الموبوء بالحروب والدماء والقمع والمطامع السياسية والطبقية خمدت روح الابداع في العقل العربي . . وسقط الشعر تحت سنانك البديع والصنعة ،

وتقليد الأولين تقليداً استرجاعياً تكرارياً ميثاً ، لا إضافة فيه . . حتى غدا هذا الوضع الثقافي السلوكي غمطاً معرفياً متداولاً لا يجرؤ أحد على المساس به ، أو تغييره وإعادة قراءته . . وكان الشعر بحكم طبيعته اللغوية وخصائصه الفنية وكيميائياته التاريخية عصباً على التغيير السريع . . والاقتحام المباشر . ولذلك لم يكن يتجاوز وضعيته التقليدية هذه كل من أراد تحقيق مشروعية أدبية انتهازية .

لقد كان هذا سبباً رئيسياً في حدوث القطيعة بين الشعر والواقع ، وبين الشاعر واستيعابه الوعي لحركة التاريخ المتطورة . . مما جعل بعض الدارسين يقفون – اليوم – مدهوشين أمام غياب النص الإبداعي الاختراقي للواقع والمجتمع واللغة والتراث . وقد اندفع ياسين الأيوبي في دراسته عن صفى الدين الحلي – وهو من النماذج الشعرية البارزة في عصر الانحطاط العربي – مؤكداً عدم وجود نصوص شعرية تعبر عن البنية الحضارية العربية المنهارة . وقد فات هذا الباحث أن المجتمعات الإنسانية مهما أصيبت من نكسات فإنها لا بد وأن تتصدى لها عبر صيغ عديدة بارزة ومخفية . . تأتي في لحظات تاريخية متمردة على القيود والظروف والإعاقة . . صحيح أن المجتمع العربي تعرض لهجمات خارجية شرسة وصراعات طبقية داخلية . . غدا لهذه الأسباب مشغولاً بمواجهة محاولات الفتك به والسيطرة على روحه ومقدراته . . عن مواصلة مشروعه الحضاري والفكري والابداعي . . غير أن هناك نقائص موضوعية نبعت من داخل هذه الظاهرة التاريخية المهشمة . . نراها – تبرز مرة – في العلامة ابن خلدون كمفكر اجتماعي ، وتاريخي مرموق الرأي . . وتارة تتفجر في موهبة ركن الدين الوهراي ، مؤلف «المنامات» بأدب سياسي صارخ وجارح لتركيبية السلطة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الدولة الأيوبية .

أما على الصعيد الشعري فإنني – شخصياً – لم أقع على نصوص حاولت التمرد على النمط الشعري الثابت في تلك الفترة المظلمة . . مثلما وجدته في شعر الخطي . . هذا الذي حاول اختراق التقليدي بزخارف بلاغية فارغة . اختراقاً متمرداً . . مغامراً وجريئاً . . معبراً بذلك عن درجة حرمان اقتصادي ، وفقر

فكري واغتراب سياسي شديدة الوقع . . إن هذا جعل الشاعر ينطوي على حس تاريخي ناضج . . وثقافة فنية وشعرية واستيعاب للموروث الشعري العربي الذي حاول إعادة انتاجه في شعره منذ وقت مبكر ، مما يجعلنا نعيد النظر في الاحتفاء التاريخي بالدور الاسترجاعي الذي قام به البارودي في عصر النهضة العربية بمصر .

أيها السادة : ان قراءتنا لنص الخطي يجعلنا أمام اشكالية جديدة ، فهي تضعنا أمام عصور شعرية متداخلة . . يقوم خلالها نص الخطي بإزاحة صوت شعري أموي - مثلاً - وإحلال صوت شعري عباسي . . يزاوج بين ديباجة جاهلية بفنية أبي تمام ، لكن هذا لا يقضي على طبيعته الانفجارية لأنه حين يتفاعل مع غيره من النصوص ، وينتمي إلى مجال تناسي . . فإنك لا تجد ثمة أبوة فنية مهيمنة . . ليس هناك نموذج شعري محدد يحتذي لأن مفهوم التناص يقضي عليه^(١٣) إن (الأنات) التي تتعامل مع النص ليست موضوعاً غفلاً ازاءه - كما يقول - (رولان بارت) - لان (الأنات) التي تقترب من النص هي في الواقع مجموعة متعددة من النصوص الأخرى ، ذات (شفرات) لا نهائية ، وبالأحرى فاقدة الأصول قد ضاعت مصادرها^(١٤) كذلك (فالنص عادة ينطوي على مستويات (أركيولوجية) مختلفة ، على عصور ترسبت فيه تناصياً الواحد عقب الآخر دون وعي منه أو من مؤلفه)^(١٥) عبر جدلية النفي والإثبات هذه نواجه في نص الخطي - أو قل نصوصه - أصواتاً شعرية من مراحل شعرية متفاوتة . . تبدأ من امرئ القيس حتى صفى الدين الحلي . . غير أنه يقف عند شاعرين اثنين هما أبو نواس وأبو تمام ، وقوفاً انبهارياً ، لكن ذلك لا يقضي على صوته الشعري المنفرد .

فالقصيدة الأولى من الديون يكتبها بروح نواسية :

وشابها نطفة من فيه صافية كالراح فهي من الصهباء صهباء
لحاً على شربها قومٌ وما علموا يابويهم ان ذاك اللوم اغراء
ساء الذين نهوا عن شربها ولقد شربها احسنوا صنعاً وما ساءوا
ويتذكر ذا الرمة وهو يرثي عبدالقاهر بن عبدالرؤوف الحسيني في صدر هذا

البيت ، ويزيجه في عجزه ليثبت نفسه :

(مأبال عين لا تجود بمائها) والنفس قد طويت على غمائها

ونلتقي بصوت المتنبي وعمر بن أبي ربيعة في بيتين متوالين من قصيدته التي بدايتها :

ألا هل تجاوزت الحُبَاءَ الْمُحَجَّبَا بحيث ظباء الإنس تحجبها الضُّبَا
وجزت على حي بمنعرج اللوى فاهدت مرجوع التحية زينا

ويقفز إلى أبي محجن في صدر الإسلام ليهيم بخمرته التي لم يذقها :
سأشربها حياً وإن مدت فانضحي ثراي بها يروي صداي رويت
وحين يشعر باغترابه الاجتماعي - وقد كان مُضْضاً - فإنه يطل من نافذة المتنبي :

مَا مَقَامِي فِيهِمْ - وَحَاشَاكَ - إِلَّا كَمَقَامِ الْيَقْظَانِ بَيْنَ النَّيَامِ
ويتغزل ولكن على خطى عمر بن أبي ربيعة :

يُثْنِي السُّلَمُ بِهَا عَنْ ضَمِّ قَامَتِهَا حُقَانٍ فِي الصَّدْرِ مِنْ عَاجِ نَقْيَانِ

ويمدح وزير البحرين ركن الدين محمود بن نور الدين ابن شرف الدين بأسلوب أبي تمام الذي يجمع عدداً من الصفات والتشبيهات في بيت واحد :

كسروي العدالة اسكندري الـ ففتح والعزم رستمي الكفاح

أحنف الحكم أكرم الرأي زبير الثار قس البيان كعب السباح

بل أنه ينسى وهو يعيد انتاج شعر أبي تمام أن بيتاً مثل هذا البيت هو لأبي تمام وليس له :

ألم تر أن الشمسَ زِيدَتْ حَبَّةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ويثور على عمود الشعر العربي - كما فعل أبونواس - مستغرباً من بلاهة أولئك الواقفين على الأطلال بلا جدوى :

ماذا يفيدك من سؤال الأربع؟ وهي التي إن خوطبت لم تسمع.
سَفَهُ وقوفك في رسوم رثة عجماء لا تدري الكلام ولا تعي
قَذِر الوقوف على محاني منزل عاف لمختلف الرياح الأربع
وامسك عنان الدمع عن جريانه في دمنة لا تحمدنك ومزبَع
إن تداخل النصوص في شعر الخطي له قيمة تاريخية باعتبار المرحلة التي عاش
فيها . . ففي القرن العاشر الهجري عاشت مظاهر شعرية فقدت حرارة التعبير
وبهاء الشعر . . ومن يقرأ في الموسوعات الأدبية التي سجلت أبرز نصوص تلك
الفترة . . ومن بينها «سلافة العصر» لابن معصوم - فإنه سيجد صيغا شعرية باردة
وموضوعات تافهة . . لا تتعدى التغزل بالغلان ، واستخدام القواعد النحوية في
تراكيب شعرية لاهية يعبر عنها أصدق تعبير أحد شعراء تلك الفترة إبراهيم بن
حمد الاحساني الحنفي الذي يقول :

ولا تك في الدنيا مضافاً وكن بها مضافاً إليه إن قَدِرْتَ عليه
فكلُّ مُضَافٍ للعوامل عُرضة وقد خُصَّ بالخفض المضافُ إليه
لقد استنزف شعراء عصر الانحطاط طاقة البلاغة العربية استنزافاً جعل من
فنونها البديعية والبيانية هياكل فارغة في أشعارهم . .

لهذا نجد الخطي ينطوي على حس تاريخي يخترق زمنه ليتصل بمنابع القصيدة
العربية التراثية . . محاولاً تكوين ذاكرة شعرية جديدة تسعفه إذا ما أراد الانطلاق
إلى آفاق شعرية جديدة .

من هنا فإن ظاهرة (التناص) في شعر الخطي تسجل تحولاً تاريخياً في مسيرة
الشعر العربي في تلك الفترة هي التي تجعلنا نجد تداخل أصوات أبرز شعراء
العصر الأموي والعباسي في أصوات الشاعر محارباً النمطية الشعرية
و(الميتافيزيقية) في مجتمعه وعصره :

خلقت لم أدر ما وادي العقيق ولا دار تأبَد مأواها بماوان
ولا الوقوف على الدارات من أربي ولا مخاطبة الأطلال من شاني

ولا زجرت غراباً في تعرضه ولا أهبت بحادٍ خلف اضعان
ولا وقفت لغادي المزن أسأله سقي المنازل أفوت بعد سكان
انه بهذا التمرد الجميل يحاول تأسيس مشروع تجديدي في سياق تلك المرحلة
المتخلفة ، أو قل : إنه يشكل بذلك مقدمة فنية لنمو تاريخي كان ينبغي أن
يتواصل في أصوات الشعراء ممن جاءوا بعده . . لو نال نصيباً من الاهتمام الذي
نال به البارودي هذا الذي كان في منطقة ضوء حضاري وثقافي وإعلامي أهر مما كان
عليه مجتمع الشاعر .

الخروج على المؤلف :

ان قيامنا بجدولة احصائية لقصائد الشاعر الواردة في ديوانه المطبوع طباعة
رديئة ووحيدة^(١٦) - صدقة - سنة ١٣٧٣ هـ - سوف تقربنا من الملامح العامة لشعر
الخطي .

وهي لا تتعدى - على كل حال - الموضوعات المعهودة في تاريخ القصيدة
العربية التراثية . . غير ما يمتاز به من وحدة القصيدة التي شكلت مقابلة فنية في
شعره أمام القصيدة التراثية المتعددة التي ترتاح إليها النفس من منظور نقدي تراثي
لأنها تنتقل بكل الأغراض من مقصد إلى مقصد فالنفس تمل من الكلام في أمر
واحد حسب ما يراه حازم القرطاجني^(١٧) .

أما الخطي فإنه يفعل عكس ذلك حين يكتب عدداً كبيراً من قصائده على نمط
واحد فهو يمدح الأعيان في (٢١) قصيدة ولها غرضها المحدد .

ويهجو في ثلاث ، يفخر بنفسه - وهو يفعل ذلك في بداية معظم القصائد - في
أربع قصائد ، ويناجي في اثنتين . . له خمس عشرة قصيدة في رثاء العلماء وبعض
الرموز الاجتماعية ، ويعتب على بعضهم في ثمان . يتغزل في قصائد عشر بفتيات
فارسيات وفي حبيبته سعادة التي أحبها منذ وقت مبكر من عمره . يصف الطبيعة
- حيث تسيطر - غالباً - دلالة البحر والنخل - في ست وعشرين قصيدة وله
قصيدة واحدة في الخمر . وأخرى في الحشيشة فقد أباح المتصوفة في مصر - آنذاك

— شربها !! لكن الخطي يستخدمها كموضوع شعري كان (مودة) لدى شعراء عصره .. ليزمها في نهاية القصيدة !! من وجهة نظر دينية إما قصائده في الحنين إلى الوطن فتبلغ العشرين .

ان معظم هذه القصائد كانت تجري على نسق واحد تقريباً غير أن هذا لا يعني أن الشاعر لم يكتب القصيدة على المقاييس التراثية التقليدية من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن شعره لم يتخلص من آثار نمطية عصره الشعرية ، وبعض عيوبها ، وهذا أمر لم يكن يتحقق للشاعر لو أراد . . فكيف به وقد كان يكتب شعره ذاك من داخل خارطة الثقافة التراثية ، بل في أكثر مناطقها وعصورها ظلاماً وتخلفاً . بيد أن عوامل عديدة ساقطت صوته الشعري إلى الانحراف والخروج على سياق مرحلته ، كان من بينها إحساسه الفني بنفاد طاقة الأطر الشعرية — آنذاك — وعدم مقدرتها على التعبير ضمن جمالية القصيدة التراثية النموذجية . . كما هي في أبهى حللها عند أبي نواس ، وأبي تمام والمتنبي ، والشريف الرضي ، وغيرهم من شعراء القصيدة العربية التراثية .

لذلك فإنه سمح لنفسه أن يمارس شيئاً من الثورة الفنية على مقاييس عصره الشعرية .. التي كانت ثورة تصحيحية .. لا ثورة جذرية .. وهي ثورة نسبية بل متواضعة إذا ما وضعناها في سياق الثورة الشعرية التي قادها المجددون في العصر العباسي لكنها بالنسبة لمرحلة الشاعر المنحطة كانت ثورة ذات بال لأنه على الأقل يثور على بلاغة الحس التاريخي والشعري التي كانت علامة بارزة في ذلك العصر ولذلك فهو ينهج خطي النواصي في الثورة على المقدمة الطللية وعلى الأوصاف الجاهزة الاستهلاكية بأسلوب الطائي كما أشرنا إلى ذلك من قبل وكان صنيعة هذا يدفعه إلى أن لا يتحرج من نظم ست رباعيات من الدوبيت^(١٨) على اعتبار أن هذا اللون من المواضعات الجديدة التي حاولت تحرير مواهب الشعراء المظمورة تحت ركام المحسنات وعروض الخليل .

وهناك قصيدة كتبها الشاعر في هجاء متشاعر الذي نصحه بأن يتعاطى أي عمل ماعدا الشعر . في هذه القصيدة تفاجئنا نثرية طاغية عبرت عن روح ساخرة

وحس اجتماعي متوتر ، وكان القصيدة عرض (بانورامي) للنشاط الاقتصادي الشديد التنوع - آنذاك - في هذه المنطقة .

وتأخذ هذه النثرية موقفاً خاصاً في نصوص الشاعر التي تسيطر عليه حين يحرر نفسه من أثقال المحسنات وفخخة البديع . منحرفاً بهذا الأداء المضاد عن سياق التقليد الشعري الذي ساد عصره إنه يخترق عاجية الشعراء واللغة - إلى حيث يتنفس بالشعر على أرض الواقع والمجتمع ، مما يجعل لهذه الظاهرة النثرية في شعر الخطي نغمة خاصة ، وأهمية تاريخية تحددها الثورة على تلك الشعرية المتزمتة ، وإشاعة لغة شعرية جديدة نبعت من هموم الناس وحركة الواقع مشكلة تعبيراً صادقاً عن التحام الناس العاديين .

ان ثورته تكمن هنا في اقتحامه عنجهية ذلك الشعر بأساء هؤلاء البسطاء . الذي كان يحقق للشعر ولهم معنى .

(وقال : لما بلغه - رحمه الله - من متشاعر بالقطيف بعض الكلمات ، والمستهل للغنوى .

أعمل لنفسك مثقالاً ومعياراً واسرر أباك بأن يلقاك عطاراً
فقال : أبو البحر رحمه الله)

أو فاتخذ لك سنداناً ومطرفة	وأعمل متى شئت سكيناً ومسماراً
أو فاتخذ لك منشاراً ومقشرة	وكن كنوح نبي الله نجاراً
أو صايغاً تسبك العقيان تبرز من	إبريزه للنساء صفا ودينساراً
أو فاتخذ لك مزماراً ودربة	وعش لك الخير طبالاً وزماراً
أو كن فديتك صفاراً فليس على	عليك بأس إذا أصبحت صفاراً
أو كن كصاحبك الأدنى أباحسن	أعني علياً فتى عمران زراراً
أو فاتبع ابن مهنا في بزازته	أو فامش خلف فتى (شنصوه) قصاراً
أو فاسأل ابن مهنا علم صنعته	مما يفيدك بالدينار قنطاراً
أو عالج الاتن من أدوائهن وكن	شروا (خميس بن خضاموه) بيطاراً

أو فاقتلع من رشالا الطين متخذاً
أو فاقتن الأتن واحمل فوقها حطباً
أو فاحمل الفخ واذهب حيث شئت فصد
منه الجرار وعش في الخط جزاراً
فخير شيء إذا أصبحت حمّاراً
به لصيبة أهل الخط أطياراً

وان سمعت مقالي فامض متكلاً
وان ترفعت عن هذا فحي على اسد
أو قيما في بيوت الله تسمعنا
أو منشداً مدح خير الناس حيدرة
ولا تُلِم بِرَبْع الشعر ان له
قد حلقت بنفيس الشعر طائرة
وهاكها كشواط النار لافحة
على إلهك في (الأبوام) بحارا
ستغفار ربك تَلَقَى الله غفارا
اذانك العذب أصلاً واسحارا
أو قارئاً في نواحي السوق اخباراً
ظعنا تأخرت عن مسراه إذ سارا
عنقاء مغرب فاقعد عنه إذ طارا
أثناء قلبك لا تألوه إسماعرا



الحنين إلى الوطن :

إن المحور الأساسي الذي يشغل بال الشاعر في معظم قصائد الديوان هو
الحنين إلى الوطن .

لكن ماهي حدود هذا الشاعر انه بلا حدود !

نعم .. فهو يولد في التوي .. قرية من قرى القطيف ، سنة ٩٧٠ أو ٩٨٠ هـ
كما يرجح خالد الفرج ..

ويتعلم على يد أبرز العلماء القطيفيين .. لكنه يعبر البر فارقاً إلى البحرين ..
وهناك يساجل بعض شعرائها وعلمائها الواردة أسماؤهم في فصل «شعراء البحرين
والعراق» من كتاب «سلافة العصر» لابن معصوم . ويراسل ويجاري أبرز الرموز
الفكرية والأدبية في عصره .. حتى نال تلك الشهرة التي أشار إليها في
السيبوية .. فهو الرجل المشهور .. كما أكدت الموسوعات الأدبية التي اهتمت
بذكر شعره .. حتى ورد ذكره ومنتف عن حياته وبعض شعره في «خلاصة الأثر»

للمحبي «أعيان الأمين» و «أمل الأمل» للحر العاملي و «سلافة العصر» لابن معصوم . و «نفحة الريحانة للمحبي» و «أنوار البدرين للقدحبي» . . واشتهرت مجاراته للعاملي صاحب الكشكول .

وفي هذه القصيدة يشير إلى ما يعانيه من (جهل بمقداره) أمام نفر من أعيان البحرين .

اذن . . فهو رجل مشهور . . ولكنه يشعر بالاغتراب الأدبي . حاله كحال المتنبي . . فهو (يقظان بين نيام) . . بل انه يقسم :

لأفارقن الخط غير معول فيها على من ضنَّ أو من جادا
بلد تهين الأكرمين لِلْزُؤْمِهَا شروى الزمان وتكرم الأوغادا

. . بيد أن علاقة الشاعر بوطنه لا تنحصر في هذه العلاقة المجتمعية المضطربة التي تحيى عادة في ظروف خاصة . . وإنما هو يلتزم بمواطنيته التزاماً سياسياً عملياً ، اضطره إلى الهرب مع جماعة من أشرف القطيف سنة ٩٩٩ هـ . . ومن هناك تنقل بين شيراز وأصفهان . . بعيداً عن أهله وأصدقائه . .

إنه يحن إليهم حنيناً بلاغياً يذكرنا باستخدامات أبي تمام القرآنية في تركيب الصورة الشعرية :

فارقتكم فَجَعَلْتُ زُؤُومَ الْأَسَى زَادَا وَغَسَّاقَ الدُّمُوعِ شَرَابَا
أَكْذَاكَ كُلُّ مُفَارِقٍ أَمْ لَمْ يَكُنْ قِبَلِي مُحِبٌّ فَارِقَ الْأَحْبَابَا؟
يَاهْلُ تَرُونَ لِنَازِحٍ قَدَفَتْ بِهِ أَيْدِي الْبَعَادِ لِحُدِّ حَفْصِ إِيَابَا

ويتدفق ينبوع الشعر صافياً رصياً ، إلى تلك الربوع التي تمتد من القطيف إلى عنك إلى بنكات إلى سيهات . . إلى جد حفص إلى مقاب [والأخيرتان من قرى البحرين] .

انه أول شاعر خليجي يحقق الوحدة العربية في هذه المنطقة - عملياً - وشعرياً - فبعد سنوات طويلة من التشرذ والغربة ، يعود إلى الوطن ، يسبقه طوفان كاسح من الأشواق والعواطف :

هلا سألت الرُّبْعَ من (سَيِّهَاتِ) عن تلكمُ الفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ
وَجَرَّ أَرْسَانِ الْجِيَادِ كَسَانَهَا فَوْقَ الصَّعِيدِ مَسَارِبُ الْحَيَاتِ
وَمُجْدَفَاتِ السَّفَنِ أَدْنَى بَرَهَا مِنْ بَحَرَهَا وَمَبَارِكِ الْمَهْجَمَاتِ
حَيْثُ الْمَسَامِعُ لَاتِكَادُ تَفِيْقُ مِنْ تَرْجِيْعِ نَوْقٍ وَزَجْرِ حُدَاةٍ
إِنَّ (الْقَطِيفَ) وَإِنْ كَلِفْتُ بِحَبْهَا وَعَلَتْ عَلَى اسْتِيطَانِهَا زَفَرَاتِي
إِذْ أَيْنَ جُزْتُ رَأَيْتُ فِيهَا مَدْرَجِي طِفْلاً وَأَتْرَابِي بِهَا وَلِذَايَ
لَأَجَلُ مِلْتَمَسِي وَغَايَةِ مُنْتَبِي أَنِّي أَقِيمُ بِتِلْكَ السَّاحَاتِ
فَسَقَى الْغَمَامُ إِذَا تَحْمَلُ رُكْبَهُ تِلْكَ الرِّحَابِ الْفَيْحِ وَالْعَرَصَاتِ
وَاجْتَازَتْ الْمَزْنَ الْعِشَارُ فَطَبَقَتْ بِالسَّقِي مِنْ (عَنكِ) إِلَى (بُنْكَاتِ)
وَيَقَابِلُ هَذَا الْحَيْنِ الْجَارِفِ شُعُورٌ حَادٌ بِالْإِغْتِرَابِ السِّيَاسِي ..

إنه لايرضى الإقامة بشيراز رغم استمتاعه بجوها وارتياحه إلى وجوه بناتها ..
لذلك فهو يتأوه على (أوال) ولايرضى بأن يبتاع أزقة فارس (بالفيح من عرصاتها
والدور) رغم :

ان شیراز بلدة لا يَكَادُ الـ وَصُفُّ يَأْتِي وَإِنْ تَنَاهَى عَلَيْهَا
ليس تدري سُكَّانُهَا أَسْرُورَ النَّفْسِ يَأْتِي مِنْ خَلْفِهَا أُمٌ لَدِيهَا
لكنها .. ليست عنده .. بأبهج من (أوال) جنابا ولايقايض وطن غيره ..
بوطنه .. الذي يسكنه هاجسا وتاريخا وحياة .

ماكنت بالمبتاع دارة سروها .. يقصد شیراز .. يوما بفاران .. ولامقابا ..
وهي أماكن في البحرين .
أيها السادة : وختاماً ...

إن الخيوط المتبعثرة هنا - سوف تتجمع في قلوبنا إذا ما استبطنا حالة الذعر التي
أصابنا شاعرنا حين ضربه طافر من الحوت .. لتتفجر الدماء من وجهه وكرامته
الوطنية .. مدرارا .. مدرارا .. مختلطة بالبحر وسادة الأفق .

وإذا ما علمنا الأسباب وراء فراقه من وطنه ، متشرداً غربياً ليصبح ذلك
الإنسان الغريب .. الغريب الوجه واليد واللسان .

إن هناك وجوها في (القطيف) يخافها والا (لما طال بالبحرين عنك ثوائي)
إلا أن البحرين التي شكلت امتداداً جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً وفكرياً لوطنه
شرعة مباحة لجملة من الاستعمارات الفارسية والبرتغالية والعثمانية . . التي كانت
تتصارع في المنطقة .

لذلك فالبحرين التي استوطنها . . لاعيب فيها . . غير هذا الشبح
الاستعماري الذي طارده بشكل أزلي . . فإذا حياضها شُرِّعَ لورد الكلب
والخنزير .
مما جعله يبقى بعيداً عنها وعن وطنه ليموت غريباً بشيراز سنة ١٠٢٨ هـ .

محمد رضا نصرالله

هوامش :

- ١ - تودوروف، تريفتان - «اللغة الشعرية الشكلازيون الروس» - نقد النقد - ترجمة د. سامي سويدان .
- ٢ - تودوروف، تريفتان «العلامة» مجلة الفكر العربي المعاصر مركز الانماء العربي/ ع ٢٠/٢١ ص ٦٧ .
- ٣ - بركة ، بسام «الإشارة الجذور الفلسفية والنظرية اللسانية» مجلة الفكر العربي المعاصر - مركز الانماء العربي/ ع ٢٠/٢١ ص ٤٥ .
- ٤ - ديوان أبي البحر ص ٤٧ .
- ٥ - الديوان ص ٩٥ .
- ٦ - الصيرفي، نوال حمزة يوسف : «النفوذ البرتغالي في الخليج العربي» الرياض .
- ٧ - لوريمر: «دليل الخليج» قطر ص ١٨ - ١٩ .
- ٨ - الصيرفي نوال حمزة يوسف - النفوذ البرتغالي في الخليج العربي .
- ٩ - مايلز اس. ب «الخليج بلداته قبائله» عمان ص ١٥٦ .
- ١٠ - الفرج ، خالد محمد: «الشاعر المغمور الشيخ جعفر الخطي القطيفي» المنهل ص ١٠ / ١٤ (صفر ١٣٦٩ هـ) ص ٩٠ - ٩٨ .
- ذكر ذلك بعض المؤرخين وفي مقدمتهم الأستاذ محمد سعيد المسلم في كتاب «ساحل الذهب الأسود» .
- ١١ - العبيد ، عبدالرحمن «الأدب في الخليج العربي»: دمشق ١٩٥٧ ص ١٧ .
«نشر العبيد للجنسي محاضرة تاريخية عن منطقة الخليج العربي في مقدمة كتابه . . والكلام المقوس منها .
- ١٢ - القديمي ، علي بن حسين «أنوار البدرين» النجف .
- ١٣ - حافظ صبري: «التناصر وإشارات العمل الأدبي» المقالات - ألف ٢ - المغرب ص ٧٧ - ١٠٢ .
- ١٤ -
- ١٥ -
- ١٦ - يقول محقق الديوان علي بن الحسين الهاشمي . . انه وجد مخطوطة هذا الديوان في سوق الوراقين بليران سنة ١٣٦٠ هـ .
- ١٧ - مفتاح ، محمد في سيمياء الشعر القديم المغرب ١٤٠٣ هـ .
- ١٨ - الشبيبي ، كامل مصطفى «ديوان الدوييت في الشعر العربي في عشرة قرون، بيروت ١٣٩٢ هـ .

مواضع في شعر عمرو بن معدى كرب

- ١ -

[من المعروف أن الشاعر الصحابي الجليل عمرو بن معدى كرب الزبيدي كان يعيش مع قومه في وادي تليلث ، ومأحوله من البقاع ، وقد اقترح صاحب مجلة «العرب» على الأخ فراج بن شافي الملحم إيضاح ما يعرف موقعه من المواضع الواردة في شعر عمرو فكان مما كتب به:]

١ - جَابَةُ : حَابَةُ : —

إن أساء بعض المواضع في شعر عمرو قد حُرِّفَتْ وتحتاج إلى بحث طويل لمعرفة ، فمثلاً قوله ص ٤٩ :

نَصِلُ الْخَمِيسَ إِلَى الْخَمِيسِ وَأَنْتُمْ بِ(الْقَهْرِ) بَيْنَ مُرَبِّي وَمُكَلَّبٍ
لَا تَحْسَبُنْ بَنِي كُحَيْلَةَ حَرْبَنَا سَوَقَ الْحَمِيرِ بِجَابَةِ فَالْكُوكَبِ

لقد بحثت كثيراً عن اسم (جَابَةُ) منذ سنوات فلم أجد لها ذكراً ، وفي هذه الأيام اتضح لي أن صواب الاسم (حَابَةُ) بالحاء المهملة وهي قَلْتَةُ ماء مشهورة في أطراف جَبَلِ الْكُوكَبِ في شِعْبٍ يُسَمَّى بِاسْمِهَا ، أما (القهر) فقد سبقت الكتابة عنه مفصلة^(١) والكوكب وحابة بقرية . وسُهِلَّتْ الهمزة في (حَابَةُ) كما هي لهجة العامة في الكلمات المهموزة .

٢ - الْحُبَيَّا : —

وفي القصيدة ص ١١٠ :

بِمُعْتَرِكٍ شَطِّ (الْحُبَيَّا) تَرَى بِهِ مِنْ الْقَوْمِ مَخْدُوسًا وَآخَرَ حَادِسًا

ذكر جامع الديوان الأستاذ مطاع الطرايشي أن الحُبَيَّا منهل قريب من نجران وأحال على «صحيح الأخبار» ٢ / ٤٣ ، والواقع أن الْحُبَيَّا ليست منهلًا بقرب نجران وإنما هي منهل مشهور في فَرْعَةِ وَادٍ من روافد تليلث التي تأتيه من الغرب ، ويسمى الوادي حُبَيَّةً أيضاً ، وبجوارها من الجنوب الشرقي جبل أسود فارد يسمى (حُبَيَّ) على حافة وادي تليلث من الغرب .

وَحُبَيْةٌ الَّتِي كَانَتْ مِنْهَا أَصْبَحَتْ الْآنَ قَرْيَةً فِيهَا مَرْكَزٌ حُكُومِي تَابِعٌ لِإِمَارَةِ تَنْلِيثَ .

وَتَبْعَدُ حُبَيْةٌ عَنِ مَدِينَةِ تَنْلِيثَ بِحَوَالِي عَشْرِينَ كَيْلًا فِي جِهَةِ الشِّمَالِ ، وَتَبْعَدُ عَنِ جَرَى وَادِي تَنْلِيثَ بِنَحْوِ خَمْسَةِ أَكْيَالٍ غَرْبَ مَفِيزِ الْوَادِي .

٣ - الْعَمَقُ : -

وَفِي شَعْرِ عَمْرُو ص ١١٠ :

لَمَنْ طَلَّلَ بِ(الْعَمَقِ) أَصْبَحَ دَارِسًا تَبَدَّلَ آرَامًا وَعَيْنًا كَوَانِسًا
أَمَّا تَفْسِيرُ جَامِعِ الدِّيَوَانِ لِلْعَمَقِ بِأَنَّهُ مِنْهُلٌ فِي جَنْوَبِي نَجْدٍ يُعَدُّ مِنْ أَمْلَاحِ الدَّوَاسِرِ
وَقَحْطَانِ اعْتِمَادًا عَلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي ذَكَرَ فَغَيْرُ صَحِيحٍ ، فَإِنَّ الْعَمَقَ فِي شَعْرِ عَمْرُو
مُتَّسِعٌ مِنَ الْأَرْضِ السَّهْلَةِ ، عَلَى شَكْلِ دَارَةٍ وَهُوَ ذُو تَرَبَةٍ خَصْبَةٍ تُنْبِتُ أَجْوَدَ
الْمُرَاعِي وَيُؤَمِّمُهُ رِعَاةُ الْأَنْعَامِ لِكَوْنِهِ مَرْتَعًا مِنْ أَطْيَبِ الْمُرَاتِعِ ، وَيَتَكَرَّرُ اسْمُ الْعَمَقِ فِي
كَثِيرٍ مِنَ الشَّعْرِ النَّبْطِيِّ (الشَّعْبِيِّ) وَقَدْ أَصْبَحَ الْآنَ مَعْظَمُ هَذَا الْمَوْقِعِ فِي حَوْزَةِ
(وِزَارَةِ الدِّفَاعِ) حَيْثُ تَمَّ تَحْوِيلُهُ إِلَى مَيْدَانِ رِمَايَةِ لِلطَّيْرَانِ ، وَفِي جِهَتِهِ الْغَرْبِيَةِ يَقَعُ
مَرْكَزُ الْأَمْوَاهِ حَاضِرَةُ قِبَائِلِ الْحَبَابِ .

وَيَقُولُ كِبَارُ السَّنِّ : إِنَّ أَسْرَابَ الطَّيْرِ كَانَتْ تُرَى بِكَثْرَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَبْلَ
حَوَالِي ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَهَذَا يُوَكِّدُ قَوْلَ عَمْرُو فِي الْبَيْتِ الْمَتَقَدِّمِ .

وَالْعَمَقُ الْمَذْكُورُ يَبْعَدُ عَنِ مَدِينَةِ تَنْلِيثَ بِحَوَالِي سِتِينَ كَيْلًا ، وَتَفِيزُ سَيُولُهُ فِي
وَادِي تَنْلِيثَ قَرِبَ بَلَدَةِ الْأَمْوَاهِ ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَبِيَّاءِ (حُبَيْة) تَقَارِبُ ثَمَانِينَ
كَيْلًا .

وَادِي جَاشٍ : فَرَاغُ بْنُ شَالِي الْمَلْحَمِ

القَوْبِيَّةُ : (ذات القَوْبِ) قديما

كان من أشهر عيون مَرَّ الظَّهران (وادي فاطمة حديثا) خَيْفٌ يدعى (ذات القَوْبِ) ذكره الجَزِيرِيُّ في خبر حج المهدي الخليفة العباسي المعروف إذ قال في كتاب « الدرر الفرائد المنظمة » ، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج ٣ ص ١٦٧٤ - : حج سنة ستين ومئة ، وحُجِّلَ له الثلجُ حتى مكة ، وهذا شيء لم يَتِمَّ لأحد قبله ، ونزل دار النَّدوة . وجاء عبدالله بن عثمان بن إبراهيم الحَجَّيُّ بالمقام ، مقام إبراهيم في ساعة خالية نصف النهار ، مُسْتَمِلٌ عليه ، فقال للحاجب : إنَّكَ لي على أمير المؤمنين ، فإنَّ معي شيئا لم يدخل به على أحدٍ قبله ، وهو يَسْرُ أمير المؤمنين فأدخله عليه ، فكشف عن المقام فَسَرُّ بذلك ، وتمسح به ، وسكب فيه ماءً ثم شربه وقال له : اخرج ، وأرسل إلى بعض أهله فشربوا منه ، وتمسحوا به ، ثم أُدْخِلَ واحتمله ورُدَّ مكانه ، وأمر له بجوائز عظيمة ، وأقطعة خيفا بَنَخْلَةٍ ، يقال له (ذات القَوْبِ) فباعه مِنْ مُنِيرَةَ مولاة المهدي ، بعد ذلك بسبعة آلاف دينار . انتهى .

إنك لو سألت في وقتنا الحاضر عن (ذات القَوْبِ) لَقُلَّ أَنْ تُجَدَّ من يعرف هذا الاسم ، لأنَّ العامة كثيرا ما يُغَيِّرُونَ الأسماء لكي تتلاءم مع لهجتهم ، وتتفق مع إدراكهم . فـ (أسنان بلّالة) وهي رؤوس مرتفعة من جبل العرمة يشاهدها المسافر المتجه إلى الخرج من الرياض عن يساره تسميها العامة الآن (ثنايا بلال) و (مَعْقَلَةٌ) وكان الاسم قديما يطلق على روضة تُعْقِلُ الماء أي تمسكه ، وأصبح الآن اسما لقرية ، وتنطق العامة هذا الاسم (أُمُّ عَقْلَةٍ) و (أم عقلا) كما تفعل في اسم (مَعْصَبَةٍ) وهي أحساء ذكرها الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب » ص ٢٩٦ ، هي بحسب نطق العامة (أُمُّ عَصْبَةٍ) وهكذا تتغير الأسماء القديمة إلى ما يوافق لهجة أهل العصر .

أما (ذات القوب) فإنها تعرف الآن بـ (القَوْبِيَّةُ) وهي قرية تقع على ضفة الوادي المعروف الآن بوادي بني عُمَيْرٍ من هذيل . وهو ثنيٌّ من فروع وادي مَرَّ الظَّهران ، وسكان القرية من بني عُمَيْرِ الهذليين ، وقد حفرت فيها الآن آبار ←

مااتفق لفظه واختلف مسماه

من أسماء الموضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

- ٥١ -

حرف الحاء

٢٣٨ - بَابُ حَامِدٍ ، وَحَامِرٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بِالذَّالِ - : تَلُّ حَامِدٍ فِي طَرِيقِ حَلَبَ إِلَى الرُّومِ^(٢).

وَمَوْضِعٌ بَحْرِيٌّ ، قَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ :

بِأَغْزَرَ مِنْ فَيْضِ الْأَسِيدِيِّ خَالِدٍ وَلَا مُزْبِدٌ يَغْلُو جَزَائِرَ حَامِدٍ^(٣)

أَمَّا الثَّانِي : آخِرُهُ رَاءٌ - نَاجِيَةٌ بَيْنَ الرُّقَّةِ وَمَنْبِجٍ ، عَلَى الْفَرَاتِ^(٤).

وَوَادٍ عِنْدَ السَّمَاءِ^(٥).

وَوَادٍ لِيَنِي زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ مِنْ كَلْبٍ^(٦).

→ (ارتوازية) وكثر سكانها على ما جاء في إحدى صحفنا - جريدة « المدينة » - العدد الصادر بتاريخ ١٤٠٨/٤/٢١ وما يحسن ذكره أن هذه القرية عُرِفَتْ في كتاب « المعجم الجغرافي المختصر » بجمع حمد الجاسر - ص ١١٩٢ - بهذا النص : الْقَوْبِيَّةُ هَجْرَةٌ لِقَبِيلَةِ عَسِيرِ (؟) بِمِنْطَقَةِ الزَّيْمَةِ . انتهى ، وكان هذا التعريف منقولاً عن بيان أعد من قبل وزارة الداخلية ، ولاستغراب كلمة (عسير) هنا وَضِعَتْ علامة الاستفهام ، فأتضح مما تقدم أن الصواب (عُمَيْر) .

وَالْقَوْبُوعُ - عند أهل نجد - طُيُورٌ فوق رُؤُوسِهَا أَعْرَافٌ ، وتلك الطيور أكبر قليلاً مِنَ الْعَصَافِيرِ ، تكثر وقت الصيف إبان حصاد الزُّرُوعِ ، والتَّسْمِيَةُ فَصِيحَةٌ قَدِيمَةٌ .

حمد الجاسر

وَوَادٍ وَرَاءَ يَبْرِينَ ، فِي رِمَالِ بَنِي سَعْدِ ، يُقَالُ : لَا تُسَلِّكُ (١).

- (١) الباب في كتاب نصر : (باب حامر وحامد).
 (٢) عبارة نصر : تَلَّ حَامِدٌ مَوْضِعَ فِي طَرِيقِ حَلَبَ إِلَى الرُّومِ . وفي «معجم البلدان» : تَلَّ حَامِدٌ - بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ - : جَسَنٌ فِي تَغْرِ الْمَصْبِيَةِ . وَبِهِ عَنِ الْمَصْبِيَةِ : مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ جِيحَانٍ ، مِنْ تَغَوَّرِ الشَّامِ ، بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةَ وَبِلَادِ الرُّومِ ، تَقَارِبُ طَرَسُوسَ .
 (٣) هَذَا مِنْ زِيَادَةِ الْحَازِمِيِّ . وَلَكِنْ يَأْتُونَا فِي «المعجم» قَالَ : وَحَامِدٌ : مَوْضِعٌ فِي جَبَلٍ جَزَاءُ الْمَطْلُ عَلَى مَكَّةَ ، وَأُورِدَ بَيْتُ أَبِي صَخْرٍ : وَلَا مُزِيدَ يَخْلُو جَلَامِيذَ حَامِدٍ .
 كَذَا قَالَ ، مَعَ أَنَّ الَّذِي فِي كِتَابِ وَشَرَحَ اشْعَارَ الْهَذَلِيِّينَ - ص : ٩٦٧ - يَحْتَجُّ مَعَ مَا أُورِدَ الْحَازِمِيُّ ، وَالَّتِي مِنْ قَصِيدَةٍ فِي ثَلَاثِينَ بَيْتًا ، فِي مَدْحِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَبِي سَيْدٍ - بَفَتْحِ الْأَلِفِ - الْأُمَوِيِّ الْقُرَشِيِّ ، وَأَبُوهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ مُشَاهِيرِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَقَدْ تَوَلَّى إِمَارَةَ مَكَّةَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ ، وَلِأَبِي صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ فِيهِ مَذَاهِجٌ - انظر «نَسَبُ قُرَيْشٍ» بِخُصْفِ الزُّبَيْرِيِّ - ١٩١ -
 (٤) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرِ بِزِيَادَةِ كَلِمَةِ (شَطْ) فِي جُمْلَةٍ (عَلَى الْفُرَاتِ) وَفِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» بَعْدَ كَلَامِ نَصْرِ غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَيْهِ ، قَالَ الْأَخْطَلُ :

وَمَازِيدُ يَخْلُو جَلَامِيذَ حَامِرٍ يَشُقُّ إِلَيْهَا خَيْرُ زَانَا وَهَرَقَذَا - فِي بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ -

- (٥) جُنْدُ نَصْرِ : وَوَادٍ يَأْكُتَابُ السَّمَاءَ ، وَفِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : وَحَامِرٌ أَيْضًا وَادٍ بِالسَّمَاءِ ، مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ ، لِبَنِي زُهَيْرٍ بْنِ جَنْبٍ ، وَفِيهِ حَيَاتٌ كَثِيرَةٌ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

فَسَاهِلٌ فِذَا لِمَرِي إِنْ أَتَيْتُهُ نَقِيلُ مَسْرُوفِي وَسَدُّ الْفَسَالِ
 سَأَكْنَعُ كُلِّي أَنْ يُرِيْبَكَ نَبْعُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرْضَى مُسْحَلَانِ وَحَامِرَا

قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ فِي شَرْحِهِ : مُسْحَلَانِ وَحَامِرٌ وَادِيَانِ بِالشَّامِ . انتهى .

حَامِرٌ - هَذَا الْوَادِي الَّذِي فِي أَكْثَابِ السَّمَاءِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ فِي بِلَادِ كَلْبِ لِبَنِي زُهَيْرٍ مِنْ جَنْبِ بَنِيهِمْ - لَايزَالُ مَعْرُوفًا ، تَحْدِثُ قُرُوءُهُ مِنْ جِبَالٍ تَدْعَى حَامِرَ أَيْضًا تَقَعُ غَرْبَ بَلَدِهِ بِذَنَّةَ - شِمَالِ الْمَمْلَكَةِ فِي إِمَارَةِ عَرَعرَ - وَنَجْهَ الْوَادِي نَحْوَ الشَّرْقِ إِلَى قُرْبِ الْفُرَاتِ ، وَهُوَ مِنْ أَطْوَلِ الْأَوْدِيَةِ ، وَيَقَعُ بَيْنَ خَطَمِي الطُّولِ ٤٠/١٠٠ و ٤٢/١٠٠ وَخَطَمِي الْعَرَضِ : ٣١/١٠٠ و ٣١/٥٠ - وَانْظُرْ (قِسْمَ شِمَالِ الْمَمْلَكَةِ) مِنْ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» -

- (٦) تَابَعَ الْحَازِمِيُّ نَصْرًا فِي التَّحْقِيقِ بَيْنَ حَامِرِ السَّمَاءِ وَحَامِرِ بَنِي زُهَيْرِ الْكَلْبِيِّينَ ، وَأَرَاهُمَا وَاحِدًا - كَمَا فِي كَلَامِ يَأْقُوتِ الْمُتَقَدِّمِ - وَزَادَ نَصْرٌ - عَلَى مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ : وَفِيهِ جَنْبٌ - كَذَا فِي غَطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرِ ، وَعِنْدَ يَأْقُوتَ : وَفِيهِ حَيَاتٌ عَظِيمَةٌ ، وَهَذَا مَفْهُومٌ ، وَكَذَا الْجَنْبُ - فَهِيَ جَمْعُ جُبٍ ، وَالْجُبُ الْبُيُوتُ ، وَالْأَبَارُ تَكْثُرُ فِي الْأَوْدِيَةِ ، وَهِيَ فِي وَصْفِهَا أَكْثَرُ مَلَأَمَةٍ .

- (٧) كَتَمَرِيفُ نَصْرِ سَبَوَى (يُقَالُ : لَا تُسَلِّكُ) فَعِنْدَهُ : زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ - وَهُوَ نَصُّ مَا فِي «معجم البلدان» : وَرِمَالُ يَبْرِينَ لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةٌ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِرِمَالِ الدَّهْنَاءِ مِنَ الشَّمَالِ ، وَتَفَرَّقُ فِي رِمَالِ (الرُّبْعِ الْحَالِي) مِنَ الْجَنُوبِ وَمِنْ هُنَاكَ لَا تُسَلِّكُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ ، وَقَدْ اجْتَازَهَا قَبْلَ سَبْعِينَ مُغَابِرَانِ غَرِيْبَانِ أَحَدُهُمَا (بِرْتَرَامِ توماس) وَالثَّانِي (جون فلي) الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ قَلْبِي ، وَالْقَا كَتَاتِبَانِ عَنْ رِحْلَتَيْهِمَا .
 وَمَا زَادَ نَصْرٌ : حَامِرٌ مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ غُطَفَانَ ، عِنْدَ أَرْكَ ، مِنَ الشَّرْقِ . وَفِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : عِنْدَ أَرْكَ =

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بِالْحَاءِ - : مَوْضِعٌ مِنْ أَرْضٍ يَلْقَيْنِ عِنْدَ حَرَّةِ الرُّجْلَاءِ ، بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ (٢).

وَأَمَّا الثَّانِي - : بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ - : مَاءٌ لِكَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ فِي بَادِيَةِ الشَّامِ ، قَالَ النَّابِغَةُ : -

بِخَالَةٍ أَوْ مَاءِ الذَّبَابَةِ أَوْ سَوَى مَظْنَةِ كَلْبٍ أَوْ مِيَاهِ الْمَنَاطِرِ
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : رَوَى بَعْضُهُمْ ، بِخَالَةٍ - بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ - .

وَيُرْوَى : شَوَى بِالشَّيْنِ مُعْجَمَةً - وَخَالَةٍ وَالذَّبَابَةُ وَسَوَى مَظْنَةٍ : مَوَاضِعُ (٣).

= مِنَ الشَّرْبَةِ لِقَدْ تَكُونُ الْكَافُ (ك) فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرِ لَامَا (ل) . وقد ترجع عندي أَنَّ الصَّوَابَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (أَزَل) بِاللَّامِ ، وَأَنَّ الْأَوْصَفَ يَنْطَلِقُ عَلَى جِبَالٍ تَقَعُ شِمَالُ جَبَلِ زَمَانٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلِ الْحَضْنِ ، تَدْعَى الْحَامِرِيَّةَ - انظر قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي» - عَلَى أَنَّ أَوَّلَ وَأَوَّلَ - عَلَى مَا يُبَيِّنُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ يَقَعَانِ خَارِجَ الشَّرْبَةِ فِي عَذَّةٍ .

رَأَى نَصْرُ : (وَخَالَةٌ وَخَالَةٌ) . (١)

نَصْرُ كَلَامِ نَصْرٍ ، إِلَّا أَنَّ جُمْلَةً (بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ) هِيَ أَوَّلُ التَّعْرِيفِ ، مُقْتَضَةً ، وَعِنْدَ ياقوتَ : الْخَالَةُ - وَاحِدَةُ الْخَالِ الْمَذْكُورِ قَبْلَهُ : وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَلْقَيْنِ بْنِ جَسْمٍ - إِلَى آخِرِ مَا فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ . وَخَالَةُ الْمَذْكُورَةِ لَا تَنْزَالُ مَعْرُوفَةً ، وَتُضَافُ إِلَى عَمَّارٍ وَهُوَ اسْمُ قَدِيمٍ وَرَدَ فِي رِحْلَةِ الصَّغْدِيِّ . وَخَالَةُ عَمَّارٍ وَاقِعَةٌ شِمَالُ الْمَمْلَكَةِ ، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ حُلُودِ شَرْقِ الْأُرْدُنِ ، تَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ (سَرَّحٌ قَدِيمًا) بِسَعَةِ عَشْرِينَ كَيْلًا ، وَهِيَ مَدِينَةُ تَبْرُكٍ بِسَعَةِ عَشْرِينَ كَيْلًا . وَقَدْ أُنْشِئَ هُنَاكَ قَرْيَةٌ ، بَعْدَ نَقْلِ مَرْكَزِ الْحُلُودِ إِلَيْهَا مِنْ ذَاتِ الْحَاجِ قَبْلَ عَشْرِينَ غَامًا - وَانظر «المعجم الجغرافي» قسم شمال المملكة -

تَعْرِيفُ نَصْرٍ : وَبِالْحَاءِ الْمَقْطُوعَةِ - : مِنْ مِيَاهِ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ مِنْ بَادِيَةِ الشَّامِ انْتَهَى . وَأَوْرَدَ ياقوتُ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» جَمِيعَ كَلَامِ الْحَازِمِيِّ وَأَضَافَ : قَالَ أَبُو عَمْرٍو : اسْتَشْفَى عُبَيْدُ بْنُ الرَّقَّاعِ بَنِي بَحْرٍ مِنْ بَنِي زُهَيْرِ بْنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ ، وَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ خَالَةٌ ، وَبِهِ جَعْرٌ يُقَالُ لَهُ الْقَنْيَنِي ، كَانَتْ بَنُو تَغْلِبٍ قَدْ رَغِبَتْ (٩) فِيهِ ، فَوَقَعَ قَنْبُ فِي الْقَنْيَنِيِّ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ وَجَدَ الْقَنْبَ فِي الرَّابِ (٩) فَاقْتَلَتْ فِي ذَلِكَ الْجَفْرِ بَنُو تَغْلِبٍ حَتَّى كَانَتْ تَتَفَانُ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا عَلَى مَلِكِهِ جَبَارَةَ وَقَتَادَا ، وَاسْتَخَرُوا مَاحُولَهُ ، فَمَوْضِعُ الْقَنْيَنِيِّ مِنْ خَالَةٍ مَعْرُوفٍ ، وَيُقَالُ لَهَا حَوْلَةُ الْقَنْيَنَاتِ ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الرَّقَّاعِ - ثُمَّ أَوْرَدَ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مِنْهَا :

حَتَّى وَرَدْنَا الْقَنْيَنَاتِ ضَاجِحَةً
فَجَاءَ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ الرُّلَالِ لَنَا
مِنْ مَاءِ خَالَةٍ جِيَّاشٍ بِذِمَّتِهِ
فِي سَاعَةٍ مِنْ نَهَارِ الصَّبِّ نَلْتَهَبُ
مَاذَا مِنْ يَمِينِكَ عَوْدًا ذَاوِيَا تَحْرَبُ
مَا نَوَارَتْهُ الْأَوْخَادُ وَالسُّنْبُ

— الأوحاد عوف وكعب ابنا سعد من بني تغلب ، والعتب : عتبة وعتاب وعتبة أبناء سعد — كذا في «المعجم» وكلمة (قال نابغة) كذا وردت في الأصل ، وتقدم بثلاثها في رسم (جولان وخولان) وهو في الموضعين التابعة الذباني والذبابة : كذا وردت — على اسم الحشرة المعروفة — خلاف ماورد في «معجم مااستعجم» رسم (سوى) وفي «معجم البلدان» رسم (خالة) .
و (سوى) عند البكري (سوى) بفتح أوله وثانيه — ونقل عن الشيباني : قوله خالة والذبابة أرضان ، ومظنة كلب : حيث تكون كلب . وأضاف : وذكر القليل — في باب فعل — بفتح أوله وثانيه متون — : سوى موضع ويقال : ماء . وعند ياقوت : سوى — بفتح أوله ثم القصير : ماء ليهراء ، من ناحية السماوة ، وأورد الرجز :

له ذر رابع أن أنشوى فوؤ من قراقرى إلى سوى
خسا متى ما سارها الجبس يكي

في خبر صير خالد بن الوليد من اليمامة إلى الشام في عهد أبي بكر الصديق — ورافع هو ذليل خالد —
وبن وصف الطريق يتضح موقع سوى بالنسبة لقراقرى وقراقرى من وادي السرحان فيه منزل هذا الاسم لا يزال معروفا ، وكان قديما من منازل قبيلة كلب ، وكان خالد لها أراد الميبر منه لإنجاد جيش المسلمين في الشام أراد طريقا يخرج منه من وراه مجموع الروم لئلا تحول بينه وبين اللحاق بالجبس ، فقال رجل كان معه خيرا بالطريق : اجعل كوكب الضح على حاجبك اليمن ، ثم أمه تنفض إلى سوى ، فركبوا من قراقرى مغوزين في السماوة إلى سوى وهي في جانبها الآخر بما يلي الشام ، وفي صبيحة اليوم الخامس بلغوا سوى بعد مرى مضى — وانظر الخبر مفصلا في «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة انتهى عشرة — .

والمفهوم من شعر النابغة أنه في وصف بياء لكلب كانت تردفا ، وهي مظنة وجودها ، فخالة — وأرى صواب الاسم خالة بالحاء المهملة وبالحاء تصحيف وهي التي تقدم ذكرها وهي واقعة في غرب بلاد طبرستان ، وسوى في شرقها ، والذبابة — بالباء أو النون — في إحدى الجهات الأخرى ، والناظر في الجهة الثانية وهي على ما في «معجم البلدان» : موضع في البرية الشامية قرب عرص ، وقرب حيث أيضا — وأورد شعرا لبغدي ابن الرقاق ورد فيه :

وتوى القنم على الصوى وتذاكرا ماء المناظر قلبها وأضامها

— الأضا : — جمع أضلة وهو السلك المستقيم من سبل أو غيره .
وكل المواضع الواردة في بيت النابغة في جوانب السماوة . وفي إحدى روايات البيت : (أو بياء للواجر) من المطر .

ومازاده نصر :

(١) خاكة . وقال : وبالحاء أيضا والكاتب — واد من بلاد عذرة كانت به وقعة انتهى . وكذا قال ياقوت في «معجم البلدان» وأضاف : (عن نصر عن الضمري) فكانه هنا نقل كلام نصر عن كتاب الضمري ، وذكر ياقوت برسم — الحاكاة — مانصه : بلفظ جمع حائك — : واد في بلاد عذرة كانت به وقعة . انتهى .

والذي أراه أن (خاكة) عند نصر وياقوت ، و (الحاكة) عند ياقوت ماها سوى تصحيف (خالة) بالحاء المهملة بعدها ألف فلام ، وهي خالة غمر التي تقدم ذكرها ، وأصبحت الآن بلدة ، وبلاد بني عذرة كانت متصلة ببلاد كلب من الناحية الغربية حيث تقع حالة تلك . =

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بِالْحَاءِ : - بَلَدٌ بِالْيَمَنِ فِي دِيَارِ الْأَزْدِ (٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ : - جَبَلٌ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ ، عِنْدَ الدُّثَيْنَةِ ، وَفِي شِعْرِ كَثِيرٍ :

وَعَدْتُ نَحْوَ أَيْمَنِهَا وَصَدْتُ عَنْ الْكُتُبَانِ مِنْ صُعْدِ وَخَالٍ (٣)

(٢) = جَاكَة ، قال نصر : - وما بجيم فارسية بين الجيم والشين والكاف : - ناحية من بنات آزر ، من أعمال الأهواز انتهى . وفي «معجم البلدان» : (جاكَة) - جيم عجمية غير خالصة بين الجيم والشين ، وبعد الألف كاف : - ناحية في بلاد الأهواز . انتهى ، وقول نصر : (من بنات آزر) غير واضح ، ولكنه ورد أيضا في «تاج العروس» رسم (ج ك) بهذا النص . وما يستدرك عليه : جاكَة ناحية من بنات آذر (؟) من أعمال الأهواز ، نقله نصر في كتابه . قلت - القول لصاحب التاج : - ومنها الامام الواظ . . . بدر الدين حسين بن إبراهيم بن حسين الجاهلي الكردي ، نزول القاهرة ، توفي بها سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وزاوية بالحسينية مشهورة إلى آخر مذكر - وكلمة (آذر) في «التاج» لعل صوابا (آزر) كما في غطلوة كتاب نصر ، إذ في «معجم البلدان» آزر ناحية بين سوقي الأهواز ورامهرمز ، أما كلمة (بنات) فأراها معرفة عن كلمة لم تنضح لي .

(١) زَادَ نَصْرُ : (وَالْجَالِ) .

(٢) وَأَضَافَ نَصْرٌ - بَعْدَ كَلِمَةِ (الْأَزْدِ) : - ثُمَّ لِبَارِقٍ وَشَجَرٍ مِثْنَهُ ، قَالَ أَبُو الْمُنْهَالِ عَيْتَةُ بْنُ الْمُنْهَالِ : لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ سَارَعَتْ إِلَيْهِ شُكْرٌ ، وَأَبْطَأَتْ بَارِقٌ ، وَهُمْ إِخْوَتُهُمْ ، وَاسْمُ شُكْرٍ وَالْآنُ . انتهى . وَأَوْرَدَ ياقوتٌ في «معجم البلدان» نَصْرٌ كَلَامٌ نَصْرٌ غَيْرُ مَنْسُوبٍ - مَعَ تَضْجِيفِ شُكْرٍ إِلَى يَشْكُرُ - وَزَادَ : وَفِي كِتَابِ «الرُّدَّةِ» : الْحَالُ مِنْ خَالِيفِ الطَّائِفِ وَالْحَالُ - فِي اللَّفْظِ - الطَّيْنُ الْأَسْوَدُ ، وَلَهُ مَعَانٍ أُخَرُ . وَفِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» - بَعْدَ ذِكْرِ سَرَاةٍ عَزَّ وَسَرَاةٍ الْحَبَرِ : - ثُمَّ سَرَاةُ نَاهِ (ناه) مِنَ الْأَزْدِ ، وَبَنُو الْقُرْنِ (؟) وَبَنُو الْحَالِدِ ، نَجَدُهُمْ خَنْعَمٌ ، وَغَوْرُهُمْ قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ ، ثُمَّ سَرَاةُ الْحَالِ (الحال) لِشُكْرٍ ، نَجَدُهُمْ خَنْعَمٌ وَغَوْرُهُمْ قَبَائِلُ مِنَ الْأَسَدِ بْنِ عِمْرَانَ ، ثُمَّ سَرَاةُ زَهْرَانَ مِنَ الْأَزْدِ - ثُمَّ ذَكَرَ بَقِيَّةَ السَّرَوَاتِ إِلَى الطَّائِفِ فَاتَّضَحَ أَنَّ الْحَالَ إِحْتَلَى السَّرَوَاتِ ، وَأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بَيْنَ سَرَاةِ بَنِي الْقُرْنِ - بِلَقَرْنِ الْمَعْرُوفِينَ الْآنَ فِي سَرَائِهِمُ الْوَاقِعَةِ جَنْوَبَ سَرَاةٍ غَامِدٍ - وَبَيْنَ سَرَاةِ زَهْرَانَ ، الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ ، فَسَرَاةُ الْحَالِ هِيَ سَرَاةُ غَامِدٍ الْآنَ ، وَيُظْهَرُ أَنَّ بَنِي شُكْرٍ دَخَلُوا فِي غَامِدٍ إِذْ لَا ذِكْرَ لَهُمْ الْآنَ ، إِلَّا أَنَّ أَسْمَاءَ بَعْضِ بِلَادِهِمْ مِثْلُ حَزْنَةَ وَشَدَا لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً ، وَهَذَا وَإِذْ يُدْعَى شُكْرَانُ ، وَقَاعِدَةُ تِلْكَ السَّرَاةِ مَدِينَةُ (بَلْجَرَشِي) مِنْ بِلَادِ غَامِدٍ ، وَقَدْ انْتَهَصَرَ اسْمُ الْحَالِ الْآنَ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ . عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، مِنْهَا يَبْطُ فِي وَادِي شُكْرَانَ ، يُقَارِبُ سُكَّانَهَا ٤٠٠ نَسْمَةً ، تَبْعُدُ عَنْ بِلَادِ خَنْعَمٍ نَحْوَ ثَلَاثِينَ كَيْلًا ، وَسُكَّانُهَا مِنْ بَلْجَرَشِي مِنْ غَامِدٍ -

وَانْظُرْ كِتَابَ فِي «سَرَاةِ غَامِدٍ وَزَهْرَانَ» -

(٣) نَصْرٌ كَلَامٌ نَصْرٌ : وَبِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ : - جَبَلٌ مِنْ أَرْضِ غَطَفَانَ ، بِلِقَاءِ الدُّثَيْنَةِ ، وَهِيَ لَبَنِي سَلِيمٍ ، وَتَوْضِيعٌ مِنْ شِقِّ الْيَمَامَةِ . انتهى . وفي «معجم البلدان» : الْحَالُ فِي لُغَتِهِمْ يَتَضَرَّفُ إِلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ تَقُوتُ لِحَصْرٍ ، وَالْحَالُ اسْمُ جَبَلٍ بِلِقَاءِ الدُّثَيْنَةِ لَبَنِي سَلِيمٍ ، وَقِيلَ : فِي أَرْضِ غَطَفَانَ وَاتَّشَدَ :

أَسَاجِكِ بِالْحَالِ الْمُسَوَّلِ الدَّوَائِعِ فَاتَتْ لِهَوَانَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَائِعِ
وَالْحَالِ - أَيْضاً :- مَوْضِعٌ فِي شِقِّ الْيَمَنِ ، وَذَاتُ الْحَالِ مَوْضِعٌ آخَرُ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْلُومٍ كَرِبَ :
وَهُمْ قَتَلُوا بِذَاتِ الْحَالِ قَيْسًا وَأَشْمَكْتَ سَلْتَلُوا فِي غَيْرِ عَهْدِ

- وَأَشَارَ إِلَى كِتَابَةِ مَا فِي أَخْبَارِ أَبِي الطَّيِّبِ مِنْ أَسَاءِ الْحَالِ -
وَلِي «مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ» : الْحَالُ قَالَ ابْنُ خَبِيبٍ : خَالُ جَبَلٍ بِلَادِ غَطَفَانَ ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَلَفَتْ مِنْهُ أَسَدُ
وُغُطَفَانُ وَقَالَ أَيْضاً : وَقَالَ أَكْبَنُهُ صَغِيرَةً قَالَ كَثِيرٌ - وَأَوْرَدَ الْبَيْتَ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ .
أَخَالُ الْجَبَلِ الَّذِي يُلْقَاهُ الدَّيْنَةُ - يَفْتَحُ الدَّالَ وَهِيَ الدَّيْنَةُ بِالْفَاءِ أَيْضاً - لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، يُشَاهَدُ مِنْهَا
رَأْيُ الْعَيْنِ ، وَلَيْسَ مُرْتَبِعًا وَلَا كَبِيرًا ، وَلَكِنَّهُ يَدْنُو بَارِزًا لَوُقُوعِهِ فِي أَرْضِ بَرَاخِ مُسْتَوِيَةً ، وَالدَّيْنَةُ
أَصْبَحَتْ قَرْيَةً مَعْرُوفَةً مِنْ قُرَى عَالِيَةِ نَجْدٍ . وَمِنْ مَوَارِدِ غَطَفَانَ قَدِيمَا الدَّيْنَةُ - بِضَمِّ الدَّالِ - وَرَدَّتْ فِي
شِعْرِ النَّابِغَةِ الدَّيْنَانِيِ الْغَطَفَانِيِ وَلِي شِعْرِ غَيْرِهِ ، وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْفَلَطُ مِنْ نَصْرِ جَيْشِ عَدُوِّ خَالِ (الدَّيْنَةُ) مِنْ
أَرْضِ غَطَفَانَ ، وَتَابَعَهُ الْحَازِمِيُّ فِي الْخَطِّ ، فَارْضَى غَطَفَانَ بَيْعَهُ عَنْ دَيْنَةٍ نَبِيِّ سَلِيمٍ . وَفِي أَرْضِهِمْ خَالُ
آخَرُ ، إِذْ الْحَالُ - فِي الْأَصْلِ الْجَبَلُ الْأَسْوَدُ الصَّغِيرُ الْبَارِزُ فِي الْأَرْضِ الْبَرَاخِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ تَشْبِيْهًا
بِالنَّقْطَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي تَبَرُّزُ فِي الْوَجْهِ غَالِقَةً لِلْوَبْرِ .

أَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ مِنْ شِعْرِ كَثِيرٍ - وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص : ٢٢٧ - فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ (خَالُ)
الْمَذْكُورُ إِنْ كَانَ اسْمُ جَبَلٍ - يَنْضِجُ مِنْ سِيَاقِ الشَّعْرِ ، فَقَبِلَ الْبَيْتَ :

كَأَنَّ حُرُومَهُ لَمَّا تَوَلَّتْ بَيْلِيلَ ، وَالنُّوَى ذَاتِ انْفِشَالِ
وَعَدَّتْ نَحْوَ أَمْعَمِهَا وَصَدَّتْ عَنْ الْكُنْثَانِ مِنْ صُعْدِ وَخَالِ
شَوَارِعَ فِي نَرَى الْخُرَمَاءِ لَيْسَتْ بِجَادِيَةِ الْجُلُوعِ وَلَا بِقَالَ

فَالْحُمُولُ سَارَتْ فِي بَلِيلَ - وَهُوَ وادي بَذَرِ أَصْفَلِ الصُّفَرَاءِ - وَتَرَكْتَ كُنْثَانَ الرُّمَالِ الْمَعْرُوفَةَ هُنَاكَ بَيْنَهَا ،
وَمِنْهَا صُعْدُ وَخَالِ ، وَلَمْلَمَهَا جَبَلَانِ بَارِزَانِ ، ثُمَّ بَلَّغْتَ الْخُرَمَاءَ ، وَهِيَ عَيْنٌ كَانَتْ مَعْرُوفَةً مِنْ عَيْنِ
الصُّفَرَاءِ ، وَمِنْ هُنَا يَنْضِجُ مَوْضِعُ (خَالِ) فِي شِعْرِ كَثِيرٍ ، وَأَنَّهُ فِي وَادِي الصُّفَرَاءِ بَيْنَ بَلِيلَ وَعَيْنِ الْخُرَمَاءِ ،
غَلَّ مَقَرَّةٌ مِنْ كَيْبِ بَذَرِ الْمَعْرُوفِ . وَأَنَّهُ فِي يَهَامَةَ بَعِيدٌ عَنْ خَالِ الدَّيْنَةِ وَعَنْ بِلَادِ غَطَفَانَ .
ومازاده نَصْرٌ :

الْجَالُ : - وَبِالْجِيمِ - مِنْ أَرْضِ أَدْرِيجَانَ . وَالْجَالُ - مَمَالَةٌ - : نَاجِيَةٌ فِي سَوَادِ مَدِينَةِ السَّلَامِ قَرْيَةٌ .
انتهى . وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» فِي تَعْرِيفِ الْأَوَّلِ عَنْ : الْحَالِ مَوْضِعٌ بِأَدْرِيجَانَ . وَقَالَ عَنِ
الثَّانِي : وَالْجَالُ - مَمَالٌ - قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ تَحْتَ الْمَذَائِنِ ، نَحْوُ أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ ، وَهِيَ الَّتِي سَمَّاها ابْنُ الْحَجَّاجِ
بِالْكَالِ فَقَالَ :

لَنْزِ اللَّهُ لَيْلَتِي بِالْكَالِ إِنَّهَا لَيْلَةٌ تَمُورُ اللَّيَالِي

وَالْعَامَّةُ تَقُولُ : الْكَئِيلُ ، كَأَنَّهُمْ يَفْضِدُونَ الْإِمَامَةَ ، وَقَدْ نُسِبَ إِلَيْهَا بَعْضُ مَنْ ذَكَرْنَاهُ فِي الْكَافِ . انتهى .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

أسرة الحشاش من السويد من بني زيد

كتب الأخ سعد بن مهنا بن عبدالله الحشاش للأخ أحمد بن محمد اليحيا حول ما أورده في بحثه بِأَسَرِ بني زيد - س ٢٢ ص ٤٩٨ - مستدركا عليه عدم ذكر أسرة الحشاش التي هي من السُوَيْد من بني زَيْد ، وقال ما ملخصه : بأنه سعد بن مهنا بن عبدالله بن حشاش السويد من أسرة آل حشاش المعروفة في الدوادمي لدى أسرها الكبيرة مثل آل صالح والباكور وآل مهنا والحسانا والقُوْزَة والحמיד والصقيران الذين هم أبناء عم آل حشاش . وأضاف : بأن لهذه الأسرة بِثَرًا تقع شمال غَرْب بلدة الدوادمي ، تبعد حوالي خمسة أكبال اسمها (حَشَّاشَة) ، وإن له عمًا هو يوسف بن محمد الحشاش السويد ، مقيم في مكة وله أبناء ، وإن له عمًا آخر ، ترك نجدًا زمن الفاقة والفقر وسافر إلى العراق ولا يُعرَف عنه الآن شيء .

وطلب الأخ سعد إضافة اسم أسرة الحشاش إلى تلك الأسر المذكورة في البحث عند إعادة نشره .

وتحسن الإشارة هُنا إلى أن كلمة (حَشَّاش) في لَهْجَةِ أهلِ نَجْدٍ - بل وفي الفُصْحَى - تعني مَنْ يَجْمَعُ (الحَشِيشَ) أي النَّبَاتَ الذي يُعَدُّ لِعَلْفِ الأنعام كالإبل والبقر والغنم ، وتجمع الكلمة على (حَشَّاشِينَ) والفِعْلُ (حَشَّ) وَذَهَبَ يَحْشُ ، والآلَةُ (المِحْشُ) والكلمة عربية فصيحة .

هُذَيْل : في مقال الاستاذ الحسني

للأستاذ الفاضل : محمد جابر الحسني عدة مقالات حول قبيلة هُذَيْل ، رأينا فيها بعض الهنات وشيئا من الخلط والتشويه كان لأبَد من التنبيه عليه ، ولفت الأنظار إليه خدمة للعلم والمعرفة ، وتوضيحا للحقائق ، والله من وراء القصد .

ففي المقال الأول : هذيل فروعها ومنازلها (مجلة العرب س ١٦ ص ٦٤ - ٦٦) .

١ - قال : (زُليفة ، وهم يسكنون الشُريف ، وزُليفة بن صاهلة بن كاهل بن تميم) قلت : ان في هذا من الخلط مافيه ، فليس في أبناء صاهلة من يُدعى زُليفة ، وليته ذكر مرجعه حول هذا النسب ، ثم إن سياقه هذا النسب بهذا التسلسل فيه خلل ، فمن المعروف عند علماء النسب أن صاهلة هو ابن كاهل بن الحارث بن تميم ، فأين ذهب الكاتب الكريم بالحارث وهو والد صاهلة وابن تميم ، وهو حلقة الوصل بين صاهلة وبين تميم .

أما عن نسب زُليفة فهو كما يلي :

بنو زُليفة بطن من هذيل ، وهم بنو زُليفة بن صُبْح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٢ - وقال : (السهمة ويسكنون بشعب مذفار ، في جبل كبكب ، وأصلهم من ذرية معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة) .

قلت : بل هم من ذرية سَهْم بن مُعاوية ، وكان الأولى به أن يشير إلى ذلك فقوله من ذرية معاوية بن تميم ، يبقى عاماً لأن ذرية معاوية بن تميم تضم بطوناً عديدة منها :

١ - بنو جعيل بن معاوية .

٢ - بنو حيي بن معاوية .

٣ - بنو حنيف بن معاوية .

٤ - بنو عوف بن معاوية .

٥ - بنو قَرْد بن معاوية .

ومنهم : أ - بنو حنيف . ب - العصمة . ج - بنو مرة . د - بنو مؤمل بن حطيظ بن زيد بن قرد .

٦ - بنو مازن بن معاوية .

٧- بنو سهم بن معاوية ومنهم : أ - بنو ضبيس . ب - بنو مرمض بن حرب جداعة بن سهم ومنهم :

١ - بنو أخيس .

٢ - بنو وائلة بن مطحل بن مرمض بن حرب بن جداعة بن سهم .

٣ - وقال : (السبعان ... وأصلهم من خزاعة دخلوا في هذيل) وذكر قصة حاطم بن جابر الخزاعي مع أبي جندب وكيف أن أبا جندب أخذ بثأر جاره الخزاعي وبعدما أخذ بثأر جاره الخزاعي (ومن ذلك الوقت دخل بنو كعب في هذيل ومنهم السبعان والكعوب الذين يقطنون بعرفة) .

قلت : والغريب أن الحسيني لم ينسب السبعان هؤلاء فيما ذكره للأستاذ عاتق ابن غيث البلادي ، حيث أنه نسب كل فرع من فروع الكباكية لأصل ، إلا السبعان فإنه لم ينسبهم - انظر « معجم قبائل الحجاز » ط ٢ ص ٤٣٨ ثم نراه ينسبهم لبني كعب من خزاعة اعتماداً على قصة حاطم بن جابر الكعبي الخزاعي ، وفات الحسيني :

١ - أن جار أبي جندب رجل واحد وامراته من بني كعب من خزاعة ، ولم تذكر لنا الروايات دخول آخرين غير حاطم وزوجه من بني كعب من خزاعة في هذيل .

٢ - كون هذا الجار من بني كعب من خزاعة وأنه كان جاراً لهذيل لا يعني أن الكعوب الذين في هذيل هم من قوم حاطم ، لاسيما وأنه ليس ثمة من مرجع أو مصدر واحد يذكر لنا دخول بني كعب في هذيل بعد الأخذ بثأر الكعبي من بني الحيان .

٣ - أن في هذيل عدة بطون تدعى ببني كعب لا بد أن يكون لها أعقاب في هذيل ، ومن هذه البطون :

- بنو كعب بن الحاث بن كبير بن هند بن طابخة بن الحيان من هذيل .

— وبنو كعب بن صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

— وبنو كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ومنهم : أ — بنو صعصعة بن كعب بن طابخة . ومنهم : أ — بنو عادية بن صعصعة . ومن هؤلاء : ١ — بنو حبشي بن عادية . ٢ — بنو عامر بن عادية . ٣ — بنو الحارث بن صعصعة وبنو كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

٤ — وقال : (آل جابر وهم من بني قُرْد وهو عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن مدركة سُمُوا بهذا الاسم لأن جدّهم عمرو بن معاوية قتل قرداً والعرب يعيرون ذلك) ص ٦٦ .

قلت : ١ — خلط في تسلسل النسب حيث أسقط هذيل فجعل سعد هو سعد ابن مدركة مع أنه ابن هذيل بن مدركة .

٢ — تجاهل بروايته هذه مذكره بعض العلماء حول سبب تسمية قرد بهذا الاسم حيث قالوا : أَرْنَى من قرد كما في « مجمع الأمثال » للميداني حيث قال زعم الهيثم بن علي أن قرداً اسم رجل من هذيل يقال له قرد بن معاوية وقال البعض أن القرد أرنى الحيوان .

٥ — وقال : (آل مناع وهو ذرية منيعة بن كاهل بن سعد بن هذيل) .

قلت : ١ — ليس في ذرية كاهل — فيما نعلم — من يسمى منيعة .

٢ — ليس في أبناء سعد من يسمى كاهل .

٣ — أن كاهلاً هو ابن الحارث بن تميم بن سعد .

٤ — أن منعة — وليس منيعة — هو منعة بن سعد بن هذيل ، وليس بين منعة وسعد جدُّ يدعى كاهل ، ونُصُّ الحسني حَرَفَ منعةً إلى منيعة ، وجعله ابناً لكاهل وجعل الأخير ابناً لسعد ، وقد وهم عندما أدخل كاهلاً بين منعة وبين سعد بن هذيل ، والصحيح ما ذكرناه ، ونُشير إلى أنه زعم — وهو يناقض نفسه بنفسه — للأستاذ البلادي حول آل مناع — أن (أصلهم من تميم) انظر « معجم

قبائل الحجاز ط ٢ ص ٤٣٨ ثم تلى ذلك في فقرة وردت في مجلة « العرب »
س ١٦ حيث قال مايلى :

(ومنهم - أي خزاعة - الطلاحات دخلوا في هذيل) ص ٣٠٣ .

قلت : ما الدليل على أن الطلاحات - وليس الطلاحات كما ذكر - هم من
خزاعة ، وليسوا من هذيل ، ألم يَدْرِ الكاتب أن ثمة فرع قديم من هذيل يدعى
بالطلحين . ذكرهم الأزرقى في كتابه « أخبار مكة » ؟ ولم لا يكون الطلاحات هم
أعقاب الطلحين من هذيل ؟

وعاد في مقال له بعنوان « الكباكة وجبل كبكب » في مجلة « العرب » س ٢١
ص ٥٩ - ٦١ وزعم مايلى :

١ - (آل مناع وتنتمي إلى منعة بن كاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن
هذيل بن مدركة) .

ونؤكد أنه منعة بن سعد بن هذيل ، فلماذا الإصرار على إدخال كاهل - وليس
كاهلة كما زعم - ابن الحارث ابن تميم بين منعة وسعد ، فالمعروف لدى علماء
النسب أن منعة هو منعة بن سعد بن هذيل .

٢ - (عشيرة آل جابر أرى أنهم من بقايا هذيل من ذرية عمرو بن الحارث بن
تميم بن سعد بن مدركة بن إلياس بن مضر) ص ٦٠ .

لاحظ أنه أسقط هذيل وجعل سعداً ابناً لمدركة ، وهذا ما لم يقله أحد من
السابقين أو اللاحقين وقد سبق له أن زعم هذا الزعم من قبل في مجلة « العرب »
س ١٦ ص ٦٦ كما أنه أخبر الأستاذ عاتق بن غيث البلادي عن آل جابر مايلى
(آل جابر يقال له القردة وأصلهم من بني قرد الهذليين) - انظر « معجم قبائل
الحجاز » ط ٢ ص ٤٣٨ وذكر في مقاله في مجلة « العرب » س ١٦ ص ٦٦ أن
(آل جابر وهم من بني قرد) فلماذا هذا التناقض ؟

٣ - (وأهل كبكب القدماء هم السهمة ذرية سهم بن معاوية بن الحارث بن

تيم بن سعد بن هذيل (ص ٦١ وهو بهذا يناقض ما ذكره للبلاذري من أن (آل فضل هم أهل كعبك الأصليون) - وانظر « معجم قبائل الحجاز » ط ٢ ص ٤٣٨ - .

وختاماً نرجو بهذه الملاحظات أن تكون قد قدمنا علماً مفيداً خدمةً لعلم النسب .

العقبة : راشد بن حمدان الاحويي المسعودي

زَيْدُ الَّذِي تَنْتَسِبُ إِلَيْهِ قَبِيلَةُ بَنِي زَيْدٍ
مِنْ عَبِيدَةِ جَنْبٍ مِنْ مُذَجَجٍ

[شاع لدى بعض الباحثين في الأنساب نسبة القبيلة الكريمة المعروفة ببني زيد ، إلى زيد بن سويد بن زيد ، من قضاة ، وهو أبو جهينة وهو ممن عاش قبل الإسلام بزمان ، ونُسب القبيلة يقررون أن زيدا الذي تنسب إليه ممن عاش في القرن العاشر الهجري .

وقد كتب أحد أبناء القبيلة وهو الأخ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله الأصمعي إيضاحاً حول زيد ، الذي تنتسب إليه قبيلته بعث به إلى مجلة « العرب » هذا ملخصه] :



الجد الأول لهذه القبيلة ، وهو زيد بن حيان العبدي القحطاني ، وهو من جَنْبٍ ، هو وأخوه سويد الجد الأول للسودة ، الذين في وادي رنية ، البلدة المعروفة في أعلى نجد ، مما يلي الحجاز .

أما نُهَيْد فقد تضاربت فيه الأقوال ، منهم من يقول : إنه جد الجهوم الذين في بيشة ، وهذا غير مؤكد لا عند بني زيد ، ولا عند أبناء عمهم السودة برنية ، والقول الآخر وهو قول عبدالله بن عبدالرحمن بن إبراهيم أبويكر - رحمه الله - قال لي في عام ١٣٨٢ هـ عَنْ أولادِ نُهَيْدٍ : انهم من رجال أُلْع في تهامة عسير ،

وقد أَيْدَ قوله بأن سعد بن سُعيدان من السعدان أهل القويعة ، قَدْ سَجَنه ابنُ عائض عندما نقض العهد الذي بينه وبين الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٣٤٠هـ ، فطلب سعد بن سعدان من آل حَيَّان مساعدته ، وإخراجه من سجن ابن عائض ، وأنهم شفَعوا له حتى أخرجوه من السجن .

وفي عام ١٣٩٨هـ ، ذهبت إلى وادي حُسُوةَ بتهامة عسير ، وقابلتُ الشيخ يحيى بن علي الحَيَّاني شيخ شَمْل بني زيد ، وهو يسكن قرية ثاه في أعلى وادي حسوة ، وكان - رحمه الله - يناهز المئة عام ، وكان رجلاً عالماً بأنساب القبائل ، وكان يتمتع بجميع قواء العقلية والذهنية والجسمية ، إلا أنه - رحمه الله - كان فاقداً للبصر ، وسألته عن أصلهم فقال لي : نعم نحن من عَبِيدَة ، وقلت له : كم تصلون إلى جدكم الأول حيان ، فقال : حوالي عشرة إلى أحد عشر ، وعندما رأي أكثر عليه الأسئلة قال لي : نحن شيوخ القوم : فعرَفْتُ مقصده أنه لا يريد البحث لأنه كان معي رجل من أفراد قبيلة بني زيد ، وهو إمام جامع قرية ذَهَبان في حُسُوة ، وعبدالله بن علي بن أحمد ، وهو من فخذ آل مالك ، من بني زيد القبيلة العسيرية من رجال ألمع ، وقد دخل آل حيان في رجال ألمع ، مثلهم كمثل سائر القبائل العربية ، التي دخل بعضها في بعض في الأحلاف ، وصارت قبيلة واحدة .

وألمع هم من ذرية ألمع بن عَمْرُو بن الأزد بن الغوث .

والموطن الأول لزيد وأخويه هو وادي تَثْلِيثَ بقرية الهُجَيْرَة ، وهي تقع ما بين هجرة الصبيخة التي يسكنها حالياً آل شِفْلُوت ، وهم شيوخ قبيلة عبيدة ، وهم أصل عبيدة لأنهم من الضياغمة ، وبين هجرة جاش ، وقريب منها قرية كُتْنَة ، التي يمر بها طريق الوادي إلى خميس مشيط .

وقد تفرق الثلاثة من تلك المنطقة في أول القرن العاشر .

١ - زيد اتجه إلى نجد ، ونزل في شقراء ، وكان صاحب شقراء ابنُ مُعَيْقِلٍ ، وتزوج زيد بنته عَطَوَى ، وأنجبت له بَلْدِي بن زيد ، وحر قوص بن زيد ، وفيات بن زيد ، وفرحان أو محمد بن زيد ، ويقال لهم أولاد عَطَوَى نسبة إلى

أهمهم عطوى بنت ابن معقل ، ثم مائت وتزوج أختها ، عَطِيَّة ، وأنجبت له ثلاثة ، وهم سلمان ومسلم وعلي أبناء زيد ، ويقال لهم أولاد عطية ، وهذا هو سبب انقسام بني زيد إلى قسمين ، هذا ما نقلته عن كل من عبدالرحمن بن عبدالله بن سليمان بن ربيعة ، الملقب الحنان ، والمعروف عند أهل القويعة ، وكذلك عن عبدالله بن عبدالعزيز السُّحيمي ، والمعروف كذلك عند أهل القويعة ، وكذلك عن عبدالله بن عبدالرحمن بن إبراهيم (أبويكر) - رحمه الله - وهو رجل فاضل ، وله معرفة بالأنساب ، ولاسيما أنساب بني زيد ، وهو الذي أعد شجرة آل غَيْهَب ، أحد فروع بني زيد ، وقد أشار إلى ما ذكرته من أن أولاد زيد سبعة وهم : بلدي وحرْقوص وفياض وفرحان وسلمان ومسلم وعلي .

وليس لزيد من الأولاد إلا من ذكروا ، إنما الباقي من أولاد أولاده .

الرياض : محمد بن عبدالعزيز الاصيقع

مواضع الغزوات النبوية

... لعلكم قرأتم البحث الذي نُشر في مجلة «المورد» في (العدد الرابع من المجلد التاسع ص ٥٣٦) بعنوان (الغزوات النبوية سنواتها الهجرية وشهورها القمرية) للأستاذ عبدالوهاب محمد علي العدواني ، من جامعة الموصل .

وقد لفت نظري في هذا البحث قوله عن غزوة العُشَيْرَةِ : (والعُشَيْرَةُ من ناحية يَنْبَع بين مكة والمدينة ، ويشير المعنيون بآثار الجزيرة إلى أن المواضع المعروفة بهذا الاسم كثيرة في نجد والحجاز وتهامة .

وموقع هذه الغزوة مكان في عقيق المدينة في الطريق بين مكة ونجد) هكذا قال الأستاذ العدواني .

والمعروف مما قرأته وطلعته في كتب الرحلات أن موقع غزوة ذي العُشَيْرَةِ كان معروفاً في أسفل وادي يَنْبَع النَّخْل إلى ما قبل مئة عام ، وأنه كان من منازل الحاج

المصري . ومعروف موقع ينبع النخل ، وأنه ليس بين مكة والمدينة ، بل يقع غرب المدينة ..

المدينة المنورة : عبدالله سعيد عثمان

العرب : مما يُؤسِفُ حقاً أن الباحث الذي ذكرتم اسمه ، وأشرتُم إلى بحثه المنشور في مجلة «المورد» عن الغزوات النبوية قد جانف الصواب في تحديد بعض مواقع الغزوات التي تعرض لذكرها ، ومنها موقع غزوة ذي العُشَيْرَةِ ، فالمتقدمون من العلماء نَصُّوا صراحة على أنها من بطن ينبع ، وينبع عند الاطلاق في كتب المتقدمين هو بلاد ينبع النخل ، الوادي المنحدر من جبال رَضْوَى وماحولها ، حتى يفيض في البحر وكان ذا عيون وقرى كثيرة ، لايزال أكثرها معروفاً .

كما أخطأ في تحديد موقع غزوة ذي أمر ، إذ قال مانصه - ص ٣٩ من المجلة - : وذو أمر وإِ ذكر السهمودي أنه بطريق قَيْدَ إلى المدينة ، على نحو ثلاث مراحل من المدينة ، بقرية النُّخَيْل ، (« وفاء الوفاء » ٢/ ٢٢٩) ، وكان ياقوت قد نقل عن الواقدي أنه من ناحية النُّخَيْل بنجد . من ديار غطفان ، والنُّخَيْل - بالتصغير - اسم عين قرب المدينة على خمسة أميال منها («معجم البلدان» : أمر . و«معجم ما استعجم» ١/ ١٩٣ ، و«صحيح الأخبار» ٥/ ٧٢) ذكر البكري أنه أسفل ينبع ، فهو إِذَنْ أول نَجْدٍ من الطرف الغربي ، إذا عرفنا أن نجداً عند الجغرافيين العرب هو المنبسط الفسيح الممتد شمالاً وشرقاً إلى أطراف العراق) . انتهى .

ووجه الخطأ هنا :

١ - النُّخَيْل المقصود الذي وقعت الغزوة بقرية ، ليس عينا على خمسة أميال من المدينة ، بل هو وإِ لايزال معروفاً يقع غرب الحِمْيَاكِيَّة المعروفة قديماً باسم نَخْلٍ ، على طريق المتجه منها إلى المدينة على بعد عشرة أكيال من الحِمْيَاكِيَّة ونحو ثمانين كيلاً (٦٦) ميلاً من المدينة ، ولايزال الموضع معروفاً .

٢ - ذُو أَمْرٍ ، ليس أسفل ينبع ، إذ ينبع في تهامة ، والموضع الذي حدثت فيه

الوقعة من نجد ، بقرب النُخَيْل المتقدم ذكره .

ومن مواضع الغزوات التي لم يحددها تحديداً واضحاً ، غزوة دومة الجندل ، فدومة الجندل هي بلاد الجوف ، المعروفة الآن ، وكانت قاعدتها إلى عهد قريب مدينة دومة الجندل المعروفة بهذا الاسم إلى عهدنا الحاضر ، ثم نقلت القاعدة إلى مدينة سكاكا ، أما قول الكاتب — ٤٥٢ — : والدومة حصن وقرى بين الشام والمدينة على سبع مراحل من دمشق ، فغير صحيح ، وإن قال به بعض المتقدمين ، وطريق الشام إلى المدينة يمر بوادي القُرَى أو بَبُوك وتيماء ، أما دومة الجندل فهي منحرفة عن الطريق نحو الشرق ، ثم إن مثل هذا التعريف إذا جاز في عصور قديمة ، فلا يجوز في مثل عصرنا الذي توفرت فيه جميع الوسائل التي تمكن من تحديد الموضع تحديداً دقيقاً .

وبالإجمال فمواضع الغزوات النبوية مع أن كثيراً من المتأخرين تعرضوا لبحثها والكتابة عن تحديد مواقعها ، إلا أنها لاتزال بحاجة إلى دراسة تقوم على أساس تطبيق النصوص القديمة على المواقع ، عن مشاهدة ، وعمق دراسة ، ووضع مصورات جغرافية لتحديد تلك المواقع من قبل علماء ذوي اختصاص بهذا الشأن .

كلب ينبع الأضياف

ورد في «العرب» (س ٢٢ ص ٨٢٠) في الأبيات المنسوبة إلى ميسون ابنة بحدل الكلبيّة .

وكلب ينبع الأضياف دوني أحب إلي من هز الدفوف

وقد لاحظ الأستاذ سلمان بن محمد الفيحي أن وصف الكلب بنبحه الأضياف ليس فيه اعتزاز ، والعربي إنما يعتز بجبن كلبه عن أضيافه وقال بأن الرواية المشهورة :

وكلب ينبع الطراق دوني (إلى آخره) .

أَيْنَا الْغَائِب .. أَيُّهَا الْكَاتِب ١٢

تحدث الأخ الكريم الأستاذ عبدالعزيز أنديجاني (جريدة الندوة - الاثنين ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ص ٧) عن غياب من نعتهم بـ (الرواد) عن الساحة الثقافية .

وكرر القول عن ابتعادهم عن الساحة الأدبية ، والمشاركة في الملاحق والمجلات الأدبية والثقافية ، وذكر أسماء هاؤلاء الغائبين عن الساحة ، ومن بينهم اسمي .

قد يكون للأستاذ عبدالعزيز ، من أعماله وشؤونه ما يحول بينه وبين مواصلة الاطلاع على ما ينشر في الصحف ، وخاصة المجلات ، إذ لو كان ذا اطلاع واسع ، لما عجم في حكمه على غياب أولئك الذين سرد أسماءهم عن الساحة الثقافية الأدبية ، ولعله يعذرنى حين أصفه بجهل كثير مما ينشر ، بل حتى ببعض الصحف التي تتولى النشر ، وإن أكل جهله إلى أمر خارج عن طوقه ، فقاري هذا العصر له من مشاغله ما يحول بينه وبين متابعة المجلات الثقافية بالبحث والدراسة ، ويقصره على الاكتفاء بمطالعة ما يقع تحت بصره من الصحف اليومية بطريقة سريعة تتلاءم مع حالة الوقت واحتياج الإنسان إلى السرعة في كثير من أعماله .

وهذا لا يمنعني من أن أهمس في أذن الكاتب الكريم بأن هناك مجلة تدعى « مجلة العرب » بدأت في الصدور من عام ١٣٨٦ هـ ، وهي الآن تدلف إلى عامها الثالث والعشرين ، وقد صدر منها حتى الآن اثنان وعشرون مجلداً بلغت صفحاتها (٢٣٤٧٤) صفحة ، فإذا أضفت إليها من الصفحات (١٢٠٩٧) صفحة لما ألفه صاحبها من المؤلفات دون ما حققه ونشره - يصبح مجموع الصفحات (٣٥٥٧١) صفحة ، فإذا قسمت على أيام السنين منذ عام (١٣٨٦) إلى يومنا هذا ، بما فيها أيام (الجمع والأعياد) خرج لكل يوم (٥) صفحات ، ولك أن تضيف إلى الخمس صفحات هذه صفحات كتب أشرف على طبعها ونشرها وتحقيقها ، تبلغ مجموع صفحاتها في خلال تلك المدة

(٨٧٧٠) صفحة ، بحيث يصبح عدد الصفحات اليومية لهذا الإنسان ، الذي اهتمته بالغياب عن الساحة الأدبية (٦) صفحات . هذه الصفحات ليس من بينها صفحة واحدة إلا وقد قرأها هذا الإنسان ، الذي وجهت إليه تهمة الغياب عن الساحة الثقافية ، قرأها أكثر من ثلاث مرات ، احداها لاعدادها للنشر وثانيتهما لتصحيح تجارب طبعها (البروفات) وثالثتها للتأكد من صحتها بل إن تلك الصفحات قد جرى بها قلم هذا الإنسان مُنِثًا أو مصححاً ، ولك أن تضيف إليها ما ينشر له في مجلات قد تكون أقرب مجلة إليك منها « المجلة العربية » التي لا يصدر جزء من أجزائها منذ أكثر من عام إلى يومك هذا إلا وله فيه كلمة ، وهناك صحف أخرى ، لا أكلفك عناء البحث عنها ، ولكنني آمل ان تكون أنت وأبنائنا من شُدّة الأدب على حالة من الثبوت في كل ما تكتبون . وأن لا ترموا القول جزافاً بدون علم فتظلموا غيركم وتظلموا أنفسكم ، وبذلك تُدَلّلون على جهلكم بما يجري حولكم .

وما أرى إلا أن رغبة التطلع من الأديب الناشئ إلى البروز هي التي تدفعه إلى محاولة الكتابة في موضوعات تحتاج إلى تعمق في الدراسة ، وإلى سعة معرفة ، ولهذا فانا أعذر الكاتب الكريم في تسرعه ، وأتمنى أن يكون في مستقبله أعظم فكرياً ، وأكثر ثباتاً في كل ما يكتب .

وله ولقراء هذه الجريدة الكريمة أطيب تحية ..

حمد الجاسر

المُنْدَسَّة اسم مواضع كثيرة

... أثناء تصفحي لمجلة « العرب » ج ١١ ، ١٢ للجمادين ١٤٠٨ هـ وقفت على عنوان (أُبْلَى وما بقربها من المواضع) - ص ٨٢٧ وص ٨٢٩ - وعند ذكر بعض المياه الشهيرة في أبلى ، وتحت رقم (٧) جاءت كلمة (المندسة) وأنها للمجالدة من الشُّطْر من مُطير ، وتقع في وادي المَزْرَع . انتهى .

وما أعرفه هو أن (المُنْدَسَّة) ليست من المواضع التي تقع شرق المدينة ، إذ هي من المواضع التي تقع إلى الشمال الغربي منها على يسار الذهاب إلى العُلا ، وتقع طريقها قبل قلعة الملييلج ، ولها طريق أخرى بعد قلعة الحفيرة ، والمُنْدَسَّة

لجُهيته، وهي وادٍ يقع جنوب غرب وادي بواط - ذو أرض كثيرة الشجر تنحصر بين عدة جبال . . .

مدير التعليم في النواص : سالم بن مصطفى الحامد

[العرب] :

١ - الدُّسُّ في اللغة إدخال الشيء ، فتقول دَسَسْتُ الشيء في التراب إذا أخفيت فيه فهو يدل على الإخفاء ، ومن ذلك اشتق اسم الفاعل المُنْدَسُّ أي المختفي ، وكذا المُنْدَسَّة التي هي صفة في الأصل ، ثم أطلقت علماً على بعض المواضع التي كثيراً ما تكون مخفية ، إما بين جبال ، أو في أرض منخفضة .
٢ - مما تقدم أطلق اسم المُنْدَسَّة على مواضع كثيرة منها على ما جاء في « المعجم الجغرافي المختصر » من أسماء القرى :

المُنْدَسَّة : بضم الميم وإسكان النون وفتح الدال المهملة والسين المهملة مشددة بعدها هاء - : من قرى الزُّلفي ، في إمارة الرياض .
المُنْدَسَّة - أيضاً : من قرى القُوَيْعِيَّة ، في إمارة الرياض .
المنْدسة : من قرى لِحْيَان ، من هُدَيْل ، بمنطقة الجُمُوم ، في إمارة مكة المكرمة .

المنْدسة : من قرى حرب ، بمنطقة القصيم .
المنْدسة : من قرى القوامز ، بمنطقة الزُّيَمَّة ، في إمارة مكة المكرمة .
المنْدسة : بمنطقة رابغ ، في إمارة مكة المكرمة .
المُنْدَسَّة : من مياه عَنَزَة بطرف حَرَّة خَيْبَر ، من إمارة المدينة المنورة .
المنْدَسَّة : من مناهل الحَزُول بمنطقة لَوَقَّة من إمارة الحدود الشمالية .
مُنْدَسَّة : بضم الميم وهم يفتحونها وإسكان النون وفتح الدال المهملة والسين المهملة مشددة بعدها هاء - من قرى غامد الزَّنَاد ، في تِهَامَة في إمارة الباحة .
٣ - إن تَتَبَّع الأخ الكريم الأستاذ مدير التعليم في النواص لما ينشر في مجلته « العرب » يدل على عناية واهتمام بها ، كما يدل على حرص وتعمق في الأبحاث المتعلقة بتعريف مواضع بلاده ، وهذا من الأمور المحمودة الجديرة بالشكر والتقدير .

تطبيع : أخطاء مطبعية

[وقع في جزء جمادى سنة ١٤٠٨ - السنة الـ ٢٢ من المجلة : تطبيع ، كان للأستاذ الكريم سلمان الفضل في التنبيه عليه والإرشاد إلى مواضعه . ف شكر الله له] :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٧٦	٧	﴿كتاب فصلت آياته عربياً﴾	﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً﴾
٧٧٦	١٥، ١٤	نفس الألفاظ ، نفس الحروف	الألفاظ نفسها ، والحروف نفسها
٧٧٧	٧	الكلام	الكلام
٧٧٩	١٣	كتاب فصلناه	بكتاب فصلناه
٧٨٩	٣ من الأخير	﴿ثم لا تحمدوا لكم علينا﴾	﴿ثم لا تحمدوا لكم علينا به تبيحاً﴾
٨٢٠	آيات ميسون :	وتقر	وتقر : شاهد نحوي على نصب المضارع قراه
٨٣٢	١ . العنوان	قراه	المكرمة
٨٣٣	٣	المرمة	قرى
٨٣٣	١٤	قرا	أبو نبي
٨٣٣	٢ من الأخير	أبو نبي	أسفله
٨٣٥	٣ من الأخير	أسفله	وهل نحن إلا أهل
٨٣٦	١٤	وهل نحن إلا أهل	حلّم الأديم
٨٣٧	٨	حلّم الأديم	سليم
٨٣٨	٦	سليم	حية
٨٣٨	٨	حية	تميم
٨٣٨	١٥	تميم	كريم
٨٣٨	١٧	كريم	مدفارا
٨٣٨	٢١	مدفارا	خولان
٨٣٩	٤ من الأخير	خولان	كل
٨٣٩	١٦	كل	الجزء لوجود باء المتكلم
٨٣٩	السطر الأخير	الجزء	

* توضيح المشتبه :

ألف المؤرخ المحقق محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) كتاب «المشتبه» في معرفة ما يشتبه ويتصحف من الأسماء والأنساب، والكُنى والألقاب، عُوِّل فيه على مؤلفات من تقدمه من العلماء كعبد الغني بن سعيد الأزدي، والأمير ابن مأكولا، وابن نُقْطَة، والفرضي، وغيرهم، والكتاب معروف ومطبوع.

ثم جاء الحافظ أحمد بن علي بن حَجَرِ العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) فرأى في كتاب الذهبي إغواراً في تحقيق الضبط، وفي الاختصار، وفي ما فاته، فحاول إكمال كل ذلك في كتابه المعروف المتداول: «تبصير المتبته بتحرير المشتبه».

وعاصره ابنُ ناصر الدين: محمد بن عبدالله الدمشقي (٧٧٧ - ٧٤٢هـ) فآلف كتاب «توضيح المشتبه» قال عن كتاب الذهبي: (فاوضحت ما أهمله، وبينت ما أهمله، وفتحت ما أقفله، وأفصحت عما أغفله، ورفعت في بعض الأنساب، ونهت على الصواب، مما وقع خطأ في الكتاب) ومع تعاصر العالمين ابن حَجَرِ المصري وابن ناصر الدين الشامي إلا أن كتابيهما لا يغني أحدهما عن الآخر، ففي أحدهما ما ليس في الثاني.

وقد قامت (مؤسسة الرسالة) للصدوق الكريم الأستاذ رضوان دَعْبُول، بنشر كتاب ابن ناصر الدين، بتحقيق الأستاذ محمد نعيم العرقسوسي، فبرز المجلد الأول منه بصورة تبهج الناظر فيه، استيفاءً لمتطلبات التحقيق، وجودة طباعة وورق، في مقدمة ضافية تقع في (١١٣) صفحة، عن موضوع الكتاب، وما أُلِف فيه، وعن المؤلف وكتابه، وعن منهج التحقيق، فجاء الجزء في (٧٠٢) من الصفحات، يضم بابي الألف والباء، وقد صدرت هذه الطبعة

الأولى سنة (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) عن (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت) .

• الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين :

ومن منشورات (مركز البحث العلمي و احياء التراث الإسلامي) في (جامعة أم القرى) كتاب « الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين » تأليف إبراهيم بن محمد المعروف بابن دُقَاق (٧٥٠ - ٨٠٩هـ) بدأ فيه بذكر أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - واستمر يذكر الخلفاء والملوك والسلاطين ، حتى انتهى إلى ذكر حوادث سنة سبع وتسعين وسبع مئة ، في عهد سلطنة الملك الأشرف شعبان من دولة المماليك .

وما كان الكتاب في رأيي بالدرجة التي تحمل (مركز البحث العلمي) على الاهتمام بنشره ، فما هو سوى مختصر يحوي معلومات موجزة في موضوعه . باستثناء ما يتعلق بدولة المماليك ، التي يعتبر ابن دُقَاق ذا صلة بها ، كما يفهم من كلام المقرئ عنه ، الوارد في مقدمة مراجع الكتاب الدكتور أحمد السيد دراج ، وفي مؤلفات المقرئ « السلوك » وابن تغري بردي « النجوم الزاهرة » وفي « بدائع الزهور » لابن إياس ما يُستقلُّ ما في كتاب ابن دُقَاق بالنسبة لما فيها .

أما محققه فهو الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور - انظر « العرب » س ٤ ص ١١٢٤ وس ١٥ ص ٨٠١ - وقد بذلَ جهداً بارزاً فيما أضاف إليه من الحواشي التي ضاعفت حجم الكتاب ، وجعلها تتعلق باختلاف النسخ ، ومنها مالا يخلو من الفائدة .

وفي الكتاب مقدمة ضافية ، للأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج عن المؤلف والمؤلف ، وفي آخره فهرس مفصلة في نحو تسعين صفحة ، وجميع صفحات الكتاب (٥٩٠) صفحة . وطابعته حسنة حروفاً وورقاً ، وليس فيه ذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع ، وهذا من المستغرب حدوثه من مركز للبحث العلمي ، المفروض ان تكون مطبوعاته على خير ما تبرز به أية مطبوعة دقةً واستكمالاً للمناهج النشر العلمي .

المنشآت
بشايح الملك فيصل هانئ ٤٠٢٩١
ص. ب. ١٢٧ الرياض - المملكة العربية السعودية
١١٤١١

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
شايها قذيس تحريرها: محمد الجايسر

للإشتراك (السنوي)
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها الإدارة
ش. الجزء: ١٧ ريال

ج ٦٥٥ من ٢٣ ذوا القعدة والحجة ١٤٠٨ هـ - تموز/آب (يوليو/أغسطس) ١٩٨٨ م

شعر الخطيئة مطبوعاً ومخطوطاً - ١ -

عُني الأستاذ الدكتور نعمان محمد أمين طه بتحقيق « شعر الخطيئة » ونشره ، بعد دراسات مستفيضة ، فكان أن أصدرَ نشرته الأولى سنة (١٣٨٧ هـ - ١٩٥٨ م) بعنوان « ديوان الخطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني » رتبهُ على الموضوعات : - المدح والهجاء والغزل ، ووصف الرحلة والناقة وأغراض أخرى - بعد أن رجع في جمع الشعر لعدد من النسخ مطبوعها ومخطوطها ، وجاءت تلك الطبعة بفهارسها الوافية في (٤٨٨) صفحة .

ثم أعاد تحقيق الديوان ونشره بعنوان « ديوان الخطيئة برواية وشرح ابن السكيت » (١٧٦ / ٢٤٦ هـ) بعد الثبوت من تصويب أخطاء ظهرت في الطبعة الأولى ، معتمداً على مخطوطة في مكتبة عاطف أفندي في تركيا رقمها ٢٧٧٧ وصفها بقوله : (ليس لها نظير في مكتبات العالم) ولم يمسُ ترتيب القصائد في المخطوطة بالتغيير ، كما فعل في طبعته الأولى ، بل التزم ترتيبها ، كما ذكر في مقدمة هذه المنشورة .

وأورد عبارات استدل بها على أن القسم الأكبر مما ورد في المخطوطة من رواية ابن السكيت (المقدمة ص ٩) .

فكان ما اعتبره الأستاذ المحقق من الشعر من رواية ابن السكيت يقع في (٥٢) بين قصيدة ومقطوعة ، وقد استغرق من صفحات الديوان (٢٤٦)

صفحة ، ثم أضاف الدكتور إلى ذلك إضافات وردت في تلك النسخة المخطوطة أبلغت عدد القصائد والمقطوعات إلى (٨٣) في (٣٠٣) صفحات ، أضاف إليها اثنتي عشرة مقطوعة للحطيفة وقال عنها : إنها (برواية السُّكَّري) بلغت (٣١٦) صفحة من المطبوعة .

والحقّ بها شعراً منسوباً للحطيفة من كتب الأدب واللغة وغيرها في (٢٨) قطعة ، خرجها بحيث انتهى الديوان ، بنهاية الصفحة الـ (٣٦٨) تلتها الفهارس المفصلة التي بلغت به إلى (٤١٢) صفحة .

ولاشك أن الجهد الذي بذّله الدكتور في دراسة شعر الحطيفة قد عاد على هذا الشعر بخير العوائد ، فأبرز من مختلف مَظَانِّه ما كان مغموراً ، وقَدِّم للقراء أَوْفَى ذخيرة منه كانت مُبَعَّرَةً في مختلف المصادر ، وسَهِّلَ لغيره من الباحثين سلوك ما يريدون انتهاجَه للبحث والتنقيب عن فائده ، وعما له صلة به من شرح ، ومن هُنا يأتي ما أريد أن أُعَلِّقَ به على منشورة الدكتور الثانية ، حول نسبة ذلك الشعر إلى ابن السُّكَّيت ، روايةً وشرحاً .

لقد كنتُ قبل ستة وعشرين عاماً أطلعت على مخطوطة من شعر الحطيفة ، تحدثت عنها في مجلة « العرب » (س ٣ ص ٣٤٤ ومابعدھا - في جزء شوال ١٣٨٨هـ كانون الثاني ١٩٦٩م) كانت في خزانة كتب الأستاذ خير الدين الزركلي - رحمه الله - وهي الآن بين مخطوطات مكتبة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ويظهر أنها يَمِينَةُ الأصل ، يدلُّ على ذلك ما سُجِّلَ في طُرُفِها من أسماء مالكيها في خلال مدة تقع بين سنتي (١٠٨٢ / ١٢٣٨) .

وبعد استيلاء الأتراك على اليمن في القرن الثالث عشر أو بعده انتقلت إلى اسطنبول ، إذ الأستاذ الزركلي كان اشتراها من كُتَّابٍ تركي ، مشهور باقتناء النواذر من الكتب ، أصيب بِلَوْثَةٍ في عقله وتوفي قبل وفاة الأستاذ الزركلي بخمس سنوات .

تقع هذه النسخة في مجلد تبلغ صفحاته (٣٢٦) مقاس الصفحة (١٨×١١ سم) الكتابة ، والشعر يقع في (٣٢٤) صفحة ، في الصفحة (١١) سطرًا في

الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين هم خير من عباده

غفر الدين

الحسن والكاظم من شعير الخطية

العُتْبَةُ وَاسْمُهُ جَزَوْنُ
بَنُ أَوْسٍ بَنُ جُؤَيْبَةَ

بن محمد بن محمد

بِیْنِ مَمْلُوكِ

العَبِيَّةُ

AYIA.

[illegible]

الحمد لله الذي جعل
العلم نوراً والعبادة
سجدة والعبادة سجدة
والعبادة سجدة

Handwritten text in Arabic script, likely a signature or a note, written diagonally across the page. The text is partially obscured by the binding and the other page's text.

وَصَلَّى عَلَى سَائِرِ الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ وَرَسُولِهِ وَآلِهِ

الغالب ، مكتوبة بخط النسخ الحسن ، والأبيات مميزة بالخط العريض ، والكلمات جميعها مشكلة بالحركات ، ويكثر خطأ الكاتب فَيَحَرِّفُ وَيُصَحِّفُ ، مما يدل على انه ليس ذا علم ، وليس في هوامش النسخة ما يدل على تصحيح أو اطلاع من ذي معرفة ، وليس فيها ذكر تاريخ كتابتها ، وفي آخرها مانصه : (هذا آخر ما وُجِدَ من ديوان الخطيئة ، كتبه محمد بن عبدالله الأمدي ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته) .

ولا يستبعد أن تكون النسخة من مخطوطات ما قبل القرن السادس الهجري كما يبدو من نوع الخط .

وفيه خرم في آخر الورقة الـ (١٥٠) حيث وردت قصة مبتورة ، وفي الورقة التي تليها : (ما وجدته زائداً من شعر الخطيئة في نسخة أخرى والإسناد عن ابن السكيت) .

وليس في النسخة ما يدل على اسم جامع الشعر ، وإنما في طرة المخطوطة : (الجزء الأول من شعر الخطيئة العبيسي ، واسمه جرول بن أوس بن جوية بن مخزوم بن مالك العبيسي) ثم أسماء مُلَّاكِ النسخة ، وفي آخر الصفحة (وصلوات الله وسلامه على عبده ورسوله محمد وآله) وتبدأ الصفحة بعد ذلك بالبسملة ثم : (قال حدثنا ثابت بن أبي ثابت عن الأثرم قال حدثنا أبي عُبَيْدَةَ قال : لما قدم^(١) أبو بكر - رحمه الله - في الرَّدَّة ، وفدَ الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَذْرٍ) وبعد سرد أخبار تتعلق بالخطيئة في سبع ورقات يرد مانصه : (وقال الخطيئة واسمه جرول بن أوس بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر بن نزار يهجو الزُّبَيْرَ قَانُ بْنُ بَذْرٍ بن أمري القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، واسمه حصين ، وإنما سُمِّيَ الزُّبَيْرُ قَانُ لجماله ، شُبَّهَ بالقمر ، وهو الزُّبَيْرُ قَانُ قال أبو بكر : الزُّبَيْرُ قَانُ ذَاةُ القمر ، وهي الهلالة أيضاً ويمدح بغيض بن شَمَّاسِ بْنِ لُأْيٍ ، قال ابن السُّكَيْتِ : وَتَصِيرُ حُطَيْئَةُ تَصْغِيرَ حَطَاةٍ ، وقال : حَطَاةٌ إِذَا ضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا مُلَيْكَةَ :

طَافَتْ أَمَامَهُ بِالرُّكْبَانِ آوَنَةً يَاحُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَاوُتَقَبَا
 قال أبو يوسف : يقال طاف يطوف وهو من الطَّيفِ) . ويستمر إيراد
 الشرح ، وسياق الشعر مشروحاً .

ومن استقراء ماتضمنته يتضح :

أولاً : أنها جمعت بين روايتي الأثرم وابن السكيت ، وهي ثلاثة أقسام :
 من أولها إلى نهاية الصفحة الأولى من الورقة الثالثة عشر بعد المئة (١١٣)
 تحوي تسع قصائد تتفق في ترتيبها مع مافي الديوان المطبوع ، سوى القصيدة
 التاسعة في المخطوطة ، فهي في الديوان الرابعة عشرة . هذه القصائد التسع هي
 على مافي المخطوطة بروايتي الأثرم وابن السكيت يتكرر أسماهما في كثير من
 الصفحات ، كما تتكرر أسماء كثير من مشاهير الرواة كالأصمعي وابن الاعرابي
 وأبي عمرو الشيباني ، وخالد بن كلثوم ، وغيرهم في بيان معاني ذلك الشعر وفي
 روايته . ولعل من المناسب ذكر الأسماء التي تتكرر كثيراً في هذه المخطوطة مع
 الإشارة إلى مواضع ذكرها .

١ - الأثرم : (علي بن المغيرة توفي سنة ٢٣٢) :

ورد باسمه الصريح في أكثر من ثمانين موضعاً منها ، في الأوراق : (١ / ٩ /
 ١٠ / ١٣ / ١٩ / ٢٠ / ٢١ / ٢٢ / ٢٣ / ٢٤ / ٢٥ / ٢٦ / ٢٧ / ٣٢ / ٣٣ /
 ٣٤ / ٣٨ / ٤٠ / ٤١ / ٤٢ / ٤٣ / ٤٤ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٧ / ٤٨ / ٤٩ / ٥٠ /
 ٥٢ / ٥٣ / ٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٨ / ٥٩ / ٦٠ / ٦١ / ٦٢ / ٦٣ / ٦٤ / ٦٥ /
 ٦٦ / ٦٧ / ٦٨ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢ / ٧٣ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ / ٧٨ /
 ٧٩ / ٨١ / ٨٢ / ٨٣ / ٨٥ / ٨٦ / ٨٧ / ٨٨ / ٨٩ / ٩٠ / ٩١ / ٩٢ / ٩٣ /
 ٩٤ / ٩٦ / ٩٩ / ١٠٠ / ١٠١ / ١٠٣ / ١٠٤ / ١٠٥ / ١٠٦ / ١٠٧ / ١٠٨ /
 ١٠٩ / ١١٠ / ١١٣) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ ثَابِتِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ
 حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ لِمَ أَقْدَمَ أَبُو كَسْرٍ حِمَاهُ اللَّهُ فِي
 الرِّدَّةِ وَقَدْ لَزِمَ نِزْقَانُ رَبْدٍ فَسَاقَصَدَ قَابِ عِوَضٍ وَاللَّيْثُ
 وَكَانَ عَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَعْضِ
 الظُّرُوفِ إِلَى الْحُدَاثَةِ وَكَانَ الْخُطْبَةُ اسْوَدَ اللِّسَانِ لِحُلِ
 الْقَوْمِ وَمُلْتَقَا الشَّيْبِ وَهُوَ كَعَدٍ فِي هَدِيمٍ لَهُ أَغْبَرُ وَقَدْ كَانَ
 بَيْنَ النِّزْقَانِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْشٍ مُقَارَضَةٌ وَهُمْ مَا جَاءُوا فَارَادَ
 أَنْ يَسْتَظْهَرُوا بِالْخُطْبَةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُ وَكَانَ كُنْ مَضِيعَةً
 وَأَرَاكَ شَاعِرًا فَلَقًا فَصَلَ لِي لِي خَيْرُ مَوَاسِلَةٍ فَقَالَ أَوْدِي
 قَالَ لِي سَعْدٌ حَتَّى أَتِيكَ فَأَمَّا أَوْدِي هَذَا الصَّدَقَةُ

٢- ابن السكيت : (يعقوب بن إسحاق ١٧٦ - ٢٤٦) :

تكرر اسمه في نحو مئة موضع منها : (٨ / ٩ / ١٠ / ١١ / ١٣ / ١٦ / ١٧ / ١٨ / ١٩ / ٢٠ / ٢١ / ٢٢ / ٢٣ / ٢٤ / ٢٥ / ٢٦ / ٢٧ / ٢٨ / ٢٩ / ٣٠ / ٣١ / ٣٢ / ٣٣ / ٣٤ / ٣٥ / ٣٦ / ٣٧ / ٣٨ / ٣٩ / ٤٠ / ٤١ / ٤٢ / ٤٤ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٨ / ٤٩ / ٥١ / ٥٢ / ٥٣ / ٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ / ٥٨ / ٥٩ / ٦٠ / ٦١ / ٦٢ / ٦٣ / ٦٤ / ٦٥ / ٦٦ / ٦٧ / ٦٨ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ / ٧٨ / ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢ / ٨٣ / ٨٤ / ٨٦ / ٨٧ / ٨٨ / ٨٩ / ٩٠ / ٩١ / ٩٢ / ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٦ / ٩٧ / ٩٨ / ٩٩ / ١٠٠ / ١٠١ / ١٠٢ / ١٠٣ / ١٠٤ / ١٠٥ / ١٠٧ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ / ١١١ / ١١٢ / ١١٣ / ١٥١) .

٣- الأصمعي : (عبد الملك بن قُرَيْبُ توفي سنة ٢١٣) : وهذا يروى عنه الأثرم (٤٢ / ٤٥ / ٧١ / ٧٢ / ٧٣) ، كما يروى عنه ابن السكيت بواسطة التَّوْزِي : (٢٢ / ٩٦) .

ورد اسمه في أكثر من ستين موضعاً منها : (٨ / ٩ / ١٠ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦ / ٢٢ / ٢٧ / ٣١ / ٣٣ / ٣٦ / ٣٧ / ٣٨ / ٣٩ / ٤٠ / ٤١ / ٤٢ / ٤٤ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٧ / ٤٨ / ٤٩ / ٥١ / ٥٢ / ٥٣ / ٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ / ٥٨ / ٥٩ / ٦٠ / ٦١ / ٦٢ / ٦٣ / ٦٤ / ٦٥ / ٦٦ / ٦٧ / ٦٨ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢ / ٧٣ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢ / ٨٣ / ٨٤ / ٨٥ / ٨٨ / ٩٦ / ١٠٦ / ١٠٧ / ١٠٨ / ١١١ / ١٢٣ / ١٢٤ / ١٢٥ / ١٢٦ / ١٢٧ / ١٢٩ / ١٣٠ / ١٣١ / ١٣٢ / ١٣٤ / ١٣٦ / ١٣٧ / ١٣٨ / ١٤٢ / ١٤٩) .

٤- أبو عمرو الشيباني : (إسحاق بن مِرَّار توفي سنة ٢٠٦) ، من شيوخ ابن السكيت .. نقل عنه كثيراً في شرح شعر الخطيئة :

وقد تكرر اسمه في نحو ستين موضعاً منها : (٤ / ٥ / ٨ / ٩ / ١١ / ١٣ / ١٤ / ١٦ / ١٧ / ٢٠ / ٢١ / ٢٢ / ٢٥ / ٣٠ / ٣٤ / ٣٥ / ٣٦ / ٣٧ / ٣٨ / ٤٠ / ٤١ / ٤٢ / ٤٤ / ٥١ / ٥٤ / ٥٧ / ٦٣ / ٦٨ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٣ / ٧٥ / ٧٧ / ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢ / ٨٦ / ٨٧ / ٩٠ / ٩١ / ٩٤ / ٩٩ / ١٠١) .

١٠٢ / ١٠٦ / ١٠٩ / ١١٠ / ١١٤ / ١١٨ / ١٣٦ / ١٣٨ / ١٤٠ / ١٤١ / ١٤٦ .

٥ - ابن الأعرابي : (محمد بن زياد ، توفي سنة ٢٣٠ هـ) ، يروي عنه الأثرم (٣٣ / ٤٩ / ٦٠ / ٦٧) وهو من شيوخ ابن السكيت أيضاً : (٣٠ / ٣٦) .

ورد ذكره في نحو خمسين موضعاً منها : (٩ / ١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ / ٢٣ / ٢٧ / ٣٠ / ٣٣ / ٣٦ / ٣٧ / ٣٨ / ٤٠ / ٤١ / ٤٣ / ٤٤ / ٤٩ / ٥٠ / ٥٤ / ٦٠ / ٦٧ / ٧٣ / ٨٣ / ٨٤ / ٨٦ / ٨٧ / ٨٩ / ٩٧ / ٩٨ / ١٠٣ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ / ١١١ / ١١٤ / ١١٨ / ١١٩ / ١٢٤ / ١٢٦ / ١٣٠ / ١٣١ / ١٣٢ / ١٣٣ / ١٣٥) .

٦ - أبو عبيدة : (مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى : (١١٠ / ٢٢٩ هـ) ، يروي عنه الأثرم وهو تلميذه وناسخ كتبه ، كما في « نزهة الألباء » ونقل عنه ابن السكيت بواسطة التوزي (٢٩ / ٦٦ / ٩٦ / ٩٧) .

له ذكر في نحو ثمانية وعشرين موضعاً منها : (١ / ٤ / ٩ / ٢٩ / ٥٠ / ٥٥ / ٥٧ / ٦٠ / ٦٦ / ٧٦ / ٧٧ / ٨٢ / ٨٦ / ٨٧ / ٩٦ / ٩٧ / ١٠١ / ١٠٢ / ١٠٣ / ١٠٤ / ١٠٥ / ١١٣ / ١١٤ / ١٢٦ / ١٤١) .

٧ - الفراء : (يحيى بن زياد ، توفي سنة ٢٠٧) من شيوخ ابن السكيت وهو يروي عنه في شرح شعر الخطيئة .

وقد ورد ذكره في الورقات : (٨ / ١٤ / ١٧ / ٢٧ / ٣٦ / ٤٨ / ٥٩ / ٨٦ / ٨٩ / ٩٣ / ٩٦ / ١٠٧ / ١٠٨) .

٨ - أبو زيد : (سعيد بن أوس الأنصاري ، توفي سنة ٢١٤) من شيوخ ابن السكيت ، يروي عنه في هذا الكتاب : (٨ / ٢٢ / ٦٦ / ١٠١ / ١٠٢ / ١٠٥) .

٩ - وعن تكرر ذكرهم في هذا الكتاب راوياً وشارحاً لبعض الكلمات اللغوية (أبو بكر) كذا وردت الكنية بدون ذكر اسم وهو يروي عن الباهلي

١٤
قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الْمَدِينَةِ
لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا مِنْ بَابٍ إِلَّا وَجَدَ فِيهِ
مَنْ يَنْتَهِجُ فِيهِ طَرِيقَ عَنَّا وَلَهُ عِلْمٌ بِقَوْلِهِ
وَحَافِ الْجُورَ فَاغْتَبْنَا أَوَّلًا لَمْ يَدْخُلْ عَنَّا وَلَمْ يَجِبْ أَنْ

لَجُورٍ فَيَغْتَبِ أَيُّ يَرْجِعُ

قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ قَوْلُهُ وَحَافِ دَاخِلُ فِي الْجُورِ قِيلَ
فُلَانٌ فِي حَاجَتِهِ ثُمَّ اغْتَبَّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى جِجَعٍ وَقَالَ مِنْهُ
قَوْلُهُ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا مِنْ بَابٍ إِلَّا وَجَدَ فِيهِ
قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ قَوْلُهُ وَحَافِ لَجُورٍ خَافَ
لَنْ يَدْخُلَ فِيهَا مِنْ بَابٍ إِلَّا وَجَدَ فِيهِ

مخزوم وأختها من الجبال والأولاد أي الحج
 وقوله عرض له لذلك الطريق وعنها وعن المجامع وقوله
 لم يثبت عنها يقول خاف الطريق الجوران بعد لم يثبت
 وشمالاً فركب القصد واعتب الجوراي علاه وركبه
 وانشد أبو تمام شعر مثل الأسود اعتبت في المعتب
 والمعتب القصد أي لرمق القصد قال ابن الأعرابي
 إنما ركب ذلك الفشار حتى يقصد إلى الماء ولم يدر
 ويقال اعتب الرجل الطريق قال دار كعبه وقال
 الأصمعي أصل العتاب الرجوع أي والمخف

(٤٩) وعن ابن الاعرابي وحماد (١٢) فهل الكنية لأحد رواة الشعر ممن تقدم ذكرهم ، أم هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٤٤ / ٣٢٣) ولكن هذا متأخر عن عصر شارحي شعر الخطيئة الأثرم وابن السكيت ، وهو مع ذلك ممن رُوِيَ عنه أخبار كثيرة تتعلق بالخطيئة ، وهو يروي عن حماد بن اسحاق^(٣) ، وعن الباهلي أحمد بن حاتم الباهلي ، وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي^(٣) ، وتجد طرفاً من روايته أخبار الخطيئة في « الأغاني » .

لقد وردت الكنية (أبو بكر) في نحو أربعين موضعاً منها : (٧ / ١٢ / ١٦ / ٤٢ / ٤٣ / ٤٥ / ٤٩ / ٥١ / ٥٢ / ٥٤ / ٥٦ / ٥٧ / ٥٨ / ٥٩ / ٦٧ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٦ / ٧٨ / ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ٨٤ / ٨٨ / ١٠٢ / ١٠٣ / ١٠٤ / ١٠٥ / ١٠٦ / ١١٠ / ١١٣ / ١١٩ / ١٢٠ / ١٢٤ / ١٢٩ / ١٣٣ / ١٣٥ / ١٣٩) .

١٠ - خالد بن كلثوم : ينقل عنه ابن السكيت (٣٦ / ٨٨ / ٩١ / ٩٢) .
ورد اسمه في نحو خمسة وعشرين موضعاً منها : (١٣ / ٣٦ / ٣٨ / ٤٠ / ٤٤ / ٦٥ / ٦٦ / ٦٩ / ٧٢ / ٧٦ / ٧٨ / ٨٠ / ٨٢ / ٨٣ / ٨٨ / ٩١ / ٩٢ / ٩٥ / ١٠١ / ١٠٤ / ١٠٦ / ١٠٨ / ١١٠ / ١٢٦) .

ثانياً : من الصفحة الثانية من الورقة الثالثة عشرة بعد المئة (١١٣) إلى آخر الورقة الـ (١٥٠) يظهر أنها من رواية الأثرم خاصة إذ في آخر الصفحة الأولى من الصفحة الـ (١١٣) مانصه : — بعد شرح آخر بيت في القصيدة التاسعة بنصوص منسوبة إلى ابن السكيت وإلى الأثرم وإلى أبي بكر ، ورد في آخر الورقة مانصه : (إلى هاهنا عن ابن السكيت من هذا عن الأثرم خاصة) وفي الصفحة التي تليها : (قال الأثرم : قال أبو عبيدة) الخ . . . ثم لا ذكر لابن السكيت في هذه الأوراق جميعها ، والقصائد في هذا القسم مشروحة مع ذكر اختلاف في بعض الروايات ، حيث يتكرر في الشروح وفي الاختلاف ذكر ابن الاعرابي وأبي عمرو ، وأبي بكر والأصمعي وأبي عبيدة ، ولكن لا ذكر لابن السكيت في هذا القسم ، والشعر في هذا القسم مشروح وقد تتخلله بعض الأخبار ، ومحوي (٣٤) مقطوعة يختلف ترتبها عما يقابلها في الديوان المطبوع ، ومجموع أبياتها في المخطوطة (٢٤٦) وفي المطبوعة (٢٣٦) .

الكبير لا تعاشي وألتر ما يقال في النعام والعوج بعينه
 قوايمها ضاعف خوة فيقول يشتد عليها لا عجايب بالغيث
 انتم يقول يدق ذلك للشيخ من عجايبه وسرون بالغيث
 يمشي على قوايم له تحت قرح لا مح فيه لينظر اليه والديف
 السرعة في المشي سمع لبا سعيد يقول يعني قوايم هذا
 الشيخ انها قد اعرجت وخرت من الكبر فاذا راي هذا
 للعشب لم يصبر ان يمشي على هذه الحال لا يفته به وعجايبه
 ولستخذ الفرح لذلك قال ابو بكر قوله يدق على عوج
 يعني القوايم يقول لعجايبه بالغيث والديف كانه يطير
 على الارض كما تدق الغمامة

هذا البيت من عجايب الامم حاشا

قَالَ الْأَثَمُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ لَمَّا بَرِمَا لَدُنْ جَعْفَرٍ شَارِحٍ عَامِرِ بْنِ الْفُضَلِ

وَعَلَقَهُ بَنُ عُلَانَةَ فِي الرِّيَاسَةِ فَقَالَ عَلَقْتُهُ بَنُ عُلَانَةَ كَلْبِي

فَأَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ وَإِنَّمَا كَانَتْ لِعَمْرٍ فَقَالَ عَامِرٌ أَنَا خَيْرُ مِنْكَ

وَأَحَقُّ بِهَا مِنْكَ وَإِنْ كَانَتْ لِابْنِكَ قَالَ عَلَقْتُهُ لِأَبْلِ أَنَا خَيْرُ مِنْكَ

أَنَا عَفِيفٌ وَأَنْتَ عَاطِرٌ وَأَنَا وَلُورٌ وَأَنْتَ عَاقِرٌ وَأَنَا أُدْنِي

إِلَى رِسْعِهِ مِنْكَ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ أُمُّهُ رَعِيبَةً مِنْ رِبْعِيَّةٍ تَزَالِي

إِلَى حَكْمِ الْجَذَةِ يَتِمَّانِ تَرْضِيَا بِهَرَمِ بْنِ قُضْبَةَ بْنِ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ

فَوَحَلَا إِلَيْهِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَلَاثَ مَائَةِ بَعِيرٍ مَائَةٍ

يُطْعِمُهَا مِنْ رَحْلِ وَمَائِهِ تَقْوَنَ لِلْحَكْمِ وَمَائِهِ يَبْعَثُهَا

لِذَا حَلَمَ لَهُ قَالَ عَامِرٌ لِعَمْرٍ قُلْ قَوْلًا يَفْضُلُنِي عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَبُو

بُرَيْدٍ نَسِخْتُ مِنْ أَخِي عَمَالٍ مَا كُنْتَ لِأَسْبَدَ فَقَالَ وَأَنَا مَا كُنْتُ لِأَسْبَدَ

مع اتفاق في عدد الأبيات في الغالب ، بحيث لم تزد أبيات المخطوطة على (١٠) أبيات ، إذ أبيات المخطوطة (٢٤٦) وأبيات المطبوعة (٢٣٦) بيتاً .
ثالثاً : من الورقة الحادية والخمسين بعد المئة حتى نهاية الصفحة الأولى من الورقة الرابعة والستين بعد المئة وهي آخر النسخة تشتمل على قصائد ومقطعات مسرودة سرّداً بدون شرح ، وقد كتب في أولها : (ما وجدته زائداً من شعر الخطيئة في نسخة أخرى والاسناد عن ابن السكيت) .
ومن تلك القصائد والمقطوعات ما هو مشروح في المطبوعة ، وغريب أن يرد في المخطوطة منسوباً إلى ابن السكيت ، وهو من غرر شعر الخطيئة ، ولا أثر لابن السكيت في شرحه .

أما النقص بين تلك الصفحة وبين ما قبلها حيث يرد خبر مقابلة الخطيئة لعينة البكريّ مبتوراً في آخر الصفحة الثانية من الورقة الخمسين بعد المئة ، فيظهر من مقابلة ما في هذه المخطوطة من الشعر بما ورد في المطبوعة منه ، وسيأتي بيانه .
وهما هو تفصيل ماتحويه المخطوطة من الشعر ، باعتبار ما اتضح من تقسيمها :

[القسم الأول]

وهو مارواه الأثرم وابن السكيت وغيرهما من متقدمي الرواة مشروحاً :

م	المخطوطة		الديوان المطبوع	
	القصيدة أو القطعة	الأبيات	الورقة	القطعة
١	طافت أمامه	وَمُتَنَّبَا ٢٥	٨-٢٣ ب	١
٢	عَفَا مُسْحَلَانُ	جَاذِرَةٌ ٢٨	٢٤/٣٨ ب	٢
٣	أَلَا أَلْ لَيْلٍ	بِرَجِيلٍ ٢٣	٣٨ ب/٣٩ أ	٣
٤	والله ما مَعَشَرُ	بَأَكْيَاسٍ ١٧	٤٩ ب/٥٥ ب	٤
٥	أَشَاقَتَكَ	بَوَاكِرُ ٣٥	١٥٥/٦٧	٥
٦	أَلَا طَرَقَتْنَا	نَجْدُ ١٨	٦٧/٧٣	٦
٧	أَثَرْتُ إِذْ لَاجِي	الْمُتَجَرِّدُ ٣٤	٧٣/٨٥ ب	٧
٨	أَلَا أَبْلِغُ	سَوَاءُ ٤٤	٨٦/٩٩	٨
٩	أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ	بِالزُّفَرَاتِ ٢٢	١٠٠/١١٣	١٤
			٢٣٦	٢٤٦

[القسم الثاني]

عن الأثر خاصة ، كما ورد في المخطوطة الورقة (١١٣) :

م	المخطوطة			الديوان المطبوع		
	القصيدة أو القطعة			القطعة الأبيات الصفحة		
١	أدب وراء	باب	٤	١١٦	٤٠	٢٠٥
٢	تأمل فإن كان	عمر	٢	١١٧	٧٩	٢٩٨
٣	قد وزواني	يكيدان	٣	١٧٧ ب	٥٠	٢٣٨
٤	سيرى أمام	وإذباري	٣	١١٧	٦٠	٢٦٣
٥	قلت لما	قليل	٤	١١٨	٧٨	٢٩٧
٦	إن لا يكن	مهلهل	٣	١١٨ ب	٨٣	٣٠٢
٧	شهد الخطيئة	بالعلم	٥	١١٩	٥٧	٢٥٩
٨	الاقبت أمانه	بظلم	١١	١٢٠	٢٨	١٧٣
٩	لعمري لقد	أريب	٧	١٢٠ ب	٤١	٢٠٦
١٠	لامدحني بمدح	ذهل	٣	١٢١ ب	٦٢	٢٦٥
١١	ما ليجاد	لا تهدي	١	١٢٢	٦	٣١٢
١٢	فلست بمخبو	آل محرم	٨	١٢٢	٢١	١٤٠
١٣	ألا كل أرماح ^(٢)	الغمر	٩	١٢٢ ب	٣٦	١٩٣
١٤	إلى ملك	قبالا	٤	١٢٣ ب	٢٤	٣٣٥
١٥	لعمرك ما دمت	تولت	٥	١٢٤	٢٠	١٣٩
١٦	أني ماضى	والغمر	٢٨	١٢٤ ب	١٣	١٠٤
١٧	يا جفنة ترك	المقترى	٦	١٢٩	٣٨	١٩٨
١٨	يا ندما على سهم	جلي	٣	١٣٠	٣٧	١٩٦
١٩	أذار سلمي	الوظف	١١	١٣٠ ب	١٥	١١٨

[تابع القسم الثاني]

[illegible]

[القسم الثالث]

جاء في المخطوطة الورقة الـ (١٥١) : (ما وجدته زائد من شعر الخطيئة وفي نسخة أخرى والاسناد عن ابن السكيت) :

م	المخطوطة	القصيدة أو القطعة	الأبيات	الورقة	الديوان المطبوع	القطعة	الأبيات	الصفحة
١	جَزَى اللَّهُ	بَغِيضًا	٤	١٥١	٦٦	٤	٢٧٢	
٢	نَأْتِكَ أُمَامَةً	خِيَالًا	٢٩	١٥٣/١٥١	٥٣	٢٩	٢٤٧	
٣	هَلْ تَعْرِفُ	فَالِدَامِ	١٥	١٥٣	١٧	١٦	١٢٤	
٤	أَلَا هَبَّتْ	كِرَاهَا	١٩	١٥٤	٩	٢٢	٩٥	
٥	عَفَا تَوَامٌ	جَمَائِلُهُ	١٣	١٥٤/ب١٥٥	١٨	١٥	١٣١	
٦	أَمِنْ رَسْمٍ	وَكَيْفُ	١٨	١٥٥/ب١٥٦	٢٧	١٨	١٦٦	
٧	قَدْ نَامَ	الْأَرْقَا	٢٢	١٥٦/ب١٥٧				
٨	نَظَرْتُ عَلَى	وَوَاشِلٍ	٢٣	١٥٧/١٥٨	٤٩	٢٣	٢٢٩	
٩	يَا عَامٍ قَدْ كُنْتُ	أُمَمٌ	٧	١٥٨/ب	٧٤	٧	٢٨٧	
١٠	عَرَفْتُ مَنَازِلًا	وَالشَّوِيِّ	١٩	١٥٨/ب١٥٩	٢٩	١٩	١٧٦	
١١	قَالَتْ أُمَامَةٌ	إِلَى قُلُلٍ	٧	١٥٩/ب١٦٠	٣٠	٧	١٨٣	
١٢	أَخَقَّ أَبَا	تَنَفَّعَ	٣	١٦٠	٣٢	٣	١٨٨	
١٣	يَا لَيْتَ كُلِّ خَلِيلٍ	الْبَشْرِ	٥	١٦٠/ب	٣١	٥	١٨٦	
١٤	تَنَحَّى فَاجْلِسِي	الْعَالِيْنَا	٣	١٦٠/ب	١٠	٤	١٠٠	
١٥	جَزَاكَ اللَّهُ	الْبَيْنِ	٣	١٦٠/ب	١١	٤	١٠١	
١٦	أَطُوفُ مَا أَطُوفُ	لَكَاعٍ	٢	١٦١	١٨	١	٣٣٠	
١٧	وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ	الْمَجْلِسِ	٥	١٦١/ب١٦١	١٢	٩	١٠٢	
١٨	فَبِحَ الْإِلَهِ	أَفْسَدُوا	٥	١٦١/ب	٣٣	٥	١٨٩	

[تابع القسم الثالث]

م	القصيدة أو القطعة	الأبيات	الورقة	المخطوطة	الديوان المطبوع
					القطعة . الأبيات الصفحة
١٩	خِذْتُ إِلَهِي	مَهْرَبَا	٣	١٦١ ب	٤٢ ٣ ٢٠٨
٢٠	كَيْفَ الْهَيْجَاءُ	تَأْتِي	٥	١٦٢	٧٧ ٥ ٢٩٥
٢١	أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَارَ	امتناع	٨	١٦٢/١٦٢ ب	١٩ ٨ ١٣٧
٢٢	قَوْمِي بَنُو عَمْرُو	عالم	٣	١٦٢ ب	٦١ ٣ ٢٦٤
٢٣	لَقَدْ بَلَغَ الشِّفَاءُ	رياح	٥	١٦٢ ب/١٦٣	٦٥ ٥ ٢٦٩
٢٤	أَبْتَ شَفَتَايَ	قَائِلُهُ	٢	١٦٣	٢١ ٢ ٣٣٣
٢٥	أَلَمْ تَرَ أَنَّ	بَرَّاحَا	٤	١٦٣	٦٨ ٤ ٢٧٥
				٢٣٢	٢٢١
مجموع الشعر في المخطوطة				في المطبوعة	
القسم الأول :				٢٤٦	٢٣٦
القسم الثاني :				٢٣٩	٢٥٠
القسم الثالث :				٢٣٢	٢٢١

رواية ابن السكيت وشرحه في المطبوعة :

ولقد أتضح من مقابلة هذه المطبوعة من هذا الديوان المعنون بـ « ديوان الخطيئة » برواية وشرح ابن السكيت بالمخطوطة التي تقدم وصفها ، اتضح من الأمور :

الأمر الأول : القصائد والمقطوعات التي ذكر المحقق الكريم (ص ٣٧٥) أنها من رواية يعقوب تبلغ (٥٢) من أول الديوان إلى الصفحة الـ (٢٤٧) وهي في المخطوطة ينقصها إحدى عشرة ، هي : (٢٣ / ٢٦ / ٣٤ / ٤٣ / ٤٤ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٧ / ٤٨ / ٥١ / ٥٢) مجموع أبياتها (٩٥) ومن هذه المقطوعات ستة عشر

ثُمَّ مَضَى فِي مَا حَتَّى لَنِي عَلَى الْخَرَمِ مَا نَقَالَ سَعِيدٌ مَوْلَى أَبِي نَقُولُ هَذَا قَالَ عُبَيْدُ
 بْنُ الْأَبْرَصِ لَخُونِي لُسْدٍ قَالَ سَعِيدٌ وَجَلْتُمْ مِنْ قَالَ وَاللَّهِ لِحُسَيْنٍ لِي
 عِنْدَ بَغْيَةٍ أَوْ رُسْبَةٍ أَدْخَلْتُ وَضَعْتُ لِحَدِي رِحْلِي عَلَى الْخَرَمِ ثُمَّ رَفَعْتُ
 عَقْبَتِي نَعْوَيْتُ فِي الْأَقْوَالِ لِمَا يَعْوِي الْفَضِيلُ الصَّادِرُ قَالَ مِمَّا أَنْتَ
 لِلَّهِ لَبُوكُ قَالَ أَنَا لِحُجْرِيَّةٍ تُرْجَبُ بِسَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ وَلَيْسَ لَكَ لَفْزَاتُ
 بَلَمَّا نَكَدَ نَفْسُكَ مَذَلَّةً فَلَمَّا أَصْبَحَ سَعِيدٌ كَسَاهُ وَجْهَهُ وَحُسَيْنٌ جَانِبَهُ
 قَالَ الْحُسَيْنُ مِنْ شُعْبٍ سَمِعْتُ بَنِي إِسْرَافِيلَ يَقُولُ كَانَ عَيْنَتُ الْمَكْرِي
 يَصْنَعُ لِلْمَعْرُوفِ لِي غَيْرَ لَهُلَهُ فَمَا هَذِهِ الْحُصِيَّةُ فَقَالَ لَهُ عَيْنَتُهُ يَا أَبَتِي
 مِنْ أَسْخَرِ النَّاسِ قَالَ الَّذِي يَقُولُ ۝ شَعْرٌ

وَمِنْ صَنِيعِ الْمَعْرُوفِ مِنْ حَوْلِ عَرَضِهِ بَعْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ شَيْئًا
 قَالَ لِحُسَيْنٍ يَا أَبَتِي مَا هَذِهِ الْحُصِيَّةُ فَقَالَ يَا أَبَتِي مَا هَذِهِ

مَا وَجَلَّهَ زَيْدٌ مِنْ شَعْرِ الْحُطَيْيَةِ

بِأُتْحَةٍ أُخْرَى وَلِلْإِسْنَادِ عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ

وَقَالَ الْحُطَيْيَةُ ٥

جَزَّ لِلَّهِ خَيْرٌ لَوْ لَجَزَّ أَبُكَّةٌ عَلَى خَيْرِ مَا يَجْزِي الرِّجَالَ بَغِيضًا

فَلَوْ شَاءَ أَذْيُنُهُ صَدَفَ بُلَيْمٌ وَمَا دَفَّ مَنَا فِي الْبِلَادِ عَمْرِيضًا

كَذَلِكَ خِثِّي اسْتَقَامَتْ قَنَا تَأْفُفُنَا وَالْقَيْنَا إِلَيْهِ جَرِيضًا

وَكُلَّ كَذَاتِ الْعُشِّ حَادَتْ بَغِيضًا لَفَرْجِهَا خِثِّي أَطْفَنُ هَوْضًا

قَالَ لَمَّا قَالَ الْحُطَيْيَةُ ضَبْدَةً لَلَّتِي فِيهَا دَعَى لِلْمَكَارِ لِرَجُلٍ لِبَغِيضَتِهَا

اسْتَعِيدَ عَلَيْهِ لِلزَّنْفَانِ لِلْعَمْرِ لِلْخَطَابِ فَقَالَ عَمْرٍو مَا ذَلَعَالُكَ قَالَ

دَعِ الْمَكَارِ لِرَجُلٍ لِبَغِيضَتِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِسُلَاطِمِ الْكَاسِي قَالَ عَمْرٍو لِلَّهِ تَالِ

لِلَّهِ تَالِ الْخَمِيرِ لِلزُّبَيْرِ لِعِثَانِ حَتَّى تَبْلُغَ بِلَاسِي

هي في المخطوطة من رواية الأثرم وهي : (١٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦ / ٢٠ / ٢١ / ٢٢ / ٢٤ / ٢٥ / ٢٨ / ٣٦ / ٣٧ / ٣٨ / ٣٩ / ٤٠ / ٤١ / ٥٠) .

وأضاف المحقق (٣٢) مقطوعة ، قال عنها : انها من رواية ابن السكيت (ص ٣٨٢) وفي المخطوطة منها (٢٠) والمفقود (١١) هي : (٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٨ / ٥٩ / ٦٣ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٣ / ٨٠) ومجموع أبياتها (٨٨) بيتاً .

ومن تلك المقطوعات الواردة في المخطوطة (١٢) عَدَّهَا المحقق من رواية ابن السُّكَيْت ، وهي في المخطوطة من رواية الأثرم وهي : (٥٧ / ٦٠ / ٦٢ / ٦٤ / ٦٧ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٨ / ٧٩ / ٨١ / ٨٢ / ٨٣) أي إنَّ المقطوعات والقصائد التي أضاف المحقق روايتها إلى ابن السكيت وأبلغها (٨٣) كما في (ص ٣٨٢) منها (٢٨) هي من رواية الأثرم لا ابن السُّكَيْت ، وقد فَرَّقَ جامع الشعر في المخطوطة بين الاثنين في الرواية ، فبعد أن أورد ما يتفقان على روايته في الغالب ، أفرد ماهو من رواية الأثرم ، من الورقة الـ (١١٣) إلى الورقة الـ (١٥٠) بهذه العبارة : (إلى هاهنا عن ابن السُّكَيْت ، من هذا عن الأثرم خاصة) .

قد يُفْهَمُ من هذه الجملة أنَّ ما قبلها من رواية ابن السُّكَيْت وَخِذِهِ ، والواقع أنه من روايته ومن رواية غيره ، فقد وردت هذه الجملة في الصفحة الأولى من الورقة الـ (١١٣) في شرح البيت الثاني الوارد في المطبوعة (ص ١١٨) بهذا النص مع شرحه :

فَظَلَّ بِهِ الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ فَانِيَا يَدِفُّ عَلَى عُوجٍ لَهُ نَخِرَاتٍ
يَدِفُّ : كانه يُسْرِعُ وَيَمْشِي وفيه إبطاءٌ لِكِبَرِهِ ، وفي الحديث : يَدْفُونُ إِلَيْكَ
دُفُوفَ النُّسُورِ ، أي يُسْرِعُونَ . وَعُوجٌ : قوائم . ونَخِرَاتٍ : أي قد بَلَّيْتُ قوائمَهُ
مِنَ الْكِبَرِ لِأَنَّهُ لَا مُخَّ فِيهِ .

والبيت في المخطوطة في الورقة الـ (١١٢) ب) :

يَظْلُ بِهَا الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ فَانِيَا يَدِفُّ عَلَى عُوجٍ لَهُ نَخِرَاتٍ

وشرحه في المخطوطة بهذا النص : ابنُ السُّكَيْت : يَظْلُ بِهَا : يعني بالتَّلَاعِ

يقول : الشيخ الذي قد فني كبراً وأيس من الحياة ولا يُعجبه شيء إذا رأى هذا العشب استبشر بذلك ، فقام عجلان لينظر إليه ، والشيخ تجمع شيخان ، يقال شيخ وشيخان ومشيوخاء ومشايخ وشيوخ وشيخة ومثل شيخ وشيخة عقم وعقمة .

وهو يدف هو مشي الكبير لارتعاش ، واكثر ما يقال في النعام ، والعوج : يعني قوائمه ، انها ضعاف نخرة فيقول : يشتد عليها لإعجابه بالغيث .

أثرم : يقول يدف ذلك الشيخ من إعجابه وسروره بالغيث ، يمشي على قوائم له نخرة لا تمخ فيه ، لينظر إليه والدّيف السرعة في المشي ، سمع أباسعيد يقول : يعني قوائم هذا الشيخ قد اعوجّت ونخرت من الكبر ، فإذا رأى هذا العشب لم يصبر أن يمشي على هذه الحال لأنّقه به وإعجابه ، واستخفه الفرخ لذلك ، قال أبو بكر : قوله والدّيف كأنه يطير على الأرض كما تدف النعامة . تمت (إلى هاهنا عن ابن السكيت ، من هذا عن الأثرم خاصة) الورقة الـ (١١٣ ب) (قال الأثرم : قال أبو عبيدة) ثم أخبار وأشعار ليس فيها ذكر لابن السكيت .

أما المقطوعات التي أضافها المحقق باعتبارها مما انفرد السكري بروايتها وتبلغ (١٢) من (ص ٣٠٧ إلى ص ٣١٦) ففي المخطوطة منها خمس منسوبة روايتها إلى الأثرم وهي : (٣ / ٦ / ٩ / ١١ / ١٢) مع الاختلاف في رواية بعض الأبيات .

وفي المقطوعات المنقولة من الكتب المختلفة وهي : (٢٨) بين صفحة (٣١٩ إلى ٣٣٨) فائتان منها هما : (٢٤ / ١٨) وردتا في المخطوطة .

الأمر الثاني : القصائد والمقطوعات التي يشترك الراويان الأثرم وابن السكيت في روايتها قد يقع اختلاف بينهما في رواية بعض الأبيات ، ولهذا فليس كل ما في المطبوعة مما تقدمت الإشارة إليه من رواية ابن السكيت ، ومن أمثلة ذلك :

١ - ص ٧ - البيت :

قَدْ أَخْلَفَتْ عَهْدَهَا مِنْ بَعْدِ جَدِّهِ

ورد في المخطوطة (١٠) : لم يَرَوْه أَبُو عمرو وابنُ السُّكَيْتِ .

٢ - ص ٦٣ - البيت :

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَمَا هَجَدُوا هِنْدُ

ورد في المخطوطة (٦٧) : لَمْ يَرَوْه ابْنُ السُّكَيْتِ ، ورواه الأثرم .

٣ - ص ٦٤ - البيت :

وَإِنَّ الَّتِي نَكَبْتُهَا عَنْ مَعَاشِرِ

في المخطوطة (٦٨) : هذا أولها في رواية أبي عمرو وابنِ السُّكَيْتِ . وإِذْنُ فَالْبَيْتَانِ
الَّذَانِ قَبْلَهُ لَيْسَا مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ السُّكَيْتِ ، وفي المطبوعة - ٦٤ - ما يؤيِّدُ هذا .

٤ - وفي ص ٧٠ :

هاهنا بيتان لم تكن في كتاب أبي يوسف وهو هذا :

إِذَا شِئْتُ بَعْدَ النَّوْمِ أَلْقَيْتُ سَاعِدِي عَلَى كَفَلِ رِيَّانٍ لَمْ يَتَّخِذْ

ثم شرحه وبعده بيت آخر مشروح .

وهما في المخطوطة (٧٦) بهذا النص :

وَإِنْ شِئْتُ بَعْدَ النَّوْمِ أَلْقَيْتُ سَاعِدِي عَلَى كَفَلِ رِيَّانٍ لَمْ يَتَّخِذْ
لَهَا طَيْبُ رِيَّا إِنْ نَأْتَيْ وَإِنْ دَنَتْ دَنَتْ وَغُثَّةٌ فَوْقَ الْفِرَاشِ الْمُهْدِ

رَوَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْنُ السُّكَيْتِ وَلَمْ يَرَوْهُمَا الْأَثَرَمُ . ابْنُ السُّكَيْتِ :

الرياء : الريح ، الوعثة : الرملة السهلة تُشَبَّهُ الْمَرْأَةَ فِي تَرْجُوجِ لَحْمِهَا بِهَا .

٥ - ص ٨٩ - أورد المحقق في الحاشية البيت :

وَأَنَّ سَنَاءَهُمْ لَكُمْ سَنَاءٌ

قائلا : إِنْ السُّكْرِيُّ انْفَرَدَ بِهِ .

ولكن ورد في المخطوطة (ص ٩٣) رواه ابنُ السُّكَيْتِ ، لَمْ يَرَوْهُ الْأَثَرَمُ .

ولا يتسع المجال للاسترسال بذكر كل ما ثبت أن كثيراً من الشعر الوارد في مطبوعة هذا الديوان ليس من رواية ابن السكيت .

الأمر الثالث : والقول في الشرح هو كالقول في الرواية ، فكثير مما ورد في شرح الأبيات لا يتفق مع ما نص عليه في المخطوطة أنه من شرح ابن السكيت ، والأمثلة على ذلك لا تستدعي التعمق في البحث بل تبرز في كثير من صفحات القسم الأول من المخطوطة — ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - ص ٣٢ - البيت :

أَلَمْ أَكُ مِسْكِينًا إِلَى اللَّهِ رَاغِبًا

قال : المسكين الذي لا شيء له ، والفقير : الذي له بُلْغَةٌ من العيش ، واحتج بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ . قال : وقلتُ لِأَعْرَابِيٍّ : أَفْقِيرُ أَنْتَ ؟ قال : لا والله ! بَلْ مِسْكِينٌ .

وقوله : (عَلَى رَأْسِهِ أَنْ يَظْلَمَ النَّاسَ زَاجِرُهُ) . قال أَبُو عَمْرٍو : أَي يَزْجُرُهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا . وقال الْأَصْمَعِيُّ : عَلَى رَأْسِهِ تَقْوَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ . ابن الأعرابي : عَنَى بِالزَّاجِرِ : شَيْئُهُ . انتهى ما في المطبوعة .

وفي المخطوطة الورقة الـ (٢٧ ب) قال ابن السكيت : المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي^(٥) بُلْغَةٌ من العيش ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ قال : وحكي لي عن يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ : أَفْقِيرُ أَنْتَ ؟ قَالَ : لا والله بل مسكين .

قال أبو جعفر : نَشَدْنَا^(٦) لِلرَّاعِي :

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حُلُوبُهُ وَفَقَّ الْعِيَالِ فَلَمْ يَتْرِكْ لَهُ سَبْدٌ
وقوله : (عَلَى رَأْسِهِ أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ زَاجِرُهُ) أَي يَزْجُرُهُ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا ، وقال الْأَصْمَعِيُّ : عَلَى رَأْسِهِ تَقْوَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا . قال ابن الأعرابي : عَنَى بِالزَّاجِرِ الشُّيْبُ ، يَقُولُ : يَنْهَانِي شَيْبِي عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ :

القول عندي ما قال ابن الأعرابي ، وروى الأصمعي بعد هذا بيتاً لم يرووه خالد ولا أبو عمرو .

الأثرم يقول : كنت مسكيناً طالب خير يزجرني الإسلام عن شتم (ثم سطر لم يتضح في التصوير) وقال أبو عمرو : وقوله : (على رأسه) أي على رأسه تقوى الله والإسلام فهو يمنعه أن يظلم الناس ، وقال مرة أخرى : ذلُّه يمنعه أن يظلم الناس .

٢ - ص ١٠ - البيت :

هَلَّا التَّمَسَّبَ لَنَا إِنْ كُنْتُ صَادِقَةً

قال عُمَارَةُ : الْخُرْجُ عَنْ يَسَارِ الْقَبِيلَةِ مِنَ اللَّهَابَةِ لِهَايَةِ بَنِي كَعْبِ بْنِ الْعَنْبَرِ ، وَهِيَ أَسْفَلُ الصَّغَانِ ، وَالْخُرْجُ لِبَنِي كَعْبٍ ، وَيُرْوَى بِالْخُرْجِ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ الْيَمَامَةِ . وَالنَّشَبُ : الْمَالُ الْقَلِيلُ . وَرَوَى غَيْرُهُ :

هَلَّا اكْتَسَبْتُ لَنَا إِنْ كُنْتُ صَادِقَةً

قوله : فَيُسْكِنُنَا : أَي نَسْكُنُ لَهُ وَنَعِيشُ .

وفي المخطوطة الورقة الـ (١٦ ب) : قال ابن السكيت : سَمِعْتُ عُمَارَةَ يَقُولُ : الْخُرْجُ عَنْ يَسَارِ الْقَبِيلَةِ مِنَ اللَّهَابَةِ لِهَايَةِ بَنِي كَعْبِ بْنِ الْعَنْبَرِ ، وَهِيَ بِأَسْفَلِ الصَّغَانِ ، قَالَ : وَالْخُرْجُ لِبَنِي كَعْبٍ هَذَا مَاضِي ، وَالْخُرْجُ قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ الْيَمَامَةِ .

أثرم : وَيُرْوَى : (هَلَّا سَأَلْتُ لَنَا) . النَّشَبُ : الْمَالُ الْقَلِيلُ ، وَهُوَ الْعُلُقَةُ ، وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ : (مَا لَأَ فَيُسْكِنُنَا بِالْخُرْجِ أَوْ نَشَبًا) أَي قَرَابَةً ، يَكُونُ مَعَهُمْ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْخُرْجُ وَالْخُرْجُ جَمِيعًا ، فَأَمَّا الْخُرْجُ فَقَرْيَةٌ بِالْيَمَامَةِ ، وَالْخُرْجُ بِعُنَيْزَةِ خَلْفِ الْقَرَبَتَيْنِ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ ، انْتَهَى مَا فِي الْمَخْطُوطَةِ مِنْ شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَأُورِدْتُ هَذَا لِتَبْضُحِ مِنْهُ أَنَّ عُمَارَةَ مِنْ شَيْوخِ ابْنِ السَّكَيْتِ ، فَقَدْ أَشَارَ مُحَقِّقُ الدِّيَوَانِ الدُّكْتُورُ نَعْمَانُ فِي الْمَقْدَمَةِ ص (١١) إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِ عَنِ يَقْلُ ذِكْرِهِمْ فِي الْمَخْطُوطَةِ ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّهُ مِنْ شَيْوخِ ابْنِ السَّكَيْتِ

عند ذكرهم ، ويدل على هذا أيضاً ما ورد في شرح البيت الـ (١٤) من هذه القصيدة البائية حيث ورد في المخطوطة مما لم يرد في المطبوعة الورقة (١٨ ب) ابن السكيت : قال عُمَارَةُ : الْعَيْصُ مِنَ الْعَوْسَجِ ، وَالسُّدْرُ ، وَالسَّلْمُ ، وَمِنْ الْعِصَاهِ كُلِّهَا إِذَا اجْتَمَعَ وَتَدَانَى وَالتَّفْتُ ، وَالْجَمْعُ عَيْصَانُ قَالَ : وَهُوَ مِنَ الطَّرْفَاءِ الْغَلِيظَةِ^(٧) ، وَمِنْ الْقَصَبِ الْأَجْمَةُ قَالَ : وَسَمِعْتُ الْكِلَابِيَّ يَقُولُ : الْعَيْصُ النَّابِتُ بَعْضُهُ فِي أَصْلِ بَعْضٍ ، يَكُونُ مِنَ الْأَرَاكِ وَالسُّدْرِ وَالسَّلْمِ — إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ .

٣ — ص ٣٧ — البيت :

عُذَافِرَةٌ حَرْفٌ كَانَ قَتُودَهَا عَلَى هِقْلَةٍ بِالشَّيْطَانِ جَفُولِ
الْعُذَافِرَةُ : الشديدة . وَالْحَرْفُ : الضامر ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو : الْحَرْفُ : الشديدة الْقُلْبَةُ ، شَبَّهَتْ بِحَرْفِ الْجِبَلِ لَصَلَابَتِهَا وَشِدَّتِهَا .

وَالْقُتُودُ وَالْأَقْتَادُ : عِيدَانُ الرَّحْلِ ، وَاجِدَهَا قِتْدٌ ، عَلَى الْقِيَاسِ .

هِقْلَةٌ : نَعَامَةٌ ، وَالشَّيْطَانُ : مَوْضِعٌ .

وَجَفُولٌ : ذَاهِبَةٌ مَسْرَعَةٌ ، يُقَالُ : جَفَلَتِ الرِّيحُ وَأَجْفَلَتْ .

غَيْرُهُ قَالَ : وَيُرْوَى : عَلَى جَوْنَةٍ : وَهِيَ النَعَامَةُ أَيْضاً ، وَهِيَ السَّوْدَاءُ . قَالَ : وَالْحَرْفُ الصَّلْبَةُ .

وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ الْوَرَقَةُ الـ (٤١ ب) ابْنُ السَّكَيْتِ ، عُذَافِرَةٌ : شديدة — الْحَرْفُ : الضامر — وَالْقُتُودُ وَالْأَقْتَادُ : وَهِيَ عِيدَانُ الرَّحْلِ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : لَا وَاجِدَ لَهَا ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : يُقَالُ قِتْدٌ ، وَأُخْسِبُهُ صَنْعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ ، لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْهُ فِي الشَّعْرِ ، وَالْهِقْلَةُ : النَعَامَةُ ، وَالشَّيْطَانُ مِنْ رَوَى بِالْظَّاءِ وَالطَّاءِ — مَوْضِعٌ ، وَجَفُولٌ : أَيُّ ذَاهِبَةٍ مَسْرَعَةٍ يَقُولُ فِيهَا لَعْنَتَيْنِ^(٨) يُقَالُ : جَفَلَتْ الرِّيحُ وَكَذَا وَأَجْفَلَتْ ، إِذَا أُسْرِعَتِ الذَّهَابُ بِهِ . قَالَ الْأَثَرُمُ : رَوَى الْأَصْمَعِيُّ : (كَانَ قَتُودَهَا عَلَى خَاضِبٍ بِالْأَوْعَسَيْنِ) . وَالْحَرْفُ الضَّامِرُ يُقَالُ : كَأَنَّهَا حَرْفٌ سَيْفٍ فِي مُضِيئِهَا ، وَيُقَالُ : كَأَنَّهَا حَرْفُ جَبَلٍ فِي صَلَابَتِهَا ، وَالْخَاضِبُ الظَّلِيمُ

الذي أكل الخُضْرَةَ فَاحْمَرَّتْ ساقاه ، ويقال : أَخْضَبَتِ الْأَرْضُ أَيِ اخْضَرَّتْ ،
وهيئة : نعامه .

قال أبو بكر : الشَّيْطَانِ موضع كأنه أضاف إليه ماحوله ، فقال الشَّيْطَانِ .

٤ - ص ٨٥ - البيت :

فَلَا وَأَيْبِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعَ

إلى هاهنا من غير يعقوب .

أصل الظلم كله وَضَعَ الشَّيْءِ في غير موضعه ، فمنه قولهم : مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا
ظلم ، أي فما وضع الشَّيْءِ في غير موضعه . ومنه قوله : (ظَلَامُونَ لِلْجُزْرِ)
وضَعُوا النُّحْرَ في غير موضعه ، ومنه : ظَلَمَ وَطَبَهُ : إِذَا سَقَى مِنْهُ قَبْلَ أَنْ
يُمَخِّضَ . ومنه : أَرْضٌ مَظْلُومَةٌ : إِذَا حُوِّضَ فِيهَا في غير موضع تحويض .

فَلَا وَأَيْبِكَ : يمينٌ ، كما تقول : لا والله . قال : ويروى :

فلا والله ما عُيِنْتَ قُرَيْعَ

وفي المخطوطة الورقة الـ (٨٨) ابن السكيت قوله :

فَلَا وَأَيْبِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعَ

أي طلبوا ماليس لهم أن يبنوا المكارم ، وقال : قال الأصمعي : الظلم كُلُّهُ
أصلُهُ وَضَعَ الشَّيْءِ في غير موضعه ، ومنه قولهم : مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، أي
ما وضع الشَّيْءَ في غير موضعه ، قال : ومن الأمثال : إِنَّهُ لَا ظْلَمَ مِنَ الْحَيَّةِ ،
وذلك أنها تدخل في غير جُحْرِهَا ، قال : وَيَجِيءُ ظَلَمَ في مواضع بمعنى مَنَعَ ،
قال : حكى لنا الفراء عن أبي ثروان وغيره : مَا ظَلَمَكَ أَنْ تَقِي ، أي ما منعك ،
ومنه قوله عز وجل : ﴿ كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أي تمنع والله
أعلم والظلم في غير هذا أَنْ تُسْقِيَ مَنْ وَطَبَكَ قَبْلَ أَنْ يَرُوبَ ، ويقال : قد
ظلمها ، إذا انتهى منها إلى موضع لم يكن ينتهي إليه ، قال ابن الأعرابي : إذا

كان بالجمال نُقَبَةً قَالُوا لِلَّذِي يَهْتَوُهُ : اظْلِم ، أي اطلِ مَا حَوْلَهَا لِئَلَّا تَفْشَى ،
وَأَنشُد :

يَشْجُ رَأْسُ الْأَمْعَزِ الْمَظْلُومِ شَجُّ الْفَوَارِي وَسَطَ الْأَدِيمِ
والمظلوم : الرمل الذي قد اتَّخَذَ فِيهِ الطَّرِيقُ ولم تَكُنْ ، وكذلك الْجِبَالُ .
أثرم : يقول : مَا ظَلَمْتُ قَرِيعَ أَنْ وَضَعْتُ الْأَمْرَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَبَنَيْتُ الْمَكَارِمَ ،
يَقَالُ : مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، أَيِ فَمَا عَدَا أَنْ وَضَعَ الشُّبَّةَ فِي مَوْضِعِهِ ، يَقَالُ :
ظَلَمَ الرَّجُلُ سِقَاءَهُ إِذَا تَخَصَّصَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ .

٥ - ص ٩١ - البيت :

لَعَمْرُكَ مَا رَأَيْتُ الْمَرْءَ تَبَقَّى طَرِيقَتُهُ وَإِنْ طَالَ الْبَقَاءُ
يقول : لَا تَبَقَّى طَرِيقَتُهُ وَهِيَ حَالُهُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مِنْ شَبَابٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ
غِنَى ، لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رَيْبِ الْمُنُونِ .

وفي المخطوطة الورقة الـ (٩٤ ب) قال ابن السكيت : قال أبو عمرو : يريد
طريقته التي كان عليها يعني الشَّبَابَ ، وَالطَّرِيقَةُ مُلْكٌ وَسُلْطَانٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ وَيَذَهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ أي المستقيمة ، والطريقة : الدِّينُ مِنْ قَوْلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أي عَلَى الْهُدَى ، وَيَقَالُ :
وَقَوْلُهُ : ﴿ طَرِيقٌ قَدَدَا ﴾ أي أَدْبَانُ شَيْءٍ ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَمْثَلُهُمْ
طَرِيقَةً ﴾ أي حَالٌ ، وَكَذَلِكَ كَانَ خَالِدٌ يَقُولُ فِي هَذَا الْبَيْتِ : مَا رَأَيْتُ الْمَرْءَ تَبَقَّى
حَالَهُ قَالَ لَيْبِد :

وَأِنْ يُسْهَلُوا فَالْسهْلُ حَظِي وَطَرْقِي وَإِنْ يُجْزَوْنَا أَرْكَبَ بِهِمْ كُلَّ مَرْكَبٍ

طُرْقِي : أي عادي ، ويُقال : رَجُلٌ طُرْقَةٌ : أي أحمق ، والطريقة : الزَّمانَةُ (٩) ،
ويقال : إِنْ نَحَتَ طَرِيقِيَّ لِعِنْدَاوَةٍ^(٨) ، وهذا مثلٌ ، ومثله : مَخْرَنْبَقٌ لِيَنْبَاعٍ ،
وبعضهم لِيَنْبَاقٍ : أي ليأتي ببقائه^(٩) ، يضرب مثلاً للذي تراه يقضى عليه بالغفلة
وعنده حَزْمٌ وَجَلْدٌ ، ويقال منه طَرِيقَةٌ وَطُرْقَةٌ ، وَالْمَخْرَنْبَقُ اللَّازِقُ بالأرض ،
وَيَنْبَاعٌ : يعني من البوع^(١٠) ، والطَّرْقَةُ : الطَّرِيقُ ، ومنه قول العرب : تَطَارَقَتِ
الْإِبِلُ أَي انذت^(١١) (٩) الطريق قال : وقال الخليل : تَطَارَقَتِ الْإِبِلُ اتَّبَعَ بَعْضُهَا
بَعْضًا ، وَرَجُلٌ طَرِيقٌ قال ابنُ الأعرابي : وهو الْمُطَرِّقُ ، والتطريق الإثارة ،
ويقال : طَرَقَتِ الدَّجَاجَةُ وَالْقَطَاةُ : إِذَا فَحَصَتْ فِي الْأَرْضِ لِمَوْضِعٍ بَيْضِهَا ، أَنشَدَ
ابنُ الْأَعْرَابِيِّ قَوْلَ الْمَمْرُوقِ :

وَقَدْ جَعَلْتُ رَجُلِي إِلَى جَنْبِ غَرَزِهَا نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ الْقَطَاةِ الْمُطَرِّقِ^(١٢)
يريد أَثَرَ رِجْلِهِ حَيْثُ يَسْتَحِثُّ نَاقَتَهُ فَيَحْرُكُ رِجْلَيْهِ .

أثرم : طريقته حاله من غنى وفقر ، وصحة وسقم . انتهى شرح البيت في
المخطوطة .



وأكتفي الآن بما تقدم من الأمثلة مشيراً إلى أن في المخطوطة من النصوص
المتعلقة بشرح شعر الخطيئة ما يَتَطَلَّبُ إعادة نشر هذا الديوان نشرًا محققًا
لا بالاستعانة بالمخطوطة هذه وحدها ، بل بالرجوع إلى جميع مخطوطات الديوان ،
ولإبراز الفوارق بين ماورد فيها ، بدرجة من الدقة والشمول بذكر الشعر على
اختلاف رواياته ، وإيراد شرح مفرداته .

لَذَانَا لِنَعْرِجَ مِنْهُ كَمَا تَخْرُجُ مِنَ الْعَذْرِ لِلْكَفْلِ

وَمَا نَاوُوا كَمَا نَاوُوا عَلَيْنَا بِفَضْلِ دَهَابِهِمْ خِيَارِ الْخَوَلِ

وَقَالَ يَهُوَنَاصُ

كَيْتُ شَقَايَ لِلْيَوْمِ لَا أَكُلُ مَا بَشَّرْنَا لَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

أَرَيْتُ لِي وَجْهًا شَقَّ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقَعَّ مِنْ وَجْهِهِ وَفُتِحَ جَامِلُهُ

وَقَالَ

لَمْ تَزَلْ ذِيئَانًا وَعَبَسًا كَمَا فِي الْخَيْرِ قَدْ تَرَاكَ لِبَرٍّ جَاهُ

يُقَالُ لِلْأَجْرَانِ وَجْنٌ حَتَّى يَبْنُو عَمَّ يَنْتَعِنَا صِلَا جَاهُ

مَنْعِنَا مَجْمَعُ التَّبَوُّتِ حَتَّى تَرْكَا الرِّبَّ بِهَذَا جَاهُ

تَقَالِدُ عَنْ فَرِي غُطْفَانٍ لَمَّا خَشِبْنَا أَنْ تَذَلَّ وَأَنْ تَجَا جَاهُ

وَهَذَا الْخَرْمَانُ وَحْدٌ مِنْ دِيَوَانِ

وَالْمَرْسُوعُ وَالْمَرْسُوعُ عَلَى

النقص في المخطوطة عما ورد في (المطبوعة) .
وبمقابلة ما في المخطوطة من شعر بما في المطبوعة اتضح أن المخطوطة تنقص
اثنين وعشرين مقطوعة هي في المطبوعة :

الرقم	الصفحة	المطلع	القافية	الآيات
٢٣	١٤٨	إذا قلتُ	بالمهجرِ	٨
٢٦	١٦٠	أشأقتك	وضربتِ	١٤
٣٤	١٩٠	جأورتُ	يُحمدُ	٢
٤٣	٢١٠	فدنى	وتالدي	٤
٤٤	٢١١	تعدّر	فالمجولُ	١١
٤٥	٢١٥	إذا نام	وزفيرها	١٤
٤٦	٢٢١	لما رأى	مخلوب	٥
٤٧	٢٢٤	رأيتُ امرأ	فسقاني	٤
٤٨	٢٢٧	لم تر	قبالها	٦
٥١	٢٣٩	شكتِ	الحبال	٢٤
٥٢	٢٤٦	تجهّم	مُعيل	٣
٥٤	٢٥٤	أرسم	تذرف	٩
٥٥	٢٥٦	أعبدُ	بالشفاشيقي	٣
٥٦	٢٥٧	وقاتلت	الرّباب	٣
٥٨	٢٦١	أتيتُ	السّمائم	٤
٥٩	٢٦٢	سالتُ	فانقما	٥
٦٣	٢٦٥	سُبلتُ	حمدُ	٢
٦٩	٢٧٥	كانَ	ذراها	٥
٧٠	٢٧٦	ياأيها	والأجرعُ	١٥

٢٢	فَوَادِيهَا	يَا ذَارَ	٢٧٩	٧١
١٤	هُجُودُ	أَلَا طَرَقَتْ	٢٨٤	٧٣
٦	أَهْلِي	فِدَى	٢٩٩	٨٠
—				
١٨٣				

يضاف إليها من الشعر مانسبه المحقق للسُّكَّرِي :

الرقم	الصفحة	المطلع	القافية	الآيات
١	٣٠٧	مَا يُبْقِيكَ	بَدَلِ	١
٢	٣٠٧	إِنَّ عَمْرَأَ	السَّبِيلُ	٤
٤	٣١٠	لَا تَجْمَعَا	خَبَاقِ	٢
٥	٣١١	أَتَانِي	قَرَبِ	٥
٧	٣١٢	قُدَامَةُ	فَاخِرِ	٧
٨	٣١٣	أَخُو	وَمَالِ	٤
١٠	٣١٤	يَا رَاكِبَا	هَلَالِ	٣
ومجموع الآيات				٢٦

وما أُحْتَقَّ بالديوان مما عَثَرَ عليه في كتب الأدب واللغة (ص ٣١٩ إلى ص ٣٣٨) وهو نحو تسعين بيتاً ، فيصبح ما تضمنته مطبوعة الدكتور نعمان من « شعر الخطيئة » مما لم يرَدُّ في المطبوعة هو (١٨٣ + ٢٦ + ٨٩) = ٢٩٨ بيتاً .

ولو صح كل هذا لكان النقص في المخطوطة كبيراً ، ومع ذلك فقد بقي فيها ما يضيف معلوماتٍ جيِّدةً إلى شعر الخطيئة مادةً وشرحاً وأخباراً .

ومما لم يرد من شعر الخطيئة في المطبوعة ، وورد في المخطوطة :

١ - الورقة الـ (١٤٧) أربعة أبيات من الرجز أولها :

أبي وما يعلم كل عالم

تقدمت في الأخبار .

٢ - ١٥٦ ب / ١١٥٧ :

قد نام صبحي وبث مُرتَفَقَا
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَذِيَتْ بِهِ
وَفَارَقُونِي الْأَوَّلَى أَجْبُهُمْ
يُزْرِي بِذِي الْحَزَمِ فِي تَقْلِبِهِ
فَذَاكَ قَدْ يَجْمَعُ الْبَغِيضُ وَقَدْ
وَعَارَةً قَدْ شَهِدْتُ كَبْتَهَا
فَعَمَّا أَسِيلَ الْخَذَّيْنِ ذَا حُصْلٍ
أَوْ نَهْدَةٍ تَمْلَأُ الْحِزَامَ إِذَا
قَدَالٌ مَشِيَّةُ الْعِنَانِ كَمَا
رَوْحُهُ الْقَطَرُ شَطْرَ مَذْخَلِهِ
فَعَارَضَتْهُ فَتَحَاءُ كَاسِرَةٌ
فَرَاغٌ مِنْ جِسْمِهَا يِبَادُهَا
مَا إِنْ أَرَى طَالِبًا كَهَيْئَتِهَا
فَحَدَّدَتْ جَانِبَ الْجَنَاحِ لَهُ
فَاعْتَمَدَتْ قَلْبُهُ فَأَخْطَأَهَا
يَا مَنْ يَرَى الْبَرْقَ بِتِ أَرْقَبُهُ
جَدُّ فَأَشْرَى وَجَالٌ رَيْقُهُ
فَاسْتَقْبَلَتْهُ الصَّبَا تُكَرِّكِرُهُ
هَبْتُ لَهُ نِيرَجٌ (١٣) يَمَانِيَّةُ
تُرْجِي ثِقَالًا مِنَ السُّحَابِ كَمَا

وَأَجَشَّمْتَنِي مُوَمِّي الْأَرْقَا
فِي دَابَّةٍ مَا أَحْمَهَا عَرَقَا
وَالذُّهْرُ يَأْتِي عَلَى الْفَتَى طَبَقَا
وَيَجْعَلُ النَّاسَ صَرْفُهُ فِرَقَا
يَجْعَلُ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الشَّقِيقَا
عَدِيْتُ فِيهَا مُشْدَبَا تَقَا
كَالْجَذْعِ بَعْدَ انْجِذَامِهِ سَمَقَا
طُوطُنٌ فِي الْوَعْثِ لِيَنْطَلِقَا
مَيِّجَتٌ بِالْقَاعِ ثَغْلِيًا نَشَقَا
عَرَضَ قِيَافٍ تَفَانِفٍ لَيْقَا
فِي يَوْمٍ دَجْنٍ تُبَادِرُ الثُّفَقَا
يَلُودُ بِالصَّخْرِ بَعْدَمَا رُهَقَا
وَهَارِبًا مِنْ جَذَارِهَا شَفِيقَا
وَنَسَرَتْ صَارِمًا إِذَا عَلِقَا
وَعَادَرْتُهُ مَرْنَحًا خَرِقَا
فِي ذِي حَبِيٍّ تَرَى لَهُ جِرْقَا
يَجْدُو رَبَابًا أَجَشُّ مُؤْتَلِقَا
حَتَّى إِذَا مَا يَبْطَاؤُهُ لِحَقَا
تَطَحَّرُ عَنْهُ جَهَائِمًا مِرْقَا
تُرْجِي الْآتَايَ فِصَالَهَا نَسَقَا

حَتَّى إِذَا مَا عَلَا الْمَثَابَ وَالْقَمَقَ سَامَ وَالْبَطْنَ حَلَّلَ نَطْقًا
فَأَنْعَمَ الْكُذْرَ وَالْمِرَاضَ بِهِ تَحَالَ جِلْدَ السَّمَاءِ مُنْخَرِقًا
بعض أخبار الخطيئة :

وفي المخطوطة فيما نسب منها إلى الأثرم أخبار تتعلق بالخطيئة ، قد تفيد
الدارسين في كشف جوانب من حياته مما تحيط فيه الباحثون ، كتذبذب نسبه بين
بني سدوس - أهل القرية المسماة باسمهم في اليمامة من بكر بن وائل من ربيعة -
وبين بني عبس من مضر .

فكثير ممن تصدَّى لدراسة الخطيئة وَصَمَهُ في نسبه بكل كريمة ، ولم يدرك
السبب الذي لا يَدَّ له فيه ، وإنما هو جنابة والديه ، على حدِّ قول المعري :
هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

لقد قيل عنه : أنه ابن (١٤) ، بل وَصِمَ أبوه بهذه الوصمة الشنعاء (١٥) ، وأنه
ينسب إلى القبائل ، فإذا غضب على قبيلة انتمى إلى أخرى (١٦) .

والواقع أن نسبه متدافع بين بني سدوس من بني ذهل وبين بني عبس ، بسبب
الأوضاع الاجتماعية في ذلك العهد ، فهو من بني عبس ، لأنه ولد على فراش
أوس بن مالك العبسي ، وهو من ذهل لأن أمه استبضعت به من عوف بن عمرو
بن عوف الذهلي ، والاستبضاع من أنواع النكاح المعترف به بين أهل الجاهلية ،
فجاء الإسلام فأبطله ، والخطيئة عاش في الإسلام ، وحاول إقرار صحة انتسابه
إلى بني ذهل ، بمقطوعات من شعره (١٧) ، اعتماداً على ذلك الزواج المعترف به
بين العرب ، فقد روى البخاري في « الصحيح » (١٨) ، وأبوداود في
« السنن » (١٩) ، أن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : النكاح في الجاهلية كان على
أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ
ابْنَتَهُ فَيُضِدِّقَهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا ، ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته ، إذا طهرت
من طمثها : أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ، ولا يمسه أبداً
حتى يَتَيَّنَ حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تَيَّنَ حملها أصابها

زوجها إذا أَحَبَّ ، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نَجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع - ثم ذكرت النوعين الآخرين - وقالت : فلما بُعِثَ محمد ﷺ بالحقِّ هدم نكاحَ الجاهلية كُلَّهُ إلا نكاح الناس اليوم .

فالخطيئة كان ضحية ذلك النوع من النكاح القبيح ، المعترف به في الجاهلية بين العرب حتى جاء الإسلام فأبطله .

ورد في المخطوطة الورقة (١٤٦ إلى ١٤٨) : وقال أبو عمرو : وكان من حديث الخطيئة ان بني عبس أصابتهم سنة شديدة أهلكت نعمهم فأقبل^(٢٠) إلى اليمامة يُريدون الرِّيفَ ، فتركوا بها ونزل أبو الخطيئة إلى جانب عوف بن عمرو بن الحارث السدوسي - وهم رهط قتادة بن دِعَامَةَ السدوسي - وكان عوف رجلاً غنياً كثير المال ، فكان أوس يُصيب منه ، إلى أن غَضِبَ عوفُ على أوس فحرمه ما كان يأتي إليه من المعروف ، وكانت لأوس امرأة حسناء جميلة فقال لها : وَنَحْكَ تَعْرُضِي لعوف لعله يصنِّع بنا خيراً فتعرضت له فوقع عليها ، فحملت منه ، فلبثوا أشهراً ، ثم إنه بلغهم أن أرضَ بني عَبْسٍ قد أخضبت ، فتحملوا راجعين إلى أرضهم ، فقدموا ، وامرأة أوس حُبْلٌ مُتِمٌّ ، فولدت الخطيئة على فراش أوس ، فلما شَبَّ الخطيئة وأدرك ما يدرك الغلمان ، قاتل غلاماً فسهب الغلام ، فقال : يا عبد بني سدوس . فلما علم بذلك كَبُرَ عليه ، ثم إنه تزوج امرأة فولدت له أولاداً فبينما ابنه الأكبر يلعب مع الغلمان إذ قاتل بعضهم فسبَّه : يا عبد بني سدوس ، فأقى الغلام الخطيئة ، فقال له يا أبة ألم تر إلى فلان سبَّني وقال : يا عبد بني سدوس فغضب الخطيئة فقال :

أَبِي وَمَا يَعْلَمُ كُلُّ عَالِمٍ أَنَا ابْنُ عَوْفٍ فِي الْحَصَى الْقَمَائِمِ
إِذْ لَا يُمَانِي حَسَبُ الْأَعَاجِمِ أَهْلُ النَّدَى وَالْبَاعِ وَالْمَكَارِمِ

- يُمَانِي : يشبه ، يقال : فلان يُمَانِي فلاناً في فعله ، الحصى : العدد الكثير - فقام إليه ختنه فضرب بيده على فمه وناشده الرحم لما سَكَتَ فسكت الخطيئة فلبث زماناً وهو يقول الشعر ، إلى أن أصابتهم سنة فأهلكت مواشيهم وجُهِدُوا فقالت له امرأته : لولا أتيت إخوتك بني عوف بن عمرو فإنهم ذوو مال رَجَوْتُ أن

يصيبوك بخير ، فأتاهم الحطيثة حتى قدموا اليامة ، ومعه ابنه وامراته فأخبرهم خبرهم ، وسألهم ان يعطوه فقالوا : ما نعرفك وما نذري مَنْ أنت . فلبث باليامة فبينما هو ذات يوم قاعدٌ يُنشد الشعر إذ مرَّ الزُّبرقان بن بدر التميمي ثم السعدي قد أقبل من رمل يبرزين ، فسمع إنشاده وإذا له لسان أسود يخرج منه فأعجب بشعره ، فاستنشه وفاقطه ، فازداد به عجباً ، فقال له : يا حطيثة إن عندي مصطنعاً فارحل معي أنت وأهلك فرحل حتى قدم على أهله فأكرمه وأوصاهم به خيراً ، وقد كان بين بغيض بن شماس بن لأي وبين الزُّبرقان تناغص وتحاسد وتقارص ، فلبث الحطيثة عند الزُّبرقان زمناً إلى أن أصابت الزُّبرقان سنةً فأراد أن يتحول من منزله إلى أرض مُكَلَّنة ، فقال : يا حطيثة قد ترى ما أصابت مِنَّا السنة ، وهذه إيلي فاركيها أنت وأهلك فأرتد لنا منزلاً فإنه ذُكر لنا غيثٌ ، ثم أرذذها علي لأحلقك أنا وأهلي ، وإن أُحْبِيت ارتدت لك منزلاً ، ورددت الإبل عليك ، قال : نعم ما رأيت ، فاركب فتحمل الزُّبرقان ، وانطلق ، وبقي الحطيثة ليس معه أحد وليس عنده كبير شيء فترك هو وكلب له في الدار ، فأتاه بغيض بن شماس فقال : يا حطيثة أبلغ من خطرِكَ أن تُركت بهذا المكان فرداً ؟ ! إن الزُّبرقان ليس براجع إليك ، وإنما خدعك وهرب منك ، فانطلق معي فلك مئة من الإبل ، كلما هلك منها بعيرٌ أعطيتك مكانه بعيراً ، ومن الشاة مادَعَوْتَ به كلما ماتت شاةٌ أعطيتك مكانها شاةً ، فتحول معي أيها الرجل فلعمري لقد أساء بك صاحبك ، فلم يزل به حتى خدعته ، فتحول مع بغيض ، فأعطاه وأكرمه ، وأرسل إلى قومه فجعل الرجل يأتيه بالعشرة والعشرين من الإبل ، حتى أكملها مئة .

فقال الحطيثة يمدح بغيض بن شماس ويهجو الزُّبرقان بن بدر :
 ألا ابلغ بني عوف بن كعب وهل قومٌ على خلقي سواء ؟
 ومن تلك الأخبار :

١ - أول النسخة : (حدثنا ثابت بن أبي ثابت عن الأثرم ، قال : حدثنا أبو عبيدة) ثم خبر وفود الزُّبرقان على أبي بكر ، واتصال الحطيثة به ، ثم تحوله

عنه إلى بني قريع في غياب الزُّبرقان ، ملحق به خبر ذو صلة به عن محمد بن سلام الجمحي عن يونس النحوي ، فهجاء الخطيئة الزبرقان حتى حبسه عمر .

ورواية أخرى عن أبي عمرو الشيباني عن محاصرة الزبرقان بني قريع بشأن الخطيئة إلى عمر بن الخطاب واختيار الخطيئة بغيضاً من بني قريع على مجاورة الزبرقان .

وثلاثة أخبار عن محمد بن سلام الجمحي عن يونس النحوي ذات صلة بالموضوع (من الورقة الأولى إلى الورقة ٧ ب) .

٢- (الورقة ١١٤ إلى ١١٥ ب) : (قال الأثرم قال أبو عبيدة) ثم سياق خبر المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، ودخول الأعشى في الأمر بتفضيل عامر وتفضيل الخطيئة علقمة .

٣- (الورقة ١١٥ ب إلى ١١٦ ب) : (خبر الخطيئة مع سعيد بن العاص أمير المدينة) وأعيد هذا الخبر في (الورقة ١٤٩ ب إلى ١٥٠) بهذا السند (قال يعقوب ابن شعيب أخبرنا الضبي عن أبي المنذر هشام بن محمد بن الكلبي) .

٤- (الورقة ١٢٣ إلى ١٢٣ ب) خبر يتعلق بهجاء الخطيئة الزبرقان أوله (قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا محمد بن شعيب عن أبي فروة عن مكحول عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : هجا الخطيئة الزُّبرقان بن بدر فاطرد عمر ابن الخطاب لسانه فقال عبد الرحمن بن عوف فخرجت في غلس الظلام) إلى آخر الخبر ، ويتصل به : (قال وحدثنا مسدد) وبعد السند أن رجلاً شاعراً مدح الله ومدح رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ بمدحه الله خَلِيفَةً ولم يعطه لمدحه رسول الله ﷺ شيئاً .

٥- (الورقة ١٤٠) بعد القطعة التي أولها :

أُنخنا ببيت الزبرقان وليتنا مَضِينَا فَقَلْنَا وَسَطَ آلِ الْمُخْبِلِ

(وقال أبو عمر^(٢١) : يقال إن هذه الكلمة لعبد الله بن عبد الله بن أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن مخزوم أقبل من اليمامة والبحرين في خلافة عمر بن الخطاب ، حتى

مَرَّ عَلَى الزَّبَرَقَانِ وَهُوَ عَلَى مَاءٍ لَهُ يُقَالُ بَنَبَانٌ^(٢٢)) إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ .

وقد أورده محقق الديوان (ص ٢٧٣) نقلاً عن « الأغاني » - ١٩٤/٢ - ط دار الكتب من رواية أبي عبيدة والهيثم بن عدي وغيرهما .

٦- (الورقة ١٤١) بعد البيتين :

مَنْ مُبْلِغٌ خِيَانَ عَنِّي وَعَاصِمٌ رِسَالَةَ مَنْ لَمْ يُهْدِ نُصْحًا بِإِرْسَالِ

- والبيت بعده - .

(قال أبو عبيدة : أغارت بنو مالك بن غالب وبنو سهم بن عوذ) .

وقد أورد المحقق الخبر في الحاشية (ص ١٦٠) عن السُّكْرِيِّ بدون إسناد إلى راوٍ .

٧- (الورقة ١٤٩) : (قال أبو بكر سمعت الباهلي يقول قال الأصمعي : قيل للحطيئة أوصيه قال : أبلغوا آل الشماخ أنه أشعر العرب - إلى (يَبْقَى مَيْسَمَةٌ) من الرجز المعروف .

٨- (الورقة ١٥٠) : قال الحسين بن شعيب سمعت ابن الأعرابي يقول : كان عيينة^(٢٣) البكري يصنع المعروف - والخبر مبتور - لوقوع خرم في المخطوطة في هذا الموضع .

ويعد : فهذه ملاحظات سنحت لي أثناء المقارنة بين مطبوعة الأستاذ الدكتور نعمان محمد أمين طه ، وبين تلك المخطوطة التي وصفتها .

وقد تسنح لي ملاحظات غيرها متى تسنى لي الاطلاع على مصادر أخرى من شعر الحطيئة ، كشرح ابن السكيت ، والمخطوطة التي اتخذها الدكتور نعمان أصلاً لمخطوطته الأخيرة أو غيرها من المخطوطات .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) كذا والصواب (قام) .

(٢) « الأغاني » ، ١٥٩/٢ .

الجزيرة العربية كما وصفها الرحالة ماركو بولو (١٢٥٤ - ١٣٢٣م)

على الرغم من العلاقات المتواصلة بين الشرق العربي والغرب ، لأسباب تجارية ، ومن جرّاء الحروب الصليبية ، ظل الغربيون خلال عصور طويلة على جهل بالجزيرة العربية ، لا يعرفون عنها إلا القليل ، وإلى أن أهدل القرن السادس عشر الميلادي ، ما برحوا يستقون معلوماتهم عنها من المصادر اليونانية والرومانية ،

-
- (٣) «الأغاني» ١٧٧/١٦٣/٢ .
 - (٤) رواية الأصمعي ستة أبيات .
 - (٥) سقطت (له) .
 - (٦) كذا .
 - (٧) كذا والصواب (الغيفة) وهي الشجر الملتف - كما في «لسان العرب» وغيره .
 - (٨) المندأوة: أدهى الدواهي «لسان العرب» - طرق - .
 - (٩) الصواب «بياتقة» .
 - (١٠) انظر (بوع) في «اللسان» .
 - (١١) لعلها (أخذت) .
 - (١٢) في «اللسان» - طرق - : وقد تحذت رجلي . ونسبه للمموزق العبدى : شاس بن بهار .
 - (١٣) تحتها (شال) في الأصل : وفي كتب اللغة . النيرج : العاصفة .
 - (١٤) «خزانة الأدب» ٤٠٧/٤ .
 - (١٥) الأغاني ١٦٢/٢ ط دار الكتب ، و«الخزانة» : ٤٠٧/٤ .
 - (١٦) «خزانة الأدب» : ٤٠٧/٤ .
 - (١٧) «الأغاني» : ١٥٨/٢ ، ١٥٩ ، ١٦١ .
 - (١٨) الباب الـ ٣٦ من كتاب «النكاح» وانظر «فتح الباري» ١٨٢/٩ ط دار السلفية .
 - (١٩) الباب الـ ٣٣ من كتاب «الطلاق» .
 - (٢٠) كذا ولعل الصواب (فأقبلوا) .
 - (٢١) كذا ولعل الصواب (أبو عمرو) الذي هو الشيباني ، وقد تكرر ذكره كثيراً في رواية شعر الخطيئة ونقل عنه الأثرم كثيراً . أما أبو عمرو فهو الجرمي ، صالح بن اسحاق التوفي سنة ٢٢٥ ، فهو معاصر للأثرم ، وعن أخذ عن أبي هيبدة وغيره من أئمة اللغة ، ولكن من المستبعد أن يروي الأثرم عنه لتقاربهما في السن .
 - (٢٢) كذا في مطبوعة «الأغاني» ١٩٤/٢ (بنان) خطأ وقع مثله في كثير من كتب الأدب وتحديد المواضع ، والموضع لا يزال معروفاً ، وقد أصبح الآن قرية من قرى منطقة الرياض ، وضبط الاسم (بنان) بالياء الموحدة المفتوحة فنون ساكنة فباء أخرى موحدة مفتوحة فالف فنون .
 - (٢٣) في «الأغاني» ج ٢ ص ١٦٧ (عتية بن النّهاس المجلي) .

وخاصة من كتاب لمؤلف مجهول عنوانه : «الطواف حول البحر الأحمر»^(١). والواقع أنهم أعاروا كل اهتمامهم الأراضي المقدسة أي فلسطين ، وكانت أمنيتهم القصوى - إذا تمت لهم زيارتها - أن يقفوا أثر موسى كليم الله . ولذا تابعت رحلاتهم إلى مصر . وماكاد ينتهي القرن السابع عشر حتى أُرْبَى عدد المسافرين من الافرنج الذين كتبوا عن بلاد الفراعنة على مئين وخمسين مؤلفاً^(٢). ولكنهم لم يتجاوزوا طُورَ سينا ، وبقي الغرب على معلوماته التقليدية في كل مايتعلق بالجزيرة العربية ، إلى أن قام (نيبور) ورفقاؤه بأول رحلة علمية إلى جنوبي الجزيرة العربية سنة ١٧٦٢ . وقد ذكر (نيبور) نتائج هذه الرحلة في كتابين ضخمين لم يترجما حتى اليوم إلى اللغة العربية ، الأول تحت عنوان «رحلة إلى الجزيرة العربية وماحولها من البلدان» في جزئين ، والثاني : «صفة الجزيرة العربية» ، في جزئين أيضاً .

لا نريد في هذا المقال أن نذكر كيف تَمَّ للغرب أن يكشف شيئاً فشيئاً معالم الجزيرة العربية وجغرافيتها ، إذ تَطَرَّقَ لهذا البحث عدد من المؤلفين ، بل خصصت له كتب بتمامها ، ترجم أحدها إلى العربية وهو كتاب صديقتنا وزميلتنا جاكلين بيرن : «اكتشاف الجزيرة العربية»^(٣). ولكننا نلاحظ أنها لم تأت ولم يأت أحد من الذين كتبوا عن هذا الموضوع على ذكر الرحالة (ماركو بولو) على شهرته ، ولعلمهم أهملوه لأنه زار خاصة الشرق الأقصى ، ووصفه وصفاً دقيقاً . أما الجزيرة العربية وبالأولى بعض بلدانها الساحلية ، فإنه سمع بها ولم يزرها ، مما يضعف من قيمة كلامه ، ويحمل الناقد على الطعن في شهادته . ولكن وضعه لا يختلف عن وضع المؤلفين الغربيين القدماء الذين كتبوا عن الجزيرة العربية قبل القرن السادس عشر الميلادي . ولا جَرَمَ أنَّ ما نقله (ماركو بولو) عنها لا يتحلَّى بصفة المشاهدة العينية ، ولكنه طاف في الآفاق مُشْرِقاً ومُغْرِباً ، وزار إيرانَ وسمرقند وبُخارى ، واجتاز مرتين أو أكثر الخليج العربي (. . .) ، ولذا فإن لكلامه عن عدن والشحر وظفار وسُقَطْرَى وبغداد والموصل والبصرة قيمة تاريخية أكيدة . وعلى الرغم من الصبغة الاسطورية التي نلمسها عنده أحياناً فإنه يعطينا فكرة عامة عن معارف أهل عصره عن الجزيرة العربية .

وقبل أن نتطرق إلى موضوع بحثنا لابدُّ لنا أن نعرف القاري بهذا الرحالة وأن نحدثه عن رحلته التي طالت أربعة وعشرين عاماً ، من سنة ١٢٧١ إلى سنة ١٢٩٥ .

وُلِدَ (ماركو بولو) سنة ١٢٥٤ في مدينة البندقية ، وهي يومئذ من أهم المراكز التجارية في الغرب ، ومن أكبر مستودعاته للسلع الشرقية . وكان في المهد عندما سافر والده (نقولا) وعمه (متى) إلى القسطنطينية ، سنة ١٢٥٥ ، مدفوعين بحب المغامرة وطمعاً بأرباح التجارة ، ومنها ذهبوا إلى (ساراي) على نهر (أتل) أي (الفولكا) ، قرب مدينة (ستالينغراد) حيث كان يقيم (بُركاي خان) سلطان تتر المشرق . وأقاما في هذه المدينة مدة سنة ثم اشتعلت نيران الحرب بين (بركاي) وأخيه (هولاكو) فأصبح من العسير جداً على التاجرين أن يعودوا إلى البندقية ، فأثرا متابعة المغامرة والتوغل في مجاهل جديدة ، فرحلا إلى بُخَارَى حيث تعرفا برسل (هولاكو) إلى السلطان الكبير (كُوتَلَاي خان) . فحسّن الرسل لهما الذهاب بصحبتهما ، وأكدوا لهما أن سلطان المغول الأكبر سيستقبلهما استقبالاً جميلاً . فقبلا الدعوة ، وأحسن كُوتَلَاي خان ضيافتهما ، وأكرمهما ، واستخبر منهما عن ملوك الافرنج وعاداتهم وأحوالهم ، وطلب منهما أن يحملوا رسالة منه إلى البابا يقترح عليه فيها ارسال وفد كبير من رجال الدين المسيحي ليسيظروا للخان أصول ديانتهم .

غادر والد (ماركو بولو) وعمه سلطان التتر الأكبر (كويلاي خان) شاكرين له ضيافته الكريمة وسافرا على بركة الله غير مسرعين ، يطلبان الربح متى توفرت لهما أسبابه ، فلم يصلوا إلى مدينة (لايس) قرب الاسكندرونه - إلا بعد مضي ثلاث سنوات على رحيلهما من دار السلطنة ، ثم ذهبوا إلى عكا حيث علما أن البابا قد قضى نجه . فكان لابدُّ لهما والحالة هذه من انتظار انتخاب البابا الجديد ليسلما إليه كتاب السلطان . وبما أن الانتخاب البابوي كان يتطلب رُحاً طويلاً من الزمن بسبب بُعد المسافات ، وصعوبة المواصلات ، فإنهما فضلاً الانتظار بين أفراد أسرتهما ، فعادا إلى البندقية سنة ١٢٦٩ بعد غياب طال أربع عشرة سنة .

وأثناء هذا الغياب الطويل توفيت والدته (ماركو) وأصبح الابن شاباً في منتصف العقد الثاني من عمره . وبعد مضي سنتين على إياهما نازعهما من جديد الشوق إلى الآفاق البعيدة ، ومع أن انتخاب البابا كان على قدم وساق ، وليس باستطاعتها تسليم رسالة خان التتر إلى البابا ، فإنهما قررا الرحيل والعودة إلى دار السلطنة في الصين ، فسافرا وسافر معهما (ماركو) الشاب وله من العمر سبع عشرة سنة .

غادر أصحابنا البندقية عام ١٢٧١ ، وقصدوا أولاً بيت المقدس ، ثم أموا أرمينيا الصغرى (تركيا اليوم) ، وما أن وصلوا إلى اسكندرونه حتى بلغهم أن الانتخاب المنتظر قد تم ، فعادوا إلى عكا ، وسلموا رسالة خان التتر إلى البابا الجديد ، فسُرَّ جداً بها وأوفد معهم اثنين من علماء الدين لا خبرة لهما بالأسفار ، ولا رغبة لهما في المغامرة ، فكراً راجعين إلى بلدهما عند أول عارض هام ، بعد أن سلما رسالة البابا إلى والد (ماركو بولو) وتابع التجار طريقهم ، وبعد سفر طال أكثر من ثلاث سنوات وصلوا إلى دار السلطنة في (كاي بنغ فو) قرب مدينة (باكين) . فرحب الخان برسولييه وسرَّ بإياهما ، وبنجاح مهمتهما وسألها عن الشاب الذي جاء يصحبتهما فقال له (نقولاً) وهو أكبرهما سنّاً : (هذا ابني ماركو جئتُ به لخدمتك) .

أكرم السلطان هؤلاء الأجانب الوافدين عليه ، وحرص على أن يكونوا مع خاصة رجاله . وما أتى على الشاب (ماركو) إلا القليل من الزمن حتى تعلم لغة سيده ، وبعض لهجات أصحاب البلاد . وكان دقيق الملاحظة يتشوق إلى معرفة الأمور الغريبة ، ويحرص على فهم خفايا الأمور . فارتفع شأنه عند السلطان ، وأسند إليه بعض المهمات ، فقام بها على أحسن وجه ، فزادت مرتبته عند الخان ، وأوفده إلى أقاصي حدود مملكته الواسعة الأرجاء ، وأرسله سفيراً إلى الهند .

بقي (ماركو) ووالده وعمه في خدمة (كوبلاي خان) سبع عشرة سنة ، ثم رغبوا في العودة إلى بلادهم فلم يسمح لهم بالسفر ، فظلوا في جماء إلى أن سَنَحَتْ لهم الفرص ، وذلك بمناسبة زفاف إحدى قريبات الخان إلى (ارغون) سلطان تتر المشرق — أي بلاد العجم — وحرصاً على راحتها بسبب وعورة الطرق تمَّ الرأي

على أن يكون السفر بحراً ، وعلى أن يصحبها مع الوفد أفراد أسرة (بولو) لمعرفتهم الجيدة ببحر الهند . فأمر السلطان بتجهيز ثلاث عشرة سفينة ، وسلم إلى أصدقائه الافرنج رسائل إلى البابا ، وإلى ملك فرنسا وانجلترا واسبانيا وغيرهم من ملوك الدول المسيحية . ثم أبحروا وسارت بهم المراكب مدة ثلاثة أشهر ، إلى أن وصلوا إلى جاوة ، ومنها أقلعوا إلى سيلان ثم إلى بلاد العجم ، حيث علموا ب وفاة الخان (ارغون) فزُفَت الفتاة إلى ابنه . وبعد أن قام الوفد بمهمته ، تابع (ماركو) سفره مع والده وعمه إلى القسطنطينية ومنها إلى البندقية حيث ألقوا عصا الترحال سنة ١٢٩٥ بعد أربع وعشرين سنة من مغادرتهم إياها .

وماكان يفكر (ماركو بولو) بكتابة قصة رحلته لولا وقوعه أسيراً ، بعد معركة بحرية بين الأسطول البندقي والأسطول الجنوي ، فأمل مذكراته وهو في السجن سنة ١٢٩٨ وسماه كتاب «تقاسيم العالم» وصف فيه آسيا عامة ، والصين خاصة ، وأشاد بذكر سلطان التتر الأكبر (كوبلاي خان) وتكلم عن معيشته وعدله ، وكيفية خروجه للصيد والقنص ، وعن غناه وسعة دُنياه ، وعن كثير من أحواله وحروبه ، ووصف عدداً كبيراً من البلاد منها جاوة وسيلان ومدغشقر وزنجبار ، وأطرى نعتاً ببوذا . وهو أول من تكلم عن شيخ الجبل وفئة الحشاشين . وقد عرف (كريستوف كولومب) هذا الكتاب وقرأه مراراً ، وعندما أبحر ليكتشف العالم الجديد ذهب مدفوعاً بحب الذهب الوهاج الذي خلب لب (ماركو بولو) فكان يراه في كل مكان .

وكُتِبَت هذه الرحلة بإحدى اللهجات الفرنسية القديمة ، ثم نُقِلَت إلى اللغة الفرنسية المعاصرة . ونحن أخذنا عن النسخة الفرنسية الحديثة التي وضعها (تشرستفنس)^(٣) .

يقسم (ماركو بولو) الهند إلى ثلاثة أقسام : الهند الكبرى وهي بلاد الهند المعروفة ، والهند الوسطى وهي الحبشة والجزيرة العربية ، والهند الصغرى أي برمانيا .

ومحدثنا عن الحبشة فيقول : ماترجمته : (الحبشة إقليم كبير من الهند الوسطى ،

له ست مملكات ، وستة ملوك ، ثلاثة منهم مسيحيون والثلاثة الآخرون مسلمون ، إنما أكبرهم سطوة هو من الملوك النصارى ويخضع له الآخرون . وللنصارى ثلاثة وسوم على وجوههم : الواحد على الجبين إلى منتصف الأنف ، والاثنان الآخران على الوجنتين ، ويتم وضع هذه العلامات الفارقة وقت العماد . ولليهود وسمان فقط على الوجنتين . أما المسلمون فلهم وسم واحد من الجبين إلى منتصف الأنف (ص ٢٨٨) .

ويقسم الملك الأكبر في وسط البلاد ، أما المسلمون فهم في عدن ونواحيها^(٤) . . .

عدن :

واعلموا أن لمنطقة عدن سيِّداً يسمى السلطان ، وأن جميع سكانها مسلمون «يعبدون»^(٥) محمداً ، ويكرهون جداً النصارى ، وهي تضم عدداً كبيراً من البلدان والقرى . ولعدن مرسى تقصده مراكب الهند موقرة بالبضائع . ويقوم التجار بنقل هذه البضائع على سفن صغيرة إلى مرسى على مسافة سبعة أيام^(٥) . وهناك تُحمَّل البضائع على الجمال وهي تسير بها مدة ثلاثين يوماً أو أكثر إلى النهر الذي يصب في الاسكندرية ، بنوع أن مسلمي الاسكندرية ، يفضل هذا الطريق ، يحصلون على جميع البهارات والفلافل التي يريدونها ولا يمكنهم أن يجدوا طريقاً أفضل أو أكثر أماناً .

ومن مرسى عدن تبحر أيضاً المراكب حاملة أصناف السلع إلى جزر الهند . واعلموا أن لسلطان عدن رسوماً على السفن التي تذهب إلى الهند أو تعود منها حاملة شتى البضائع . ومن هذا المرسى أيضاً يتم نقل الخيل العربية ، منها الجياد العادية ، ومنها الكبيرة ذات السرجين . وتعود هذه الشحنات على التجار بأرباح طائلة لأن الخيل غالية الثمن جداً في الهند لعدم وجودها . وتُبدَّر هذه التجارة على السلطان أيضاً بالأموال الكثيرة ، لأنه يتقاضى رسوماً كبيرة على كل مايشحن من هذا المرسى ، حتى قيل عنه : إنه من أغنى سادات العالم .

وأعلمكم أيضاً أن سلطان بابل [العراق] ، لما أرسل حملة على مدينة عكا واستولى عليها ، ساعده على ذلك سلطان عدن إذ أمده بثلاثين ألف محارب مع خيلها ، وبنحو أربعين ألف جمل . فكان هذا الإمداد عوناً كبيراً للمسلمين وضرراً عظيماً على النصارى . واعلموا أنه قدّم هذا العون بغضاً للنصارى لاجبة لسلطان بابل إذ يحمل الواحد للآخر أشد الضغائن .

والآن لندع سلطان عدن لتكلم عن بلدة تحت حكم عدن اسمها أسيتيه [الشحر] ، عليها ملك ، وهي تقع في الشمال الغربي من عدن كما سنوضحه بعد هذا الكلام (ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

الشَّحْر :

الشَّحْرُ بلدة كبيرة تقع في الشمال الغربي^(٦) من عدن وتبعد عنها مسافة أربع مئة ميل . عليها ملك تحت حكم سلطان عدن ، يعدل في الرعية ويخضع له عدد من البُلديات والقرى . وجميع سكانها مسلمون ، ولها مرسى من أحسن المراسي بنوع أن مراكب الهند تقصده زرافاتٍ ، حاملة شتى السلع .

وتنتج هذه المنطقة كثيراً من البخور الأبيض يعود بالريح الطائل على الملك لأنه استقل بشرائه وبيعه ، ولا يمكن لأحد أن يخالف أمره . فهو يشتري المثقال بعشرة دنانير ، وبيعه للتجار بستين ديناراً ، فيحصل له من ذلك مالٌ جزيل . وتنتج هذه المنطقة أيضاً كثيراً من التمر ولكن لا قمح لها ، أما الأرز فقليل . إلا أن هذه المحصولات التي تنقصها تأتيها من مختلف الجهات بسبب الأرباح الطائلة التي يجنيها المستوردون . وهي غنية جداً بالأسماك ولا سيما بنوع من السمك كبير جداً . ومن كثرة الأسماك فيها يمكن شراء أكثر من طَينٍ بقطعة فضية كبيرة من العملة البندقية . ويعيش أهل هذه المنطقة على اللحم والحليب والأرز والسمك ، وليس لديهم خمر العنب ، ولكنهم يصنعون خمرًا من السكر والأرز والتمر وسأخبركم عن شيء غريب جداً : فاعلموا أن ليس لحرفانهم آذان ، ولكن موضع الأذن يوجد قرن صغير . وهذه الحرفان حيوانات صغيرة جميلة . وأعلمكم أن جميع البهائم عندهم من نعاج وبقر وجمال تأكل سمكاً صغيراً جداً ولا تأكل

شيئاً آخرَ إذْ ليس في كل المنطقة حشيش أو خضار ، فهي أحل بلاد العالم . أما الأسماك التي تفتت منها البهائم فهي صغيرة جداً ، يكون صيدها في شهري آذار ونيسان ، ويجمعون منها كميات وافرة جداً ، ثم يحفظونها ويحفظونها في البيوت ، ويطعمون البهائم منها خلال السنة كلها ، بل إن البهائم تأكلها وهي حية بين يدي الصياد وقت خروجها من الماء . ولديهم أيضاً كثير من الأسماك غيرها كبيرة ، وطيبة الطعم ، ورخيصة الثمن ، يقطعونها إرباً إرباً ، ويحفظونها ويقتاتون منها كل السنة مثل الكعك .

وليس هناك ما أزيده على هذا الوصف وسأكلمكم الآن عن بلدة اسمها ظفار (ص ٢٩٢ - ٢٩٤).

ظفار :

ظفار بلدة جميلة ، كبيرة عظيمة الشأن ، تبعد عن الشحر خمس مئة ميل إلى جهة الشمال الغربي [كذا] . وسكانها مسلمون ، وعلى رأسهم سيد كما سأخبركم . وهذه المدينة تخضع لسلطان عدن ، وهي على الساحل ، ومرساها حسن ولذا تقصده سفن الهند بكثرة ، وهي تعود حاملة الخيول العربية ، ويكسب التجار من ذلك أرباحاً طائلة . وتحكم هذه المدينة على عدد من البلدان الصغرى والقرى . وفيها كثير من البخور الأبيض وسأخبركم كيف يحصلون عليه : عندهم شجر يشبه التّوب الصغير فيحزونه في عدة أماكن بسكين ، ومن هذه الجروح يخرج البخور . ويخرج أيضاً من غير أن يُحزَّ الشجر ، بسبب حر الشمس الشديد .

وليس هناك ما أخبركم به غير ما تقدّم ، ولذا سنذهب من هنا إلى الامام لأكلمكم عن خليج (قلطو) وعن مدينة (قلطو) أيضاً . (ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

مدينة (قلطو) وخليجها^(٧):

(قلطو) مدينة كبيرة على الخليج المسمى خليج (قلطو) ، وهي على مسافة ست مئة ميل من ظفار نحو الشمال الغربي . وسكانها مسلمون تحت حكم هرموز .

وإذا كان ملك هرموز في حرب مع عدو أشد قوة منه فإنه يلتجئ إلى مدينة (قلطو) هذه ، لمناعتها ولحصانة موقعها . وليس لديهم قمح ولكن يؤق لهم به على السفن . ولهذا المدينة مرسى كبير حسن الموقع يقصده التجار في المراكب الموقرة بأصناف البضائع الهندية ، ومنها توزع على البليدات والقرى . ومن هذا المرسى تحمل السفن الخيل العربية إلى الهند ، واعلموا أن هذه البلدة وغيرها ترسل كل عام عدداً وافراً من الخيل إلى جزر الهند ، وسبب ذلك لأن الأفراس لا تلد في هذه الجزر ، ولأن التي يؤق بها من الخارج تموت سريعاً ، إذ لا يحسن أهل هذه الجزر عناية الخيل ، وليس لديهم ساسة خيرون بهذه الأمور ، فيطعمون الخيل اللحم المطبوخ وغير ذلك من الأطعمة التي تضر بصحتها .

وتقع مدينة (قلطو) هذه على مدخل الخليج بنوع أنه لا يمكن لسفينة أن تدخل فيه أو تخرج منه إلا إذا رضي سكانها . أما ملكها وهو في الوقت نفسه ملك هرموز — فإنه تحت حكم سلطان كرمان . وإذا خشي بطش السلطان فإنه يلتجئ إلى (قلطو) ، ويمنع السفن من دخول الخليج مما يضر بمصالح سلطان كرمان ، إذ يخسر جميع الرسوم التي يجنيها عادة من سلع الهند ومن البضائع التي تصل من أماكن أخرى . والواقع أن عدداً كبيراً من السفن ترسو في هذا المرفأ حاملة شتى أصناف السلع ، يدفع أصحابها عليها كثيراً من المكوس . ولهذا السبب يضطر السلطان أن يعمل على حسب إرادة ملك هرموز . ولهذا الملك أيضاً قلعة تضاهي (قلطو) بمناعتها ، بل إنها أكثر مناعة منها ، تقع على مدخل خليج (قلطو) .

أما سكان هذه المنطقة فإنهم يعيشون على التمر والسماك المملح ، وهو عندهم بكثرة ، أما السادة فإنهم يأكلون أطعمة أفخر (ص ٢٩٥ - ٢٩٦) .

مدينة هرموز^(٨):

وإذا غادرنا مدينة (قلطو) وقطعنا ثلاث مئة ميل بين الشمال الغربي والمرسى نصل إلى مدينة هرموز . وهي مدينة كبيرة ، عظيمة الشأن ، على الساحل ، عليها حاكم يسمونه الملك ، يخضع لسلطان كرمان . والحر في هرموز شديد جداً حتى أن أهلها ، لأجل تبريد البيوت — صنعوا لها مثل أكهام تُدار نحو مهب

الريح ، فتدخل الرياح في هذه الأكمام وتنتشر في البيوت ، فيتلاعب الهواء فيها وتبرد نوعاً ما ، ولولا ذلك لما استطاع الإنسان أن يتحمل حرَّ هذه البلاد الذي لا يطاق . (ص ٢٩٦).

جزيرة الذكر وجزيرة الانثى^(٩):

جزيرتان الواحدة تبعد نحو ثلاثين ميلاً عن الأخرى ، وسكانها كلهم من النصراري المَعْمُدين . ويعيشون على حسب الشريعة القديمة [أي السابقة للمسيح] لأن الرجال لا يقربون نساءهم متى كُنَّ حاملات . وإذا وضعت المرأة بنتاً لا يقربها زوجها مدة أربعين يوماً .

ويقوم جميع الرجال في الجزيرة التي تسمى الذكر . ومتى ابتدأ شهر آذار يذهبون جميعهم إلى الجزيرة الثانية ، ويقومون فيها خلال ثلاثة أشهر السنة ، أي آذار ونيسان وأيار للتمتع بنسائهم . ويعودون بعد ذلك إلى جزيرتهم حيث يعملون خلال الأشهر التسعة الباقية ، في الحرث والفلاحة والتجارة .

وفي هذه الجزيرة كثير من العنبر الصافي . ويعيش أهلها على اللحم والحليب والأرز وعلى السمك أيضاً ، لأنهم صيادون ماهرون يصطادون من بحرهم كبار الأسماك وأجودها ، ويحصلون على كميات وافرة جداً منها ، فيجففونها ويأكلون منها كل السنة ، ويبيعون شيئاً منها إلى التجار الذين يقصدون جزيرتهم . وليس عليهم حاكم إنما لهم أسقف يتلقى أوامره من أسقف جزيرة سنتكلم عنها واسمها سقطرى .

أما أولادهم فإن البنات تبقى مع أمهاتهن . وأما الذكور فإن الأم تتولى معيشتهم إلى أن يبلغوا الرابعة عشرة من عمرهم ، فترسلهم عندئذ إلى والدهم . وهذه هي عادة أهل هاتين الجزيرتين : لا تعمل النساء شيئاً سوى تغذية الأولاد ، وقطف الأثمار التي تنتجها هذه الجزيرة ، لأن الرجال يقدمون لمن جميع ما هنَّ بحاجة إليه (ص ٢٨٠ - ٢٨١).

جزيرة سُقَطْرَى :

وإذا غادر الإنسان هاتين الجزيرتين وقطع نحو خمس مئة ميل نحو الجنوب يصل إلى جزيرة سُقَطْرَى ، وهي جزيرة جميع سكانها من النصارى المُعَمِّدِينَ^(١) ، وعليها أسقف . وعندهم العنبر بكثرة وأصناف الأقمشة القطنية وكميات وافرة من الأسماك المملحة الكبيرة والجيدة . وهم يعيشون على الأرز واللحم والحليب ، إذ ليس عندهم قمح . وهم يمشون عراة مثل سائر الهنود .

والتجارة على قدم وساق في هذه الجزيرة إذ تقصدها السفن الكبيرة من شتى البلاد حاملة مختلف البضائع فيبيعها التجار إلى أهل هذه الجزيرة ، ويشترون منهم الذهب بدلاً منها ويربحون مكاسب طائلة ، مع العلم أن جميع المراكب التي تقصد عدن تمر بهذه الجزيرة .

أما أُسْقَفُ سُقَطْرَى فإنه ليس من أتباع بابا رومية ، ولكنه يخضع لأسقف بغداد . وهذا الأسقف لا يحكم فقط على أسقف هذه الجزيرة ولكن أيضاً على غيره من أساقفة هذا الجزء من العالم ، كما يفعل البابا في أماكن أخرى .

ويُؤمُّ هذه الجزيرة عددٌ كبير من القرصان ، يعرضون فيها ما حصلوا عليه من المكاسب . وهي تباع بسهولة لأن نصارى هذه الجزيرة يرضون بشرائها لعلمهم أنها من أموال المسلمين أو من أموال عبدة الأوثان . واعلموا أيضاً أن في هذه الجزيرة أقدَرُ سَحَرَةٍ في العالم . ولا شك في أن الأسقف يمنعم ما استطاع عن أعمال السحر ، ولكنهم يقولون له : إننا وجدنا آباءنا عليها ونحن نريد الاقتداء بهم . وإنني أريد أن أخبركم بطرف من هذه الأفعال السحرية : إذا أقلعت السفينة مع رياح صالحة لسفرها ، فإنهم يستطيعون أن يثيروا رياحاً معاكسة تردُّ المركب على أعقابها . وبوسُعيهم أيضاً أن يأمروا الرياح فتهب كما يشاؤون ، فيصبح البحر هادئاً ، أو تَحْتَاحه العواصف . وهم يفعلون أيضاً غير ذلك من أمور السحر ، ولكن لا يُسْتَحْسَنُ الكلام عنها في هذا الكتاب . وليس هناك ما نقوله عن هذه الجزيرة غير ما ذكرناه (ص ٢٨١ - ٢٨٢) .

الموصل :

الموصل مملكة واسعة الأرجاء يعيش فيها مختلف الأجناس ، بعضهم من العرب وهم يعبدون محمداً(*) ، وبعضهم نصارى من النساطرة واليعاقبة . وعلى رأسهم أسقف يسمونه (أتوليك) : [كاتوليك] ، وهو يرسم الأساقفة والكهنة والرهبان ويرسلهم إلى جهات شتى مثل الهند وبغداد والصين ، كما يفعل بابا رومية مع اللاتين واعلموا أن جميع الأقمشة الموشاة بالذهب والحرير التي تصنع في هذه البلاد تسمى موصلية . ويأتي من هذه الديار عدد كبير من التجار يقال لهم أيضاً الموصليون ، وهم يحضرون معهم كميات وافرة من الفلافل ومن الأقمشة المذهبة والحريرية . وهناك أيضاً جنس آخر من الناس يسكنون الجبال ويسمونهم الكرد ، بعضهم نصارى وبعضهم مسلمون ، وهم أشرار(*) لأن من عادتهم أن ينهبوا التجار . (ص ٧٦ - ٧٧).

بغداد والبصرة :

بغداد مدينة كبيرة يقيم فيها الخليفة الذي يحكم على جميع المسلمين في العالم ، كما أن رومية هي محل إقامة البابا للمسيحيين . وفي وسط المدينة يجري نهر كبير جداً ، ومن الممكن للسفن التي تمخر هذا النهر أن تصل إلى بحر الهند وهو على مسافة ثمانية عشر يوماً من بغداد ، ولذا فإن عدداً كبيراً من التجار يسافرون على هذا النهر ويذهبون مع بضائعهم إلى بلدة تسمى شيزي [لعلها جزيرة قيس] ، ومنها يدخلون بحر الهند . وعلى هذا النهر ، بين بغداد وشيزي ، مدينة كبيرة اسمها البصرة . وحول هذه المدينة ، من جميع أطرافها ، أشجار النخل التي تعطي أطيب تمر في العالم . أما بغداد فإنه يُصنَع فيها شتى أصناف الأقمشة الحريرية والمذهبة . وهي أرقى مدن هذه الناحية وأكبرها . ولكن في سنة ١٢٥٥ من ميلاد المسيح^(١) جاء كبير التتر واسمه ألاو [هولاكو] ، وهو أخو سلطان التتر الذي يحكمهم اليوم ، وحاصر بغداد وأخذها عنوة ، وكان يصحبه جيش كبير يزيد على مئة ألف فارس دون المشاة (ص ٧٧ - ٧٩) (أنتهت الترجمة) .



هذا كل مايقوله ماركو بولو عن بعض البلدان العربية . ولم نسقط من كلامه إلا بعض الحكايات والخرافات التي لا محل لذكرها هنا . أما وصفه للصين وعاملها الأكبر كويلاني خان فليس من موضوع هذا المقال .

ثلاث وخمسون سنة قبل ابن بطوطة قام (ماركو بولو) برحلة تحاكي في عدد من نواحيها رحلة المغامر المغربي . فكلاهما زار الهند والصين ، وطاف في سوريا وتركيا وإيران وروسيا وجزر الهند ، وتولى المناصب الرفيعة ، ثم ألقى عصا الترحال وأمل مذكراته — ولم يكتبها — ووصف فيها البلاد التي شاهدها ، أو سمع بها ، وتكلم عن الملوك والسلاطين ، وذكر عادات الناس وأحوالهم ولكن (ماركو بولو) أعار كل اهتمامه الناحية الاقتصادية لأنها قوام التجارة — وهو من أسرة ومدينة أحلا التجارة أعلى مركز — ومع ذلك نراه لا يهتم الناحية الاجتماعية والدينية ، فيشيد بمدح (بؤذا) ويقبل عدداً من الخرافات والأساطير كما لو كانت حقائق تاريخية . أما ابن بطوطة فقد زاد عليه إذ طاف أيضاً في الأندلس وإفريقيا ، ولكنه قبل هو أيضاً دون تمحيص كل ماذكر له من كرامات وعجائب .

ولا نريد في هذه العجالة أن نقارن بينهما أو أن نُفضّل الواحد على الآخر فكلاهما مغامر جريء وكلاهما : (أخو سفر ، جواب أرض ، تقاذفت به الفلوات) على حد قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، وعصفت به رياح البحار . وكلاهما وصف فأفاد . إنما الفرق بينهما يعود إلى شخصية صاحب الرحلة ، فابن بطوطة جعل من نفسه محور قصته ، وكان عربياً مسلماً فقيهاً ، وتجوّل في بلاد يدين معظم أهلها بالإسلام ، ويفهمون لغة القرآن ، فسهل عليه الاختلاط بهم والتحدث معهم ، وفهم طبائعهم وأحوالهم . وعلاوة على ذلك كان ابن بطوطة مزوجاً مطلقاً فأكثر من الحديث عن نسائه . وعن عادات الزواج . وكان أيضاً شديد التمسك بأهذاب الدين ، فدفعته التقوى لزيارة المساجد والزوايا ، وعلى ذكر كل من عرفه من أصحاب الكرامات وهم كثر . أما (ماركو بولو) فإنه أحسن خاصة وصف الصين بسبب إقامته الطويلة فيها ، ومعرفته بعض لهجاتها ، ولكنه رأى العالم الإسلامي من الخارج ، ولم يحسن فهمه ، ولم يجعل من نفسه محوّر

الرَّحْلَة ، فلم يتكلم عن امرأة أحبها أو فتاة تزوجها ، وظل مُغْلَق القلب ، ينظر إلى العالم نظرة الجغرافي . وعلى الرغم من الأخطار العديدة التي مرَّ بها ، من وقوعه أسيراً بين أيدي قوم طغاة (ص ٩٢) فإنه لا يأتي على ذكر هذه الأمور إلا عرضاً ، ولا يتحدث عنها إلا بكل اقتضاب ، وكأنه ينظر إليها كأمر لا تستحق أن يهتمَّ بها من يقرأ الرحلة .

وإذا قارنا مايقوله الاثنان عن الأماكن التي زارها كلاهما مثل سيلان وجاوة ومعبر، نجد أن وصف الواحد يأتي مُتِمًّا لقول الآخر ، إنما يزيد عليه بالصفة التي يتحلَّى بها أي بالدقة الجغرافية عند (ماركو بولو) وبالعاطفة الإنسانية لدى ابن بطوطة .

ولا شك أن مايقوله (ماركو بولو) عن بعض البلدان العربية ليس له دائماً سمة الشيء الجديد ، ولا ندري ما هو نصيبه من الصحة عندما يتحدث عن جزيرة سُقْطْرَى ، إلا أنه يعطينا فكرة عما كان يعرفه الغرب عن هذه البلاد في أواخر القرن الثالث عشر . ولا نعلم إذا كان ابنُ بطوطة — أو كاتب رحلته ابن جُزَي — اطلع على قصة رحلة (ماركو بولو) لأن كتاب المغامر البندقي لاقى إقبالاً شديداً منذ ظهوره ، حتى أن عدد مخطوطات المعروفة اليوم تبلغ نحو مئة وخمسين ، منها بالفرنسية واللاتينية وبعض اللهجات الإيطالية والاسبانية — لهجة برشلونة وبلنسية — وقد يكون ابنُ بطوطة سمع به عندما زار الأندلس . ولا شك أن (ماركو بولو) تحدث عن أماكن لم تطأها قدماء . ولكن هل شاهد ابنُ بطوطة جميع البلدان التي ذكرها ووصفها؟ فنحن على ثقة مثلاً أنه لم يصل إلى صنعاء وجبلة^(١٢)، كما أن (ماركو بولو) لم يدخل سقطرى أو عدن أو ظفار — إنما مرَّ بها وقد يكون رآها عن بُعد — ، فكل منها وصف أحياناً مستنداً إلى أقوال الناس . إلا أن هذا الوصف القائم فقط على السماع لا ينقص من فضلها ، إذ نجدُه أيضاً عند جُلِّ أصحاب الرحلات ، بله كلهم ، ولأنها حرصاً على أمانة النقل ، فعلى الناقد أن ينزه أقوالها عن الشوائب .

الهوامش :

- (١) يوسف شلحد ورفقاؤه : العربية الجنوبية تاريخاً وحضارة ، الجزء الأول ، ص ٥٥ - ٨٩ ، باريس ، ١٩٨٤ (باللغة الفرنسية)
- (٢) انظر منشورات المعهد الفرنسي لعلم الآثار الشرقية في القاهرة .
(*) : [العرب : كتب مقدمته صاحب هذه المجلة] .
- (٣) A. T'SERSTEVENS كتاب (ماركو بولو) منشورات البان ميشيل ، باريس ، سنة ١٩٥٥ .
- (٤) بعد هذا الكلام حكاية مفادها أن سلطان عدن أرغم أسقف الحبشة ، عند مروره بهذا المرسى ، على إجراء عملية الختان ، مما حمل القوات الحبشية على غزو عدن .
- (*) [العرب : كذا في الأصل (يَعْبُدُونَ) ، ولكن الكلمة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم يَنْبَغُ ، أطلقها الرحالة لجهله بمدلولها العربي] .
- (٥) لعله مرسى موزع ، على البحر الأحمر .
- (٦) كذا ، ومن المعلوم أن الشَّحْر يقع شرقي عدن منحرفاً إلى الجنوب .
- (٧) يظهر من كلام (ماركو بولو) أن (قلطو) تقع قرب مدينة مسقط وأن خليجها هو خليج عُمان [العرب] : اسم قُلْهَات أقرب شَبْهاً باسم (قلطو) وقد وصفها ياقوت في القرن السادس وأول السابع في «معجم البلدان» بوصف يُقَرِّبُهَا من وصف (ماركو بولو) فقال : (قُلْهَات مدينة بِعْمَان ، على ساحل البحر ، إليها ترقاً أكثر سفن الهند ، وهي الآن فُرْضة تلك البلاد ، وأمثلة أعمال عُمان ، عابرة أهلة ، وليست بالقديمة في العبارة ، ولا أَظُنُّهَا تَقْصُرَتْ إلا بعد الخمس بَتَّة ، وهي لصاحب مُرْمَز ، وأهلها كلهم إباحية) .
- (٨) تأتي على ذكرها تماماً للفائدة .
- (٩) ولعلها جزر (كُريَا) و(مُريَا) .
- (١٠) يقول الحمداني في صفة جزيرة العرب : (طول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً وفيها من جميع قبائل مَهْمَرَة ، وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى) (ص ٧٠ ، تحقيق محمد بن علي الأكرع ، منشورات دار البیامة ، الرياض ، سنة ١٩٧٤) . وانظر «مروج الذهب» ٣/٣٦ و«نزهة المشتاق» للأدريسي ٤٩ وما بعدها ط : نابلي - ودالرويض المطبوع : ٣٣٧ -
- (١١) فتح هولاء بغداد ٤ صفر سنة ١٠/٦٥٦ شباط ١٢٥٨ .
- (١٢) يزعم ابن بطوطة أنه زار زبيد ومنها ذهب إلى جبلة ثم إلى نَجَزْ وصَنْعَاء . ومعنى ذلك أنه عاد على أعقابهِ من جبلة إلى نَجَزْ ، ثم سافر من جديد من نَجَزْ إلى جبلة ومنها إلى صنعاء . ثم سافر من قاعدة بلاد اليمن إلى عدن فاجتاز للمرة الثالثة جبلة ، وهو يقول عنها : إنها ذات نخل مع أنها على ارتفاع يبلغ نحو ألفي متر . ولا بُدَّ له من المرور بالأراضي التي كان يحكمها الامام الزيدى إذا مازار صنعاء ولكنه أهمل ذكره تماماً .
- (*) [العرب : كذا في الأصل (يعبدون) - وانظر ماتقدم - والمسلمون لا يعبدون إلا الله وحده ، ولكنهم (يعظمون) محمداً فيقرون برسالته ، ويحبونه ، ويطيعونه ، ويعظمونه] .
- (*) ليس كل الأكراد أشراة ، هم كغيرهم من الناس ، فيهم الصالح وغيره ، والأمانة العلمية هي التي أوجبت نقل كلام الرحالة على جلايته .

الاحتجاج في العربية المحتج بهم - زمان الاحتجاج

كلام العرب شعراً ونثراً مصدرٌ من مصادر الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف بعد كتاب الله - تعالى - وحديث رسوله ومصطفاه ﷺ .

وجميع العرب ولدُ إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - فقد أنطقه الله - عز وجل - بالعربية المِيبِنَةُ على غير التَّلْقِينِ والتمرين ، وعلى غير التدريب والتدريج^(١) .

ففي « طبقات فحول الشعراء » - ١ : ٩ - : (قال يونسُ بنُ حبيب : أوَّلُ من تكلم بالعربية ، ونَسِيَ لسانَ أبيه إسماعيلُ بنُ إبراهيم - صلوات الله عليهما -) .

ويُسْتثنَى من ذلك قبائلُ جُمَيْرٍ ، وبقايا جُرْهم .

ففي « طبقات فحول الشعراء » - ١ : ١١ - : (قال أبو عمرو بن العلاء : ما لسانُ جُمَيْرٍ وأقاصي اليمنِ اليومَ بلساننا ، ولا عَرَبِيَّتُهُم بعَرَبِيَّتِنَا ، فكيف بما على عهد عادٍ وثمودَ مع تداعيه ووهيه) .

وكان العرب - قديماً - يقطنون اليمن والحجاز وما جاورهما ، ثم انتشروا في سائر البلاد .

ففي « فقه اللسان » - ١ : ٣ - : (قال يوسف داود الموصلي في كتابه في « نحو العربية » : إن اللغة التي تُسْتَعْمَلُ في معظم الغربية الجنوبية من آسيا ، وفي مصر ، وسائر البلاد الشمالية من إفريقية ، وفي غير ذلك من الأمصار ، تسمى اللغة العربية نسبة إلى العرب الذين هم في الأصل سكانُ اليمن والحجاز ، وسائر ما يجاورها من البلاد المعروفة بجزيرة العرب ، وسكان صحارى الشام ، والجزيرة والعراق .

وكانت اللغة العربية على أنحاء شتى بسبب اختلاف قبائل العرب وتوالدهم

كما يختلف الآن لسان البلد الواحد عن لسان البلد الآخر من بلاد العرب أنفسهم) .

والعربيُّ يُحَسِّنُ اختيارَ اللفظ للدلالة على المعنى المقصود ، في موضعه المنشود ، وله عناية فائقة في النثر والشعر .

قال الشافعيُّ - رحمه الله - في « الرسالة » - ٤٢ - (لسانُ العرب أوسعُ الألسنة مَذْهَبًا ، وأكثرُها ألفاظًا ، ولا نعلمه يُحِيطُ بجميعِ علمِه إنسانٌ غيرُ نبيٍّ ، ولكنه لا يذهب منه شيءٌ على عامتها حتى لا يكونَ موجوداً فيها مَنْ يعرفه) . وهذا كلامٌ حَرِيٌّ أن يكون صحيحاً ، ولم يدَّعِ أحدٌ ممن مضى حفظ اللغة كلها^(٢) .

والمراد بكلام العرب المستشهد به كلامُ القبائل العربية الموثوقِ بفصاحتها ، وصفاء لغتها في الجاهلية والإسلام إلى أن فسدتِ الألسنة بالاختلاط مع الأعاجم ، وفُشِيَ اللحن .

وأفصح العرب قبيلة قريش ، ولهذا نَزَلَ القرآن الكريم بلغتها .

قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بـ « الألفاظ والحروف »^(٣) : (كانت قريش أجود العرب انتقاداً^(٤) للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق بها ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانةً عما في النفس ، والذين عنهم نُقِلَتِ اللغةُ العربية ، وبهم اقتدي ، وعندهم أُخِذَ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب هم : قيس ، وميم ، وأسَد ، فإن هاولاً هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذَ ومعظمه ، وعليهم اتَّكَلَ في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم^(٥)) .

وقال أحمد بن فارس في « الصحاح » - ٣٣ - ٣٤ - (... أجمع علماءنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بِلُغَاتِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ وَمَحَالِّهِمْ : أن قريشاً أفصحُ العربِ أَلْسِنَةً ، وَأَصْفَاهُمْ لُغَةً ، وذلك أن الله - جل ثناؤه - اختارهم من

جميع العرب واصطفاهم ، واختار منهم نبي الرحمة محمداً ﷺ .

فَجَعَلَ قَرِيشاً قُطَانَ حَرَمِهِ ، وجيرانَ بيته الحرام ، وِوَلَاتَهُ . فكانت وُفُودُ العرب من حُجَّاجِهَا وغيرهم يَفْدُون إلى مكة للحج ، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم . وكانت قريش تعلمهم مناسكهم ، وتحكم بينهم ...

وكانت قريش - مع فصاحتها ، وحسن لغاتها . وِرْقَةً أَلَسْتُهَا - إذا أتتهم الوُفُود من العرب ، تَخَيَّرُوا من كلامهم وأشعارِهِم أحسنَ لغاتهم ، وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تَخَيَّرُوا من تلك اللغات إلى نَحَائِزِهِم وَسَلَائِقِهِم التي طُبِعُوا عليها ، فصاروا بذلك أفصحَ العرب .

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عَنَنَةً تميم^(٦) ، ولا عَجْرَفِيَّةً قيس^(٧) ، ولا كَشَكْسَةَ أَسَد^(٨) ، ولا كَسَكْسَةَ ربيعة^(٩) ، ولا الكَسَرَ الذي تسمعه من أَسَد ، وقيس مثل : يَعْلَمُونَ وَنَعْلَمُ ، ومثل : شِعِيرٌ وَبِعِير^(١٠) ؟ .

والنحاة اعتمدوا في تقعيد القواعد ، وتثبيتها على لغات هذه القبائل ، فاعتمدوا على لغة قريش ، وسموها : اللغة الحجازية ، ويأتي بعدها في الفصاحة لغةُ تميم ، وتَقَرُّنُ بكتب النحو والصرف بلغة الحجاز .

وللنحاة عنايةٌ بذكر لغة قيس ، وقد تقرر بلغة الحجاز ، وبلغة تميم ، كما يعتنون بلغة بني أَسَدٍ ، وبلغة طيء ،

وفي مقدمة «فقه اللسان» - ١ : ٣ - ٤ - : قال الشيخ يحيى في رسالته المسماة «ارتقاء السيادة» : إن العربَ المأخوذَ عنهم اللسانُ العربيُّ ، الموثوقُ بعريبتهم هم : بنو قيس ، و تميم ، وأسد وهذيل ، وبعضُ الطائيين . اهـ .

فكانت لغةُ هذه القبائل المذكورة أفصحَ لغات العرب ، وعليها المعتمد ، وإليها المرجع ، ومن هذه القبائل : بنو قريش ، وهم بطون مضر ولد إسماعيل ، ولغتهم مفضلة على غيرهم ؛ لأنه فيها نَزَل «القرآن» .

ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان وإليه تنتهي أنسابُ قريش وقيس وهذيل وغيرهم^(١١) .

أخرج البخاري في « صحيحه » في « كتاب فضائل القرآن » - باب نَزَلَ القرآن بلسان قُرَيْشٍ والعَرَبِ - ٦ : ٩٧ - من حديث أنس بن مالك قال : (فَأَمَرَ عِثْمَانُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ هِشَامٍ أَنْ يَنْسَخُوهَا^(١٢)) في المصاحف ، وقال لهم : إذا اختلفْتُمْ أَنْتُمْ ، وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ في عَرَبِيَّةٍ من عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا) .

وفي « فتح الباري » - ٩ : ٩ : قال القاضي أبو بكر بن الباقلاني : معنى قول عثمان : نزل القرآن بلسان قريش ، أي : معظّمه ، وأنه لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش ، فإن ظاهر قوله - تعالى - ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ أنه نزل بجميع السنة العرب ، ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة ، أوهما دون اليمن ، أو قريشاً دون غيره فعليه البيان ، لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولاً واحداً .

وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون قوله : نزل بلسان قريش أي : ابتداء نزوله ، ثم أبيع أن يُقرأ بلغة غيرهم . اهـ .

وتكلمته أن يقال : إنه نزل أولاً بلسان قريش أحد الأحرف السبعة ، ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلاً وتيسيراً . فلما جمَعَ عثمانُ الناسَ على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نَزَلَ الْقُرْآنُ أَوَّلًا بِلِسَانِهِ أَوَّلَى الْأَحْرَفِ ، فحمل الناس عليه ؛ لكونه لسان النبي ﷺ ، ولأنه له من الأوليّة المذكورة . . .) .

و« القرآن الكريم » هو في أعلى مستويات الفصاحة بالإجماع .

قال ابن خالويه في « شرح الفصيح » : (قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وَرَدَتْ في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن ، لا خلاف في ذلك)^(١٣) .

قال أبو نصر الفارابي في « الألفاظ والحروف » : (. . . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سُكَّانِ الْبَرَارِيِّ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ أَطْرَافَ بِلَادِهِمُ الَّتِي تَجَاوِرُ سَائِرَ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْخَذْ لَا مِنْ لَحْمٍ ، وَلَا مِنْ جُدَامٍ ؛ لِمَجَاوَرَتِهِمْ

أهل بَصَرَ والْقِنْط ، ولا من قُضَاعَة ، ولا من غَسَّان ، ولا من إِيَاد ؛ لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بالعبرانية ، ولا من النَّمِير ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بَكْرِ لمجاورتهم للنَّبِيط والفرس ، ولا من أَرْدِ عِمان ، لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن^(١٤) أصلاً ، لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بني حَنِيْفَة ، وسكان اليمامة ، ولا من ثَقِيف ، وسكان الطائف ، لمخالطتهم تُجَّار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم .

والذي نَقَلَ اللغةَ واللِّسَانَ العربيَّ عن هؤلاء ، وأثبتها في كتاب ، وصيَّرها عِلْماً وصناعة ، هم أهل الكوفة والبصرة فقط ، من بين أَمْصَارِ العرب^(١٥) .

ونقل ذلك أبو حيان في « شرح التسهيل » معترضاً به على ابن مالك حيث عَنِيَ^(١٦) في كتبه بنقل لغة تَحْمٍ وخزاعة وقُضَاعَة ، وغيرهم ، وقال : ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن^(١٧) .

ثم الاعتماد على ما رواه الثقات عنهم بالأسانيد المعتبرة من نثرهم ، ونظمهم وقد دُوِّنَتْ دواوينُ عن العرب العرباء كثيرة مشهورة ، كـ « ديوان امرئ القيس » والطَّرِمَاح وزهير وجريير والفرزدق وغيرهم^(١٨) .

هذه موارد الشواهد النحوية والصرفية عند البصريين الذين كانوا يتشددون في الأخذ والتحمل ، ولا يقبلون كلام من اختلط بالخواضر .

ففي « طبقات فحول الشعراء » - ١ : ١٢ - : (كان لأهل البصرة في العربية قُدْمة^(١٩) ، وبالنحو ولغات العَرَب والغريب عناية) . انتهى .

أما الكوفيون فقد اعتمدوا على القبائل التي اعتمد عليها البصريون واعتمدوا على لغاتٍ أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها ، وهي لهجات سكان الأرياف الذين وثقوا بهم ، كأعراب الحطمية الذين غَلَطَ البصريون لغتهم وحنَّوْها ، واتهموا الكسائي بأنه أفسد النحو ، أو بأنه أفسد ما كان أخذ بالبصرة ، إذ وثق

بهم ، وأخذ عنهم . واختُجَّ على سيبويه في المناظرة التي جرت بينهما بلغاتهم^(٢٠) .
أما الشعر من كلام العرب فكان النحاة عامة ينظرون إليه بدقة وحذر ،
ولا يعتمدون إلا على ما ثبت عندهم صحة نسبته إلى قائله ، وفصاحته ، وصدق
راويه ، والوثوق فيه ، وخلوه من الضرورات ، لذلك اشتدت عنايتهم بالرواية
 وأنواعها وطرقها ، وبصفات الراوي ، وما يجب عليه من الأمانة والصدق ،
 ونحوها^(٢١) .

ويعتمد في تقرير أحكام اللفظ على أشعار الجاهلية ، وهم قبل الإسلام
كأُمريِّ القيس وزهير والأعشى .

والمُخَضَّرَمين ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، كحسان وليد
والإسلاميين ، وهم الذين نشأوا في صدر الإسلام ، كالفرزدق وذو الرمة .

وأما المولَّدون ، ويقال لهم : المُحَدَّثُونَ وهم مَنْ بعدهم إلى زماننا ، وتبتدي
طبقتهم ببشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧هـ^(٢٢) ، وأبي نُوَّاس ، الحسن بن هانئ
المتوفى سنة ١٩٨هـ^(٢٣) ، فلا يُحْتَجُّ بشيء من أشعارهم في أحكام اللسان .

فالتبقتان الأوَّلَيان يُستشهد بشعرهما إجماعاً ، وأما الثالثة فالصحيح صحة
الاستشهاد بكلامها^(٢٤) .

وكان بشار قد هجا الأخفش ، فأورد الأخفش في كتبه شيئاً من شعره ، ليكفَّ
عنه^(٢٥) .

وكذلك سيبويه استشهد بشيء من شعر بشار ؛ تقرباً إليه ، لأنه كان قد
هجاه ؛ لتركه الاحتجاج بشعره^(٢٦) .

واستشهد أبو علي الفارسي في « الإيضاح » : ١٠٢ ، بيت أبي تمام الطائي ،
المتوفى سنة ٢٣١هـ ، وهو قوله :

مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزْمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا^(٢٧)
لأنَّ عَصْدَ الدَّوْلَةِ كَانَ يَجِبُ هَذَا الْبَيْتَ ، وينشده كثيراً ، لأنَّ أبا تمام
يُسْتَشْهَدُ بشعره^(٢٨) .

وذهب بعض علماء العربية إلى صحة الاستشهاد بكلام من يوثق به من المحدثين .

وَجَنَحَ إلى هذا المذهب الزمخشري ، فقد استشهد ببيتٍ لأبي تمام في أوائل سورة البقرة من « الكشاف » (١ : ٤٣) ، وقال : وهو وإن كان مُحدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فَأَجْعَلُ ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيتُ الحماسة ، فيقتنعون بذلك ؛ لو ثوقهم بروايته وإتقانه .

ونحا هذا النحو الرُّضِيّ ، فقد استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع من شرحه لـ « كافية ابن الحاجب » (٢٩) .

وجرى على هذا المذهب الشهابُ الخفاجي فقال في « شرح درة الغواص » : أَجْعَلُ ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه (٣٠) .

وَضَعُفَ هذا المذهبُ من ناحية أن الرواية تعتمد على الضبط والعدالة . أما الثقةُ بصحة الكلام ، أو فصاحته فمدارُها على مَنْ يتكلم بالعربية بمقتضى النشأة والفطرة .

وكيف يُنْتَجِجُ بأقوال هاؤلاء المولدين وقد وقعوا في أغلاط كثيرة ، لا يستطيع أحدٌ تخريجها على وجه مقبول .

فإن ذُكِرَتْ أقوالهم على سبيل الاستثناس به ، ولم تُجْعَلْ دليلاً فلا بأس به .

ولا يُفْتَحُ بابُ الاحتجاج بأقوال المولدين ؛ كيلا يلزم الاستدلال بكل ما وقع في كلام المحدثين ، كالحريري وأضرابه ، والحجة فيها رَوُوءٌ ، لا فيما رَأَوُهُ ، وقد خطأوا المتنبي وأبا تمام والبحري في أشياء كثيرة ، كما هو مسطور في شرح تلك الدواوين ، ويرى ذلك بوضوح في كتب النحو والصرف .

وليس بسديد أن تُصَحِّحَ بعضُ الكَلِمِ أو الأساليب ، استناداً على استعمالات العلماء في مصنفاتهم إن وردت مخالفةً لأساليب العرب في عصور الاحتجاج ، فلكل جَوَادٍ كَبُوءٌ ، ولكل صارمٍ نَبُوءٌ .

فما يلفظ به رواة الشعر وعلماء العربية لا حجة فيه ، إلا أن تذكره على وجه الاستثناس ، وأنت مآلي يدك بما هو حجة ، أو منتظر لأن تظهر بالحجة .
والفساد في اللغة أسرع إلى السنة أبناء العرب ، ومن نشأ في بيتهم منذ وصلت الفتوح الإسلامية العرب بالعجم .
وقد ظهر اللحن بجلاء في أواخر عهد الدولة الأموية ، وكان انقراضها سنة ١٣٢ هـ .

أما سكان الجزيرة فإنهم ما برحوا على فصاحة اللغة إلى أواسط القرن الرابع .
وأما الخاصة من سكان المدن فبقوا على فصاحة اللهجة إلى أوائل عهد الدولة العباسية (٣٢) .

ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال : ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة ، وهو آخر من يُحتج بشعرهم . وقد توفي في خلافة الرشيد سنة ١٧٦ (٣٣) .

والذين نشأوا في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة انتشاراً يرفع الثقة بفصاحة لهجتها ، يؤثّق بأقوالهم ، ولو كانوا في القرن الثالث .

قال ابن جني في « الخصائص » - ٢ : ٥ - : (باب في ترك الأخذ عن أهل المَدْرِ كما أُخذ عن أهل الوَيْر) عِلَّةُ امتناع ذلك ما عَرَضَ للغاتِ الحاضرةِ وأهل المَدْرِ من الاختلال والفساد والخطَل .

ولو عَلِمَ أن أهل (٣٤) مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوير .

وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوير ماشاع في لغة أهل المَدْرِ من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها ، وترك تلقّي ما ترد عنها . وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ؛ لأننا لا نكاد نرى بدويّاً فصيحاً . وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه ، لم نكد نعدم ما يُفسد ذلك ويقدح فيه ، وينال ويغض عنه .

والشافعيُّ المتوفى سنة ٢٠٤هـ ، نشأ في بيئة عربية ، وهي مكة المكرمة وهو حجة في كلامه وعباراته ، يصح الاستشهاد بما يستعمله من الألفاظ ؛ لأنه يكتب ويتكلم بلغته على سجيته ، ويتخير من لغات العرب ما شاء .

ولقد كان الشافعي فصيحَ اللسان ، ناصحَ البيان ، في الذروة العليا من البلاغة ، تأدب بأدب البادية ، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضرة . قال أحمد : (كلامُ الشافعي حجةٌ في اللغة) (٣٥) .

وقال الأزهري في « إيضاح ما استشكل من مختصر الزني » : (ألفاظُ الإمام الشافعي عربية محضة ، ومن عجمة المولدين مصونة) (٣٦) .

وقال المازني : (كلام الشافعي عندنا حجة في النحو) .

وأخرج الحاكم عن الزعفراني قال : (مارأيت الشافعي لحن قط) .

وقالوا : إن كلامَ مالك — رضي الله عنه — المتوفى سنة ١٧٩هـ حجةٌ تثبتُ به القواعد النحوية (٣٧) .

ولاني أعجب كل العجب من بعض النحاة الذين تبنوا الصدُّ عن الاحتجاج بكلام سيد الخلق محمد ﷺ ، تعللاً بالرواية بالمعنى ، ورواية العجم ، مع أن الدواعي متوفرة لنقل كلامه ﷺ ، والاعتناء به أكثر من جميع الخلق .

وليت شعري ، مَنْ أَوْلَى من رسول الله ﷺ بالاحتجاج بكلامه ؟!

وَمَنْ الشافعي وَمَنْ مالك — رحمهما الله — بالنسبة لحامل لواء الرسالة للعالمين ؟!

فمهلاً مهلاً يامفتنون .

ولا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يُعرف قائله ، وعلّة ذلك : الخوف من أن يكون لمولّد ، أو مَنْ لا يوثق بفصاحته (٣٩) .

فإن روى الشعرَ عربيٌّ ينطق بالعربية بمقتضى السليقة فيحتجُّ به ، وكان العرب ينشد بعضهم شعراً للآخر ، فيرويه عنه كما سمعه ، أو يتصرف فيه على مقتضى لغته ، ولهذا تكثر الروايات في بعض الأبيات ، ويكون كلُّ منها صالحاً للاحتجاج ، كما يُحتجُّ بالشعر الذي يرويه من يوثق به في اللغة ، واشتهر بالضبط والإتقان وإن لم يُعرَف قائله . وقد تلقى علماء العربية شواهد كتاب « سيويه » بالقبول ، وفيها شواهد كثيرة لم يُعرَف أساء قائلها ، فلأنما يكون الردُّ وجيهاً إذا روى الشعر من لم يكن عربياً فصيحاً ، ولم يشتهر بالضبط والإتقان فيما يسوقه من الشعر على أنه عربي فصيح^(٤٠) .

ولا يَغِبُّ عنك أن ما نحنُ بصددِه من مواردِ العربية خاصٌّ بما يُستشهدُ به في النحو والصرف واللغة .

أما ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع فإنه يُستشهدُ عليها بكلام الشعراء جميعاً ، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره .

واليك ما قاله الأندلسيُّ في « شرح بديعية ابن جابر » : (علوم الأدب ستة : اللغة ، والصرف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والثلاثة الأولُ لا يُستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة ، فإنه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ؛ لأنها راجعة إلى المعاني ، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم ؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قُبِلَ من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحري وأبي تمام وأبي الطيب وهلمَّ جرا)^(٤١) .

ويقول ابن جني في « الخصائص » - ١ : ٢٤ - وقد استشهد ببيتٍ للممتني :

(ولا تستنكر ذكر هذا الرجل - وإن كان مولداً - في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ، ولطف متسرُّبه (؟) ، فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون . وقد كان أبو العباس^(٤٢) - وهو الكثير التعقب لجلَّة الناس - احتجَّ بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي في كتابه في الاشتقاق ، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه) .

ويقول أيضاً في « المحتسب » - ١ : ٢٣١ - وقد استشهد ببيتٍ للمتنبي :
 (ولا تقل مايقوله من ضعفته نحيزته^(٤٣)) ، وركت طريفته : هذا شاعرٌ مُحدّث ،
 وبالأمر كان معنا ، فكيف يجوز أن يُحتجَّ به في كتاب الله - جل وعز - ؟ فإن
 المعاني لا يرفعها تقدُّمٌ ، ولا يَزري بها تأخُّرٌ . فأما الألفاظ فلعمري أن هذا
 الموضوع معتبر فيها ، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغرسها ، وإذا جاز لأبي
 العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولد الآخر أشبه) .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

أبها : د. محمود فجال

أستاذ النحو العربي المشارك

في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

مصادر البحث ومراجعته :

- « الأعلام » لخير الدين الزركلي - الرابعة - دار العلم للملايين ١٩٧٩ م .
- « الاقتراح » للسيوطي - تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم - الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م القاهرة .
- « الإنصاف في مسائل الخلاف » لأبي البركات الأنباري - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - الرابعة ١٣٨٠ هـ السعادة .
- « الإيضاح العضدي » للفارسي - تحقيق الدكتور شاذلي فرهود - الأولى - ١٣٨٩ هـ مطبعة دار التأليف بمصر .
- « بحوث ومقالات في اللغة » للدكتور رمضان عبدالتواب - الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م - المدني .
- « البداية والنهاية » لابن كثير - الأولى ١٣٥١ هـ السعادة بمصر .
- « البيان والتبيين » لأبي عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ - الرابعة ١٣٩٥ هـ .
- « تاج العروس » لمحمد مرتضى الزبيدي - الخيرية ١٣٠٦ هـ بمصر .
- « الحروف » للفارابي - دار المشرق - بيروت - تحقيق الدكتور عمن مهدي .
- « خزانة الأدب » لعبدالقادر البغدادي - تحقيق عبدالسلام هارون - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٧ هـ .
- « الخصائص » لابن جني - تحقيق محمد علي النجار - طبع دار الكتب ١٣٧١ هـ .
- « دراسات في كتاب سيويه » للدكتورة خديجة الحديثي - الكويت ١٩٨٠ م .
- « دراسات في العربية وتاريخها » لمحمد الخضر حسين - دار الفتح بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- « الرسالة » للشافعي - تحقيق أحمد محمد شاكر - الأولى ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م - مصطفى البابي الحلبي .
- « سيويه إمام النحاة » لعلي النجدي ناصف - عالم الكتب ١٩٧٩ م .
- « الصحاح » لأحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر - عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧ م .
- « الصحاح » للجوهري - تحقيق أحمد عبدالغفور العطار - القاهرة ١٣٧٧ هـ .
- « صحيح البخاري » طبع إستانبول - تصوير دار الفكر .

- «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام - تحقيق محمود شاكر - طبع المدني بالقاهرة ١٣٩٤هـ .
- «العربية» ليوهان فك - نقله إلى العربية الدكتور عبدالحليم النجار - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .
- «فتح الباري» لابن حجر - تصوير على الطبعة السلفية .
- «فقه اللسان» للسيد كرامت حسين الكتوري - لكتؤ - الهند ١٩١٥م .
- «فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح» لابن الطيب - مخطوط .
- «القاموس المحيط» للفيروز آبادي - الثانية الحسنية ١٣٤٤هـ .
- «كتاب سيويه» تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - الثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب - .
- «الكشاف» للزخشي - صورة عن طبعة مصرية - دار المعرفة - بيروت .
- «لمع الأدلة» للأباري - تحقيق سعيد الأفغاني - الجامعة السورية ١٣٧٧هـ .
- «مجالس ثعلب» تحقيق عبدالسلام محمد هارون - دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .
- «المحتسب» لابن جني - تحقيق علي النجدي ناصف وزميلته - طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٩هـ .
- «المزهر» للسيوطي - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميلته - عيسى البابي الحلبي - القاهرة .
- «مغنى اللبيب» لابن هشام - تحقيق الدكتور مازن مبارك ، ومحمد علي حد الله - دار الفكر بدمشق ١٣٨٤هـ .
- «الموضح» للمرزباني - تحقيق علي محمد البجاوي - مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٥م .

[الحواشي]

- (١) «البيان والبيان» ٣ : ٢٩٠ .
- (٢) انظر «الصاحي» : ٢٦ .
- (٣) هكذا يسميه «السيوطي» ، وأما النسخة الخطية فتسميه «رسالة الحروف» .
- انظر المقدمة لرسالة «الحروف» ص : ٣٤ بتحقيق د. مهدي محسن .
- (٤) النقد والانتقاد : تمييز الدرامم وغيرها . وقد تكون انتقاء ، من انتقاء : اختياره .
- (٥) «الحروف» - ١٤٧ - و«المزهر» - ١ : ٢١١ - ، و«الاقتراح» - ٥٦ - و«فيض نشر الانشراح» - ١٩٢ - خ الرباط . والظاهر أن العبارة تلخيص ماقاله الفارابي ، مع أشياء أضافها السيوطي من معلوماته .
- (٦) هو قلبهم المهمة في بعض كلامهم عينا ، يقولون : سمعتُ عنُ فلاناً قال كذا ، يريدون : أن .
- (٧) وصغرية ضبة ، وهي : تقعرهم في الكلام «تاج العروس» - ٦ : ١٨٩ - .
- (٨) هو إيداهم الكاف شيئاً ، يقولو : عَلَّيش بمعنى : عَلَّيْكَ وفي «الخصائص» - ٢ : ١١ - أنها لربيعه .
- (٩) هي أن يصلوا بالكاف شيئاً فيقولون : عَلَّيْكَس ، وفي «مجالس ثعلب» - ١ : ٨١ - و«الخصائص» - ٢ : ١١ - أنها لهوازن . وانظر «بحوث ومقالات في اللغة» - ٢٢٢ - .
- (١٠) «المزهر» - ١ : ٢١٠ - .
- (١١) «فتح الباري» - ٩ : ٩ - .
- (١٢) أي الآيات أو السور أو الصحف المحضرة من بيت «حفصة» .
- (١٣) «المزهر» - ١ : ٢١٣ - .
- (١٤) المراد بهم العرب النازلون في اليمن من يعرب وقحطان .
- «فيض نشر الانشراح» - ١٩٧ - خ الرباط .

- (١٥) «الحروف» - ١٤٦ - ، و«الاقتراح» - ٥٦ : ٥٧ ، و«المزهر» - ١ : ٢١٢ - ، نُصِرَتْ السبوطي في العبارة .
- (١٦) احتقن ابن مالك في كتبه بنقل اللغات المذكورة ، وذلك لكثرة اطلاعه ، وسنة عارضته . «فيها نشر الاشرار» - ٢٠١ - خ الرباط .
- (١٧) والجواب على أبي حيان : أن «ابن مالك» سار في علوم العربية سير المجتهدين فلا يزي فيها تقليد أحد ، كما شهد له هو - أي : أبو حيان - بذلك . «فيها نشر الاشرار» - ٢٠١ - خ الرباط .
- (١٨) «الاقتراح» - ٥٧ - .
- (١٩) يقال : له في الأمر قَدَمٌ وَقَدَمَةٌ ، أي : تقدم وسيق وأثر حسن يقدمه في إصلاحه . «الصحيح» - قدم ٢٠٠٧ - ٥ .
- (٢٠) انظر «مغني اللبيب» - ١٢٢ : ١٢٥ .
- (٢١) «لمع الأمل» - ٨٥ - و«المزهر» - ١ : ١٣٧ - و«دراسات في كتاب سيبويه» - ٧٣ - .
- (٢٢) «الأعلام» - ٢ : ٥٢ - .
- (٢٣) «الأعلام» - ٢ : ٢٢٥ - .
- (٢٤) انظر «خزانة الأدب» - ١ : ٦ - .
- (٢٥) «الموشح» - ٣٨٥ - .
- (٢٦) استشهد سيبويه في الكتاب في (باب الإدغام) - ٤ : ٤٤١ - بمعجز قوله :

لَمَّا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحُهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحُهُ بِلَيْبٍ

جاء في «رسالة الغفران» : ٤٣١ : (وأصحاب بشار يروون له هذا البيت) ونسبته كثيرون لأبي الأسود ، وهو في ديوانه - ٣٣ - . وفي كتاب «سيبويه» إمام النحاة - ١٥٢ : ١٥٣ مابلي : (وهذا تقول على سيبويه في شواهد : أنه استشهد بشعر بشار ، لا لأنه كان يرى الاستشهاد به ، ولكن لأنه كان يخافه ، ويتقي مكره لسانه ، فقد أنكر بشار أن لا يُستشهد به ، وتوعدته بالهجاء إن هو لم يفعل ، ويذكرون أن سيبويه اضطر لذلك أن يستشهد بقوله :

وما كل مؤتٍ نصحه بليبٍ

وبالرجوع إلى الكتاب نجد هذا الشطر فيه دون نسبة ، فهل تظن أن بشاراً كان يمكن أن يرضى بذلك ، ويحد فيه مقنناً . فنهذا ثورته ، ويرجع عن هجاء صاحبه ؟ هيهات ، لأن أمانة بشار أن يرفع سيبويه إلى مرتبة من كان ينجح بهم من الشعراء ، ولا يتحقق ذلك على وجهه إلا إذا استشهد به ، وذكر اسمه في الاستشهاد .

وليس لسيبويه ما يعتذر به من إغفال اسمه ، فإنه ليعلم أن الشعر شعره غير منازع فيه ، ثم ما جدّواه من إغفال اسمه إذا هو قبل الاحتجاج به ، فالخطب بعد ذلك يسير . وسيعلم الناس الحقيقة حتماً . ولقد كان الهجاء حيناً على بشار ، بل لقد كان به مولعاً ، وفيه جرئاً ، حتى ما يكاد يرقب فيه فماعاً أو يهاب أحداً ، فلمل سيبويه إذا صحت القصة إنما استشهد به للاستئناس ، وحين المذاكرة والدرس .

على أن البيت ليس خالصاً لبشار ، ينسب إليه ناسٌ ، وينسب إلى أبي الأسود ناسٌ آخرون ، ورجعت إلى بليّات بشار في الجزء الأول من ديوانه فلم أثر على البيت فيه . (هـ) (بتصرف) . وفي كتاب «العربية» ليوهان فك - ٥٢ - مابلي : (... تريد إحدى الروايات أن تعرف أن سيبويه اعتبر شعر

(البنوية) قد وأدّها أهلها فَلَمْ تَنْبَشْ قَبْرَهَا؟!

... وقد قرأتُ فيما قرأتُ في «العرب» س ٢٢ ص ٦٩٣ مقالةً حول كتاب «الخطيئة والتكفير» للأستاذ صالح بن عبدالرحمن الصالح منقولة عن جريدة «الرياض» .

-
- بشار حجة خوفاً من سلاطة لسانه . ولكن الكتاب نفسه يدحض هذه الرواية ، حيث تبحث عبثاً عن اسم بشار فلا تجد له ذكراً (. . .) .
- وانظر «بحوث ومقالات في اللغة» - ٩٨ : ٩٩ .
- توسعت في هذه المسألة ، لِتَطْلُبَ المقام لها ، لأن سيويه أول واضع لقواعد العربية بشمولية فائقة ، بحيث لم تستطع الأجيال المتأخرة أن تغير شيئاً من أسسه وقواعده .
- وسيويه يرجع دائماً في شؤون الاستعمال اللغوي إلى العرب المطلق على الاحتجاج بهم ، ولا يجيد من ذلك ، ولا يرهبه التهديد والتنديد .
- (٢٧) استشهد أبو علي بالبيت على رفع قوله مَرَضٌ محلاً على الابتداء ، و (روض الأمان) خبره ، والجملة خبر كان ، واسم كان ضمير عائد إلى المبتدأ الذي هو مَنْ .
- (٢٨) وفيات الأعيان - ٢ : ٨١ - ، و الاقتراح - ٧٠ - ، و خزانة الأدب - ١ : ٨ - .
- (٢٩) و خزانة الأدب - ١ : ٧ - .
- (٣٠) انظر دراسات في العربية وتاريخها - ٣٧ - .
- (٣١) و خزانة الأدب - ١ : ٧ - .
- (٣٢) دراسات في العربية وتاريخها - ١٧٤ - .
- (٣٣) البداية والنهاية - ١٠ : ١٦٩ - ، و الاقتراح - ٧ - ، و خزانة الأدب - ١ : ٨ - .
- (٣٤) وفي «القاموس» (حكيد) : (أَنَّهُ جَيْلٌ قُرْبٌ رَبِيذٌ أَهْلُهَا بَاقِيَةٌ عَلَى اللَّغَةِ الْفَصِيحَةِ) .
- وقال شارحه محمد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس» - ٢ : ٤٢٩ - : أي : (إلى الآن ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاثة ليال خوفاً على لسانهم) اهـ ووفاته الشارح كانت سنة ١٢٠٥هـ .
- (٣٥) و الاقتراح - ٥٧ - .
- (٣٦) دراسات في العربية وتاريخها - ٢٧٤ - .
- (٣٧) لبض الانشراح - ٢٠٥ - خ الرباط .
- (٣٨) كابن الضائع المتوفى سنة ٦٨٠هـ ، وأبي حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ ومن خذاً خلّوفاً .
- (٣٩) انظر : و الإنصاف - ٢ : ٥٨٣ - ، و الاقتراح - ٧١ - .
- (٤٠) انظر دراسات في العربية وتاريخها - ٣٩ - .
- (٤١) و خزانة الأدب - ١ : ٥ - .
- (٤٢) يريد المبرد ، محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٨٥هـ .
- (٤٣) طبعته .

وقد أشارت المقالة إلى ما أحدثه كتاب « الخطيئة والتكفير » من البنيوية إلى التشرجية - من الدوي في (الساحة الثقافية) في المملكة العربية السعودية ، وأشار الكاتب إلى أن هذا الكتاب قد فاق غيره من الكتب فيما أحدثه من أثر .

قرأت المقالة بشوق ، ذلك أني كنت قد قرأت الكتاب من ذي قبل ، فاشاع في خيرة ، ودفعني إلى الإحساس بالتعب ، لا لأنني شقيت بمأذيتي العلمية العسيرة ، بل إن شقائي به قد تأتى من أن المؤلف قد اضطرب أشد الاضطراب فيما أراد أن يثبت ، وكأن المؤلف يسعى قاصداً إلى ضرب من الإغماض ، وهو حين يجد نفسه واضحاً أمام القارئ ينقلب سريعاً إلى طريقته في الغموض والإغماض ، وكأنه يخشى أن يعود إلى القارئ الذكي بيانه وفطنته ، فيفهم اشتاتاً من (الكتاب) .

قرأت (الكتاب) وجهدت في الوصول إلى شيء منه يتيسر بالبيان الواضح ، فحملته على نظائره مثل كتاب « اللغة العربية مبناها ومعناها » وطائفة أخرى من الكتب التي عرضت لما يدعى بـ (البنيوية) محمولة حيناً على النقد الأدبي الحديث ، فيما يزعم أصحاب هذه الكتب ، وعلى (الالسنية) حيناً آخر .

لقد شغلني هذه الكتب من حيث أنها تتصل بـ (علم اللغة) - كما يشير هاؤلاء المؤلفون - غير أنني لم أخرج منها بزايد مفيد ، ذلك أن طريقة هاؤلاء طريقة خاصة ، تنكر ما تعارف عليه أهل الدرس الجاد ، وكان الزاد فيها مادة ضيلة تتيسر بالكفاف .

ولقد شقيت بهذا الدرس الجديد لعلمي أن نقرأ من أصحابه أساتيد جامعات ، وألفت إلى أصحابنا الذين أعرفهم ، والذين كان لهم نصيب في الدرس اللغوي ، فوجدت لديهم مثل الذي وجدته من حيرة ونصب ، وأطمأنت نفوسنا جميعاً إلى أن يكون أصحابنا العرب الذين درسوا في الغرب قد عادوا إلينا بزايد غير الذي اضطلعوا به في أطاريجهم العلمية ، وكان « أدب الوزراء » لابن شاذان بضاعة مزجاة ، لا يستطيعون أن يخطفوها بها وبأمثالها من التراث العربي

أبصار القراء العرب ، لاسيما أولئك الذين لا يعرفون لغةً غربية ، ولم يذهبوا إلى الغرب دارسين .

راح هاؤلاء يبحثون في الشعر (الحر) وفي المسرحيات والروايات العربية بعض ما يعينهم على إدراك (البنيوية) في هذه النماذج الجديدة . لقد اتخذوا من المصطلح الجديد كـ (البنيوية) — أو البنائية أو الألسنية — ستاراً يُعِينُهُمْ على الإتيان بالغموض والإبهام ، نافرين من المناهج العلمية التي درج عليها الدارسون في دراسة اللغة والأدب .

ولا أنجبه في عرضي هذا إلى كتاب بعينه ، أو مؤلف بعينه ، ولكني أتكلم في هذا (الجديد) الذي أشار إليه الأستاذ صالح بن عبدالرحمن فأقول : إن كلامي على ما كتبه العرب في هذه المواد — ولن أمس الغربيين أمثال (رولان بارت) ولا كتابه « الدرجة الصفر للكتابة » ولا (تودروف) ولا غيرها ، ذلك أن هاؤلاء جميعاً مجتهدون ، وصلوا في اجتهادهم إلى آراء ومقولات أثبتوها في كتبهم ، معتمدين على ما كتبه (فردناند دي سوسير) السويسري في محاضراته التي ألقاها في (جامعة جنيف) سنة ١٩١٢م ومنها أفاد (نومان تشومسكي) الأمريكي فكتب النحو التوليدي والتحويلي ، وآخرون ترسموا خطاه .

لقد أعجب أصحابنا الدارسون العرب الذين توجهوا إلى الغرب طلباً يدرسون الأدب العربي أو اللغة العربية ، أو الفلسفة الإسلامية ، أو مواد أخرى من العلوم الإنسانية ، لقد عاد هاؤلاء غير حافلين بما درسوا من مواد تتصل باختصاصتهم ، وكتبوا فيها رسائل أجيروا عليها بلقب (الدكتور) وهو اللقب الذي شقينا به جميعاً ، ولا أريد أن أعرض لشيء من ذلك ، لقد خبر أولو العلم زاداً هاؤلاء فكتب استاذي الجليل الشيخ حمد الجاسر في ضرب من (عبث) هاؤلاء .

ومن عبث أصحابنا هاؤلاء جاءوا — وكأنهم اختصوا بعث بعيد عن رسائلهم التي أفنوا فيها سنوات عدة — لقد جاء بعض هاؤلاء محاولاً أن يجد (البنيوية) أو الألسنية في (تطبيقه) في شعر فلان أو فلان من أصحاب الشعر الجديد ،

ولا أدري كيف جاز أن يوصف بـ (الحر) ، وزعم آخرون في كتبهم ومقالاتهم أن النحو العربي يشتمل على الأنماط العديدة من الجمل التي أشار إليها (تشومسكي) .

لقد مضى أحدهم في هذا السبيل فأثبت جملاً تؤدّي معنى واحداً مُستَعْمِلاً التقديم والتأخير ، ظاناً أن التقديم والتأخير لا حدود له ، وأنه قادر على أن يقول :

إلى البستان أحمد وحيداً ذَهَبَ

كانه جهل أن في العربية الكلام البليغ ، وهو غير اللغو والعبث .

لقد أساء هاؤلاء إلى الغربيين أمثال (تشومسكي) وغيره كُلُّ الإساءة ، لأنهم جاءوا إلينا يثّون علمهم ، مرتكبين الخطأ الفاضح ، ولو عرف (تشومسكي) وأضرابه ما سيؤدّي إليه علمهم واجتهادهم بصنيع أصحابنا وعبثهم لشدّدوا النكير عليهم ، لأنهم جهلوا أن لكل لغة نظامها الخاص .

لقد أغفل أصحابنا أن للعربية قوانين خاصة تميز شيئاً ولا تميز أشياء غيره ، فليس لنا أن نتجاوز حدودها في بناء الجملة ، وينبغي ألا يُفسّر هذا على أن العربية تأبى التطور ، ذلك أن العربية المعاصرة حافلة بالجديد الذي لا نجده في الفصيحة القديمة ، ولكننا توسعنا في الذهاب بالقديم إلى آفاق جديدة .

ثم إننا نرتكب خطأ آخر ونحن نأتي بهذه الاجتهادات الجديدة ، ولا نعرف لها وجهاً في التطبيق ، وذلك لأن هذا الجديد في الغرب لم يصل إلى درجة العلم الثابت ، فتأخذ به معاهدُ الدرس والجامعات ، وهو لا يتعدّى كونه اجتهاداً ، والدليل على هذا أن بين الغربيين من أهل العلم من يَدْحُضُ هذا الجديد ويردّه ويبطله ، ألا ترى أن أراء (تشومسكي) واتباعه هي الآن قديمة ، لا يعرض لها الدارسون إلا في السياق التاريخي ، وأن (البنيوية) — وهي آخر (صرخة) في عالمنا العربي — قد ولّى زمانها منذ سنين في الغرب ، أليس لي أن أقول : ثُمّت وقد أدلج القوم ١٩

ولنعرض لشيء من مذهب هاؤلاء الذين اطلعوا علينا ، نحن الدارسين العرب ، بـ (البنيوية) فأقول :

إن الأدب لدي (البنيويين) بناء لغوي أو مجموع من الجمل كما يقول (رولان بارت) . ومن هنا تكون القصة جملة وظائف ، وهي في حقيقة الأمر — كما يَرَوْنَ — جمل نحوية يتصل بعضها ببعض ، بعلائق خاصة تؤدي في جملتها إلى مادة النص الأدبي .

ومن هنا يظهر النص الأدبي شاخصاً في زمانه ومكانه ، و (البنيويون) يُلغَوْنَ علاقة الكاتب أو الشاعر بالنص كما يلغون علاقة النص بالبيئة .

والنص عندهم وحده لا صلة له بالواقع الاجتماعي ، وهو ثابت غير متطور ، ومن هنا يكون النص القديم والنص المعاصر مادة واحدة في الحقيقة الأدبية .

ومن هنا أيضاً لم يكن من واجب الناقد الأدبي أن يذهب إلى الكشف عن أثر الناحية الاجتماعية في النص ، وليس له أن يشير إلى الناحية الجمالية التي حرص الكاتب أو الشاعر أن يوفرها في مادته . وليس له أن يشير إلى الصورة الفنية ، وإلى عنصر العاطفة وعنصر الخيال ، وقد تقول : فماذا يبقى للناقد أن يقول ؟

والجواب : إن الناقد ينظر في النظام الذي ينتظم النص ، أي ماكان في بنيته الأساسية وعلاقة أشناته بعضها ببعض .

فأين إذن التذوق الفني ، والحرص على إبداع الصورة الجميلة ؟

أقول : لنسأل أصحابنا العرب القائلين بتحليل النصوص في ضوء ما تشير إليه (البنيوية) — وهي هذه الصرخة ، أو قل (التقليعة) الجديدة — السؤال الآتي :

هل وجدت هذه النغمات الغريبة طريقها إلى أروقة الدرس الجامعي في الغرب ؟

والجواب عن هذا : لم يحدث شيء من هذا ، وبقي أصحاب هذا النظر الجديد يُدبرونه في كتبهم ومباحثهم .

من شعر لبّيد بن ربيعة العامري عن مخطوطة عُمانية كانت مجهولة

تابعت مستزیداً ومستفيداً ما تنشره مجلة (معهد المخطوطات) عن (المستدرک علی دواوین شعراء العرب المطبوعة) للدكتور رضوان محمد حسین النجار ، الأستاذ في كلية اللغة والأدب العربي في تلمسان - الجزائر - وحين مرّ بي حديثه عن شعر لبّيد بن ربيعة العامري ، رأيته استدرك أحد عشر بيتاً ، ستة منها من كتابين معروفين ، وخمسة وردت شواهد في كتب لغوية سماها الدكتور رضوان .

وكننت قد طالعت « شرح ديوان لبّيد » تحقيق أستاذنا الجليل الدكتور احسان عباس الذي نشرته (وزارة الارشاد والأنباء في الكويت) سنة (١٩٦٢م) وقابلته بمخطوطة لشعر لبّيد ، تقع في مجموعة دواوین مخطوطة سنة (٩٧٣) محفوظة في (دار المخطوطات والوثائق) في مدينة مسقط في عُمان ، تحمل الرقم ٢/١٣٣٢ في فهرس المخطوطات ، وفي تلك المخطوطة مقطوعات من الشعر لبّيد لم ترد في

— إذا كان هذا هو الواقع في الغرب ، فلم يُطالَبنا أصحابنا (البنويون) أن نُدخلَ هذه النغمات الغريبة في مناهجنا التدريسية ؟

وكيف لنا أن نصل إلى « العربية مبناها ومعناها » ونحن نجردها من تاريخها وحيويتها ؟

وأنا أختتم هذه النبذة فأقول : لم يكن من وكدي أن أعرض لهذا الجديد الوافد ، ولم أكن قاصداً إلى أن أعرض لفلان أو فلان بالنقد فأتناول كتبهم وما قَمَشُوا بالتجريح .

ولا أدري كيف لي أن أعرض للشعر الجاهلي ولا أشير إلى البيئة الجاهلية ، وماكان عليه الجاهليون في عباداتهم وعاداتهم وطرائقهم في حياتهم البدوية والحضرية .

د. إبراهيم السامرائي
جامعة صنعاء : كلية الآداب

ديوانه المطبوع ، وهي تقارب سبعين بيتاً .

رأيتُ من المناسب أن أُعَبِّرَ عن تقديري لعمل الأستاذ الدكتور رضوان بتقديمها منشورة ، ولعل فيها مايفيد بعض المعنيين بدراسة الشعر العربي القديم .

أما الأبيات الخمسة التي أوردها الأستاذ رضوان نقلاً عن استشهد بها من اللغويين فيظهر أن الدكتور اكتفى بالاطلاع على فهرس شعر لبيد ، من ديوانه المطبوع ، فالبيت الذي رمز له بـ (ق ٣) من قطعة في خمسة أبيات في المخطوطة (ص ٣٩٨) أورد الدكتور إحسان منها بيتين (ص ٣٥٠) نقلهما عن « تهذيب الألفاظ » و « الأساس » و « اللسان » كما أوضح ذلك (ص ٤٠١) .

والبيتان اللذان رمز لهما بـ (ق ٤) وردا في الديوان المطبوع (ص ٣٥٦) في قصيدة من الرجز تقع في عشرة أبيات نقلاً عن كتاب « الأغاني » ولعل الدكتور إحسان لم يذكرها في الفهرس المخصص لشعر لبيد اعتماداً على قول صاحب « الأغاني » : إنها مصنوعة ، والقطعة كاملة في المخطوطة (ص ٣٩٠) .

والبيتان الأخيران هما في المخطوطة (ص ٣٩٥) في مقطوعة تقع في ثمانية أبيات أورد الدكتور إحسان منها البيت الثاني (ص ٣٥٢) نقلاً عن « معجم البكري » . أما الأبيات الزائدة على الشعر الوارد في المطبوعة فلم أشير إليها ، ومن أمثلتها أن القصيدة اللامية الواردة في المطبوعة (ص ٢٦٩) تقع في ثمانية أبيات بينما هي في المخطوطة (ص ٣٩٤) تقع في أربعة عشر بيتاً مع اختلاف في ترتيب الأبيات والقطعة التي رقمها (٦٦) في المطبوعة (ص ٣٤٩) في خمسة أبيات لكنها في المخطوطة في سبعة أبيات مختلفة الترتيب أيضاً .

وها هي المقطوعات التي لم أرَ في مطبوعة أستاذنا الدكتور إحسان لها ذكرٌ مع ذكر صفحاتها في المخطوطة العُمانية ، وهي كثيرة التحريف ، وقد أوردت ما نقلت منها على علّاته محرفاً مصحفاً ، لم أهتم إلى صوابه :

[١]

[٣٧٥] وقال لبيد بن ربيعة :

ألا كل شيء ما خلا الله باهم وكل نعيم بائس ما أنعم الله على رسله من قبلك

وليس لما يعطيك ذو العرش مانع
وكل امرئ لأبد يوماً سَيَتَلَى
نوائب من خير وشرٍ كِلَيْهِمَا
ولا خُلْدٌ في الدنيا وَلَكِنْ مَتَعَةٌ
إلى ما قليل ثم يوماً (٩) لنعمة
تري الناس منهم في المعيشة ذَا غِنَى
وَأَغْنَاهُمَا أَرْضَاهُمَا بِالَّذِي لَهُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا يَقْضِي لِلْفَقِي
فِيَارِبٍ لَاحِقَ حَظُّهُ مَا سَعَى لَهُ
وَحَيْرُ الْأُمُورِ الْمَقْبَلَاتُ وَإِنَّمَا
وَفِي غَايِرِ الْأَيَّامِ مَا يَعْطُ الْفَقِي
وَلَا يَلَايَ مَا أَتَيْتُ وَأُنْفِي

أورد الأستاذ الدكتور إحسان من هذه القصيدة ثلاثة أبيات هي الرابع والتاسع والآخر (ص ٣٤٩) نقلاً عن كتابي «التاج» و«البارع» .

[٢]

[٣٨٧] وقال لبيد بن ربيعة :

ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ أَنْ قَعَدْتَ بِنَا
أَفْلا تُغَيِّرُ بَفْتِيَةٍ شَهِدُوا
قَادُوا الْجِيَادَ مِنَ الْفُرُوقِ فَمَا
وَمُحَرَّمٌ قِيلَ تُرِبُّ لَهُ
لَا تَبْقِيَنَّ عَلَى الْجِيَادِ وَكُنْ

وَيْدَا أَخِيكَ تُقْطِرَانِ دَمَا
يَسُومُ السَّارِ فَأَنْعَمُوا النَّعِمَا
تَرْكُوا لِحْيِي مُحَرَّمٍ نَعَسَا
نَجْرَانُ وَالْوَادِي الَّذِي اعْتَصَمَا
كَالسَيْفِ صَلَّتَا مَا ضَبَّيَا قُدَمَا

[٣]

[٣٩٥] وقال أيضاً يرثي سهل بن مالك :

الْأَذْهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمَحَامِي
وَمَنْ يَرْعَى بِهِ الْإِنْسُ الْقِيَامُ

كَأَنَّ النَّاسَ مُذْ فَقَدُوا سُهَيْلًا يَخْطُمَةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نِظَامُ
أَعْرُ تَفْرُجُ الظُّلُمَاءِ عَنْهُ كَأَنَّ جَبِينَهُ عَضْبُ حَسَامٍ
كذا ورد المطلع مُكَرَّرًا لمطلع القصيدة ال (٢٧) في المطبوعة (ص ٢٠١) .

[٤]

[٣٩٥] وقال أيضاً :

عَدْتُكَ الْعَوَادِي عَنْ سُلَيْمِي فَأَصْبَحْتُ تَلُومُكَ فِيمَا قَدْ مَضَى وَتَلُومُهَا
وَفِيهَا اضْطَنْعْنَا مِنْ نَصِيحَةِ بَيْنَا فَتِلْكَ الْأُمُورُ جَهْلُهَا وَحَلِيمُهَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا ذِكْرٌ حَنْظَلِيَّةٌ تَمِيمِيَّةٌ لَا يَسْتَطَاعُ تَمِيمُهَا
وَكَيْفَ تُرَجِّيْهَا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا ضَبِيَّةٌ أَذْنَى دَارِهَا فَقَصِيْمُهَا
فَسَلُّ الْهَوَى إِنْ كُنْتَ تَتَوَيَّ صَرِيْمَةً بِحَرْفٍ مِنَ الْعِيْدِي بَاقِي رَسِيْمُهَا
كَرْبَدَاءَ نَاضَتْ مِنْ تَنُوفٍ عَشِيْمَةً لِيَبْضُرَ بِأَذْرَاءِ وَرَاحٍ ظَلِيْمُهَا

[٥]

[٣٩٥] وقال لسهيل بن عامر ملاعب الأسيئة ، ولعمرو بن الطفيل ، وجاره معاوية مُعَوَّدُ الْحُكَمَاءِ :

يَارَاكِبَا إِمَّا عَرَضْتُ فَبَلَّغْنِ بَنِي جَعْفَرٍ خَلُّوا لَدَى كُلِّ مُوسِمٍ
عَنِ الرَّكَابِ الْمَتْرُوكِ آخِرَ لَيْلِهِ بِسَفَرَتِهَا مَا بَيْنَ عَرُوَى وَجِيهِهِمْ
دَعَوْتُ سُهَيْلًا خَيْرَ دَعْوَةٍ عَارِفٍ وَحَيَّانَ إِذْ غُودِرَتْ بِالْمَتَّوْمِ
فَقُلْتُ : انْظُرَانِي - لَا أَبَا لِأَيِّكُمَا فَلَمْ يَسَقْ إِلَّا حَاجَةُ الْمَتَلُومِ
وَذَكَّرْتُ عَمْرًا بِالْأَوَاصِرِ بَيْنَنَا وَمَا كَانَ مِنْ قُرْبِي وَقَرْضٍ مُقَدِّمِ
فَمَنْهِنَ أَنْ نَهْنَهْتُ عَنْ ظَهْرِ عَامِرٍ وَذِيَّانَ تَتَلَوُهُ بِأَبْيَضٍ مِخْدَمِ
وَيَوْمَ اصْطَفَى ذُو صَهْرِكُمْ فَرَائِسَكُمْ (٢) تَدَارَكَ أَسْبَابِي لِقَاحِ ابْنِ كُلْتَمِ
وَيَوْمَ أَبِي لَحْيَانَ أَدْرَكْتَ تَبْلَكُمْ وَانْكَرْتُ عَمْرًا مِنْ عِلَاطٍ وَرُوسِمِ

البيت الثاني ورد في المطبوعة (٣٥٢) نقلا عن « معجم ما استعجم » رسم (عيهم) مع اختلاف في بعض كلماته ، والبيتان الأخير والأول وَرَدَا فِي « الْجَمِيمِ » ٣٤١/٢ - كما ذكر الدكتور رضوان ، وفي بعض النسخها مخالفة لما هنا .

[٦]

[٣٩٦] وقال - وكان نذر أن لا يسمع نائحة تبكي إلا ويعث نائحة على عمه طفيل بن مالك فبعث أساء بنت أربد ، فلما سمع ليبد ملقى (؟) على النائحة ، قال :

فولا لنائحة تَقُمُ تتكلم تَنعِي بأعلا صَوْنِهَا ابنَ الأكرم
فَيَسَ بنَ جَزْءٍ خَيْرَ مَنْ وَطِيءُ الحصى صبرا وأَصْرَفَ ذِي تُقَى عن مَائِمٍ
[٧]

[٣٩٧] وقال يرثي عقال بن خويلد العقيلي :

لَيْسَ عَقَالًا كُلُّ حَيٍّ برهوة (؟) لهم ثلة عفر
لو كنت بعض المقفرين لغربت بَخْطَمَةٍ تبدي في مناكبها الفقر

[٨]

[٣٩٧] وقال يرثي أخاه عامر بن جعفر :

عُودِي وَلَنْ تُحْصَى مِنَّا قَبُ عامِرٍ حتى تعودِي
عودِي فَقُولِي إنه الـ حَرَابُ والركن الشديد
وهو الذي قطع القرا ثن بين مذودَ الخدودِ
وهو الذي جنب الجبا دَ على الوَجَى من أهل أودِ
زَهَوَا كَأَسْرَابِ القِطَا يَجْتَبِنَ يَبْدَا بعد يَبْدِ
ومجرما كانت عليه هم مثل راعية العقودِ

[٩]

[٣٩٧] وقال أيضاً :

انك لو أريت ولن تريه غداة القاع عند لوى الحريم
غداة غدت نفائة واستجاشت طوائف من سراة بني تميم
وقالوا : لا محالة أن تزولوا لنا عن جامل كالنخل كوم
وعن بيض نواعم أنساتِ جوارِي مثل غزلان الصريم

فقالوا: ثَارُ شَدَادٍ حَيِّشُ فَقُلْنَا: مَالِكَ بَابِي حَكِيم
فلولا شُدَّةُ لَابِي بَرَاءٍ لَرَدُّونَا بغير سوى الكلام
[١٠]

[٣٩٨] وقال في أريكة خادمه ، أخذت يوم فيف الريح :

إِنْ تَكْ عَامِرٌ رُثْتُ قِوَاهَا فَلِإِي وَائِقٍ بَبْنِي زِيَاد
كَذِي زَادٍ مَتَى مَا يَكْرُمُنُهُ فَلَيْسَ وِرَاءَهُ ثَقَّةٌ بَزَاد
مِصَاعِيبُ مُحَرَّمَةٌ ذُرَاهَا بِفَحْلٍ لَمْ يُدَيِّثْ بِاقْتِعَاد
الآتِ سَعُونَ يَا أَفْنَاءَ كَلْبٍ بِحَنْظَلَةِ الْمُسَوِّقِ فِي صَفَاد
هَمْ قَسَمُوا النِّسَاءَ بِذِي أَرَاطَى وَأَحْيَوْا قَسُومَهُمْ زَمَنَ الْفُسَادِ
البيتان الأولان وردا في المطبوعة (٣٥٠) نقلاً عن « تهذيب الالفاظ »
و « الأساس » و « التاج » .

البيت الثالث أورده الدكتور رضوان نقلاً عن كتاب « الجيم » : ٢٦٧/١ .

[١١]

[٣٩٨] وقال يرثي عروة بن عتبة :

يَا عُرْوُ مِنْ لُفُودٍ إِذْ رَأَتْ الْقُرَى وَانْسَدَّ بَابُهَا
وَالضَّيْفُ إِذْ نَزَلُوا لَيْلًا وَوَارَى الْجَبْنَ بَابُهَا
يَكْفِي الْزَلْزُوحَةَ هَذَا نَ رَحِيلَهُ ثُمَّ انْتِصَابُهُ
جَبَلٍ يَلُودُ الْخَائِفُو نَ بِهِ فَتَعَصَّمُ شَعَابُهُ
وَالسَّيِّدُ الْغَمْرُ الَّذِي أَوْدَى وَلَمْ تُلْبَسْ ثِيَابُهُ
لَوْ كَانَ وَاحِدُنَا أَصَابَ النَّاسَ أَصْعَلَهُمْ نَهَابُهُ

[١٢]

[٣٩٩] وقال يعني (؟) من بني شداد بن أبي بكر يوم فيف الريح :

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ بَقِيَّةِ جَعْفَرٍ مَا أَبَ سَيِّئٌ مِنْ بَنِي شَدَادٍ
وَعِلَالَةٌ مِنْ خَيْلِنَا عَمُودَةٌ بَيْنَ الذَّهَابِ وَبُرْقَةِ التَّوَادِ
أَوْصِي بِهِمْ حَكْمًا وَلَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْهُمْ إِذَا بَرَزُوا لَهُ بِجَهَادٍ

ما كنت أخشى على سيدنا نوى عثي ومكان براح
 بل كنت أخشى على سيدنا بهلكة القوم وحدُ السلاح
 فجمني الرعدُ بذِي أريد عشية الحرب وعند الصباح
 ان يشغبوا فهو بهم شاغب أو يجمعوا فهو أشد الجراح
 أريدُ من للحرب إذ شمرت وميسر عند مجال القداح ؟
 هذا ما وجدته في المخطوطة أوردته حسب ترتيبه فيها ، ونَقَلْتُ أكثره على علائجه
 مُصَحَّفًا مُحَرَّفًا ، كما وَرَدَ في الأصل .

ورأيت في كتاب « شرح الدامغة » للهمداني قطعة منسوبة إلى لبيد تتعلق بخبر
 عن أسره في نجران ، ولارتباطها بهذا الخبر رأيت إيرادها .
 والملاحظ أن في المؤلفات اليمنية أشعاراً منسوبة إلى مشاهير الشعراء لا توجد في
 دواوينهم التي بين أيدينا كشعر عمرو بن كلثوم وغيره ، ونسبتها بحاجة إلى الثبوت
 وان وردت في مؤلفات علماء أجلاء .

جاء في شرح هذا البيت من « الدامغة » - ص ٢٠٠ - :

وطوقنا الجعافيرَ في لبيد يَطُوقُ كَأَن عِنْدَهُمُ ثَمِينَا
 كان أسره يزيد بن عبدالمذان يوم قُتِلَ عبدالله بن الصَّمَّةِ - وقد تقدم ذكر
 ذلك - وسار به إلى نجران ، فأقام عنده مُدْبِدَّةً ، ثم من عليه وكساه وحمله ،
 وبعث معه صحابة إلى أرض بني عامر ، فقال لبيد في ذلك يشكر يزيد بن
 عبدالمذان بن الدُّيَّان بن قطن :

إن كنت ساقيةً قوماً على كرمٍ صَفَرُ الْمَذَامِ فَاسْقِيهَا بَنِي قَطَنِ
 قوم إذا وردوا أخلاً لوارديهم أَهْلُ الْمَنَاهِلِ صَفَرُ الْوَرْدِ وَالْقَطَنِ
 تداركني أيدي من فواضلهم وَالْقِلُّ مِنِّي فِي مُسْتَحْكَمِ الدَّقَنِ
 فاطلقوني ولو غابت فوارسهم عَنِّي لَقَطْتُ بَدَارَ الْهُونِ فِي قَرَنِ

أنساب الأسر المتحضرة في الأفلاج

[كنت طلبت من الأخ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله الفلج ، من الجدالين ، من الكثران (وآل كثير) من بني لأم الفرع الطائي المزوف - أن يفصل لي أنساب الأسر المتحضرة في منطقة الأفلاج ، لأضيفها إلى الطبعة الجديدة من كتاب « جهرة أنساب الأسر المتحضرة » فأفضل - رعاه الله وأدام له الخير والتوفيق بكتابة هذا البحث الضافي في الموضوع ، الذي لاشك أن المعنيين بهذه المباحث من قراء « العرب » سيستفيدون منه] .

١ - آل حسن :

وهم أولاد حسن بن صهيب بن زايد الدواسر ، انتقلوا من وادي الدواسر في أول القرن الحادي عشر الهجري ، وسكنوا الأفلاج .

وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هي :

الفِرْجَان وآل عَمَّار والشُّكْرَة .

والفِرْجَان : أفخاذهم ثلاثة هي : آل مُنَيْف وآل محمد والْوَيَارِين .

(١) آل منيف أقسامهم ثلاثة هي :

١ - آل بازع ، ومنهم آل أبوراس ، وهم أمراء آل حسن في الزمن الماضي .

٢ - آل حسين :

ومن آل حسين العجاليين ، وينقسمون إلى :

آل عبدالله وآل سعد وآل حمود وآل محمد وهم أمراء ليلي حالياً .

ومن آل حسين : آل حمدان وهم ثلاثة أقسام :

فأفخر على مَذْجِج ، مَأْمَذْجِجٌ فَخَرْتُ إِنَّ لَمْ تَقُلْ مَذْجِجٌ مِنَّا بَنُو قَطَنِ
فَلَمَّا تَقُلْ مَذْجِجٌ مِنَّا بَنُو قَطَنِ فَأَذْهَبْتُ فَأَنْتَ سَلِيمُ الْجَنِّبِ وَالْبَدَنِ

وقد وردت هذه القطعة مع خبرها في مؤلف يعني لايزال مخطوطاً ، ولم أعتد إلى معرفة مؤلفه ، يسمى « الفاصل » ، بين الحق والباطل ، في مفاخر قحطان ألف بعد القرن الرابع الهجري - انظر مجلة « العرب » (مس ٢٠ ص ٦٧٧) عن (الشعر العربي القديم في المؤلفات اليمنية) .

حمد الجاسر

آل جَبْشان وآل شجاع وآل ردعان .

٣- آل جَجِّي ، وهم من سكان لَيْلَى .

(ب) آل محمد من الفرغان : وهم الهواملة ، ويسكنون الفيصلية في لَيْلَى .

وأفخاذهم : (آل هُوَيْدي وآل بدرية وآل خضير وآل رميان والفوارين) .

ومن آل محمد : الصخابرة سكان البديع في الأفلاج ، وأفخاذهم :

آل صويان وآل عقيص وآل سعود وآل مُفَرَّج .

الوبارين من الفرغان : ومنهم الخضران ، سكان المقرن بالأفلاج ، ومن الخضران آل سجوان في ليلَى .

آل عَمَّار : من آل حسن أفخاذهم : آل حامد وآل سعد وآل مانع وآل مبارك وتفصيلهم كالآتي :

١- آل حامد (وهم غير آل حامد الأشراف) هم آل نشير وآل غانم وآل قينان وهم يسكنون سيح الأفلاج ،

٢- آل سعد : وهم الشواهين وآل واسط وآل بتير ، وهم من سكان سيح الأفلاج .

٣- آل مانع : وهم الذئمة والسواحلة ويسكنون مروان وسويدان في الأفلاج .

٤- آل مارك : ويسكنون الروضة في الأفلاج .

الشكرة : من آل حسن : أفخاذهم هي : آل أبوعلي والبردة ، والحنابجة والجمعانة .

أما آل أبوعلي فهم آل عفدين ، وآل سفر والمراثمة وآل شار .

وأما البردة فهم آل مسفر ، ومنهم آل هُدَّال وآل وَقَّيان ، وآل هشام .

ومن البردة أيضاً : آل دُحَّيم وآل ظافر وآل ظفر وآل فراج .

ومن آل فراج : آل حفيظ .

والشكرة يسكنون الأحمر في الأفلاج ماعدا آل أبو علي ، فيسكنون البديع
الجنوبي بالأفلاج ، وآل حفيظ يسكنون أُسَيْلَه (وسيلة) .

٢ - آل نابت :

وهم من الغيئات من الصُّهبة من بني زايد الدواسر .

وقد انتقلوا من وادي الدواسر في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وهم
يسكنون الخرفة في الأفلاج ، وأفخاذهم هي : آل مطلق وآل دِرْع وآل دايل وآل
تَحْيِيزِيم وآل عامر .

٣ - آل خُلَيْف :

من الوداعين من الدواسر يسكنون الهدار بالأفلاج .

٤ - الحُقْبَان :

وهم من تغلب ، وهم يسكنون الصغو في الأفلاج ، وأفخاذهم :

آل خلف وآل جريس وآل هزاع وآل ذِيحَان ومنهم آل جابر وهم من سكان
لبلى .

٥ - المصارير :

وهم من تغلب ويسكنون الهدار بالأفلاج .

٦ - الجذالين :

وهم من الكُثْرَان من بني لَام من طيء انتقلوا من الحَرِيق إلى لَبْلَى في الأفلاج في
أواخر القرن الثاني عشر الهجري وأول من انتقل منهم دخيل بن جذلان ، أرسله
والده إلى الدرعية لطلب العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ثم
أرسله الشيخ في أواخر القرن الثاني عشر الهجري إلى الأفلاج مع وفدٍ منهم مرشداً
لهم .

والجذالين ينقسمون إلى أربعة أفخاذ هي : آل مفلح وآل فالح وآل دخيل وآل ناصر .

٧- آل فُهَيْد :

وهم من آل مغيرة من بني لام يسكنون العمار بالأفلاج وبعضهم يسكن ليل وأفخاذهم : آل شبيب وآل حبيب وآل نعيم وآل صالح وآل عبدالله .

٨- آل بشر :

وهم من آل مغيرة من بني لام ، ويسكنون الروضة بالأفلاج وأفخاذهم : آل سفر وآل مسفر وآل سفران .

آل كليب :

وهم من آل مغيرة من بني لام ويسكنون في ليل .

١٠- آل تركي :

وهم من آل مغيرة من بني لام ويسكنون ليل .

١١- آل رحمة :

وهم من الفضول من بني لام وهم : آل ثمان وآل محمد ويسكنون ليل وآل مفلح ويسكنون وَسَيْلَة (أَسَيْلَة) .

١٢- الخراسين :

وهم من الفضول ، من بني لام ، وهم آل ماضي ، وآل فالح يسكنون وَسَيْلَة (أَسَيْلَة) بالأفلاج .

١٣- آل رشود بن سعيد :

وهم من النبطية من سُبَيْع .

وأفخاذهم ثلاثة هي : آل راشد وآل سعيد وآل رشود بن رشود الذي سُمِّي باسم والده .

— آل راشد — الأول — وهم : آل منصور ، ويسكنون سيح الأفلاج ، وآل عبدالعزيز ويسكنون ليل بالأفلاج .

— آل رشود بن رشود بن سعيد وهم : آل راشد — الثاني — ومنهم الشيخ : سعود ابن محمد بن عبدالعزيز بن راشد ، وآل دخيل وآل زيد وآل علي .

— آل سعيد بن رشود بن سعيد وهم : آل فواز وآل مساعد ، ويسكنون ليل .

١٤ — آل حامد من الأشراف :

وهم : آل درعان في الروضة ، وآل شرف في السيح الجنوبي ، وآل خلف ، وآل إبراهيم في سيح الأفلاج الشمالي .

١٥ — آل يحيى :

من آل شيان من الأشراف يسكنون ليل .

١٦ — آل لجيان :

وهم من الشثور ويسكنون واسط

١٧ — آل حمود :

وهم من الشثور ويسكنون ليل

١٨ — آل بصيص :

وهم من الشثور ويسكنون ليل

١٩ — آل موسى :

وهم من الحميدات من عبدل من تميم ، ويسكنون ليل

٢٠ — آل عاتى :

وهم من آل شامر من العجيان ويسكنون ليل

٢١- آل طُلَحَاب :

وهم من بني عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة ، ويسكنون
البديع بالأفلاج .

٢٢- التُّبَيْفَات :

وهم من بُحَيْلَة من عنزة - يسكنون الهذار .

٢٣- آل طُلُة :

من الكُبرا من بُحَيْلَة من عنزة ، يسكنون غرب ليل .

٢٤- آل محمد :

من الكُبرا من بُحَيْلَة من عنزة ، يسكنون ليل .

٢٥- آل عَرْفَج :

من بُحَيْلَة من عنزة ، ويسكنون وُسَيْلَة (أُسَيْلَة) .

٢٦- آل عبود :

وهم من عنزة ويسكنون الخرفة بالأفلاج .

٢٧- آل جلال :

وهم قبابنة ، ويسكنون الغَيْل بالأفلاج .

٢٨- آل ذَيْب :

قبابنة ، ويسكنون ستارة بالأفلاج .

٢٩- آل غُلَيْظ :

قبابنة ، ويسكنون حَرَاضة بالأفلاج .

لغة الاعلام :

[من الموضوعات التي اختارها (مجمع اللغة العربية) في دورته الرابعة والخمسين ، التي عقدت في شهر رجب سنة ١٤٠٨هـ شباط ١٩٨٨م - لكي يحاضر فيها أعضاؤه (لغة الإعلام) ، وكان مما ألقى عنها محاضرتان إحداهما للأستاذ الدكتور منير البعلبكي والثانية للأستاذ الشاعر حسن بن عبدالله القرشي .
وترى مجلة «العرب» اطلاع قرائها على بعض جوانب نشاط المجمع في نشر محاضرتي الأستاذين الكريمين في هذا الجزء وفي الذي بعده] .

١- الاعلام واللغة الاعلامية

يُجمع الباحثون ، أويكادون ، على أن الإعلام هو سمة العصر الحديث وطابعه المميز .

وهم ينزعون اليوم ، أكثر فأكثر ، إلى إحلال مصطلح (التواصل)^(١) أو (التواصل الإعلامي) محل مصطلح (الإعلام) ، لأن منهجية الإعلام الحديث تتخطى مجرد إبلاغ الخبر من طرف واحد لتجعل من العملية الإعلامية ضرباً من التبادل والتفاعل يشترك فيه طرفان اثنان : المبلِّغ والمبلَّغ ، المُخْبِر والمُخْبَر^(٢) ، وبكلمة أخرى لتجعل من هذه العملية نشاطاً ثنائيَّ البعد بعد أن كانت من قبل نشاطاً أحاديَّ البعد .

٣٠- آل مطرة :

وهم من آل العَرَجَا من يام ، وهجرهم بين ليل والغيل واسماؤها الرقاشية والنايفية والمودنية .

٣١- الزهرة :

وهم من الحباب ، ويسكنون في هجرتهم في وادي المظل غربي الروضة بالأفلاج .

٣٢- آل عبدان :

من آل سليمان من العجمان ، وهجرتهم الفريشة غربي ليل .

الأفلاج : عبدالله بن عبدالعزيز المفلح

ولأنما يتجلى ذلك ، أحسن ما يكون التجلي ، في الصفة الحوارية التي تطبع عملية الإعلام في يوم الناس هذا . فالإعلام هو الآن أكثر منه في أي وقت مضى ، حوار في الصحيفة بين المحرّر والقارئ ، وحوار في الراديو بين المذيع والمستمع ، وحوار في التلفزيون بين الممثل والمشاهد ، وحوار في الجهاز الإلكتروني بين دماغ الجهاز ودماغ الإنسان^(٣) .

١- الإعلام : ماهيته :

ولكن ما هو الإعلام ؟

الإعلام ، أو التواصل ، هو في أبسط معانيه نقل الخاطرة أو الفكرة أو الرأي أو المعلومة أو النبأ من شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان . أو قل هو إشراك الآخرين والاشتراك معهم في المعلومات والأفكار .

والإعلام بهذا المعنى موغل في القِدَم . ولقد غالى بعضهم في التأكيد على قِدَميته فذهب إلى القول إنه ظاهرة عادية عرفتْها كل المجتمعات منذ قالت حواء لآدم : (طيبة هذه التفاحة) ، وإنه كان ينتقل بصورة فطرية بين الناس من شفة إلى أذن وذلك من طريق المصادفة حيناً ، ومن طريق التجربة الشخصية حيناً ، ومن طريق الرواة والنقلة أو عن طريق التواتر في أكثر الأحيان^(٤) .

والحق أن الإعلام لا يعدو أن يكون ، كما يقول الدكتور عبدالعزيز شرف ، (عملية ترامن)^(٥) ذلك بأنه يقتضي وجود مصدر يرسل الرمز بوسيلة من الوسائل ، ووجود مستقبل يعمل على حلّ الرمز وتفسيره ، ثم يبعث برجعه أو صده إلى المصدر ، وهكذا

والرمز قد يكون إشارة أو راية ، وقد يكون حركة أو نغمة ، وقد يكون طبلًا يُقرع أو ناراً تُضرم ، وقد يكون رسماً في كهف من الكهوف أو حرفاً من الحروف . وكل هذه هي في حقيقتها (لغات) استعان بها الإنسان - وهو مخلوق تواصلٍ بطبعه - على تحقيق تواصلته والعمل على تطويرها وتوسيع مداها لتصبح امتداداً للكلمة المنطوقة أو لغة بمعناها المتعارف عليه . ومن هنا جاز القول إن

اللغة هي (القاسم المشترك الأعظم بين مختلف عناصر العملية الإعلامية من مرسل ، ومستقبل ، ورسالة ، ووسيلة اتصال)^(٦).

٢ - مراحل تطوره :

أ - مرحلة التصوير : يُعتبر اهتمام الإنسان البدائي إلى الرسم أول مَعْلَم بارز على طريق التطور الإعلامي أو التواصل . ذلك بأنه استطاع بهذه الوسيلة المستحدثة أن يسجل خاطراته وانطباعاته وخلجات فؤاده وحكاية عصره كلها على جدران المغاور التي اتخذها منازل له قبل بزوغ فجر التاريخ المدوّن بآلاف من السنين مؤلفة . يدلّك على ذلك أن علماء الآثار اكتشفوا ، عام ١٩٤٠ ، في لاسكو (Lascaux) في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا مجموعة من الكهوف تشتمل على رسوم جدارية ترقى إلى حوالي العام ١٨,٠٠٠ قبل الميلاد ، وهي تصور حيوانات مختلفة ومشاهد رائعة أبدعها الإنسان القديم في ظلمة الكهف الدامسة ، وعلى ضوء مصابيح شاحبة قوامها بعض الطحالب المغموسة في الدّهْن^(٧).

وفي عهد الفراعنة ابتكر المصريون وسيلة تواصل لغوية رائدة قوامها مجموعة من الرموز التصويرية عُرفت بالهيروغليفية . ولقد اتخذت هذه الرموز شكل أشخاص حيناً وأشكال حيوانات أو أشياء حيناً آخر ، وكان كل رمز منها يمثّل كلمة أو مقطعاً أو صوتاً ، ومن هنا اعتدّها العلماء ابتكاراً مهّد السبيل لاختراع الأبجدية^(٨).

ليس هذا فحسب ، بل لقد عُني قدامى المصريين في الوقت نفسه بتصوير مظاهر حياتهم ، على جدران المقابر المحيطة بالأهرام ، تصويراً بارعاً يخيّل معه لزارتها ، كما قال المؤرّخ الشهير جيمس هنري بريستد : وكأن الزمن قد رجع به القهقري فهو يمجوس خلال بيوت المصريين القدامى ويتجول في بلاد وادي النيل لحظة كان أهلوه يبنون تلك الأهرام العظيمة^(٩).

وبذلك يكون الإعلام ، على حدّ تعبير الدكتور عبدالعزيز شرف ، قد (بدأ

مصوراً^(١٠). وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما حققه الإعلام في عهد التلفزة والأقمار الصناعية من انتصارات باهرة جاز لنا أن نضيف إلى هذه الملاحظة الصائبة قولنا : (وانتهى مصوراً).

وبذلك أيضاً يكون الإعلام قد عرف ثورته الأولى ، وهي ثورة كان سلاحها الرسم .

ب - مرحلة الكتابة : أما مرحلة التطور الإعلامي الثانية فهي مرحلة الكتابة التي بدأت مع اختراع الحرف . وإنما يُعزى الفضل في هذا الاختراع إلى الفينيقيين الذين طوروا الهيروغليفية المصرية ، وابتكروا حوالي العام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، أبجدية فذة قَصَرُوها على عدد محدود من الرموز ، أو الحروف ، التي يمثل كل منها صوتاً بسيطاً . ومن العلماء من يعتقد أن الأبجدية الفينيقية نشأت من محاولات أبجدية سامية أبرزها الكتابة المعروفة بالسينائية الأم (Proto-Sinaitic) التي ترجع إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد .

وأياً ماكان ، فليس من شك في أن اختراع الأبجدية قد مكّن الإنسان من اختزان المعلومات والمعارف ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة، مستعيناً على ذلك بالنقش على الطين والحجر والخشب أولاً ، ثم بالتدوين على ورق البردي والرقوق ، ثم بالكتابة على الورق آخر الأمر . ولعل أعظم ثمرة من ثمرات هذا التطور ظهور (الكتاب) بوصفه وعاء للمعرفة ، وأداة للتثقيف ، ووسيلة لنشر الفكر الإنساني على مستوى العالم كلّهُ ، من غير اعتبار لقيود الزمان أو المكان . وفي هذا الصدد يقول مرشال ماكلوهان (Marshall McLuhan) إن الكتاب قد أسهم في خلق الروح الوطنية ، وتحرير كثير من القوى الاجتماعية ، وساعد على تعميم التعليم وتطوير الصناعة والتجارة^(١١).

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثانية ، وهي ثورة كان سلاحها الحرف .

ج - مرحلة الطباعة : يُعتبر نشوء الطباعة المرحلة الثالثة من مراحل التطور الإعلامي . وإنما كان ذلك ، أول ماكان - وتلك حقيقة تغفل عنها أقلام الكثرة

الكاثرة من الباحثين - في القرن الثاني للميلاد عندما شرع الصينيون ينقشون النصوص الدينية على الحجر ثم يجبرون السطوح المرتفعة ويأخذون عنها عدداً من الطباعات (impressions) . حتى إذا أطلّ القرن السادس للميلاد عرفوا الرواسم أو الكليشيهات الخشبية . ولعل أقدم أثر مطبوع بهذه الطريقة كان صلاة بوذية طُبعت على روم خشبي حوالي العام ٧٧٠ للميلاد^(١٢) .

هذا بالمعنى التاريخي للمصطلح ، إذا جاز التعبير . أما الطباعة بمعناها المتعارف عليه اليوم فقد وُلدت على يدي جوهان غوتنبرغ الذي اخترع الطباعة بالحروف المنفصلة في ما بين عام ١٤٣٦ وعام ١٤٣٨ . ومنذئذ انتشرت هذه الطريقة المستحدثة في أوروبا وشاع استخدامها بعد ذلك في أرجاء العالم كله .

وتُعتبر مطبعة بولاق التي أنشأها محمد علي باشا في مصر ، عام ١٨٢١^(١٣) أعظم المطابع الرائدة في الوطن العربي ، وكانت قد سبقتها إلى الظهور مطبعة أوروية أنشئت في (فانن) من أعمال إيطاليا ، برعاية من الكنيسة الكاثوليكية ، ولا يزال لدينا من إصدارها كتاب صلاة يرجع تاريخ طبعه إلى العام ١٥١٤^(١٤) ، ومطبعة دير مار يوحنا الصايب التي أنشأها في الشوير الراهب اللبناني عبدالله الزاخر المتوفي عام ١٧٤٨^(١٥) والمطبعة التي نهها نابوليون بونابرت من الفاتيكان وحملها معه إلى القاهرة عام ١٧٩٨^(١٦) .

ولقد كان من آثار اختراع الآلة الطباعة انخفاض في كلفة إنتاج الكتاب ، وتكاثر في عدد النسخ المتداولة من الكتاب الواحد (وانتقال هذا العدد من مقام العشرات والمئات إلى مقام الآلاف والملايين)^(١٧) ، وتوسّع في إنشاء المدارس ودُور التعليم ، وتسارّع في انتشار المعارف على نطاق واسع لم يكن للإنسان عهد به من قبل . وهكذا تحققت ديموقراطية الثقافة بعد أن أصبحت في متناول الناس على اختلاف طبقاتهم ولم تُعدّ وقفاً على فئة منهم صغيرة . هذا على المستوى العالمي . أما في أوروبا ، مهد الآلة الطباعة ، فقد أدى (نمو صناعة الكتب وازدهار تجارتها وتكاثر عدد مؤسسات الطباعة إلى ضعف احتكار الكنيسة والأديرة للمعرفة والعلوم ، مما جعل الطريق ممهداً أمام حركة الإصلاح الديني)^(١٨) .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثالثة ، وهي ثورة كان سلاحها الآلة الطباعة .

د - مرحلة الصحافة : الصحافة ، في الأساس ، صناعة جمع الأنباء ، وإبداء الرأي فيها ، وتقديمها إلى الناس بطريقة تعتمد اعتماداً كبيراً على الصورة الممثلة للحدث ، وذلك على صفحات نشرة بخسة الثمن يومية الصدور في الأعم الأغلب . وقد اتسع مفهوم الصحافة في العصر الحديث فأخذت الصحف اليومية تُعنى ، إلى جانب الأخبار ، بأشياء أخرى غير الأخبار ، فأفردت زوايا من صفحاتها ، أو صفحات كاملة منها ، للمقالات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفلسفية والتاريخية والأدبية والعلمية والنقدية والفنية والرياضية وغيرها ، وعُنت فضلاً عن هذا بالتعليق على الأحداث وإجراء ما يُعرف بـ (الحديث الصحفي) و(التحقيق الصحفي) وما إليهما . ولكن العنصر الأبرز في الصحيفة اليومية يظل برغم ذلك عنصر الخبر^(١٩) .

والصحف ليست كلها يومية . فهناك صحف تصدر أسبوعياً ، وصحف تصدر شهرياً ، وأخرى تصدر فصلياً . وهذه هي المجلات .

والمجلات بعضها ثقافي عام يحمل إلى قرائه قصصاً وقصائد ومقالات سياسية أو أدبية أو اجتماعية أو علمية مدروسة وموثقة وطويلة النفس عادة . وبعضها مقصور على حقل من حقول المعرفة فهو لا يقدم إلى قرائه غير المقالات والبحوث الداخلة في نطاق تخصصه .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان نقل الأخبار يتم ، منذ أقدم العصور ، من طريق الشفة أو من طريق المراسلة . حتى إذا اخترعت الآلة الطباعية في القرن الخامس عشر غداً نقل الأخبار وفقاً على الصحف في المقام الأول . وإذا كان من المرجح أن تكون أول نشرة إخبارية مطبوعة قد ظهرت عام ١٤٥٧ للميلاد فإن الإجماع منعقد على أن صحيفة «فرانكفورتر جورنال» (Frankfurter Journal) التي صدرت عام ١٦١٥ ، وكانت أسبوعية ، هي أولى الصحف الأوروبية العصرية ، وأن صحيفة «ويكلي نيوز» (Weekly News) التي صدرت عام ١٦٢٢ ، وكانت

أسبوعية أيضاً ، كما يدل على ذلك اسمها ، هي أولى الصحف الانكليزية على الإطلاق . أما أولى الصحف العربية فكانت «الوقائع المصرية» التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة عام ١٨٢٨ (٢٠).

والكلام على الصحافة لا يكتمل إلا إذا أشرنا ، ولو إشارة عابرة ، إلى وكالات الأنباء . ذلك بأن هذه الوكالات تقوم بجمع الأخبار التي تمس الصالح العام ، وتعمل على تزويد صحف العالم بأفضل سرد ممكن لأهم الأنباء الداخلية والخارجية (٢١)، ومن هنا اعتُبرت دعامة أساسية من دعائم الصحافة المعاصرة ، وجزءاً لا يتجزأ من بنيتها التحتية .

ويفضل وكالات الأنباء هذه ، وفضل التقدم المتسارع الذي حققته الطباعة والتطور المذهل الذي شهدته وسائل التواصل السلكية واللاسلكية والإلكترونية في السنوات الأخيرة تمكنت الصحافة من إحراز الانتصار تلو الانتصار سواء على صعيد التوزيع وسعة الإنتشار ، أو على صعيد الإخبار والتثقيف ، أو على صعيد التوجيه والتنوير ، أو على صعيد الإمتاع والتسلية ، أو على صعيد تكوين الرأي العام . ومن هنا أمست وسيلة الإعلام الجماهيرية الأولى ، وكان لها دور كبير في تعزيز ديموقراطية الثقافة .

والواقع أن الصحافة ، كما يقول الأستاذ عبداللطيف حمزة : هي (مرآة الأمة ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ، ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها) (٢٢) . وهي إحدى القوى ذات السلطان في دروة الحياة الحديثة ، ومن أجل ذلك عُدَّت السلطة الرابعة في الدولة ، أي السلطة التي هي في حوزة جميع القوى السياسية والتي تجسد ، إلى حد ما ، كل القوى الشعبية التي تعتبر نفسها غير ممثلة بالسلطات الثلاث التقليدية : التشريعية والتنفيذية والقضائية (٢٣).

ليس هذا فحسب ، بل لقد ذهب برنار فُوين (Voyenne) إلى أبعد من ذلك فاعتدها السلطة الأولى على اعتبار أنها تمثل تيارات الرأي ، والرأي — وبخاصة في الأنظمة الديموقراطية — هو الذي يجسد قيم المجتمع ويفرض ذاته على المشرع ، وعلى السلطتين التنفيذية والقضائية أيضاً (٢٤).

هذا ، وعن الصحيفة المطبعية انبثقت الصحيفة السينمائية ، والصحيفة الإذاعية ، والصحيفة التلفزيونية . ولن ينقضي غير وقت قصير حتى تصبح الصحيفة الإلكترونية في متناول الناس جميعاً^(٢٥) . وليس هذا بعجيب البتة . أما أصبحت بعض الصحف الكبرى تُطبع ، اليوم ، بين قارة وأخرى من طريق التواصل الفضائي^(٢٦) ؟

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الرابعة ، وهي ثورة كان سلاحها الجريدة والمجلة .

هـ - مرحلة الإذاعة : وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عرف العالم وسيلة إعلام جديدة نقلت التواصل من المرحلة المكتوبة إلى المرحلة المسموعة ، وساعدت على (تصغير) العالم ، إذا جاز التعبير ، وربط بعض أجزائه ببعضها الآخر . ولم تكن هذه الوسيلة الجديدة غير المذياع أو الراديو .

ولمّا أنشئت أولى محطات الإذاعة ، في العالم ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، عام ١٩٢٠ . ومنذئذ انتشرت هذه المحطات في مختلف الأقطار وأصبح المذياع وسيلة تواصل جماهيرية تنقل الصوت ، كلاماً كان أو نغماً ، إلى ملايين المستمعين في كل مكان . حتى إذا اخترع الترانزستور غزت الإذاعة كل زاوية من زوايا الأرض ، وبخاصة في بلدان العالم الثالث ، وغدا في ميسور الناس أن يستمعوا إلى برامج الإذاعات المحلية والعالمية وهم في منازلهم أو في مكاتبهم أو في طريقهم إلى العمل أو خلال تنزههم في الحدائق العامة ...

ليس هذا فحسب ، بل لقد حل المذياع في كثير من الأحوال محل الجرائد والمجلات ، سواء أكان ذلك على صعيد الإخبار أو على صعيد الإمتاع وإن لم يوفق إلى حمل الناس على الاستغناء عن الجريدة أو المجلة ، وكاد يحل محل الكتب كوسيلة تثقيف وتوعية .

والحق أن المذياع قد عمل على تعزيز ديموقراطية الثقافة التي انبثقت مع اختراع الطباعة ونشوء الصحافة ، وذلك من خلال ما راح يقدمه إلى مستمعيه ، على اختلاف طبقاتهم ، وبصرف النظر عن كونهم متعلمين أو أميين ، من أحاديث

أدبية ودينية وعلمية ومن برامج ثقافية أو تعليمية ميسرة . ولعل هذا هو الذي حمل الدكتور طه حسين على اعتبار الإذاعة والتلفزة من العوامل التي تعوق الثقافة ، ودفعه إلى القول بأنه كان يظن أن الراديو سيكون أداة صالحة لنشر الثقافة والمعرفة في أعماق الشعوب فإذا به يؤدي إلى عكس ما كان يُرجى منه . ذلك لأن الإذاعة تريد أن تصل إلى طبقات الشعب على اختلاف حظوظها من المعرفة ، وهي من أجل ذلك مضطرة إلى أن تصطنع اليسر والسهولة لتبلغ هذه الطبقات المختلفة التي تتفاوت حظوظها من المعرفة . . . وإذا اعتمدت الإذاعة على السهولة واليسر اضطرت إلى تجنب المعرفة الرفيعة والثقافة العميقة والواسعة^(٢٧) .

وأياً ما كان فقد وُفقت الإذاعة إلى الفوز برضا الجماهير العريضة بفضل هذا اليسر نفسه الذي يأخذه عليها الدكتور طه حسين ، والذي لولاه لا نفّض الناس من حولها كما ينفّضون اليوم من حول البحوث المعمّقة والكتب الموضوعية الخاصة المثقفين دون عامتهم .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الخامسة ، وهي ثورة كان سلاحها الصوت .

و- مرحلة التلفزة : ولم ينقض على اختراع المذياع غير ربع قرن حتى اخترعت ، في ما بين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٤ ، وسيلة تواصل جماعية جديدة عُرفت بالتلفزة ، وقوامها تحويل مشهد متحرك وما يرافقه من أصوات إلى إشارات كهربائية ثم نقل هذه الإشارات وإعادة تحويلها من طريق جهاز الاستقبال إلى صورة مرئية مسموعة^(٢٨) . ومن هنا اعتُبرت خطوة على طريق الإعلام متقدمة على المذياع أو الراديو ، إذ جمعت بين الصوت الذي هو ميزة الراديو وبين الصورة التي هي ميزة السينما ، ومتقدمة على السينما أيضاً لأنها عبارة عن شاشة سينمائية صغيرة تقدّم إلى المرء ضروباً من الأفلام المشوّقة ، فضلاً عن آخر أنباء العالم وصنوف البرامج التثقيفية والترفيهية ، وهو مسترخٍ في منزله ، لا يغادره إلى دور السينما كلما حلا له أن يشاهد ما يُعرض على شاشاتها الكبيرة من ذلك كله .

وسرعان ما غزا التلفاز في الأربعينات من هذا القرن الكثرة الكاثرة من البيوت

وبعض المعاهد والمؤسسات في كثير من بلدان العالم وأصبح علامة فارقة تميّز الحياة المعاصرة وضرورة لا يُستطاع تصوّر المدنية بدونها .

وكما ظُنّ ، في بادئ الأمر ، أن المذيع سوف يغني الناس عن الجريدة أو المجلة ثم قام الدليل على أنه أعجز من ذلك فكذاك ظُنّ في أول عهد الناس بالتلفزة أنها سوف تلغي الإذاعة أو تسد مسدها ، ولكنّ تعاقب الأيام مالبت أن خيّب هذا الظن وأثبت أنه كان مجرد وهم كبير .

هذا ، وقد خطت التلفزة في السنوات القليلة الماضية ، بفضل التقدم التكنولوجي الحديث ، خطوات واسعة إلى الأمام ، فأصبح في إمكان الإعلاميين أن ينقلوا برامجهم التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية ، وأخذَ بلايين الأشخاص يشاهدون في ساعة واحدة ، وفي اللحظة عينها ، هبوط أول إنسان على سطح القمر ، ويحضرون الألعاب الأولمبية ، ويشاركون في اللقاء بين شخصيتين عالميتين في أي مكان من العالم^(٢٩) .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته السادسة ، وهي ثورة كان سلاحها الصوت والصورة .

٣ - أهميته ومستقبله:

تلك هي أبرز معالم التطور الإعلامي وأهم وسائله ، منذ العهود السابقة للتاريخ المدوّن حتى الآن . فإذا أضفت إلى الوسائل التي تحدّثنا عنها وسائل أخرى لم يتّسع مجال البحث للكلام عليها ، كالمنبر (الخطبة والمحاضرة والمناظرة) والمسرح والسينما والإعلان والعقل الإلكتروني أدركت أي مقام يحتلّه الإعلام في دنيا الناس ، وأيقنت أننا نعيش اليوم في عصر متميّز هو (عصر الإعلام) بعد أن عشنا منذ إطلاق أولى المركبات الفضائية (عصر الفضاء)^(٣٠) .

وسواء أصبح هذا أم لم يصبح فإن الإجماع منعقد على أهمية الآثار التي أحدثها الإعلام في حياتنا المعاصرة ، وهو ما يتجلى لنا من قول مارشل ماكلوهان إن وسائل الإعلام قد حوّلت العالم إلى (قرية عالمية Global village) صغيرة^(٣١) ، ومن

نظريته الشهيرة التي ذهب فيها إلى القول إن كل وسيلة إعلامية جديدة ، من تلك الوسائل التي أشرنا إليها ، هي امتداد تكنولوجي لحاسةٍ بعينها من حواس الإنسان . فالطباعة التي نشرت القراءة هي امتداد لحاسة الإنسان البصرية ، والإذاعة التي عمّمت الصوت هي امتداد لحاسة الإنسان السمعية ، والتلفزة التي أشاعت الصوت والصورة معاً هي امتداد للحاستين البصرية والسمعية ، والعقل الإلكتروني الحافظ للمعلومات والمحلّل لها هو امتداد لذاكرة الإنسان وفكره^(٣٢) .

ويتوقع الباحثون أن يشهد الإعلام ، عمّا قريب ، مستجدات جديدة بأن تغير وجه الحياة الإنسانية . ومن هنا قالوا إن التعليم في البيت سيحل محل التعليم في المدرسة ، وإن عملية تكوين العقول وإعدادها لمواجهة الحياة ستعود مرة أخرى ، ولكن على مستوى أرفع بكثير ، إلى المنزل ، وبذلك يمكن الاستغناء عن التعليم النظامي الذي يتلقاه الطلاب في المدارس على اختلافها^(٣٣) ، وقالوا أيضاً إن المنزل سوف يصبح مركزاً إعلامياً ثنائياً التحرك ، فيتلقّى ساكن المنزل الجريدة التي يريدّها ، إلكترونياً أو تلفزيونياً ، ويتبادل الآراء مع محرريها ، ويختار البرنامج التلفزيوني أو الإذاعي الذي يفضل ، ويبعث بالتعليقات الفورية إلى مخرج ذلك البرنامج ، ويتسلّم إلكترونياً صفحة الكتاب التي يحتاج إليها من المكتبة من غير أن يغادر منزله ، ويجري مناقشة إلكترونية تلفزيونية مع جيرانه وأعضاء ناديه وكلّ منهم ملازم داره ، ويخاطب بجهاز هاتفي فضائي مخصوص كلّ من يشاء وهو يشاهده وكأنه جالس معه^(٣٤) .

وإذا اعتبرنا أن مراحل التقدم الإعلامي قد تمّت على نحو متسارع ، بمعنى أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الأولى (مرحلة التصوير) والمرحلة الثانية (مرحلة الكتابة) قد نيّفت على ستة عشر ألف عام ، وأن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة (مرحلة الطباعة) بلغت نحواً من ثلاثة آلاف عام ، في حين أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الخامسة (مرحلة الإذاعة) والمرحلة السادسة (مرحلة التلفزة) لم تزد على ربع قرن . . . أقول إذا اعتبرنا هذه الصفة التسارعية التي طبعت تاريخ تطور الإعلام حقّاً لنا أن نكون على مثل اليقين من أن

المستجدات المستقبلية التي يتوقعها الباحثون سوف تصبح حقيقة ملموسة بأسرع مما نتصور، وربما خلال سنوات معدودات لا تزيد على أصابع اليدين .

١ - اللغة الإعلامية : طبيعتها ومزاياها :

إن مهمة الإعلامي ، سواء أكان صحافياً أو إذاعياً أو مشتغلاً في حقل التفلزة ، تقتضيه أن يواجه الجمهور يوماً بعد يوم ، ليطلعه على أنباء الساعة ، أو ليحللها له ، أو ليبيدي رأيه فيها . وكثيراً ماتقتضيه مهمته النهوض بأعباء أخرى كالإقناع والتوجيه والتثقيف ، والتعبير عن موقف سياسي أو اجتماعي أو عقائدي معين ، والعمل على تجسيد آمال المجتمع وتطلعاته ، فضلاً عن الإمتاع والمؤانسة وما إليهما .

وهذا الجمهور الذي يخاطبه الإعلامي جمهور عريض تتفاوت أعمار أفرادها وحظوظهم من الثقافة والمعرفة . ففيه الكبير وفيه الصغير ، وفيه الطالب وفيه المعلم ، وفيه الأديب وفيه المهندس والطبيب ، وفيه ذو الثقافة الرفيعة وفيه نصف المثقف بل والأي في بعض الأحيان ، وكل من هؤلاء يتوقع أن تكون الوسيلة الإعلامية ، مفضلة على قياسه ، وأن ترتفع (أو أن تهبط) إلى مستواه ، والإعلامي في حيرة من أمره لا يدري من يرضي ومن يغضب .

وإذا كان من همّ الإعلامي أن يوصل رسالته إلى هؤلاء جميعاً ، وإذا كانت لغة الإعلام لغة تواصل في المقام الأول ، فقد تعين عليه أن يراعي مختلف المستويات والمدارك ، فلا يقول كلاماً يعجز بعض من جمهوره عن فهمه ، ولا يصطنع بياناً يعجز بعضه الآخر عن تذوقه . وهذا ما حمل الدكتور إبراهيم إمام على القول : إن الإعلامي مضطر إلى افتراض إنسان متوسط الثقافة يوجه إليه إعلامه^(٣٥) .

وقد توسع الدكتور عبدالعزيز شرف في الكلام على هذه النقطة فقال ما خلاصته : إن وسائل الإعلام ، في سعيها الدائب لاجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء أو المستمعين أو المشاهدين ، تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من الناس ، ونادراً ما تكون هذه النقطة هي أدنى المستويات .

وإن رؤساء تحرير الصحف درجوا على توجيه المندوبين الناشئين إلى ذلك الشخص الذي يحرك شفتيه عندما يقرأ ، يعني إلى الشخص الذي يمثل أدنى مستوى ثقافي بين قراء الصحف ، وإذا كان هذا الشخص قادراً على فهم الأخبار الصحفية فإن القراء الذين يفوقونه ثقافة قادرون على ذلك . وإنه لما كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئاً أو مستمعاً أو مشاهداً افتراضياً فليس عجيباً أن تفتقد روح الألفة التي تسود عند الإتصال بشخص واحد . فالتقرير الذي تنشره صحيفة عن حدث ما ، يفقد كثيراً من الألفة التي يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث^(٣٦) .

وتفاوتت أعمار الأفراد وحفظوهم من الثقافة والمعرفة ليس وحده ما يحكم لغة الإعلامي وأسلوبه ، فثمة عوامل أخرى تحكم هذه اللغة وذاك الأسلوب . ومن أبرز هذه العوامل (آنية) الخبر اليومي الذي يشكل مادة الإعلام . ذلك بأن هذه الآنية ترسم للإعلاميين حدوداً لا يستطيعون أن يتخطوها ، وهذه الحدود تلزمهم باصطناع أسلوب في الكتابة لا يحتمل الحذلقة والتعقّر والزخارف اللفظية .

ليس هذا فحسب ، بل إن هذه الصفة الآنية ، التي تطبع النشاط الإعلامي تفرض على العاملين في هذا الحقل قيوداً من نوع آخر لا يفرضها الإنشاء الأدبي أو العلمي أو الفلسفي أو الفني على أصحابه . فالأديب ، كما يقول الدكتور محمد حمد خضر : حر في أن يكتب في يومه عن أمسه السحيق لغده البعيد . وكذلك العالم والفيلسوف والفنان . أما الصحفي فمُلْزَم أن يكتب في يومه عن يومه وليومه . أي أنه يكتب اليوم عن أحداث اليوم لقراء اليوم ، ولا محلّ في عمله للتأجيل ولا مجال للهروب من الماضي^(٣٧) . وهذا ما يجعل الإنشاء الإعلامي متّسماً بطابع السرعة والاستعجال ، والسرعة والاستعجال عدوّان لدودان للتدبّر والتعمّق .

وإذا كان نقل الأخبار والتعليق عليها يحتمّ الالتزام بالواقعية والموضوعية فقد تعيّن أن تتسم لغة الإعلاميين بالطابع الواقعي والموضوعي . وفي هذا المعنى يقول الدكتور إبراهيم إمام : إن التحرير الإعلامي تحرير موضوعي يتعد عن الذاتية

التي يتصف بها الأديب مثلاً . فالأديب يُعنى بنفسه ، ويقدم لنا ما يجول في خاطره ، ويسجل ما يراه وفقاً لرؤيته الخاصة وبرموز تنم عن ثقافته وعقليته . وهو في هذا الصنيع يصف النفس الإنسانية ويتعمق أسرارها ويكشف عن حسناتها ومساوئها ، ويكون لأوصافه صدئى في نفوس القراء من كل جنس ، وفي كل عصر ، ماداموا قادرين على قراءته وفهمه والاستفادة منه . فالأديب حرّ في اختيار ما يقول والقراء أحرار في قراءة ما يكتب الأديب^(٣٨) . أما الإعلامي فلا يعبر ، كالأديب ، عن أفكاره وتجاربه الخاصة . إنه يعبر في المقام الأول عن أفكار المجتمع وتجاربه^(٣٩) .

وفي هذا أيضاً يقول الدكتور محمد حمد خضر : إن الكاتب الإعلامي لا يسخر قلمه لوصف مظاهر الطبيعة أو رسم طبائع البشر ، أو تصوير خلجات النفس أو التعبير عن الانفعالات الوجدانية إلا إذا كان من شأن ذلك كله أن يؤدي إلى تكثيف الطاقة المحركة للرأي العام نحو الهدف الإعلامي المطلوب^(٤٠) .

ويقول في موضع آخر: يحقّ للأديب والفنان والفيلسوف أن ينقلوا كلاماً عن أشخاص غير موجودين في الواقع يخترعهم الخيال وتولّدهم التصوّرات . . . كما يحقّ للأديب أن يستنطق الحيوان ، وأن يُجني الجهاد ، وأن يخلط بين الواقع والحلم . . . وليس للصحافي من هذا كله شيء ، فهو مُلزم بنقل وقائع الحياة الموضوعية بصورتها الحقيقية بأكثر ما يمكن من الدقة وأكمل ما يكون من الموضوعية^(٤١) .

وعلى ضوء هذه الملاحظات كلها نخلص إلى القول إن للإعلام لغته الخاصة التي تختلف عن لغة الأدب ولغة الشعر ولغة العلم . ذلك بأن لغة الأدب ذاتية في المقام الأول ، ولغة الشعر مجنّحة بالرؤى والأخيلة ، ولغة العلم مثقلة بالمصطلحات الفنية والأسماء العلمية ، أما لغة الإعلام فتتميّز أول ما تتميز بالواقعية والموضوعية ، وتتسم — أو يجب أن تتسم — بالبساطة ، والوضوح ، والسلاسة ، والإيجاز ، والمرونة ، والحركة ، والنفوذ المباشر ، والقدرة على الإمتاع ، فضلاً عن السلامة من الناحيتين الصرفية والنحوية .

وتجدر الإشارة ، في هذا المقام ، إلى أن أسلوب الإنشاء الإعلامي يختلف باختلاف الوسائل والمؤسسات الإعلامية . فهو في الصحافة غيره في الإذاعة أو التلفزة ، وهي في مجلة «تايم» غيره في مجلة «نيوزويك» . ليس هذا فحسب ، بل إن أسلوب الإنشاء الإعلامي يتفاوت تبعاً للمادة الإعلامية ذاتها ، ضمن الوسيلة الإعلامية الواحدة ، فهو في الخبر غيره في التعليق ، وهو في الصفحة الأدبية أو العلمية غيره في الصفحة الرياضية أو الفنية أو الإمتاعية ، وهكذا .

وسنحاول في مايلي أن نلقي نظرة عجل على واقع لغة الصحافة العربية وواقع لغة الإذاعة والتلفزة العربيتين .

٢ - لغة الصحافة :

كانت الكتابة العربية في القرن التاسع عشر مكبلة بأغلال التقليد ، رازحة تحت أثقال السجع ، غارقة في لجج الجناس والطباق وما إليهما . وكانت برغم ذلك كله مهلهلة النسيج ، هزيلة المضمون ، بعيدة كل البعد عن سحر البيان العربي وروعته . ولقد كان طبعياً أن ينعكس ذلك على لغة الصحافة منذ اليوم الأول لنشوتها فتتجرف في تيار السجع ، وترسف في إसार الضعف ، وتردى في مهاوي التكلّف ، وتعوزها جودة السبك ، كما نرى في افتتاحية العدد الأول من جريدة «الوقائع المصرية» التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة عام ١٨٢٨ والتي تُعتبر أقدم الصحف العربية على الإطلاق^(٤٢).

قال محرر «الوقائع» : الحمد لله باري الأمم ، والسلام على سيد العرب والعجم . أما بعد ، فإن تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بني آدم ، المتدبجين في صحيفة هذا العالم ، ومن اتلافهم وحركاتهم ، وسكونهم ومعاملاتهم ، ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضاً ، هي نتيجة الانتباه والتبصر بالتدبير والإتقان ، وإظهار الغيرة العمومية وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان^(٤٣).

وقد دفعت هذه الحقيقة أحد الغيارى على العربية إلى أن ينشر عام ١٨٨٦ في أحد أعداد مجلة «المقتطف» مقالاً شكاه فيه من ركاسة الأسلوب الصحافي كما

يظهر في ما كان يُترجم من اللغة التركية وبعض اللغات الأجنبية الأخرى ، مقدّماً على ذلك أمثلة كثيرة ، داعياً إلى درء هذه المفاصد ، ونبذ الكلام الركيك الفاسد ، وذلك بمطالعة كتب أئمة البيان العربي القدامى^(٤٤).

ولئن كانت الصحافة قد وفقت ، بعد انقضاء فترة يسيرة ، إلى التغلب على هذه الركافة وعلى غيرها من مواطن الضعف ، إلا أنها عجزت على التغلب من قيود السجع الثقيلة . ولعل خير دليل على هذه الواقعة افتتاحية العدد الأول من صحيفة «لسان الحال» الصادرة في بيروت عام ١٨٧٧ ، أي بعد صدور «الوقائع المصرية» بخمسين سنة تقريباً . قال محرّر «اللسان» : الحمد لله الذي يسبّح بحمده في الغدو والأصال ، وينطق مُفصّحاً بتعداد آلائه لسانُ الحال ، حمداً يدوم آناء الليل وأطراف النهار ، ما غرّد قُمْرِي وترنم هزار^(٤٥).

وبالإضافة إلى السجع ، لم تستطع الصحافة العربية في ذلك العصر التخلص من المبالغة الممجوجة ، والإطراء الرخيص المتمثل أكثر ما يكون بإسباغ الألقاب الطنانة على من تتحدث عنهم . ومن الأمثلة على ذلك قول جريدة «وادي النيل» لمناسبة صدور مجلتي بيروتيتين هما «الزهرة» ليوسف شلفون المتوفي عام ١٨٩٠ و«الجنان» للمعلم بطرس البستاني المتوفي عام ١٨٨٣ : وكلتاها من الطرافة والكياسة ، وعظم الفائدة والنفاسة ، في درجة عالية ، وهيئة حالية ، وكأنها فتاتان من الجزر الأوروبية ، وقد بدتا في كنائس نصرانية ، متجملتين بمآزر مشرقية عربية ، أو برانس مغربية . . . إحداهما تُنشر باسم «الزهرة» بتأليف وإدارة الأديب الأريب ، والكاتب اللبيب ، والأخذ من الكتابة بمجامع الفنون ، المدعو بيوسف الشلفون . . . والثانية تظهر باسم «الجنان» ، جمع جنة ، بقلم وإدارة المؤلف اللطيف ، والمصنف المتقن الظريف ، أصمعي هذا العصر الثاني ، المشهور باسم بطرس البستاني ، مع شبه الشاب الفهيم ، المعروف كذلك باسم سليم^(٤٦).

وماهي غير فترة قصيرة حتى تحررت الصحافة من السجع نفسه بعد أن استشعرت أنه قيد ثقيل يحدّ من حركتها ، ويتعارض مع دينامييتها ، ولا ينسجم

مع رسالتها كوسيلة إعلام جماهيرية يتعين عليها أن تخاطب الناس بأسلوب يتمشى مع روح العصر الذي وُصف في تلك الفترة بعصر السرعة ، فإذا بنا نقرأ كلاماً جديداً لم تألفه الصحف من قبل ، كلاماً مرسلأً رقيقاً لا يتكلف السجع ولا يضحي بالمضمون على مذبح التألق اللفظي والمحسنات البيانية . ومن ذلك قول منشي «المقتطف» يعقوب صروف المتوفي عام ١٩٢٧ في وصف قصر من قصور البندقية (فينيسيا) : أما مقاصير هذا القصر وما فيها من الصور والتحف فما لا يُستوفى وصفه إلا في مجلد كبير ، لأن أعظم مصوري البندقية ونقاشيها أفرغوا جهد صناعتهم وغاية ماوصل إليه حذقهم في نقشها ، فزينوها بالصور التاريخية والخيالية والنقوش والتماثيل ، إلى أن يقول في كلامه على إحدى هذه المقصورات : وقد وقفت في هذه المقصورة ساعة من الزمن حائراً مدهوشاً . ولا أدري ممّ دهشتي - أمن اتساعها الفائق ، أم من كثرة صورها ، أم من بديع ألوانها وإحكام رسمها ، أم من صورة الفردوس فيها ؟ ولقد وددت لو أن الساعة صارت شهراً ، وعيني صارت منظاراً ، حتى أنعم النظر في كل صورة ومشهد وأستخلص تاريخ هذه المدينة العظيمة من صور قصرها^(٤٧) .

وليس أدل على (جوهرية) هذا التطور من مقارنة وصف منشي «المقتطف» لذلك القصر بوصف معاصره السيد محمد توفيق البكري المتوفي عام ١٩٣٢ لقصر مماثل من قصور فيينا وفيه يقول : وصلتُ إلى ذلك القصر ففتح الباب ، وكُشف الحجاب ، فإذا جنة وخير ، وملك كبير ، ودنيا في دار ، وليل ونهار ، ووجوه تشرق ، وحلّ تبرق وسقوف من مرمر ، وأرض من عرعر ، وكان كل سقف لوح مصور ، وكل أرض روض منور . . . وقام على الأركان تماثيل وتصاوير ، وأنصاب وقوارير ، فكأنما الدار زُون (أي موضع تُنصب فيه الأصنام) ، أو معرض فنون . . . وتدلت الثريات كأنها أشجار مفتحة الأنوار وكان أقباسها آذان جياذ ، أو عيون جراد ، أو قطع أفلاذ ، أو صفائح فولاذ^(٤٨) .

ومع ذلك فإن لغة الصحف لم تنتج من نقد كبار اللغويين الذين تتبعوا سقطاتها وعملوا على تصحيح مغالطها . ولعل أشهر هؤلاء الشيخ إبراهيم اليازجي الذي

نشر في مجلة «الضياء» مقالات متتابعة عنوانها (لغة الجرائد). وقد صدرت هذه المقالات في مابعد في كتاب يحمل الاسم نفسه ، وذلك في القاهرة عام ١٣١٩ للهجرة . وقد قدم لهذا الكتاب بالقول: إننا لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها ، فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ ، ولا سيما إذا وقع في كلام من يوثق به فنتناوله الأقلام بغير بحث ولا نكير^(٤٩).

والواقع أن كثيراً مما أورده اليازجي في كتابه هذا يظل محلّ خلاف بين العلماء لأنه استند في رفضه إياه إلى مجرد القول إن كتب اللغة لم تنصّ عليه ، وكأنّ كتب اللغة قد نصّت على كلام العرب كله ، أو وكأنّ كتب اللغة القديمة مفروض فيها أن تنصّ على ما قضت ضرورات هذا العصر باستخدامه . ومع ذلك فمن المفيد أن نورد هنا نماذج من الأخطاء التي سردها لأنها تلقي الضوء على بعض عثرات الأقلام في زمن اليازجي ولأن عدداً غير يسير من هذه الأخطاء لا يزال يتردد صداه في صحفنا ومجلاتنا حتى يوم الناس هذا .

قال صاحب «لغة الجرائد»: ويقولون: غصن يانع أي نصير أو رطب ، وكذا زهرة يانعة وروض يانع ، ولا يأتي (ينع) بهذا المعنى ، إنما يقال ثمر يانع وينيع ، أي ناضج ، وقد ينع الثمر وأينع إذا أدرك وحن قطافه...^(٥٠).

ويقولون: ذهب الرجلان سوية ، أي ذهبا معاً . وإنما السوية بمعنى السواء . يقال قسموا المال بينهم بالسوية ، وهذا حكم لا سوية فيه ، وهي النصفة والعدل...^(٥١).

ويقولون: هو يسعى لنوال بغيته، وإنما النوال بمعنى العطاء ، أي الشيء الذي يعطى ، وليس بمصدرٍ لنال ، والصواب لنيل بغيته...^(٥٢).

ويقولون: نيف وعشرون ديناراً ، فيقدمون النيف ، والمسموع تأخيره . يقال عشرون ونيف ، ومئة ونيف...^(٥٣).

ويقولون: هو مدمن على هذا الأمر ، أي مواظب عليه ، مديم لفعله ،

والصواب ترك الجارّ لأن هذا اللفظ يتعدّى بنفسه... (٥٤).

ويقولون: عوّدته على الأمر ، وتعوّد عليه ، واعتاد عليه ، والصواب حذف الجارّ في الكلّ... (٥٥).

ويقولون: رأيت أكثر من مرة ، وجاءني أكثر من واحد . والظاهر أن هذا التعبير منقول عن التركيب الأجنبي . والعرب يستعملون لفظ غير . يقولون : رأيت غير مرة وجاءني غير واحد ، لأن غير الواحد لا بدّ أن يكون اثنين فما فوق... (٥٦).

ويقولون: رجل ثوروي على مثال فوضوي ، أي من أصحاب الثورة ، وهم ثورويون . ولا وجه لزيادة هذه الواو قبل ياء النسبة وكأنهم يتجافون عن أن يقولوا ثوريّ لثلاً يلتبس بالمنسوب إلى الثور ، على أن الثور لو فطنوا مشتق من الثوران ، لأنه يثور أو لأنه يثير الأرض فالشركة حاصلة على كل حال... (٥٧).

وأيا ماكان ، فقد خطت اللغة الصحافية ، منذ عهد الشيخ اليازجي ، خطوات واسعة على طريق الصحة والنصاعة وحسن البيان ، ووضعت ألفاظاً لم تكن ، كالسيارة والدراجة والمجهر والهاتف والمنطاد ، واشتقت صيغاً من بعض الأسماء مثل قَوْلَب من القالب ، ومَوْل من المال ، وبرميج من البرنامج ، وقَن من القانون ، وعَلَمَن من العلمانية ، وطَوّر من الطُّور ، وعَلَب من العلبة ، ومَصّر من مصر ، وَلَبَنَن من لبنان ، وقِيم من القيمة ، وجدول من الجدول ، واستجوب من الجواب ، واستشرق من الشرق . وليس هذا فحسب ، بل لقد وقفت ، فضلاً عن ذلك كله ، إلى مخاطبة جماهير الشعب في غير ما ابتذال أو إسفاف ، وإلى التعبير عن حاجات العصر مستوعبة خلال ذلك كلّ جديد في ميادين الفكر والعلم والاجتماع .

وإذا صحّ أن البلاغة ، كما عرّفها بعض شيوخنا القدامى ، هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فعندئذ يكون في ميسورنا أن نزعم أن لغة الصحافة قد بلغت اليوم مرتبة صالحة من البلاغة . وهذا ما أكّد عليه نقيب الصحافة اللبنانية ، محمد البعلبكي ، بقوله : إن لغة الصحافة العربية بوجه

الإجمال لغة فصيحة يندر فيها الخطأ اللغوي ، سواء من حيث قواعد النحو أو من حيث تركيب الجملة ، بل إنها لغة ترتفع في بعض المقالات إلى درجة البلاغة ، بكل ما في البلاغة من تحسين وإبداع^(٥٨).

والحق أن الصحافيين المعاصرين لم يرتقوا بلغة الصحافة إلى مرتبة من البلاغة صالحة فحسب بل ارتقوا من طريق ذلك بلغة الناس اليومية أيضاً ، فهدّبوا حاشيتها ، وأثروها بطائفة من الألفاظ والصيغ التي ابتكروها أو روجوا لها ، وهكذا جرت على الألسن كلمات وتعبير مستحدثة مالبثت أن أصبحت جزءاً لا يتجزأ من اللغة المحكية . ومن الأمثلة على ذلك قولهم : السيارة ، والدراجة ، والقطار ، والقاطرة ، والمدمرة ، وجواز السفر ، وتأشيرة الخروج ، وتذكرة الهوية ، وحظر التجول ، وصفارة الإنذار ، والهاتف ، والبرقية ، والديموقراطية ، والدكتاتورية ، والأرستوقراطية ، والبورجوازية ، والاشتراكية ، والشيوعية ، والتعاونية ، والمأساة ، والكارثة ، والمهزلة ، والتطبيع ، والتصنيع ، والتطويع ، والتعليب ، والبرج العاجي ، وغزو الفضاء ، والقمر الصناعي ، والمركبة الفضائية . وقولهم : (وضعه في الصورة) ، و(بدأ العدّ العكسي) و(فاوض من موقع القوة) ، و(فقدت الدولة مصداقيتها) ، و(أعطاه الضوء الأخضر) ، و(شدّ الحزام) ، و(عضّ على جرحه) ، و(انطوى على نفسه) و(لعب ورقة الصراع الطائفي) ، و(أحصى عليه أنفاسه) ، و(خرج عن طوره) ، و(خرج من جلده) ، و(دفع الثمن غالياً) ، و(ذرّ الرماد في العيون) ، و(دقّ ناقوس الخطر) ، و(توترت العلاقات) ، و(تكهرب الجو) ، و(قرأ ما بين السطور) ، و(دخل التاريخ من أوسع أبوابه) ، و(على مستوى العاصمة أو الجمهورية) الخ^(٥٩).

وهذه الملاحظة تقودنا إلى ثلاث ملاحظات متلازمة معها:

أولها أن الصحافة قد أنزلت الأدب من برجه العاجي ووسّمته بسمّة ديموقراطية جديدة ، فتعايش مع الناس وعُني بمعالجة قضاياهم اليومية والمصيرية .

والثانية أنها أعادت العربية إلى أصلاتها بوصفها لغة أدب وعلم وحضارة بعد أن أحالتها عصور الانحطاط إلى لغة أدب وبديع وبيان ليس غير .

والثالثة أنها أغنت المعجم العربى بما استحدثه رجالها من تعابىر فرضتها عليهم الأحداث الجارىة أو حملتهم على ابتداعها ضرورات الترجمة عن مصادر الأنباء أو عن موارد المعرفة من كتب ومجلات علمية وموسوعات عامة^(٦٠) فقالوا: سىاسة المحاور، وسىاسة اللاعنف، وسىاسة النعمة، وسىاسة فرق تسد، وسىاسة الحىاد الإىجابى وسىاسة التمييز العنصرى، وسىاسة الاقتصاد الحر، وسىاسة الاقتصاد الموجّه، وسىاسة التهذئة، وسىاسة الخافة أو سىاسة خافة الهاوىة^(٦١)، وسىاسة شدّ الحزام ...

وقالوا: الحرب الخاطفة، والحرب الباردة، وحرب الإبادة، وحرب الإذاعات، وحرب الإشاعات، والحرب بىن الإخوة، وتوازن القوى، وتوازن الرعب، والتوازن الاستراتيجى، والغارات الجوية الوهمىة، والانتفاضة الشعبىة ...

وقالوا: المقاومة السلبىة، والعصىان المdney، والتعاىش السلمى، وحقوق الإنسان، والحقوق المdneyة، وعواصم القرار، والإرهاب الدولى، وحمّ الدم، وبؤر التوتر ...

وقالوا: العالم الثالث، والإصلاح الزراعى، والأمن الغذائى، وبنك الدم، وإصلاحىة الأحداث، والآثار الجانبىة، واستطلاع الرأى، وناطحات السحاب، والضرىبة التصاعدىة، والحاسبة الإلكترونىة أو الدماغ الإلكترونى، والعدّ العكسى، وغزو الفضاء، والقمر الصناعى، والمركبة الفضائىة ...

وقالوا: حقّ النقض، والعملة الصعبة، والقطع النادر، والروتىن الحكومى، ومجانىة التعلىم، وديموقراطىة الثقافة، ومسرح الدمى، ومسرح اللّامعقول، ومسرح العبث، ودوالىب الحظّ، ومحكمة التاريخ، والبنىة النحتىة، والتكامل الاقتصادى، والتبادل الثقافى، والمدرسة النموزجىة، والحلقة الدراسىة، وقصر الثقافة، وبيت الطلبة، والمدينة الجامعىة، والمدينة الصناعىة، والمدينة الرياضىة، ومدينة الملاهى، ومدينة الأشباح ...

وقالوا: قصيدة النثر، وعروس المدن، وفتاة الغلاف، وملكات الجمال،
والجريدة الناطقة، وكاميرا الأخبار، ومجلة المجلات، ومجلة التلفزيون،
والأسلوب البرقي، والرقص التعبيري...

وقالوا: عقدة النقص، وتنازع البقاء، وبقاء الأصلح، والصراع بين
الطبقات، والمدارس الأدبية، والمجامع العلمية، والجماعات الأصولية،
وموضوع الساعة، وساعة الصفر، ومقبرة المشاريع...

وقالوا: المعدن الأصفر، والذهب الأسود، والضوء الأخضر، والخط
الأحمر، والكذبة البيضاء، والانقلاب الأبيض والثورة البيضاء، والسوق
السوداء...

ويحسن بنا قبل الانتقال إلى الكلام على لغة الإذاعة والتلفزة أن ننصّ على أن
الصحافة كان لها أكبر الفضل في نشوء فنّ (المقالة) الحديث، وذلك لحاجة
الصحف والمجلات إلى معالجة مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية
والاقتصادية والدينية والفلسفية والتاريخية وغيرها في فصول مركّزة لا تحتلّ من
صفحاتها غير حيز محدود. والحق أن (المقالة) استقطبت نفراً من كبار كتّاب
العصر، فانبروا إلى امداد الصحف والمجلات بفيض خواطرهم ووعي
أفلامهم. وقد جُمع كثير من ثمرات هذا النشاط الخصب في كتب قيمة أضافت
إلى الأدب العربي ثروة جديدة.

٣ - لغة الإذاعة والتلفزة :

إن ما ذكرناه عن لغة الصحافة ينطبق انطباقاً شبه كامل على لغة الإذاعة
والتلفزة. ولا عجب، فقد بدأ الإعلام المسموع (الإذاعة) والإعلام المسموع
المرئي (التلفزة) من حيث انتهى الإعلام المقروء، بمعنى أنها لم يكونا في حاجة إلى
تجشّم مشاق الرحلة الطويلة التي تعيّن على الصحافة القيام بها لكي تكتشف لغتها
المميزة. ومن هنا اتسمت لغتهما الفصحى، منذ البدء، بالبساطة والوضوح
والإيجاز والمرونة والنفاذ المباشر والقدرة على الإمتاع، فضلاً عن السلامة النسبية
من الناحيتين الصرفية والنحوية.

نقول السلامة (السلامة النسبية) لأن مستوى لغة الإذاعة والتلفزة يبدو لنا دون مستوى لغة الصحافة . وهذا الهبوط في المستوى لا يتأتى دائماً عن ضعف في النصوص المكتوبة ، فالنصوص قد تكون خالية من الشوائب في كثير من الأحيان ، ولكنه يتأتى عن ضعف في الأداء ناشئ في أسوأ الأحوال عن أمية بعض المذيعين - وبخاصة في حقل التلفزيون اللبناني - وفي أحسن الأحوال عن ضالة حظوظهم من الثقافة اللغوية .

ذلك بأن لغة الإذاعة والتلفزة ، بخلاف لغة الصحافة ، وجهين اثنين : وجه الكتابة ، ووجه التلاوة . وهذا ما فصله نقيب الصحافة في لبنان محمد البعلبكي في قوله : إن ما قد يخفي وراء الحرف المطبوع في الصحافة ينكشف على لسان المذيع أو المتحدث في الإذاعة والتلفزيون . . . وإن أبرز ماتعانيه اللغة العربية في هذا المجال هو ما اتصل بمخارج الحروف من حيث التفخيم والترقيق ، وما اتصل أيضاً بلجوء المذيعين إلى اعتماد تسكين أواخر الكلمات باستمرار ، مما يُنبئ عن جهل ويؤدي إلى تقطيع الجمل تقطيعاً يُفسد المعنى أو يؤدي بلاغة الأداء ، حتى إذا أفلح المذيع عن التسكين وقع في أخطاء نحوية من مثل خفض المنصوب أو نصب المرفوع أو تأنيث المذكر وتذكير المؤنث ومختلف الضمائر العائدة إليهما^(٦٢) .

وقريب من ذلك قول فيكتور سحاب في كتابه «أزمة الإعلام الرسمي العربي» : وفي هذا النطاق يدخل أمر تحريك أواخر الكلمات . ذلك أن عجز معظم المذيعين عن التحريك السليم ألجأهم إلى اتباع أسلوب بشع في الإلقاء يقضي أن يسكنوا آخر كل كلمة ويقطعوا انسياب الجملة التي يجب أن تكون متصلة بفضل الحركة في آخر كل كلمة . . . وفي هذا النطاق أيضاً يدخل أمر التفخيم والترقيق . ومعظم المذيعين الآن لا يعرفون أي الحروف تفخم وأيا ترقق^(٦٣) .

وقوله في موضع آخر : إن مذيعينا توقفوا منذ ربح من الزمان عن السعي إلى اللفظ السليم والتحريك الصحيح ، بل توقفوا عن التحريك على الإطلاق ، فقطعوا الكلام كلمة كلمة . . . وفقدوا الحس بالإيقاع العربي للكلم ، والتنغيم السليم للجملة . . . وفي الماضي لم تكن تلك هي حال الإعلام الرسمي . كنا

نستمع إلى مذيعين هم أشبه بالأدباء منهم بالنمط الذي نعرف اليوم . لقد نما حجم الإعلام وعظم شأنه ولم يواكب ذلك نماء في كفاءة العاملين فيه ، بل أدت الحاجة إلى الكثرة إلى التساهل في المعايير^(٦٤) .

ويتجلى ضعف المذيعين اللغوي في مجالات غير هذه أيضاً . ذلك أن نفراً غير يسير منهم يجهل في الأعم الأغلب معاني الحروف ومواضع استعمالها ، ولا يميز بين همزة القطع وهمزة الوصل فهو يصطنع الأولى حيث ينبغي أن تُصطنع الأخرى ، ولا يراعي أحكام العدد ، ولا يكسر همزة (إن) بعد فعل القول ، ولا يكلف نفسه عناء ضبط عين الفعل من طريق العودة إلى المعجم .

هذا فضلاً عن بعض الأخطاء المفردة التي يرتكبونها عادةً ، من مثل قولهم (احتَضِرْ) بدلاً من (احتَضِرْ) ، وقولهم (اضْطَرَّه الأمر إلى كذا) بدلاً من (اضْطَرَّه الأمر إلى كذا) ، وقولهم (مَرَّقَه إرباً إرباً) بدلاً من (مَرَّقَه إرباً إرباً) ، ومن عجب أن اليازجي نبه على هذا الخطأ في كتابه «لغة الجرائد» منذ مئة عام على وجه التقريب ، ومع ذلك فلا تزال طائفة من المذيعين تقع فيه ، وقولهم (عن كَثَب) بدلاً من (عن كَثَب) ، وقولهم (الأزمة) بدلاً من (الأزمة) ، وقولهم (المُعْدَم) بمعنى المعوز والفقير بدلاً من (المُعْدِم) ، وقولهم (من جَرَاء) بدلاً من (من جَرَاء) ، وقولهم (إحدى المستشفيات) بدلاً من (أحد المستشفيات) ، وقولهم (غادر سباحته إلى الديار المقدسة) بدلاً من (غادر سباحته إلى المدينة أو المدينة إلى الديار المقدسة) غافلين عن أن (غادر) فعل مُتَعَدٍّ وليس فعلاً لازماً ، وقولهم (سوف لا يَحْضُر) بدلاً من (لَنْ يَحْضُر) ، وقولهم (نَفَذت بيروت إضراباً شاملاً) بدلاً من (أضربت بيروت إضراباً شاملاً) ، وقولهم (نَفَذ طيران العدو غارة على الجنوب) بدلاً من (قام طيران العدو بغارة على الجنوب) أو (شَنَّ طيران العدو غارة على الجنوب) ، وغير ذلك مما سمعناه ودَوَّناه في أثناء إعداد هذا البحث .

وأياً ماكان ، فرفع مستوى لغة الإذاعة والتلفزة ليس بالأمر العسير إذا صدقت النيات وصحَّ منا العزم . ونحن نقترح ، توصلاً إلى ذلك ، الأخذ بالتوصيات التالية :

١ - إنشاء فروع في كليات الإعلام لتخريج المذيعين والمذيعات وبخاصة في علمي الصرف والنحو وفي الأدب العربي وتاريخه .

٢ - العناية في هذه الفروع بتدريس القرآن الكريم وعلومه ، وبخاصة علم التجويد ، لما لذلك من أثر بعيد في تقويم السنة الطلاب ، وإثراء ثقافتهم اللغوية ، وفتح أعينهم على جمالية «العربية» وأسرار بلاغتها .

٣ - قصر إسناد وظيفة المذيع أو المذيعات على خريجي هذه الفروع وخريجياتها .

٤ - إخضاع من تختارهم هيئة الإذاعة أو هيئة التلفزيون ، لهذه الوظيفة ، لدورة تدريب يركّز فيها في المقام الأول على حسن الأداء وجودة الإلقاء .

٥ - تعويد المذيعين والمذيعات مراجعة المعاجم ابتغاء التأكد من صحة ما يستعملون من ألفاظ سواء من حيث المعنى أو من حيث البنية ، وابتغاء ضبط عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع ، وما إلى ذلك .

٦ - إنشاء هيئة مراقبة مهمتها الاستماع إلى المذيعين والمذيعات ، على نحو موصول ، وتسجيل الأخطاء التي يقعون فيها وإرشادهم إلى وجه الصواب في كل منها بعيد انقضاء الفترة الإذاعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مشكلة الأداء والإلقاء ليست العقبة الوحيدة التي تعترض سبيل لغة الإعلام الإذاعي والتلفزيوني وتببط بها إلى ما دون مستوى لغة الصحافة باعتبار أن الصحافة ليس عندها مشكلة أداء وإلقاء . . . ذلك بأن ثمة مشكلة أخرى عانى منها الإعلام الإذاعي والتلفزيوني منذ نشأته ، ولا يزال ، في حين ظلت الصحافة في نجوة من مفاعيلها السلبية منذ اللحظة الأولى حتى اليوم . عَنِيَتْ مشكلة العامية والفصحى ، وهي أشدّ خطراً وأكثر تعقيداً من مشكلة الأداء والإلقاء .

وواضح أن نشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونية تقع خارج مشكلة العامية والفصحى هذه ، لأنها حُرِّرت أول ما حررت - ولا تزال تحرر إلى الآن - بالعربية الفصحى . ومن هنا اقتصرَت هذه المشكلة على مختلف البرامج الإذاعية

والتلفزيونية باستثناء النشرات الإخبارية .

والحق أن الكثرة الكاثرة من الذين كتبوا أو ألّفوا في موضوع الإعلام توقفت عند هذه المشكلة وحاولت أن تبدي رأياً فيها ، أو تقترح حلاً لها . وإذ كانت هذه الآراء وتلك الحلول تلتقي كلها عند نقطة مركزية واحدة فقد رأينا أن نورد في مايلي نموذجين اثنين منها ليس غير .

أولهما قول الدكتور فؤاد زكريا : وفي هذا الإطار ذاته ، إطار نشر الثقافة تندرج مشكلة اللغة الفصحى واللهجات العامية . . . ومن هنا رأى البعض أن التوجه إلى الجماهير العربية من خلال اللغة الفصحى وحدها هو أشبه بصرخة في الفلاة ، لا تجد من مستجيب ، وأكد هذا البعض أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقاً ، وتستجيب لندائك ، فلا مفر لك من التضحية برونق الفصحى ، ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التي تحيا بها حياتها اليومية وتعبر بها عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها . . . وأستطيع أن أقول إنه إذا كان هناك أي حل لهذه المشكلة فإن أقرب الأجهزة إلى تحقيق هذا الحل هو الإذاعة المرئية ، ففي استطاعتها أن تستخدم في برامجها المختلفة لغة عامية ممزوجة بالفصحى مزجاً يزداد قوة بالتدرّج ، وأن تعود الجماهير العربية — دون نقلة مفاجئة — على أن تألف سماع الفصحى والتعبير عن نفسها من خلالها ، وذلك بأن تضع خطة مدروسة للغة المستخدمة في برامجها ، حتى الترفهية منها ، وكلنا نعلم أن هناك عامية تتضمن كثيراً من التعابير الفصيحة ، وأن هناك لغة متوسطة ، لا هي بالعامية الخالصة ، ولا هي بالفصحى الكاملة . مثل هذه اللغة إذا استخدمت على نطاق واسع وازداد نصيب الفصحى فيها بالتدرّج كانت كفيلة بأن تعيد إلى اللسان العربي وحدته دون عناء كبير^(٦٥) .

وثانيهما قول الدكتور نديم نعيمة ، أستاذ الأدب العربي الحديث في الجامعة الأميركية في بيروت : الواضح في نظري أن مشكلة الإعلام مع لغة الكلمة عندنا هو أنه مايزال يتعرّض غالباً بين عامية وفصحى متنقلاً بين لغتين اثنتين بلغتا في تباعدهما حدّ الاستقلالية ، بحيث أصبح لكل منهما دائرتها وجمهورها . فكان

الإعلام إذ يعتمد الواحدة أو الأخرى إنما يتوجه إلى فئة من فئتين مستقلتين في المجتمع الواحد . المنتظر من إعلامنا ، وهو ما بدأنا نرى بوادره ، خاصة في لبنان ، ليس أن يهرب من الفصحى إلى العامية بهدف التعميم ، أو من العامية إلى الفصحى توسيعاً لدائرة الانتشار ، بل أن يخلق لغة هي (عامية الفصحى) تماماً كما هو حاصل في لغات العالم المتقدم . فهناك (عامية الانكليزية) لا الانكليزية العامية ، وهناك (عامية الفرنسية) لا الفرنسية العامية ، وكذلك هي الحال في الألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها . و(عامية العربية) ليست اللغة المحكية بل هي الفصحى وقد أكسبها الاستعمال ما للعامية من حركية وأسقط عنها الكثير من أصولية ارسطوقراطيتها اللفظية والإعرابية والبلاغية والبيانية وغيرها دون أن يحوّلها إلى لغة عامية مستقلة^(٦٦) .

ولئن كان نطاق هذا البحث لا يتسع لمزيد من التفصيل فإنه لن يضيق ببضع ملاحظات تختصر رأينا في هذه المشكلة :

١ - إن لغة الإذاعة والتلفزيون مرشحة لأن تكون هي لغة الناس المحكية في المستقبل ، بل لغة العرب الجامعة لهم ، وذلك نتيجة لاستماع الجماهير إليها على نحو موصل ، ونزوعهم إلى محاكاتها على نحو لا واع . ومن هنا تعين أن تُدرس أعمق الدرس وتُرسَم لها الخطط العلمية التي تفضي إلى حلّ مشكلتها حلاً نهائياً .

٢ - إن كل حلّ صحيح لهذه المشكلة يجب أن ينطلق من حقيقة أساسية هي أن الفجوة بين العامية والفصحى واسعة إلى حدّ يتعذّر معه ردمها في فترة قصيرة . وهذه الحقيقة تفرض علينا أن لا نتعجل الحلّ المنشود وأن نعمل على بلوغه خطوة خطوة ومرحلة بعد مرحلة .

٣ - وتأسيساً على هذا ، نرى أن تكون لغة الإذاعة والتلفزيون - في الوقت الحاضر على الأقل وريثاً تصبح هذه اللغة لغة الناس المحكية في يوم من الأيام - على مستويات ثلاثة :

أ - مستوى (العربية الفصحى) . والواقع أن الإعلام المسموع والإعلام المرئي اصطنعا هذه اللغة ، منذ نشأتها الأولى ، في نشراتها الاخبارية كلها ،

ولا يزالان . ونحن نقترح أن يصطنعها أيضاً في كل ما يقدمانه إلى المستمعين والمشاهدين من أحاديث ، وندوات ثقافية ، وبرامج تعليمية ، ومقابلات مع رجال الفكر والسياسة الخ .

ب - مستوى (اللغة المتوسطة) . وهي اللغة التي تقع في منزلة بين منزلي العامة والفصحى ، والتي أطلق عليها الدكتور نديم نعيمة اسم (عامية الفصحى) ونحن نرى أن يصطنع الإعلام الإذاعي والإعلام التلفزيوني هذه اللغة في برامجها الترفيهية على اختلاف أنواعها .

ج - مستوى (اللغة الدارجة) . ونعني بها العامة المهذبة بعض الشيء ، والمرشحة لأن تهذب باستمرار ، وعلى نحو تدريجي ، كلما آنس رجال الإعلام استعداداً من جمهور المستمعين والمشاهدين لتقبل هذا التهذيب ومقدرة على استيعابه . ونحن نذهب إلى القول بأن التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية كلها يجب أن تكتب بهذه اللغة إلا إذا كانت تمثيلات تاريخية أو مترجمة عن إحدى اللغات الأجنبية .

٤ - إن لغة إعلامية موحدة لا بد أن تنبثق - مع الأيام ، وعلى نحو طبعي - من المستويات اللغوية الثلاثة التي ذكرنا ، وبذلك تحل مشكلة العامة والفصحى في الإذاعة والتلفزيون ، وتمهد الطريق إلى حلها في حياة الناس اليومية أيضاً .

د . منير البعلبكي

[الحواشي :

- (١) يستخدم معظم المؤلفين في حقل الإعلام لفظ (الاتصال) بدلا من لفظ (الإعلام) وعندنا أنهم لا يضيفون بذلك إلى معنى الإعلام أي بعد جديد . لأن (الاتصال كالإعلام) ، عملية من جانب واحد ، و (التواصل) هو اللفظ المعبر تعبيراً صحيحاً عما يقصدون إليه ، كما سنرى .
- (٢) الدكتور حسن صعب ، « اعجاز التواصل الحضاري الإعلامي » ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ ، الصفحة ١٢٠ - ١٢١ .
- (٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٧٥ - ٧٦ .
- (٤) الدكتور أنيس مسلم ، « وسائل الإعلام بين الرأي العام والإرادة الشعبية » ، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر ، الطبعة الأولى ، جونيه ، لبنان ، ١٩٨٥ م ، الصفحة ١٤ - ١٥ .
- (٥) الدكتور عبدالعزيز شرف ، « المدخل إلى وسائل الإعلام » ، دار الكتاب المصري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ م ، الصفحة ٧٩ .
- (٦) المصدر نفسه الصفحة ٧٩ .

- (٧) منير البعلبكي «موسوعة المورد»، المجلد الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، الصفحة ١٩٣.
- (٨) منير البعلبكي، المصدر السابق، المجلد الأول، الصفحة ٨٦.
- (٩) الدكتور عبدالعزيز شرف، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٧٦ والصفحة ٩٦.
- (١٠) المصدر نفسه، الصفحة ٢٩٩.
- (١١) الدكتور أنيس مسلم، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٢٢-٢٣.
- (١٢) منير البعلبكي، المصدر الذي سبق ذكره، المجلد الثامن، الصفحة ٨٢.
- (١٣) أحمد حسن الزيات «تاريخ الأدب العربي»، دار الثقافة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرون، الصفحة ٤٢٥.
- (١٤) فيليب حتي وأدورد جرجي وجبرائيل جبور «تاريخ العرب»، دار غنطور، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٧٤، الصفحة ٨٤٦.
- (١٥) رثيف خوري «التعريف في الأدب العربي»، لجنة التأليف المدرسي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٢م، الصفحة ٤٤٦.
- (١٦) فيليب حتي وأدورد جرجي وجبرائيل جبور. المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٨٤٣.
- (١٧) الدكتور محمد حمد خضر «مطالعات في الإعلام»، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٧، الصفحة ١١٧ (لا ذكر لمكان الطبع).
- (١٨) الدكتور عصام سليمان عيسى «تاريخ الاتصال ووسائله» «مجلة الدراسات الإعلامية»، العدد ٣٨، دمشق ١٩٨٧، الصفحة ١٤.
- (١٩) منير البعلبكي، المصدر الذي سبق ذكره، المجلد السادس، الصفحة ٢١.
- (٢٠) منير البعلبكي، المصدر السابق، الصفحة ٢١.
- (٢١) الدكتور حسن الحسن «الدولة الحديثة إعلام واستعلام»، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦، الصفحة ١٥٢.
- (٢٢) الدكتور محمد حمد خضر، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٤٣٥.
- (٢٣) الدكتور أنيس مسلم، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٣٢.
- (٢٤) المصدر السابق، الصفحة ١٧٦.
- (٢٥) الدكتور حسن صعب، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٢٢.
- (٢٦) المصدر السابق، الصفحة ٢٥.
- (٢٧) الدكتور عبدالعزيز شرف، المصدر الذي سبق ذكره، صفحة ٢٣٠.
- (٢٨) منير البعلبكي، المصدر الذي سبق ذكره، المجلد التاسع، الصفحة ١٨٤.
- (٢٩) الدكتور حسن صعب، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٢٤-٢٥.
- (٣٠) الدكتور محمد حمد خضر، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ١٢٩.
- (٣١) الدكتور عصام سليمان عيسى، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ١٨.
- (٣٢) الدكتور حسن صعب، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٧٠.
- (٣٣) الدكتور عبدالعزيز شرف، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٢٧٣.
- (٣٤) الدكتور حسن صعب، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٧٦.
- (٣٥) الدكتور عبدالعزيز شرف، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٦١.
- (٣٦) الدكتور عبدالعزيز شرف، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ٦٨-٦٩.
- (٣٧) الدكتور محمد حمد خضر، المصدر الذي سبق ذكره، الصفحة ١٢٢.

- (٣٨) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٧ .
- (٣٩) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .
- (٤٠) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ١٣٣ .
- (٤١) المصدر نفسه ، الصفحة ١٢٣ .
- (٤٢) وهذا ما يجعل تلك الافتتاحية أول مقالة تسطر في تاريخ الصحافة العربية .
- (٤٣) أنيس المقدسي « الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث » ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢م ، الصفحة ٤٤٩ .
- (٤٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٤٥) الدكتور محمد حمد خضر ، المرجع الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٥٤ .
- (٤٦) المصدر السابق ، الصفحة ١٤٠ . وقد علق الدكتور محمد حمد خضر على هذا الشاهد بقوله : فتصوروا لو كان عل الصحافي المعاصر أن يستخدم هذه اللغة وان يعتمد على هذا الإيقاع التعبيري لتغطية اختطاف طائرة أو نقل أنباء غارة حربية ... !
- (٤٧) أنيس المقدسي ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٤٥٢ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٥٢ أيضاً .
- (٤٩) الشيخ إبراهيم اليازجي « لغة الجرائد » الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣١٩ للهجرة ، الصفحة ٥ - ٦ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، الصفحة ١١ .
- (٥١) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، الصفحة ٢١ .
- (٥٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٥ .
- (٥٤) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٦ .
- (٥٥) المصدر نفسه ، الصفحة ٣٢ .
- (٥٦) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩ - ٥٠ .
- (٥٧) المصدر نفسه ، الصفحة ٥٢ - ٥٣ .
- (٥٨) محمد البلبيكي ، من رسالة بحث بها إلى صاحب هذا البحث في نطاق استطلاع للرأي اجراه حول لغة الإعلام .
- (٥٩) من أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الأستاذ أحمد أبوسعد « معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد » ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧م .
- (٦٠) اجتمع لدينا خلال إعداد هذا البحث مئات من هذه التعابير نكتفي هنا بذكر طائفة منها .
- (٦١) Brinkmanship —
- (٦٢) محمد البلبيكي ، المصدر السابق ذكره .
- (٦٣) فيكتور سحاب « أزمة الإعلام الرسمي العربي » ، الطبعة الأولى ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥م ، الصفحة ٩٧ - ٩٨ .
- (٦٤) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٠ - ٢١ .
- (٦٥) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٧١ - ٢٧٢ .
- (٦٦) الدكتور نديم نعمة ، من رسالة بحث بها إلى صاحب هذا البحث في نطاق استطلاع للرأي اجراه حول لغة الإعلام .

مااتفق لفظه واختلف مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

- ٥٢ -
٢٤١ - باب حَبِيسٍ : وَخُنَيْسٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : بَعْدَ الْحَاءِ الْمَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ سَيْنٌ مُهْمَلَةٌ - :
مَوْضِعٌ بِالرَّقَةِ ، فِيهِ قُبُورٌ قَوْمٍ [مِنَ الشُّهَدَاءِ] شَهِدُوا صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ (٢) .
وَذَاتُ حَبِيسٍ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ (٣) .

- (١) جند نصر : (باب حَبِيسٍ ، وَخُنَيْسٍ) .
(٢) نصر كلام نصر - بعد كلامه الاق عن ذات حَبِيسٍ - ومثله في «معجم البلدان» بزيادة (شهداء) عن كلمة [الشهداء] الواردة في النسخة الثانية من كتاب الحازمي ، ولم ترد في نسخة الأصل .
(٣) قال نصر : ذات حَبِيسٍ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ ، هُنَاكَ الْجَبَلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَظْلَمُ . وفي «معجم البلدان» ، ذات حَبِيسٍ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ ، بِقَرْبِ الْجَبَلِ الْأَسْوَدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَظْلَمُ ، قَالَ الرَّاهِي :
- لَا تَصْرُفِي خَبِلَ الدُّغَمِ جَرِيرَةً بِشْرِكَ مَسْأَلِهَا الْأَذَانِ ضِيغًا
يُسَوِّفُهَا تَرْجِيئُهُ ذُو عَبَاءَةٍ لِمَا بَيْنَ نَقَبِ فَالْحَبِيسِ فَأَقْرَعَا

وَالْحَبِيسُ قَلْعَةٌ بِالسُّوَادِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، يُقَالُ لَهَا حَبِيسٌ جَدِيدٌ . انتهى . وَجَبَلُ أَظْلَمَ الَّذِي تَقَعُ
ذَاتُ الْحَبِيسِ بِقَرْبِهِ يَقَعُهُ مِنْ كَلَامِ الْأَزْدِيِّ أَنَّهُ يَقَعُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ خَارِجَهَا وَرَأَهُ أَذَاهِمَ عَلَى حُجَّةِ الْعِرَاقِ
- وأخبار مكة : ٢٨٨/٢ و ٣٠٠ - وَهُنَاكَ جَبَلٌ هَذَا الْأَسْمُ (أظلم) عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْجَعْفَرَانَةِ قَدْ يَكُونُ
هُوَ . أَمَّا اسْتِدْلَالُ ياقوتٍ بِشِفْرِ الرَّاهِي عَلَى الْمَوْضِعِ الْوَاقِعِ بِقَرْبِ مَكَّةَ فَهَذَا أَرَاهُ فِي غَلْوِهِ إِذْ بِلَادُ الرَّاهِي
وَقَوْمُهُ بَنِي تَمِيمٍ فِي وَسْطِ نَجْدٍ فِي مَنَاطِقِ الْعُرُضِ وَالسَّرِّ وَمَا حَوْلَهَا - وانظر عنها كتاب «بلاد العرب» -
وَأَغْرَبَ الْبَكْرِيُّ بِقَوْلِهِ : الْحَبِيسُ : ... وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْبَحْرَيْنِ ، قَالَ الرَّاهِي :

يُسَوِّفُهَا تَرْجِيئُهُ ذُو عَبَاءَةٍ لِمَا بَيْنَ نَقَبِ وَالْحَبِيسِ وَأَقْرَعَا
وَبِهَذَا الْمَوْضِعِ قَبِيلُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدٍ فِي حَرْبِ بَابِكَ ، قَالَ الطَّائِي فِي رِثَائِهِ :

سَفَى الْحَبِيسَ وَغَبَسُوا بِرَزْخِهِ مِنْ السُّمِيِّ كَفَيْتُ الْوَفْقَ يَطْرُدُ
وَقَدْ وَجَّهَ الصُّوْلِي فِي تَفْسِيرِ هَذَا اللَّيْلِ فَقَالَ : يَتَعْنَى بِالْحَبِيسِ أَخَاهُ ، لِأَنَّهُ غَبَسَ عَنْ الْحَزَنِ . انتهى .
وَوَجَّهَ الْغَرَّائِيُّ جَدَّ الْبَكْرِيِّ أَنَّهُ عَدَّ الْحَبِيسَ مِنْ بِلَادِ الْبَحْرَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الرَّاهِي ، وَأَمَّا
بِلَادُ الرَّاهِي مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ ابْنُ حَمْدٍ ، وَهَذَا قَوْلٌ فِي بِلَادِ
الْعَجَمِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْبَحْرَيْنِ - وانظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم المنطقة الشرقية
رسم الحبس ، وَمَا تَقَدَّمَ يَتَضَعُ أَنَّ الْحَبِيسَ اسْمٌ لِمَوَاضِعٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا .

وأما الثاني : أوله خاء مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ مَفْتُوحَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ
الْأَوَّلِ : - رَحْبَةُ خُنَيْسٍ بِالْكَوْفَةِ تُنْسَبُ إِلَى خُنَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، أَخِي النُّعْمَانِ بْنِ
سَعْدٍ ، وَهُوَ جَدُّ أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ خُنَيْسٍ (٤).

٢٤٢ - بَابُ حَبِيبٍ : وَخُبَيْبٍ ، وَجُبَيْبٍ (١)

أما الأول : يَفْتَحُ الْحَاءُ وَكَسَرَ الْبَاءُ الْمُوحَّدَةَ وَآخِرُهُ بَاءٌ أُخْرَى : - بَطْنَانُ
حَبِيبٍ بِلَدِّ الشَّامِ (٢).

وأما الثاني : - أوله خاء مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ،

(٤) اِكْتَفَى نَصْرُهُ قَوْلُهُ : - بَعْدَ ضَبْطِ الْأَسْمِ : رَحْبَةُ خُنَيْسٍ عَمَلٌ بِالْكَوْفَةِ . وَيَأْتِي فِي «الْمَعْجَمِ» أَحَالَ إِلَى
(رَحْبَةٍ) وَجَدَ ذِكْرَهَا أَوْضَحَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّ وَأَمَّا الْفَضَاءُ بَيْنَ أَقْنِيَةِ الثِّيَرِ أَوْ الْقَوْمِ وَالْمَسْجِدِ ، وَهِيَ
الْوَاسِعَةُ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَحْبَةَ خُنَيْسٍ يَنْحُو مَا ذَكَرَ الْحَازِمِيُّ - وَأَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي يَعْقُوبُ بْنُ
حَبِيبِ بْنِ خُنَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ خَبْتَةَ (١١٣ / ١٨٢ هـ) مِنْ بَنِي سَعْمَةَ مِنْ بَجِيلَةَ - «جَهْرَةَ أَنْسَابِ الْعَرَبِ»
لَا بِنَ حَزْمٍ - ٣٨٩ - وَهُوَ صَاحِبُ الْإِمَامِ أَبِي خَنْفَةَ ، وَمَكَاتُهُ فِي الْعِلْمِ وَشَهْرَتُهُ تَفَيَّانِ عَنِ التَّوَسُّعِ فِي
الْحَدِيثِ عَنْهُ ، وَجَدَهُ سَعْدُ بْنُ خَبْتَةَ صَخَابِيٍّ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ سَعْدٍ تَائِبِيٍّ .

وَرَأَى نَصْرُهُ فِي الْبَابِ : (خُبَيْسٍ) قَالُوا : - بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ وَآخِرُهُ ثَيْنٌ مُعْجَمَةٌ : - مَوْضِعٌ .
وَأَنْتَهَى كَلَامُهُ ، وَعَنْهُ نَقَلَ يَأْقُوتُ وَلَمْ يَزِدْ . وَلَكِنْ الْبَكْرِيُّ فِي «مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» قَالَ : خُبَيْسٌ - بِضَمِّ
أَوَّلِهِ عَلَى لَفْظِ التَّضْمِيرِ وَبِالْثَّوِينِ الْمُعْجَمَةِ : - اسْمٌ وَادٍ ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ قُرَيْبٍ :

حُبَيْسًا فَسَلَانُ الطَّيِّبِ كَأَمَّا عَلَى بَرْدٍ يَلُوكُ الْهُشُومَ يَهْوِدُهُ

هَكَذَا صَحَّحَ الضُّبْطُ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، أَرَادَ : كَأَمَّا بَرْدٌ يَهْوِدُ يَلُوكُ الْهُشُومَ فَفَلَبَ ، شَبَّ سُرْعَةً بِعِيَرِهِ بِجَوْدِ
السَّطْرِ وَخُبَيْسٌ - عَلَى مِثَالِ هَجَاءِ اللَّيْلِ قَبْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُكَبَّرٌ يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَكَسَرَ نَائِيهِ : - جَبَلٌ بِمَكَّةَ وَبِهِ
سُمِّيَتْ الْأَخَائِيشُ ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ خُبَيْسِيٌّ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ مَنْسُوبٌ عَلَى مِثَالِ فُعْلِيٍّ : - مَوْضِعٌ عَلَى
عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، بِهِ ثَلَاثُ عِبَدٍ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَصِبْغَتُهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - حَبِيبٌ - أَنْتَهَى كَلَامُ
الْبَكْرِيِّ . وَلَيْسَ فِي «دِيوانِ حُمَيْدٍ» السَّطْرُوعِ مَا يَرْبِطُ بِالْبَيْتِ الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ الْبَكْرِيُّ لِلِاسْتِنَاذَةِ بِهِ فِي
مَعْرِفَةِ الْمَوْضِعِ ، وَبِلَادُ حُمَيْدٍ وَقُورِيُو فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ نَجْدٍ ، فِيهَا حَوْلُ بَيْتَةِ وَرْنَةٍ . أَمَّا جَبَلُ خُبَيْسٍ
الْقَرِيبُ مِنْ مَكَّةَ فَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَوْشَكَ أَنَّ يَلْمَعَهُ عُثْرَانُهَا .

(١) الْبَابُ يَنْصَحُهُ فِي كِتَابِ نَصْرِ .

(٢) جَدُّ نَصْرٍ : أَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءُ وَكَسَرَ الْبَاءُ : - جَبَلٌ جَعْلَزِيٍّ ، وَبَطْنَانُ حَبِيبٍ : بِلَدُّ الشَّامِ . أَنْتَهَى .
وَلَمْ يَذْكُرْ يَأْقُوتُ فِي «مَعْجَمِ الْبِلَادَانِ» الْجَبَلَ الْجَعْلَزِيَّ ، وَلَمَّا قَالَ : خُبَيْبٌ - بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكَسْرُ وَبَاءُ
سَاكِنَةٍ وَبَاءُ أُخْرَى : - بِلَدُّ مِنْ أَهْمَالِ خَلَبَ ، يُقَالُ لَهُ بَطْنَانُ حَبِيبٍ - ذَكَرَ فِي بَطْنَانٍ - وَدَوَّبَ خُبَيْبٌ :
يُخَفِّدُ مِنْ نَحْرِ مَعْلٍ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْمُخَفِّدُونَ هَبَّةَ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ ... الْحَبِيبِي - الْخ - ذَكَرَهُ
أَبُو سَعْدٍ فِي مَعْجَمِهِ - بِمَعْنَى السَّخَالِي -

وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ : - مَوْضِعُ بِمَصْرَ (٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ : - آخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ ، وَالْبَاقِي نَحْوُ الَّذِي قَبْلَهُ : - مَاءٌ
بِالْعَالِيَةِ يَشْتَرِكُ فِيهِ أَشْجَعُ وَعَبْسُ ، وَفِي شِعْرِ نَابِغَةَ بَنِي دُثَيَانَ :

إِلَى دُثَيَانَ حَتَّى صَبَحْتَهُمْ وَدَوَّتَهُمُ الرِّبَائِعُ وَالْحُبَيْتُ
قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ : مَاءٌ آيٍ لِبَنِي عَبْسٍ رِبِّي أَشْجَعُ (٤).

(٣) نَحْنُ كَلَامُ نَصْرِ ، وَأَوْرَدَهُ يَأْقُوتُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ ، وَزَادَ : قَالَ كَثِيرٌ :

إِلَيْكَ ابْنُ لَيْلٍ تَمْتَلِي الْعَيْسَ صُحْبِي نَسَامِي بِنَا مِنْ تَبَرَّكَيْنِ الْمُنَاقِلِ
تَحْلُلُ أَحْوَازَ الْحُبَيْبِ كَأَنَّمَا قَطَا قَارِبَ أَغْدَادِ حُلُوفَانِ نَاهِلِ

زَوَاهُ أَبُو خَمْرٍو : الْحُبَيْتُ - قَالَ ابْنُ السُّكَيْتِ : هُوَ تَضْعِيفٌ ، إِنَّمَا هُوَ الْحُبَيْتُ - بِالْيَاءِ الْمَوْحَدَةِ -
وَهُوَ أَشْفَلُ سَهْلٍ يَنْبُتُ ، حَيْثُ وَاجَهُ الْبَحْرُ ، وَحُلُوفَانِ بِمَصْرَ . انْتَهَى . وَالْبَيْتَانِ فِي «دِهْوَانِ كَثِيرٍ» - ٢٩٤ -
وَابْنُ السُّكَيْتِ أَبْصَرَ بِالْمَوَاضِعِ الْمَذْكُورَةِ فِي الشُّعْرِ مِنْ نَصْرِ وَالْحَازِمِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ، وَلَعَلَّ
الَّذِي خَلَّ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحُبَيْتَ فِي مَصْرَ وَرُودَهُ فِي قَصِيدَةِ مُلُوحٍ بِهَا عِنْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ فِي حُلُوفَانِ
مِنْ مَصْرَ .

(٤) مِنْ جَمَلَةٍ : وَفِي شِعْرِ نَابِغَةَ بَنِي دُثَيَانَ مِنْ زِيَادَاتِ الْحَازِمِيِّ عَلَى مَا فِي كِتَابِ نَصْرِ ، وَلِأَوْرَدَهُ يَأْقُوتُ بِنَصْبِهِ غَيْرَ
مَنْسُوبٍ ، مُضِيئًا إِلَيْهِ بَيِّنٌ لِكَثِيرٍ عَزَّةٌ فِيهَا ذِكْرُ الْحُبَيْتِ وَغَالِبٌ . وَأَضَافَ نَصْرٌ إِلَى تَعْرِيفِهِ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي
أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ : - وَأَيْضًا : مَوْضِعُ أَشْفَلٍ يَنْبُتُ بِوِجَاهِ الْحَمْرَةِ ، وَقِيلَ : بِطَرِيقِ الشَّامِ . انْتَهَى وَكَلِمَةُ
(الْحَمْرَةِ) لِأَنَّهَا تَصْغِيرُ كَلِمَةِ (الْبَحْرِ) مُلْحَقَةٌ بِهَا الْفَاصِلَةُ (٥) ، إِذْ لَا حَرَّةَ أَشْفَلٍ وَإِذِي يَنْبُتُ ، بَلْ
سَهْلٌ مُنْبَسِطٌ ذُو زَمَلٍ ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِطَرِيقِ الشَّامِ أَيْضًا ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي قَبْلَ هَذَا وَنَقَلَ لَهُ يَأْقُوتُ
كَلَامَ ابْنِ السُّكَيْتِ بِتَخْطِيفَةٍ مَنْ قَالَ فِيهِ الْحُبَيْتُ ، وَأَنَّهُ الْحُبَيْتُ - بِالْيَاءِ الْمَوْحَدَةِ . وَفِي «مَعْجَمِ
مَا اسْتَعْجَمَ» : الْحُبَيْتُ - عَلَى لَفْظِ التَّضْعِيرِ : - مَاءٌ لِبَنِي عَبْسٍ وَأَشْجَعُ - ثُمَّ أَوْرَدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ وَأَضَافَ :
وَمَاءٌ آيٍ لِبَنِي عَبْسٍ وَأَشْجَعُ ، وَيَلْزَمُ رِبَائِعُ مَاتَ ضَابِئُهُ مِنَ الْحَارِثِ الْبَرْجُمِيِّ - ثُمَّ أَوْرَدَ بَيْتًا لِأَبِي صَخْرٍ
الْمَذَلِيِّ فِيهِ ذِكْرُ الْحُبَيْتِ وَالتَّحْقِيقِ وَغَيْرِهَا وَقَالَ : وَالْحُبَيْتُ عَلَى بَرَهْنَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ . كَذَا قَالَ ،
وَهُوَ يَبْهِيهِ مِنَ الْمَاءِ الْوَاقِعِ فِي الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ عَالِيَةٌ نَجْدٌ ، وَمَا أَرَى إِلَّا أَنَّ الْحُبَيْتَ - تَضْعِيفُ
الْحُبَيْتِ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ وَصِفَ لَمَّا انْتَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَمًا لِمَوَاضِعَ - وَكَذَا مُصَغَّرُهُ
الْحُبَيْتُ ، وَبَيْتُ النَّابِغَةِ - كَمَا فِي «دِهْوَانِهِ» - ١٥٢ - مِنْ قَصِيدَةِ يُعَاقِبُ فِيهَا سَيْدِي بَنِي عَالِبٍ حِينَ أَغْلَا
يَقُومِيهَا عَلَى دُثَيَانَ بَعْدَ صَلَاحِ بَيْنِهِمَا وَبَيْنَ النَّابِغَةِ ، فَفَقَدَا وَقِيلَ الْبَيْتُ :

فَمَا خَاوَلْتُمَا بِقِيَادِ خَبِلٍ يُضْمَانُ الْوَرْدَ فِيْهَا وَالْكُمَيْتُ
إِلَى دُثَيَانَ - الخ -

وَفِي شَرْحِهَا - لابن السُّكَيْتِ : - الرِّبَائِعُ وَالْحُبَيْتُ مَاءٌ آيٍ لِبَنِي عَبْسٍ وَأَشْجَعُ ، وَيُزَوَّى (الرِّبَائِعُ) وَهُوَ مَاءٌ
لِبَنِي عَبْسٍ أَيْضًا ، وَقَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ : الرِّبَائِعُ مَوْضِعٌ دُفِنَ فِيهِ ضَابِئُهُ بْنُ الْحَارِثِ الْبَرْجُمِيُّ ، وَكَانَ حَبَسَهُ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَلَهُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

آل حسين وآل مرشد

في حوطة بني تميم

[كتب الأخ الكريم الأمير سعد بن عبدالله المهنا أمير بلدة القويح في منطقة حوطة بني تميم إلى المجلة ماملخصه]:

→ وأما الرابع : - أوله جيم مضمومة بعدها باء موحدة مفتوحة ، وأجره باء أخرى : - وإد عند كحلة ، وفي شعر دريد بن الصمة :
فكنت كائي واثق بمصدر يمشي بأكتاف الجيب فمحمد^(٥)

(٥) الجيب : قال نصر : - يضم الجيم ، وباءين موحدين : - وإد عند كحلة ، وهي وإد آخر من أودية أجمل . انتهى وجعل ياقوت في «معجم البلدان» عبارة نصر والحازمي تطبقان على موضعين فقال : الجيب - نصير الحب : - قال نصر : هو وإد عند كحلة ، قال دريد بن الصمة :
فكنت كائي واثق بمصدر يمشي بأكتاف الجيب فمحمد
والجيب - أيضا : - وإد آخر من أودية أجمل ، قال ابن آخر :

خلد الجيب رباح خاضرة إلا منازل ، كلها قفر

الجيب لا يزال معروفا من أودية أجمل ، يتخذ منه صوب الشمال الغربي ، وفيه نخل قليل . وكحلة لم أجد من يعرف هذا الموضع في منطقة الجبلين (حائل) وما أرى بيتي دريد وابن آخر يطبقان على الموضع الذي من أودية أجمل ، يُعَدُّ بلاد الشاعرين من الجبلين ، وبيت دريد من قصباته التي أوردتها صاحب «جوهرة شعراء العرب» - ٥٩٧ - ولكن المعز عنده : يمشي بأكتاف الجبل فمحمد .
وفي «الأسمعيات» : - ١١٤ - : يمشي بأكتاف الجيب فمحمد .

ليس الإشكال في اختلاف النسخ في كتابة اسم الموضع الأول (الجيب) و(الحبيب) و(الجبل) كثيراً إذ يمكن إرجاعه إلى التصحيف ، ولكن المشكل الاختلاف في الاسم الثاني بين (محمد) وهي واضحة في مخطوطي كتاب الحازمي ، و(محمد) في «الأسمعيات» . و(فهمد) كما في «الجوهرة» قد (محمد) لم أره فيها أطلقت عليه من أسماء المواضع ، و(محمد) عنه ياقوت في «معجم البلدان» اسم موضع ، ولم يحدد موقعه ، و(فهمد) من المواضع المشهورة في عالية نجد ، في منطقة جى ضربة ، وبلاد دريد وقومه في نواحي الطائف . والبيت في وصف الفرس ، والمصدر السابق من النخل . ودريد من سادات هرازان من بني جشم منهم ، ومن أشهر فرسان الجاهلية وشعرائها أدرك الإسلام هرباً ولم يسلم ، وقيل في أوطناس ، في غزوة حنين .

آل حسين في حوطة بني تميم :

سكان الحوطة هم آل حسين ، وآل مرشد ابني محمد بن سعود بن مانع ، فمن فروع آل حسين : آل سعود بن حسين منهم الرزاقا وآل مَنحُوفُ وآل محمد أبو فهيد ، وآل ابراهيم بن ناصر الملقب (أبوبطين) . أما جد عيال الولاد هو أحمد بن راشد بن حمد بن سعود بن حسين وآل راشد بن حسين منهم آل ضَفِيفُ أبناء محمد بن راشد بن زيد بن راشد بن حسين ، وآل علي بن حسين منهم آل مزيد بن حمد بن سعود بن علي بن حسين ، وآل محمد بن حسين ، وآل عبدالله بن حسين ، وآل رشود بن حسين : منهم آل شريم بن رشود بن حسين ، ومن فروع آل مرشد : آل عثمان ، وآل رقيب (واسمه حمد) ، وآل رشود ، فمن آل عثمان بن مرشد : آل علي وآل راشد وآل رشيد .

ومن آل رقيب بن مرشد : آل راشد وآل مرشد منهم : آل أبو فهيد وآل عبد المحسن ، وآل محمد لم يبق منهم إلا محمد الملقب السَّحْلِي وهم أبناء سعد بن راشد بن مرشد بن رقيب (حمد) وآل علي بن راشد وآل حمد بن راشد أبناء مرشد بن حمد (رقيب) وآل عبدالله بن سعد أبناء مرشد بن حمد (رقيب) .

ومن آل رشود بن مرشد : آل خَشِيبَانْ وآل رُوَيْغَانْ وآل أبو خضراء أبناء سعود بن رشود بن مرشد .

ومن آل رشود أيضاً : آل مبارك (ومن هاؤلاء الوسواس) أبناء مبارك بن رشود ، وآل أبو حير أبناء زيد بن رشود ، والصَّوَاتَا (?) أبناء محمد بن رشود ، وآل موسى بن رشود ، وآل أبو رشيد أبناء راشد بن رشود ، وآل مريفق أبناء مرشد بن رشود ، والحَبُورُ (?) أبناء عثمان بن رشود ، وآل عميقان أبناء أحمد بن رشود ، والمتَّوَسِينْ (?) أبناء علي بن رشود .

وآل فواز أبناء فواز بن موسى بن رشود بن مرشد .

آل مرشد في القويح والحلوة — بمنطقة حوطة بني تميم :

هم آل شامان وآل عثمان وآل عبدالله وآل عمر وآل علي أبناء مرشد بن ربيعة

ابن عثمان بن مانع .

فعمر جد أهل القويح .

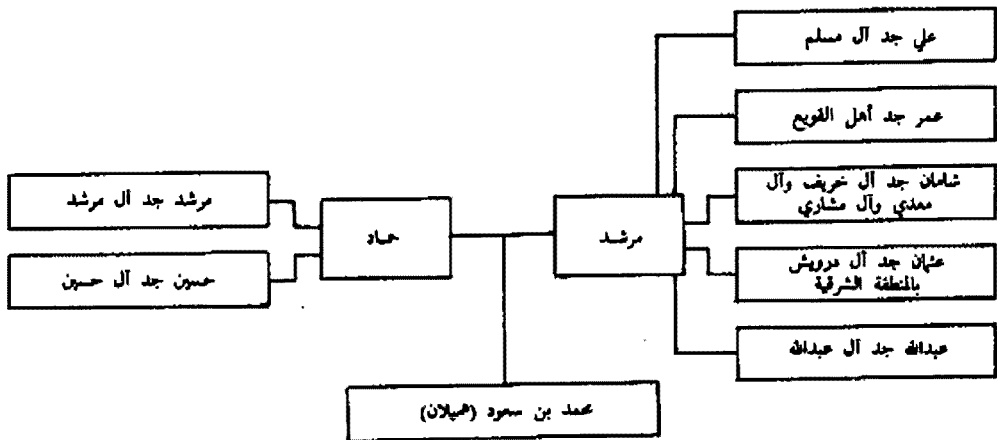
وعلي جد آل مسلم .

وعبدالله جد آل عبدالله .

وعثمان جد آل درويش في المنطقة الشرقية .

وشامان جد آل خريف بن محمد بن زيد بن شامان ، وآل جعيش بن زيد بن محمد بن زيد بن شامان ، وآل عديان بن زيد بن محمد ، وآل معدي بن زيد بن محمد ، وآل محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن شامان .

تقريبه : بعض المهتمين بالأنساب من أهل الحوطة يؤكد أن آل مرشد في القويح والحلوة من حوطة بني تميم المشار لهم فيما تقدم — هم أبناء مرشد بن محمد بن سعود الملقب (هميلان) فأخوه حماد بن محمد بن سعود أرث مرشد بن حماد وجد آل مرشد المعروفين في الحوطة وحسين بن حماد جد آل حسين المعروفين في الحوطة ويرجع نسب الجميع في محمد بن سعود (هميلان) كما هو موضح في الشريجة المرفقة أمل الاطلاع ونشر هذا في الكتاب لتكون الرؤية واضحة أمام الجميع .



القويح : سعد بن عبدالله المهنا

حول تاريخ صحافتنا

أُمْتُعْتُ بالكلمة التي قرأتها في « المنهل » العذب (جزء جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ص ٣٠) من ذكريات الأستاذ أحمد جمال حول صحافتنا ، وأعجبت حقاً بمتابعة الصديق أحمد لما يدور حول الصحافة في فترات متباعدة .

وكنت أود لو أنه قرأ مادار في الندوة التي عُقِدَتْ في نادي جدة الأدبي بين الدكاترة الثلاثة الحارثي وهاشم وخيرية ، وهم من فرسان صحافة اليوم بحق لكي يضيف بما يراه فيزيد القراء إمتاعاً وفائدة ، لقد طالعت ملخص مادار بين الأساتذة في جريدة الرياض (عدد الخميس ١٨ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ص ١٢) مع تعليق الأستاذ عزيز ضياء .

وكان مما أعجبت به مما قرأت ما أدركته من تغيير في النظرة إلى الصحافة ، فقد كانت الفكرة الغالبة بين كثير من أبنائنا المشرفين على شؤون الصحافة هي النظرة إليها باعتبارها (صورة وخبر) أما ما لمسته في الذي قرأته من ملخص ذلك الحوار فهو النظرة إلى الصحافة باعتبارها عاملاً مؤثراً في الحياة الثقافية في مستقبل الأمة كذا أحسست بعد انتهائي من قراءة ذلك الملخص .

ولما لم أكن على ثقة من عمق نظرتي فيه رأيت أن أبعث به إلى الصديق الكريم الأستاذ أحمد جمال مشفوعاً بشكري له ، حيث ذكرني ذكره - الله بخير - في ذكرياته عن الصحافة .

ولا أجد غضاضة في أن أعلق على تلك الذكريات الحبيبة للأخ الحبيب بأنني لا أذكر أنني كنت يوماً ما ممن حاول حصر النقد أيّاً كان اتجاهه بجهة أو صحيفة ، بحيث يصح القول عني بأنني أرى أن مجال النقد الأدبي في المجلات الأدبية وإن اعتبرتها أحد مجالاته الرحبة .

ولقد كنت أصدر صحيفة ليست أدبية ، وكان من جراء فتح باب النقد فيها أنني أثارُ غضب رئيس المؤسسة التي تصدر عنها الصحيفة بنشر نقد عمل يتعلق بجهة تُعنى بتنظيم شؤون الإدارة العامة في الدولة ، مما أغضب أحد الوزراء ،

فغضب رئيس المؤسسة لغضبه ، حتى تُحْيَنَ الفرصة لفصلي من العمل في الصحيفة التي أسستها أنا .

أما ما أشار إليه الصديق الكريم عن سبب إنشاء صحافة المؤسسات ، فلعل أحدنا خائنه الذاكرة ، حين ذكر أن أحد الإخوان تقدم لمعالي وزير الاعلام الشيخ جميل الحجيلان مطالباً بأجرة اعلانات ، فالذي أذكره وأعلمه أن أحد الإخوة^(١) تقدم لوزير المالية - وقد انتقل الآن إلى رحمة الله - وكان في مطار جدة يتأهب للسفر للرياض فطلب منه المساعدة في صرف أجرة اعلانات متأخرة لصحيفته فما كان من ذلك الوزير إلا ان استكثر المبلغ بالنسبة لفرد يعمل في صحيفة ، فكان أن قدم تقريراً بطلب نزع الصحافة من تصرف الأفراد ، فشكلت لجنة لدراسة هذا الأمر مكونة من وزير الاعلام ووزير الخارجية ووزير البترول والثروة المعدنية ، وكانوا إذ ذاك المشايخ جميل الحجيلان ، وإبراهيم السويل (رحمه الله) وأحمد زكي بجاني .

واعتبرها مناسبة طيبة لأقدم أطيب التحيات لأخي الأستاذ أحمد ، ولهذه الصحيفة الكريمة التي لا أزال - وسأبقى دائماً - أحمل لها أجمل الذكريات .

حمد الجاسر

(١) وللتاريخ : فإن الصحفي هو الأستاذ حسن قزار ، صاحب جريدة (عرفات) والمبلغ يزيد على الأربع مئة ألف ريال بقليل ، والوزير هو الأمير مساعد بن عبدالرحمن الفيصل - تغمده الله بواسع رحمته .

الأسر المتحضرة من سبع في الحريق ونعام

اننا نشكر لكم هذا الجهد الواضح الذي بذلتموه في مؤلفكم الثمين « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » وجزاكم الله خيراً عن هذا العمل الكبير .
وقد جاء في كتابكم : (آل خثلان : في الحريق بفتح الحاء من سبع) وهذا غير كاف وفقكم الله .

وأيضاً الأسر السُّبَيْعِيَّة في المنطقة ليس لها ذكر . وقد قرأت في مجلَّتكم « العرب » س ٢٢ ص ٦٨٩ مقال أحمد آل سليمان بعنوان (أنساب أسر بلدي الحريق ونعام) .

وأنا ها هنا سأصحح الأخطاء الخاصة بالأسر السُّبَيْعِيَّة في الحريق ونعام وهي :

١ - آل خثلان : في الحريق والرياض من الجبور من الخضران من بني عمرو من سُبَيْع من عامر بن صغصعة من هوازن من قيس بن عيلان بن مضر من عدنان .

وفروع آل خثلان هي :

أ - آل زيد وهم : البرازات وآل حمد .

ب - آل سلمان وهم : آل عبدالله وآل مهنا .

ج - آل علي بن حمد . د - آل رشيد .

هـ - آل عزّام . و - آل حتوش .

ز - آل فرحان . ح - آل حمادي .

وهناك فخذ من آل خثلان يسكنون في الاحساء .

٢ - آل هويدي : من الجبور من الخضران من بني عمرو من سُبَيْع ، وقد انتقل معظمهم من الحريق إلى المزاحمية .

٣ - آل مسعد وآل وطيان : من النبط من الخضران من بني عمرو من سُبَيْع في الحريق والرياض .

٤ - آل دُغَيْم : من المفاخرة من آل عمير من سُبَيْع في الحريق والرياض .

٥ - القوزاني : من القباينة من الشَّاسات من سُبَيْع ، في الحريق وفي الرياض .

٦ - آل فارس : من العرينات من الحضاران من بني عمرو من سبيع في نعام والرياض .

٧ - آل حرکان : من المدارية من الصعبة من بني عمرو من سبيع في نعام والرياض .

٨ - آل ذؤاد : من القواودة من بني عامر من سبيع في نعام والرياض .

٩ - الروافع : من آل عجميد من المشاعة من آل عمير من سبيع .

١٠ - آل إدريس : من آل رميان من سبيع قال هذا د. محمد الدبل وأضاف : (ذكر الشيخ الحقييل أنهم من عائذ والصحيح ما ذكرنا) ، انتهى كلام الدبل . في كتاب « منطقة الحريق وتاريخها وحاضرها » ص ٧٥ الطبعة الأولى .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

الشيخ راشد بن خنين : نسبه ومذهبه

سبق أن ذكرتم في « العرب » (س ٥ ص ٧٩٦) أن الشيخ راشد بن خنين تميمي النسب ، مالكي المذهب .

ونبهكم الشيخ حمد الحقييل ، بأنه اتصل هاتفياً بالشيخ راشد بن خنين وكيل وزارة العدل^(١) في ذالك العهد ، فعلم منه بأن الأسرة من قبيلة عائذ ، كما جاء في مجلة « العرب » بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ (س ٥ ص ١١٥٧) وكما أوضح لكم أحد أفراد الأسرة بهذا الشأن . . « العرب » (س ٦ ص ٧٢) .

وفي كتاب « جبهة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » - ص ٢٣٧ - ذكرتم انتساب الأسرة إلى (عائذ) .

ولكنكم نقلتم عن الشيخ ابن بسام ان (العالم المشهور راشد بن خنين مالكي المذهب) إلى آخر ما نقلتم .

والشيخ راشد ليس مالكي المذهب ، بل حنفي ، والأدلة على ذالك كثيرة .

منها : أن آل المُلَّا في الأحساء هم أحناف ، قد أوقف جدُّهم الحاج بكر الملا القاري - على الشيخ راشد وقفاً في الأحساء لا يزال قائماً يستغلُّ ريعه ورثةُ الشيخ من آل خنين ، ومنها أن الشيخ عثمان بن سند قد تحدَّث عن الشيخ ابن خنين في كتابه « سبائك العسجد » في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ، فأطنب في حديثه ، وما ورد ما ملخصه : أنه قدم الزبارة ، وهي في غاية العمارة فأكرمه ابن رزق ، ووفى عنه دينه ، فقام في الزبارة بتدريس العلوم ، وقال ابنُ سَندٍ من شعر يمدحه به :

العلمُ علَّمُ ابنَ لَيْلٍ وجِلْمُهُ جِلْمُ صَخْرٍ
ياوَيْحُ نَجْدٍ جَفَنُهُ وكان فيها كَبَدٍ

وفي قصيدة أخرى :

العلمُ علَّمُ أبي حَنيفةَ والذِّهَاءُ كدْهَاءُ عَمْرٍو والذِّكَا كَلِيسِ
لو أبصر النُّعْمَانُ حَسَنَ قِيَاسِهِ لَقضى له بالفضل بين الناس

وأشار إلى أنه توفي في الزبارة ، وأن ابن رزق صاحبها وصل أولاده بالأرزاق .

والمقصود الإشارة إلى أنه حنفي المذهب ، ولا تزال أسرته تحتفظ ببعض المؤلفات القديمة في الفقه الحنفي التي خلفها الشيخ .

أما القصيدة التي أثنى عليها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، فهاهو نصها - بعد حذف الأبيات التي كان علماءنا - رحمهم الله - لهم عليها مأخذ ، وهي منقولة عن خط صالح الصيرامي وآل الصيرامي في الخرج مشهورون باجادة الخط :

قال الشيخ راشد بن محمد بن خُنين الحنفي مذهباً والخرجي وطنياً :

خَلِيلِي هل لي فيكُمَا من مُرَاقِي
رؤوفٍ عطوفٍ ذي صفاءٍ وعَفَى
يُسَاعِدُنِي في تَرْكِ دُنْيَا ذَرِيَةٍ
إِذَا أَقْبَلْتُ تَزَهُو جَمَالاً كَانَتْهَا
فَيَغْتَرُّ ذُو الجَهْلِ العَظِيمِ بحسَنها
صَدِيقِي صدوقِي في المودة رَافِي
خَلِي من الإغْشَاشِ غيرَ مُمَالِي
مُعَانِقُهَا تَبَالُهُ من مَعَانِي
من العُربِ الأتْرَابِ في عَيْنِ عَاشِقِي
وَيَتَبَعُ في تحصيلها كُلُّ نَاعِي

وَتَشْغِلُهُ عَنْ ذِكْرِ مَوْلَاهُ دَائِمًا
يَضِنُّ بِهَا مِنْ جَهْلِهِ وَهِيَ حَقِيقَةٌ
وَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يُؤْخَذُ عَنْوَةً
أَلَّا إِنَّهَا لَا تَنْقُضِي نَكَبَاتَهَا
وَفِيهَا بَخِيلٌ تُمِسُّكَ حَازَ نِعْمَةً
وَلَوْ أَنَّهَا تَسَوَّى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
وَلَكِنَّهَا حَظُّ الشَّقِيِّ فَذَابَهُ
لَقَدْ ضَاعَ عَمْرٌ مِنْهُ فِي اللُّهُوِّ وَالْمَنَى
عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْطَظَعَتْ يَافِقُ
وَعَمَّا هُنَاكَ أَنْتَ وَجَنِبَ جَمِيعُهُ
وَلَا تَتَّبِعْ فَاالشَّرُّ فِي كُلِّ بَذْعَةٍ
وَيَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَوْ طَارَ غَائِدٌ
فَرَنَّهُ بِمِيزَانِ الْمُطَهَّرِ شَرْعُهُ
وَعَظْمُهُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ فَإِنَّهُ
وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْ فَالرَّجِيمُ أَضْلُهُ
وَشَعْبَدَةٌ مِنْ نَوْعِ سِحْرِ مُحَرَّمٍ
فَجَنَّبَهُ وَاحْذَرِ أَنْ تُحَسِّنَ فِعْلُهُ
وَفِي الشَّرْعِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ كُلِّ بَدْعَةٍ
وَبِالْعُرْفِ مَرٌّ وَاصْبِرْ لِتَغْيِيرِ مَنْكَرٍ
وَفِي سَابِقِ لَيْلٍ لَهُ الْقَوْلُ مُحْفِيًا
إِذَا لَمْ يَتَّبِ فَالْفِعْلُ بِالْيَدِ وَاجِبٌ
وَإِنْ لَمْ تُطِيقْ بِالْفِعْلِ تَغْيِيرَ مَنْكَرٍ
وَالْأَبْقَلُ، وَهُوَ أَوْضَعُ حَالَةٍ
وَاحِدٌ ثَلَاثًا هُنَّ كِذْبٌ، خِيَانَةٌ
وَإِسْكَاطُكَ إِيَّاكَ الزَّوْءَ فَإِنَّهُ
فَمَنْ عَفَّ فِي الدُّنْيَا تَعَفَّ نَسَاؤُهُ

وَفِيهَا يُعَادِي مَنْ لَه مِنْ أَصَادِقِي
وَيَحْسِبُهَا جَلَالَهُ لَمْ يَفَارِقْ
وَتَهْوَى بِهِ الْأَيَّامُ مِنْ رَأْسِ خَالِقِي
عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ مِنَ النَّاسِ حَاضِقِي
تَفَكُّهُ فِيهَا كَأَلْكُفُورِ الْمُشَاقِقِي
لَمَّا ذَاقَ مِنْهَا شُرْبَةً كُلُّ فَاسِقِي
إِذَا أَبْطَرَّتْهُ كَالْحِجَارِ الْمَسَاهِقِي
وَنَوْمٍ وَآكَلٍ فَهَوَ أَوْبَقُ آيِقِي
وَحَذُّ كُلِّ مَا آتَاكَ خَيْرُ الْخَلَائِقِي
تَنَلْ فَرَجًا عِنْدَ اسْتِدَادِ الْمُضَاقِي
وَمَنْ يَتَدَبَّرُهَا لَا تَصِلُهُ بِسَادِقِي
وَسَارَ عَلَى وَجْهِ الْمَيَّاءِ الدُّوَاقِي
فَإِنْ وَافَقَ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ فَوَاقِي
وَلِيٌّ قَفَى آثَارَ أَهْلِ الْحَقَائِقِي
بِتَخَيُّلِ نُورٍ فِي دُجَا اللَّيْلِ شَارِقِي
بِهَا صَارَ لِلشَّيْطَانِ أَذْنٌ مُصَادِقِي
وَاحْذَرِ جَمِيعَ النَّاسِ عَنْ كُلِّ مَا يَفِيقِي
وَفَعَلَ جَهْلُومٌ لِلشَّرِيعَةِ خَارِقِي
فَصَمْتُكَ إِنْ عَائَتْهُ غَيْرُ لَاقِي
لِيَبْلُغَ فِيهِ النَّصْحُ ثُمَّ بِالْأَحْقِي
عَلَيْكَ إِذَا أَدْرَكْتَ إِبْطَالَ زَاهِقِي
فَبِالْقَوْلِ جَهْرًا لَوْ بَارَفَعَ شَاهِقِي
كَذَا رَتَّبَ الْهَادِي عَلَى كُلِّ رَامِقِي
وَإِخْلَافٌ وَعَدٍ، آيَةٌ لِلْمُنَافِقِي
طَرِيقَةٌ سُوءٍ مِنْ أَضَلِّ الطَّرَائِقِي
وَالْأُجْجَازِيُّ بِالسَّجْزَاءِ الْمَوَافِقِي

وَلَا تُرْ مَغْتَابًا حَقُودًا مَرَاثِيًا
وَلَا تَصْحَبِ النَّمَامَ وَالْحَاسِدَ الَّذِي
وَلَا تَتَكَبَّرْ لَا تَكُنْ مُعْجِبًا وَلَا
وَلَا تَبْغِ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ كَظَالِمٍ
وَلَا تَقْتُلِ النَّفْسَ الْمَحْرَمَ قَتْلُهَا
وَلَا تَكُنْ لِلتَّنْبَاكِ يَوْمًا بِشَارِبٍ
فَإِنَّكَ خَيْثُ ذُو فَسَادٍ وَعِلَّةٌ
فِيهَا يَأْتِي الْمَلَنُذُ بِالتَّنْ عَادَةً
عَلَيْكَ كَرَامَ كَاتِبُونَ أَسَاتِمَ
لَقَدْ عَمَ فِي كُلِّ الْأَقَالِيمِ جَمَلَةٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَالْحَشِيشِ مَحْرَمٍ
وَمَا كُلُّ ذِي طَبْعٍ سَلِيمٍ مِنَ الْوَرَى
وَأَمَّا الَّذِي تُحْيِيهِ رِيحُ كَرِيمَةٍ
فَإِذَا جُعِلَ الطَّبْعُ لَا تَعْتَبَرُ بِهِ
وَلَا تَكُ مُغْتَرًّا بِصَاحِبِ هَيْئَةٍ
وَحَافِظٌ عَلَى الْإِسْلَامِ إِنْ بَنَاهُ
فَتَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ فِي الذَّاتِ وَخَدَهُ
وَتَنْفِي جَمِيعَ الْعَابِدِينَ لَغِيَرِهِ
وَتَشْهَدُ أَنَّ الْمُصْطَفَى خَيْرَ خَلْقِهِ
وَلَا تَتَمَاهَنَّ بِالصَّلَاةِ جَمِيعَهَا
وَكُنْ خَاشِعًا فِيهَا بِقَلْبٍ وَقَالَ
وَأَذْ زَكَاةَ الْمَالِ فَوْرًا فَلَسْتُ مِنْ
بِهَا الْمَالِ يَنْمُو كُلُّ حِينٍ ، وَمَنْعُهَا
وَصُمْ إِنْ شَهِدْتَ الشَّهْرَ لَكِنْ بَيْنَهُ
وَإِنْ كُنْتَ مَعْدُورًا فَبَايِرْ قَضَاءَهُ
عَلَى الْفَوْرِ إِذَا تَمَّتْ أَذَا ، مُوجِبَاتُهُ

وَلَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ مِنْ غَيْرِ زَارِقٍ
يَضُرُّكَ كَالشَّيْطَانِ مِنْ غَيْرِ فَارِقٍ
تَكُ مَكَارًا فَالْمَكْرُ سَوْءٌ حَاقِقٍ
وَقَاطِعِ طَرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَسَارِقٍ
وَقُلْ : لَسْتُ لِلخَمْرِ الْقَبِيحِ بِذَائِقٍ
مَدَى الْعَمْرِ ، أَوْ فِي مَنَاجِرِكَ بِنَاشِقٍ
يَسُوقُهَا لِلْجَسَمِ أَسْرَعُ سَائِقٍ
وَسَمْتِ الْمُحْيَا بِالسُّوَادِ فَفَارِقٍ
بِمَتْنِ رِيحٍ مِنْكَ فِي الْفَمِ لَاصِقٍ
فَلَا حَوْلَ عِمَا عَمَ إِلَّا بِخَالِقِي
وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ كِبَارِ الصَّوَاعِقِ
إِلَى شَرْبِ كُلِّ الْمَتْنَاتِ بِتَائِقٍ
إِذَا مَاتَ مِنْ طَبِيبٍ مِنَ الْوَرْدِ عَائِقٍ
فَلَيْسَ لِمَا لَوْفَاتِهِ بِالْمُفَارِقِ
فَكَمْ خَادِعٍ مِنْ خُلْبِ ضَوْءٍ بَارِقٍ
عَلَى عَذَبٍ قَدْ جَاءَ فِي نَقْلِ صَادِقٍ
وَفِي الْوَصْفِ وَالْأَفْعَالِ رَبُّ الْمَشَارِقِ
وَمَعْبُودُهُمْ فِي الْحَالِ مِنْ غَيْرِ عَائِقٍ
مُحَمَّدَ الْمَبْعُوثِ أَصْدَقُ نَاطِقٍ
إِذَا قَالَ دَاعِيهَا : هَلِمُوا ، فَسَابِقٍ
وَلَا تَتَفَكَّرْ فِي بَحُورِ الْمَغَارِقِ
جِبَالِ الرِّزَايَا وَالْمَنَابِيَا بِوَائِقِ
إِذَا وَجِبَتْ لِلْمَالِ أَسْرَعُ مَاجِقِ
وَلَا تَتَعَرَّضْ فِيهِ كُلِّ الْبَوَائِقِ
وَحُجِّ لِبَيْتِ اللَّهِ قَبْلَ الْعَوَائِقِ
وُخِذْ فِي أَدَا أَعْمَالِهِ بِالنَّاسِقِ

ومن بعد ما تقضي المناسك كُلَّهَا فخذُ مسرعاً في قطع كل العوائق
وبادرْ إلى الإقدام إن كنت عاشقاً وسيرْ لو على الأقدام في جوف غاسق
إلى طيبة الغراء والزَّمْ سَكِينَةً إذا جِئْتَهَا في دُورها والمرافق
ولا تُهملِ الآداب من حيثُ تنتهي إلى حضرة المبعوثِ أصدقِ ناطق
من هنا الأبيات التي أخذت عليه وهي (٢) :

وكن قاصداً بالسير منك زيارة
وأزكى صلاةً لله ثم سلاماً على المصطفى والآل أهل الحقائق
هذه معلومات أحببت التحاكم بها ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .
أخوكم :

العرب : حقاً لقد كان فيما كتب صاحب مجلة « العرب » عن الشيخ
راشد بن خنين من أنه عارض دعوة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ، ما كان
أثره ناشئاً عما تلقاه من مشائخه ، وكان بحاجة إلى التثبت ، أما مخالفته رأي
المحققين من العلماء في القصد من الزيارة ، فهذا يدل عليه ماورد في كتاب
« الأسنة الحداد » للشيخ سليمان - رحمه الله - .

وقصيدة الشيخ راشد ، تدل على اقراره بأنواع التوحيد الثلاثة ، وهذه
القصيدة كما وصفها الشيخ ابن بسام فيها حكم وآداب ، أما وصفها بأن فيها غلوا
أخرجها عن مذهب السلف في اخلاص العبادة ، فقد يكون فيها هو محذوف
منها ، ولا يمكن الحكم عليه قبل التثبت منه ، ومع ذلك فالشيخ راشد قديم على
ما قدم ، ورحمة الله واسعة ولا تُعرف خاتمة حاله .

أما ما وقع في نسبته إلى تميم ، فمنشأ ذلك أن هناك أسرة تميمية النسب تدعى
آل خنين (انظر « جبهة أنساب الأسر المتحضرة » - ص ٢٣٦ - .

ولكن اتضح فيما بعد التباين بين الأسرتين في النسب .

والقول بأنه مالكي المذهب قد سبق إليه صاحب مجلة « العرب » ومن آخر من
قال بذلك الشيخ عبدالله البسام في كتابه « علماء نجد » فقد ذكر (ص ١٩) :

مانصه : الغالب على أهل الخرج أنهم كانوا على مذهب الإمام مالك ، ومن علمائهم الشيخ راشد بن خنين العائذي نسباً المالكي مذهباً المعاصر والمعارض للشيخ محمد ودعوته .

وكرر مثل هذا القول (ص ٥٦٧) .

ولكن لاشك أن ما أورده الكاتب الكريم يُؤيّد نسبة الشيخ إلى مذهب الإمام أبي حنيفة .

وشكراً للكاتب الكريم على ما أتخف به القراء من ترجمة هذا العالم .

[الحواشي] :

- (١) الشيخ راشد هو ابن صالح بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد آل خنين والشيخ راشد الأول هو ابن محمد آل خنين فأبوه هو أخ لعبدالعزیز الجد الخامس للشيخ راشد .
- (٢) انظر كتاب « الأئمة الحداد في الرد على علوي الحداد » للشيخ سليمان بن سحان - رحمه الله - ص ٢٦٧ الطبعة الهندية .

حساب الجُمْل

طالعت في مجلة « العرب » في جزءها الحادي عشر والثاني عشر الصادرين في الجماديين سنة ١٤٠٨ هـ مقالة عن كتاب (عارف حكمت) وملاحظات على تحقيقه بقلم الدكتور : علي جواد الطاهر .

وانتهز الفرصة لأعرب عن عظيم احترامي للدكتور الطاهر وتقدير لي لجهده في البحث والتحقيق وبخاصة جهده المشكور في محاولة حصر المؤلفين السعوديين ومؤلفاتهم ؛ تلك المحاولة التي انقطعت منذ فترة ، وكنت أتابعها وأنتظر بشوق وصولها إلى نهايتها ، لأحظى بِشَرَفٍ تدوين اسمي ضمن المؤلفين السعوديين ، الذين يقوم الدكتور الطاهر بعرض مؤلفاتهم ، ومازِلْتُ أتطلع إلى أن يواصل جهده المشكور في هذا الصدد ، وأن يصدر معجمه بعد ذلك في كتاب أتوقع له رواجاً وانتشاراً .

وقد لاحظت في مطالعتي لبحث الدكتور الطاهر عن كتاب (عارف حكمت)

أنه قال في الفقرة (١٦) : (إن للتاريخ بالحساب الأبجدي اسماً خاصاً هو حساب الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم) .

وأقول - مع الاعتذار للدكتور الطاهر - : إن حساب الجُمَّل ليس اسماً للتاريخ بالحساب الأبجدي ، وإنما الحساب الأبجدي وَجْهٌ من وجوه استعمال حساب الجُمَّل . أما حساب الجُمَّل ذاته فإن صاحب « لسان العرب » يقول عنه : (حساب الجُمَّل بتشديد الميم : الحروف المقطعة على أبجد ، قال ابن دُرَيْد : لا أحسبه عربياً) انتهى « لسان العرب » لمحمد بن مكرم بن منظور مادة (جمل) .

ويقول صاحب « المنجد » : (حساب الجمل هو حساب الأحرف الهجائية المجموعة في أبجد ، ويقال له حساب الأَبجَدِيَّة ، وعليه تُبْنَى التواريخ الشعرية) انتهى « المنجد في اللغة والاعلام » مادة (جمل) .

وعندي أن تعريف صاحب « المنجد » أقرب إلى الشمول من تعريف صاحب « لسان العرب » وإن كان أياً من التعريفين لم يكن جامعاً مانعاً ، ذلك أن حساب الجُمَّل لا يقتصر استعماله على التاريخ الشعري وإنما يُستعمل أيضاً من قِبَل بعض مُدَّعي التنجيم في حساب البروج التي يزعمون أن الناس يتسمون إليها ، أو يتأثرون بها ، ويفعلون ذلك بحساب اسم الشخص واسم أمه (لحب اليقين كما يقول أبو العلاء المعري) بما يقابل كل حرف من الأرقام ثم يقسمون المجموع على (١٢) وما بقي يكون هو الرقم الدال على البرج ، فإذا كان الباقي (١) فالبرج هو الحمل وإن كان (٢) فالبرج هو الثور ، وهَلُمَّ جَرّاً ، أما إذا لم يبق شيء فالبرج هو (الحوت) وينون على هذا التقسيم فنوناً من الدجل والإيهام بأنهم يعرفون طالع الشخص ، وأنهم قد يتدخلون للتأثير عليه من خلال معرفتهم لبرجه أو طالعهِ .

ونحن نرى في بعض الجرائد والمجلات - غير السعودية - زاوية خاصة لهذا الدُّجَل والهراء ، ونرى كثيراً من الناس يتهافون لمعرفة ما يجتبه لهم القدر من واقع

قراءة ما هو مذكور في زاوية (النجوم) ، وبعض الناس يُصدِّق ما يقال ، ويثق فيه ثقة تامة ، وينسى ماجاء في الأثر : « كذب المنجمون ولو صدقوا » فهم كاذبون مجازفون ، حتى لو صدق بعض حدسهم عن طريق المصادفة .

ومما يدل على كذبهم أننا لو فتحنا عدداً من الصحف والمجلات الصادرة في يوم واحد لوجدنا فيها تكهّنات مختلفة بل متناقضة لصاحب كل برج ، مع أنها كلها تكتب بعبارات نحتمل تأويلات كثيرة غير محددة .

وبعد : فشكراً مكرراً للدكتور الطاهر رجائي لمجلتنا « العرب » الرواج والانتشار الذي تستحقه بصفته موسوعة علمية موثوقاً بها يكتب فيها نخبة ممتازة من العلماء والمفكرين والمؤرخين .

والله الموفق ، ، ،

الفريق : يحيى عبدالله المعلمي

العرب :

ان مؤلف الدكتور علي جواد الطاهر عن المؤلفات السعودية وأصحابها قد صدر سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) في مجلدين ضخمين تبلغ صفحاتهما (٦١٨ + ٧٤٠ = ١٣٥٨) صفحة ، وقد تحدث الدكتور عنكم (ج ٢ ص ٥٩٦) بما هذا نصه :

* يحيى المعلمي :

ولد سنة ١٣٤٧هـ - تلقى دراسته الابتدائية والثانوية بمكة المكرمة ، وطلب العلم بالمسجد الحرام على يد الشيخ محمد بن مانع التحق بكلية قوى الأمن الداخلي (مدرسة الشرطة) وتخرج وتقلب في عدة وظائف للشرطة مديراً عاماً ثم حصل عام ١٣٨٦هـ على الماجستير في إدارة الشرطة والأمن العام مع التخصص في إدارة المرور من الولايات المتحدة وعين مديراً عاماً للمرور ، رأس عدة وفود إلى الخارج .

من مؤلفاته :

- ١ - الأمن والمجتمع - الزعيم يحيى المعلمي ، الرياض ، مؤسسة الجزيرة ١٣٩٣ ، ١٠١ ص + المؤلف في سطور .
 - ٢ - مكارم الاخلاق في القرآن الكريم - اللواء يحيى المعلمي ، المطبعة العالمية بالقاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ١٨٤ ص + ٢ .
 - ٣ - الأمن والتخطيط - اللواء يحيى عبدالله المعلمي ، مطبعة الشرطة بالإدارة العامة للسجون ج.ع.ل ، ٧٥ ص + ٢ د.د.ت .
- وله تحت الطبع : فن القيادة وآداب المرور ، جولات في رياض الأدب ، الأمن في القرآن الكريم ، الأمن في المملكة : ١٩٧٩ ، ١٩١ ص .

(اعلان) ... بالمجان !!

صدقوني : !! صدقوني :

أيها القراء ! إِنَّ أَلْهَمَ الْهَرَمِ الذي بلغ من الكبر عِتْيًا ، تنتابه حالات يعيش فيها بعقل فطير ، كعقل الطفل الغرير ، انني أتحدث عن نفسي لكيلا أوصم بانني أتهم الشيوخ بما ليس فيهم !!

انني حين تبدو صورتي في احدى الصحف - وقد لا أبصرها إلا بلفت النظر إليها - أعمقُ النظرة فيها فتنبسط أسارير وجهي ، واكاد أهترع عجباً وسروراً ، وقد أعمقُ النظرة الفاحصة فيها : لماذا المصور أمال الطيلسان (الشماغ) ولماذا برز طرف الطاقة ، وفيها أثر تمزيق ؟ ولماذا وجهي مظلم وماكنت عابساً حين التصوير ؟ ، بل كان وجهي مشرقاً كالبدر المنير !! هداه الله !! لقد أبرزني كما شاء هو ، لا كما ينبغي أن يكون !!

انني لا أزال أذكر أحد أيام الاحتفال بانتهاء الدورة السنوية لمجمع اللغة العربية في القاهرة قبل ربع قرن من الزمان ، وكان في فندق (شبرد) وكان يرأس المجمع الأستاذ الدكتور لطفي السيد (باشا) وأمينه العام الدكتور منصور فهمي (باشا) بعد ان ألغيت الألقاب ، إلا أن أعضاء المجمع وأكثرهم من الشيوخ

يتشبهون باستعمالها بينهم ، لأنها آخر ما بقي لهم من أيام مجدهم الغابر ، وكانت مجلة « آخر ساعة » من أبرز الصحف في ذلك العهد بين أيدي كثير من الحاضرين يتصفحونها ، وصاحبها الأستاذ محمد التابعي ، ومن أبرز محرريها مصطفى وعلي أمين .

وكان الأستاذ عبدالعزيز البشري المعروف بخفة روحه وبراعته في فن التنكيت والتندر من موظفي المجمع ، وكثيراً ما يتخذ مما يدور فيه مجالاً لنكته ونوادره ، وكان الأستاذ محمود تيمور أحد أعضاء المجمع ، يُغنى بجمع كتابه عن (ألفاظ الحضارة) ومنها أسماء الألبسة ، وكان يعرض في كل دورة من دورات المجمع طائفة مما اختار من الأسماء لتحل محل الأسماء الأعجمية ، فجرى البحث في نوع من أنواع أزياء النساء ، وهو النصف السفلي من الحُلَّة التي تلبسها المرأة المعروف في لبنان باسم (تَوْرَة) وفي مصر باسم (الجونلة) أعلاه ضيق بضيق الخصر ، وأسفله متسع ، إنه يشبه (القفة) قمها ضيق وبطنها واسع ، ومن هنا جادت بديهة الأستاذ البشري ، فنسب إلى المجمع أنه اختار بدل (الجونلة) اسم (القفة) .

وهاهي مجلة « آخر ساعة » التي يتداول الحاضرون مطالعتها ، قد نشرت في إحدى صفحاتها بان المجمع اختار اسم (القفة) بدل (الجونلة) ، وهاهما الكاتبان البارعان ابنا أمين ، قد أوحيا إلى رسام المجلة بفكرة هذا الرسم الهزلي (الكاريكاتيري) الذي قد ملأ صفحة كاملة صورة شيخ معمم ، وكثير في أعضاء المجمع من هو بهذه الصفة يداعب شعرات منتشرة فوق لحيته بأصابعه ، وقد بَحَلَّتْ (عينيه) نحو فتاة تبادله النظرات ، قد برزت (مأكمتها) أشبه شيء بالقفة ، والشيخ يكرر كلمات : (ما أحلى القُفَّة ، على ذات العِفَّة ؟ !) . ومن بين الحضور يدنو الدكتور منصور من الدكتور لطفي السيد رافعاً صوته - فسمع الدكتور لطفي ضعيف : (دُول أولادُ أمين ما يستحووا باباشا ؟ فيجيب : (عملوا إيه ؟) فيقرأ له مافي الصحيفة ويشرحه متوقفاً ان تثور نائرة الرئيس الجليل - وهو هو مقاماً ونفوذاً - .

ولكن الدكتور لطفي السيد يجيب بهدوء : (ياباشا) سَيَّبَهُمْ يذكروننا بخير أو بشر ، فيه حَدّ دَارِي عُنَّا ؟ ! .

وهنا يأتي دور استيضاح مجلتنا الكريمة « إقرأ » (ع ٦٥٦ في ١٦/٦/١٤٠٨ هـ ص ٧٤) بمن رأيي فيما كتب ابنائي الكريمان الأستاذ محمد الوعيل والأخ المعقب على كلامه في جريدة « الجزيرة » [ع ٥٥٩٦ في ٥/٦/١٤٠٨ هـ وع ٥٦٠٠ في ٩/٦/١٤٠٨ هـ] - إنه لا يعدو رأي طيّب الذكر (جحا) يروون عنه أنه تولى القضاء ، فدخل عليه رجل شكّا خصماً ، وأنه فعل معه كذا وكذا ، فقال القاضي : الحقّ معك ، فخرج وسرعان ما دخل خصمه فادّعى بأن خصمه ظلمه ، اذ نسب إليه ما لم يحدث منه ، فما كان من القاضي إلا أن قال : الحقّ معك أنت أيضاً ! فخرج ، ثم دخل القاضي عند زوجته فعاتبته لكونه حكم للأول قبل أن يسمع كلام الثاني ، ثم حكم للثاني وقد حكم للأول ، فما كان من القاضي إلا أن قال : وأنت الحقّ معك أيضاً !! وهكذا أنا ! .

(مجلة « إقرأ » ع ٦٥٧ في ٢٣/٦/١٤٠٨ هـ - ١١/٢/١٩٨٨ م)

حمد الجاسر

بنو الحارث (الشاوي) قبيلة قحطانية

سألني الأخ الكريم النقيب عبدالله بن محمد الخلافي عن نسب بني الحارث (الشاوي) الذين يحلون في وادي ترج وما حوله ، إلى من يرجع أصلهم من القبائل ؟ !

وكنت قد تحدثت بتفصيل في مجلة « العرب » (س ٦ ص ٥٩٣ ومابعدھا) وفي كتاب « في سراة غامد وزهران » ص ٤٣٦ ومابعدھا .

وهاهو ملخص ما تحدثت به عن هذه القبيلة إجابة لسؤال الأخ الكريم . مما ينبغي أن يلاحظه القارئ أن اسم (بني الحارث) يطلق على قبائل كثيرة ،

لأنه من الأسماء المألوفة قديماً عند العرب ، على ماورد في الأثر: (أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة) . ولو فتحت كتاباً من كتب الأنساب وليكن «جمهرة النسب» لابن حزم لوجدت عشرات القبائل تُدعى بني الحارث .

وقد تسهل كلمة (بني) فيستعاض عنها بـ(الباء) فيقال: بَلْحَارِث وبَلْعَنْبَر وبلهجوم ، وهذه لغة فصيحة معروفة ، قال في «تاج العروس»: بَلْقَيْن ، كما قالوا : بلحارث وبلهجوم ، وأصله بنو القين ، وبنو الحارث ، وبنو الهجوم ، وهو من شواذ التخفيف . قال ابن الجَوَّاني: العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحده النطق باللام مثل الحارث والخزرج والعجلان ، ولا يقولون فيما لم تظهر لامه ، لذلك لا يقولون: بلنجار في بني النجار لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار فلا تُجَوِّزُ العربية ، ولم يُقَلَّ في الأنساب . انتهى .

أما القبيلة (بَلْحَارِث) التي هي موضوع الحديث فهي التي تسكن في سراة الحجاز بين سراة الطائف وسراة زهران ، وسراة بَجِيلَة ، وهذه القبيلة قد اتضح لي من خلال ما طالعت من نصوص المتقدمين أنها من قبائل الأزد ، وأنها فرع من قبيلة زهران ، وكان مما قلت بعد أن ذكرت سلسلة نسبها وتفرعها: وهذا الفرع حدث بينه وبين دَوْسٍ - وهم من فروع زهران أيضاً - حروب تقدم ذكر بعضها ، ولا يستبعد أن تكون من الأسباب التي فصلت هذا الفرع عن أصله ، وأخرجته من وسط بلاده إلى أطرافها ونواحيها ، وليس هذا موضع جزم ويقين بل موضع بحث ونَحَرٌ للحقيقة .

وليس من المغالاة في القول الجزم بأن هذه القبيلة أزدية ، دخلتها فروع عدنانية ، إذ من أشهر فروعها ناصيرة ، وفيها من يتسبب إلى العترة النبوية يدعون (المشايع) يسكنون وادي مَرَيْفَق ، أما صلة القبيلة بالأزد فالجوار في الدار ، وقربها من البقوم وهي قبيلة أزدية .

ومنزلة بلحارث من السراة هو مايعرف قديماً بسراة عَدَوَان ، بين سراة الطائف وسراة الأزد (زهران) جنوباً وشمالاً ، وسراة بَجِيلَة غرباً .

وعما يلفت النظر أنَّ فرعَ ناصرة من القبيلة من أكثر فروع القبيلة عدداً وهو يسكن السراة ، وإذا أدركنا أنَّ من قبيلة عدوان فرعاً يدعى ناصرة - كما سيأتي في نسب عدوان - تبادر إلى الذهن أن هذا الفرع بقي في بلاده القديمة ، وأنضوى في كنف بلحارث التي لا بُدَّ أن تكون أقوى منه ، وهكذا الحال بالنسبة لكثير من القبائل ، عندما تستولي قبيلة قوية على بلاد قبيلة أضعف منها فإن الضعيف يندمج في القوي . وسيأتي عن عدوان أن الحروب أنهكتها وفرقتها ، ولا يعزب عن البال أنَّ اسم ناصرة يطلق أيضاً على فخذٍ من ثقيف ، وفرع من بني سعد بن بكر بن هوازن ، ومن ناصرة هاؤلاء حليمة مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون الفروع الثلاثة اجتمعت ، واختلطت بسبب إطلاق اسم واحد عليها ، ولهذا أمثلة بين القبائل العربية . انتهى .

وعندما أوردتُ بيان بعض منازل بلحارث القديمة وفصلت فروعها اعتياداً على ماكتب به إليَّ أخوان كريمان من القبيلة نفسها هما عبدالعزيز بن دخيل الله بن غزال ، من شيوخ القبيلة ، وزيد بن نجاة بن ناجي من شبابها المثقف ، أوضحاً لي أن تلك القبيلة تنفرع إلى ثلاثة فروع :

١ - بني يوس (بنو أوس) ٢ - الشلاوى ٣ - ناصرة .

وبعد إيراد الأفخاذ مفصلةً لهذه الفروع الثلاثة مع ذكر القرى والشيوخ ذكرت أن في وادي تَرْجِ المعروف فرعاً من قبيلة بلحارث ، يحمل هذا الاسم ، نزح من بلاد القبيلة الأم وسط السراة ، واستقر هناك ، وأوضحت سبب النزوح كما روي لي وهو أنه حدثت حرب بين بني خالد المعروفين الآن بالشلاوى من بني الحارث وقد حدثت هذه الحرب بين الشيخ نجم بن صالح - والشيخ بريمان الحنيش ، وكان من نتيجتها نزوح قوم نَجْم بن صالح إلى وادي تَرْجِ ، وفي ذلك يقول شاعرهم حمد بن قين المخلدي نسبة إلى بني خالد من قصيدة نبطية تبلغ ١٥ بيتاً :

يقول الصبيّ المخلدي وَاقٍ فِي الْحَجَا فِي قَتَّةٍ مَا حَوْهَا إِلَّا ضُفُورُهَا
أَعْدِلَ غَيُونٍ تَخْلُطُ الدَّمْعَ بِالْدَمَا كُنَّ الْمَلَايِلُ تَلْتَهَبُ فِي خُجُورُهَا
على بني عَمِّي لِيَسْأَلَ سُورَةَ وَلِيا السُّرْبَةِ النَّمْرَى تَجَدَّدَ وَثُورُهَا
مُطَافِقِي إِنْ رَكَبُوا عَلَى اكْوَارِ ضُمُرُ وَمَسَافِيرِ إِنْ جَعْنَا نَهَاوَى ضُدُورُهَا

ويعد أن انتهت الحرب بين الطرفين ، ونزح قسم منهم إلى تَرْج ، سأل شخصٌ عن البقية الباقية من بني خالد ، فأجابه شخصٌ منهم : لم يبق سوى شِلْوة حَرْب ، ومن هذه الكلمة تحول اسم بني خالد إلى اسم (الشَّلَاوَى) ، وقد عرفنا أن عدد بطونهم أربعة عشر بطناً وهم : المرازيق - والفضل ، وآل ربيع ، والحراملة ، والحرشة ، والشملة والخرصة والبطلان والعيسى والشحوف والعرمة والعطف وآل زياد والمهاسية .

وقد اعتمدت في كل ماتقدم على معلومات اتضح لي صحتها .

ثم رأيت في كتاب اطلعت عليه حديثاً نسبة قبيلة (الشَّلَاوَى) إلى بني الحارث بن كعب القبيلة المشهورة التي كان منها بنو عبد المذان حُكَّام نجران ، وأنا لست على ثقة بما في هذا الكتاب ، ولكنني أوردته على عهدة قائله ، قال صاحب «امتاع السامر» : (وأخضع العجمان الذين انضموا إلى بني الحارث بالحلف ، واستقروا بينهم ، ثم عين الأمير غانم بن صقر والياً على نجران الحارث بن شداد بن ربيعة من آل أبي الجود ، الذي كان قد اعتصم بجبل ساق من شعاب (شَلْيَا) المنيعة مع بني الحارث ، ولم يتمكن العجمان من الوصول إليه ، وعرف هذا القسم من بني الحارث بعدها بِـ(الشَّلَاوَة) وهم الذين دخلوا في حلف شَبَابَة مع بَاقِم بن حوالة (البقوم) وزَهْران ، وبني عوف ، وأعيد حسن بن سلمان الحمامي إلى الوادي وذلك عام ٧١٣) انتهى .

وانتساب القبيلة إلى بني الحارث هاؤلاء لا ينافي انتسابهم إلى قحطان ، فبنوا الحارث حكام نجران من مَذْجِج القبيلة المعروفة الآن باسم (قحطان) وهاؤلاء فرع من قحطان الأم الكبرى ، وتحل البلاد الواسعة فيما بين بلاد عَسِير وبلاد يام ، وأَيُّ النسبتين فَالشَّلَاوَى (بلحارث) قبيلة قحطانية سواء كانت من الأَزْد أو من مَذْجِج ، وكلا القبيلتين من أشهر القبائل وأعرقها نسباً .

رَلَّه قَلَمٌ .. أَمْ خَطَأً (تَطْبِيع) ؟!

نبهني الأستاذ الكريم محمد نعيم العرقسوسي في مقدمة كتاب « توضيح المشتبه » الذي قام بتحقيقه وصدره بمقدمة نفيسة عن المؤلفين في موضوعه ، عندما

مرَّ بِذِكْرِ (ابن نُقْطَةَ البغدادي الحنبلي) - ص ٣٢ - قال في الهامش مانصه :
(سبق قلم العلامة حمد الجاسر في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق
٢٢٥/٢٦ المطبوعة سنة ١٩٥١م ، فذكر أن عمن ذُيِّلَ على « الاكمال » محمد بن
عبدالغني المقدسي المتوفي ٦٧٣ ، وأن منه نسخة في دار الكتب برقم (٨١)
مصطلح ، والصواب أن محمد بن عبدالغني هذا ليس هو المقدسي ، وإنما هو ابن
نُقْطَةَ ، وسنة ٦٧٣ ليست سنة وفاته ، بل سنة وفاة منصور بن سليم الهمداني ،
الذي ذُيِّلَ على ابن نُقْطَةَ لا على ابن ماکولا ، وهذا هو المذكور في فهرس دار
الكتب المصرية ٧٣/١ (فهرس مصطلح الحديث) و ١٩٢/٥ (فهرس
التاريخ) . والذي دفعني إلى تبين ذلك أني وجدتُ الأستاذ عمر رضا كحالة تابع
العلامة حمد الجاسر ، فأورد هذا الاسم الملقَّبَ بين المؤلفين في كتابه « المستدرك
على معجم المؤلفين » ص ٦٨٣ ، فليتبَّه وليحذف) . انتهى .

وكان الأستاذ يشير إلى كلمة لي نشرت في مجلة « المجمع العلمي العربي »
بدمشق - المجلد الـ ٢٦ الجزء الأول ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ - ١ كانون الثاني
١٩٥١م - تحدثت فيها عن كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » وأشارت
إلى بعض المؤلفات في الأنساب بصفة عامة ، وقد نُشِرَ المقال منذ ٣٨ سنة ولم أنظر
فيه ، ولكنني بعد أن قرأتُ تنبيه الأستاذ العرقسوسي رجعت إليه ، فلما قرأته
اتضح لي حدوثُ نقصٍ فيه أوقع فيما أشار إليه الأستاذ من الخطأ ، فأنا حين
قلت : (٩ - « ذيل الإكمال » للمحافظ محمد بن عبدالغني) اتبعت ذلك بالكلام
بتوسع عن ابن نقطة وعن كتابه ، وأشارت إلى نسخته المخطوطة في دار الكتب ،
وكنيت قد عنيت بمطالعة تلك النسخة مطالعة تعمق واستقصاء ، لأنَّ ابنَ نقطة
هذا ممن اجتمع به الشاعر علي بن المُقَرَّبِ الاحسائي في بغداد ، ولهذا أورد ذكره
في كتابه المذكور ، وضبط بعض أسماء أجداده فيه ، ومن هنا كانت عنايتي بهذا
المؤلف وبمؤلف آخر له هو كتاب « التقييد » ومنه نسخة جيدة في مكتبة الحرم
المكي ، وكان من عنايتي بابن نُقْطَةَ أنني أوضحت فيما بعدُ للأستاذ الشيخ
عبدالرحمن بن يحيى المُعَلِّمي الذي قام بتحقيق كتاب « الاكمال » أن « ذيل ابن

نقطة « موجود في دار الكتب المصرية ، ولكنه لم يُنسب في الفهرس المطبوع إلى مؤلفه ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ المُعلِّمي - رحمه الله - في مقدمة الجزء الأول من « الإكمال » حين ذكر مصورة معهد المخطوطات وهي مصورة ، فقال : (عن فيلم مأخوذ من نسخة بدار الكتب المصرية ، وذكرت في فهرس معهد المخطوطات برقم ٥٨ من كتب التاريخ ، وفيه وفي فهرس دار الكتب أن الكتاب لمؤلف مجهول ، لكن أفادني حضرة الأستاذ الكبير المحقق الشهير حمد الجاسر صاحب مجلة « اليمامة » التي تصدر بالرياض عاصمة الدولة السعودية ... أيدها الله - وعضو مجمع اللغة العربية بمصر أنه في بعض زياراته لمصر زار دار الكتب ، واطلع على هذه النسخة فبان له أنها من « ذيل ابن نقطة » على « الإكمال » فطلبت صورها فوجدت الأمر كما ذكر الأستاذ فشكراً له) . انتهى .

وكنت أتمنى أن في الامكان الاطلاع على اصل المقال المبعوث إلى مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق لمعرفة ما إذا كان المشرفون على المجلة حاولوا اختصار المقال بحذف مايتعلق بالكلام على ذيول « الإكمال » حيث اعتبروها ليست من كتب النسب المضاهية لكتاب « طرفة الاصحاب » أم أن هذا وقع تطبيع - أي خطأ مطبعي - .

وعلى كل حال فإن الأستاذ العرقسوسي أسدى إليّ يداً إذ نبهني إلى خطأ وقع في ذلك المقال ، ولأ يَد لي فيه ، فهو إما تطبيع - خطأ مطبعي - سبب سقوط بعض الجمل ، أو تَصَرَّفٌ مُجَلٌّ .

وقد أدرك الأستاذ العرقسوسي انني ممن عرف كتاب ابن نقطة ، وأشار إلى ذلك - ص ٣٣ - ولهذا ورد تعبيره (سبق قلم) تعبيراً يَنُمُّ عن أدب جَمٍّ ، فشكر الله له وزاده علماً وتوفيقاً .

حمد الجاسر

• فهرس لسان العرب :

هذا عملٌ عَظِيمٌ حَقًّا يوفر للباحثين كثيراً من الجهد والوقت ، وَيُقَدِّمُ لهم مايتطلبون من كتاب يعد من أوسع المؤلفات في اللغة العربية وهو « لسان العرب » ، فلقد اتجه الأستاذان الفاضلان الدكتوران خليل عمارة ، وأحمد أبو الهيجاء ، من جامعة اليرموك ، في الأردن ، أولهما في دائرة اللغة العربية ، والثاني في دائرة الهندسة الكهربائية ، فاستخدم كل واحد علمه ، وعملا مشتركين ، في وضع هذا الفهرس الشامل فكان عملهما كما قال الأستاذ الدكتور

تطبيع (أخطاء مطبعية)

وقع في جزء الجماديين ١٤٠٨ هـ (١١ ، ١٢ س ٢٢) :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٢٧	١	تقع شرق المدينة	تقع جنوب شرق المدينة
٨٢٨	١٦	المشرافي	المشرافي (بالفاء)
٨٢٨	٢٠	القمر	الغمر (بالغين المعجمة)
٨٢٨	٢٢	بوادي هوس	بوادي حوس (بالحاء)
٨٢٩	٩	القمر	الغمر (بالغين)
٨٣٠	٢	القمر	الغمر (بالغين)
٨٣٠	٩	المعرج	العرج
٨٣٠	١٠	وادي الحوارة	وادي الهارة
٨٣٠	١٧	القرمطي	الغرمطي (بالغين)

الرياض : عبدالعزيز بن سعد المطيري

عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في مقدمته : (سيفتح مجالات عديدة للبحث العلمي ، ويوفر على الباحثين قراءة مئات المواد أو مئات الصفحات التي يتوقع الباحث أن يجد فيها ضالته ، وإنه لَمَثَالُ يشقُّ طريقه في مؤسساتنا العلمية - في الأردن - حيث تُسَخَّرُ التَّقْنِيَّاتُ الحديثة في خدمة اللغة العربية ، وينجز من خلالها عملٌ يشارك فيه إلى جانب الباحثين العلميين عددٌ كبيرٌ من الفنيين المُتَبَرِّجين ، والطابعين ومدخلي المعلومات في الحاسوب) . انتهى .

وقد جاءت هذه الفهارس الوافية في سبعة مجلدات :

- ١ - بحوي المقدمة والآيات والحديث والأثر في ١٠١٠ من الصفحات .
 - ٢ - الأقوال والأمثال واللغات والكتب والأماكن والوقائع في ٥٨٤ صفحة .
 - ٣ - بحوي الأعلام ويقع في ٩٠٢ من الصفحات .
- والأجزاء الأربعة الباقية تحوي الشعر . ويقع في (٦٢٤+٦٥٦+٥٧٥+٦٦٨ = ٢٦٢٣) من الصفحات .

أي إن صفحات هذا الفهرس في اجزائه السبعة تبلغ (٥١١٩) صفحة .
والواقع ان هذا الفهرس في غزارة مادته يحوي جل مافي المؤلفات اللغوية بما احتواه .

وقد رُتِّبَ بطريقة تُسَهِّلُ للباحث العثور على المادة في المؤلفات اللغوية الأخرى إذ الإحالة في الفهارس كلها إلى المادة فإذا أعوزك بيت ورد في مادة من المواد في كتاب « تاج العروس » - مثلاً - فما عليك إلا أن تبحث عنه في هذا الفهرس فسيرشدك إلى المادة نفسها .

وقد قامت بنشر هذا الفهرس نشرأ جيداً (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع) في بيروت لصاحبها الأستاذ رضوان دعبول الذي أمدَّ الباحثين بنفائس من التراث العربي الإسلامي ككتاب « سير أعلام النبلاء » وكتاب « تهذيب الكمال » وغيرها مما خلفه لنا سلفنا الصالح .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الفهارس في العام الماضي (١٤٠٧/١٩٨٧ م).

• ملء الغيبة (رحلة ابن رشيد) :

[انظر «العرب» س ١٧ ص ٦٣٧ وس ١٨ ص ١٤١].

وصدر الجزء الخامس من كتاب «ملء العيبة بما جُمع» في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة» تأليف محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المتوفى سنة ٧٢١هـ، وهذا الجزء يتضمن الكلام على الحرمين الشريفين ومصر والاسكندرية عند الصدور.

وقد قام بتحقيقه العلامة الجليل الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة وصدره بمقدمة وصف فيها المخطوطة الوحيدة التي اتخذها أصلاً وأصلها في مكتبة (دير الاسكوريال) في أسبانيا وأشار إلى المؤلفات التي استعان بها في استدراك ما رآه من نقص في تلك المخطوطة وألحق الكتاب بفهارس مفصلة للآيات والأحاديث مخرجة، والاشعار منسوبة والاعلام وأسماء الأماكن وأسماء الكتب ثم بفهرس عام لمحتويات هذا الجزء الذي يعتبر بحق من أهم مؤلفات القرنين السابع والثامن الهجريين عن الحياة العلمية في المدينتين الكريميتين مكة والمدينة وعن وصف آثارهما.

وقد سبق لمجلة «العرب» ان نشرت كل ما يتعلق بالحرمين الشريفين من هذه الرحلة (انظر «العرب» س ٣ ص ٤٤٢ / ٥٠٧ / ٦٤٢ / ٧٤٩ / ٩٤٤ / ١٠٣٧ / ١١١١ وس ٤ ص ١٦٠ / ٥٦) وأشار إلى ذلك الاستاذ الجليل عندما عد المصادر التي رجع إليها.

ويظهر انه - وفقه الله - اعتمد أصلاً يختلف عن الأصل الذي كان معتمد مجلة «العرب» أو أن القراءة لذلك الأصل الغامض الخط في كثير من المواضع اختلفت كما يتضح هذا في مقابلة بعض الصفحات في المنشورتين، ولاشك أن الأستاذ الدكتور أقدر على قراءة الأصل الذي هو بخط مغربي من غيره، وبهذا

العمل قدم أستاذنا الجليل الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة مصدراً قيماً لا تقتصر فائدته على المعنيين بتاريخ هذه البلاد المقدسة بل يشمل جميع المهتمين بدراسة الرحلات العلمية ، وفقه الله وزاده قوة ونشاطاً .

وقد صدر هذا الجزء كأجزائه السابقة سنة ١٤٠٨ (١٩٨٨ م) عن دار الغرب الإسلامي في بيروت بطباعة يظهر أن الأستاذ المحقق لم يصحح تجاربها ولهذا استدرك كثيراً من أخطاء التطبيع (الأغلاط المطبعية) في ورقات ألحقها .

* الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود :

اسم رسالة تتحدث بإيجاز عن بعض الوقائع التي حدثت في بلاد عسير وماحولها لنشر الدعوة السلفية حين تولى إمارة تلك الجهة الأمير محمد بن عامر أبو نقطة في حدود سنة ١٢١٧ ويفصل كيف استجاب العسيريون لتلك الدعوة مسارعين ، لأنهم عرب اقحاح ، لم تلوثهم عجمة ، ولم تؤثر في طباعهم أخلاق تنافي الشيم العربية ، ويظهر أن المؤلف أراد أن يستمر في كتابة التاريخ فيسجل الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود في عهده ، إلا أن النبذة التي نشرها المحقق الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد أبوداهش - المعني حقاً بتاريخ هذه المنطقة - بدت ناقصة ، ومع ذلك ففيها عن حوادث فتح مكة في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز ، وعن موقف العسيريين وغيرهم من قبائل الجنوب في تلك الحوادث مما يعبر عن صدق اخلاصهم ويضيف للباحثين إنارة جوانب قد تكون مجهولة عند بعضهم .

ووقعت الرسالة في نحو ٢٥ صفحة ، ولكنها بمقدمتها وفهارسها بلغت ١١١ صفحة مطبوعة في مطابع مازن في أبها ، في بلاد عسير في هذا العام ١٩٨٨/١٤٠٨ م .

المنشورات
في الشؤون الثقافية والحضارية
من ١٣٣٧ - ١٤١١ هـ
الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ
الطبعة الثانية: ١٤١١ هـ

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
عنايتها: د. فهد التميمي

الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ
الطبعة الثانية: ١٤٠٩ هـ
الطبعة الثالثة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة الرابعة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة الخامسة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة السادسة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة السابعة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة الثامنة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة التاسعة: ١٤٠٩ هـ
الطبعة العاشرة: ١٤٠٩ هـ

ج ٨٠٧ من ٢٣ محرم/ صفر ١٤٠٩ هـ - أيلول/ تشرين الأول (سبتمبر/ أكتوبر) ١٩٨٨ م

هل هو «المناسك» أم «منازل الطريق» ؟ وهل هو للإمام الحربي أم للقاضي وكيع ؟

لحمد الجاسر من كثرة تطوق أعناق الباحثين في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها ومجتمعها ، فقد ألف كثيراً من الكتب فيها ، وصحح كثيراً من الأخطاء حولها ، وحقق كثيراً من النصوص عنها . وهو في كل ما يؤلف أو يصحح أو يحقق يظهر بجلاء طالب علم يبحث عن الحقيقة ، لا يدعي أن رأيه هو الكلمة الفصل مع أنه بشهادة العصر أولى الناس بأن يقول الكلمة الأخيرة في مثل هذه الموضوعات ، وهو أبعد الناس عن التزبد بما ليس عنده أو ادعاء جهود غيره أو التباهي بجهوده هو .

لقد اطلعت على مقدمة الأخ الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد لكتاب «غريب الحديث» للإمام الحربي حيث قال بالنص: (وقد نشر حمد الجاسر كتاباً وجده مغروراً فركب عليه هذا الاسم ، وأخرجه منسوباً إلى الإمام الحربي ، وأنا على وجل من هذه التسمية ولم يستقم لها عندي أمس^(١) .

إن التعبير عن عمل حمد الجاسر في هذا النص بهذا الأسلوب يبغض الرجل حقاً ، ويعطي الدكتور العايد أكثر مما يستحق في موضوع نسبة الكتاب إلى الحربي ، لقد كان حمد الجاسر نفسه على وجل من هذه التسمية ، فالرجل يقول في مقدمة الطبعة الأولى بالنص: (ليس بين أيدينا من النصوص ما يحمل على الجزم باسم مؤلفه بل ليس لدينا ما نستدل به على اسم هذا المؤلف سوى استنتاجات سنوضحها في مابعد^(٢) . لو قرأ الدكتور العايد الإيضاحات التي ساقها حمد

الجالسار لعرف يقينا أنه كان على وجل من تلك النسبة ولكن تصريح البكري بأنه ينقل عن الحربي نصاً رآه حمد الجاسر في الكتاب الذي يحققه جعله يتجه إلى ترجيح أن يكون المؤلف هو الإمام الحربي وأن يكون الكتاب هو «المناسك» له^(٣). ولو قرأ الدكتور العايد الطبعة الثانية من الكتاب وقد صدرت عام ١٤٠١ هـ لرأى أن حمد الجاسر كان طيلة الفترة الفاصلة بين الطبعتين وهي اثنا عشر عاماً لم يغفل عن متابعة الإهتمام بهذا النص وبالذات موضوع نسبته إلى الحربي فهو نفسه أورد استدراقات تدل على تردده في نسبة الكتاب إلى الإمام الحربي^(٤)، هذا بالإضافة إلى أنه طلب مني تسجيل رأي لي في هذا الموضوع يعرف هو أنه مخالف لرأيه، فسجله كاملاً ولم يحذف منه إلا ما يتعلق بشخصه الكريم^(٥)، وقد اشترطت هذه المرة عندما طلب مني حمد الجاسر أن أفصل ما أجهلت عن فكري تمهيداً لإدراجها في الطبعة القادمة رغبة في أن يكون قارئ الطبعة القادمة على علم بالأراء المتعارضة في هذا الموضوع - اشترطت أن تنشر كلماتي كاملة أو لا تنشر البتة ، فإن دين حمد الجاسر علي وعلى أمثالي كثير ولا تملك ما نجازيه به إلا الشاء عليه .

لقد أهدى حمد الجاسر هذا النص موضوع البحث إلى قراء العربية عام ١٣٨٩ هـ بعد أن تحدث عنه في مجلة «العرب» في ذلك العام ، وبعد أن أشاد بالباحث الذي قدم النص إلى قراء العربية وهو الدكتور حسين علي محفوظ ، واختلف معه في نسبة الكتاب إلى ابن الكوفي حيث يرى الدكتور محفوظ أن ابن الكوفي هو المؤلف ، وأثنى حمد الجاسر كذلك على الشيخ محمد حسن آل ياسين واختلف معه في نسبته الكتاب إلى الأسدي الذي ينسب إليه السمهودي في «وفاء الوفاء» نصوصاً منقولة في الغالب من النص موضوع البحث . وأثنى حمد الجاسر على الدكتور حسين نصار وصرح بأنه استفاد منه في موضوع شخصية السكوني الذي يروي عنه ياقوت والسكوني الذي يروي عنه البكري ، ومع ذلك فقد استبعد حمد الجاسر أن يكون أي منهما هو المؤلف^(٦). ووجد حمد الجاسر أن أقرب الاحتمالات هو أن يكون المؤلف الإمام الحربي وأن يكون الكتاب هو «المناسك» . وذلك بناء على نص في تحديد جزيرة العرب نقله البكري منسوباً إلى الإمام

الحربي يرويه عن عبدالله بن شبيب وهو موجود في النص موضوع البحث ، وأن يكن حمد الجاسر قد تنبه إلى وجود اختلاف بين النصين في العبارات ، ولم يستبعد أن يكون البكري نقله من «غريب الحديث» للحربي^(٧) . وساق حمد الجاسر أدلة أخرى جعلته يرجح أن يكون الحربي هو المؤلف وأن يكون الكتاب هو «المناسك» له^(٨) .

في ذلك العام ١٣٨٩ كنت أضع اللمسات الأخيرة لرسالة (الدكتوراه) عن شمال الحجاز ، وقد اطلعت على هذه المخطوطة بعد أن نوه بها حمد الجاسر وقبل أن ينشرها ورأيت أن المؤلف لا يمكن أن يكون الحربي ، وناقشت رأي حمد الجاسر وسجلت ذلك في رسالتي . وعندما قابلته في بيروت ذلك العام كان الكتاب قد نشر ، وشرحت له وجهة نظري في موضوع الكتاب والمؤلف . وكنت متحمساً جداً لفكرتي ، ولكن حمد الجاسر الذي لم يقبلها لم يتحمس بالمقابل لفكرته هو ، وتقبل مني شرحي لفكرتي بصبر عجيب . وكما قلت فإن حمد الجاسر لم يغفل عن متابعة الاهتمام بهذا النص وكان أن أصدر طبعته الثانية وفيها مزيد من التحقيق ومن الاستدراكات وفيها أيضاً نشر ما أشرت إليه من توضيح لفكرتي بقلمني وهي تعارض فكرته .

لا أوم الأخ الفاضل الدكتور العايد على عدم اطلاعه على كتابي عن شمال الحجاز وقد نشر عام ١٣٩٢ وفيه محاولة للاهتمام إلى عنوان الكتاب الذي بين يدينا وإلى اسم مؤلفه^(٩) ولكني لا أعفيه من اللوم على عدم اطلاعه على الطبعة الثانية من النص موضوع بحثنا التي صدرت قبل نشر تحقيقه للغريب بأربع سنوات . ولا أريد من باحثينا أن يفهموا أن غمطهم لأعمال عملاق كحمد الجاسر يضيفي عليهم ما يتعجلونه من أهمية . ان عمل الدكتور العايد في تحقيق مجلدة «الغريب» للحربي عمل رائع ، وجهده مشكور ، ولكن انكاره لجهود حمد الجاسر لا يقبل من أمثاله ، لا سيما وأن حمد الجاسر أضاف إلى تحقيق النص مقدمة رائعة لا نظن أن أحداً كتب مثلها عن الإمام الحربي بما امتازت به من دقة واستقصاء .

والآن أنتهز الفرصة لأسجل مرة أخرى وبالتفصيل ما سبق أن قلته من أن هذا الكتاب ليس هو بكتاب «المناسك» وأن الحربي ليس هو مؤلفه .

أما أن الكتاب ليس هو «المناسك» فقد كفانا المؤلف المؤونة عندما قال بالحرف الواحد: (وليس كتابنا هذا بكتاب مناسك)^(١٠). فهذا صريح في أن المناسك ليست هي الغرض الذي من أجله كتب المؤلف هذا النص وأنها خارجة عن موضوعه وهذا يعني أن الكتاب الذي بين يدينا لا يمكن أن يكون كتاب «المناسك» بل أن المؤلف يكاد يعتذر عن قطع تسلسل الحديث عن غرض الكتاب لإيراد شيء من المناسك فهو يقول: (وهذا موضع نذكر فيه أمر المناسك ثم نعود إلى خبر الطريق)^(١١) إذن فخير الطريق هو الذي يهتم به المؤلف ويعتقد أن القارئ يهتم به أيضاً . ومن بين مئتين واثنين وثلاثين صفحة هي مجموع صفحات المخطوط نرى أن أمر المناسك لا يستغرق أكثر من ثلثي صفحات تحرى المؤلف فيها كما يقول كلما وافق الحديث ولم يذكر فيه الاختلاف وأقاويل الفقهاء والمسائل الدقيقة خشية الإطالة لأن الكتاب حسب رأيه لا يحتمل ذلك فهو ليس بكتاب مناسك . هذا بالإضافة إلى ما أشار إليه حمد الجاسر والدكتور العايد من وجود نصوص مقتبسة من «المناسك» للحربي لا وجود لها في النص الذي بين يدينا ، ولا يمكن إرجاع ذلك إلى سقوطها من المخطوطة لأن أمر المناسك فيها متابع لا خرم فيه .

نأتي الآن إلى موضوع تعيين المؤلف ، هل هو الإمام الحربي؟

الواضح مما سجلناه قبل هذه السطور أن المؤلف قد لا يكون الحربي مادام هذا الكتاب ليس هو كتاب «المناسك» له ، ولكننا نريد أن نصل إلى أن المؤلف لا يمكن أن يكون الحربي ، وأهم الأدلة في رأينا هو مايلي :

أولاً : أن مؤلف الكتاب نفسه من تلاميذ الحربي وهو يروي عنه في هذا الكتاب بصيغة لا تسمح بأن نقارنها بما نعرف عن رواة المؤلفين القدامى حيث يكتبون : قال أبو فلان — يعنون المؤلف — أو قال فلان — ويوردون الاسم الأول للمؤلف فقط — أو أخبرنا أبو فلان أو أخبرنا فلان فقد أورد المؤلف حديثاً بدأه

بقوله : (أخبرني إبراهيم الحربي)^(١٣) . فالتعبير بأخبرني بدلاً من (قال) أو (أخبرنا) وتعريف إبراهيم بأنه الحربي يدل على أن إبراهيم جزء من سند هذا الحديث ينبغي تمييزه ، وعدم الخلط بينه وبين آخرين يحملون نفس الاسم ، فلو كان إبراهيم الحربي هو المؤلف لاكتفى باسم إبراهيم فقط أو أورد الكنية وحدها وهذا هو الأخرى . صحيح أن المؤلف عاد بعد ذلك بسطور يشير إلى الحربي باسم (إبراهيم) فقط ولكن إبراهيم هنا لا يحتاج إلى تمييز لأن موضوع البحث لا يزال هو الحديث الذي يرويه المؤلف عن طريقه .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن وقائع وأشخاص وأماكن ذات علاقة بشخصه أثناء سفره بين العراق ومكة وبعضها متأخر جداً بالنسبة إلى شيخ مريض وطاعن في السن كالإمام الحربي حيث يقول المؤلف : انه رأى عين السقيا عام ٢٧٤ قد انقطعت . (كان عمر الإمام يومها ستاً وسبعين سنة) ولا يكتفي بهذا بل يقول : انها عادت بعد ذلك^(١٤) . وفي حادثة مماثلة يذكر الحصن الذي في معدن القرشي والذي أخرجه أحمد بن حسن بن جعفر العلوي سنة ٢٧٣ ولا يكتفي بهذا بل يقول : إن الناس تراجعوا إليه بعد ذلك^(١٥) . وهو لا يصرح بأنه شهد هذا بنفسه بعد عامي ٢٧٣ - ٢٧٤ ولكن هذا يعني دون شك أن المؤلف كتب هذا الكتاب أو نسخة أخيرة منه بعد هذين العامين ويصعب أن نتصور الإمام الحربي في هذه السن وفي حالة المرض عاكفاً على إخراج كتاب عن الطريق بين العراق ومكة مشحوناً بالأشعار والأخبار .

ثالثاً : ونأتي إلى موضوع الأشعار التي قيلت في طريق الحج فنرى مؤلف النص الذي بين يدينا يعتني بها عناية فائقة فهو يسجل الأشعار التي قيلت في منازل الحج فيورد قصيدة أحمد بن عمرو في تنزيل أم جعفر ويورد قصيدة رائعة رغم موضوعها العلمي قيلت بعد ذلك ثم يورد أرجوزة لأحمد بن محمد بن الضحاك بن عمرو الحماني ثم يلزم نفسه بمعارضة هذه الأرجوزة فيورد من تأليفه هو أرجوزة مماثلة تتفوق عليها بالبرودة والغثاء^(١٦) . كل هذه الأشعار في منازل الطريق بين الكوفة والحجاز وعندما تسمح المناسبة بتسجيل الأشعار التي قيلت في طريق البصرة نراه

يسجل شعراً قاله وهب بن جرير بن حازم معتمداً على حفيد الشاعر خالد بن يزيد بن وهب الذي رواها عن أبيه يزيد وهو رواها عن أبيه الشاعر وهب أما المؤلف فقد كتب هذا الشعر عن خالد كتابة، وطلب منه أن يقرأه عليه من كتابه زيادة في التوثيق^(١٦). ومهما كان اهتمام الإمام الحربي بالشعر - واهتمامه به قطعاً ضئيل - فإن من المستبعد أن يعني نفسه بإنشاء أرجوزة عن طريق الحج ثم لا يتناقلها تلامذته ، وكذلك فإن من المستبعد أن يولي رواية الشعر عناية ومخرجاً يصلان إلى مستوى العناية بالحديث حيث طلب من مصدره أن يقرأ عليه ما كتبه عنه من شعر ليأمن الخطأ في النقل .

رابعاً : واضح أن البكري في نقله عن الحربي وسواء أكان ينقل عن «المناسك» له أم عن كتاب آخر لا يعتمد على الكتاب الذي بين يدينا نظراً إلى الاختلاف بين النص الذي ينسبه البكري إلى الحربي وبين النص الذي بين يدينا وهذا واضح في تعريف جزيرة العرب^(١٧). وهو كذلك واضح في النص الذي نقله البكري عن (ضرية) حيث أورد حديثاً نقله الحربي عن معتمر عن عاصم عن الحسن في حين أن مؤلف النص الذي بين يدينا يورد الحديث بلفظ مختلف وبسند مختلف أيضاً^(١٨).

خامساً : هناك أشياء أخرى غير ما ذكرناه نجعلنا نستبعد أن يكون الإمام الحربي هو مؤلف النص الذي بين يدينا وتتمثل هذه الأشياء في أن عدداً من شيوخ المؤلف يروون عن شيوخ الحربي فمحمد بن عبد السلام بن خلف المروزي الذي توفي عام ٢٨١ هو من تلاميذ علي بن الجعد وعاصم بن علي والاثنتان من شيوخ الحربي^(١٩)، والحربي من تلاميذ أبي نعيم ولكن المؤلف هنا يروي عن تلاميذ أبي نعيم عنه^(٢٠) والحربي رأى محمد بن عباد المهلبى ولم يرد أن يروي عنه ، والمؤلف يروي عن القاسم بن محمد بن عباد والقاسم من تلاميذ أبيه^(٢١)، ويوسف بن بهلول من شيوخ الحربي ولكن المؤلف يروي عن تلاميذ يوسف عنه^(٢٢)، وكذلك الحال مع داود بن مهران الذي هو من شيوخ الحربي ولكن المؤلف يروي عن تلاميذه عنه^(٢٣)، والحربي يروي عن الأصمعي عن طريق أبي نصر^(٢٤) ، أما

مؤلف هذا النص فهو يروي عن الثمالي (المبرد) عن التوزي عن الأصمعي^(٢٥)، والمبرد ليس من شيوخ الحربي، والحربي من تلاميذ التوزي نفسه، والمؤلف ينقل عن المبرد تلميذ التوزي، في حين أن الإمام الحربي روى عن التوزي مباشرة في «غريب الحديث»^(٢٦)، ولم أعثر للحربي على رواية عن الأصمعي عن طريق المبرد.

سادساً : النص الذي بين يدينا لا يكتبه إلا شخص تدرس بالأعمال الرسمية للدولة أو مارس مهمات النقل والتنقل بين محطات الطريق والإمام الحربي بعيد عن ذلك كله . فهذا الكتاب يسجل المسافات بالبرد وبالأميال ، والمؤلف ينقل الوثائق المسجلة على المباني، وينقل التحديد الموجود على أحجار البريد وهذا عمل لا يقوم به فقهاء ومحدثون كالإمام الحربي .

من هو المؤلف ؟

لقد عثت مع مخطوطة هذا النص شهوراً طويلة في عام ١٣٨٩ عندما كنت أراجع المسودات الأخيرة لرسالتي عن شمال الحجاز وكنت أرتاح إلى كتاب «أخبار القضاة» للقاضي وكيع عندما يشتد عليّ ضغط العمل في الرسالة فرأيت تقارباً عجيباً في سلسلة السند لا سيما وأنني منذ البداية كنت أتلمس عنوان المخطوطة واسم مؤلفها ، وانتهيت إلى أن أكبر الاحتمالات هو أن عنوان المخطوطة «الطريق» وأن المؤلف هو محمد بن خلف بن حيان الضبي (القاضي وكيع) المتوفي سنة ٣٠٦ هـ ، وساقني إلى قبول هذا الاحتمال عدة قرائن ليس فيها ما يقطع بنسبة الكتاب إلى وكيع ، ولكنها تشير إليه بأصابع بارزة :

أولاً : تماثل أسلوب الرواية في المخطوطة وفي كتاب «أخبار القضاة» وهو تماثل لا نجده بين هذه المخطوطة وبين «غريب الحديث» للإمام الحربي .

ثانياً : تلك النسبة الضخمة من شيوخ المؤلف الذين تتكرر أسماؤهم في المخطوطة وهم في نفس الوقت من شيوخ القاضي وكيع في «أخبار القضاة» ولا ذكر لهم في كتب الحربي المعروفة إلا نادراً ، فمن بين ثلاثة وثلاثين من شيوخ مؤلف

المخطوطة من أهل الحديث ، لا نجد إلا ثلاثة فقط يروي عنهم الحربي في كتبه المعروفة لنا ، بينما نجد القاضي وكيعاً يروي عن ثمانية وعشرين شيخاً منهم^(٢٧) هذا عن المحدثين وحدهم وحسب استقصاء العلامة حمد الجاسر ، أما أهل الأخبار فمن الطبيعي أن يعتمد عليهم القاضي وكيع أكثر مما يعتمد عليهم الإمام الحربي .

ثالثاً : سبقت الإشارة إلى محمد بن خلف بن عبد السلام المروزي من شيوخ المؤلف في النص الذي بين أيدينا والمروزي من تلاميذ علي بن الجعد وعاصم بن علي والاثنتان من شيوخ الحربي والقاضي وكيع يكثر الرواية عن المروزي في «أخبار القضاة» .

والقاضي وكيع يكثر الرواية في «أخبار القضاة» عن الثمالي (المبرد) عن التوزي عن الأصمعي ، وهذا السند بالذات يتكرر كثيراً في المخطوطة موضوع بحثنا في حين أن الحربي يروي عن الأصمعي عن طريق أبي نصر ، ولم يرد هذا السند في المخطوطة ولم يعتمد مؤلف المخطوطة على ثعلب شيخ الحربي إلا مرة واحدة بمناسبة إنشاد بيت من الشعر ، وهذا طبيعي فالقاضي وكيع من تلاميذ المبرد ، والمنافسة بينه وبين ثعلب مشهورة .

ومؤلف النص يروي عن الفضل بن الحسن البصري عن أبي نعيم والحربي من تلاميذ أبي نعيم ، فالفضل من أقران الحربي وهو من شيوخ وكيع في «أخبار القضاة» ، والحربي يروي عن الزبير مباشرة والمؤلف هنا لا يروي عن الزبير إلا نادراً وأكثر روايته عنه تأتي عن طريق تلاميذه ، وبعض هؤلاء التلاميذ يحل قدر الإمام عن الرواية عنهم مثل هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات^(٢٨) ، ولكن هارون هذا من مشايخ وكيع في «أخبار القضاة» وداود بن مهران ويوسف بن بهلول من مشايخ الحربي ولكن مؤلف المخطوطة يروي عن الرمادي عنهما ، والرمادي من شيوخ وكيع .

رابعاً : هذا الكتاب مليء بالأخبار والاحصائيات والتوثيق ، وكل هذه أشياء ليست غريبة من مؤلف كالقاضي وكيع واسع الاهتمام بشؤون الدولة الإسلامية .

ويشتمع بذهنية إحصائية ، ويميل إلى تتبع الأخبار ، مما نجده واضحاً في كتابه «أخبار القضاة» وفي حديث الذين ترجحوا له^(٢٩).

ويعد فهذا هو ماأردت تسجيله بخصوص الكتاب الذي نشره حمد الجاسر وسماه «المناسك» ورجح أن يكون للإمام الحربي، وقد رأينا أنه لا يمكن أن يكون الكتاب هو «المناسك»، وأن من المستبعد أن يكون الإمام الحربي هو مؤلف هذا الكتاب، وقد ساقنا القرائن إلى ترجيح أن يكون القاضي وكيع هو مؤلفه، وأن يكون الكتاب هو «الطريق» الذي ألفه القاضي وكيع ، ويعرف بالنواحي يشتمل على أخبار البلدان ومسالك الطريق^(٣٠) ولا يفوتني أن أنوه مرة أخرى بالجهد الذي بذله حمد الجاسر في تحقيق هذا النص ، وفي تأليف ذلك الكتاب القيم عن حياة الإمام الحربي ، والذي جعله مقدمة للتحقيق .

الرياض : د. عبدالله بن ناصر الوهيبي

الهوامش :

- (١) «غريب الحديث» ص ٤٧/١ .
- (٢) كتاب «المناسك» ص ٢٦١ .
- (٣) المصدر نفسه ص ٢٦٨ .
- (٤) كتاب «المناسك» - الطبعة الثانية ص ٧٩٩ .
- (٥) كتاب «المناسك» ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .
- (٦) مجلة «العرب» السنة الثالثة ص ١٩٣ - ١٩٨ - ٢٩٠ .
- (٧) كتاب «المناسك» ص ٢٦٨ .
- (٨) المصدر نفسه ص ٢٦٨ - ٢٧٠ .
- (٩) The Northern Hijaz, Beirut 1972 pp 450-453 .
- (١٠) كتاب «المناسك» ص ٤٣٩ .
- (١١) المصدر نفسه ص ٤٢٨ .
- (١٢) المصدر نفسه ص ٤٩٤ - ٤٩٥ .
- (١٣) المصدر نفسه ص ٤٥١ .
- (١٤) المصدر نفسه ص ٣٢٤ .
- (١٥) المصدر نفسه ص ٥٤٥ - ٥٧٣ .
- (١٦) المصدر نفسه ص ٦٢٢ - ٦٤٢ .
- (١٧) «معجم مااستعجم» ص ٦ و«المناسك» ص ٥٣٢ .
- (١٨) «معجم مااستعجم» ص ٨٥٩ - ٨٦٠ و«المناسك» ص ٥٩٤ .

شعر بشر بن أبي خازم الأسدي في مخطوطة عمانية كانت مجهولة

وصف المخطوطة :

ومخطوطة أخرى مشابهة للمخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيد ، ونشر عنها « ديوان عدي بن زيد العبادي » سنة ١٣٨٥ (١٩٦٥) - الحلقة الثانية - من (سلسلة كتب التراث) التي تصدرها (وزارة الثقافة والإرشاد) العراقية وهذه المخطوطة تحوي : -

١ - قطعة تقع في ١٧ صفحة من مقدمة « جهرة أشعار العرب » تبثدي من (ذكر ماحكي عن الشعراء أيهم أجود شعراً : خبر زهير بن أبي سلمى ، قال الَّذِينَ قَدَّمُوا زهيراً ^(١)) إلى - : (وهذا أول ما افتككتنا من أشعارهم التسع والأربعين ، وهو سيمطة ، ونسبه : امرؤ القيس بن حجر) وساق نسبه إلى هود

-
- ١٩ - « تاريخ بغداد » للخطيب ٢٨/٦ عن الحربي و٢٣٥/٥ عن البروزي .
 ٢٠ - « المناسك » ص ٩٢ وص ٣٠٦ .
 ٢١ - المصدر نفسه ص ٧٤ وص ٣٧٣ .
 ٢٢ - المصدر نفسه ص ٨٢ وص ٤٦٦ .
 ٢٣ - المصدر نفسه ص ٥٤ وص ٤٩١ .
 ٢٤ - انظر « غريب الحديث » مقدمة الدكتور العايد ص ١٢٧ - ١٣٥ .
 ٢٥ - انظر « المناسك » ص ٥٧٥ - ٥٨٠ .
 ٢٦ - انظر « غريب الحديث » مقدمة الدكتور العايد ص ١٤٩ .
 ٢٧ - أحصى حمد الجاسر في مقدمة « المناسك » شيوخ الحربي من المحدثين وضم إليهم من روى عنه مؤلف المناسك على اعتبار أن الحربي هو المؤلف وبلغ عددهم ٢٠٦ منهم ثلاثة وثلاثون روى عنهم مؤلف « المناسك » انظر ص ٣٨ - ٨٢ ثلاثة منهم يرد ذكرهم في كتب الإمام الحربي وثمانية وعشرون هم من مشايخ وكيع كما قلنا . وخمسة منهم لا ذكر لهم لاني « أخبار القضاة » ولا في كتب الحربي .
 ٢٨ - « المناسك » ص ٤٢٨ .
 ٢٩ - الخطيب « تاريخ بغداد » ٢٣٦/٥ فقد ألف كتاباً في عدد أي القرآن والاختلاف فيه عده العلماء مرجعاً موثقاً فأبو بكر بن مجاهد يعدل عن تأليف عائلي بعد أن اطلع على هذا الكتاب معلناً أن القاضي وكيعاً كفاه ذلك .
 ٣٠ - « الوافي بالوفيات » ٤٣/٣ .

النبي ﷺ ، ثم بياض في آخر الصفحة - من ص ١ إلى ص ١٧ - .

٢ - يبدأ الكلام هكذا : (وقال امرؤ القيس بن حُجْر) - وبعد سياق نسبه إلى قحطان وتعليل اسم مَذْجِج : (قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِي ^(٣)) ، قرأتُ شِعْرَ امرئِ القيس على أبي جعفر محمد بن حبيب ، وأبي يوسف يعقوب بن السُّكَيْتِ ، وإسحاق بن إبراهيم الزياتي ، وأبي حاتم السُّجِسْتَانِي ، وأبي الحسن الطوسي ، وكان يقال لِامْرِئِ القيس الملك الضُّلَيْلُ ، ومات بأنقرة في بلاد الروم ، منصرفاً من عند قَيْصَر ، وهو الأول من الطبقة الأولى من الجاهلية ، قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِي ^(٣) : قرأتُ قصيدة امرئِ القيس هذه على أبي حاتم والزيادي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي وأولها - انظر الصورة رقم (١) - :

قِفَا نَبْلِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ - المعلقة المعروفة -

وبعدها كاملة في (٩١) بيتاً : (وقال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِي ^(٣) : قرأتُ قصيدة امرئِ القيس على المرزباني وعلى أبي حاتم وأولها :
أَلَا انْعِمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يُنْعِمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي ؟
ثم بعد هذه القصيدة يرد شعر امرئِ القيس ، مبثوثة في ثناياه أخباره ، وفي مقدمة أكثر القصائد ذكر روايتها مع الإشارة إلى اختلافهم فيها .

وأخوه - ص ٧٦ - : قال أبو سعيد : أخبرني أبو حاتم قال : مما زعم أبو عبيدة أنه عمول على امرئِ القيس قصيدة قرأتُ منها أربعة عشر بيتاً في صفة الخيل ، وهي ثلاثون بيتاً ولم يشتها الأصمعيُّ أولها :

صَحَى الْقَلْبُ عَنْ ذِكْرِي لَيْسَ فَانْصَرَا وَجُنَّ بِهَا مَا جُنَّ ثُمْتَ أَبْصَرَا
قرأت عليه سبعة أبيات زعم أنها مما يُحْمَلُ على امرئِ القيس أولها :
أَخْيَرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ وَمَا غَرَبَتْ مُعَلَّقُ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ مَعْصُوبُ

وقال **أمرؤ القيس بن مجاز بن الحرث بن عشم** في الحارث بن
 بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن جريح وهو عشم بن معاوية بن ثور وهو كندي
 بن شيبان بن الحرث بن ضمر بن إدريج وهو يزيد بن شيبان بن عبد الله بن كهلان بن سبأ
 بن يعرب بن قحطان بن إدريج وهو كندي وهو مدح وأما سميت بذلك لأنها ولدت على الكند يقال لها
 قال أبو سعيد الحسن بن الحسين الشكري قرات شعرا من القيس بن علي جعفر بن حبيب بن أبي
 يعقوب بن السكيت واسحاق بن إبراهيم الرادي وأبي جابر التميمي وأبي الحسن الطوسي
 وكان يقال لأمرؤ القيس الملك الصليح مات بانقرم في بلاد الروم منصرفا عن قصر وهو
 الأول من الطبقة الأولى من الجاهلية قال أبو سعيد الحسن بن الحسين الشكري قرات
 قصيدة أمرؤ القيس بن علي بن جابر الرادي وعبد الرحمن بن أبي الأصمعي وأولها
 قفبانك من ذكري جيت ومنزل بسقط اللوي بين الدجول فحومل
 فتوضح فالمقرا لم تغفر مني ما لما سمحت فاحنوب وشمال
 خلاه شبح الريح فهاك أنما كستها الصبا بنحو الملاء المشد بل
 تري بعرا الصبران في عراضاتنا وقبعاها مملوءة جت قلق
 كاني عذاة البين نومة تحملاوا لذي سمات الحى باقف حنط
 وقوفنا لها صبحي على مطيهم يقولون لا هتلك أسي وتحملا
 ودع عنك شيا قد مضى لسبيله ولا تكن على ما غالك اليوم اقرب
 وقفت لها حتى إذا ما برودت عماية محزون بشوق موك
 بكيت ولا جتنى الصباية والاسي لعرفان مغنى الدار والمخ
 وكان شفاي عذرة لو شفتها وهل عند ريم دارين من معوق
 كذا بك من أمر الحويرث قبلها وجارها أمر الرباب بماس
 إذا قامنا نضوع المسك منهم ما نسيم الصبا جاءت بريا القرنف

وقرأت عليه ثمانية أبيات من واحدة زعم أنها مما يُحْمَلُ عليه وهي ثلاثون بيتاً
أولها :

صَرَمْتَكْ بَعْدَ تَوَاصُلِ دَعْدُ وَبَدَا لِدَعْدٍ بَعْضُ مَا يَثْدُو
وقرأت عليه خمسة أبيات من واحدة على الباء ، زعم أنها مما يُحْمَلُ عليه ، وهي
ثلاثون بيتاً أولها :

لَمَنِ الدِّيَارُ^(٤) تَعَفَّتْ ذُو حُقْبٍ بِجَنُوبِ الْقَوِّ أَقْوَتْ فَالْخَرْبُ
وقرأت عليه خمسة عشر بيتاً من واحدة على اللام مما يُحْمَلُ عليه ، يقول فيها :
وَعَيْثُ مِنَ الْوُسْمِيِّ جَنَّتْ تِلَاعُهُ وَأَبْرَزَ عَنْ نَوْرِ كَتَوِشِيَةِ الرُّقْمِ
وقرأت عليه ستة أبيات من واحدة على^(٥) مما يُحْمَلُ عليه ، يقول فيها :
وَقَدْ اغْتَدِي قَبْلَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ بِمَنْجَرِدِ الشَّدِّ مُسْتَجْمِعِ
قال أبو عبيدة : ويروى لامري القيس قصيدة مصنوعة زعم الناس أنها لحُمَادٍ ،
أولها :

ذُكِرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا^(٦) فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْبًا عَمِيذاً
قال أبو حاتم : ومما يُحْمَلُ على امري القيس من الشعر أكثر من الصحيح ،
فنون المحمول (؟) عليه قال : أهل الكوفة مثل حماد وجنادة وابن الخصائص^(٧) ،
قال : افسدوا شعره ، ومما يُحْمَلُ عليه وليس له فيما زعموا منه إلا بيت واحد :
إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَضْبُوبٌ

وهو شعر حسن ، ليس له منه إلا هذا البيت ، لاشك أنه له ، ومما أثبت أبو
عبيدة لامري القيس ولم يجيء^(٨) الأصمعي قال أبو عبيدة قال [^(٩)] :

أَبْلَغَ بَنِي زَيْدٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ وَأَبْلَغَ بَنِي لُبَيٍّْ وَأَبْلَغَ تَمَاضِيرَا
وَأَبْلَغَ وَلَا تَتْرُكْ بَنِي ابْنَةِ مَنَقَرٍ أَفْقَرُهُمْ إِنِّي أَفْقَرُ جَابِرَا
أَحْظَلُ لَوْ كُنْتُمْ كِرَامًا صَبَرْتُمْ وَحُطَّتُمْ وَلَا تَلْقَى التَّمِيمِيُّ صَابِرَا

قال أبو سعيد قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني محمد بن جعفر - رجل من أهل الحديث - قال : كان امرؤ القيس رجلاً^(١٠) مُفَرَّكاً فتزوج امرأة من طَيِّءٍ فلما [^(١١) سبق إلى قلبها ما كان يسبق منه إلى قلوب النساء ، فأيقظته من نومته ، وقالت : يافتي الفتيان أصبحت فأغذه ، فقام فإذا الليل على حاله معتكر ، فلما وضع جنبه قالت : يافتي الفتيان أصبحت فأغذه ، فقام فإذا الليل على حاله ، فعلم أن ذلك ضجر منها فجعل يقول : أصبح ليل : فلما برق الفجر قال لها : قد رأيت ما صنعت مذ الليلة ، فأنت الطلاق ، فأخبريني ماكرهت مني قالت : كرهت والله منك ثقل صدرك ، وخِفَّةُ عجزك ، وانك سريع المرافقة ، بطيء الأفاقة ، قال : بلى^(١٢) أخبرك عنك؟ قالت : بلى [^(١٣) ما أعفيتني . قال : أنتِ والله الناتية الجبهة ، الحديدية الركبة ، الواسعة الثقبه ، السريعة] ^(١٤) فجعل يقول لها : لعنك الله ، وتقول له : لعنك الله - ثم ما وجدته من ديوان امرئ القيس ، والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خير خلقه محمد . . . - من ص ١٩ إلى ص ٧٧ - .

٣- بعد البسملة : (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، قال أبو يوسف يعقوب بن السُّكَيْتِ قال : كان حديث طرفه) ثم ساق نسبه إلى عدنان ، وأورد طرفاً من أخباره مشوباً بشعره ، مَبْدُوءاً بقوله : (قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ، ولا أعدل ، ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة واسترسل في سرد الأخبار ، تتخللها أشعار ، ثم بدأ يسرد القصائد أولها :

لَوْ كَانَ فِي أَمْلَاكِنَا أَحَدٌ يَغْصِرُ فِينَا مِثْلَ مَا نَغْصِرُ
وقد يشير في أول القصيدة إلى الاختلاف في روايتها كأن يقول : (لم يروها الأصمعي ، وأثبتها أبو عبيدة وأبو عمرو) أو أن يقول : (ولم يروها الأصمعي ولا أبو عبيدة ، ولا أبو عمرو) - انظر الصورة رقم (٢) - .

وأخر الشعر ، هذه القصيدة التي قال عنها : (وقال طرفه ، ولم يروها الأصمعي ولا أبو عبيدة ، ولا أبو عمرو :

إِلَّا أَيُّهَا الْغَادِي تَحْمَلُ وَصِيَّةً إِلَى خَالِدٍ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي

إله الله عليه توكلت قال أبو يوسف يعقوب بن السكيت قال كان حدث
والعبد بن ثقيان بن سعيد بن مالك بن ضبيعة فبن ثعلبة وهو الحصن بن عكاية بن صعب
بن جبر بن علي بن بكر بن وايل بن تميم بن هب بن قيس بن عيسى بن حذيلة بن أسد بن سعة
بن نزار بن معد بن عدنان قال أبو عبيد بن ليلى في العرب ربيعة لغو النجب ولا يعد ولا
الكبر وسانا من ثعلبة بن عكاية وكان يقال له الأغر والحصن وبنوه شيبان و
قيس بن ثعلبة وقلع عمر بن هند بناه وبدو ذلك المنذر وما لك من المنذر فقاوت
في المنذر من النجدة بنت أجبها أمه من سلمة بن الجارث بن عمرو فترجها وطلق
ثعلبة قال أبو يوسف سني كل المرارة بن الهول الغساني أغار على مال حواكل المرارة
فقتله وسمي بته فقال له كانك باي وقد ناك في طلبة كانه حمل كل مرارة أي عابس فلحقه
برأقتله واستقلا ففك المنذر في كبريت وأدركها بنات أخ لها
فزلن أمتها بر كض من محله فقلده أمه من فلما ملك عمر بن هند وهو الثاني
ملك الكبر من العرب وكان يقال له مضط الحان تحت استعمال حوته من أمه وقطع عمر
أما أمه إلا ابن أمك ما يدا ولك الخويرة والسيد به فلا منع مناب الصمير
في قطع القصورة بكتايب تروي كما تروني في الحيف السورة أي بنو العلات
في دون شاهدنا الأمور ثم لحق بالمر فاتي ملكها وتبعه فاسم فقه غيلان
في حرمه من طرفه من العبد وكان طرفة خلفه في حواقيق عمر بن قيس
في حرمه من عامر بن عمرو بن أبي ربيعة فلما قدم عمر بن أمه على الملك اليماني سألته أن يعث
في حرمه فقال لهم أخاه عن نصيبه من ملك أبيه فقال له اختر ما أحببت فاختار مراد
في حرمه فاقبل حتى نزل بهم وأدبا يقال له قضيب من أرض قيس غيلان فقلد وقت مراد
فقالوا لا تتركوا أمواكرو وداركرو وعشاركرو وبعثهم هذا الملك فمارض هيرة بن عبد
من عمر بن عمرو بن عمرو بن سلمة بن بن عامر بن عوث بنان وشرب في الرقة وهو اليماني
من لونه وهو صاحب مراد فبلغ ذلك عمر فبعث إليه طبيبا وقد شرب هيرة بن عوث
من لونه فباعه من حرمه فدخل الطبيب عليه فادخل الطبيب كاهيه في المارم فحل أضغما على

في (٢٢) بيتاً - وتبدو فيها آثار الصنعة - وبعدها (آخر شعر طرفة بن العبد
في جميع الروايات ، والحمد لله حق حمده) - من ص ٧٨ إلى ص ١١٧ - .

٤ - وفي آخر - ص ١١٧ - بعد البسملة : (قال زهير بن أبي سلمى) وبعد
سياق نسبه إلى (نزار بن معد بن عدنان ، المري الغطفاني^(١٤)) يمدح الحارث بن
عوف وهرم بن سنان المُرِّيَّين :

أَمِنْ أُمَّ أَقْوَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ - المعلقة -

ثم شعر زهير مسروداً بدون ترتيب على الحروف ، وليس فيه ما يشير إلى
جامعه ، وقد ورد في مقدمة إحدى القصائد - ١٥٦ - : قال (زهير يعاتب أم
كعب امرأته وهي كبشة بنت عمار من عبدالله بن غطفان ، لم يروها المفضل ،
وهي من كتاب حماد]^(١٥) :

فِيمَ لَحْتُ إِنْ لَوْمَهَا ذَعِرُ؟ أَحْمِتْ لَوْمًا كَأَنَّهُ الْإِبْرُ
وآخره : (قال زهير لبني الصَّيْدَاءِ :

وَلَقَدْ نَهَيْتُكُمْ وَقُلْتُ لَكُمْ : لَا تَقْرَبُنْ فَوَارِسَ الصَّيْدَاءِ

ثم ثلاثة أبيات بعدها : (تم ديوان زهير بن أبي سلمى المزني - بحمد الله
وعونه وحسن توفيقه وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليماً
كثيراً) - من ص ١١٧ إلى ص ١٦٠ - .

٥ - بعد البسملة والاستعانة : (وقال النابغة الذبياني يمدح النعمان بن امرئ
القيس بن النعمان بن المنذر ، يعتذر إليه ، والنابغة اسمه زياد بن معاوية - ثم
سياق النسب إلى نزار - :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسُّنْدِ أَقْوَتْ فَعَالَ عَلِيَّهَا سَالِفُ الْأَمَدِ

بعدها أخبار تتعلق بالنابغة عن أبي عمرو ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيدة
تنخللها أشعار طرفة - انظر الصورة رقم (٣) - .

يَحْتَجُّ لِمَجِيعٍ عَاصِبًا بِسَبِّ دَائِيَّةٍ ۖ عَلَى حَاجِيَّتِهِ مِنْ غَبَارِ الْقَنَاءِ ۖ يَلْ
وَحَلَّوَالَهُ بَيْنَ الْبَابِ وَعَاجِلٍ ۖ فَرَاقُ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمَزَايِلِ ۖ
وَلَا أَعْرِفُنِي بَعْدَ مَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ ۖ أَجَادِلْ يَوْمًا فِي سَوِيٍّ وَجَا ۖ يَلْ
وَيَمِضُ غَرِيرَاتٍ تَفِيضُ دُمُوعَهَا بِمَسْتَكْرَهٍ يَنْزِيهِ بِأَلْمَنَاءِ ۖ يَلْ
قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمِيرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ شَيْخُ خَافِ أَهْلِ تَرْبٍ قَالَ قَالَ
حَاسَنٌ مِنْ ثَابِتٍ شَهِدْتُ مِنَ الْمُنَافِقَةِ مَلَأْنَا الْأَدْرِي عَلَى أَهْلِ بَنِي كَنْتَ لَهُ أَحْسَدُهُ خَرَجَ الْعَمَانُ
مَتَطَرًا لِأَصْنَعُ لَهُ بِالْقُرَيْشِ فَإِذَا بِالْمُنَافِقَةِ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ مَقْطُوبٍ مِنْ رِيَانٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ
أَخْرَجَ لِسَمِيَّةٍ مَحْتَصِبًا ۖ وَقَالَ الْأَصْحَبِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْعَيْسِيُّ فَلَمَّا رَأَى الْعَمَانُ قَالَ فِي
بَدْمٍ كَانَتْ حَرَى فَقَالَ أَيْتَ اللَّعْنِ لَا تَرْسِبُ فَإِنَّا قَدْ أَحْرَأْنَا فَافْسَدَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ
الْمَلَأَتْ لَهَا عَذَابُهَا فِيهِمْ فَجَسَدَتْهُ عَلَى خَوْفٍ مِنْ تَرْجِعُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِكَلِمَةٍ فَجَسَدَتْهُ
ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِرِيَشِهَا عَصَافِيرَ وَحَامٍ وَأَيْدٍ مِنْ فُسْطَةٍ فَجَسَدَتْهُ ۖ وَالْأَصْحَبِيُّ كَانَ بِالْمَلُوكِ
أَفْوَاضَهُ الْبَلَدَ جَعَلُوا فِي سَمْعَتِهَا رِسَالًا لِيَعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ أَعْظَا الْمُلُوكِ وَقَالَ عِزُّهُ بِرِيَشِهَا أَيْ
بِرِجَالِهَا وَأَدْنَاهَا قَالَ وَالْعَصَافِيرُ أَيْ كَانَتْ لِلْعَمَانِ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ فَضَرَبَتْ غَلِيظًا
فِيهِ وَنَعْلًا لَهَا نَصِيبٌ لِيُخَصِّصَ مَعَهَا قِيَّةً يَرِيدُ مَعَ جَارِيَةٍ لَهُ فَقَالَ أَبَدِي بِالشَّيْخِ فَجَسَدَتْهُ
فَجَعَلُوا لَهَا بِيَانًا نَقِيَّةً الْأَبْدَانُ بِالْمُنَافِقَةِ فَقَالَتْ لِلْعَمَانِ أَنْ مَعَهَا شَيْخًا لَا يُوَاسِيَانِ شَيْءًا
أَمْرًا يَبْدَأُ بِهِ تَرْسِبُ لَهَا قِيَّةً لَهَا ثَلَاثَةُ أَيْامٍ مِنْ وَلَدٍ قَوْلُهُ يَأْدُرُ مَتَهُ بِالْعَلَاءِ وَالسَّنْدِ
وَالْغَيْثَةِ إِذَا ارْتَادَ بِهَا مِنْ كَوْنِهَا كَانَ فَعْلًا لَوْ كَانَتْ لَهَا سَمْعٌ بِالْعَمَانِ فَجَسَدَتْهُ هَذَا شَيْءٌ عَلَوِيٌّ

يعتذر إلى النعمان المشذير

أَرْسَلْنَا جَدِيدًا مِنْ سَعَالٍ تَحْتَبُ ۖ عَفَتْ بِرُوضَةِ الْأَجْدَادِ مِنْهَا فَيَنْقُبُ ۖ
عَفَى أَيْدِي رِيحِ الْجَنُوبِ مَعَ الصَّبِيِّ ۖ وَأَيْدِي رِيحِ غُرْنَةِ مُتَصَوِّبٍ ۖ
لَمْ يَنْقُ الْأَلْخِيمُ مِنْ صَبِّ ۖ وَسُفٌّ عَلَى أَيْسٍ وَتَوَيُّ مِثْعَلِبٍ ۖ
لَهْدَتْ بِهَا سَعِيرِي وَفِي الْعَيْشِ عِرَّةٌ ۖ فَاصْبِرْ بَاقِي وَصَلْهَا بِتَقْضِيبٍ ۖ
أَوَابِدَتْ سَوَارِمِنْ وَشُومٍ كَانَتْهَا ۖ بَقِيَّةُ الْوَاحِ عَلَيْهِمْ مَذْهَبٌ ۖ
وَيَارَهُمْ أَذْهَمُ لَأَهْلِكَ حَسِيرَةٌ ۖ وَأَوَاذِي لَا يَسْطَاعُ مِنْهَا التَّجَنُّبُ ۖ

وتنتهي بما هذا نصه : (وقال يعتذر إلى النعمان وهم بنو الشقيقة بنت أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان ، وزعموا أنه هجا الملك في قوله :
خَبَّرُونِي بَنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمُوتُ نَعْمَ فَقَعَا بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولَا
ثم ستة أبيات وينقطع الكلام ببياض الصفحة - من ص ١٦١ إلى ص ١٩٩ - .

٦ - بعد البسملة : (وقال الأعشى ، واسمه ميمون - وبعد سياق النسب إلى عدنان - قال يمدح الأسود بن المنذر - أخو النعمان بن المنذر - أم الأسود من تيم الرباب ، وكندة يزعمون أنه الأسود الكندي ثم أحد بني الار . . . (١٦) - فقال :
مَابُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ ؟

يتبعها الشعر خالياً من الأخبار والشروح ، أو الإشارة إلى جامعهم ، سوى إيراد خبر يوم (سَاتِيذَمَا) ومسير قيصر إلى كسرى أنوشروان ، وذكر مدح الأعشى إياس بن قبيصة الطائي بالقصيدة التي مطلعها :

مَاتِعِيفُ الْيَوْمِ فِي الطَّيْرِ الرُّوحُ مِنْ غُرَابِ الْيَنِّ أَوْ تَيْسٍ بَرَّخُ
وفيه أخبار منسوبة إلى أبي عبيدة ذات ارتباط ببعض القصائد .

وفي مقدمة إحدى القصائد : (لم يَرَوْهَا أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَا ابْنُ حَبِيبٍ ، وَرَوَاهَا أَبُو عَمْرٍو) .

وفي مقدمة أخرى : (رواها أبو عبيدة وأبو عمرو ، وخالد بن كلثوم) .
وأخر الشعر : (قال أبو عبيدة : أنشدنا أبو عمرو بن العلاء للأعشى بيتين يعتذر فيهما في مدحه شيبان :

مَتَى تَقْرِنُ أَصَمَّ بِحَبْلِ أَعْشَى يَلُحَا فِي الضَّلَالَةِ وَالْخَسَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئاً يَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ مِنِّي جَوَارِي
وقال الأعشى :

لَقَدْ أَذُمُّ أَصْحَابِي وَقَدْ يُضْحِكُ بِالْقِي (١٧)

ثم بياض مقدار سطر كتب في وسطه (لعله منقطع) ونحته : (آخر شعر
الأعشى ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم
تسليماً كثيراً) - من ص ٢٠١ إلى ص ٣٣٨ - .

٧- بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال لبيد بن
ربيعة) - وسياق نسبه إلى عدنان ، ثم معلقته ، ثم شعره خالياً من الأخبار
والتعليقات التي تفصح عن جامع . وآخره القصيدة التي آخرها :

وَجَدْتُ الْجَاهَ وَالْأَكَالَ فِينَا وَعَادِي الْمَآثِرِ وَالْأَزُومِ
في ثلاثة وعشرين بيتاً - ثم (تم) آخر ما وجدته من شعر لبيد بن ربيعة ،
والحمد لله رب العالمين) - من ص ٣٣٩ إلى ص ٤٠٣ - .

٨- بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم ، قال بشر بن أبي
خازم) وسأفصل عنه الحديث بعد - من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٥٧ - .

٩- بعد البسملة : (وبه ثقني ، وقال عبيد بن الأبرص - الأسدي - بن
جشم بن عامر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن
خزيمة - ويقال إنه كان يخطب بهذه القصيدة في الجاهلية ، في عروض النوع الأول
من البسيط :

إِنْ بُدِّلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَحُوشًا وَعُيِّرَتْ حَالَهَا أَخْطُوبُ
أَقْفَرٍ مِنْ أَهْلِهِ مَلْجُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ^(١٨) فَالذُّنُوبُ
ثم سرد أشعار عبيد خالية من الإضافات ، ومن ذكر جامعها . وآخرها :
(قال محمد بن عمرو الشيباني : كان من حديث قتل عبيد : أن المنذر بن ماء السماء
بني الغريين) وآخر الخبر : (وأبي أن ينشدهم شيئاً فأمر به فقتل . آخر شعر
عبيد بن الأبرص ، تم ما وجدته) - من ص ٤٥٨ إلى ص ٤٧٩ - .

١٠- بعد البسملة : (وبه ثقني وهو حسبي وقال عدي بن زيد) - وسياق
نسبه إلى عدنان - ثم شعره على ما نشر الأستاذ محمد جبار المعبيد - من ص ٤٨٠
إلى ص ٥٠٤ - وفي آخره : وجدت في النسخة مكتوباً أن جميع الزيادات

المضافات على هذا الشعر قد اختار المؤلف ماصح معه أنهم لهم ، وطلع من المضافات والله أعلم ، تمت الدواوين بعون الله . . وكان تمامه على يد العبد الفقير لله تعالى ربيعة بن هلال بن ربيعة بن هلال بن رجب بن عريمة في ضحى الاثنين تسع ليال خلت من شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين سنة من هجرة الرسول عليه السلام لملك قرطاسه الملك الأعظم فلاح بن المحسن بن سليمان بن مظفر ابن سليمان بن نبهان . . .) باختصار - انظر الصورة رقم (٤) - .

وآل نبهان هاؤلاء من سلاطين عُمان في القرن العاشر الهجري ، وفلاح هذا على ما ذكر العلامة ابن حميد السالمي في « تحفة الأعيان » (١٩) - : تولى الحكم من سنة (٩٧٣) إلى سنة (٩٨٠) ومن هنا يتضح أن تاريخ الكتابة هذه هو سنة (٩٧٣) فهل هذا تاريخ نسخ هذا القسم من هذه المجموعة ، سيأتي ما يؤيده .

١١ - وقد ألحق بالمجموعة من الأوراق ما تشبه كتابته كتابتها - من ص ٤٨٠ إلى ص ٥٠٤ - تحوي :

قصائد لا رابط بينها سوى ورودها في « جهرة أشعار العرب » منها اثنتان من (المنتقيات) هما قصيدة المرقش بن ربيعة بن سعد :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ دَمْعٌ عَيْنِكَ يَسْفَحُ؟ غَدًا مِنْ مَقَامِ أَهْلِهِ فَتَرَوُّحُوا
وقصيدة دريد بن الصمة :

أَرْتُ جَدِيلَ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ؟ بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدِ

وثلاث من (المذهبات) قصيدة حسان بن ثابت ، مقدمة بجملة : (وقال حسان ابن ثابت - وهذه المذهبات - :

لَعَمْرُ أَيْكَ الْخَيْرِ حَقًّا لَمَّا نَبَا عَلَى لِسَانِي فِي الْخُطُوبِ وَلَا يَدِي
وقصيدة عبدالله بن رواحة :

تَذَكَّرْتُ بَعْدَمَا شَطَّتْ نُجُودًا وَكَانَتْ تَيْمَتْ قَلْبِي وَلَيْدًا

وقصيدة قيس بن الخطيم :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَادِ (٢٠) الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ قَفْرًا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاجِبِ

ثم : وقال الشجوي (٢١) :

مَرَضَى نَحْنُ لَيْسَ لَنَا طَيْبٌ وَمَهْجُورِينَ لَيْسَ لَنَا حَبِيبٌ (٢١)

في إحدى عشر بيتاً ، فيباض شمل ثلثي الصفحة الـ (٥١٣) ثم «لامية العرب» المعروفة للشنفرى ، وهي آخر هذه المجموعة - والقصائد هذه من ص ٥٠٥ إلى ص ٥١٧ - .

وأخر المجموعة كتابات تتضمن أسماء بعض مالكيها ومنها : (هذا الخادم إمام المسلمين بلعرب بن سلطان بن سيف ، أعزه الله تعالى ورضي عنه ، وهو الخادم الأقل سعيد بن عبدالله بن محمد بن ماجد بن أحمد بن سليمان كتبه سعيد بيده) .

وهذه الكتابة حديثة بالنسبة لكتابة المخطوطة ، وتحتها كتابة قد رُجِّتْ ، لم يتضح منها سوى التاريخ (نهار الأحد عشر ليال خلون من شهر جمادى ستين وستين سنة وألف سنة من الهجرة) تتعلق باسم أحد مالكي النسخة .

إن اسم بلعرب بن سلطان يؤيد أن تاريخ الكتابة هو ما تقدمت الإشارة إليه ، سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة ، لأن بلعرب هذا من حكام عُمان المشهورين ، الذين تولوا الحكم بعد بني نبهان الذين كتبت النسخة باسم أحدهم فلاح بن محسن ، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن حميد السالمي في « تحفة الأعيان » (٢٣) أن بلعرب ابن سلطان بويج في ١٦ ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وألف (١٠٩١) ، فكانت هذه النسخة من المخطوطة توارثها اثنان من حُكَّام عُمان فلاح بن المحسن سنة (٩٧٢) ثم بلعرب بن سلطان .

وقد بقيت في عُمان حتى استقرت الآن في (دار المخطوطات والوثائق) في مدينة مسقط ، تحمل الرقم ٢/١٣٣٢ ز .

وقد اطلعت عليها حين زرت هذه الدار في يوم الأربعاء ١٠/٣/١٤٠٧ هـ ،

وطلبت من أخي الأستاذ يحيى البشر — الملحق التعليمي لبلادنا — طلبت منه المساعدة في تصويرها ، فكان أن اتصل بالسيد الجليل فيصل بن علي بن فيصل — وزير التراث القومي والثقافة — في سلطنة عُمان ، فأفضل زاده الله فضلاً وتوفيقاً — بصورة منها ، ومن كتاب « مختصر معجم الأدباء » للتكريتي .

وهذه المخطوطة تقع في (٥١٧) صفحة ، في الصفحة (٢٠) سطرًا ، والخط نسخي حسن ، والكلمات مشكلة بالحركات ، ولكن الناسخ لا يبصر موضع قدمه ، فهو كثيراً ما يصحف الكلمات والأسماء المعروفة .

وفي بعض الصفحات بياض يدل على أنه قد ينقل عن أصل ناقص ، أو لم تتضح له الكتابة ، وقد يشير في بعض الهوامش إلى نقص النسخة التي ينقل عنها ، وقد يفسر بعض الكلمات في الهامش (٢٤) .

ومع ما تقدم ففي الدواوين التي ضمتها هذه المجموعة ما هو جدير بالدراسة .

وهذه المخطوطة أقدم من المخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعبيد في مقدمة « ديوان عدي بن زيد » التي هي في المكتبة العباسية لأسرة آل باش أعيان في البصرة ، وقد يستفاد بمقابلة المخطوطتين فيما يراود الثبوت منه من محتوياتها .

ولقد كتب الأستاذ محمد جبار المعبيد في مقدمة « ديوان عدي » في وصف تلك المخطوطة التي اطلع عليها ، وفيها ديوان بشر بن أبي خازم — مانصه (٢٥) : (هذه النسخة من ديوان بشر تختلف عن الديوان الذي طبعه الدكتور عزت حسن بزيادة (١٣) قصيدة ، مما يستوجب إعادة طبع الديوان) فحفزني هذا القول إلى مقابلة المطبوعة بالنسخة التي تحويها المجموعة العُمانية ، فاتضح لي أن الأستاذ المعبيد لم يجانف الحقيقة ، وإن لم يتفق عدد القصائد والمقطوعات التي وجدت في المخطوطة العُمانية مع ما ذكره الأستاذ ، إذ وجدت منها اثنتي عشرة ، هي قصائد سبع ، ومقطوعات خمس ، تحوي كلها من الشعر عشرة ومثني بيت ، ووجدت مقدمات لبعض القصائد في المخطوطة لا ذكر لها في مطبوعة الأستاذ المحقق الدكتور عزت حسن .

ويلاحظ أن تلك المقطوعات والقصائد ملحقة بديوان الشاعر بشر ، بصيغة تدل على أن الديوان من عمل انسان لم تثبت لديه تلك الزيادات ، أو أنه لم يطلع عليها ، فقد جاء في آخر الديوان الذي يتبدى من الصفحة الـ (٤٠٥) وينتهي بالصفحة الـ (٤٥٧) جاء في الصفحة الـ (٤٤٣) مانصه : (هذا آخر شعر بشر في رواية أبي العباس ، وما يجيء بعد هذا من غير روايته) ثم يورد قصائد ومقطوعات ورد منها في مطبوعة الدكتور عزت حسن مقطوعات خمس هي ذوات الأرقام : (٤٥/٤٣/٣٤/٢٨/٢٧) .

ولابد من التساؤل عن (أبي العباس) هذا الذي روى شعر بشر ، ليس في هذا الديوان ما يوضح المعنى به - ولكنه يروي عن ابن الأعرابي إذ يقول في مقدمة القصيدة الـ (٢٦) من الديوان المطبوع ص ١٢٣ - في المخطوطة ص ٤٣٨ - : (وقال بشر بن أبي خازم ، ولم يعرفها ابن الأعرابي ، وأبو عمرو يرويها لبشر ، وغير أبي عمرو يدخلها في كتاب أوس ، وإذا دخلت في شعر أوس فهي أتم وأكثر) ويرد اسم الأخفش والمفضل في سياق بعض الأخبار المتعلقة بالشعر ، فهل أبو العباس هذا هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٠٠ / ٢٩١ هـ) ؟ لقد عمل ثعلب قطعة من دواوين العرب على ما ذكر ياقوت^(٢٦) ، ومنها « ديوان عدي بن الرقاع العاملي » الذي حققه الأستاذان الجليلان ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، ونشره المجمع العلمي العراقي ، ولكن عمل ثعلب لا يقتصر على إيراد الشعر ، بل يضيف إليه إيضاح غوامضه ، فهل أخذ نساخ شعر بشر جرّده من الشرح ؟ !

ويلاحظ أن مطبوعة الدكتور عزت حسن تزيد سبع^(٢٧) مقطوعات أبياتها (٤٩) كما في بعض القصائد أبيات كثيرة لم ترد في المخطوطة التي تزيد فيها بعض القصائد أبياتاً يسيرة ، وأضاف الدكتور أبياتاً عثر عليها في مصادر ذكرها وهامو ماورد في المخطوطة العُمانية من الشعر ومقدماته مما لم أراه في المطبوعة .
أول الشعر^(٢٨) :

بسم الله الرحمن الرحيم

وماتوفقي إلابالله العلي العظيم ، قال بشر بن أبي خازم بن عوف بن حميري بن ناشزة بن أسامة بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان قالها في رجل من والبة يقال له مخزوم بن ضبا بن مخزوم ، وقال ابن الأعرابي : هو خزيمة بن ضبا بن مخزوم بن أسامة بن غير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة ، وقال غيره : هو ضبا بن الحارث بن مخزوم ثم النسب على حاله - وأسرته بنو عامر بن صعصعة ، فمكث فيهم زماناً في جوار عتبة بن جعفر ، ثم [إن] أناساً من بني بكر بن كلاب فاخروه ففاخروهم ففخروهم ، فقتله رجل من أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فخرج عوف بن الأحوص بن جعفر غازياً في جيش ، فسار أياماً ثم بلغه الخبر ، فرجع ولم يتم غزوته ، فلقيه رجل من بني عامر ، فقال : قد قتلت بنو أبي بكر رجلاً من بني جعفر ، فسأله ما اسمه ، فلم يعرف اسمه ، فقال بالجيش كما هو ، فمر إبل بني أبي بكر وهي راعية ، فوجد فيها ابن مالك بن كعب ، أخي بني أبي بكر ، وكان سيد بني بكر ، ومالك هو جواب ، وإنما سمي جواباً لأنه كان يحب الأبار أي يحفرها فوجده قد اصطبح من اللبن ، فأكثر ، فأحقبه على بعيره مشدوداً ، فسلح الغلام وقاء ، فلما قدم به الحي قبخوا ما صنع ، وقالوا : إنما كان ابن ضبا الذي قتل جار عتبة ، وقد بذلوا لنا الدية ، وإنما كان في الحاء - يريد ملاحاة - فأرسلوا الغلام وكسوه ، وانطلق إلى أهله فأخبرهم ، فقال أبو الغلام وهو مالك بن كعب : لا أرضى بالقود إلا من عوف نفسه ثلثة من اللبن ثم نحقبه على بعير ، فقال : إنما صنعت هذا بغلام ولم أعلم فاصنعوا ببعض ولدي ما صنعت^(٢٩) فأبوا ، وتركوا دية ابن ضبا ولم يأخذوها وهم يتراوضون على الصلح ، وقد طل دم ابن ضبا ، فجاء ابن ضبا المقتول يسأل في قومه ، فأتى بشر بن أبي خازم بخير ابله كلها خلفه ثم قال له : بشر : أبعير العام أحب إليك من مئة في قابل قال : بل مئة في قابل . فقال بشر بن أبي خازم في ذلك ، وكانت بين بني سعد بن ضبة وبين بني سعد بن زيد مئة حرب فأرسلت بنو ضبة إلى بني أسد يستجيرونهم حتى يفرغوا ما بينهم ، فأجارتهم بنو

أسد ، وبنو أسد حلفاء لبني ذبيان فانطلقت بنو تميم فحالت بني عامر على غطفان وأسد ، فانطلقت بنو عامر بن صعصعة ومن دخل فيهم يطلبون أوتارهم فنزلوا بماء يقال له النصار ، وأقبلت بنو تميم فنزلوا بالجفار ، فقال عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري : ابدأوا ببني عامر قبل أن تعلم بكم بنو تميم ، فساروا إليهم ، وقد كانت عامر جاءت قضها وقضيضها ، فاقتتلوا بينهم ، فغلبتهم بنو فزارة وأصابوا منهم ما أرادوا ، وأحبوا ، فلم يعلم بهم بنو تميم .

وقال بشر بن أبي خازم :

عَفَّتْ مِنْ سُلَيْمَى رَامَةً فَكَثِيبُهَا وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النَّوَى فَشَعُوبُهَا^(٣٠)

- ٢ -

وغزا بشر طيئاً ثم بني نبهان فأنزل جريحاً ، وهو يومئذ يحمي أصحابه ، وإنما كان في بني والبة ، فأسرته بنو نبهان فخبأته كراهة أن يبلغ أوساً ، فبلغ أوساً أنه عندهم فكتموه ، فقال : والله ما يكون بني وبينكم خيرٌ أبداً حتى تدفعوه إليّ ، وهم يكرهون أن يقتله ، فلما أبوا عليه أعطاهم مئتي بعير ، وأخذته فجاء به فوقد له ناراً ليحرقه ، وكان آلى إن قدر عليه أن يحرقه قال الأخفش فحدثني بعض بني أسد قال : لم تكن ناراً ، ولكن أدخله في جلد بعير حين سلخه - ويقال في جلد كبش - ثم تركه حتى جف عليه ، فصار فيه كأنه عصفور ، وبلغ ذلك أم أوس ، وهي سعدى بنت حصين ، وكانت سيدة قومها ، وقد أسنت فخرجت إليه فقالت : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أحرق هذا العدو لله الذي شتمنا . قالت : قبح الله رأيك ، وقبح أقواماً يسودونك أو يقتبسون من رأيك !! والله لكأنما أخذت به رهدنا^(٣١) أما تعلم منزلته في قومه ؟ خل سبيله ، وأكرمه ، فإنه لا يرحض عنك ما قد قال فيك غيره ، وأيم الله لو فعلت ما استقلت أنت ولا قومك أبداً ، فحبسه عنده ، وداوى جراحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به فقال : ابعث إلى قومك ليفدوك فإني قد اشتريتك بمئتي بعير . فأرسل بشر إلى قومه ، فهبثوا فداءً وبأدرهم أوس فكساه من كسوة اليمنة ، وغير ذلك ، وحمله على نجييه الذي يركب عليه ، وسار معه حتى بلغه أرض غطفان ، فجعل بشر

يمدح أوساً وأهل بيته ، مكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة يمدحه بها ، وقال
بشر بن أبي خازم يمدح أوساً :

كَفَى بِالنَّايِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافِي وَلَيْسَ لِحُبِّهَا إِذْ طَالَ شَافِي^(٣٢)

- ٣ -

وقال بشر بن أبي خازم :

تَنَكَّرَتِ الْمَنَازِلُ مِنْ سُلَيْمَى فَسَفَحَ ضَرْبِيَةَ فَخَلِيفِ صُبْحِ
عَفَاها كُلُّ مُنْسَكِبٍ هَزِيمٍ دِيَارَا قَدْ تَحَلُّ بِهَا سُلَيْمَى
فَسَلُّ أَلْهَمْ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثِ سَبُوحِ الْمِرْفَقَيْنِ إِذَا اسْبَطَرْتُ
كَأَنَّ الْبُرْسَ يَنْفُخُ فِي بُرَاهَا كَانَ الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ جَابِ
مُضْبَرَةٍ كَانَ الرَّحْلُ مِنْهَا يَشْجُ بِهَا الْحَزُونُ وَتَتَّقِيهِ
لَهُ زَجَلٌ إِذَا اسْتَذَكَّى عَلَيْهَا يُرْجَعُ فِي الصَّوَى بِمَهْضَمَاتِ
فَدَعُ ذَا عَنْكَ وَاعْمُدْ فِي قَوَافِ

إِذَا مَاقِيلَ : أَيْنَ لِيَامُ طَيِّ لَعَمْرُكَ إِنَّ حَارِثَةَ ابْنِ لَامٍ
فَيْشَ مَنَاخٍ ضَيْقَانِ جِيَاعٍ اتَّوَعَدْنِي بِقَوْمِكَ يَا بَنَ سَعْدَى
وَأَنْتَ أَذَلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَيْهَا مَتَى مَا أَدْعُ فِي أَسَدٍ تُجِيبُنِي
بِرَامَةٍ فَالْكَثِيبُ إِلَى بَرَامٍ فَتَخْلُ الْكَعْبَتَيْنِ إِلَى سَمَامٍ
كَأَنَّ رِيَابَهُ رُبْدُ النُّعَامِ كَانَ مُجَاجَهَا صَفْوُ الْمُدَامِ
مُوثَقَةٌ مِنَ النُّجْبِ السُّوَامِ عُدَافِرَةٌ تَحْيَلُ فِي الزَّمَامِ
إِذَا ابْتَلُ الْجَدِيلُ مِنَ اللَّغَامِ أَقْبَ الْبَطْنِ مِنْ وَحْشِ السَّقَامِ
عَلَى ذِي عَانَةٍ نَعِيرِ الْغَرَامِ بِسُمِرٍ كَأَمْلَكَ مِنْ السَّلَامِ
كَأَنَّ سَجِيلَهُ شَكْوَى غَلَامٍ بَحِينِ الصَّدْرِ^(٣) مِنْ قَصَبِ الْكَلَامِ
مُحَبَّرَةٌ إِلَى شَرِّ الْأَنَامِ

تَعَادَى نَحْوَ دَاعِيهَا سِرَاعاً كَمَا انْسَلَّ الْفَرِيدُ مِنَ النُّظَامِ
جَنَّبَاهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ شُعْثاً فَصَارَتْ بَعْدَ بُذْنِ كَالْحَلَامِ
هُمْ تَرَكُوا عُتِيَّةً مُسْلِحِجاً عَلَيْهِ الْعَاكِفَاتُ مِنَ الْهَوَامِي
وَيَوْمَ هَوَازِنِ أُسْرَعْنَ فِيهِمْ يَطْعَنُ مِثْلَ تَشْفِيقِ الْهِدَامِ
وَعُتْبَةُ أُوجِرُوهُ ذَاتَ خِرْصٍ كَانَ بِصَدْرِهِ شِعْلُ الضَّرَامِ
وَأَقْلَتْ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَاءٍ يَطْعَنُ فِي اللَّجَامِ
وَجَمْعُ بَنِي كِلَابٍ أَلْصَقُوهُمْ بِأَطْرَافِ الْمَطَائِبِ وَالْخِيَامِ

- ٤ -

وقال بشر يمدح عمرو بن إياس ، وأم إياس بنت عوف بن مخلم بن ذهل بن شيان ، وأما أمامة بنت كسر بن كعب بن زهير التغلبي ، زوجتها من عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، وكان أبوها غائباً فولدت له عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، فأراد بشر عمراً هذا ابن هند ، وهو ابن المنذر :

إِنَّ الْفُؤَادَ بِآلِ كَبْشَةَ مُذِنِفٌ قَطَعَ الْقَرِينَةَ غُدُوَّةً مَنِ تَأَلَّفُ (٣٣)

- ٥ -

وقال بشر بن أبي خازم :

أَلَا تَقْدِي رُغَاءَ الْبَكْرِ أَوْسَا بِسَوَاطِئِ مِنْ هِجَائِي يَا بُجَيْرُ
وَسَوَاطِئُ كَانَ أَهْوَنَ مِنْ قَوَافٍ كَأَنَّ رُعَالَهُنَّ رُعَالُ طَيْرٍ

- ٦ -

كان غلام من الأبناء والأبناء واثلة ومرة ومازن وغاضرة وسلول بنو صعصعة ، وكل ولد صعصعة غير عامر يسمون الأبناء ، وأما سلول فإنها سلول بنت شيان ابن ذهل بن ثعلبة ، تزوجها مرة بن صعصعة فولدت له عمراً ، فغلبت عليهم سلول ، فرمى الغلام الأبنائي بشراً بسهم فأثخنه ، والغلام من بني واثلة بن صعصعة ، وأن بشراً أسر الغلام الوائلي وعرف بشراً أنه ميت ، فاق (٩) بشر الغلام في بعض الطريق فأطلقه ، وقال : انطلق فأخبر أهلِكَ أنك قتلت بشر بن

أبي خازم ، فسار الغلام وبلغ . وقال بشر بن أبي خازم :
أَسَائِلُهُ عُمَيْرَةَ عَنْ أَبِيهَا خِلَالَ الْجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرُّكَّابَا (٣٤)

— ٧ —

قال : وغزا بشر بن أبي خازم أرض اليمامة ، وقد كانوا (٩) بني حنفية أسروا
سميراً أخاه ، فأطلقوه وأكرموه ، فلما دنا من أرض اليمامة قالت بنو أسد : اغز
بني حنفية ! فقال : إن لهم عندي يداً ، ماكنت لأغزوهم ، وأغار علي بني
يشكر ، وبني ذهل بن ثعلبة ، وبني قيس بن ثعلبة ، فغنم وأصاب من بني قيس
بن ثعلبة ، وقال بشر بن أبي خازم في ذلك :

جَنَّبْتُهَا قُرْآنَ إِنْ لِأَهْلِهَا عَلِيٌّ هَدِيًّا أَوْ أُمُوتَ فَأَقْبَرَا (٣٥)

— ٨ —

وقد كان بشر قال في منة بني حنفية على أخيه سمير ، ولقى عند رجل من بني
حنيفة ناساً من بني حنفية (٩) يطلبون في أسارى لهم ، فطلب فيهم بشر حتى
فداهم ، وقال بشر بن أبي خازم في ذلك :

لَقَدْ دَافَعْتُ عَلَقَمَةَ بَنَ عَمْرٍو نَجَاهُ الْبَابَ مُجْتَمِعَ الْخُصُومِ (٣٦)

— ٩ —

وكان من حديث يوم قلاب أن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن
مالك ، أخو بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن أبي قيس بن ثعلبة ، ومعه
عمرو بن عبدالله مساندة ، ويدعى ذا الكف الأشل لأنه كان أشل ، وكان بشر
سيد بني مرثد يومئذ ، وقد كان أصاب في بني عامر فملاً يديه ، فلما دنوا من
قلاب — وقلاب جبل — قال له عمرو بن عبدالله : إني أراك تأخذها كأنك تريد
أن تعتسف الناس ؟ قال : أريد أن اجتزع قلاب ، حتى أخرج في ناحية أرض بني
تميم ، فإنه أقرب ، قال : فإن وراء هذا الجبل بني أسد قال : ما أبالي من لقيت !!
وكان رجل عظيم الكبر ، فنهاه فأبى ، فقال عمرو : إني ماثل نحو اليمامة ، فما

ومعه بنو سعد بني ضبيعة ، وخرج بشر بن عمرو في بني قيس بن ثعلبة ، ومعه ثلاثة من ولده ، وكانوا فرساناً ، ومعه ناس من بني مرثد وغيرهم ، وكانت عقاب تحيي وتقع على خيل بني أسد ، فتصيح صيحتين ، فقال كاهن بني أسد : إنها تبشركم بغنيمة باردة ، فلم يعلم بنو أسد حتى هجم عليهم بشر ، وقد ملأ يديه من نعم بني عامر ، فثارت إليه بنو أسد برماحهم ، فقتلوا بشراً وثلاثة من بنيهم ، صابروا معه ، وقتلوا رهطاً من بني مرثد وغيرهم ، وهزموهم وأصابوا ماكان في أيديهم .

وقال بشر بن أبي خازم في ذلك :

أَلَا هَلْ أَنَا هَا كَيْفَ ضَارَبَ قَوْمَهَا بِجَنْبِ قَلَابٍ إِذْ تَدَانَى الْقَبَائِلُ (٣٧)

- ١٠ -

قال : وكان بشر جعل على نفسه ألا ينأى بغريبة من بني أسد الدهر ، إلا طلبها حتى يردها ، فابتنى (?) بامرأة من بني أسد لم يدر ما صنعت ، ولم يدر من ذهب بها ، حتى طرق ليلة من الليالي أناس ؟ لا يعرفها ، فلم يزل بهم الذكر (?) حتى قالت : أنا والله الذي ذكرت ، قال : أفلا تطلقين ؟ - فباتت وقالت : كيف أذهب وأدع ولدي ؟ ، فقال في ذلك - ولم يعرفها ابن الأعرابي :

أَجَارَتْنَا إِنْ جَدَّ ذَلِكَ فَارْتَعِي يُودِّعُكَ مِنَّا وَامِقٌ لَمْ يُودِّعْ
أَبْعَدَ لَيَالِينَا بِذِي النُّعْفِ نَلْتَقِي وَبَعْدَ مَصِيفٍ بِالشَّامِ وَمَرْبَعِ
وَأَعْجَبَهَا عِنْدَ ابْنِ عَجَلَانَ هَجْمَةٌ مُعَاوِدَةٌ أَكَلِ الْعِضَاءِ الْمُقْطَعِ
وَعَمَلِي يُضِيءُ بِالْمَتَانِ كَأَنَّهَا (?) يَغَالِبُ مَوْتَ جُلْدِهَا لَمْ يَمْنَعْ (?)

- ١١ -

يوم انتقتنا عُقَيْلٌ بِالْحَرِيشِ هَوًى كُلُّ الْفَرِيقَيْنِ تَحْرُوبٌ وَمَسْلُوبٌ (٣٨)

هذا آخر شعر بشر ، في رواية أبي العباس ، وما يجيء بعد هذا من غير روايته .

قال : أنفذ أوس بن حارثة لأخذه بشر عمرو بن كريب أحد مصايح الظلام ،
فأخذه وأقبل به إلى أوس ، قال : يا بشر غتنا بما قلت فإنه^(٣٩) سيغني بما هو مفعول
به ، فأنشد بشر يقول^(٤٠)

- ١٢ -

وقال بشر :

أَلَا أُبْلِغُ خُزَيْمَةَ حَيْثُ حَلَّتْ وَقَيْسُ قَدْ أَصَابَهُمْ وَيَالُ
وَقَيْسُ قَدْ أَصَابَهُمْ وَيَالُ قَتَلْنَا مِنْهُمْ بِشْرًا وَعَمْرًا
قَتَلْنَا مِنْهُمْ بِشْرًا وَعَمْرًا نَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ
نَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ قَتَلْنَا بِشْرَكُمْ فَأَبْكُوا عَلَيْهِ
قَتَلْنَا بِشْرَكُمْ فَأَبْكُوا عَلَيْهِ وَقَتَلْنَا سَرَاةَ بَنِي لُجَيْمٍ
وَقَتَلْنَا سَرَاةَ بَنِي لُجَيْمٍ تَظَلُّ الْخَيْلُ تَرْكَبُهُمْ رُكُوبًا
تَظَلُّ الْخَيْلُ تَرْكَبُهُمْ رُكُوبًا وَحَلُّ الْمَوْتِ كَلْكَلُهُ بِبَكْرِ
وَحَلُّ الْمَوْتِ كَلْكَلُهُ بِبَكْرِ مَعَ الْكُهَّانِ تَقْدُمُهُمْ (٩) جَمِيعًا
مَعَ الْكُهَّانِ تَقْدُمُهُمْ (٩) جَمِيعًا إِذَا قَالُوا وَقَالَ لَهُمْ تَوَلَّوْا
إِذَا قَالُوا وَقَالَ لَهُمْ تَوَلَّوْا فَأَوْرَدَهُمْ لُجَيْنَهُمْ جَبَاضًا
فَأَوْرَدَهُمْ لُجَيْنَهُمْ جَبَاضًا سَقَيْنَا ابْنَ الْجَدِيعَةِ كَأْسَ سُمٍّ
سَقَيْنَا ابْنَ الْجَدِيعَةِ كَأْسَ سُمٍّ وَيَشْكُرُ قَدْ طَخَنَاهُمْ بِجَيْشٍ
وَيَشْكُرُ قَدْ طَخَنَاهُمْ بِجَيْشٍ فَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ حِينَ دَانُوا
فَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ حِينَ دَانُوا وَتَغْلِبُ قَدْ طَخَنَاهُمْ جَهَارًا
وَتَغْلِبُ قَدْ طَخَنَاهُمْ جَهَارًا فَكَتَلْنَا سَرَاتَهُمْ وَأَبْنَاءَ
فَكَتَلْنَا سَرَاتَهُمْ وَأَبْنَاءَ وَمَلْنَا بِالْجَفَارِ عَلَى تَمِيمٍ
وَمَلْنَا بِالْجَفَارِ عَلَى تَمِيمٍ بِأَيْدِينَا مَثْقَفَةً صِلَابَ
بِأَيْدِينَا مَثْقَفَةً صِلَابَ وَأَفْلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَوَالِي
وَأَفْلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَوَالِي وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ عَفَرْنَا خَدًّا

ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْعُقَدِ الرُّغَابِ
وَلَا غِنَمْتُ رِبْعَةً مِنْ قِرَابِ
وَمَا وَلَدَ الشَّرِيدُ مِنَ الرُّوَابِ
ذَلِيلًا بَعْدَ عِزٍّ وَاقْتِرَابِ
بِأَرْمَاحٍ مُثْقَفَةٍ صِلَابِ
خَزَايَا آيِسِينَ مِنَ الْإِيَابِ
فَلَوْمْ قَدْ تَرَدَّدَ فِي الثِّيَابِ
وَضَيْفُهُمْ كَعَاوِيَةِ الْكِلَابِ
وَلَا جِلْمٌ وَلَا عَقْرٌ لِنَابِ
إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّتْ لِلضَّرَابِ
تَعَاوَا يَزْجُرُونَ عَنِ الْقِيَابِ
وَنَحْنُ السُّمُّ يُخْلَطُ بِالْعَذَابِ
إِذَا مَا احْمَرُّ أُجْنَحَةُ الْعِقَابِ

مِنْ الْغُرِّ الْوُجُوهِ بَنِي تَمِيمٍ
وَمَا سَلِمْتُ رِبْعَةً فِي مُغَارِ
وَصَخْرٍ كَانَ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ
تَرَكْنَا الرُّمَحَ يَخْطُرُ فِي صَلَاةِ
شَجَرْنَا رَبَّ كِنْدَةَ فِي مَكْرٍ
فَوَلَّى جَمْعُهُ شَلَالًا سِرَاعًا
وَأَمَّا رَهْطُ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ
إِذَا عَقَدُوا لِحَارٍ أَخْفَرُوهُ
وَلَا حَسَبٌ وَلَا عِزٌّ قَدِيمٌ
وَلَا صَبْرٌ لَدَى الْعَمَرَاتِ يَوْمًا
إِذَا مَا جَاءَهُمْ آتٌ بَلِيلٌ
فَنَحْنُ الْحَيُّ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا
خُزَيْمَةُ مَعْشَرِي فِي كُلِّ هَيْجٍ

- ١٣ -

وقال بشر بن أبي خازم :

وَقَدْ أُمَكَّتَهُ مِنْ يَدَيِ الْعَوَاقِبِ
لَأَوْدَيْتِ أَوْ سَاغَبَتْ فِيمَنْ يُسَاغِبُ
بَنِي أَسَدٍ أَقْصَاهُمْ وَالْأَقَارِبُ
لَكُمْ آلَ سُعْدَى مَا بَقِيَتْ عَجَائِبُ
هُمْ عَجَبٌ مَاحِجٌ لِلَّهِ رَاكِبُ
وَأَصْدَقُ مِنْهَا مُحْكَمَاتُ غَرَائِبُ
لَكُمْ عَامِدٌ مَاعِشْتُ بِالْمَذَحِ دَائِبُ
وَأَنْتَ تَنْمِيكَ الذَّرَى وَالذَّوَابِ

تَذَارَكْنِي أَوْسُ بْنُ سُعْدَى بِنِعْمَةٍ
فَأَقْسِمُ لَوْ كَانَتْ زِنَادُكَ هَجَنَةً
فِدَى لَابْنِ سُعْدَى جُلُّ كُلِّ عَشِيرَتِي
فَأَقْسِمُ لَا تَنْفَكُ مِنِّي مَذَائِحُ
تَغْنِي بِهَا الرُّكْبَانُ فَوْقَ رِحَالِهِمْ
أَكْذَبُ نَفْسِي بِالَّذِي قُلْتُ كَاذِبًا
فَهَذَا لَكُمْ مِنِّي حَيَاتِي وَإِنِّي
لَأَنْتَ أَهْلٌ لِلنَّشَاءِ وَلِللُّعْلَى

وقال بشر بن أبي خازم :

وَلَقَدْ ثَمَّانَا عُتْيِيَّةً فَاصْطَلَّ
إِذْ غَادَرْتُهُ الْخَيْلُ عِنْدَ مَجَالِهَا
وَلَقَدْ حَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ
كَانَتْ لَهُ عَارًا وَشَيْنًا بِأَسْبِيهِ
وَنَجَا طُفَيْلٌ فِي الْغُبَارِ وَمَا حَمَى
وَابْنُ الشَّرِيدِ قَدْ اسْتَمَرَّ بِطَعْنَةِ
كَانَتْ جَوَى فِي جَوْفِهِ حَتَّى قَضَى
وَذَرَّ حَبَاهُ بِهَا وَلَوْلَا سَابِغُ
وَتَوَى مَعَ الْهَلَاكِ غَيْرَ مُوسِدِ
وَسَمَتْ لِحْجَرٍ قَبْلَ ذَلِكَ جُمُوعُنَا
بِأَكْفٍ كُلِّ مُعَاوِدٍ يَوْمَ الْوَعَا
يَرْمُونَهُمْ بِلَبَانٍ كُلِّ طِمْرَةٍ
وَيَكُلُّ أَجْرَدَ سَابِغٍ ذِي مَيْعَةٍ
[كَانَتْ] ^(٤٢) إِذَا خَضِبَ الدَّمَاءُ نُحُورَهَا
وَجَرَتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَتَقَدَّمَتْ
وَهَوَى ابْنُ أُمِّ قَطَامٍ بَيْنَ رِمَاحِنَا
[فَأَزَالَ] ^(٤٣) عَنْهُ مُلْكُهُ وَأَقَادَهُ
وَأَخَابَنِي قَيْسُ طَعْنَا طَعْنَةً
[إِذْ] ^(٤٤) زَارَنَا بِقَلَابٍ فِي مَلْمُومَةٍ
فَأَبْرَزَنَ ^(٤٥) جَمْعَ بَنِي ضَيْعَةٍ كُلِّهِمْ
رَجَعُوا بِكَبْشِهِمْ وَجِيعًا مُتَبَا
سَرَكُوا عَمِيدَ بَنِي لُجَيْمٍ ثَاوِيَا
فُجِعَتْ بِهِ طَرَا لُجَيْمٌ كُلُّهَا

مِنْ حَرْبِهَا بِسَعِيرِهَا الْمُتَضَرِّمِ
فِي صَدْرِهِ قِصْدُ الْقَنَا الْمُتَحَطِّمِ
يَوْمَ النَّسَارِ بِطَعْنَةٍ لَمْ تُكْتَمِ
أَبَقَتْ بِهَا ضَخْمًا كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ
مَآخِلْفُهُ مِنْ مُجْحَرٍ مُسْتَلْحِمِ
بِمُجَرَّبٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ لَهْذَمِ
مِنْهَا فِدْلِي فِي قَلْبٍ مُظْلِمِ
نَجَاهُ مِنْ طَعْنِ الصَّيْلِ الْهَيْضَمِ
يَتَنَابُ شِلْوُهُ كُلِّ سَبْعٍ شَذَمِ
بِالسُّمَهْرِيِّ وَكُلِّ عَضْبٍ مَخْذَمِ
حَامٍ حَقِيقَتُهُ كَرِيمِ الْمَقْدَمِ
مُحْبُوكَةٍ مِثْلَ الْهَرَاوَةِ صِلْدِمِ
مُتَنَخِّلٍ مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَتَنَبِي
شَكَتِ الْجِرَاحُ إِلَيْهِمْ بِتَحْنَمُحِمِ
عَادَاتُهَا الْأُولَى وَقِيلَ لَهَا : أَقْدَمِي
يَكْبُو صَرِينَا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
حِينَ يَمْنُزِلُهُ الْأَذَلُّ الْأَلَامِ
بِشَرِّ بْنِ عَمْرٍو نَضْحَهَا كَالْعَنْدَمِ
يَمْشُونَ فِي خَلْقِ الْحَدِيدِ الْمُحْكَمِ
وَسَقَتْ بَنِي عَجَلٍ بِمَرِّ الْعَلْقَمِ
قَدْ زُوْدُوهُ طَعْنَةً فِي الْمَخْزَمِ
رَهْنُ الضَّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرِ قَشْعَمِ
وَبَكَتْ عَلَيْهِ بِالْعُيُونِ السُّجَمِ

وَأَبْنُ الْجَدِيعَةِ كَانَ كَاهِنًا قَوْمِهِ
يَغْزَوْنَ بِتَيْمِ اللَّاتِ لَا يَغْصُونَهُ
فَتَقْلَنَ سَيْدُهُمْ وَأَذْبَرَ جَمْعُهُمْ
حَتَّى أَطَاعُوهُ فَأَوْهِنَ جَمْعُهُمْ
وَكَذَلِكَ نَسِيَ السُّمُّ كُلَّ قَبِيلَةٍ
وَيَلِينُ جَسَائِنَا لِأَهْلِ وَدَادِنَا
حَتَّى يُدَافِعَ مَالُنَا وَيَلَادُنَا

قَدْ قَلَدُوهُ كُلُّ أَمْرِ مُعْظِمٍ
شَيْئًا فَيَرْجِعُ جَيْشُهُمْ بِالْمَغْنَمِ
لَا يَدْفَعُونَ لِمَرْهَقٍ عَنْ مَحْرَمٍ
يَوْمَ اللَّقَاءِ بِكُلِّ وَرْدٍ ضَيْغَمٍ
قَدَمَا وَيُقْتَلُ ذُو اللُّوَاءِ الْمَعْلَمِ
وَإِذَا أَتَانَا جَارِمٌ لَمْ يُسَلِّمْ
عَنْهُ فَيَرْجِعَ وَافِرًا لَمْ يُكَلِّمْ

- ١٥ -

وقال بشر بن أبي خازم :
بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ تَزُرْ جُمْلُ
مِنْهَا وَكَانَ جَوَارَهَا سَكْنًا
يَا جُمْلُ إِنَّا مِنْ مَعَاشِرٍ لَمْ
وَلَا يَذْمُ جَوَارَهُمْ أَحَدٌ
قَوْمِي خَزِيمَةٌ إِنْ سَأَلْتَ بِهِمْ
حِلَّ الْمَنَاقِبِ وَالْحَرَامِ لَهُمْ
حَدَرُوا مَعْدًا مِنْ تِهَامَةٍ إِنْهُمْ
حَتَّى خَلَتْ لَهُمْ فَهْمُ قُطَانِهَا
فَالشَّامُ أَضْحَى مِنْ قُضَاعَةٍ مَنَزَلًا
وَتَحَمَّلْتُ قَيْسَ فَحَاطُونَا الْفَضَا
[فَهُمْ] أَصَابُوا فِي الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ
لَا يَذَرُكَوْنَ بِهِ وَإِنْ طَلَبُوا
وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَيْسَ فِيهِ مِرْيَةٌ
قَتَلُوا بِجَنْبِ قَلَابٍ بِشْرًا بَعْدَمَا
وَالْكَاهِنُ التَّيْمِيُّ قَدْ غَادَرَنَاهُ
وَجَرَتْ بِحَجَرٍ بَعْدَ ذَلِكَ قَوَارِسُ

وَخَلَتْ مَنَازِلُ لَمْ تَكُنْ تُخْلُو
فَنَاتٍ وَقُطِعَ بَيْنَنَا الْوَصْلُ
يُوجَدُ كَحَبْلِ جَوَارِهِمْ حَبْلُ
وَلَا يَكُونُ لِعَقْدِهِمْ دَخْلُ (١٤)
أَهْلُ الْمَآئِرِ مَا بِهِمْ عَدْلُ
وَيَذِي الْمَجَازِ لِقَوْلِهِمْ فَضْلُ
أَمَرُوا بِهَا وَلَهُمْ بِهَا الْفَضْلُ
وَلِكُلِّ عِزٍّ أَرْوَمَةٌ أَهْلُ
وَدِيَارِ جِذْمٍ رَيْبَعَةُ النُّخْلُ
وَيَنْوُ تَمِيمٍ نَعْدُهُمْ أَجْلُوا
فَلِكُلِّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ دَخْلُ
فَسَلِّ أَحَقُّ ذَاكَ أَمْ بُظْلُ
وَالْبَاطِلُ الْمُتَنَحِّلُ الرِّذْلُ
سُقِيتَ بِحَدِّ رِمَاجِهِمْ عِجْلُ
فِيهِ السُّنَانُ كَأَنَّهُ جَذْلُ
فِي الرُّوعِ لَا مِثْلَ وَلَا عَزْلُ

زَلْتُ بِكِنْدَةٍ بَعْدَهُ النُّعْلُ
 صَدْرُ الْقَنَاءِ أَمَامَهُ النُّضْلُ
 وَرَمَوْا فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ النَّبْلُ
 قَوْمٌ لِأَوَّلِ عِزِّهِمْ أَضْلُ
 مَذْرُوبَةٌ أَنْبَايَا عُضْلُ
 وَلَا يَكُونُ وَقَاعُهَا الْخُتْلُ
 نَحْسٌ وَأَنْ وَقُوعُهُمْ جَهْلُ
 كَالنَّارِ أَشْعَلُهَا الْغَضَا الْجَزْلُ
 فَلَا مَهْمُ بِمَا لَقُوا الثُّكُلُ
 فَجَاءَ بِهَا وَأَقْضَى الْقَتْلُ
 وَتَعَقَّبْتُ مِنْ خَلْفِهِ الرَّحْلُ
 تَرَكْتُ نَوَائِحَهُ لَهَا شُغْلُ
 مِنْ وَقَعَ حَدٌّ سَيُوفُنَا مَجْلُ
 بِلِسَانِهِ مِنْ جَنَةِ خَبْلُ
 كَالْمَلِيحِ أَخْلَصَ لَوْنُهُ الصُّفْلُ
 غَلَبَاءُ يَحْفِزُهَا بِهِ الرُّكْلُ

تَرْكُوهُ يَكْبُو لِلْجَبِينِ وَقَدْ
 مُتَجَدِّلاً قَدْ دُقَ فِي خَيْزُومِهِ
 وَإِذَا هَوَازُنُ صَاحَ جَمْعُهُمْ
 قَصَدْتُ بِأَعْجَازِ الرِّمَاحِ لَهْمُ
 كَالْأَسَدِ تَسْمُو كُلَّمَا هَيَّجَتْهَا
 لَا تُسْتَهْدُ إِذَا يُصَاحُ بِهَا
 عَرَفْتُ هَوَازُنَ أَنْ يَوْمَهُمْ
 وَلَوْ فِي أَكْتَافِهِمْ مَشْهُورَةٌ
 [يَوْمٌ] اتَّقُوا بَنِي ثَمِيرَ خَلْفَهُمْ
 فَاخْتَلَّ حَدُّ الرُّمَحِ بُخْنَةً (؟) غَايِرُ
 يَوْمَ النَّسَارِ غَدَاةٌ أَسْلَمَ قَوْمُهُ
 وَابْنُ الشَّرِيدِ قَدْ اسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ
 وَيَسُو تَمِيمُ بِالْجَفَّارِ أَصَابَهُمْ
 وَثَوَى عُتَيْبَةُ فِي الْمَكْرِ كَأَنَّمَا
 يَكْبُو وَأَوْجَرَهُ ذَوَابُّ صَافِيَا
 وَنَجَتْ إِذْ اخْتَلَطَ الظَّلَامُ بِحَاجِبِ

- ١٦ -

وقال بشر ، وتروى لغيره :

وَضَاقَ أَلْهَمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
 فَكَادَ الْقَلْبُ مِنِّي يُسْتَظَارُ
 لَهَا بِفَوَارِعِ الْأَوْدَاةِ نَارُ
 وَذَكَرَاهَا إِذَا حَانَ ادُّكَارُ
 فَمَا لِلْعَيْنِ إِذْ بَانَتْ غَرَارُ
 نَجَارُ الصَّالِحِينَ لَهَا نِجَارُ
 نَقَا دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارُ

طَرِبْتُ وَهَاجَكَ الشُّوقُ الْمَعَارُ
 لِذِكْرِي مِنْ قَدُورِ فَارَقْتِي
 نَظَرْتُ وَصُحْبَتِي بِمَنَى فَلَاحَتْ
 فَحَبُّ بِنَارِهَا نَارًا إِلَيْنَا
 فَقَدْ شَغِفَ الْفَوَادُ بِذِكْرِ خَوْدِ
 هَضِيمِ الْكَشْحِ آتِسَةً لِعُوبِ
 كَانَ الْبُوصَ وَالْأَزْدَافُ مِنْهَا

كَانَ الْيَاسِمِينَ وَنَفَخَ مِنْكَ
وَمَاءَ سَحَابَةٍ مَطَرَتْ غُدُوًّا
تَعْلُ بِهَا ثَنَابًا أَمْ عَمِرُوا
فَلَيْسَتْ رَوْضَةً بِالْحَزْنِ تَنْدَى
بِطَائِبِ نَفْحَةٍ مِنْهَا إِذَا مَا
فَمَا بِالْحُبِّ مَا اسْتَعْفَفْتَ إِثْمُ
تَقُولُ لِي الْعَوَازِلُ : لَا تَزُرْهَا
يَعَا وَصَالِ ذَاتِ الدِّمِّ قَلْبِي
وَهُمْ قَدْ طَلَبْتُ وَلَوْ تَرَخِي
وَمَوْلَى قَدْ أَجَبْتُ إِذَا دَعَانِي
طَلَبْتُ بِرَأْيِهِ (؟) فِي الْقَوْمِ حَتَّى
أَبَى لِبَنِي خَزِيمَةَ أَنْ فِيهِمْ
هُمْ فَضَلُّوا بِخَلَاتٍ مَعْدًا (٤٥)
نَقُودُ الْخَيْلِ لِلْأَعْدَاءِ شُعْنًا
وَأَنَا لَا تُرِيدُ جَوَارَ قَوْمِ
فَتِلْكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِينَا
فَمِنْهَا يَوْمٌ أَوْدَ وَيَوْمٌ بِشَرِّ
وَيَوْمٌ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ مِنْهَا
وَمَقْتُلُ مَالِكِ وَبَنِي بُجَيْرِ
وَوَقْعَةُ قَطِيطٍ وَمُصَابُ قَيْسِ
وَعَادَرْنَا عُتَيْبَةَ فِي مَكْرٍ
وَلَاَقْتُ بِالرُّشَاءِ بَنُو ثَمِيمِ
فَوَارِسَ مِنْ بَنِي دُوْدَانَ شِمًا
وَجَرُّوا فِي مَكْرِهِمْ ابْنَ حِصْنِ
وَزَيْدُ الْخَيْلِ أَفْلَتْنَا حَرِيضًا
وَأَسْلَمَ مَكْتَفَا فَشَوَى أُسِيرًا

ذَكِي الرِّيحِ حَلَّ بِهِ التَّجَارُ
أَعَالِيهَا مُعْتَفَةً عُقَارُ
إِذَا مَا الدُّيُوكُ حَانَ لَهُ اسْتِحَارُ
تَبَاهَى النُّورُ فِيهَا وَالْعَرَارُ
تَكْشَفُ عَنْ مَعَاصِمِهَا السُّوَارُ
وَلَيْسَ بِأَحْسَنِ التَّشْيِيبِ عَارُ
فَمَنْ هَذَا إِذَا هُجِرَتْ يُزَارُ؟
وَتُعْجِبُنِي الْمَمْنَعَةُ الْخِيَارُ
بِحَرْفٍ قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّفَارُ
مُحَافَظَةٌ وَلَيْسَ لَهُ انْتِصَارُ
تَكْشَفُ عَنْ نَوَاطِرِهِ الْغُبَارُ
قَدِيمَ الْعِزِّ قَدْ عَلِمْتَ يُزَارُ
كَوَامِلَ حَيْثُ مَاحَلُّوا وَسَارُوا
تُغَادِرُ فِي مَنَازِلِهَا الْمَهَارُ
وَنُؤْيَ فِي الْحُرُوبِ فَنُسْتَجَارُ
وَأَيَّامَ مُضَيِّنَ لَنَا كِبَارُ
وَيَوْمَ عُكَاظِ مِنْهَا وَالنُّسَارُ
وَصَخْرُ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ اغْتِدَارُ
وَيَوْمَ لِلْمَسِيْبِ وَالْجِفَارُ
وَيَوْمَ بِالْخَلِيفِ لَهُ أَوَارُ
يَنْوُو بِتَغْلِبِ فِيهِ انْكِسَارُ
فَوَارِسَ مَا يَرُوعُهُمُ الْجَهَارُ
كِرَامًا يَغْتَزُونَ إِذَا اغَارُوا
بِأَرْمَاحٍ كَمَا جَرُّ الْخَوَارُ
وَنَجَاهُ مَعَ الْقَدْرِ الْفِرَارُ
ثَلَاثَ سِنِينَ فِي ذَاكُمُ إِسَارُ

وَكَبَّلْنَا مُعَاوِيَةَ بْنَ ثَوْرٍ زَمَانًا فِي الْحَدِيدِ لَهُ خُورٌ

- ١٧ -

وقال بشر يرثي أخاه سميراً ، وقتلته جعفي ، قتله شراحيل بن الأصهب الجعفي :

أُسْمِيرُ هَلْ لَكَ مِنْ مَكَانِكَ تَخْرُجُ؟
حَتَّى تَبِيجَهُمْ سُمْيرٌ وَرُبَّمَا
غُصْبًا نَهَارُكَ كُلُّهُ تَمْضِي بِهِمْ
لَيْلَ التَّمَامِ بِكُلِّ أَغْبَرٍ تَجْهَلُ
وَتَرُدُّ مَنْ قَطَعَ النُّعَاسَ عَلَيْهِمْ
وَلَرُبَّمَا حَلَّتْ بِرَحْلِكَ بَازِلُ
حَتَّى يَجْرُ الْجَازِرَانِ جَنِينَهَا
فَيُصِيبُ مَنِيرَهَا بِأَغْبَرٍ تَجْهَلُ
أُسْمِيرُ قَدْ شَمَتِ الْعَدُوُّ وَأَزْعَجُوا
جَرَّ النِّسَاءِ ذُبُولَهُنَّ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا تَشَاءَ رَأَيْتَ أَيْتَضَ وَأُضْحَا
جَزَعًا وَلَسْتُ الدَّهْرَ لِأَيِّمٍ حُرَّةً

فَنَقُولُ لِلرُّكْبِ السَّرَاعِ تَعْرُجُوا
هَيَّجَتْ أَصْحَابَ الْقَنَّا فَتَهَيَّجُوا
وَتَقُولُ : قَدْ ذَهَبَ الْعِشَاءُ فَأَذِلُّوا
حَتَّى تَرَاهُ وَصُبْحُهُ يَتَبَلَّجُ
قِطْعًا عَسَاكِرُهُ تَدُورُ وَتَذُرُّجُ
عَوَجَاءَ فَاتِلَةُ الْمَرَاقِي تَوْسُجُ
وَالْحَدُّ مِنْهَا بِالنَّجِيعِ مَضْرُجُ
ذَنْبٌ يَنْأَزِعُهُ الْغُرَابُ الْأَعْرَجُ
قَرَعَ الْحَدِيدُ بِكُلِّ أُوبٍ يُزْعِجُ
شِبَّةَ الظُّبَاءِ مَقِيلُهُنَّ الْعَوْسُجُ
وَذِرَاعُ بَاكِيَةٍ عَلَيْهَا دُمْلُجُ
تَبْكِي عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ أَوْ تَنْشِجُ

- ١٨ -

وقال بشر بن أبي خازم :

أَمِنْ أَحْلَامِكُمْ كَلَفْتُمُونِي
أَيُّسُوا الْقَوْمَ إِنْ لَمْ تَطْعَنُوهُمْ
جَدِيلَةَ قَاطِنِينَ عَلَى لَوَاءِ
أَسْوَدَ الْغَيْبِ^(٤٦) فَهَذَا الْقَلَاءِ

- ١٩ -

وقال بشر يمدح بني ثمامة بن أثال بن أبي حبيبة ، وذلك لأنهم كانوا أسروا أخاه فأنعموا عليه :

لَمَّا أَتَى قُرْآنَ أُسْلَمَ وَذَقَهُ وَتَوَى وَذَامَ
لَمَّا أَتَى حَجْرًا تَغْلَغَلَ فِي الْمَزَارِعِ وَالْأَكَامِ
إِنْ كُنْتُ سَائِلَةً عَنِ الْقَوْمِ الْكِرَامِ بَنِي الْكِرَامِ
فَبَنُو ثَمَامَةَ خَيْرٌ مَنْ نَطَقَ الْفَصِيحُ مِنَ الْكَلَامِ
لِحُدُودِهِمْ فَضْلٌ عَلَى الْأَجْدَادِ فِي الْعَصْرِ الْقِدَامِ

- ٢٠ -

قال : وغزت بنو أسد هوازن ، ثم بني جشم وسعد بن بكر ، فصبرت لهم
جشم وسعد ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتى أصيب في بني جشم وبكر ،
وأصاب بنو أسد لهم إبلا . وقال بشر بن أبي خازم :

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَمْ تَسْمَعْ بِمِثْلِهِمْ
حَيًّا كَحَيِّ لَقَيْنَاهُمْ بِبُسَيَّانَا (٤٧)

- ٢١ -

وقال بشر بن أبي خازم :

هَاجَتْ هَوَاكَ بِرُقَّةِ الْأَطْلَالِ
يَنْهَى الْعَوَاذِلُ عَنْ قَذُورِ وَحْيِهَا
أَقْصِرْنَ بَعْضَ عِتَابِكُنْ فَإِنَّمَا
يَبْضَاءُ يَشْغَفُ ذَا الصَّبَابَةِ زَيْهَا
لَمْ أُنْسَ نَظَرَتَهَا عَشِيَّةَ أَعْرَضْتُ
فِي جَحْفَلٍ لَجِبَ جَمِيعِ أَمْرِهِ
وَاعْتَادَ عَيْنًا مِنْ قَذُورِ خِيَالِ
قُلْ لِلْعَوَاذِلِ أَمْرُكُنْ مُذَالُ
ذَهَبَتْ بِعَقْلِي طِفْلَةٌ مَكْسَالُ
وَتَفْتُلُ بِكَلَامِهَا وَدَلَالُ
وَالْعَيْسُ صُغُرُ فِي الْبَرِّينِ عِجَالُ
جَمُ الْعَدِيدِ يَقُودُهُ الْأَزْوَالُ

- ٢٢ -

وقال بشر بن أبي خازم :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ هَائِمًا مُسْتَعَارًا
تَيَمَّنَتْهُ حَوْرَاءُ لَا عَيْبَ فِيهَا
أَحْسَنُ النَّاسِ مُقْلَةً وَدَلَالًا
خَاطِبَ اللَّبِّ إِذْ ذَكَرْتُ التَّوَارَا
مِنْ جَوَازِي الْكَيْبِ لَمْ تَأْتِ عَارَا
وَحَوَارَا إِذَا أَرَدْتُ حَوَارَا

لَمْ أَخَفْ بُخْلَكُمْ فَأَخْلَفَ ظَنِّي
وَنَقَضْتَ الْعُهُودَ يَا حُبُّ نَفْسِي
إِنْ تُكُونِي غَدَرْتُ بِالْعَهْدِ عَمْدًا
وَرِثَ الْعِزُّ عَنْ إِبِ كَانِذَا عِ
سَارَ بِالْجَيْشِ فَاسْتَبَاحَ بَنِي كَعْدِ
وَاسْتَبَى الْبَيْضَ كَالْتَمَائِيلِ قَسْرَا
وَعَمِيرٌ وَعَامِرٌ نَالَهُمْ مِنْ
وَنَمِيمَا قُذْنَا إِلَيْهِمْ جِيَادُ الْخَدِ
فَلَقَوْنِي أَعَزُّ مِنْ قَوْمٍ لَقِيَا
فَلْنَا ذُرْوَةَ الْعَدِيدِ قَدِيمَا
بِاخْتِمَالِ الْمِشِينِ؟ إِذْ هَابَهَا النَّا
نَغْفَرُ الْكُومَ فِي الشَّتَاءِ الْمَجَالِيهِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى سُمِيرٍ إِذَا مَا
وَتَسَامَتْ كُمَاتُهَا لِضِرَابِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى سُمِيرٍ إِذَا مَا
إِنْ يَكُنْ قَدْ تَبَدَّلَ الْيَوْمُ بَيْنَا
فَلَقَدْ كَانَ عِصْمَتِي وَرَجَائِي

وَكَدَيْتَنِي الَّذِي رَأَيْتَ مِرَارًا
بَعْدَمَا قَدْ نَشَرْتَ لِي الْأَسْرَارَا
فَلَقَدْ خُنْتُ مَا جِدًا مَغْوَارَا
رُ وَكَانَ الْمَسْوَدُ الْمِظْفَارَا
بِ عَلَى رَغِيمِهِمْ وَحَلَّ الدِّيَارَا
وَأَقَاءَ الْعَبِيدَ وَالْأَعْكَارَا
نَا عَذَابٌ غَدَاةٌ حَلُّوا النَّسَارَا
جِلَ قُبَا حَتَّى وَرَدْنَا الْجَفَارَا
نَ وَخَيْرٌ مَأْتِرَا وَنَجَارَا
وَفَضَّلْنَا بِالْمَكْرُمَاتِ نِزَارَا
سُ وَأَنَا لَا نَخْفِرُ الدُّمَرِ جَارَا
بِ عِشَارَا وَنُعْظِمُ الْأَخْطَارَا
جَالَتِ الْخَيْلُ أَوْ رَهَقْنَ الْخَبَارَا
وَأَثَارَتْ مَعَ الْعَجَاجِ غَبَارَا
رَكِبَ الْخَيْلَ أَذْرَكَ الْأَوْتَارَا
فِي قِيَافٍ مِنَ الْبِلَادِ قِفَارَا
وَأَرَى الْعَيْشَ قَانِيَا غَرَارَا

آخر شعر بشر في جميع الروايات

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله وسلم

الاختلاف بين المخطوطة والمطبوعة :

هناك اختلاف بينها في ترتيب القصائد ، فالمطبوعة مرتبة على الحروف بخلاف المخطوطة ، وفي ترتيب بعض أبيات القصائد ، وفي ورود بعض أبيات أخرى في إحداها وخلو الثانية منها ، والكثير من ذلك في المطبوعة ، إذا يظهر أن المحقق الكريم أضاف من الكتب أبياتاً كثيرة .

ومن أمثلة الاختلاف أبيات وردت في القصيدة الـ (٢٣) من المطبوعة ص (١٠٩) فيها إقراء ، وقد وردت في المخطوطة (٤٥١) باعتبارها قطعة منفصلة لاصلة لها بتلك القصيدة وهذا نصها :

وقال بشر بن أبي خازم :

تَعْفَى بَعْدَ سَاكِنِهِ لِفَاعٍ فَعَرَّبِي الْجَزَائِرِ فَالْدِرَاعُ
فَجَنَّبُ عُنَيْزَةٍ فَذَوَاتُ خَيْمٍ بِهَا الْغَزْلَانُ فَالْبَقَرُ الرَّتَاعُ^(٣٨)
تَحْمِلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَانُوا فَأَبْكَنِي وَقَدْ ظَلَعْتَ رَوَاعُ
وَكُلُّ غَضَارَةٍ لَكَ مِنْ حَبِيبٍ لَهَا بِكَ أَوْ لَهَوْتُ بِهِ مَتَاعُ
قَلِيلُ وَالشَّبَابُ سَحَابٌ رِيحٍ إِذَا وَلَّى فَلَيْسَ لَهُ اِرْتِجَاعُ

أما القصيدة الـ (١٦) في المطبوعة ص (٨٠) فقد وردت في المخطوطة (٤١٢) ولكن كثيراً من أبياتها ترك الناسخ لها بياضاً ، قد يكتب صدر البيت أو عجزه ويترك باقيه ، ومن أمثلة الاختلاف في هذه القصيدة بعد البيت الـ (١٦) ص (٨٤) :

أَبُو صَبِيَّةٍ شُعْبٌ تُطِيفُ بِشَخْصِهِ كَوَالِخُ أَمْثَالُ الْيَعَاسِبِ ضُمُرُ
بعد هذا في المخطوطة :

فَأَرْسَلَهَا حَتَّى إِذَا كِذَّنَ رَدَّهَا عَنْ [ثم بياض]
فَعَضُّ عَلَى إِنْهَامِهِ وَتَقَادَفَتْ بِهِ أُرْبَعٌ لَمْ تُؤَيِّهِ حِينَ يَحْضُرُ
البيتان لم يردا في المطبوعة .

وفي المطبوعة البيت الـ (١٩) ص (٨٥) :

فَلَوْ كُنْتُ إِذْ خِفْتُ الضِّيَاعَ أَسْرَتُهُ بِقَادِمٍ عَصْرِ قَبْلَتَا هُوَ مَسْرُ^(٩)
وقال المحقق في الحاشية (مسر : هكذا رسمت هذه الكلمة في الأصلين المخطوطين ولم تعرف ماهي) .

أما في المخطوطة فنصه :

وَلَوْ كُنْتُ إِذْ خِفْتُ الضِّيَاعَ أَسْرَتُهُ بِقَادِمٍ عَيْرٍ قَبْلَمَا هُوَ مُسِيرٌ

وعلى الياء شدة - ويستقيم الوزن باسكان واو (هو) .

ومن الاختلاف أيضاً القطعة الـ (٩) ص (٤١) في المطبوعة : لا توجد في المخطوطة ولكن فيها قطعة تتفق معها في المعنى والوزن والقافية ، وتزيد عليها بيتاً واحداً انظرها تحت رقم (١٣) فيما تقدم .

وسأكتفي بذكر الاختلاف في الكلمات بين المخطوطة والمطبوعة مُشيراً إلى أن المحقق الكريم نقل عن كتاب « مختارات ابن الشجري » في الحواشي فأكثر النقل عن الإختلاف بين ما ورد في هذا الكتاب وبين ماورد في المخطوطة الذي اعتبرها أصلاً لمطبوعته هذه ، ويظهر أن ابن الشجري اعتمد على أصل مماثل للأصل الذي نقلت عنه المخطوطة إذ كل الكلمات التي أوردها المحقق الكريم عن ابن الشجري مخالفة لأصله تتفق مع ماورد في هذه المخطوطة لذلك اكتفيت بما نقله المحقق في تلك الكلمات .

كما أنني لم أشر إلى ما ظهر لي أنه من أخطاء الناسخ - وما أكثر أخطاءه !! - مما خالف به ماورد في المطبوعة ، وإنما نقلت ما اتضح لي عدم الخطأ فيه ، ومنه مانقل المحقق في الحاشية ، وأشرت بالرقم الأول إلى صفحة المخطوطة وبالرقم الثاني إلى رقم البيت من الشعر :

المخطوطة	المطبوعة
٨/٨ وماضِمٌ أَجْمَادُ الْخَوَارِ	وماضم أجواز الجواء
١٤/١٠ بادِي الضَّغِينَةِ	بادي الظعينة
١٥/١٠ وينصره .. إلى الرُّوع	وينصرنا .. إلى النصر
٢٤/١٢ نَصْرٌ من يتغيب	لَوْمٌ من يتغيب
٢٥/١٢ أَبَاتُوا لِسِرْحَانِ	أَبَاتُوا بِسَيِّحَانِ
٢٨/١٢ وَالْدَّمَآ تَنْصَبُ	والدَّمَآ تُصَيَّبُ

جَرَيِ الْمَقِيَّاتِ	جَرَيِ الْمَقِيَّاتِ	١٤/١٧
تذكر منها	تذكر منا	١٥/١٧
يثور	يثوب ^(٤٩)	١٦/١٧
تفرأ من هول	تفرع من خوف	١٩/١٨
مُسْتَحْقِبُوا الْبَيْضِ	مُسْتَبْطَنُوا الْبَيْضِ	٢١/١٩
فإن أباك قد لاقى غلاماً	وأن أباك قد لاقاه قِرْنٌ	٣/٢٥
لم يكن يكسي لغاباً	لم يكن نكسا لغاباً ^(٥٠)	٤/٢٥
فَمُثْقَبٌ	فَمُثْقَبٌ	١/٣٣
تَكْفَأُ ^(٥١)	تَكْفَكْفُ	٤/٣٥
ضامزة	ضاحية	١٦/٣٨
شُرْبٌ	قُطْبٌ	٢٣/٢٩
مالي أو صلاحي	مال أو نجاح	١٨/٤٦
وليس مُبِينٌ في الدار	ولم يَغْبَرْ بِجَوْ الدار ^(٥٢)	٢/٤٩
مَبِيْتُ ظُعَائِنِ	مَبَاءَةُ ظَاعِنِ	٢/٤٩
مُنْهَرٌ	في نَحْرِي	٤/٤٩
شحيح الصبابة .. وقبلك .. سجيح	اللحاجة .. وقبلك .. شحيح	٦/٥٠
كَجُتِ النمل	كَجَتِ النمل	٨/٥٠
ارتغد	ارتفع	١٠/٥٠
بَارِئِنَاتِ	بَابَارِيَاتِ ^(٥٣)	١١/٥٠
يُحِبُّ بِهَا جَدَايَةَ	كَلَابِ أَبِي دُجَانَةَ	١٣/٥١
ومحض	عَشِيَاءُ	١٢/٦٤
الصوار	الظُّوَارُ	١٦/٦٥
طوال الدهر	وطول الحبس	٢٢/٦٦
وشبت طِيءُ الْجَبَلَيْنِ حرباً	وشب لَطِيءُ الْجَبَلَيْنِ حَرْبٌ	٢٥/٦٧
كهادم عزه	كجادع أنفه	٢٧/٦٨
وأنزل خوفنا سعداً بأرض	وأنزل قومه سعد بن عمرو	٣١/٦٩

هناك إذ تجير ولا تجار	بخرج لا تمار ولا تجار	٣١/٦٩
عُقِيلُ بالمرانة	صَحَارُ فالقضية	٣٢/٧٠
ضمزت بِجَرَّتِهَا سُلَيْمٌ كما ضمز	ضَمَرْتُ بِحَرَّتِهَا سليم كما ضمز	٣٤/٧٠
يزل الغفر .. بحافاته	تزل الطير بأرجائه	٢/٨١
هي العيش .. أعصر	هي الهم .. أعسر	٤/٨١
إن ليلي وشأنها	إذ نأت عنك دارها	٥/٨٢
وإن وعدتك الوعد لا	وقد يعتدى للمرء ما	٥/٨٢
إذ لم يكن فيه للذي اللب معبر	بعوجاء مرقال تروح وتبكر	٦/٨٢
بِحَرَبَةٍ مَوْشِيُ القوائم مُقْفِرُ	لَبَاحُ أَخُو قَفَرٍ يُرَاحُ ويمطر	٧/٨٢
عروقي كأنها	أسيل كأنه	١٠/٨٣
لَلْقَيْتَ	لَا قَيْتَ	٢١/٩١
عتية ذات خرص	.. عيتة يوم خرص	١٤/٩٢
المشاعب من نمير	المساعر من نمير	٥١/٩٢
وقد هَتَكْنَ مِنْ كعب	فما جعلوا على كعب	٥١/٩٢
غداة أَتَيْتَهُمْ	.. فما حلبوا بها	١٧/٩٢
شَجَرْنَاَهُمْ	فَنُشِّنَاَهُمْ	١٧/٩٢
مشفقة بها نفرى النُّحُورَا	تدق نساؤهم منها النُّحُورَا	١٧/٩٢
بالجفير	مِنْ حَفِيرٍ	١/٩٤
تلاعبت .. الهوج منها	تلعبت .. بها ومنها	٢/٩٤
وُشِمَ الرواهش	وُشِمَ النواشيرُ	٤/٩٥
يَسِرُ يَسُورُ	يَسِرُ يَسِيرُ	٨/٩٥
الشعيرة يوم كبير	الشقيقة يوم كبير	٩/٩٦
نقض .. شفاها	طلب .. شفانا	١٢/٩٦
عند الحدود	عند اللقاء	٤/٩٨
بِحَرَبَةٍ	بِسُرْبَةٍ	٨/١٠١
الصناع قرائن	المَحَارِ يثيرها	١٠/١٠٢

إثارة مِعْطَاش	إثارة نَبَاش	١٠/١٠٢
ونبذ خصال	وباقى نَصِي	١١/١٠٢
شعلة	عشوة	٢٠/١٠٤
الفنيق الجافر	الفنيق الفادر	٢١/١٠٤
مع السرقتخاء	مع النجم تخاء	٣/١٠٧
نتوءا إذا ما الال - الخ	نبوا كما نبأ المفرح باليفاع	١٠/١١٠
مرته الريح في	زهته الريح من	١٤/١١١
ربعها	رسمها	١/١١٣
لم يمنحوك .. واسع	لم يمنحوك .. نافع	١١/١١٥
عند التفاضل	سهل المباءة	١٦/١١٧
من بين الخدور	خُو في الخدور	٨/١١٩
شبهها للبدر	مثل الهلال	٦/١٢٤
فالطلوع	فالطلول	٥/١٣٠
بعرصتها حمامات	بأكتاف الديار قَطَا	٦/١٣٠
ولا ذكراكها	وكثرة ذكرها	٧/١٣١
يَنجِيْ هُمُ	تُحْنُ هَمَا	٩/١٣١
بلوى حُبِي	بلوى حُفِي	١٠/١٣١
من غمدان .. البغال	من عندان .. النعام	١٤/١٣٢
حين يفرعها	حين يقرعها	١٧/١٣٣
فسائل عامراً وبني غير	سلوا عنا القبائل من معد	١٩/١٣٣
حزمي واحف	حزمي واهب	٣/١٣٧
خلف المناطق	فوق العماية	٨/١٣٩
كصليف المناطق	كصليف القدح	١٢/١٤٠
ينشن الغصن	ينوش الغض	٥/١٤٣
وحاجة آلف .. صرما	وخَلَّه آلف .. هجرا	١١/١٤٥
أو بشوط .. ذي كهاف	أو بشرج .. في كهاف	٢٤/١٤٨

تغنيہ	٢٧/١٤٩	تغنيہ
تغیر .. فشرق	٢/١٦١	تنکر .. فشرح
ولا مدت	٥/١٦٢	ولم تنق
وحق	٩/١٦٩	وخب
مُتَلَبِّ	١٢/١٦٩	مُسَلَّجِب
خاضل	٥/١٧٢	خضيل
بغموس	١٢/١٧٣	بصقيل
ناوا	١/١٧٥	ضارب
منهم	٥/١٧٦	والعلی
نهاما بخطمة .. تعظم	١٩/١٩١	نعاما بوجرة .. ترد
وأولادها	٣/١٩٣	واطلاؤها
أمثال خذاري	٦/١٩٣	أمثال الخذاري
جفر يينبم	٧/١٩٤	جفر ابن ضمضم
وقد بلي	٢٣/١٩٨	وقد نقب
صام حرباء	٢٥/١٩٨	قام حرباء
برحلي أمامه	٢٨/١٩٩	برحلي أمامها
برقة عيهل	٢٤/٢٠٧	برقة عيهم
لله أمكم .. جمع	٤/٢١٨	للرحمن درهم .. حي
عد من عمرو	١٧/٢٢٣	طيء عدت

ويعد إعداده ماتقدم للنشر أتحفي الباحث المحقق الدكتور حاتم صالح الضامن بورقات مصورة تحوي مقطوعات من شعر بشر أوردتها الأستاذ الدكتور عزة حسن ملحقة بديوان الشاعر في طبعته الثانية التي نشرتها وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٣٩٢هـ بعنوان (زيادات مخطوطة مكتبة آل باش أعيان) في البصرة من ديوان بشر، فإذا هي تحوي من الزيادات قسماً من المقدمة النثرية التي تقع في أول الديوان ثم عشر مقطوعات هي :

١- تداركني أوس - البائية في ٨ أبيات .

- ٢- طربت وهاجك الشوق المعار- في ٣٥ بيتاً .
 - ٣- أسمى هل لك من مكانك مخرج ؟- في ١٢ بيتاً .
 - ٤- بان الخليط ولم تزر جمل- في ٣٢ بيتاً .
 - ٥- هاجت هواك ببرقة الأطلال- في ٦ أبيات .
 - ٦- ألا ابلغ خزيمة - البائية في ٣٣ بيتاً .
 - ٧- تعفنى بعد ساكنه لقاع- في ٥ أبيات .
 - ٨- أمين أحلامكم كلفتموني ؟- في بيتين .
 - ٩- لما أتى قرآن اسلم- في ٥ أبيات .
 - ١٠- أصبح القلب هائماً مستعاراً- في ١٧ بيتاً .
- وهذا الشعر كله قد ورد في المخطوطة العمانية كما ان هناك قصائد أخرى وردت فيها ولم ترد فيما أضافه الدكتور عزة حسن ، مما يتضح منه التباين بين المخطوطتين ، ويتضح هذا أيضاً في الاختلاف في رواية الأبيات .
- ومما تقدم يتضح أن المخطوطة العمانية تحوي زيادات من شعر بشر نحو ٦٧ بيتاً .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) ص ٢٢/٢٣ مقدمة الديوان - وانظر مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٢٩٩ - .
- (٢) في مطبوعة (جامعة الإمام محمد بن سعود) من « الجوهرة » من ص : ١٨٦ إلى ٢٣٧
- (٣) في الأصل (اليشكري) خطأ
- (٤) لعل الصواب (الدار)
- (٥) لعل الصواب (على حرف العين)
- (٦) دخله خرم بحرف وفي ديوانه (أذكرت)
- (٧) كلمة (مثل) ليست واضحة . وجنافة قال عنه ياقوت في « معجم الأدباء » : جنادة بن واصل الكوفي : .. لا علم له بالعربية ، كان يصحف ، ويكسر الشعر ولا يميز بين الأعراس المختلفة .. من علماء الكوفة القدماء ، وكان كثير الحفظ ، في قياس حماد الراوية . انتهى والجصاص - لم أميز اسمه هل

هو بالجيم أو الحاء أو الخاء . وهل الضاد مهملة أو معجمة ، فضلاً عن معرفته .

- (٨) في الأصل (يجى) مهملة من التقط .
(٩) كلمة غير واضحة .
(١٠) في الأصل (رجل)
(١١) في الأصل (طي)
(١٢) كلمة غير واضحة ولعلها (زُفَّت)
(١٣) كذا ولعل الصواب : (أفلا أخبرك)
(١٤) كذا وليس زهير مَرِيّاً ولا غطفانياً - بل مُزَيّاً - كما ورد فيها ساق من نسبه .
(١٥) كلمة غير واضحة .
(١٦) كلمة غير واضحة وقد تكون (الأرقم)
(١٧) كذا ولم أجده في ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور م. محمد حسين
(١٨) في الأصل (فالقطنيات) وكذا ورد هذا البيت ثانياً . وعمله الأول
(١٩) ج ٢ ص - ٣٣٦ - الطبعة الأولى
(٢٠) في الأصل (باطراد)
(٢١) وفيها البيت المشهور :
عسى الهمم الذي أمسيت فيه
يكون وزأه فرج قريب
(٢٢) مصدرة بـ (وقال الشاعر الأديب المشفر (؟) بن مالك الأزدي)
(٢٣) ج ٢ ص ٤٦
(٢٤) انظر ص (٤٩٦)
(٢٥) ص ٢٣ هامش
(٢٦) «معجم الأدباء» لياقوت : ٣ ص ١٤٤
(٢٧) هي ٤٢/١٩/١٤/١٣/١٢/٩/٦ .
(٢٨) ص (٤٠٥) من المخطوطة
(٢٩) كذا والكلام غير واضح .
(٣٠) وهي القصيدة الثالثة في الديوان المطبوع - ص ١٣
(٣١) الرهدن : نوع من الطيور أصغر من العصفور
(٣٢) القصيدة التاسعة والشعرون في الديوان - ١٤٢ - ونقل المحقق عن «مختارات ابن الشجري» ٢٦/٢ قال
أبو محمد الأخفش : مدح بشر أوساً وأهل بيته مكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة ، وكان هجاهم
بخمس ، فمدحهم بخمس ، فمن ذلك قوله : كَفَى بِالنَّأْيِ -
(٣٣) القصيدة الحادية والثلاثون من الديوان - ١٥٢ - وانظر ص ٣٣ حيث نجد للمحقق الدكتور عزة حسن
كلاماً طويلاً حول عمرو بن أمّ إياس المدوح بشر في هذه القصيدة ، وفي القصيدة السابعة ، بدون الإشارة
إلى هذه المقدمة التي لم تخل من الغموض ، إذ كيف يكون الزوج عمرو بن حجر ، والابن المدوح عمرو
بن المنذر ؟ وإنما ابنها من عمرو الحارث الملك - انظر «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ٢ ص ٢٠٨ -
تحقيق العظم -
(٣٤) القصيدة الخامسة في الديوان - ٢٤ - وقد نقل المحقق في الحاشية عن «مختارات ابن الشجري»
٣١/٢ - نحو ماتقدم ، وزاد الأمر إيضاحاً بتسمية القاتل من عدة مصادر -

البنوية أعلى مراحل السوء في ترف نظرية الفن للفن

عقيم وغير عقيم كان النقاش الطويل العريض في مسألة الفن للفن والفن للحياة . . وصار العالمُ معسَّكرين، وساد تعصبٌ، واشتد خصام، وتعالى اتهام — والمسألة مجدية وغير مجدية . . وقد مضى زمانها وانقضى على أية حال . والسعيد من كان ميزانه عدلاً، ورأيه عدلاً، وموقفه عدلاً . . . دون رخص في العرض أو رخص في المنطق، ورخص في الذوق . .

- (٣٥) وهي القطعة العشرون في الديوان — ٨٩ —
 (٣٦) القطعة الرابعة والأربعون في الديوان — ٢١٧ — ولم يشر المحقق الكريم إلى سبب قولها
 (٣٧) القصيدة السابعة والثلاثون — في الديوان : ١٧٥ —
 (٣٨) البيت الأخير من المقطوعة الثامنة — في الديوان ٤٠ —
 (٣٩) كذا ولعل الصواب : وظن بأنه الخ
 (٤٠) قطعة الرجز الـ ٤٣ — في الديوان ٢١٥ — فرد عليه عمرو بن كريب :
 بِزَجْرِكَ الطَّيْرُ عَلَى إِثْرِ النَّدَمِ إِنَّكَ يَا بَشَرُ لَنَفِي وَنَهْمٍ وَنَهْمٍ
 وَقَطْعُ كَفِّكَ وَثْقَى بِالْقَتَمِ فَأَضِرْ عَلَى شَرِّ شَائِبِ الرَّهْمِ
 إِنَّ أَبْنَ سَعْدَى ذُرَّ عِقَابٍ وَنَهْمٍ وَيَا لَلنَّاسِ بَغْدَهَا وَيَا لَلْأَنَمِ
 تَهْتَدِي إِلَيْهِ مِنْ مَوَاهِبِ الْقَسَمِ يَثْلُ الْخَرِيقِ فِي الْإِبَاءِ الْمُسْطَرِمِ
 كُلُّ أُمُومٍ ذَاتُ لَوْثٍ وَغُفْمٍ
 وأشار المحقق الكريم إلى خبر هذه المساجلة إذ نقل — ص ٢١٥ — عن « مختارات ابن الشجري » ٢٥/٢ بعض هذا الرجز بعد رجز بشر
 (٤١) فوقها في الهامش (موضع)
 (٤٢) مابين المربعات [. . .] لم يتضح في التصوير
 (٤٣) كذا ولعل الصواب : فَأَبْرَنْ
 (٤٤) كذا ولعلها : (لمقدم خل)
 (٤٥) في الأصل (معد)
 (٤٦) كذا ولعل الصواب (أسود الغيل)
 (٤٧) القطعة الـ (٤٥) ص ٢١٨ في الديوان — بدون إشارة إلى خبرها .
 (٤٨) كذا (الرباع) وفي المطبوعة (الرباع)
 (٤٩) وفوقها : (خ : يثور)
 (٥٠) وفوقها : (معابا)
 (٥١) وأشار المحقق إلى أن (تككف) تصحيف
 (٥٢) (معر يحو) بدون نقط
 (٥٣) إياريات : موضع لا يزال معروفاً بقرب رمل عالج (النفود الكبير ، حيث مَرَّبُ خَمْرِ الوحش) انظر الاسم في « المعجم الجغرافي في المملكة العربية السعودية » قسم شمال المملكة .

وفي يوم ما من أعوام الستين من هذا القرن تقوم الدنيا في أوروبا وتقعده، وربما كانت باريس مركزاً أساسياً للقيام والعودة، وتبع باريس ومثل باريس لندن وواشنطن، وعواصم أخرى في الغرب.. ثم في الشرق على علم وغير علم، وغير العلم أكثر من العلم.. والغرب أدهى من الشرق!!

وماذا جرى، وماذا جدُّ؟ أصواتُ ترتفع بالجديد، وتهاجم البحث (الأكاديمي) السائد، ويتحدثون عن الجديد بصوت مرتفع، فقد خلا الجو.. فلم يعد في باريس (اندره جيد) أو (موريالك) أو (موروا)، ولا أساطين (السوربون). ولا بد من ثورة، ومن تميز ومن اصطياذ في الماء العُكبر، فهذا ينادي برواية جديدة ليست رواية، وذلك ينادي بطلاب جدد وكأنهم أساتذة، وذلك يطالب بسوربون جديد ليست سوربوناً؟...

ماذا؟ إنها (البنوية). وترتفع أسماء تتصدر وتقود، ولم يسأل أحد أين كانت؟ ولم اختفت كل هذه المدة وهي موجودة حية ينتهي أكثرها بـ (الأوف) و(الاسكي)...

ولم يسأل أحد عن التاريخ القريب، فأين كانت هذه الأسماء؟ وما خطبها؟ لم هاجرت أو هُجرت من موسكو ولينينكراد وبراغ..؟ لقد رأت فناً للحياة يعلو، ويسود من وراء الفن للحياة طبعاً - ثورة اجتماعية ورد الحقوق لطبقة ظلمها الزمن، وفن يريد أن يعرف عن هذه الطبقة وينتقم لها وينصفها...

وصحيح أن مثل هذه الدعوة في عنفها وحديثها يصطحب بوهن هنا وضعف هناك... وصحيح كذلك وجوب درسها وإعلان نقصها، ولكن هذا الصحيح شيء وما جرى شيء آخر غير صحيح، وهو أن تجرد الدعوة من فضائلها كلاً وبغير استثناء، وتضع في قمة الفضيلة نقصاً هو عظيم كلاً وبغير استثناء. وماذا؟ الشكلائية المطلقة! لا علاقة لكاتب بمجتمع أو فكر، ولا اهتمام لناقد بظرف وعوامل خاصة، إنه لا يعرف إلا هذه الكلمات إزاءه وهي مجموعة من الحروف جملاً وسطوراً وفقراً.. وهي هي هم الأول والأخير، بل إن الفكر عيب، والأخلاق عار، والنضال نقيصة.. ويجد الشكلاليون سنداً قبل الثورة من القيصر

وأعداء الشعب والحاquدين عليه . . ويمضون
في دعوتهم، ويكوّنون مدرسة لها تلاميذها — ولسنا بصدد ظلمهم بالاتهام حيناً
وبالخطأ حيناً، ولكنهم من الغلو بما يبعث على الرية أو على المؤاخذه البرية في أقل
تقدير. . أو على الترفع من الوقوع في الغلو المطلق .

ويتشتون — مع الأسف — في الأقطار — ويبقون حيناً دون حراك ، ثم يخلو
الجوف إذا القائمة تقوم ، ماذا ؟ الجديد وما الجديد ؟ (البنوية) ! وكأن (البنوية) لم
تكن من قبل ؟ بوجهها أو بوجه أخرى . إن هذا الذي تقولونه من مبادئ
(البنوية) في الوقفة عند النص وفي تحليل النص والاستمتاع بالنص . . .
معروف، صحيح، لا خلاف فيه فما الجديد؟ التطرف المطلق، الدعوة الحارة جداً
لسيادتها مبدءاً وحيداً وفريداً من أقصى باريس إلى أقصى واشنطن مروراً بمغربنا
العربي .

لا . . لا يا اخوان هذا غير صحيح وغير معقول . . وعلى أن يكون في المسألة
سراً أبعد من متناولنا . . صحيح إنكم تتلقفونه حباً بالجديد إذ لم يكن لكم قديم،
وطمعاً بالشهرة إذ ليس لكم شهرة . . ولكن الضجة غير معقولة، وقد تكون
مفتعلة، ولم لا تكون مفتعلة؟ أنا لا أسمع لنفسي لتبالغ بالسوء في انسانيتكم
جميعاً، أو بسوء الظن في وطنيتكم كلكم، فما زلت أعدد المجالات وأعدد
الأسباب أن يكون وراء الأكمة ما وراءها . ولا أريد أن أقول: إن حركة استعمارية
كقولي يوم كان الانكليز في الهند، والفرنسيون في الجزائر، والأمريكان في فيتنام . .
لا ليست المسألة بهذا الشكل وإن كان لها قرب من الجوهر، ولا أقول: إن
مخابرات معينة من دولة معينة عملت وجدت ونظمت وبذلت لتقوم القائمة
وتستيقظ القائمة . . لا أقول حتى ولو قلت ذلك مع نفسي ولعدد محدود من
الأصدقاء والطلاب، مذ وقت مبكر . . لا أقوله ولكفي رأيت المسألة غير طبيعية
ولاني أبرئ كثيرين من أنصارها عن العمالة .

ولكن الذي أقوله وألزم به ولا أحيد عنه أن صحيح الحركة من الوقفة طويلاً
عند النص موجود قبلها وبعدها، وفي الغرب ولدى العرب، وفي فرنسا قبل

(البنوية) خصوصاً ، وفي غير فرنسا فيها عرف بالنقد الجديد ، وهذا هو النقد العربي القديم انظر إليه ، أخى الكريم ، تَرَهُ - في حدود عصره - بنويًا من حيث هو وقفة عند النص ، عند اللغة ، عند المفردة ، اقرأ أي كتاب من أقدم هذه الكتب حتى آخرها ، وليس صحيحاً الإصرار على كتاب واحد هو «دلائل الإعجاز» للجرجاني - ويعجبني أن أذكر - هنا تفسير «الكشاف» للزخشري إن دواعي «التفسير» تقضي أن يكون بنويًا بمعنى من المعاني .

المهم .. ان صحيح الحركة من الوقفة عند النص صحيح ، ومشتقات منها مَرَّتْ ذات يوم في مدرسة براغ ومدرسة موسكو ولينينكراد نحواً ونقداً وشكلانية بأدق الأسماء .. ولكن ما الذي عدا عما بدا؟ ثم لا بأس بإضافة جديدة في مَثَلٍ ، أو دراسة أو رأي .. على أن يسمو ذلك عن العبث والجمود ، والمثلثات واللوغورتمات ، والرموز بين الطاء والسين .. فيموت النص على يدك لموت فيك .. زيادة على افتيات فيك على الحقيقة التي ليست فيك ..

المهم أن صحيح الحركة صحيح .. ويمكن أن نفيد من المناهج الأخرى من تاريخية واجتماعية ونفسية ونفسانية .. أما أن تكون بنويًا وإلا .. فذلك عيب فيك أنا في غنى عن الوقوع فيه ، قد تكون سليم النية ولكنك من غير قاعدة ، قد تكون مجلدًا ولكنك من غير قديم ، قد تكون طويلًا ولكنك قصير .

أَجَلْ ، إنما الذي لا شك فيه ، هو أن مجموع البنوية - إذا أخذتها كلاً وكما آلتْ إليه في (اللوغورتمات) الأوربية وفي التبعية العربية فذلك الضلال البعيد ، ولعلك علمت من أضرار بنويين من درجة أولى أن شاموا المخرج من طريقهم المسدود في الإغارة على مناهج أخرى فهم مرة عيال على فرويد ومرة ضيوف على ماركس .. ثم - والشيء بالشيء يذكرنا اين كان (دوسوسير) قبل اليوم؟ إنه عالم لغوي طبع له تلاميذه محاضراته بعد وفاته ، ورأينا الأساتذة في الأربعينات والخمسينات في السوربون وغيرها يذكرونه كما يذكرون أي لغوي آخر . فللرجل جهده وهو واحد من عشرات آخرين ، أمّا أن يستحيل بين عشية وضحاها إماماً ، وإماماً وحيداً أوحد ، فذلك هو الضلال البعيد .

ويتفاهم الضلال.. ويشرع أناس يعودون إلى وعيهم.. فإذا عيوب البنيوية، كثيرة تستغرق مقالات وكتباً، وإذا المعقول المعقول توجيه الجهد إلى مابعد البنيوية، فتلك عاصفة عبرت وشرع الناس ينفضون، وهذه رسالة تصل إلي من صديق في جامعة الجزائر يقول: وهي مؤرخة في ١٤/١/١٩٨٥.

«زارنا في المعهد الأستاذ ميشال باربو — وهو من اللسانيين والبنيويين الفرنسيين — وألقى محاضرتين قيمتين عن عيوب البنيوية التي نفص يديه — كما أعلن — منها بعد أن أنفق عشرين عاماً في تبنيها متابعة لأستاذه كريغاس» — انتهى!! والسعيد من اتعظ بغيره.

لقد حاولت — ولا أكتفك — أن أدرس البنيوية، ولكن كنت بين اثنتين أرى في احدهما ماكنت أعرفه من قبل وهو جيد أو يمكن أن ينتفع به في الدراسات اللغوية أولاً، وفي النقد الأدبي ثانياً.. وفي ثانيتهما أرى مالا لزوم إليه وهو يجهز على روح النقد، ومن كان غنياً في نفسه كان في غنى عنه.. وفي غنى حتى عن مواصلة الدراسة فيها لاطائل تحته. هذا شيء..

وشيء آخر قلته لنفسي ولأصدقاء لي وطلبة، منذ وقت مبكر، دون ارتباط بفلسفة من الفلسفات أو صلة بنظام من الأنظمة، قلت: البنيوية — في الوجه الذي أسفرت عنه فكانت ضجة غريبة — لعبة أقل ما يقال: إنها لعبة تشغل الناس عن جدهم، وتعبث بقيمهم وتبهي ماء عكراً لمن لا سبيل إزاءه غير الاصطياد في الماء العكر.

قلت، ومنذ وقت مبكر: إنها حركة استعمارية، وكنت أعني ما أقول، أي إنني لا أتهم الأدباء الذين يلتزمون بالعمالة، فليس لدي دليل لأسمح لنفسي بذلك، كما أنني أصير على أن مخابرة خاصة لنظام خاص نظم إيقافها وشحن عزائم (الآوف) و(الاسكي)، وأثار النخوات وهدف إلى زيادة خراب على خراب العالم الثالث، وأي خراب أعلى وأسمى وأرقى من أن يعيد إليك مارفضته أسس باسم «الفن للفن» لأنك تنظر فترى في بلادك وأمتك الفوارق الطبقية والاستعمار والاستغلال والجهل والفقر والمرض.. ولكنك الآن، وأنت أنت، وأمتك أمتك

مع الثعالبي وكتابه «التوفيق للتلفيق»

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي من رجال القرنين الثالث والرابع الهجريين^(١)، (سنة ٣٥٠ - ٤٢٩ هـ). وهو صاحب التصانيف الكثيرة التي أربت على المئة كما جاء في إحصاء الأستاذ حبيب الراوي والدكتورة ابتسام الصفار، وذلك في «المقدمة» التي قَدَّمَا بها لكتاب «تحفة الوزراء».

ترى من الفخر التميز والمعاصرة أن تكون (بنوياً) تفكر بنوياً وتأكل بنوياً، متعالياً على الاجتماع والفلسفة والأخلاق.. والانسانية!! والابداع شعراً ونقداً!! أجل، لا هذا.. ولا ذاك.. وإنما الذي لا شك فيه ولا ريب ولا نقاش أن الحركة في جملتها، من حيث هي حركة وضجة ومعاصرة ومبدأ ومنهج.. تخدم الاستعمار خدمة جليلة إذ تصرف - في أقل ما فيها - الأديب عن الفكر والاجتماع والنضال.. لأن معجمها يقوم - في كل مايقول - على تفكيك لغة النص، ولك أن تحصي الحروف في القصيدة، ولك أن تربط بين هذه المفككات.. لك كل شيء تبعد به الفكر والمجتمع والإنسان لتتفرد بالشكل؟

هذا في أقل مايقال، وإلا فما المانع من أن تكون مخابرات مامن نظام ماقد فعل مافعل، وما المانع من أن يكون في اعلام الأدباء الغربيين من كانت له في تلك المخابرات يد أو رجل أو رأس!!! الكلام يطول يطول، وقليل من البنيوية لا بأس به...

ولا أمنع عليك الكثير - والكثير جداً - فانت حُرٌّ، والبنوي حُرٌّ جداً.. ولكفي أعترف بأن كلامي جاء متأخراً قليلاً - أو كثيراً - عن وقته، فعذراً لمن كان رأيه من رأيي، وعذراً كذلك لمن لم يكن كذلك - وشافعي في التأخير القصد إلى تخفيف اللهجة، وقد خَفَّتْ.

د. علي جواد الطاهر

بغداد

ومن غير شك أن هذا العدد قد اشتمل على المطبوع والمخطوط والضائع من نصابه .

على أن من أشهر ما عُرف به الثعالبي كتابين أحدهما هو : « فقه اللغة »^(٢) ، وهو معجم صغير من معجمات المعاني ، وقد ذاع اسم الكتاب حتى صار باباً من أبواب العربية . ثم كان « فقه اللغة » في العصور المتأخرة شيئاً مما ندعوه « علم اللغة » أو « علوم اللسانيات » في عصرنا .

ولم يكن الثعالبي أول من فطن إلى هذا الاسم فقد سبقه أحمد بن فارس إلى هذه التسمية ، فكان قد سمي كتابه اللغوي « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية » . ومن المعلوم أن مادة الاسم هي « فقه اللغة » ، وأما « الصاحبي » فلأنه ألفه وأهداه إلى الصاحب بن عباد ، على طريقة المصنفين في القرنين الرابع والخامس ، وقد سار على نهجهم المصنفون في القرون اللاحقة .

إن « فقه اللغة » في كتاب ابن فارس مادة لغوية تتناول الكلمة واشتقاقها ، وسائر وجوه التصرف فيها ، سعةً ومجازاً ، وهو من هنا يختلف عما كان قد أوعبه الثعالبي « كتابه » .

وأما كتاب الثعالبي الثاني فهو « يتيمة الدهر »^(٣) ، وهو من أجل كتب المؤلف ، وبه عُرف ، وإليه يرجع الدارسون في تاريخ الأدب . لقد ترجم الثعالبي لجمهرة كبيرة من الشعراء مُصَنِّفاً إياهم حسب البلدان التي انتسبوا إليها أو عاشوا فيها . وقد تابعه في منهجه هذا الباخري في « دمية القصر » ، والحظيري في « زينة الدهر » ، والبيهقي في « الوشاح » ، والعماد الاصفهاني في « خريدة القصر » ، وابن بسام في « الذخيرة » .

وجرى على هذا من تبعهم من المؤلفين على تراخي العصور حتى عصرنا ، فقد عرفنا المعاصرين يؤلفون في شعراء مصر ، وشعراء الشام ، وشعراء الحجاز وغيرهم .

وكأن الثعالبي أفاد من الشعر الذي أوعبه كتابه « يتيمة » فراح يعرض له

مُستفيداً مما ورد فيه من أغراض ، فكانت مادة لجمهوره من كتبه مثل : « ثمار القلوب » و « خاص الخاص » و « سحر البلاغة » وغيرها .

وقد يسترعى النظر أن نجد مادة كتابه مكررة في عدة كتب ، يعرض لها في « ثمار القلوب » مرة فيؤدّي بها غرضاً خاصاً ، ثم يعيدها في « خاص الخاص » فيجعلها في سياق آخر .

ثم إن « اليتيمة » قد اشتملت على تراجم مطولة فترجمته للمتنبي تؤلف كتاباً برأسه ، وترجمته للحسين بن الحجاج تؤلف كتاباً آخر ، كما اشتملت على جمهرة كبيرة من أشعاره وأخباره . ومن هنا كان المعول على هذه النماذج الكثيرة في الوقوف على شعر ابن الحجاج الذي لم ينشر ديوانه^(٤) .

ومن هنا كانت « اليتيمة » من المصادر الرئيسة في دراسة شعراء الدولة العباسية .

لقد اهتديتُ إلى نهج الثعالبي في كتبه الأدبية وأنا أُحقق كتاباً صغيراً له وهو كتاب « المتشابه » . وقد استعنت على تحقيقه بما وفقت عليه من نصوصه في كتبه الأخرى .

قلت : إن مادة كتبه الأدبية تقوم على أغراض لمحا المؤلف وهو ينظر في التصوص ، فجمع الأشباه والنظائر ، وأفرد لها كتباً تخدم أغراضاً معينة ، وهو حين يورد شيئاً منها لتخدم غرضاً خاصاً ، قد يعود إليه فيثبته في سياق آخر فيخدم غرضاً آخر .

هذه نبذة يسيرة مهّدتُ بها للكلام على كتاب « التوفيق للتلفيق »^(٥) . ولنبدأ الكلام بالتعريف بمادة الكتاب ، ولنثبت ما ذكره الثعالبي نفسه في آخر فاتحة كتابه ، قال : (... فسنح لي عمل هذا الكتاب ، المعنون بـ « التوفيق

للتلفيق ، ، فيما علق بحفظي من أجناس حُرّ الكلام ، وبديع سحر البيان في
التلفيق بين الشيء وجنّيه ، والجمع بين الشيء وشكله ، نظمًا ونثرًا ، وجدًا
وهزلاً (. . . .) .

و (التلفيق) في صنعة الشعالي هذه تعني الجمع بين النظائر والأشياء في فنون
القول .

وأصل التلفيق في اللغة هي الصنعة والزخرفة ، وأحاديث ملفقة أي مزخرفة .
وقالوا في صنعة المخطوطات : نسخة مُلفَّقة ، أي مجموعة من أصول عدة^(٦) .

ولنضرب مثلاً على التلفيق بما ورد في (الكتاب) فنقول : (مدح ابن عبّاد
رجلاً في رسالة له فقال : شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها
عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروءة^(٧)) .

أقول : والتلفيق هنا يعني أن صاحب النّخذ من الشجرة وأجزائها نظائر في
الممدوح سواء بسواء على طريقة التشبيه ، فقابل هذه بتلك .

وجملة هذا يدخل في باب (البديع) الذي أكثر منه المتأخرون ، وأغرقوا في
استعماله حتى أخرجوا الكلام من صفته البديعة البليغة إلى الألوان التافهة
المردولة . وهل كان باب (مالا يستحيل بالانعكاس) مثلاً غير لغو وعَبَث ، ومثله
التجيسات الكثيرة ونحو ذلك مما أفسد شعر المتأخرين .

غير أن الاضطلاع بنشر هذه الكتب والاجتهاد في صنعتها وتحقيقها يدخل في
باب (إحياء التراث) ، مهما كانت قيمة ذلك التراث . وينبغي أن نصح فهمنا
للتراث ، ألا نؤخذ بالشائع بين العوام وأشباههم في إلقاء صفة الإكبار والقداسة
على كل مادة قديمة ، ذلك أن طائفة من المخطوطات القديمة تشتمل على التافه
المردول الذي لا يمحّلنا على النظر إليه ما هو شائع في عصرنا لدى غير أهل
الاختصاص .

ولنعد إلى (الكتاب) فنقول : لقد قدم له المحقق السيد إبراهيم صالح بمقدمة

موجزة ، وكان ينبغي أن يتوسع فيها قليلاً فيتكلم على قيمة الكتاب العلمية ،
ومنهج المصنف فيه .

لقد عني المحقق ببيان من أهدى المؤلف إليه « كتابه » الذي أشار إليه بـ
(الشيخ السيد) وكأنه اطمأن إلى أنه السيد مسافر بن الحسن بدلالة ماورد في
« خاص الخاص » من ذكر الثعالبي (للشيخ السيد) هذا الذي خصه بالإهداء .

وقال المحقق : ترجم له الثعالبي في « تمة اليتمة » .

أقول : قد يكون اجتهاد المحقق هذا حسناً ، وأن (الشيخ السيد) في كلا
الكتابين واحد ، وهو (مسافر بن الحسن) . ولكني لا أذهب إلى الاطمئنان الذي
انتهى إليه المحقق معتمداً على ذكر (الشيخ السيد) من غير تعيين الاسم في
كتاب « التلفيق » .

ويحسن بنا هنا أن نقف على لقب (السيد) في هذه الحقة ، فنقول : إنه يعني
(الشريف العلوي) نسباً . وقد يكون (الشريف) وحده مرادفاً للسيد ، والذين
لقبوا بـ (الاشراف) هم في الغالب العلويون .

أقول : في الغالب ، ذالك أن (الشرافة) قد تمسك بها العباسيون في العصور
المتأخرة ، فكما كان نقيب للأشراف العلويين كان أيضاً نقيب للأشراف
العباسيين .

ويعد فهذه نبذة يسيرة وددت أن أخص بها « العرب » الغراء وقد رأيت أنها
مناسبة للكلام على شيء من أدب الثعالبي .

صنعاء : الدكتور إبراهيم السامرائي

[الخواشي] :

(١) مصادر ترجمته :

- « إحكام صناعة الكلام » ، للكلاعي ص ٢٣٢ (ط . بيروت ١٩٦٦) .
- « البداية والنهاية » ، لابن كثير ٤٤/١٢ (ط . مصر) .
- « دمية القصر » ، للباخرزي ٩٦٦/٢ (ط . دار الحيلة ، دمشق ١٩٧٤) .

جواهر المغاص في معرفة الخواص

للعامة عبد الله بن علي النعماني الضمدي

يُذكر المؤرخ العامة البَحَّاتَة عبد الله بن علي النعماني الضمدي بكتابه «العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني»^(١) الذي فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٧ هـ ، كما وجدته على النسخة التي بخطه سنة ١٠٥٨ و نادراً ما يُذكر له كتاب آخر غيره . — وقد وقَّفتُ على مجلِّد كبير بخط العامة المذكور يضم كل أعماله الكاملة — كما يقولون — وهي عبارة عن كتابين أحدهما «العقيق اليماني» وهو مكتوب بخط المؤلف هكذا : «العقيق اليماني في أخبار المخلاف السليماني» وما يترتب على ذلك من الأخبار والآثار ، تأليف العبد الفقير إلى كرم مولاه القدير ، عبد الله بن علي النعماني الضمدي وفقه الله لطاعته وجنبه معاصيه .

-
- ➔ — «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام ٥٦٠/٤ (ط . دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩) .
 «روضات الجنات» ، للخوانساري ص ٤٦٢ (ط . طهران) .
 «زهر الآداب» ، للحصري ١٢٧/١ (ط . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٧٩) .
 «شلمات الذهب» ، للحنبلي ٢٤٦/٣ (ط . مصر) .
 «العبر في خبر من خبر» ، للذهبي ١٧٢/٣ (ط . الكويت) .
 «كشف الظنون» ، لحاجي خليفة (في مواضع عدة) ، (ط . استانبول) .
 «مرآة الجنان» ، للياقبي ٥٣/٣ (ط . مصر) .
 «معاهد التنصيص» ، للعباسي ٢٦٦/٣ (ط . مصر) .
 «مفتاح السعادة» ، لطاش كبري زاده ١٨٧/١ .
 «نزهة الألباء» ، للتاباري ص ٣٦٥ (ط . مصر) .
 «هدية العارفين» ، لاسماعيل البغدادي ٦٢٥/١ (ط . استانبول) .
 «وفيات الأعيان» ، لابن خلكان ١٧٨/٣ (ط . دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨) .
 (٢) طبع غير مرة في بلدان مختلفة .
 (٣) طبع في مصر وأعيد نشره طباعةً وتصويراً .
 (٤) لقد هم الزميل الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر بنشر هذا الديوان الذي حققه معتمداً عدة نسخ مخطوطة ، وكان في النية أن يتولى نشره الأستاذ الدكتور المنجد ، ولكنه لم يفعل .
 (٥) من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٣ م ، حققه وعلق عليه إبراهيم صالحي .
 (٦) التلخيص في الاستعمال قد أفاد أيضاً اختلاق الكذب ووضع الأباطيل وهو الشائع في لغة المعاصرين .
 (٧) كتاب التوفيق للتلفيق ص ٤٧ .

والكتاب الثاني وهو الجديد في مقالنا هذا أسماه مؤلفه بـ: «جواهر المغاص في معرفة الخواص» لعبده الفقير ، إلى كرم الله القدير ، الخائف المستجير من عذاب الله ، الفقير عبد الله بن علي بن محمد بن علي بن حسن النعمان الضمدي - كذا على صفحة العنوان .

هذا الكتاب لم أجد من ذكره من الذين أرخوا للعلامة الضمدي ، بل لا أعلم بنسخة غير التي وقفت عليها ، ولولا أن الكتاب جميعه وجدته مخطوطاً بقلم المؤلف لشككت في نسبته .

وقد افتتحه بعد الحمدلة ، والصلاة على نبيه ﷺ ، بقوله : (أما بعد فهذه نبذة في الخواص جمعتها من كتب عديدة) ، ثم يسرد مراجعه ، وهي كثيرة ، تجد النادر منها من كتب أهل اليمن «تحفة الطب» للشيخ يحيى بن أبي بكر العامري الحرصي^(٢) و«طرفة الطب»^(٣) يقول في نسبه : للأخ المطهر بن علي النعمان الضمدي ، وهذا إرشاد مفيد يدلنا على أن إسم مطهر ليس لقباً لمؤرخنا هذا ، وإنما هو اسم لأخيه ، وقد وقع كثيراً لبعضهم تسميته بالمطهر مع اسمه الأساسي عبدالله^(٤) . . . وكتب أخرى رجع إليها لعل أهمها وأنفسها كتاب «المقالات في أصول الديانات»^(٥) لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦ الذي يُعدُّ في عداد المفقودات .

وكتابتنا هذا من الكتب الموسوعية التي تضم علوماً بحة ، يعتمد على الترتيب الأبجدي ، وهو على شاكلة «خريدة العجائب» لابن الوردي ونحوه ، إلا أن الميزة في كتابنا هذا تأتي فيما أضافه المؤلف من عنده من خبرات ومشاهدات تتعلق ببلده تهامة .

وربته على فصول : منها فصل في الحيوان والنبات والمعادن ، وفصل في خواص القرآن وآخر في خواص الأسماء ، ورابع في السيرة ، والفصل السابع في البحار ، والثامن في العيون والأنهار والآبار ، والتاسع في الجبال ، والعاشر في البلدان ، والحادي عشر في خواص البلدان ، والثاني عشر في أشياء عدها الأطباء من السُّموم ، والثالث عشر في فصحاء العرب ، والرابع في بدء الخلق وأشراف الساعة .

وهذه الفصول — كما ترى — شاملة متنوعة . وسنبتدئ بأكبر الفصول وأهمها ، وهو فصل الحيوان والنبات والمعادن ، وقد رتبته على حروف المعجم ، وابتدأ فيه بالإنسان وقد أطال فيه ، وله في ذلك عذر يقول : (وقد أطلنا الكلام في ترجمة الإنسان ، وخرجنا عن المقصود والمراد في هذا المختصر الاختصار على ذكر الخواص دون غيرها ، وذلك لشرف الإنسان على الحيوان والحديث شُجُونٌ) .

فالمؤلف بنى كتابه على الاختصار ، وجعله في ذكر خواص الأشياء ، فهو قد جمع فيه بين الطب وعلوم الكيمياء والجغرافيا ، وخاصة في المواد التي تتعلق بتلك العلوم ، — أنظر على سبيل المثال المواد التي تطرقها من عالم الحيوان فَسَتَجِدُّهُ تناول حيوانات مرتبة أسماؤها على حروفها منها : الأسد ، الإبل ، الأتان ، الأرنب ، الأروبة ، الأساريع ، الإصلة ، الإيل ، الأفعى ، الإوز ، ايس ، ابن آوى . فهذا من حرف الألف من مادة الحيوان .

أما النبات فهي : الأرز ، الإجاص ، الأس ، الأترج ، الأفيون ، الأثل . وفي المعادن الأُشْرُبُ .

ثم يتناول بقية الحروف الهجائية فيبتدئ بالحيوان ثم النبات فالمعادن ، وهكذا ، وهذا الفصل من أوسع أبواب الكتاب ، وكأنه أُلْفَهُ مُسْتَقِيلاً ، ثُمَّ أُلْحَقَ به بقية الأبواب الأخرى المشار إليها آنفاً .

والطَّرِيفُ في الكتاب أنه يشرح بعض الحيوانات والمعادن والنبات بأسمائها عند أهل تامة الدارجة عندهم ، فيقول عن ابن آوى : (ضرب من السباع ، وهو المخنق بلغتنا في تامة) . والبقلة الحمراء هي الرجل ، والحمص هو الصنبري ، والرازبانج هو الشمار ، وحب الرُشَاد هو الحرف ، والسُّذَاب من المعادن هو الطوق ، ودم الأخوين هو العندم ، والشفنين هو النعام والعدس ثم البلسن ، والمشمش : البرقوق ، والمرتك : الخبث ، وأهْيَلُ : الفاقلة ، وهكذا . "

وربما أضاف إلى الباب شيئاً من تجاربه ومشاهدته في تامة ، فهو يقول في مادة (حية) : (ومن الحيات : ذوات القرون ، قلت : بل قد شاهدناه ببلدنا عياناً غير مرة) .

ومن تجاربه ما يُصَحِّحُ بها كتب الطب التي ينقل عنها ، فهو يستدرك على الأزرق صاحب كتاب «تسهيل المنافع» في قوله عن الدخن : هو باردٌ يابس ، وقيل حارٌ خاصته يبيع السوداء) إلخ بنقد يرّد عليه هذا القول بحجة ينقلها عن كتب الطب ، ويقول : (لا يكون طبع الشيء حار بارد ولعله سهو من الشيخ ولا يسلم من الخطأ إلا كتاب الله) .

ويعمل بعض الأسماء فيعمل فيها فكره وعلمه فيقول في مادة (طَبَّاق) : (الطَّبَّاق اسم عربي ، ولعلّ العجم لكتته بالسستها ، فقلبت الطاء تاء والقاف كافاً ، ثم لما فشى هذا الاسم في العرب ، وقد غلب عليه تلكين (كذا) العجم فعربت به العرب بالسستها فقالوا : تنباك أي زادوا نونا قبل الباء الموحدة والله أعلم) . فهذا بعض من اجتهاده في تحليل الأسماء الأعجمية يُستدلُّ منه على فطنة المؤلف وعلمه على أن أهم ما يلفت النظر في كتاب علامتنا الضمدي هو صدق العبارة وأمانة النقل ، ونادراً ما نجدُه ينقل نصّاً دون أن يعزّوه إلى صاحبه ، وقد نبّه على ذلك بقوله في مقدمة كتابه : (وقد التزمْتُ أن أسند كل قول إلى قائله : وإلى الكتاب الذي نقلتُ منه — إن شاء الله — وربما يحصل السهو مني عن ذكر المؤلف والمؤلف نادراً) . فهذه ذرّة الأمانة العلمية التي تحلّى بها علامتنا رحمه الله وربما اقتقدناها كثيراً في أنذابه من معاصريه ، والمتقدمين عليه من العلماء السابقين الذين كانوا يستلّون كتباً برُميتها مُتعمّدين السُرقة والإختلاس ، فالله المستعان .

وكان من إفادة التنبيه على مراجعِهِ أن دَلَّنَا على مراجعٍ مهمّةٍ نَبَّحَتْ عنها وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق ، وقد تتبعته في نقله عن «شمس العلوم» لنشوان الحِميري فوجدته يُرصدُ نباتاته ومعادنه التي ذكرها في معجمه ، وهي هذه :

الأس ، الأثل ، الحلتيت ، الحصص ، الرُيحان ، الزنجبيل ، الزئبق ، السذاب ، السعد ، الشبرم ، العنبر ، الورد ، الوردس ، فهذه أسماء النباتات والمعادن التي ذكرها صاحب «شمس العلوم» كما نبّه على ذلك المؤلف ولعله ترك لآخرى ومن الغريب أني وجدتُ المؤلف ينقل نصّاً فريداً من «تاريخ صنعاء» لم أجدهُ في المطبوعة التي نشرها الدكتور حسين بن عبدالله العمري ، يقول في أثناء

الحديث عن التسناس: (وهو خَلَقَ على صورة الناس)، يقول: وفي «تاريخ صنعاء» أن رجلاً دخل بلادهم فرآهم يَتِيُونَ على رِجْلٍ واحدة، ويصعدون الشجر، وَيَفِرُّونَ من الكلاب أن تأكلهم، وسمع واحداً منهم يقول شعراً: فَرَزْتُ مِنْ خَوْفِ الشَّرَاةِ شَدًّا إِذْ لَمْ أَجِدْ مِنَ الْفِرَارِ بُدًّا قَدْ كُنْتُ قَدَمًا فِي زَمَانِي جَلْدًا فَهَآنَا الْيَوْمَ ضَعِيفٌ جَسَدًا قُلْتُ لعل هذا النقل مأخوذ من «تاريخ صنعاء» لابن جرير، وهو من الكتب المفقودة والله أعلم^(١).

ويبقى أمامنا من أبواب الكتاب المهمة باب البلدانيات وهو من الفصول الجيدة الواسعة التي شملت الحديث عن أمهات المدن والبلدان، وقد تحدث فيها عن أرض المغرب، ومن بلدانها المذكورة في كتابه: السُّوس الأقصى، وباردونت، ورقادة، وأغوات، وفاس، وطنجة، والقيروان، ثم تحدث عن مدن الغرب الأوسط، ومنها أشبونة، وغرناطة، وقرطاجنة، وشاطبة، ومن مدن الغرب الأدنى برقة، ثم انحدر إلى أرض مصر، وعقد لها فصلاً كبيراً تحدث فيه عن تاريخها وخصائصها أغلبه منقول من تاريخ السيوطي — لعله «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة». ومن مدن مصر التي أفرد لها بالحديث: الفسطاط، والقاهرة، وعين شمس، وقليوب، ثم اتجه إلى فلسطين وذكر من مدنها: بيت المقدس، وأريحا، ومن مدن الشام عموماً: طبرية وبيعلبك، وحلب، وبلدان أخرى نوردها سرداً: بلاد الأرمن، خلاط، نصيبين الموصل، المدائن، الكوفة، واسط، طبرستان، الديلم خوارزم، سمرقند، الأهواز، أرض الصغد، أرض فرغانة، التبت، وبلدان أخرى ليس فيها نقلاً جيداً يذكر، وإنما غاليته مُستوعب من كتاب «خريدة العجائب» لابن الوردي، وهو كتاب شعبي ليس يذني بال.

على أنه عندما وقف على تهامة وماحولها أطال الوصف وأفاد النقل، وقد عاب على صاحب «الخريدة» أنه لم يذكر من بلدان التهاميم سوى زَبِيد وَعَدَن، يقول: ولم يذكر صاحب «الخريدة» من مدن تهامة سوى زَبِيد وَعَدَن... ولم يذكر على

التخصيص غير زبيد وعدن وذلك كثير عليه لبعد أرضه وعدم معرفته باليمن وأهله فاستوفينا الكلام على اليمن (وصاحب البيت أفرى بالذي فيه) .

وقد جاء حديثه عن اليمن والتهايم حديث الخبير المتمرس بأوضاع البلاد يقول عن المخا: (وهي مدينة عظيمة عامرة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين مدينة زبيد مهب الجنوب مسير يومين ، أو أكثر قليلاً ، وإليها يسافر التجار من جميع الأقطار من الهند ومصر والحبشة والغرب والعراق والشام براً وبحراً ، وإليها تُجلب بضائع هذه الأقاليم من التحف والنقائس والأطياب والملابس ، والأدوية والامتعة والجوارات وأصناف التجارة كلها ، وكانت المراكب متجولة في الزمن الماضي إلى عدن فلما كان أوائل القرن العاشر تحولت المراكب إلى المخاء المذكور ومضت سائر المنادر^(٧) مصاً حتى صرف بها الميل في أرض اليمن وغيرها) .

ويقول عن عدن: (وكانت هذه المدينة في زمن ملوك بني طاهر عين البلاد وكرسي عظيم من كراسي اليمن فلما تحولت المراكب إلى المخا كما ذكرنا أولاً تناقصت عدن عن حالها الماضي وهي الآن مدينة لطيفة حسنة كغيرها من المدن) .

ومحدثنا عن مدن تهامة الأخرى فيقول عن صبيا ساردا تاريخها وخصائصها : (مدينة عامرة حسنة بها أسواق ومزارع كبيرة ومخالف كثيرة ، ومياه فائضة وهي مدينة حديثة العهد أسسها الأشراف الخواجيين رحمهم الله بعد قين المحاه وحبر^(٩)) والحروب الحاصلة بينهم وبين الأتراك وكانوا^(٨) الأشراف في أيام هذه الفتنة يسكنون مغارب وادي صبيا ثم أجمع رأيهم على سكون^(٩) هذه المدينة وعمرت في أسرع وقت ، وضرب بها الأمثال في المتاجر والمصالح والأموال ، وقصدها التجار من جميع الأقطار ، وكانت منذ أسست مهمة يأكل الضعيف فيها القوي حتى تملكها الشريف أحمد بن الحسين بن عيسى فضبط البلد ضبطاً تضرب به الأمثال ، وحفظها وصان الضعيف ونكّل بالفسدين وأباد المعتدين ، وقن القوانين والجبایات ، وأعطى العطايا المستكثرات وكانت دولته ثيف وعشرين سنة ، وخلف ولده الشريف الجليل ملك بني الزهراء وحامل رايتهم الكبرى ، أبو محمد الحسين بن أحمد بن الحسين) إلخ

ويصف تهامة عموماً بأن: (في سواحلها معادن كثيرة للملح ، وفي جبالها معادن الحديد والكحل والزاج^(٩) والمفرة^(١٠) . وكان في تهامة اليمن مدائن كثيرة غير ما ذكر منها مدينة حرص ، ومدينة المصبري والخميمة فلما ظهرت مدينة صبيا مضت المدائن المذكورة ، وتلاشت وخربت ، ولم يبق بها أنيس) .

وعن مدينة خلي: (مدينة مليحة كثيرة الخيرات والحبوب واللحوم ، والسمن والسماك والمشاميم ، والبيع والشراء ، والقوافل تهبط إليها من الحجاز واليمن والشام) .

ومدينة أبي عريش: (كانت هذه المدينة في عصر ولائها السادة آل قطب الدين مدينة عظيمة طيبة الثرا صحيحة الهواء ، عذبة الماء ، كثيرة الخيرات ، فلما ظهرت مدينة صبيا ضُعِفَتْ) .

ويذكر مدينة صنعاء نقلاً عن صاحب «الخريدة» ويعلق على قوله: (وبها من الزعفران والورس كثير جداً) يقول: (هذا الكلام صاحب «الخريدة» ولعل الزعفران كان بصنعاء في عصره فأما الآن في عصرنا هذا فلا يُعرف الزعفران بأرض اليمن كافة) .

ويصف صنعاء ويشير إلى نبذة من تاريخها منذ قيام الإمام الهادي إلى الحق فيها حتى يصل إلى ذكر معادنها فيقول: (وحول مدينة صعدة معدن الحديد تحمله القبائل إلى المدينة فيشتريه الحدائق ويخلصونه ويبيعونه بأثمان كبيرة ، ويحمله التجار إلى سائر أرض اليمن ولا يُعلم معدن للحديد بأرض اليمن غير هذا) .

وَذَمَّارٌ عُرِفَتْ بِعَقِيْقِهَا: (يوجد في بعض جبالها وهو لا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ حُسْنًا ، وَيَصْنَعُونَ مِنْهُ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ خَوَاتِيمَ الْعَقِيْقِ الْأَحْمَرِ الْيَمْنِيِّ وَالْأَفْصَاصِ وَالسُّبْحِ ، فَيَبَاعُ بِأَغْلَا الْأَثْمَانِ ، وَالزَّمَّ بَعْضُ مُلُوكِ الْأَتْرَاكِ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ فَاسْتَخْرَجُوا لَهُ مِنْ هَذَا الْمَعْدَنِ سُرُوجًا لِلْخَيْلِ وَأَنِيَّةً لِلطَّعَامِ ، وَمَدَاهِنَ وَغَيْرَهَا .

وعندما وصل إلى تَعَزَّ نَجْدُهُ قَدْ أَطْنَبَ فِي وَصْفِهَا ، وَالْمَدْحَ لَهَا بِكَثَرِ الْأَسْوَاقِ وَالْأَزْهَارِ ، وَالتَّجَارَاتِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ ، وَفِيهَا الْبَنْفَسَجُ الْعَظِيمُ ، الطَّيِّبُ

الرائحة يحمل منها إلى سائر الأقطار ، وفيها القوة وهي صِنْعٌ معروف لا يوجد إلا باليمن ، ويحمله التجار إلى الهند ، ومصر والشام وغيرها . وفيها الأفيون البهواني يحمله أهل الهند إلى أرضهم ، ولهم تَعْوِيلٌ على استبضاعه ، ويربحون فيه أموالاً مستكثرة ويغنيهم عن الأفيون المصري (كذا)!!

ويصف خصائص اليمن عموماً فيقول: (ينسج في صنعاء وزَّيْدٌ من ثياب الحرير الفاخرة القوط الحسنة التي لا تصنع إلا باليمن ، يحملها التجار إلى مكة والشام ، وربما بلغ قيمة الثوب الواحد أربعين ديناراً ، فمنها: المحمودي والياقوني والمحمر والقرطاس وحُبُّ المسك والراد ، والأقنعة ، ولكل ثوب منها ثمن كبير ، ومن خواص اليمن شجر البُنِّ تحمله التجار إلى تخوم الروم ، والعراق والهند والغرب وكذلك القوة كما ذكرنا ، ولا يوجد البُنُّ والقوة إلا بأرض اليمن ، وأهلها ذَوُّ أموال واسعة وغنى مفرط) .

وبعد فهذا كتاب «جواهر المقاص» دفعنا إلى التعريف به الجهل به ، وندرة وجوده ، وهو أثرٌ فريدٌ من آثار أبنائِ المخلاف السليماني، بحقُّ لهم ذكره والإشادة به .

صنعاء : عبدالله بن محمد الحبشي

الهوامش :

(١) يعرف أيضاً بكتاب «الوالي يوفيات الأعيان المكمل لفرجال الزمان» استكمل فيه حوادث «فرجال الزمان» للعامري من سنة ٧٥١ حتى سنة ١٠٥٧ هـ ، وهو كلها يوجد مُعْتَوْنًا في مكتبات جامع صنعاء أنظر رقم ٢١٩ تاريخ وأخرى ٢١٨ ، وقد وقفت - والله الحمد - على مخطوطة المؤلف بقلمه قال في آخره: انتهى التاريخ المبارك فإن فتح الله بشيء الحفظ إن شاء الله ، والله الموفق والمعين حرَّرَ بحروس الشقيري حرسه الله بصالحه عباده بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ١٠٥٨ ختمها الله بخير ، ولعلنا نستعود إلى الحديث عنه في صفحات هذه المجلة بمناسبة عشوري على النسخة الأم والله المعين .

(٢) منه مخطوطة بجامع صنعاء (الغربية) برقم ١٢١٦ وأخرى برقم ٩٥ بجامع ويسمى أيضاً «التحفة الجامعة لفردات الطب النالعة» أنظر كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» ص ٤٩٥ .

(٣) منه مخطوطة بجامع صنعاء برقم ١٠ طب أنظر كتابنا المذكور الطبعة الثانية والمطهر المذكور وفاته سنة ١٠٤٩ هـ .

(٤) وقع هذا السهو لكاتب المقال في المصادر ص ٤٣٧ وأمين السَّهْد في «مصادر تاريخ اليمن» ص ٢٣١ ،

أسواق العرب القديمة

[وجهت في الدعوة (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية) في الجوف لالتحدث عن أسواق العرب القديمة ، وحديث الزمن وأطراف الموضوع ، فكان هذا الحديث في ليلة الثلاثاء ١١ شعبان ١٤٠٨ هـ (٢٩ آذار ١٩٨٨ م)] ..

أيها السادة : الآن وقد مرَّ ما يقرب من ثمانٍ عشرة سنة على أول يومٍ سعدتُ فيه بزيارة هذه المدينة الكريمة ، وهو اليوم العاشر من شهر صفر سنة ١٣٩٠ هـ (١٥ نيسان سنة ١٩٧٠ م) لاتزال تتجلى في مُخَيَّلَةٍ ذاكرتي تلك الابتسامة المشرقة التي تعلو هذا الوجه السمع المتلهل بشراً وانشراحاً ، ويَرنُّ في مسمعي صدى كلمات الترحيب الرقيقة المنبعثة من قلبٍ مُفْعَمٍ بمعاني النبل والشيم العربية الحميدة ، بحيث لم أملك إزاء كلِّ ذاك من أن أصاب بالتلعثم والحصر ، والاكتفاء بإنشاد البيت المشهور :

وَمَنْ أَخْبَرَ الْأَعْرَابَ يَوْمًا بِبَيْتِهِ
فليرفع السَّقْفَ حتى يَدْخُلَ الجملُ
ثم يسعدني الحظ مرة أخرى بعد سنوات باستجلاء هذا المحيَّ المشرق ، ويتمُّ اللقاء عند أحد مداخل إحدى حدائق القصر ، من باب لا سَقْفَ فيه لينطبق مدلول التحية الثانية : (ارفع رأسك فإننا لا نجعل لأبوابنا سَقْفًا نُحِجُّ الزائرين) ثم يتوالى العطف ويتواصل ، ليحقق ما عرِفَ عن الرعيل الأول من

— وكان المؤلف رحمه الله قد ترجم لأخيه بتوسع في حوادث سنة ١٠٤٨ من تاريخه ، وترجم لوالده بمناسبة وفاته في حوادث سنة ١٠١٦ وفيها معلومات مهمة عن حياة والده وأسرته .

(٥) هذا الكتاب ، لا أعلم بوجود نسخة منه ، وهو من الكتب المفقودة حسب علمي ، وكتابنا هذا يفخر بوجود نصٍّ طويلٍ مهمٍّ عن بيانات أهل الهند منقولة منه لولا غشية التطويل لأوردناه هنا .

(٦) ثم وجدت هذا النص موجوداً في «حياة الحيوان» للدميري ، مادة سناس ج ٢ ص ٢٥٣ وفيه العزو إلى «تاريخ صنعاء» المذكور والله أعلم .

(٧) كذا في الأصل المنقول عنه .

(٨) كذا على لغة (أكلوني البراغيث) .

(٩) هو من ضروب الملح الشريفة ذكره داود في تذكرته انظر «الجوهريتين» تحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر ص ٢٤٢ .

(١٠) نوع من الطين انظر «الجوهريتين» ص ٤٣٩ تعاليق الشيخ حمد الجاسر .

كرماء العرب :

وَنُكْرِمُ ضَيْفَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنَتَّبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ كَانَا

إنني - أيها الإخوة الأحبة - لم أكن مجاملا حين قلت في إحدى المناسبات عن عمق إدراك : إن من سعادة البلاد - أي بلاد كانت - أن يتولى تصريف أمورها رجال ذوو صلة قوية بقيادة الدولة ، ممن عرفوا بالوطنية الصادقة والكفاءة ، إذ في استطاعة هؤلاء عَرْضُ متطلبات البلاد بصدق ونزاهة ، فيستقبل القادة ذلك العرض أحسن استقبال ، وبذلك تُستوفى حقوق تلك البلاد كاملة ، ولا أدل على ذلك مما هو مشاهد من تقدم مظاهر الحياة جميعها في هذا الجزء الحبيب من بلادنا ، وقديما لَحَّحَ الفاروق - وهو اللَّمَّاحُ الموفق - هذا الأمر حين أراد تعيين أحد الأمراء ، فَوَصَفَ له رجلٌ قَوِيٌّ في تصرفه وفي جميع أموره ، وآخرٌ كَثِيرُ العبادة ، مع ضعف تصرفاته ، فاختر القويَّ قائلا مامعناه : لنا قُوَّتُهُ ولذلك عبادتُهُ .

وما نحن نَتَقَبَّأُ أَفْنَانَ دُوْحَةٍ سَامِقَةٍ الْأَصْل ، من غِرَاسِ هذا الأمير الجليل ، تتجدد ثمارها اليانعة كل عام ، ممثلة في هذه الندوات الثقافية التي تتناول مختلف جوانب المعرفة ، إنها إحدى ثمار (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية) ولن أَرْيِّدُكُمْ عنها خبراً ، ففي المشاهدة ما يغني عن الخبر ، ولكنني اغتنمها مناسبة طيبة أعبر فيها عن عميق تقديري للقائمين على شؤونها وعلى رأسهم الأستاذ زياد بن عبدالرحمن السديري وكرامُ صَحْبِهِ لإتاحة فرصة المشاركة في التحدث إليكم في موضوع قد يكون في حقلنا هذا من هو أولى بالتحدث فيه ، وحسبي أن أكون مشاركاً ومستمعا ، ومستفيدا ، أشعر بسعادة غامرة بمشاهدة هذه الوجوه الكريمة .

١- أشهر الأسواق القديمة :

من المعروف أن تاريخ العرب في العهود التي سبقت عصر الإسلام لا يزال محاطاً بكثير من الغموض ، بل إن أكثره مجهول ، لأن المؤرخين عُنُوا بتدوين التاريخ الإسلامي ، وأهملوا ماعداءه عن قصد ، بل رأوا في إبراز جوانب من

ذلك التاريخ مالا يُرْتَضَى ، لما فيه من إحياء ذكرِ أمورٍ جاء الإسلام بالأمر بإماتة كثير منها ، ومن ثمَّ نظروا إلى المعنيين بأخبار العرب في جاهليتهم نظرةً تنبئ بالاستخفاف وعدم الثقة بأقوالهم .

ومن هاؤلاء هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤/١٠٠٠) الذي عُني عنايةً فائقةً بتدوين أخبار الجاهليين ، وتفرد بدون شك بتسجيل أنساب العرب ، بما لا يضارعه أحدٌ في هذا الباب ، ولهذا اعتبر إمام أهل النسب بدون منازع .

ولقد وصفه ياقوت الحموي حين استشهد بكلامه في تحديد أحد المواضع^(١) بقوله حين أورد كلامه : والله دُرَّةٌ ما تنازع العلماء في شيءٍ من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجة ، وهو مع ذلك مظلوم ، وبالقوارص مكلوم .

وعن هشام بن الكلبي هذا رُوِيَ أَكْثَرُ الأخبار المتعلقة بأسواق العرب ، بما نقله ابن حبيب أحد تلاميذه في كتاب « المحبر »^(٢) غير منسوب إليه ، ولكن المرزوقي في كتاب « الأزمنة والأمكنة » صرح بنسبته لأبي المنذر - وهو هشام -^(٣) .

وقد ألف المتأخرون مؤلفاتٍ حول الأسواق ، وكثرت الدراساتُ عنها ، ومع ذلك فكثير من الأمور المتعلقة بها بحاجة إلى دراسة أعمق .

ومعروف أنَّ الأسواق التجارية التي تُقام في بلاد العرب قديماً وحديثاً من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤها ، وإنما المقصود هنا الأسواق التي كانت تقام في مواسم معينة ، وأوقاتٍ محددة من العام ، لا لمجرد التجارة فحسب ، بل تتجاوزها إلى أمور اجتماعية عامة .

وقد اختلف المتقدمون في عدد الأسواق التي من هذا النوع ، ونقل المرزوقي عن ابن دُرَيْد قوله^(٤) : إن أسواق العرب الكبيرة ، كانت في الجاهلية ثلاث عشرة سوقاً .

ولا يتسع المجال للحديث عنها كلها ، بل الاكتفاء بذكر أشهرها ؛

١ - سوق دُومَة الجُندَل :

اعتبره المتقدمون أول الأسواق قياماً^(٥) ، وموقعه في الأرض الفضاء الواسعة ، الواقعة غرب حصن مارد في مدينة دومة الجندل إلى حيث منابع العيون التي كانت في الماضي تجري سيوحاً . وقد تحدث عنه ابن حبيب في كتابه « المحبر » ، - ٢٦٣ - بأوفى مما تحدث به عن سوق آخر ، ومثله المرزوقي - فيما نقل عن ابن الكلبي .

٢ - سوق المشقر :

قال ابن الأعرابي^(٦) عن المشقر : مدينة عظيمة في وسطها قلعة على قارة تسمى عطالة ، ماء هَجَر يتحلب إليها . وذكر غيره بأنه يقع بين نَهْرَي مُحَلْمٍ وسُلَيْبِلٍ وهما نَهْرَانِ بهجر - مُحَلْمٌ كان يسقي جواتها المعروفة الآن وسُلَيْبِلٌ يقع جنوب الواحة ، وكان معروفاً إلى عهد قريب مما يدل على أن موقع المشقر في مدينة هجر التي كانت بقرب مدينة الأحساء التي أنشأها القرامطة بعد تخريب هجر - أي على مقربة من قرية البطالية ، وعين الجوهريّة حيث هناك قصر قريظ من آثار الأحساء القديمة^(٧) .

٣ - سوق دَبَا :

ودَبَا كانت إحدى قُرُص العرب^(٨) ، وموقعها لا يزال معروفاً في أسفل وادٍ يبعد مئة وخمسة وعشرين كيلاً عن مدينة الشارقة جنوبها ، وفي أسفل هذا الوادي ثلاث قرى هي : دبا البيعة تابعة لسلطنة عُمان ، ودبا الحصن تابعة لإمارة الشارقة ، ودَبَا بدون اضافة تابعة لإمارة الفُجَيْرَة .

ويظهر أن السوق كان يقام في موقع القرى الثلاث هذه ، ليس بعيداً عن الميناء ، في أرض براح واسعة كانت مياهها جارية على وجه الأرض .

٤ - سوق أَدَم :

في بلاد عُمان ولا يزال اسم أَدَم يطلق على ولاية في الجنوب الغربي من مدينة مسقط ، على بعد نحو مئة وعشرين كيلاً ، وهناك بلدة بهذا الاسم ، ذات

نخل ، يسقى من أفلاج (عيون) والقرية قديمة فيها مسجد ينسب لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفيها ولد أحمد بن سعيد جد الأسرة الحاكمة في عُمان الآن ، وعلى مقربة منها تقع حقول النفط ، تبعد عن حدود المملكة الشرقية الجنوبية نحو مئة وخمسين كيلاً^(٩) .

وهذا السوق لم أر له ذكراً عن ابن الكلبي ، وذكره القلقشندي في « صبح الأعشى »^(١٠) و« نهاية الأرب »^(١١) ورد الاسم فيهما مصحفاً (ارم) .

٥ - سوق الشَّحْرِ :

والشَّحْرُ هذا في بلاد حضرموت ، يقام السوق تحت ظل الجبل الذي فيه قبر هود عليه السلام^(١٢) .

٦ - سوق صنعاء .

٧ - سوق عدن .

٨ - سوق عكاظ .

وموقعه أسافل أودية الطائف ، حيث تفيض تلك الأودية في سهل رُبَّة ، في متسع من الأرض ، كانت مياهه بارزة على وجه الأرض ، على بُعد نحو ثلاثين كيلاً من مدينة الطائف .

٩ - سوق بَجَّة :

ويقع في أسفل مر الظهران (وادي فاطمة) .

١٠ - سوق ذي المجاز :

في الوادي المعروف الآن بهذا الاسم ، على مقربة من عرفات .

١١ - سوق حَبَاشَة :

لم أر لهذا السوق ذكراً في كتابي « المحبر » لابن حبيب و« الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي فيما نُقِلَ فيهما عن ابن الكلبي ، وأقدم من رأيت نقل خبر هذا السوق

هو الأزرقى في مؤلفه « أخبار مكة »^(١٣) وهو من أهل القرن الثالث الهجري .

وموقع هذا السوق في أعلى وادي قَنُونَا الذي يخترق تهامة حتى يبلغ البحر عند ميناء القنفذة ، ويتضح من تحديد الأزرقى وغيره أن سوق حباشة يقع شرق بلدة القنفذة بنحو خمسة وعشرين كيلاً (بقرب خط الطول : ١٢ / ١٠ ' وخط العرض : ١٠ / ١٩) وقد استمر هذا السوق في العهد الإسلامي إلى سنة سبع وتسعين ومئة حين قتلت الأزد واليا على السوق من قبل أمير مكة ، فأشار فقهاء أهل مكة على الأمير بتخريب السوق ، فخربت وتركت .

وذكر ياقوت في « معجم البلدان » أن رسول الله ﷺ لما بلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حباشة .

وعنه البكري في « معجم ما استعجم » أكبر أسواق تهامة ، ونقل عن حكيم ابن حزام : رأيت رسول الله ﷺ يحضرها .

وذكر الإمام ابن عبد البر في كتابه « الاستيعاب » أن زيد بن حارثة أصابه سبأ في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حباشة لخديجة بنت خويلد ، فوهبته لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان سنين ، فتبناه رسول الله ﷺ ، فكان يدعى زيد بن محمد ، حتى نزل قول الله تعالى ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ وروى الخبر الزبير بن بكار عالم قریش في عهده .

على أن صاحب « المعارف »^(١٤) ذكر أن حكيم بن حزام اشتراه من سوق عكاظ بأربع مئة درهم ، ثم وهبه لرسول الله ، ولكنني أرى أن الزبير بن بكار اعلم بهذا من ابن قتيبة .

وذكر ياقوت أن من أول البواعث لتأليف كتابه أنه سئل سنة خمس عشرة ومئة مئة عن ضبط اسم حَبَاشَة ، فقال : إنه بضم الحاء . فانبرى له أحد المحدثين معارضاً ، فأراد قطع حجة هذا المعارض ، فألقى في رُوعِهِ اقتضار العالم إلى كتاب في هذا الشأن ، فألف كتاب « معجم البلدان » .

٢- أوقات إقامة الأسواق :

كان عرب الجاهلية يتصرفون في تسمية الشهور فيقدمون ويؤخرون ، ذكر ابن جرير^(١٥) في تفسير آية النسيء ﴿ إِنَّمَا النِّسْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾^(١٦) بعد أن ذكر أن الحج فرض في ذي الحجة ، قال : كان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، المحرم ، وصفر ، وربيع وربيع ، وَجُمَادَى وَجُمَادَى ، ورجب وشعبان ، ورمضان وشوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذو القعدة شوالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، في الحجة عامين وفي المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين . وذكر أن الذي كان يتولى النسيء رجل من بني كنانة يقوم في الموسم فيقوم : **أَلَا إِنَّ أَهْتَكُمْ** قد حُرِّمَت العام المحرم . فيحرمونه ذلك العام ، ثم يقوم في العام المقبل فيقول : **أَلَا إِنَّ أَهْتَكُمْ** قد حُرِّمَت صفر . فيحرمونه - أي إنهم يُحَرِّمُونَ المحرم عاما ويحلونه عاما ، ويحرمون صفر مكانه .

ومن هنا يتضح أن أوقات إقامة الأسواق القديمة لا ترتبط بأشهر محددة دائما بل قد تختلف باختلاف عبث الجاهليين فيها بالنسيء الذي أبطله الإسلام . وعلى العموم كانت أشهر الأسواق تُعَقَّدُ على هذا النحو - في أكثر أقوال المتقدمين :

١ - السوق الأول^(١٧) : سوق دومة الجندل ، من أول شهر ربيع الأول إلى النصف منه ، ثم تَرُقُّ فلا تزال قائمة إلى آخر الشهر .

٢ - سوق المشقر : من أول جمادى الآخرة إلى آخر الشهر .

٣ - أسواق عُمان : من أول يوم من رجب إلى آخره .

- ٤- سوق الشَّحْرِ في حضرموت : في النصف الأول من شعبان .
- ٥- سوق صنعاء : في النصف الآخر من شعبان .
- ٦- سوق عَدَن : أول يوم من رمضان إلى عشرين منه .
- ٧- سوق عكاظ : في العشرين الأولى من ذي القعدة^(١٨) .
- ٨- سوق بَجَّة : تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة - بعد عكاظ .
- ٩- سوق ذي المجاز : من أول يوم من ذي الحجة - ثمانية أيام - إلى يوم التروية .
- ١٠- سوق حَجْرٍ وسوق نَطَاة خَيْبَر : من يوم عاشوراء إلى آخر المحرم .

٢- إدارة الأسواق وحمايتها :

١ - هناك أسواق تتولى إدارة شؤونها حكومات من أهل البلاد ذات سلطة قوية وانظمة محكمة ، وهي أسواق اليمن في صنعاء وعدن ، لأنها - كما قال المرزوقي^(١٩) : أرض مملكة وأمر محكم ، وكانت تعشرهم ملوك جَمِيرَثم من ملك اليمن من بَعْدِهِم ، ولا يتخفرون بأحد .

٢ - وأسواق تسيطر على أمورها قوى أجنبية ليست من أهل البلاد ، وهي أسواق عُمَان صُحَار ودَبَا وآدم ، وسوق المشرق في البحرين (الأحساء) فكان لدولة الفرس نفوذ على سواحل الجزيرة مكنها من بسط سيطرتها على تلك الأسواق ، وتركت إدارتها بأيدي ملوك من أهل البلاد أنفسهم ، كما يقول ابن حبيب^(٢٠) عن ملوك هجر من تميم : كانت فارس تستعملهم عليها كبنى نصر على الحيرة ، وبني المستكبر على عمان .

٣ - وأسواق تتنازع إدارتها قوتان أجنبيتان ، فأيها كان الغلب لها تولت إدارة السوق ، ويتمثل هذا في سوق دومة الجندل الواقع على مقربة من نفوذ دولتي الفرس والروم ، الأولى ممثلة بملوك الحيرة في العراق ، والثانية ممثلة بملوك الغساسنة في الشام - أو كما قال ابن حبيب^(٢١) - عن هذا السوق - فكان

العباديون إذا غلبوا وليها الأكيدر العبادي ثم السكوني ، وإذا غلب الغسانيون ولوها قنافة الكلبي .

على ان هذا لا ينفي كون كثير من القبائل لها نوع من السلطة على الأسواق الواقعة في بلادها - كقبيلة الأزد المسيطرة على أسواق عُمان ، وقبيلة كلب بالنسبة لسوق دومة الجندل ، وسوق المشقر لعبد القيس من ربيعة .

٤ - وهناك أسواق تخضع شؤونها لسلطة القبائل وحدها ، ومنها : سوق عكاظ لقيس عيلان وثقيف المتجاورتين ، والنفوذ لبني نصر الهوازنيين من قيس عيلان ، ومجنة لكتانة ، ودُو المجاز لهذيل ، وحُباشة لأزد تهمامة ، وحَجْر لبني حنيفة ، والشحر لقبيلة مَهْرَة .

ولاشك أن التجار الذين يفدون على هذه الأسواق يلقون سوءَ معاملة من حكام السوق ، إذ كثيرا ما يجورون في أحكامهم - وكما قال ابن حبيب (٢٢) عن الحكام في صحار ودبا : كانوا يصنعون ما يريدون ، ويسرون بسيرة الملوك في دومة ، وكانوا يعشرونها ، وقال عن سوق دومة : لم يبع أحدٌ من الشام ولا أهل العراق إلا بأذنه - يعني الملك - ولم يشتر فيها ولم يبع حتى يبيع الملك كُلُّ شيء يريد بيعه ، مع ما كان إليه من مكسها .

وكذا الحال في سوقى صنعاء وعدن - أي إن السوق التي تحت نفوذ ملك كسوقي دومة الجندل والمشقر ، وأسواق عُمان وصنعاء وعدن - تُعشّر - أي يؤخذ العشر من كل بضاعة تُجلب - لا كما ظن بعضهم أنه يؤخذ من الربح - وهذا مالا يفهم من أن الملك يبيع ما يجبي من مكس قبل بدء غيره بالبيع .

أما الأسواق التي تحت نفوذ القبائل كعكاظ وأسواق الحجاز وتهمامة والشحر وغيرها - فإنها لا تُعشّر .

ويوضح ما يجري في بعض الأسواق من الظلم ما أورده ابن حبيب مثلاً منه في « المحبر » (٢٤) ونصه : سنة خمس تبياً رسول الله ﷺ لغزوة دومة الجندل ، وكان تجار العرب شكوا إليه ظلم أكيدر بن عبد الملك - فبلغ أكيدر إقباله فهرب وبخل

السوق ، ورجع رسول الله ﷺ من الطريق ، وأورد الخبر الواقدي في « المغازي » (٢٥) مفصلاً وفيه : ذُكِرَ له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً ، وأنهم يظلمون من مَرَّبهم من الضافطة ، وكان بها سوق عظيم وتجار ، والضافطة جمع ضافط وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ، وكانوا يومئذ قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت (٢٦) .

٤- ذوو النفوذ والسيطرة على الأسواق من القبائل :

هناك قبائل تقع الأسواق في بلادها ، وهي :

الأزد ؛ قبيلة قحطانية كثيرة الفروع انتقلت من اليمن وانتشرت في سرة الحجاز ، فمنها زهران وغامد ورجال الحجر وغيرهم ، وهاؤلاء من أزد السراة ، ومنها عسير (أزد شنوءة) وأزد عُمان ، وهاؤلاء هم المسيطرون على أسواق عُمان .

بارق : وهي قبيلة من الأزد ، صريحة النسب اخت قبيلة ألمع ، ولا تزال تحمل في بلادها (٢٧) القديمة في تهامة غرب بلاد بني شهر (من الحجر) وشمالها في صدور وادي قنونا وما حوله من الأودية (٢٨) ، حيث كان يقع سوق حباشة ، وكانوا أصحابه ، وكان الذين يلون أموره فخذاً منهم يدعى الأوصام .

تميم : منهم بنو عبدالله بن دارم رهط المنذر بن ساوى ملك البحرين من قبل الفرس حيث سوق المشقر ، ويشاركهم بنو عبدالقيس أهل تلك البلاد .

ولبني تميم في العهد الجاهلي نفوذ في الأسواق ، فقد كان منهم حكام سوق عكاظ - أشهر تلك الأسواق - وكانت قبائل مضر كلها تغد إلى سوق دومة الجندل بخفارة بني تميم لكونهم حلفاء قبيلة كلب .

ثقيف : القبيلة العدنانية المعروفة الآن في منازلها القديمة - الطائف وما حوله - وكان سوق عكاظ يقع أسفل أوديتهم في بلاد بني نصر من هوازن قيس عيلان ، ولهذا كانوا هم وقيس عيلان أصحاب السوق .

جديلة : من طيء من القحطانيين كانوا جلوا عن الجبلين فانتشروا خارجها مجاورين لقبيلة كلب في الرمال المعروفة قديماً برمل (عالج) وحديثاً بـ (النفوذ

الكبير) إلى حدود الشام ، ويفهم من كلام ابن حبيب والمرزوقي مشاركة جديلة لقبيلة كلب في سوق دومة الجندل . ومن يتسبب إلى جديلة في العصر الحاضر بنو لأم ، وأكثرهم متحضرون .

بنو حنيفة : من ربيعة من العرب العدنانية ، ويقع سوق حجر في بلادهم ، إذ مدينة حجر كانت قاعدة اليمامة ، وبنو حنيفة تحضروا قبل الإسلام ، ولم تبق لهم بادية .

غطفان : من قيس عيلان من مضر ، ولم أر لها ذكرا في الإشراف على شيء من أمور سوق نطاة خيبر ، الواقع في قلب بلادها ، وقد يكون لحلفائها من المستوطنين في هذه البلاد — من غير العرب وهم ذؤوبصر في التجارة — شأن في ترتيب شؤون السوق الداخلية ، وترك حمايته من الخارج للغطفانيين .

قيس عيلان : من أثرى القبائل العدنانية ، وأكثرها فروعا ، ومن فروعها هوازن جيران ثقيف في المنازل ، وبنو نصر من هوازن هم جيرانهم الأدنون ، ولهذا كانوا أصحاب السوق .

كلب : يحسن إطالة النفس عن هذه القبيلة التي كانت تسكن بلاد الجوف عند ظهور الإسلام ، فقد كان شمال بلاد العرب في ذلك العهد تنتشر فيه قبيلة قضاعة من أقوى القبائل وأكثرها فروعا ، وأثرها عددا ، تمتد بلادها من امتداد أودية المدينة غربا حتى ساحل البحر الأحمر ، فتشمل جميع بلاد ينبع ، حيث تحل أحد الفروع القضائية ، قبيلة جهينة التي تمتد منازلها شمالا حتى بلاد فرع آخر (بلي) ونسب القبيلتين واحد ، ومنازل بلي تتصل ببلاد بني عذرة في وادي القرى وما حوله من الأودية ، ومحاور العذريين من الجهة الشمالية بنو القين الذين تتصل ببلادهم من الجنوب ببلاد إخوانهم في النسب بني كلب ، أقوى الفروع القضائية ، التي تشمل بلادهم أوسع رقعة في شمال الجزيرة ، تحُدُّ جنوبا بالنفود (رمل عالج) وشمالا تتوغل داخل ريف الشام وقراه ، وشرقا تتجاوز حزون كلب (الحجر) حتى تبلغ شواطئ الفرات ، وغربا تختلط ببلاد إخوانها (بلقين) في أطراف الحجاز الشمالية حيث السفوح الشرقية لجبال حسمى .

هذه القبيلة كانت تتولى شؤون سوق دومة الجندل لوقوعه في بحبوبة بلادها ،
إلا أن للسلطة المنظمة من قبل دولتي الروم في الشام ودولة الفرس في العراق من
القوة والنفوذ ما يحول دون تصرف الكلبيين في تدبير أمور ذلك السوق ، فإذا قوى
سلطان الحيرة المستمد من دولة الفرس تولاهما أحد العباديين من أهل الحيرة ، وإن
تغلب نفوذ الروم كان للكلبيين القوي الصلة بالفساسنة من ولاية الروم -
الإشراف على السوق .

كتانة : القبيلة المضرية المعروفة كان سوقها مجنة الواقع في تهامة على مقربة من
مكة حيث تنتشر فروع تلك القبيلة .

مَهْرَة : قبيلة حضرمية قحطانية لاتزال لها بقية فيما بين عُمان وحضرموت ،
وكان سوق الشحر واقعاً في بلادها ، ولذلك كانت المذبذبة لشؤونها .

هذيل : القبيلة العدنانية الصريجة النسب ، التي لاتزال معروفة ، تحل في
بلادها القديمة حول مكة ، ومنها عرفات حيث يقع وادي ذي المجاز بقربها ، وفي
هذا الوادي يعقد سوق ذي المجاز وهم أصحابه ، والمشرّفون على أحواله .

ومن القبائل من له تأثير في إقامة تلك الأسواق ، ولكنه غير مباشر ، وذلك
بنوع من الحماية ، إما لقوة نفوذها ، وإما لامتهانها للتجارة امتهاناً مكنها من إيجاد
صلات قوية لمختلف القبائل تكفل لها الحماية ، فقريش كانت حياتها تقوم على
التجارة ، ولها الرحلتان المعروفتان إلى الشام وإلى اليمن ، وقد عقدت صلات
وأحلاقاً مع القبائل التي تمر ببلادها ، أثناء رحلاتها ، لهذا كان كل تاجر يخرج من
اليمن والحجاز يتخفر بقريش ، ماداموا في بلاد مضر^(٢٩) ، ومعروف أن هذه
البلاد تشمل قلب الجزيرة ، وأغلب الطرق إلى الأسواق يخترقها .

أما الذين يقدون إلى الأسواق من شرق الجزيرة فانهم يتخفرون بأحد بني قيس
بن ثعلبة فتجيز ذلك لهم ربيعة كلها^(٣٠) .

وهناك الأحلاف التي كونت بين القبائل صلات لا تقل في قوتها عن صلة
الأنساب ، ولها أثرها في الحماية والمناصرة ، مما هو معروف بين العرب في

عصورهم القديمة ، وكان له أثره في انتظام حركة الأسواق التجارية ، مما أشار إليه متقدمو العلماء الذين تحدثوا عن تلك الأسواق^(٣١) .

٥- رواد هذه الأسواق :

من تلك الأسواق مالا يقتصر الحضور فيه على من يليه ويقرب منه من قبائل العرب ، كسوق دومة الجندل ، التي لا يقتصر حضورها على القبائل القضاعية ، كلب وبلقين وعدرة وبلي وجهينة ومن يجاورها من القبائل كغطفان وطيء وأسد ، بل تحضره قبائل أخرى من العدنانيين وغيرهم من الحجاز واليمن ، بخفارة قريش ماداموا في بلاد مضر ، ومن العراق بخفارة بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة ، وكانت قريش تخرج قاصدة إليها من مكة ، ولاشك أن تجار الشام وتجار العراق يحضرون هذا السوق لما للغساسنة وللملوك الحيرة من النفوذ والسيطرة عليه .

وسوق عكاظ هو أعظم سوق تجاري في بلاد المضرين ، ولهذا يقصده عامة الناس ، وترسل إليه القوافل تحمل مختلف البضائع من اليمن والشام والعراق .

ولقرب سوق المشقر في هجر من بلاد فارس ، ولكونه تحت نفوذ تلك الدولة ، فإن التجار من تلك البلاد يشاركون في السوق ، مع وفود القبيلتين العظيمتين المنتشرتين في شرقي الجزيرة من بكر بن وائل ، ومنهم عبد القيس سكان هجر ، ومن تميم ومنهم حاكم تلك المدينة ، ويصف المتقدمون هذا السوق بكونه أرضاً معجبة ، لا تقدمها لطيمة إلا تخلف بها منهم ناس ، فمن هناك صارت بهجر من كل حي من العرب وغيرهم^(٣٢) .

ومن الأسواق التي يمتد فيها تجار من خارج الجزيرة - بالإضافة إلى أهلها - سوق دبا إحدى فرض العرب ، يجتمع بها تجار الهند والسند والصين وأهل المشرق والمغرب^(٣٣) وتباع في هذا السوق بضائع العرب ، وما يرد من البحر .

ولقرب سوق ذي المجاز في بلاد هذيل من موقف عرفة فإن هذا السوق يشهده حجاج العرب ورؤوسهم ممن أراد الحج ممن لم يكن شهد الأسواق الأخرى .

وهناك أسواق يقل روادها إما لبعدها أو لكونها لا يوصل إليها إلا بخفارة كسوق الرابية وسوق الشحر في حضرموت ، وسوق صحار في عُمان ، وسوقي حجر (اليمامة) ونظاة خيبر اللذان يقومان في وقت واحد من يوم عاشوراء حتى نهاية المحرم .

٦- ماذا كان يجري في تلك الأسواق ؟ :

تبادل المنافع والسلع بين الناس من متطلبات حياتهم ، ومن هنا نشأت المجتمعات التي يتم بواسطتها الالتقاء والتعارف ، ومنها الأسواق ، وقد تنشأ تلك المجتمعات في أول الأمر لأغراض أخرى ، غير البيع والشراء ، ثم تصبح فيما بعد أسواقاً يرتادها طلاب الحاجات .

ولا استبعد ان بعض أسواق الجاهلية — إن لم يكن كلها — كانت الدوافع الأولى للاجتماعات فيها ممارسة بعض أعمال دينية لوجود معبودات مشهورة في أمكنة تلك الأسواق ، فدومة الجندل التي أصبح سوقها من أشهر الأسواق القديمة كانت مقراً لـ (وُدّ) من أشهر أصنام الجاهلية ، وفي عكاظ كان يوجد الصنم (جهار) وفي المشقر معبود عبد القيس (اللبا) .

ولعل مايجري من طرق البيع التي تحدث في تلك الأسواق كان يمت بجلود عميقة لشعائر دينية كانت تمارس عند تلك المعبودات ، مما كان يوحى به سذنتها مبالغة في إحاطة أمورها بالكتبان ، ومثال ذلك ما يمارسه المشركون في عبادتهم عند الكعبة ، فقد كانوا يصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ ^{٣٤} .

ومن أشنع ماكان يجري في تلك الأسواق مما يعتبر وصمة في حياة العرب الجاهلية ، إباحة المتعة الجنسية ، إذ في أشرف البقاع كان هذا الأمر معروفاً ،

وفيهِ أنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تَكْرهُوا بُيُوتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ، إن أردن تحصناً ﴾ (٣٥) ، ولولا أن التاريخ لا يرحم أحداً لما حسن ذكر هذا .

ومعروف ان دومة الجندل كان سوقها منفذاً إلى خارج الجزيرة لاتصاله بالشام والعراق ، ولهذا لم يكن ارتيادها مقصوداً على العرب وحدهم ، بل يفد إليها من ذينك القطرين وغيرهما من مختلف الأجناس من لا يتورع عن مقارفة بعض الأخلاق المذمومة ، وهذا يوضح ماورد في وصف السوق : وكان لقبيلة كلب فيها قن كثير ، في بيوت من الشعر ، فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء (٣٦) ، وكانوا أكثر العرب قنًا (٣٦) .

٧- طرق البيع والشراء :

سبقت الإشارة إلى غرابة طرق البيع المستعملة في هذه الأسواق ، وأنه قد يكون لبعض تصرفات سدنة الأصنام أثر في ذلك من قبيل التهويل ومبالغة الكتمان كما هي عادة ذوي الشعوذة - ومن تلك الطرق :

١ - إلقاء الحجارة في أسواق دومة الجندل والشحر وصحار .

٢ - الملامسة في سوق المشقر .

٣ - المهمة في سوق المشقر .

٤ - الإيماء في سوق المشقر .

٥ - الجس بالأيدي في سوق صنعاء .

٦ - السراز في سوق عكاظ .

فالإلقاء الحجارة ، ويسمى بيع الحصاة من صورهِ أن يقول أحد المتبايعين للآخر : ارم هذه الحصاة ، فعلى أي شيء وقعت فهو لك بكذا درهم . أو أن يبيع أحدهم الآخر من أرضهِ قدر ما انتهت إليه الحصاة ، أو أن يقبض على كف من حصى ويقول : لي بعدد ماخرج في القبضة من الحصا هذا الشيء المبيع ، أو أن يتبايعا ويقول أحدهما : إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع .

أما الملامسة فمن صورها أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة فيلمسه المستام .
فيقول له صاحب الثوب : بعته بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك .

والهممة لعل المقصود منها عدم الإفصاح بالبيع والاكتفاء باخراج كلام غير مفهوم ، ولعل ذلك راجع إلى أن كثيراً ممن يرتاد السوق من الأعاجم .
والإيماء : يومي بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا^(٣٧) .

والواقع أن أكثر هذه الصيغ مما لا يعقل أن يجري في مجتمعات تعتبر أرقى ما بلغت المجتمعات العربية في العهود القديمة من الناحية العقلية ، ولعلها كانت تجري في بعض أحوال نادرة يراد منها استغلال بسطاء الناس ، والاستحواذ بطريق المكر والحيلة على أموالهم من قبل دجاجة متأثرين بمعتقدات قديمة ، ولهذا جاء الإسلام بإبطال تلك الطرق كما في « صحيح البخاري » وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع المنابذة ونهى عن بيع الملامسة وفي بعض ألفاظ الحديث وهي بيوع كانوا يتبايعون بها في الجاهلية .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) « معجم البلدان » - رسم (الجوف) - .
- (٢) ص ٢٦٣ و ٢٦٨ .
- (٣) ١٦١/٢ .
- (٤) « الأزمنة والأمكنة » ١٦١/٢ .
- (٥) نفس المصدر .
- (٦) « معجم ما استعجم » - المشرق - .
- (٧) انظر رسم (المشرق) في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » (قسم المنطقة الشرقية) ، وروم الأستاذ عارف محمد حمور صاحب كتاب « أسواق العرب » حيث قال ص ٤٨ : المشرق في حصن بين نجران والبحرين .
- (٨) « الأزمنة والأمكنة » ١٦٣/٢ .
- (٩) مجلة « العرب » ص ٢٢ ص ٣٠٤ .
- (١٠) ٤١١/١ .
- (١١) ٤٦٤ تحقيق الايلاري .
- (١٢) « المحبر » ٢٢٦ و « الأزمنة والأمكنة » ١٦٢/٢ .

التوراة جاءت من جزيرة العرب

[لا يزال لأفكار الدكتور كمال الصليبي - أستاذ في قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت - في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» أصداء شغلّت بها بعض الصحف والمجلات المتخصصة بالمباحث التاريخية .

وقد سبق لمجلة «العرب» أن أبدت رأيها حيال هذا الكتاب [«العرب» س ٢١ ص ١٨٧ / ٣٨٩ / ٥٢٠ / ٦٠٨] - وترى من حق القراء اطلاعهم على آراء أخرى في الموضوع، لعلماء ذوي اختصاص في اللغة وفي المباحث الجغرافية التاريخية، ومن ذلك بحث نشرته مجلة «دير شبيغل» الألمانية - ٤٠ في ١٩٨٥/٩/٢٠ - بعنوان: (هل

(١٣) ١٩١/١ و مجلة العرب ، س ٢٠ ص ٢٩٣/٢٨٩ .

(١٤) ١٤٤ .

(١٥) تفسير ابن جرير ١٣١/١ ط الحلبي .

(١٦) (سورة التوبة) الآية الـ (٣٧) .

(١٧) السوق يذكر ويؤنث ليقال (السوق الأول) و (السوق الأولى) .

(١٨) «معجم البلدان» رسم (حكاظ) وفيه : كانت العرب تقيم بسوق حكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق

جدة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه أيام الحج .

(١٩) «الأزمة والامكنة» ١٦٤/٢ .

(٢٠) «المحبر» ٢٦٥ .

(٢١) نفس المصدر .

(٢٢) ٢٦٥ .

(٢٣) ٢٦٤ .

(٢٤) ١١٤ .

(٢٥) ٤٠٣ .

(٢٦) «النهاية في غريب الحديث» - ضبط - .

(٢٧) «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ومجلة «العرب» س ٢٠ ص ٢٩١ .

(٢٨) «أخبار مكة» للأزرقي ١٩١/١ .

(٢٩) «المحبر» ٢٦٤ .

(٣٠) نفس المصدر .

(٣١) «المحبر» ٢٦٤ و «الأزمة والامكنة» ١٦١/٢ .

(٣٢) «الأزمة والامكنة» ١٦٣/٢ .

(٣٣) نفس المصدر .

(٣٤) (سورة الأنفال) الآية الـ (٣٥) .

(٣٥) (سورة النور) الآية الـ (٣٣) .

(٣٦) «المحبر» ٢٦٤ و «الأزمة والامكنة» ١٦٢/٢ .

(٣٧) «الأزمة والامكنة» ١٦٣/٢ وأضاف : وإنما فعلوا ذلك كيلا يحلف أحدهما على كلب أن يزعم أنه يلد

له صاحب السلعة . كذا .

التوراة على حق؟ المؤرخ اللبناني كمال الصليبي يبدل أماكن المدن المقدسة) ترجم المقال إلى العربية الأستاذ قاسم طوير - في المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق - ونشرته مجلة «دراسات تاريخية» - إيلول/ كانون الأول ١٩٨٧ ص ١٤٥ إلى ١٥٤ - وفي هذا المقال المترجم آراء لعدد من المهتمين بالدراسات التاريخية واللغوية من الغربيين حول آراء الدكتور الصليبي .

وهامو ملخص ذلك المقال إذ فيه أشياء بحاجة إلى مناقشة قد لا تتسع لها صفحات هذه المجلة . كما نشرت مجلة «دراسات تاريخية» في جزء كانون أيضاً مقالاً بعنوان (هل جاءت التوراة من جزيرة العرب؟) للدكتور محمود أبو طالب في الجامعة الأردنية - رُفِّفَ فيها آراء الدكتور الصليبي، بطرق علمية، قد يتسنى للعرب نشره في أحد أجزائها] .

يؤكد أستاذ الآثار الإسرائيلي في تل أبيب موشيه كوخاوي، وهو واثق من نفسه، بأن (الوصف الجغرافي الوارد في التوراة لا ينطبق إلا على فلسطين، لذلك لا يمكن أن تكون أرض التوراة إلا في فلسطين) .

غير أن وجهات النظر المخالفة للرأي السابق تعتبر جدية أيضاً في أوساط العلماء ، فعالم الآثار التوراتية في جامعة ماينز بألمانيا الغربية يقول: (إن بعض البقاع في بلدان الشرق الأوسط والأدنى تشبه في مظهرها الجغرافي أجواء فلسطين بحيث لا يكون ضرورياً أن نوجه أنظارنا إلى عسير دون غيرها). نعم ليس من الضروري، بل لعل وعسى، فلماذا لا نحاول توجيه الأنظار إلى عسير، لا سيما وقد تعذر حتى الآن إيجاد الدليل المادي في فلسطين على الأحداث التوراتية التي جرت من أيام إبراهيم حتى السبي البابلي، في حين يعتقد المؤرخ اللبناني كمال الصليبي أنه اكتشف وجود عدد كبير من المدن والبلدان والمواقع في عسير تتفق أسماؤها مع الأسماء التوراتية . وإذا نقلنا الشبكة البلدانية التوراتية من فلسطين إلى عسير نجد أن التوافق لا يقتصر على أسماء البلدان والمواقع بل ويشمل الطبيعة وخصائص الأرض والمعادن والمياه والنبات والحيوان كما ورد وصفها في التوراة .

تقع عسير في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية بين الطائف شمالاً واليمن جنوباً ، وقد أصبحت الآن البلد (الذي يسيل فيه اللبن والعسل) بدلاً من فلسطين . وقد وصف الجغرافي اليوناني سترابون الذي عاش بين ٦٣ ق.م و ٢٦ ميلادية، بلاد عسير بأن في داخلها يجري استخراج الحديد والرصاص والذهب . . والذهب موجود فيها على هيئة فلزات أصغرهما بحجم الجوزة وليس

على هيئة غبار .

يذكر سفر موسى أن الذهب يستخرج من مكان قريب من نهر بيسون تماماً كما في منطقة وادي بيشة بعسير حيث يرى كمال صليبي تشابهاً بين كلمة بيسون التوراتية وكلمة بيشة في بلاد عسير .

ويذكر سفر موسى أيضاً أن الله أمطر النار والكبريت فوق مدينتي سودوم وعمورة لقاء خطاياهما .

وهذا يعني وجود براكين بالقرب منها . وثمة اجماع بين العلماء أن المدينتين المذكورتين تقعان في مكان ما قرب البحر الميت ، لكن الواقع هو أنه لا وجود للبراكين في منطقة البحر الميت ، بل هي موجودة ، حسب تحقيق كمال صليبي ، في وادي دمس بمنطقة جيزان .

تهطل الأمطار في عسير أكثر من أي مكان آخر في شبه الجزيرة العربية ، ويتراوح معدلها بين ٣٠٠ و ٦٠٠ مم في العام ، وهناك خصائص أخرى كثيرة تتفق مع طبيعة عسير ، فالثلوج الكثيرة التي تحدث عنها النبي أشعياً والنبي أرميا تهطل بغزارة في جبال السراة في بلاد عسير . وتنبث في هضاب عسير أنواع الحبوب وتكثر أشجار الرمان والزيتون والتين واللوز والكرمة ، وفي السهول المحاذية لساحل البحر الأحمر يكثر العديد من أنواع الخضار ، وقد وجد الجغرافي اليوناني سترابون أن عسل عسير من أفضل الأنواع ، وتنتشر حول المناطق المزروعة المراعي التي تربي عليها قطعان الغنم والماعز وتسرح فيها الحمير والدواب والجمال .

إن الضَّبُّ من الحيوانات التي حرمت التوراة أكلها ، ويعتقد كمال صليبي أن الكلمة المستخدمة في سفر موسى لهذا الحيوان المحرم أكله تنطبق على ضب الصحراء العربية ولا تنطبق على الضب الذي يعيش في جنوبي فلسطين .

يذكر الجغرافي اليوناني سترابون في سياق حديثه عن حملة القائد الروماني ألبوس جالوس إلى جنوبي الجزيرة العربية ، أن الدجاج ليس معروفاً لدى أهالي عسير .

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن قائمة الحيوانات التي يمكن أو لا يجوز في تعاليم موسى تقديمها كأضاح لا تتضمن الدجاج ، علماً أن الدجاج معروف في فلسطين منذ أقدم العصور .

يعتقد كمال الصليبي أنه اكتشف في القرآن الكريم أيضاً وجود أدلة وقرائن على صحة نظريته بأن عسير وليس فلسطين البعيدة عنها قرابة ألفي كيل إلى الشمال هي أرض التوراة .

ويرى أن القرآن الكريم في سياق الحديث عن الأوائل والأنبياء يسرد أسماء مواقع وبلدان حجازية في أشكال مثيرة للاهتمام : فإذا كانت التوراة تكفي بذكر اسم جبل فإن القرآن الكريم يذكر الجبل واسم الوادي التابع له أو اسم المدينة أو البلدة المجاورة له . فمثلاً نادى الملاك على موسى من بين الأدغال في جبل حوريب . لكن حتى الآن لم يستطع أحد تحديد مكان هذا الجبل ، وجرت العادة على الظن بأنه في مكان ما بجنوب سيناء .

أما القرآن الكريم (السور ٢٠ و ١٢ و ٧٩) فيحدد المكان في وادي طوى المبارك ، وطوى اليوم هو اسم إحدى القرى في عسير .

يرى الصليبي أن جبل حوريب التوراتي موجود في جبل هادي الذي هو جزء من سلسلة جبلية ساحلية منخفضة في عسير . ففي وادي البقرة المحاذي لذلك الجبل بالذات يوجد اليوم موقع اسمه حريب . يضاف إلى ذلك أن التوراة (سفر موسى) تتحدث عن أسماء سبعة مواقع تبعد مسيرة أحد عشر يوماً عن جبل حوريب وهي : عربة ، صوف ، فران ، طوفل ، حازروت ، ديساهب ، لابان . وقد حقق كمال الصليبي أن تلك المواقع تبعد ٢٥٠ كيلاً عن جبل هادي بعسير، وبالفعل تحتاج تلك المسافة إلى مسيرة أحد عشر يوماً .

استناداً إلى السورة / ٢٨ / والسورة / ٢٤ / من القرآن الكريم توقف موسى بعد خروجه من مصر في موقع اسمه الظل وقد عثر كمال صليبي على هذا الموقع في منطقة المدينة المنورة بالقرب من ينبع النخل .

سبق للمستعرب والمؤرخ الهولندي راينهارت دوزي أن جمع أدلة كثيرة على الماضي اليهودي للحجاز وعسير في كتابه الذي صدر قبل ١٢٠ عاماً بعنوان «الإسرائيليون في مكة من أيام داود حتى القرن الخامس بعد الميلاد» . ونستخلص من كتابه هذا أن اليهود سكنوا الحجاز وعسير على الأقل منذ أيام داود . كما عثر على معلومات مفادها أن دولة عربية قامت بين مكة واليمن بين ١١٥ ق.م والقرن السادس الميلادي ، وكانت تدين باليهودية ، وهي دولة حمير التي مقرها اليمن . والمعروف أن آخر ملكين من ملوك حمير كانا يدينان باليهودية .

وخلافاً لرأي كمال الصليبي يعتقد المؤرخ الهولندي دوزي أن الوجود اليهودي القديم في غربي الجزيرة العربية جاء نتيجة لهجرة يهودية إلى الحجاز وعسير .

ثمة أدلة مادية على أنه لا يوجد لدى اليهود بأن فلسطين هي الوطن الأول لليهود . فالنصوص المكتشفة في جزيرة الفيلة في نهر النيل بمصر العليا تدل بأن يهود مصر العليا لم يسمعوا قط بمعبد سليمان العظيم كما أنهم عبدوا آلهة أخرى إلى جانب يهوا .

ان الفلاشة الذين هاجروا من جنوبي الجزيرة إلى الحبشة في الألف الأول قبل الميلاد على ما يظهر ، ويعتبرون أنفسهم يهوداً لم يعترف الخاخام الأكبر في القدس بيهوديتهم إلا مؤخراً وذلك عندما هربوا من مجاعة افريقيا إلى فلسطين .

جمع عالم اللسانيات الانكليزي (ف.ل. بيستون) من النصف الغربي من الجزيرة العربية من شأها إلى جنوبها ، أعداداً هائلة ومشتتة من النقوش الكتابية التي تتوزع في مجموعتين رئيسيتين ، الأولى تستخدم (ال) التعريف العربية والثانية تستخدم (ها) التعريف العبرية ، وأستنتج بتحفظ وحذر: ان هذه الظاهرة تكفي للاعتقاد بوجود مجتمعين لغويين كانا متصلين بعضهما مع بعض جغرافياً ثم تمازجاً . وفي كل الأحوال لابد أن نوعاً من الفسيفساء اللغوية ساد جنوبي الجزيرة العربية . وقد لاحظ العلماء منذ عشرات السنين وجود كمية من المفردات العبرية في جميع اللغات الحبشية . ترى هل مصدر تلك المفردات هو فلسطين التي تبعد

عن الحبشة قرابة ألفي كيلو متر أو بالأحرى جنوب غربي الجزيرة العربية المجاورة للحبشة؟

ومن الآثار اليهودية الأخرى في الحبشة التي تقع عسير قبالتها، نرى نجاشي الحبشة وقياصرتها حتى هيلاسيلاسي ينعتون أنفسهم بلقب (أسد يهوذا) وينسبون أنفسهم إلى سليمان، وأن شعار الخطوط الجحوية الأثيوبية اليوم هو الأسد التوراتي . وقد فسر عالم الساميات الألماني (فولف ليسلاو) هذه الظاهرة في بحث نشره عام ١٩٦٢ في مجلة الاستشراق الألمانية، فبين أن جماعات من سكان جنوب غربي الجزيرة العربية هاجروا إلى الحبشة في الألف الأول قبل الميلاد، وهذه هي الفترة التي تقوم عليها نظرية كمال الصليبي .

يفسر كمال الصليبي غياب الماضي التوراتي غياباً كاملاً من ذاكرة يهود مابعد السبي وأهل عسير بأسباب لغوية، ففي نحو ٥٠ ق.م كانت العبرية لغة شبه ميتة إذ حلت مكانها الآرامية حتى مطلع الميلاد، ثم جاءت العربية لتسود كلياً . وعندما توقفت العبرية عن أن تكون لغة حية واجه اليهود مشكلة في قراءة النص التوراتي ، ويتصور كمال الصليبي الأمر كالتالي: كانت نصوص التوراة المتوارثة مليئة بأسماء مواقع وبلدان لم تكن مألوفة لدى يهود إسرائيل ، لأن تلك الأسماء كانت تخص مواقع وبلدان في غربي الجزيرة العربية، وبعد ٥٠٠ ق.م تقلص عدد اليهود في غربي الجزيرة العربية تقلصاً شديداً بحيث لم يبق منهم إلا أقلية ضئيلة ، ويبدو أنه لم يعد بين صفوف هؤلاء علماء يتمكنون من مساعدة إخوانهم في الدين في فلسطين وبابل في فك طلاسم المواقع والبلدان وتصحيح لفظها لهم . يعتقد كمال الصليبي أن عوامل سياسية أيضاً فعلت فعلها في محو ذكريات اليهود بعسير، ففي جنوب غربي الجزيرة العربية سعدت جماعات جديد مثل المعينيين، وفي ظل هؤلاء فقد اليهود تماسكهم، وقد يمكن أن يكون وصولهم إلى البلد الجديد فلسطين ومن ثم صعودهم فيها بعد قدحاً ذكرياتهم القديمة عن عسير .

إذا أراد الصليبي أن تتعزز أسس نظريته فلا بد لعلماء التوراة أن يستعيدوا للإجابة على سلسلة من الأسئلة . وعلى الرغم من أن المسائل الدينية في التوراة لن

تبدل لأن المؤمن الديني سيان لديه إذا كانت الوصايا العشر قد نزلت على موسى في هذا المكان أو ذاك ، ففي نهاية المطاف ستبقى التوراة توراة ، وسيان مكان نزولها ، هكذا يقول كمال الصليبي . غير أنه من المؤكد أيضاً أن هناك الكثير من الناس ممن يرون في نظريته عدواناً على هويتهم الدينية والاجتماعية أو السياسية .

لكن حتى العرب المتصلين قد يجدون في نظرية كمال الصليبي نوعاً من الإساءة إليهم ، فالسورة (٢١) والسورة (٧١) في القرآن الكريم تعتبر أن فلسطين الأرض التي جعلناها مباركة للناس أجمعين . ومنذ فتح المسلمين لفلسطين في القرن السابع الميلادي صاروا يطالبون بفلسطين الجغرافية ، وصارت القدس ثالث الحرمين بين مكة والمدينة وذلك بسبب أحداثها التوراتية بالذات ، والتي جاء كمال الصليبي الآن لينقل مسرحها من القدس إلى العربية السعودية .

غير أن المسيحيين هم أقل الأطراف انزعاجاً من نظرية كمال الصليبي . فالنظرية لا تمس المسيح والعهد الجديد ، لاسيما وأن المفسرين في السنوات الخمسين الأخيرة قد أشبعوها دراسة . أما التوراة ككتاب فقد عززت مكانته نظرية كمال صليبي ، ولا بد أن العديد من أسماء المواقع والبلدان التي كانت مسرحاً للأحداث التوراتية والتي لم يتمكن العلم من تحديد مكانها الجغرافي حتى الآن ، أصبحت أماكنها معروفة بدقة أكثر بفضل هذه النظرية .

لكن ماذا في نظرية الصليبي من خروج عن المألوف ، هل الإكتشافات اللغوية (أسماء البلدان والمواقع التوراتية في خارطة عسير) واستنتاجات المراقب الحيادي مجرد مصادفات ولعب بالكلمات وخواطر جريئة . ان مثل هذه الأمور لا تبدى إلا بعد المناقشة الجدية للنظرية . وحتى إذا تبين بأن نظرية الصليبي لا تستند إلى أسس صحيحة كلياً أو جزئياً ، فإنه سيبقى له الفضل في وضع إشارة استفهام جديدة أمام عدد من التفسيرات الدارجة للأحداث التوراتية .

كان حكم علماء الآثار التوراتية ممن قرأ الكتاب رافضاً للنظرية ، وذلك مثل البروفيسور (أوسفالد لوريتس) الأستاذ في العهد القديم والعلوم (الأوغاريتية) في قسم اللاهوت الكاثوليكي بجامعة (مونستر) بألمانيا الاتحادية منذ ١٩٦٧ . فهو

من المختصين في الدراسات (الأوغاريتية)، و(أوغاريت) موقع أثري في شمالي سورية وقد تم العثور فيه منذ ١٩٢٩ على نصوص مسبارية سومرية وأكادية وحمورية وأوغاريتية . وحكم البروفيسور (لوريتس) على نظرية الصليبي هو التالي :

إن عملية نقل أحداث التوراة إلى مسرح عسير تُهمل الأدلة غير التوراتية التي يؤكد جزء منها على أن فلسطين الحالية هي نفسها فلسطين يشوع وسليمان، وبالتالي لا بد أن تكون أرض كنعان في منطقة فلسطين الحالية وذلك وفقاً للوثائق الأوغاريتية والفنيقية والآشورية والبابلية والمصرية، وإلا لن يكون لتلك الوثائق أي مغزى . كما أن منهج كمال صليبي في البحث عن الاسم البلداني العربي المناسب للاسم البلداني التوراتي يستند كلياً إلى لعب قسري باللغتين العربية والعبرية، ولا يظهر إلا عملية لعب بالكلمات . وعلى أساس مثل هذا المنهج يمكن لأي إنسان أن يبرهن على وجود فلسطين في أي بقعة يختارها من بقاع العالم العربي، كذلك يكرر الصليبي على الطريقة العربية الفرضية القديمة المتعلقة بهجرة إسرائيل إلى كنعان ، فهو ينقل الهجرة إلى الجزيرة العربية ويفعل ذلك وفق الطريقة المتميزة في التفكير العربي، إذا يهمل نتائج التحريات العلمية الحديثة إهمالاً تاماً . تلك التحريات التي أقرت بنشوء إسرائيل في أرض كنعان .

ومن يقفون موقف الرفض من نظرية صليبي في الجانب البروتستاني نذكر البروفيسور (فولكمار فريتس) أستاذ العهد القديم والآثار التوراتية والمنقب في عدد من التنقيبات الأثرية في فلسطين ، وهو يقوم منذ ١٩٨٢ بالتنقيب الأثري في تل العرجمي (كينيريت التوراتية) قرب بحيرة طبرية . وعلى الرغم من أن البروفيسور (فريتس) يعترف بأن نتائج التحريات الأثرية في فلسطين ضحلة فيما يتصل بالفترة الواقعة بين ١٥٠٠ - ٥٠٠ ق.م ، لكن إذا جمعنا المآثورات والوثائق غير التوراتية مع ماتم اكتشافه حتى الآن نجد أن الحصيلة تؤيد فلسطين أكثر مما تؤيد لعبة الصليبي بالألفاظ بالقياس إلى عسير . فقد تحقق مثلاً وجود قرابة ثلث الأسماء البلدانية الوارد ذكرها ، وسدس آخر نجد الدليل على صحة موقعه في فلسطين في

مصادر غير توراتية ، مثل النصوص المصرية من الألف الثاني قبل الميلاد .
ومخلص البروفيسور (فريتس) إلى النتيجة التالية :

إذا أراد أي زميل لنا أن يتصدى للتاريخ بأجمعه وأن يقلب الآراء المتعارف عليها رأساً على عقب فلا بد له أن يتقدم بحجج ممتازة ، وعليه أن يبرهن بأنه على حق . وما من شك أن المادة التي يطرحها الصليبي طريفة للغاية إلا أنها لا تحمل النظرية التي تقوم عليها . فهو يحمل الأدلة التاريخية والجغرافية والأثرية .

لذلك لا غرابة إذا كان الاختصاصيون الإسرائيليون قد نظروا إلى نظرية الصليبي نظرة شك منذ البداية وقبل أن يقرأوا كتابه . فالبروفيسور (إبراهيم مالمات) أستاذ التاريخ التوراتي في الجامعة العبرية بالقدس يعتبرها (فكرة متعادلة) وخرقاء . أما (موشيه كوحاوي) و(دافيد أوسيشكين) ، وهما عالما آثار مرموقان في جامعة تل أبيب ، فيعتبرانها (طائشة) و(مضحكة) و(سياسية الغرض من ألفها إلى يائها) .

يقوم (كوحاوي) بالتنقيب الأثري في موقع آف / انتياتريس منذ ١٩٧٢ ، وأوسيشكين في موقع لاختيش منذ ١٩٧٣ . وهما لا يعترضان على احتمال الوجود اليهودي في عسبر قديماً لكن ذلك الوجود - برأيهما - جاء نتيجة لهجرة يهودية من فلسطين إلى هناك ، وذلك في أعقاب الفتح الآشوري والبابلي لفلسطين بين القرن التاسع والقرن السادس قبل الميلاد .

إن الوحيد الذي أبدى موقفاً إيجابياً من نظرية الصليبي عندما سئل ، هو عالم الآثار التوراتية البريطاني (جون جيبسون) فهو يعترف بأن أجزاء من كتاب صليبي قد (سلبت البابه) . غير أن علماء اللسانيات تناولوا النظرية بالنقد أيضاً فالبروفيسور (فيرنر ديم) أستاذ فقه اللغة العربية في جامعة كولونيا بألمانيا الاتحادية يرى بأن صليبي يفتقر كلياً إلى المنهجية في معالجته للأمور ، وطريقته في التوفيق اللفظي بين الأسماء العربية والأسماء العبرية ضرب من ضروب الهوى والغنى ، كما أن الرية تكتنف كل حلقة في سلسلة البراهين التي يسوقها .

أما البروفيسور (يوشع بلاو) أستاذ الساميات في الجامعة العبرية بالقدس ،

ومن ألمع الإختصاصيين في هذا المجال ، فإنه لا يريد أن يدلي بحكمه على النظرية إلا بعد أن تكون الأسماء قد صُنفت تصنيفاً دقيقاً وفق توافق مقارناتها وتم تقييمها تقييماً احصائياً ، عندئذ سنرى ما إذا كانت ستصمد من الناحية اللسانية .

غير أن أستاذ الفقه العربي والتاريخ الإسلامي في جامعة هامبورغ البروفيسور (البريشت فوت) يقف موقفاً أقل تحفظاً من غيره من نظرية الصليبي ، إذ يقول :
فعلاً ثمة أسماء بلدانية كثيرة العدد في عسير تكشف عن وجود قرابة ظاهرة مع أسماء بلدانية في أماكن مختلفة من صفحات العهد القديم ، كما أن عملية الصليبي المعقدة للتوفيق بين المجموعتين العسيرة والتوراتية مقبول عادة من الناحية اللسانية ومن ناحية تاريخ اللغات ، لاسيما وأنه قد تبين عدم صحة الحجة المضادة بأنه من الممكن اكتشاف تشابه بين الأسماء البلدانية التوراتية من جهة وبين أسماء بلدانية في أي بلد عربي من جهة ثانية . لذلك فإنه من المحتمل جداً الإفتراض بوجود علاقة (مهما كان نوعها) بين الأسماء البلدانية التوراتية والعسيرة . وسيكون من واجب الباحثين في المستقبل تفسير أسباب ذلك التشابه في الأسماء . ويرشدنا البروفيسور (فوت) إلى الطريقة التالية : من الممكن التفكير مثلاً بوجود بقايا صورٍ عسيرة تسلفت إلى التراث التوراتي عن طريق فئة أو طبقة معينة من الإسرائيليين المتأخرين الذين كانوا يشكلون خليطاً غير متجانس ، ومع هذا قد تظهر معادلات تأويلية أخرى لا تخطر على بال أو على خاطر .

أكد البروفيسور (أوتو ياسترو) ، أستاذ الساميات وفقه اللغة العربية في جامعة أرلانغن بألمانيا الإتحادية على أن اكتشافات الصليبي للأسماء البلدانية تستحق الدراسة والبحث ، فهو أيضاً يرى أن التشابه اللفظي الموجود بين الأسماء البلدانية العسيرة والتوراتية العبرية واضح بشكل كافٍ ومنتظم بحيث يبدو التوافق بينهما محتملاً جداً .

غير أن الأسماء البلدانية العسيرة ليست عبرية بل تحتفظ — مع تعديل طفيف — بشكل لفظي سامي ، أقدم عهداً من العبرية ، وهي من الناحية اللغوية أقدم عهداً من الأسماء التوراتية ، لذلك فإنه يجوز لنا الاعتقاد بأن العبرانيين قد جلبوا

تلك الأسماء البلدانية كجزء من تراثهم اللغوي من عسير إلى فلسطين ، ثم شهدت تلك الأسماء التطور الذي شهدته العبرية .

غير أن المستبعد في الأمر أن تكون الأسماء البلدانية الحالية في عسير لفظاً عربياً للأسماء التوراتية ، أي أن تكون تلك الأسماء قد وصلت إلى عسير من فلسطين ، لأن الصيغة اللغوية الأحدث عهداً لا يمكن أن تتحول إلى صيغة أقدم عهداً . وإذا قُبِضَ لأسماء بلدانية النبات في غير مكانها الأصلي فإنه لا يمكن أن يحدث ذلك إلا بانتقالها من عسير إلى فلسطين ، ولعل ذلك تم بواسطة يهود عسير الذين أسسوا مواطن لهم في فلسطين ، وأطلقوا أسماء مواطنهم السابقة على مواطنهم الجديدة من باب الإحتفاظ بذكرىات الوطن الأصلي . وإن مثل هذا الإفتراض يتفق مع نظرية الصليبي والقائلة بأن يهوداً من عسير هاجروا في حوالي / ١٠٠٠ / ق.م باتجاه الشمال واستقروا في فلسطين .

وثمة مشكلة لغوية أخرى في نظرية الصليبي لم تجد لها حلاً حتى الآن . فإذا كانت الأحداث التوراتية بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠ ق.م قد جرت في عسير السعودية فلا بُدَّ أن تكون اللغة العبرية دارجة هناك ، إلى جانب ما يسمى باللغات الحجازية . وفي حين يعتقد الصليبي بذلك نجد البروفيسور (باسترو) يفترض بأن الأشكال البدائية للعبرية التوراتية كانت دارجة في عسير في كل الأحوال ، وبعد ذلك بعدة قرون جرى تدوين الأحداث التوراتية باللغة العبرية التوراتية المتأخرة ، غير أن ما يبدو أكيداً في تحليل البروفيسور (باسترو) أن الصورة العلمية اللغوية لذلك الزمان وإن كانت معالم حدودها غير واضحة جداً ، لا تتعارض مع نظرية الصليبي .

لعل علماء اللغات من أشدَّ الذين يشقون الطريق لنظرية الصليبي فهم — خلافاً لعلماء اللاهوت — يتحررون في غالبيتهم من مشاق التغلب على الأحكام المسبقة من الناحيتين الدينية والقومية .

وثمة عقبة أخرى تعترض طريق الأكثرية من علماء التوراة وهي عدم درايتهم دراية كافية باللغات القديمة فالغالبية منهم تعرف اللغة العبرية ، ويدعون أنهم

بين (أبها) و (عيفة)

أبها هي المدينة المعروفة التي هي قاعدة بلاد عسير، و(عيفة) اسم ورد في أحد أسفار «التوراة» وحاول أحد الغربيين أن يوجد صلة بينه وبين اسم المدينة المذكورة للتقارب بين الاسمين نطقاً ورسمياً (ABHA) و (AEFA) .

وللأستاذ الكريم محمد بن عبدالله بن حميد رئيس النادي الأدبي في أبها الفضل في لفت نظري إلى ذلك ، إذ أكرمني بتوجيه سؤال إلى من توسم فيهم المعرفة وخص اسمي بين هاؤلاء في كلمة نشرتها «المجلة العربية» - الجزء الـ ١٢٦ رجب ١٤٠٨ ص ١١٥ - جاء فيها ذكر سليمان في القدس وملكة سبأ وما قدمته من هدايا . ثم سياق جملة وردت في «سفر اشعيا» أحد أسفار «العهد القديم» . نقل كل ذلك ويندل فيلبس في كتابه عن مدينة سبأ «كنوز مدينة بلقيس» . وما نقله هذا الكاتب الغربي ونسبه إلى «سفر اشعيا» : أن الهجن من مدين وإيفا (أبها) ستأتي جميعها من سبأ وستجلب الذهب والبخور . إلى آخر ما ذكر ص ١٢٢ إلى ١٢٣ من كتابه المذكور .

متمكنون منها، كما يقول الأستاذ (لوريتس) .

يتوقع كمال صليبي بأن يعاني زملاؤه من حدود إمكاناتهم مثلها يعاني من حدود إمكاناته، ففي البدء سيحاول هؤلاء - والكلام للصليبي - تجاهل نظريتي بكل بساطة، وإذا لم يتحقق لهم ذلك فسيحاولون للسخرية منها، وإذا لم يتحقق لهم ذلك أيضاً فإنهم سيناقشوها ، وهذا ما أرمي إليه .

لا نعرف بعد نتائج مثل تلك المناقشة، طالما أن علماء اللغات وعلماء الآثار لم يقوموا بتحريات واسعة في عسير . وحتى عالم الآثار التوراتي (فريتس) الذي يتخذ موقف المشكك من النظرية ، يعترف بأنه قد يوجد في عسير آثار لم تكتشف حتى الآن والتي قد تكون ذات دلالة للتاريخ التوراتي .

والواقع أنني ليس لديّ من الإلمام بما ورد في أسفار «العهد القديم» من أخبار ، ولكنني أدرك — كما يدرك غيري — ما عتراها من التحريف والتغيير والتبديل ، بدرجة تضعف الاعتماد على كل النصوص التي وصلت إلينا منها . وإضافة إلى هذا فقد شاهدتُ في النص اضطراباً في المعنى ، دفعني إلى الاستقصاء باطلاع على ماورد في ذلك السفر ، ولأنني أدرك أن مُعَرَّبَ كتاب ويندل فيلبس ليس دقيقاً في تعريبه ، على ما توضح لي من أعماله في مؤلفين من مؤلفات فليبي ، أحدهما عن تاريخ المملكة ، والثاني عن أرض مَدْيَن — بحيث لم يسلم اسما الكتابين من التغيير ، فأصبحا لا يدلّان على ماأراده المؤلف بهما .

وقد صحح ما توقعته بعد مطالعة النص الوارد في «سفر اشعيا» واتضح لي تحريف النص من ناحيتين :

الأولى : تغيير هجاء الاسم ، فهو في الترجمة العربية القديمة للدالك السفر (عيفة) ، لا كما ورد في ترجمة كتاب ويندل فيلبس (إيفا) .

الثانية : أن النص كما قرأه عليّ أخي الأستاذ الدكتور عبدالله الوهبي هو : تغطيك كثرة الجمال — بُكَرَّان — مديان وعيفة ، كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً .

ومن هذا النص يتضح أن (عيفة) هذه تقع في بلاد مدين أو جهتها — على ما سيأتي ايضاحه — وإذا نظر الباحث إلى الموضوع نظرة أشمل ، أدرك أن مدينة أبها لا تقع على أحد الطرق القديمة المعروفة التي اعتادت القوافل المرور بها ، لأنّ البلدة مرتفعة في سفوح السراة ، والوصول إليها من الناحية الغربية الموالية لبلاد سبأ تُعْتَرِضُهُ عقاب شاقة ، وجبال شاهقة ، وقد لا يجد الباحث فيها هو معروف من الكتب ذكراً لهذه البلدة باعتبارها واقعة على طريق القوافل ، ولو كانت بهذه الصفة لما فات كثير من المعنيين بتحديد المواقع العربية ذكرها ، وهذا لا ينفي كونها قديمة ، فقد ذكرها الهمداني المولود سنة ٢٨٠هـ في موضعين من كتابه «صفة جزيرة العرب» وذكر أنه عُثِرَ على قبر ذي القرنين — فيما يقال — بقربها على رأس ٣٠٠ سنة من الهجرة ، ولكن لم يذكر هو ولا غيره أنها واقعة على طريق مسلك للقوافل ،

مع شدة اعتناء الهمداني بما يتعلق ببلاد جنوب الجزيرة من تحديد مواضع، وذكر مسالك، وإيضاح طرق .

وإذا رجعنا إلى مؤلفاته ومؤلفات غيره ممن كتب عن الطرق القديمة اتضح لنا أن أشهر الطرق التي كانت مسلوكة في القديم هي التي عُرِفَتْ فيما بعد طرقاً للحج ، ولاشك أن قوافل التجارة وعمرات الجيوش الغازية في القديم كانت تسير في تلك الطرق .

وأشهر طرق اليمن على ما أوضح الهمداني وغيره طريقتان: الطريق المارُّ بأسافل بلاد عسير وأشهر منازلها بعد صنعاء: ريدة، وصعدة، وطلحة المَلِك، وكُتْنَة، وبَيْشَة، وتُرْبَة، وشَرَب أسفل الطائف، ثم قرن المنازل فنخلة فمكة المكرمة .

هذا الطريق يمرُّ شرق بلدة أبها جاعلاً سلسلة الجبال يمينه، سائراً في سفوحها تفادياً لوعورة الطريق، وتجنباً لما في تلك السلسلة من عقبات، فهو يمرُّ بِكُتْنَة على مقربة من مدينة جَرَش، التي عرضها وعرض كتنة واحد لأنها على خط طول واحد من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم كما ذكر الهمداني .

أما الطريق الثاني فهو يمرُّ بتهامة نازلاً من صنعاء وما حولها من البلاد على وادي مَوْر، وماراً بالمنازل المعروفة التي من أشهرها ضنكان وحَلْي ودَوَقَة والليث ويللمم ومكة المكرمة^(١)، أي في سفوح الجبال من الناحية الغربية مما يلي البحر .

أما طريق شرقي اليمن بما فيه مأرب البلاد التي ورد اسم أبها في سياق الحديث عن اكتشاف آثارها، فإن طريقه يجتمع مع طريق حضرموت، وطريق حضرموت^(٢) يمرُّ بالعبر، ثم بالجوف (جوف مراد) ثم بصعدة ويلتقي في صعدة بطريق صنعاء، ويستمر إلى كتنة بقرب جرَش ثم ببيشة وما بعدها من منازل .

وهناك طريق ثالث لليمن إلى العراق وغيره، ذكره الهمداني في كلامه على قرية المعدن (معدن الرضراض) إذ قال في وصف تلك القرية^(٣): كان الجهاز يرد إليها من البصرة والقطرات إليها ومنها، على طريق العقيق والفلج واليامة والبحرين إلى البصرة، وكذا كانت الرفاق تسلك من صنعاء إلى البصرة، ومن البصرة إلى

صنعاء، وطريق اليمامة، وقد سلكها أصحابنا. انتهى. وتلك القرية تقع بقرب (مأرب).

ولا أستبعد أن يكون طريق مأرب (سبأ) إلى بلاد الشام، أو مَذْيَنَ في شمال الحجاز كان يمر بهذا الطريق الذي يتجه شمالاً قَصْداً حتى العَقِيق (وادي الدواس) ولا يأخذ ذات اليمين إلى القَلَجِ (الأفلاج) بل يتجه نحو الشمال حتى يجتاز اليمامة ويستمر نحو القصيم، حتى يصل إلى ملتقى للطرق معروف منذ القدم في مكان عرف قديماً باسم (أبوا) وبعد ذلك باسم (القريتين).

ويحسن الوقوف عند هذا الموضع لبيان أهميته باعتباره موقع اتصال من وسط الجزيرة إلى جميع الجهات.

لقد كانت بلاد القصيم من مواطن الحضارة القديمة التي لا تزال نجهل تاريخها، فقد كان هذا البلد من أخصب أقاليم الجزيرة أرضاً، وأغزرها مياهاً، مع جهل تاريخه القديم، ولكثرة مياهه كانت تنتشر فيه الحُمى حتى قضت على أهله، ومن ثم قيل:

إِنَّ الْقَصِيمَ بَلَدٌ عَمَّةٌ أَنْكَدَ أَقْفَى أُمَّةً فَأُمَّةً^(٤)

ومن أشهر قراءه وأقدمها (أبوا)^(٥) - بعد الألف المفتوحة باء موحدة ساكنة، ثم واو مفتوحة فالألف مقصورة - وهو اسم يطلق على قريتين تقعان في بطن وادي الرِّمَّةِ على مقربة من عُنيزة، كانتا لَطْسَمٍ وَجْدِيسٍ، وعرفتا في صدر الإسلام باعتبارهما من منازل طريق الحج الكوفي - فيما بين النَّبَاجِ (الأسياح) شرقاً، ورامه غَرْباً، وقد عُثِرَ في (أبوا) في القرن الثاني الهجري على نقود من عهد طسم وجديس^(٦).

وقد عرفت (أبوا) هذه في صدر الإسلام باسم (القريتين)، وحازت شهرةً واسعة في المؤلفات التي تعرضت لوصف مسالك الجزيرة وطرقها، لأنها تقع في ملتقى أهم الطرق التي تعبر الجزيرة من شرقها إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها، فكان لا بُدَّ للقوافل المتجهة إلى الشام القادمة من اليمن، أو الذاهبة إلى العراق من

الحجاز أو تِهامة من المرور بتلك البلدة، والقوافل من شرق اليمن (مأرب وحضرموت وماحولها) كانت في اتجاهها إلى شرق الجزيرة تسلك طريق أَلْفَلَج (الأفلاج) إذا اتجهت صوب العراق، وإذا اتجهت صوب الشام مرّت بِالْعَقِيق (وادي الدواسر) ولا بُدُّ لها من العبور بِأَبْوَا (القريتين) ثم سلوك الطريق المارة بغرب الجبلين إلى الطريق الجوشية (المارة بِجَوْشَ وَالْعَلَم) فبلاد مَذْيَن، ثم ازدادت شهرتها بعد أن أصبحت ملتقى قوافل الحجاج في صدر الإسلام .

هي خاطرة عبرت في ذهني قد لا تكون صحيحة، وأراها جديرة بمزيد من التمعن .

وأعود إلى البحث في النص الذي أثار هذا الموضوع .

لعل المستشرق التشيكوسلوفاكي (الويس موزل) هو أوفى من تناول اسم (عيفة) بالبحث في كتابه «شمال الحجاز» وفي القسم الذي نقله إلى العربية الدكتور عبدالمحسن الحسيني - رحمه الله - ، فقد عد (عيفة) من أبناء مَذْيَن ونقل عن «سفر اشعيا» (٦٠-٦١) أنه بشر صهيون بأن الجمال ستأتي إليها من مدين وعيفة تحمل ذهب التجار السبئيين . كما أشار إلى أن (عيفة) هذه كانت تقع في مكان قريب من واحة تيباء ، وأنها هي الواردة في الكتابات الآشورية باسم (خايابابا) من ولد إبراهيم ، وتكون الفرع الأول من قبيلة مدين، ولم يقف الأستاذ موزل عند هذا الحد، بل أضاف^(٧) : واسم عيفة لازال باقياً محفوظاً في التسمية التي تطلق على الأطلال القديمة لمعبد الغوافة، كما تنطقه بعض بطون بني عطية، وإن كانت البطون الأخرى مثل حويطات التَّهَم تنطقه روافة . ثم أضاف: إبدال الغين والعين راءاً أمرٌ شائع دائماً - ثم أورد أمثلة من ذلك - يحسن الرجوع إليها لمن أراد التوسع في البحث .

ولعل الذي يَعرني من يهتم بالدراسات الجغرافية مما يتعلق بهذه الملاحظة التي أوردها الأستاذ الكريم محمد بن عبدالله الحميد هو إيضاح خطأ من حاول تطبيق اسم (عيفة) على (أبها) إذ قد اتضح من النص القديم أن ذلك الاسم يُقصد به أحد أبناء مَذْيَن، وموقع بلاد مَذْيَن لا يحتاج إلى إيضاح .

لغة الاعلام

[نشرت «العرب» من ٢٣ ص ٣٧٣ بحثاً وافياً للدكتور منير البعلبكي الذي أثناء انعقاد الدورة الأخيرة لمؤتمر مجمع اللغة العربية عن الاعلام وما هو بحث آخر ألفاه الأستاذ حسن عبدالله القرشي في تلك الدورة] .

كان الاعلام ، ومتفرعاته - ومازال - أحد العوامل المهمة التي تركز عليها الأمم في إظهار الوجه الحسن لتراث الأمة ، ورصد مراحل تطورها وإبراز ما هي عليه من عزة ومنعة ، وما تتمتع به من حاضر مرموق ، وما يتظرها من مستقبل باهر .

وخلال الحروب الباردة والساخنة معاً كان الإعلام هو المعوان لصد أطماع الأعداء ، والايحاء إلى القوى الكامنة والمدخرة لدى الشعوب .

وقد أصبح للإعلام خبراء ، ومستشارون وكليات جامعية متخصصة ، ووزارات تُرصد لها الأموال الكثيرة . وشركات ومؤسسات كبرى تُستثمر فيها الملايين من الدولارات ويعمل بها مئات الآلاف من الفنيين والمختصين في مختلف الحقول ، وأصبحت ركائزه من صحافة ، وإذاعة ، ومكتبات ، وتلفزة ، وأدوات نشر مؤسسات ضخمة مؤثرة تضم الآلاف من ذوي التخصصات الراقية في

ولا أريد أن أذهب بالقارئ بعيداً لأشير إلى الاختلاف في موقع سبيل المذكور في القرآن الكريم بدون تحديد مكانه ، ولهذا وقع بين كثير من علماء الآثار اختلاف في تحديد الموقع ، وعلى رأي من ينفي كونه في اليمن تصبح الجملة التي استدل بها ويندل فيلبس غير ذات مدلول على ما أراد .

حمد الجاسر

الحواشي :

- ١ - «صفة جزيرة العرب» ٣٠٣ وكتاب «الناسك» ٦٤٧ .
- ٢ - «صفة جزيرة العرب» ٣٠٤ .
- ٣ - «الجوهري» ٩٠ . ٤ - «معجم البلدان» رسم القصيم .
- ٥ - آثرت كتابة الكلمة كما تنطق دفماً للالتباس ، لا كما ورد في المؤلفات القديمة (أبوي) .
- ٦ - «الناسك» ٥٨٨ و«معجم البلدان» رسم (أبوا) و«معجم ما استعجم» رسم (أبواب) .
- ٧ - «شمال الحجاز» ٨٩ .

مجالات الثقافة ، والفكر ، والاجتماع ، والاقتصاد ، يسخرون أفكارهم وأقلامهم لمسيرة هذا المرفق الحيوي الهام الذي هو مرفق الإعلام .

لذلك فليس غريباً أن يتجه الحديث إلى (لغة الإعلام) ومناهج القول فيها مما عناه بتخصيص مجمعنا اللغوي العريق .

وإذا كانت اللغة هي أهم أسباب نجاح الإعلام على الإطلاق فما هو النهج الأصوب الذي يجب أن تسير عليه لغة الإعلام ؟

لاشك أن اللغة الإعلامية ينبغي أن تنقسم قسمين :

القسم الأول : اللغة التي نستخدمها في الوسائل المطبوعة (من كتب وصحف ومجلات وروايات ، وقصص) فهذه يتعين أن تكون اللغة الفصحى .

ولا يغرب عن البال أن الفصحى قد أصيبت بالكثير من أدواء العجمة نتيجة التقهقر الذي عرا تدريس هذه اللغة في المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، والتدني في مستويات التحصيل ، مما يتطلب تلمس العلاج الناجح لذلك .

ورغم ما توافرت المجامع اللغوية على تسهيله واشتقاقه من عبارات .. وما استحدثته من مصطلحات للتمشي مع روح هذا العصر المعجل فإن الضعف ما يزال سمة ملازمة للغة الفصحى في الإعلام .

أما القسم الثاني : فنظراً لأن الإذاعة والتلفزة بخاصة تخاطبان جميع الطبقات التي تتكون من متعلمين وأمينين فإن الطريقة المثلى - في رأبي - هي أن تكون لبعض موادها لغة مبسطة بعيدة عن التعقيد تكون مفهومة للمتعلم وغيره على السواء ، رغم ما جنحت إليه بعض أجهزة الإذاعة المرئية والمسموعة من تخصيص ما يسمى بالبرنامج الثاني لفئة الطبقات المتعلمة .

ولا أقصد بتبسيط اللغة بالنسبة لغير المتعلم هو الهبوط بمستواها ، ولكنني أقصد أن تكون لغة ميسرة سهلة مشتقة من الفصحى ذاتها هدفها الارتقاء بالمفهوم العادي وصلقه ، ويمكن أن تقدم بها المواد الترفيهية ، وما يماثلها .. وربما اندرج تحت هذا المفهوم اللغة التي يجب أن نخاطب بها الطفل في وسائل الإعلام .

وإذا كانت اللغة هي الوسيلة للإعلام فإن مضمون الإعلام ذاته يجب أن يكون مضموناً صادقاً ، فلا ينبغي أن يكون مثلاً أداة طيعة للأهواء أو تزييف حقيقة والدعوة لمبدأ هدام ، أو الترويج لسلعة تافهة .

ان من آفات بعض صنوف الإعلام الجنوح إلى اصطناع منهج الكذب أو التدجيل ، والبأس الباطل ثوب الحق ، وخداع القارئ أو السامع أو المشاهد وكل أولئك أردية خلقة سرعان ما تتكشف للناس ، ويبدوزيفها وخاؤها مما يؤثر تأثيراً بالغاً على سمعة إعلام الدولة وتخلخل الثقة به ، وانعدام مصداقيته .

ونحن نعرف مثلاً أن هناك محطات للاذاعة يؤثر السامع سماع انبائها على أبناء سواها - وما ذلك إلا لأنها انتهجت تحري الصدق في بث الأنباء حتى أصبح ذلك تقليداً لها في هذا المضمار .

فتحرّي الحقائق المجردة ، ورصد الوقائع الثابتة هما الأداء الصحيح للإعلام الناجع ؟ ومهما ضاعفنا من جهود في هذا السبيل فإنها الجهود التي تؤتي ثمارها ، وتصيب أهدافها .

وهناك اقتراح يمكن إيلاؤه عناية خاصة ويتلخص في حث المسؤولين في وزارات الإعلام في الدول العربية على ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى في نشرات الاخبار وأبعاد الكلمات العامية والحوشية منها نهائياً فيما يقدم من مواد اعلامية عبر الإذاعتين المرئية والمسموعة كي تكون هذه النشرات واجهة حية للغتنا العربية .

وبعد : فإن هذا البحث وهو لغة الإعلام - والذي آثرت أن أوجز القول فيه خشية الاطالة والإملال - ورغبة في إتاحة الفرصة الزمنية لأكارم الزملاء - هو جديد الموضوع بكل تفاصيله إذ أننا نبحث عن أمثل الطرق للوصول إلى القارئ ، والسامع ، والمشاهد ، وفي نفس الوقت يجب ألا ننسى ولو للحظة واحدة أن تراثنا هو لغتنا العربية لغة القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى وتعهده بحفظه ، وحديث المصطفى ﷺ ، ومن الأنسب دائماً أن نبحث في هذا العصر ما يعزز مكانة هذه اللغة ، وقيمتها ويزيد من رقعة انتشارها ورفع مكانتها .

تعليقات على :

كتاب الشيخ محمد أمين الشنقيطي لعبد اللطيف الدليشي الخالدي

نشرت مجلة « العرب » ج ١١ - ١٢ الجهاديان سنة ١٤٠٧ هـ ، عرضاً مفيداً
لكتاب الشيخ محمد أمين الشنقيطي للمؤلف العراقي الأستاذ عبد اللطيف الدليشي
الخالدي ، وقد طبعت هذا الكتاب وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية
العراقية ، وكان الحلقة العشرين من سلسلة الكتب الحديثة ، وصدرت طبعته
الأولى سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

وللكتاب حستان بارزتان ، إحداهما منهجية ؛ فالأستاذ الدليشي الخالدي
اعتمد في هذا المؤلف أسلوب العالم الرصين ، متبعاً بخطى ثابتة حياة المصلح الشيخ
الشنقيطي ، وسائقاً مختلف المعلومات التي من شأنها أن تضيء حياة هذا الشيخ ،
ولم يكتف الأستاذ المؤلف بالعودة إلى المراجع المتعلقة بالعراق والكويت وتاريخهما في
بداية هذا القرن للوقوف على الظروف السياسية والاجتماعية التي اكتنفت حياة
الشيخ الشنقيطي ، وقام فيها بدور إصلاحي متميز ، بل عاد إلى المراجع القليلة
المتعلقة بشنقيط ، والأدب الشنقيطي ، ليكتمل بها ترجمة هذا المصلح في مختلف
أبعادها .

ولعل من بواذر الخير ما أصبحنا نلاحظه في المؤتمرات الدولية والمحافل العالمية
من التزام مندوبي الدول العربية وبعض الدول الإسلامية الحديث باللغة العربية
بهدف ترسيخها والتعريف بجماها وأصالتها وجرسها المحبب وفرضها على
مجتمعات العالم ، ما أمكن ذلك .

وأكرر تقديري للزملاء الصفوة الفضلاء على تلتفهم بحسن الاصغاء
وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

حسن عبدالله القرشي

ولاشك أن الأستاذ عبداللطيف مطالبٌ عِلْماً وَعَمَلاً بهذا المنهج ، فمقتضيات البحث تفرض عليه الرجوع إلى كل ما من شأنه أن ينير طريق بحثه ، ويفتح مستغلقاته ، غير أنه والله الحمد قد أعطى للبحث العلمي حقه ، فتقصي كل التقصي ، ونقب كل التنقيب ، وتوخى الحقيقة ، وسعى لها سعيها ، وكان سعيها مشكوراً .

وحسنةً هذا الكتاب الثانية تعود إلى مضمونه ، ولن أطيل هنا ، بل أكتفي بإشارة مجلة « العرب » الموجزة الدالة ، فالكتاب (من المؤلفات التي لا يسع المعنيون بدراسة تاريخ رجال الإصلاح في عصرنا الحديث الاستغناء عنه) .

هاتان ملاحظتان سقتهما تنويهاً وأعجاباً بهذا الكتاب المفيد باسمي قارئاً عربياً ، أما وأني موريتاني فلي على هذا الكتاب المتعلق بأحد أبناء موريتانيا ملاحظات : منها شكري للأستاذ عبداللطيف على تعريفه بهذا العالم المصلح الشنقيطي ، وعلى إيرادِهِ لبعض مظاهر الأدب الموريتاني الذي مازال مجهولاً في الساحة العربية ، فالأستاذ عبداللطيف قدم خدمة جليلة للأدب الموريتاني بكتابه هذا .

بيد أن انعدام الدراسات العلمية المتعلقة بالأدب الموريتاني ، والتاريخ الموريتاني ، سواء كانت تحقيقاً للنصوص أو تأليفاً تكاد تكون معدومة في المكتبة العربية ، وهذا ما يجعل أي تأليف يتناول موريتانيا عرضة للوقوع في بعض الأخطاء .

وحرصاً على تكميل مقام به الأستاذ عبداللطيف في تأليفه استسمحه في تصويب بعض الأخطاء الواردة في هذا الكتاب والمتعلقة بالأدب والتاريخ الموريتانيين .

١ - ففي الصفحة ١٢ جاء في الهامش (٢) عند ذكر عبدالله بن حَمْنِ الكرمي قول المؤلف : (هكذا ورد في مذكراته الخطية إلا أن صاحب « الوسيط » أثبت بلفظ (ابن حَامْن) بتشديد الميم والنون المفتوحتين ، وهو من قبيلة الاغلال البكرية ص ٩١) . انتهى هامش المؤلف .

والصحيح أن عبدالله بن حَمَيْنَ شَيْخَ محمد أمين الشنقيطي ، غير الشيخ بن حَامِنُ الذي ذكره صاحب « الوسيط » . فعبدالله بن حمين حسني وهو ابن عم الشيخ محمد أمين الشنقيطي وشيخه ، أما الشيخ بن حَامِنُ فهو من علماء مدينة شنقيط وأشتهر بتأليفه الفقهية والقرآنية (ت ١٣١٨ هـ) .

ولعل مرد خلط المؤلف بين العلمين يعود إلى تقاربهما في اللفظ ، فاحدهما ابن حَمَيْنَ والآخر ابن حَامِنُ .

٢ - وقد ورد ما يشبه اللبس السابق في الصفحة (١٥) في الهامش (١) فقد نقل المؤلف عن كتاب « الوسيط » عندما أراد الترجمة للشاعر الشنقيطي محمد بن حنبل ان أصله من تَأَكَّنِيَتْ . وعندما أراد المؤلف أن يعرف القارئ بتَأَكَّنِيَتْ قال : (وأما تَأَكَّنِيَتْ أو تَكَانَتْ فمعناها الغاية) .

والصحيح أن تَأَكَّنِيَتْ غير تَكَانَتْ ، فاللفظة الأولى علم على قبيلة من قبائل موريتانيا ، تسكن في جنوب البلاد قرب مدينة أبي تليت . وقد ترجم لهذه القبيلة أَحَدُ أعلامها وأشياخها المؤرخ المختار بن حامدن في ج ٨ من موسوعته التاريخية التي مازالت مخطوطة في المعهد الموريتاني للبحث العلمي .

أما تَكَانَتْ فهي منطقة جبلية تقع وسط موريتانيا شرقي آدرار . فتقارب تَأَكَّنِيَتْ (القبيلة) وتَكَانَتْ (المنطقة) في اللفظ أحدث هذا الالتباس .

٣ - ذكر المؤلف في ص ٢٢ الهامش (٢) ان صاحب عمود النسب هو أحمد البدوي المجلسي الذي نظم انساب القبائل في شنقيط ، كما نظم غزوات النبي ﷺ ، - « الوسيط » ، ص ٣٥٠ - . انتهى كلام المؤلف .

وإذا رجعنا إلى « الوسيط » في الصفحة المذكورة لا نجد ذكراً لمؤلف حول انساب القبائل في شنقيط ، فصاحب « الوسيط » يقول : (وهو - أي أحمد البدوي - الذي أحى انساب العرب بنظمه عمود النسب) « الوسيط » ص ٣٥١ .

والمعروف أن أحمد البدوي ألف نظماً في أنساب العرب سماه «عمود النسب»
بداه بقوله :

حمداً لمن رَفَعَ صِيتَ الْعَرَبِ وَخَصَّهُمْ بِسِنَّ الْأَنَامِ بِالنَّبِيِّ
وَعَمَّهُمْ إِنْعَامُهُ بِنِسْبَتِهِ فَدَخَلُوا بَيْنَ الْوَرَى فِي زُمْرَتِهِ

وقد شرح حماد المجلسي وهو من أسرة أحمد البدوي ، نظم «عمود النسب»
شرحاً طبع مؤخراً في دولة الإمارات العربية المتحدة . وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر
في كتابه «رحلات» (١) ص ٢١٣ عند حديثه عن الشيخ أمين بن حسن الحلواني
انه (كان يتزل في المدينة في دار مطلة على (الحديقة العينية) كما يدل على ذلك
ما جاء في طرة المخطوطة رقم ٢٢ ش (تاريخ) من كتاب «عمود النسب»
المخطوطة بدار الكتب المصرية ، وهو بخط الشيخ الحلواني نفسه وهذا نصه :
قرأت هذا الكتاب «عمود النسب» للفهامة أحمد البدوي قراءة ضبط وتحرير
ودراية ورواية فأوضحت مشكله ، وأعربت مغلقه ، وبينت مبهمه ، وفصلت
جممله ، على شيخنا واستاذنا علامة فن اللغة والأنساب ، وفهامة علم سيرة النبي
والاصحاب ، إمام الحرمين بلامدافع ، سيدنا النسابة الشيخ محمد محمود
الشنقيطي : ...) ..

٤ - وفي الصفحة ٢٥ إشارة إلى انتساب الحسينين - أو أد أبلحسن - إلى
قبائل بني معقل والواقع انه لا علاقة بينهما . فاد أبلحسن كما في الجزء ٢١ من
موسوعة المختار بن حامدن التاريخية إحدى قبائل الزوايا المشهورة بكثرة علمائها
وشعرائها ، ومنهم صاحب الترجمة الشيخ محمد أمين الشنقيطي . والقبيلة كما في
الموسوعة بطون كالاتي : أولاد اخطيرة ، أولاد بوالمختار ، أولاد اعمر أكداش ،
أولاد أحمد بن يوسف ، أداشغرة ، ادوكدشله ، وأولاد بانعمر .

أما بنو معقل أو بنو حسان فقد خصص لهم المؤرخ المختار بن حامدن الجزء ٢٦
من موسوعته . والمعروف ان بني حسان إحدى فصائل قبائل بني هلال وبني سليم
الذين جاؤوا إلى المغرب العربي في هجرتهم المشهورة في عهد الدولة الفاطمية
بمصر . وقد جاؤوا إلى بلاد شنقيط دفعات منذ القرن الثامن الهجري ، ومن

قبائلهم بموريتانيا التراززة والبراكنت وأولاد يحيى بن عثمان وأولاد الناصر وأولاد رزق وأولاد ادليم وأولاد امبارك ... الخ .

٥- وفي ص ٢٦ ذكر المؤلف فئة من المجتمع الموريتاني القديم معروفة اصطلاحاً باللُّحْمَة أو الزُّنَاكَة . وذهب إلى ان هذه اللفظة محرفة من الزنج .. الخ ، والمتعارف عليه عند الموريتانيين ان الزناكة ليسوا زنوجا بل هم من الجنس الأبيض ، وان الكلمة تحريف لصنهاجة ، وصنهاجة كما هو معروف في التاريخ عرب عند أغلب النسابة والمؤرخين ، بربر عند ابن حزم وابن خلدون .
٦- وفي ص ٢٩ وقع خلط بين ابناء بانعمر وابناء اعمر اكداش وهما بطنان منفصلان من ادابلحسن وليسا علما على حقيقة واحدة .

٧- وفي ص ٣٠ وقع خطأ في تعريف محمد محمود التندغي حيث ذكر المؤلف ان قبيلة تَنْدَغُ يقال لهم العلويين أو إدوغل ، والصحيح أن تندغ غير إدوغل ، كما حدد صاحب « الوسيط » في تراجم أدباء شنقيط ذلك عند تعرضه لشعراء ادوغل وشعراء تندغ ، وقد خصص ابن حامدن الجزء (٧) من موسوعته لتندغ كما خصص الجزء (٢٠) لإدوغل .

٨- وفي ص ٦٧ ذكر المؤلف في الهامش (١) عدم استقامة وزن البيت :
مَاالرَّأْيُ عِنْدَكَ فِي فِتْيَ تَبَاعَدَ عَنْ أَوْطَانِهِ لِمَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ فِتْيَ ؟
ويعود تكسير وزنه في نظر المؤلف إلى انه انتابته الزيادة أو نقصان بالتحريف وربما - والكلام دائما للمؤلف - كان هذا من غبون البسيط أو مجزؤه .
والواقع أنه لا وجود لبحر يسمى غبون البسيط ، وإخال أن المؤلف معي في ذلك - ثم إن البيت مستقيم الوزن لم تتبه زيادة ولا نقصان يفسدان إيقاعه .
وقد دخله زحاف الخبن ثلاث مرات : مرتان في الصدر ومرة في العجز ، والخبن من الجوازات العروضية التي لا تفسد الوزن ولا تُحوّل البسيط التام إلى مجزوء البسيط . مع ان طريقة كتابة هذا البيت لم تراعى المعهود في كتابة الشعر العمودي حيث لم يفصل بين شطره فجاءا متصلين .

٩- وفي هامش الصفحة الـ ٦٨ عرف المؤلف باللغوي الشنقيطي الشهير

الحُتْنِيَّةُ بعضها في الحل وبعضها في الحرم

... لقد كانت رغبتكم مني أن أذكر نتيجة ما توصلنا إليه في جولتنا حول حدود الحرم بمعناه الواسع فيما يتعلق بالحديبية - الشمسي - هل هي حرم أم حل أم ان بعضها حل وبعضها حرم .

لقد قمنا بجولة دائرية حول محيط الحرم ، واطلعنا على مجموعة من آثار أعلام

→ محمد محمود بن التلاميذ التركي ورسم اسمه خطأ محمد بن محمود بن التلاميذ كما ذكر انه مر بابن بلعش الحكفي بتندون (وهي بشنقيط) والصحيح انه مر بتندوف وهي مدينة جزائرية .

١٠ - وفي الهامش (١) من الصفحة ٨٠ وقع لبس عند قول المؤلف :
(الديماني نسبة إلى أبناء احمد بن دامان من قبائل بني حسان) .

والواقع ان الديماني نسبة إلى أبناء ديمان وهم إحدى قبائل الزوايا وقد خصص لهم ابن حامدن في موسوعته الجزء (١٦) . أما أبناء أحمد بن دامان فهم إحدى قبائل الترازة من بني حسان وقد مر بنا ذكرهم في الملاحظة (٤) . وقد يكون تقارب اللفظين ديمان ودامان سببا في الخلط بينهما .

١١ - وفي ص ٨٣ في الهامش (١) وقع التباس بين عَلمَيْنِ متقاربين جداً ، فهناك علم شنقيطي شهير يعرف بالشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة وهو من مشايخ الطريقة الصوفية القادرية (ت ١٢٨٤هـ) ، ولهذا الشيخ حفيد يسمى كذلك الشيخ سيدي بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي ويعرف الحفيد بلقب باب . وقد وقع خلط بين الجد والحفيد ، فجعلنا علماً لشخص واحد ونسب لهذا مالمالك والحال أنها شخصان والله الموفق .

نواكشوط : سيد أحمد بن أحمد سالم

أستاذ الأدب العربي بالمدرسة

العليا لتكوين الأساتذة

على خط هذا المحيط الدائري ، وأذكر ما شاهدناه ابتداء من التنعيم إلى الأعلام التي على طريق جدة القديم ، وما سجلناه وهذا نصه :

ثم يتجه المحيط من أعلام التنعيم إلى الجهة الشمالية الغربية ليتصل بشرقة الشيق ، وقد وجدنا فيه علمين أحدهما فوق مرتفع صغير ، يبعد عن أعلام التنعيم بقراءة ثلاثة أكيال ، ثم يتجه المحيط جنوباً بمسافة نصف كيل ويوجد في نهايتها العلم الثاني ، وهما عبارة عن آثار أعلام ، ثم يتجه المحيط إلى الشمال الغربي ليتصل بِثَنِيَّةِ ذَاتِ الحنظل ، وفي هذه الثنية وجدنا على وجه الأرض أساسَ عِلْمٍ يبعد عن شرقه الشيق قرابة كَيْلَيْنِ ، ثم يتجه المحيط غرباً ليتصل بالرحا ، وهي عبارة عن مدخل بين سلسلة جبال قائمة شرقاً وغرباً وجدنا في السلسلة الشرقية آثار أعلامٍ أحصيناها عشرة ، وتبعد عن ذات الحنظل بقراءة كيل واحد ، وفي السلسلة الغربية مجموعة آثار أعلامٍ أحصيناها أربعة عشر علماً ، وهذا المدخل من الداخل إلى مكة المكرمة من وادي فاطمة ويسمى (المَصْنَع) .

ثم يتجه المحيط من الرحا - طريق المصانع - نحو الجنوب الغربي في شكل سلسلة جبال ، وَجَدَ في أعلى قمة منها مجموعة أعلامٍ متقاربة بلغ ما أحصيناها سبعة عشر علماً ، وهي مهدمة وتسمى هذه القمة ملحمة ، ثم يتجه المحيط إلى الجهة الغربية حتى يتصل بِرِيعِ المُرَيْرِ في جانبه الغربي علم ، ثم يتجه المحيط غرباً بِمَيْلٍ يَسِيرُ نحو الجنوب في سلسلة جبال وجدنا فيها تسعة أعلام ، ما بين كل علم وآخر قرابة خمسين متراً ، وآخر علم يبعد عن رِيعِ المُرَيْرِ قرابة نصف كيل ، وما بين الرحا ورِيعِ المُرَيْرِ مسافة تقدر بقراءة ستة أكيال ، ثم يتجه المحيط من رِيعِ المُرَيْرِ إلى الجهة الجنوبية الغربية إلى أرض واسعة تسمى (العُشَّاش) حتى يتصل الحُدَّ بأعلام (الشُّمَيْسِي) وما بين رِيعِ المُرَيْرِ وأعلام (الشُّمَيْسِي) مسافة تقدر بخمسة أكيال ، والشُّمَيْسِي هو الحديدية .

ويحسن أن أذكر ما ذكره الأزرقى عن المسميات التي جرى ذكرها في هذا الاستعراض :

١ - شرقه الشيق : الشيق طرف بَلَدَحٍ الذي يُسَلِّكُ منه إلى ذات الحنظل ،

عن يمين طريق جدة ، قد عمل الدُّورقي حائطاً وعينا بِفُوهة ذلك الشعب ،
وذاات الحنظل ثنيةً في مؤخر هذا الشعب يفرع على بلدح .

٢- ذوات الحنظل : هو الفجُّ الذي من عين الدُّورقي إلى ثنية الحرم .

٣- ملحّة الغراب : شعب في بلدح يفرع على حائط الطائفي .

٤- الرحا : رحا في الحرم وهو ما بين أنصاب المصانع إلى ذوات الجيش ورحا
هي ردهة الراحة .

٥- الراحة : هي دون الحُدَيْبِيَّة على يسار الذهاب إلى جدة .

ومما ذكره بعضُ أهل العلم في الحُدَيْبِيَّة وربع المَرار :

١- قال ابن هشام في « السيرة النبوية » ج ٢ ص ٣٥٧ : فقال ﷺ :
« اسلكوا ذات اليمين » بين ظهري الحمض في طريق تخرجهم على ثنية المَرار .

٢- زاد الطبري في تاريخه على ما ذكر ابن هشام بقوله : في طرق تخرجهم على
ثنية المَرار على مهبط الحُدَيْبِيَّة من أسفل مكة .

٣- وقال ابن فهد في « إتحاف الوري في أخبار أم القرى » ج ١ ص ٤٥٨ :
فلما أمسى النبي ﷺ قال لأصحابه : « تيامنوا في هذا العَصَل - موضع منعطف
في الوادي - فَإِنْ عُيُونُ قَرِيشٍ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ، وضجنان » ثم قال ﷺ : « من يخرج
بنا على طريق نخرج به من ظهورهم » ؟ فقال رجل من المسلمين : أنا يا رسول
الله ، فسلك بهم طريقاً وعرّاً بين شعاب ، فلما خرجوا منه أَقْضَوْا إلى أرض سَهْلَةٍ
عند منقطع الوادي . . . ويقال إن النبي ﷺ أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين
ظهري الحمض ، على طريق يخرجهم على ثنية المَرار والحُدَيْبِيَّة من أسفل مكة .
انتهى .

وقال في الحاشية : وفي سيرة النبي لابن هشام (ج ٣ ص ٧٧٥) و«عيون الأثر»
(ج ٢ ص ١١٤) و«السيرة الحلبية» (ج ٢ ص ٦٩٢) و«تاريخ الخميس» (ج ٢
ص ١٧) رجل من أسلم ، وفي «مغازي الواقدي» (ج ٢ ص ٥٨٣ - ٥٨٤)

و«الإمتاع» (ج ١ ص ٢٨٢) قال بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصْبِيِّ الْأَسْلَمِيُّ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَالَمٌ بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْلَكَ أَمَانًا» فَأَخَذَ بُرَيْدَةُ فِي الْأَصْلِ قَبْلَ جِبَالِ سِرَاوَعٍ قَبْلَ الْغَرْبِ ، فَسَارَ قَلِيلًا ، وَحَارَ حَتَّى كَانَهُ لَمْ يَعْرِفْهَا قَطْ ، فَنَزَلَ حِمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ فَسَارَ قَلِيلًا ثُمَّ سَقَطَ فِي خَرِّ الشَّجَرِ فَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ فَنَزَلَ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ فَهْمٍ الْأَسْلَمِيُّ فَانْطَلَقَ أَمَامَهُمْ حَتَّى نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الثَّنِيَةِ فَقَالَ : « هَذِهِ ثَنِيَّةُ ذَاتِ الْخَنْظَلِ ؟ » فَقَالَ عَمْرٍو : نَعَمْ . . . انْتَهَى .

هذه الحاشية كما يتضح من مقولة من أصول وفيها أن رسول الله ﷺ أبصر ثنية ذات الخنظل ، وثنية ذات الخنظل واقعة في الجنوب الشرقي من ثنية المزار ولكن والله أعلم حتى يمكن الجمع بين هذا النص وبين ما ثبت أنه ﷺ دخل من ثنية المزار يظهر أنه ﷺ لم يدخل من ثنية ذات الخنظل ، وإنما أبصرها عن بُعد ، ثم تيامن إلى ثنية المزار ، وثنية المزار كما يتضح من القول بأنها على مهبط الحديدية من أسفل مكة تفضي إلى أرض حرم ، ولهذا تيامن ﷺ بعد الدخول منها ليخرج من الحرم إلى الحل في الحديدية عند الشجرة .

ويكاد أهل العلم يجمعون على أن الحديدية أرض واسعة غربيها جلٌ وشرقيها حرم ، ولابن القيم - رحمه الله - في كتابه « زاد المعاد » رأي في معرض حديثه عن صلح الحديدية يتلخص في أن الحديدية بعضها جلٌ وبعضها حرمٌ ، وأن رسول الله ﷺ كان يدخل الحرم للصلاة ابتغاء مضاعفة الأجر ، ثم يخرج إلى الحل بعد فراغ الصلاة .

وفي « معجم البلدان » : الْحُدَيْبِيَّةُ هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها ، قال الخطابي في « أماليه » : سميت الْحُدَيْبِيَّةُ لِشَجَرَةٍ جَذْبَاءَ ، كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديدية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وفي الحديث أنها بئر ، وبعض الحديدية في الحل وبعضها في الحرم . . . وعند مالك بن أنس أنها جميعها من الحرم . . . انتهى .

ومما تقدم يمكن أن نستخلص ما يأتي :



كتاب «تاريخ التراث العربي» سجل ممتاز وحافل لتراثنا المكتوب العريق

- ١ -

التراث في المعجم^(١): (ما يَنْتَقِلُ من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل). وهذا التراث نوعان: ماديّ يتمثل في الآثار الكبيرة - العمارة والتماثيل والمدن - وفي الصغيرة - التحف المختلفة -، وهناك التراث المعنوي الذي يُحَفِّظُ مكتوباً على الآثار وفي الرُّقْمِ ، وفوق الورق في الكتب . وكلا النوعين هام ، إلا أن الثاني يتميز عن الأول بوفرة أنواعه - من دين وفلسفة وحكمة وأدب وعلوم -، ثم بتأثيره الكبير في مسيرة البشرية على اعتبار أن الكتاب يضم تراث الإنسانية الذي يتقل عبر العصور، والذي لولاه لما كانت حضارة .

→ ١ - أن ثنية المزار أحد المداخل إلى مكة المكرمة من وادي فاطمة .

٢ - أنها تدخل بمن يدخل منها مباشرة إلى أرض حرم بعضها أسفل الحديبية مما يلي مكة .

٣ - هي الآن تبعد عن أعلام الحرم المقامة حالياً على طريق جدة القديم بقراءة ستة أكيال ، وهي عند الأعلام في الجهة الشمالية الشرقية .

٤ - ذات الحنظل واقعة في الشمال الشرقي من ثنية المزار ، وهي على محيط الحرم ويستبعد أن يكون مكة دخل منها ، وإنما أشار إليها من بُعد وهو عنها شمالاً ، فاتجه نحو الغرب متيامناً .

٥ - مما ذكر ابن القيم وغيره من العلماء يتضح أن الحديبية بعضها حل وبعضها حرم .

مكة المكرمة : عبدالله بن سليمان بن منيع

ولقد كان لوطننا العربي الفضل الكبير في مجال التراث، فعل أَرْضِهِ قامت أقدُم المدن، وفيه بدأ الإنسان يعبر عن عواطفه في آثار هامة من جهة، وعن أفكاره ومشاعره أيضاً في تراث مكتوب من جهة ثانية .

وكان لوطننا العربي فضلُ اختراع الأبجدية الأولى في تاريخ البشرية، تلك الأبجدية التي كانت أصل كل الأبجديات، والتي لولاها لم يكن هناك كتابة ولا كتب .

كما كان لوطننا العربي كذلك فضلُ احتضان أولى المكتبات في تاريخ الإنسانية، فمكتبات (إيلا - تل مردوخ) و(ماري - تل الحريري) وأشور بانيبال ضُمَّت كلُّ منها آلاف الرُّقُم التي حفظت تراث العرب قبل الإسلام^(٢) .

أما عرب الجزيرة فكانت لهم أساليبهم الخاصة في تثبيت مآثرهم وتخليد مفاخرهم . فقد بلغ من حُبهم الشعر، وتعظيمهم إياه أنهم عمَدوا في العصر الجاهلي إلى أحسن قصائدهم، فكتبوها بماء الذهب في القبايطي، ثم علقوها في الكعبة التي هي مقدسة لديهم، وموضع حجهم، ثم سموها (المعلقات) حيناً، والمذهبات حيناً آخر . وهي سبع عند الزوزوني، وثمان عند أبي زيد القرشي، وعشر عند التبريزي^(٣) .

وقد كتبوا على الأحجار والأجر، وسجلوا عليها معلوماتهم، ثم أفادوا من الخشب والرُّق والعظام .

وكان للعرب بعد الإسلام دورٌ كبيرٌ في الكتابة على الرُّق أولاً، ثم على الورق، وعن طريقهم عرفت أوروبا الورق الذي هو اختراع صيني، نقله العرب في القرن الرابع الهجري، وحسنوا صناعته، واستغنوا به عن الرُّق والخشب وغيره^(٤) .

ولقد ثبت أن أول خزانة كتب عربية بعد الإسلام إنما أنشئت في دمشق، وكان الفضل في إنشائها لحكيم آل مروان خالد بن يزيد الأموي المتوفي سنة ٥٨ هـ . كما ثبت أن (بيت الحكمة) أو (دار الحكمة) كانت المدرسة الأولى التي ضُمَّت مكتبة . وقد عرفت في زمن الرشيد والمأمون^(٥) .

وعناية المأمون بالكتب وبترجمتها ينبغي أن تُسجَّل . قال أبو الفرج الملقب بالمعروف بابن العبري: لما أفضت الخلافة العباسية إلى الخليفة السابع عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، تمَّ مابداً به جدُّه المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعه، وداخل ملوك الروم، وسأهم صلته بما لديهم من الكتب، فبعثوا إليه ماحضرهم، فاستجاد لها التراجم وكلفهم إحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن^(٦).

إنَّ من يطالع أنباء الثقافة والمكتبات في (عصر النهضة العربية الذهبي)^(٧) يحس كأن (هناك مسابقات في مضمار الثقافة، ومنافسات في تشييد المدارس، ومضاربات في اقتناء الكتب المفيدة)^(٨) فقلما خلا قصر أو بيت من مكتبة كبرى أو صغرى، وكان من الواجب أن يضم كلُّ مسجد من مساجد المدن العربية أو الإسلامية خزانة كتب، يؤمها الناس من كل حذب وضوب للمطالعة والاستفادة، وكان من أشهر تلك المساجد: المسجد الحرام بمكة والجامع الأموي بدمشق، والمسجد الأقصى في القدس الشريف، والجامع الأزهر في القاهرة، والجامع الأعظم في القيروان، وجامع الزيتونة وجامع القرويين بفاس، والجامع الأعظم في النجف^(٩). لذلك كان الكتاب أهمَّ ما قدمه العرب في هذا المجال^(١٠). فلقد دُوِّنت مؤلفات لا تحصى في كل موضوع، وباللغة العربية التي كانت لغة العلم في الشرق، وفي جميع الأقطار الإسلامية^(١١). وما بقي من التراث العربي، على الرغم من أنَّ كثيراً منه قد ضاع يعد (في مجموعه من أوسع ما عرف في دوائر الأدب)^(١٢) مما حدا بأحد المستعربين إلى أن يؤكد أنه قد جُمع في اللغة العربية من كنوز المؤلفات والوثائق في العلوم والطب والفلسفة ما لم يجتمع مثله في سائر اللغات مجتمعة^(١٣).

وليس في ذلك أيَّة مبالغة، إذ يكفي أن نرجع إلى عناوين المؤلفات التي سجلها ابن النديم، وطاش كبرى زادة، وحاجي خليفة وبروكلمان، وغيرهم حتى نتأكد من صحة هذه المقولة، ولنعرف أنَّ عدد كتب المكتبة العربية ضخمة حقاً^(١٤).

كان هذا التراث العربي المكتوب من الضخامة بحيث استدعى تدوينه في كتب بدءاً من أوائل القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - وهو ما فعله محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، المعروف بابن النديم، المتوفي في عام (٤٣٨هـ - ١٠٤٧م) والمعروف بأنه (الوراق، البغدادي، العلم، الأديب المشارك في أنواع العلوم)^(١٥) والذي ترك لنا كتابه العظيم «الفهرست» الذي يعتبر سجلاً نادراً وممتازاً للمؤلفات التي كُتبت في القرون الهجرية الأربعة الأولى، وفي الربع الأول من القرن الخامس، والذي لولاه لضاعت منا عناوين كثير من الكتب، التي فقدت، فعرفنا منه أسماءها، وعناوينها.

ويتلوه في الأهمية أحمد طاشكبري (٩٠١ - ٩٦٨هـ - ١٤٩٥ - ١٥٦١م) وهو أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي المعروف بطاشكبري زادة (عصام الدين أبو الخير) صاحب المؤلف القيم «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»^(١٦)، ومعه أيضاً كتاب البغدادي: «هدية العارفين إلى أسماء الكتب والمؤلفين».

ويأتي بعدها في الأهمية وضخامة الحجم كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، وصاحبه مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، الحنفي، الشهير بكاتب جلبي، وحاجي خليفة، والذي عرف بأنه (الشهير بكاتب جلبي، وحاجي خليفة، وبأنه مؤرخ، وعالم بالكتب ومؤلفيها. . . ، زار خزائن الكتب الكبرى، وانقطع للتدريس، واهتم بتدوين أسماء الكتب التي كان يجدها عند الوراقين، وفي خزائن الكتب)^(١٧).

وكان عمر رضا كحالة (١٤٠٨/٠٠٠ - ١٩٨٨م) آخر من عني من المؤلفين بموضوع تاريخ تراثنا العربي، وجمع عناوين كتبه، وأسماء مؤلفيه في موسوعته الضخمة التي تقع في ثلاثة عشر مجلداً، يضاف إليها اثنان للفهارس، والتي نشرها بدمشق في الستينات من هذا القرن. وقد أفاد من أجل تحضير مواده، من وجوده مدة طويلة، بين موظفي المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم مديراً

للمكتبة الظاهرية فيها ، فأتى عمله أَكْمَلَ عَمَلٍ يُوَلِّفه عربي في هذا الميدان (١٨) .

- ٤ -

وعندما أُتِيح للمستشرقين، بدءاً من أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، الاطلاع على التراث العربي المكتوب، ونقل الكثير من مخطوطاته إلى مكتباتهم الأوربية، أدهشهم بوفرة عدده، وكثرة مؤلفاته، وعمل الكثيرون منهم في تتبعه ، ورصده، والحديث عنه، وكان قمة هذا العمل في مؤلف بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» المكتوب بالألمانية والصادر في ليدن (١٩) .

مزايا كتاب بروكلمان كثيرة منها أنه سُمِّي من سبقوه في هذا الميدان (٢٠) ، وأنه جُهِدَ ستين عاماً أحصى فيها ماتفرق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن الكتب، وسبر جهود العلم العربي وتابِعَ خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد، وتطلع إلى معرفة ماترجم إلى لغات العالم من ذاك التراث الخالد ، واستوعب ما أثَّرت حوله من بحوث، وصنف من دراسات قدمت خطى العلم والأدب، ودفعتها إلى الأمام في الشرق والغرب (٢١) .

ليس هنا مجال التعريف بكتاب بروكلمان وقيمه ومزاياه، فلقد فعلنا ذلك في مكان آخر (٢٢) ، حسبنا أن نشير إلى أن كتاب بروكلمان قد غَدَا قديماً ، وأنه أصبح من الأهمية بمكان إكماله واستدراك ما فات مؤلفه في حياته . . . وهذا ما نهذ نفسه له الأستاذ الدكتور فؤاد سِزْكِين ، في مؤلفه الهام «تاريخ التراث العربي» .

- ٥ -

يفهم من المقدمة التي كتبها فؤاد سِزْكِين لترجمة «تاريخ التراث العربي» إلى اللغة العربية أنه عمل خمسة عشر عاماً في كتابة مؤلفه ليكون : (ملحقاً لكتاب «تاريخ الأدب العربي» للمستشرق الألماني كارل بروكلمان) بالاستناد إلى المخطوطات المحفوظة في مكتبات استانبول (٢٣) ، وبعد أن مضى في العمل تبين له أن من المناسب (يجمع كل ما يمكن جمعه من فهارس المواد والدراسات التي ظهرت بعد كتاب بروكلمان، وكذلك دراساته الخاصة للكتب المطبوعة). وظهر بعد مدة ، وبعد الانتهاء من إعداد المجلدين الأول والثاني للطبع ، أنها في الحقيقة، عمل

جديد مستقل عن كتاب بروكلمان... إن فيه دراسة للمواد المتاحة وتحقيقها، ومراجعة كل مذكره بروكلمان، مع إضافة معلومات جديدة مكمله له، مثل تاريخ المخطوطات، وعدد أوراقها، أو صفحاتها، وكذلك عدد أجزائها^(٢٤).

وهكذا كان عمل سيزكين مؤلفاً جديداً، مرتبطاً إلى حد ما، بكتاب بروكلمان «تاريخ الأدب العربي»، ولكنه عمل جديد من حيث المنهج والكمية... فإذا ما كان كتاب بروكلمان في خمسة مجلدات، فإن قسماً من مؤلف سيزكين قد صدر في ثمانية مجلدات، ستبعتها أخرى.

وهكذا كان تاريخ التراث العربي عملاً منشأً إنشأً جديداً، جعل منه سجلاً للثقافة العربية والإسلامية، يضم بين دفتيه أعلامها ومؤلفاتهم، وديواناً للعلوم والمعارف يسجل نشأتها ومراحل تطورها، وينير قضاياها، ويناقش مادار في فلك تاريخها، فاستحق شكر الباحثين وثناءهم، وتكريم مؤسسة الملك فيصل الخيرية، حيث كان أول فائز بجائزتها^(٢٥).

- ٦ -

صدر من الكتاب حتى الآن ثمانية مجلدات باللغة الألمانية موزعة كما يلي :

يتضمن المجلد الأول علوم القرآن والحديث، ومعه التدوين التاريخي، وقد كانت ترجمته العربية في أربعة أجزاء : الأول : في علوم القرآن والحديث، والثاني في التدوين التاريخي، والثالث في الفقه، والرابع في العقائد والتصرف^(٢٦).

والمجلد الثاني يتضمن موضوع الشعر. وقد جاءت ترجمته العربية في خمسة أجزاء : الأول مقدمة ودراسات، والثاني يتناول (العصر الجاهلي)، والثالث (عصر صدر الإسلام وبني أمية والمخضرمين) والرابع الشعر حتى حوالي عام ٤٣٠هـ - (العصر العباسي) والخامس (بقية العصر العباسي، مصر والمغرب والأندلس، مع فهرس المجلد الثاني)^(٢٧).

كما كان قد صدر قبل ذلك جزء خاص بمجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم.

واشتمل المجلد الثالث على موضوع الطب ، والرابع على موضوع الكيمياء وعلم النبات والزراعة ، والخامس على الرياضيات ، والسادس على علم الفلك ، والسابع على علم أحكام النجوم والآثار العلوية ، وهناك أجزاء أخرى لم تُنَّح له معرفة موضوعاتها بعد .

- ٧ -

والحق أن مراجعة ترجمة المجلدين اللذين صدرا باللغة العربية لكتاب الدكتور فؤاد سزكين «تاريخ التراث العربي» ، ومعها الجزء الخاص بمجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم ، يلاحظ الجهد الكبير الذي بذله هذا العالم العلامة ، والصبر الصابر الذي تحمل به حتى جاء كتابه لا تكملة لكتاب بروكلمان فحسب ، بل عملاً جديداً تماماً فيه إضافات وتصحيحات هامة جداً .

ففي مؤلف سزكين مقدمات غنية سبقت كل واحدة منها الجزء الخاص بها . إن قضية التدوين التاريخي التي شغلت خمساً وعشرين صفحة من الجزء الثاني (من المجلد الأول^(٢٩)) تتناول قضية هامة جداً ثبت بمقتضاها أن العرب قد عرفوا التدوين في عهد مبكر بدأ ، على نحو ما ، قبل الإسلام ، ثم نما نمواً كبيراً بعد ظهور الدعوة الإسلامية .

كذلك شغلت مقدمة المجلد الثاني الخاص بالشعر خمسين صفحة من جزئه الأول ، فكانت بحثاً تناول أعمال المستشرقين في جمع مخطوطات الشعر العربي ، ونشرها وترجمة أقسام منها بدأ مع العالم يعقوب جوليوس (المتوفي في عام ١٦٦٧) ، واستمرت بعد هذا عبر القرون حتى نهاية الربع الثاني من القرن العشرين ، بحيث كانت سجلاً أميناً لما قدمه الدارسون في المجالات المختلفة سجلاً لم يقتصر على ماكتبه المستشرقون والمستعربون بل تعداهم إلى ماكتب العرب والمسلمون في ميدان الشعر حتى عام ١٩٦٦ .

نقل من الكتاب ماسجله مراجع عن تاريخ رواية المعلقات ، والموضوعات المتصلة بها^(٣٠) .

- كتب روبسون عن معنى كلمة المعلقات في المجلة الآسيوية في عام ١٩٣٦ .

- وكتب عنها بلاشير في تاريخ الأدب العربي الصادر في الستينات (ص ١٤٣-١٤٨) .

- وكتب آربري عن المعلقات السبع كتاباً صدر في عام ١٩٥٧ .

- وكتب سالم حنا ملاحظات عن تاريخ تدوين القصائد الجاهلية في مجلة (دراسات إسلامية) عام ١٩٦٦ ص ٣٠٥-٣١٣ .

- وكتب محمد باقر علوان عن حماد، وقضية جمعه للمعلقات، مقالة باللغة الإنكليزية في مجلة الثقافة الإسلامية (العدد ٤٥ من عام ١٩٦٧ ص ٢٦٣-٢٦٥) .

- كما كتب جواد علي مقالة عن (تدوين الشعر الجاهلي) في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع من عام ١٩٥٦، ص ٥٢٦-٥٤١، ثم يأتي حديث مطول عن المخطوطات المتعلقة بالمعلقات يتناول صفحات عديدة .

-^٨- إن ماصدر من «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سيزكين باللغة الألمانية، وما نقل منه إلى العربية حتى الآن - وهو لا يتعدى مجلدين -، يدل على حقائق كثيرة أبرزها ضخامة هذا التراث الذي تزخر بمخطوطاته مكتبات الشرق والغرب، ثم تناوله قضايا الثقافة الإنسانية البارزة التي عالجها، والتأثير البالغ الذي كان له في تاريخ الحضارة الإنسانية، والعبء الكبير الذي لا يزال ملقى على أكتافنا نحن العرب، ومن يُعنى بشؤون تراثنا من غير العرب، في تحقيقه ونشره ووضع بين أيدي القراء والدارسين، حتى يصبح بالإمكان إصدار تقويم دقيق وصحيح لهذا التراث العربي من جهة، وللدور الهام والبارز الذي قام به في مسيرة الثقافة البشرية من جهة ثانية .

حلب الشهباء : فريد جُحا

الهوامش :

- (١) المجمع الرائد ص ٢٨٢ .
- (٢) ينظر البحث الذي نشرناه بمجلة المعلم العربي، المجلد الثامن والثلاثون لسنة ١٩٨٥ حول تاريخ المكتبة العربية، وكذلك كتابنا الذي سيصدر قريباً بدمشق عن دار الأهالي بعنوان: «الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر الميلادي» .
- (٣) طرازي، خزائن الكتب في العالمين ج ١ ص ٨٦ .

- (٤) خطط الشام لكرد علي جـ ٦ ص ١٨٨ .
- (٥) خطط الشام لكرد علي جـ ٦ ص ١٩٠ .
- (٦) تاريخ مختصر الدول لابن العربي ص ٢٣٥-٢٣٦ .
- (٧) لقب أطلقه طرازي على العصر الذهبي للثقافة في العصر العباسي .
- (٨) طرازي، المصدر السابق جـ ١ ص ٧١ ، نقلًا عن محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١ ص ٢٦٥ .
- (٩) طرازي المصدر السابق جـ ١ ص ٧١ .
- (١٠) فريد جحا ، «كتب أنصفت حضارتنا» ، دمشق ١٩٧٨ ، ص ٢٤٧ .
- (١١) سيدور ، «تاريخ العرب العام» ، ترجمة زعتر ، القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ص ٣٨٤ .
- (١٢) المصدر السابق ص ٣٨٥ .
- (١٣) جاك ريسلر ، «الحضارة العربية» ، النسخة الفرنسية ص ١٩٥ ، وينظر مؤلفنا السابق ص ١٨٨ وما بعد .
- (١٤) فريد جحا ، المصدر السابق ص ٢٤٧ .
- (١٥) عمر رضا كحالة «معجم المؤلفين» ، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ جـ ٩ ص ٤١ ومصادر ترجمته في باقوت جـ ١٨ ص ١٧ ، وفي الصفدي ١٩٧ ، وفي «كشف الظنون» جـ ٣ ص ١٠٣٠ ، وفي «الاعلام» جـ ٦ ص ٢٥٣ ، وفي «هدية العارفين» جـ ١ ص ٥٥ .
- (١٦) كحالة ، المصدر السابق جـ ١٢ ص ١٧٧ .
- (١٧) كحالة ، المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ وينظر بصدده البحث القيم الذي كتبه راضب الطباخ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ١٩ ص ١٧٤ .
- (١٨) من أجل سيرته ينظر الكلمة التي نشرها في (المستدرك على المعجم) ، والمقالة التي نشرناها رثاء له ، وتصرّفًا بمؤلفه ، في العدد / ٧٥٩٠ / من صحيفة الثورة الدمشقية .
- (١٩) الطبعة التي بين أيدينا هي الثانية من الكتاب وتقع في خمسة مجلدات ، الأولى في ٦٧٦ ص وله ملحق يقع في ٧٩٣ . والثاني في ٦٨٦ ص وله ملحق يقع في ١٠٤٥ ص . والثالث يقع في ١٣٢٦ ص ، وقد صدر عام ١٩٤٢ .
- (٢٠) جـ ١ من الترجمة العربية ص ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ .
- (٢١) مقدمة الدكتور عبدالحليم النجار ، معرب الأجزاء الثلاثة الأولى من الترجمة العربية جـ ١ ص ٩ ، وينظر من أجل بروكلمان ، مقالة مصطفى الشهابي ، الهلال القاهرية عدد شهر يناير من عام ١٩٧٦ ص ٧٨ وما بعد .
- (٢٢) ينظر كتابنا «كتب أنصفت حضارتنا» ص ٨٣ وما بعد .
- (٢٣) مقدمة الجزء الأول من المجلد الأول ص ٧ وص ١١ .
- (٢٤) مقدمة الجزء الأول من المجلد الأول ص ١٢ .
- (٢٥) مقدمة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- (٢٦) نقل المجلد الأول إلى اللغة العربية د . محمود فهمي حجازي وراجعه د . عرفة مصطفى ود . سعيد عبدالرحيم ، وقد صدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢٧) قام بنقل الأجزاء الثلاثة الأولى د . محمود فهمي حجازي ، وراجعه عرفة مصطفى وعبدالرحيم وترجم الجزء الرابع والخامس د . مصطفى عرفة ، وراجعه زملاء . وقد صدرت في العام نفسه .
- (٢٨) نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، وراجعه عرفة مصطفى وكان قد صدر في عام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٢٩) من ص ١ إلى ص ٢٥ . (٣٠) المصدر السابق ص ٧٢ و ٧٣ .

أبو حيان التوحيدي : في حياته تاريخ عصره

القرن الرابع الهجري هو القرن الذي نضجت فيه العلوم ، وتعددت المعارف ، وبلغت الحضارة الإسلامية أوجها ، رغم انقسام الدولة العباسية إلى دويلات كدولة الديلم التي حكمت العراق وفارس ، ودولة بني حمدان التي حكمت شمال العراق وبلاد الشام ، والدولة الفاطمية التي حكمت المغرب ومصر ، والاندلس التي بني فيها بنو أمية دولتهم الثانية ، ولكن هذا الضعف السياسي لم يؤثر على العلم والأدب ، بل زاده قوة إلى قوته ، فظهر في هذا العصر جماعة كبيرة من الشعراء والأدباء ، والفلاسفة والعلماء ، معظمهم في بغداد وماحولها في دولة البويهيين الديلميين . الذين كان وزراؤهم ومُدَبِّرُو مملكتهم من الأدباء الذين كانوا — ومازالوا — يُعْتَبَرُونَ سادة الأدب والبلاغة كابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والمهلبى وغيرهم ، وفي زمن هؤلاء وفي ظل تلك الدولة ظهر أبو حيان التَّوْحِيدِيُّ الذي يقول عنه باقوت الحموي : فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً وفصاحةً ومُكَنَّةً ، ويقول المستشرق آدم ميتز — عن أدبه : ربما كان التوحيدي أعظم كُتَّاب النثر العربي على الإطلاق ، ولكن الجمهور كان يميل إلى طريقة الآخرين في البديع فيجري عليها ويعظم أصحابها .

ولد أبو حيان سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٤١٤ هـ وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره كأبي سعيد السيرافي والسُّجِسْتَانِي وعلي بن عيسى الرُّمَانِي وغيرهم ، وحضر مجالس العلماء والأدباء والصوفية ، فحفظ كثيراً مما سمع منهم ، وألف كتباً بلغت عشرين كتاباً وبرغم ذلك عاش حياته فقيراً فَقَرّاً مُدْقِعاً ، ولكنه كان نشيطاً ، فنجد في تاريخ حياته تاريخاً للقرن الرابع الهجري في بغداد وفارس والحجاز كما سطرها في كتبه :

١ — أبو حيان الصوفي :

روى أبو حيان في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» عن يحيى بن معاذ أنه قال : من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم علم النُّحُو والعربية دلَّه

بين الصبيان ، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش . وبدأ أبو حيان حياته صوفياً يلبس المرقعة ويتعلل التأسومة ، ويجالس رجالهم ، وينقل في كتبه أقوالهم ، فهو يقول : وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة : ما صفة هذا الغريب؟ ويقصد ماورد في حديث رسول الله ﷺ : « فطوبى للغرباء من أمي » ، فقال لي : يابني هو الذي يفر من مدينة إلى مدينة ومن قلة إلى قلة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن بر إلى بحر ، ومن بحر إلى بر ، حتى يسلم ، وأنى له بالسلامة مع هذه التيران التي قد طافت بالشرق والغرب؟ الخ ، كما يتحدث عن شدة لحقته مع جماعة من الصوفية فيقول : وكنت في البادية في صفر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ، ومعى جماعة من الصوفية ، فلحقنا جهد من عوز القوت وتعلل مايسبك الروح - في حديث طويل - إلا أنا وصلنا من (زباله) - بالحيلة اللطيفة منا ، والصنع الجميل من الله تعالى - إلى شيء من الدقيق ، فانتعشت أنفسنا به وغنمناه ، ورأيناه نفحة من نفحات الله تعالى الكريم ، فجعلناه زادنا وسبرنا ، فلما بلغنا المنزل قعدنا لنمارس ذلك الدقيق ، ولقطنا البعر ، ودقاق الخطب فلما أجمعنا على العجن والملك لم نجد الخراق - وكان عندنا أنه معنا وأنا قد استظهرناه - فدخلتنا حيرة شديدة ، وركبنا هم غالب ، وسفنا من ذلك الطحين شيئاً فما ساغ ، ولا قبلته الطبيعة ، وبتنا ليلتنا طاوئين ساهرين ، قد علانا الكمد ، وملكننا الوجوم والأسف ، فقال بعضنا : هذا لما وجدنا الدقيق؟ وأصبحنا وركبنا قد استرخت ، وعيوننا قد غارت ، واحدنا لا يتحدث صاحبه غماً وكرباً ، وعدنا إلى ماكننا فيه قبل بزيادة حسرة من النظر إلى الدقيق ، وقال صاحب لنا : نرمي بجراب الدقيق؟ حتى نلقي حمله وثقله في طول هذا الطريق ، فقلنا : ليس هذا بصواب ، وما يضرنا أن يكون معنا ، فلعلنا أن نرى ركباً أو نلقى حطباً . وكانت البادية خالية في ذلك الوقت ، لرعب لحق قوماً من بني كلاب من جهة أعدائهم ، فلم يكن يجتاز بها في ذلك الوقت غريب ، وبقينا كذلك إلى اليوم الثالث ، ونحن نلاحق ونجاهد في المشي ، فلما كان العصر من ذلك اليوم كنت أسير أمام القوم أجرتهم وأسألم ، وكنت كالحاطب لهم ، فوجدوا جرة ملفوفة فيها خراق فهللوا وكبروا . ورفعوا أصواتهم ، فقلت

كالمتعجب : ما الخبر؟ قالوا: البُشْرَى !! قلت: وما ذاك؟ قالوا: هذه خرقة ملئت حرقاً . فلا تسلم عما دهانا من الفرح والاستبشار ، وثاب إلينا من السرور والارتياح ، وزال عنا من الانخزال والانكسار ، وقعدنا في مكاننا ذاك ، ولقطنا البعْر ، وأثرنا الوقود ، وأججنا ناراً عظيمة ، وملكنا الدقيق كله مَلَكَةً واحدة ، وكان أربعين رطلاً ، وكان ذلك بلاغنا إلى القادسية . اهـ .

والتصوف في تاريخ المسلمين كان سبباً في ترك الصناعة ، وهجر التجارة ، والبعد عن الزراعة ، ذلك لأن المتصوفة رضوا من هذه الدنيا بكسرة يابسة ، وخرقة بالية ، وزاوية من المسجد مع العافية . وقد قال الوزير ابن سعدان لأبي حيان : كنت أرى أن الصوفية لا يرجعون إلى ركن من العلم ونصيب من الحكمة ، وأنهم إنما يَهْدُون بما لا يعلمون ، وأن بناء أمرهم على اللعب واللهو والمجون .

أبو حيان الوراق :

برغم أن أبا حيان ظل طول حياته يَجُنُّ إلى الصوفية ، ويدافع عنهم ، وينقل أقوالهم ، ويلبس لباسهم فإنه انتقل إلى العمل وهجر السفر في الأفاق ، والنوم في المساجد والجوع في الصحاري ، وعمل في الوراقه وكانت الكتب التي ينسخها تباع بأعلى الأثمان ، لدقة أبي حيان في ضبطه ، وكثرة حفظه ، فحسن حاله ، واستأجر بيتاً في منطقة الكرخ بين السورتين ، واشترى جارية ، وأخذ يحضر مجالس الطرب والغناء ، وقد تحدث عن المغنيات والولدان المغنين ، كما تحدث عمن كان يطرب طرباً شديداً في تلك المجالس ، فيشق ثيابه ، ويسكب دمه . أو يُلْقِي بنفسه على الأرض ويتمرغ في التراب ويرغي ويريد ، وإليك مشهداً من عشرات المشاهد التي عرضها قال : ولا طرب (ابن فهم) الصوفي على غناء (نهاية) جارية ابن المغني إذا اندفعت بشدوها :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْزَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَعْنَهُ وَيُودِّعْنِي لَوْ يُودِّعْنِي صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْيَ لَا أُوَدِّعُهُ

فإنه إذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الأرض ، وتمرغ في التراب ، وهاج وأزبد ، وتَعَفَّرَ شعره ، وهات من رجالك من يضبطه ويمسكه ، ومن يجر على الدنومنه ، فإنه يعض بِنَابِهِ ، ويخمش بظفره ، ويركُلُ برجله ، ويخرق المرقعة قطعة قطعة ، ويلطم وجهه ألف لكمة ، ويخرج في العبادة كأنه عبدالرزاق المجنون ، صاحب الكيل في جيرانك بباب الطاق .

ويقول : ولو ذكرت هذه الاطراب من المستمعين والأغاني من الرجال والصبيان والجواري والحرائر لطال وأمل وزاحمت كل من صنف كتاباً في الأغاني والألحان ، وعهدي بهذا الحديث سنة ستين وثلاث مئة ولكن الروم تهايجت على المسلمين ، فسارت إلى شمال العراق فخاف الناس في الموصل وماحولها وأخذوا في الانحدار على رُعْبٍ قُذِفَ في قلوبهم ، وماج الناس بمدينة السلام واضطربوا ، فوجدت طائفة فرصتها في العيث والفساد ، والنهب والغارة ، وذلك سنة اثنتين وستين وثلاث مئة ، وجاءت النهاية إلى بين السورين وشنوا الغارة واكتسحوا ماوجدوا في منزله من ذهب وثياب وأثاث ، وماكان ذخره من تراث العمر ، وجردوا السكاكين على الجارية في الدار ، يطالبونها بالمال ، فانشقت مرارتها ، ودُفِنَتْ في يومها ، وأمسى أبو حيان وما يملك مع الشيطان فجرة ، ولا مع الغراب نفرة .

أبو حيان التوحيدي مع الوزراء :

كما كتب أبو حيان : إن هذه العاجلة محبوبة ، والرفاهية مطلوبة ، والمكانة عند الوزراء بِكُلِّ حول قوة مخطوبة ، والدنيا حلوة خضيرة ، وعذبة نضرة ، ولا بُدَّ من فتى يعين على الدهر ، ويغني عن كرام الناس ، فضلاً عن ثلثهم ، والعزلة محمودة إلا أنها محتاجة إلى الكفاية .

إن جميع الوزراء الذين قصدهم أبو حيان ، وطمع في عطائهم ، كانوا وزراء للبويعيين ، فبعد النكبة التي ابتلى بها ، حيث سلبه النهاية كل ما يملك من متاع الدنيا ، وفد على بغداد أحد أولئك الوزراء وهو أبو الفتح بن العميد ، الذي دخل بغداد فتكلف واحتفل ، وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوماً ، وللأدباء يوماً ،

وللمتكلمين يوماً ، وللمتفلسين يوماً ، وفرق أموالاً خطيرة ، وتفقد أباسعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرُماني وغيرهما ، وعرض على بعض العلماء السير معه إلى (الري) ، فطمع أبوحيان في عطائه ، وقصده في الري ، وكتب له رسالة يقول فيها : لما رأيت شبابي هرمًا بالفقر ، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه ، وموضعي منه ، فرأيت طرفه عني نابيًا ، حتى لاحث لي غُرَّةُ الأستاذ ، فقلت : حُلْ بي الوَيْلُ ، وسال بي السَّيْلُ ، أين أنا عن ملك الدنيا؟ أين أنا عن مشرق الخير ومغرب الجميل؟ لم لا أقصد بلاده؟ لم لا أقتلح زناذه؟ لم لا أخطب جوده ، وأعصر عوده؟ الخ وهي طويلة ، ولكنها لم تُنَلَّهْ ما أُمِّلَ ، ولم تقربه مما طمع فيه ، فانصرف عن هذا الوزير الذي جربَ مرارة الخيبة على يد والده من قبل ، عازمًا على الانتقام منها .

وفي عام ٣٦٧ قصد أبوحيان وزيراً بُوَيَّيًّا آخر هو الصاحب بن عباد ، فلما وصل إليه سأله الوزير قائلاً : أبو من ؟ فقال : أبوحيان ، قال : بلغني أنك تتأذب ، فأجابه : تأذب أهل الزمان ، فقال له : الزم دارنا ، وأنسخ لنا هذا الكتاب ، فقال : أنا سامع مطيع ، ثم قال أبو حيان لبعض من في الدار مسترسلًا : إنما توجهتُ من العراق إلى هذا الباب لأتخلص من حرفة الشوم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة ، فمني هذا الكلام للوزير ، فتنكر لأبي حيان .

وأقام أبوحيان في بيت الصاحب ثلاث سنوات ، قضى تسعة شهور منها في النسخ والوراقة ثم أخرج إليه الناظر في خزانة الكتب ثلاثين مجلدة من رسائل الصاحب ، وقال له : يقول لك : مولانا : انسخ هذه ! فأجابه أبوحيان مرتاعاً : هذا طويل ، ولكن لو أذن لي لخرجت منها شذراً لَوَرُقِي بها مجنون لأفاق ، ولو نفث على ذي عاهة لبرا ، لا تَمَلْ ولا تُسْتَغْثُ ، فرفع ذلك إليه ، فقال : طعن في رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها ، والله لينكرن مني ما عرف ! ويقول أبوحيان : ماذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة ؟ أي إنسان ينسخ هذا القدر وهو يرجو بعده أن يتمتع الله بِبَصَرِهِ أو ينفعه بيده ؟ وجرت أشياء آخر ، وكان عقباها أن أبا حيان فارق بابه سنة سبعين وثلاث مئة راجعاً إلى مدينة

السلام ، بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطه في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد على كلفه بنسخه ، فنشبت فيه تسعة أشهر خدمة وتقرباً وطلباً لِلْجَدْوَى منه . وبعد هذا الإخفاق من الصاحب وابن العميد رأى من حقه أن ينتقم لنفسه من الصاحب بن عباد ومن الوزير أبي الفتح بن العميد مضيفاً إليها - والد - ذي الكفایتین أبي الفتح والده أبا الفضل بن العميد . وقال أبو حيان : عملت رسالة في أخلاقه - الصاحب بن عباد - وأخلاق بن العميد أَوْذَعْتُهَا نَفْسِي الغزير ، ولفظي الطويل والقصير . وهي التي سماها «مثالب الوزيرين» وهو كتاب عُدِمَ نظيره في الأدب العربي ، حيث جاء فيه بما يضحك الثكلى من الصاحب وابني العميد الأب والابن . فقد استشهد بما يحفظ من شعر ونثر لجواز الثار من المَسِيء ، والانتقام من الظالم ، كما قص كثيراً مما دار بينه وبين الصاحب أبان فيه ظلم الصاحب له ، كما نقل عن جلسائه ذَمُّهُمُ له ، ونقمتهم عليه لتكبره وسخفه واستخفافه بالعلماء ، واستكباره بشعره ومحفوظه ، كما ذكر ما شاهد في بيتي ابني العميد من بخل وتقتير ، وظلم واهانة لطالبي فضليهما .

ولما رجع خائباً إلى بغداد لجأ إلى صديقه أبي الوفاء المهندس الذي وصله بالوزير ابن سعدان ، وزير صمصام الدولة البويهية ، فنادمه سبعا وثلاثين ليلة ، وقد جمع ما دار بينه وبين ابن سعدان فيها في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» ، المكون من ثلاثة أجزاء ، وهذا الكتاب خير كتب أبي حيان العشرين التي ألفها ، وقد أهدى هذا الكتاب لأبي الوفاء المهندس لفضله عليه ، واعتنائه بشأنه ، ومساعدته له . وفيه تظهر موهبة أبي حيان الأدبية ، وسعة معلوماته ، وكثرة حفظه ، وعلاقته بعلماء زمانه ، وتحليله لشخصياتهم ، وحكمه على أدبهم وعلمهم ، ولم يُعَرَفْ أصحاب رسائل (إخوان الصفاء) إلا عن طريق هذا الكتاب ، فقد كان أبو حيان على علاقة ببعضهم ، وذكر رأي بعض علماء زمانه في تلك الرسائل ، وأحكامهم عليها وعلى أصحابها ، وهم الذين حَاوَلُوا مَرْجَ الشريعة بالفلسفة .

أبو حيان يحرق كتبه :

أبو حيان التوحيدي - واسمه علي بن محمد بن العباس - عاش بائساً فقيراً ،

ما اتفق لفظه واختلف مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

(٥٣)

٢٤٣ — بابُ حَبِيٍّ ، وَحَنِيٍّ ، وَحَبِيٍّ وَحُنِيٍّ ، وَجَبِيٍّ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : يَضُمُّ الْحَاءَ بَعْدَهَا يَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ — : مُوضِعٌ بِتِهَامَةٍ كَانَ
ذَاراً لِأَسَدٍ وَكِتَانَةٍ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : بَعْدَ الْحَاءِ نُونٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ — : مُوضِعٌ عِنْدَ مَكَّةَ ، يُذَكَّرُ

كحال معظم علماء عصره لسوء الحالة الاقتصادية ، وظلم الجنود لأفراد الشعب ،
مع أنه كان فيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة — كما يقول ياقوت الحموي في
«معجم الأدباء» ويقول المستشرق آدم ميتز : (لا نلاحظ في أسلوبه ذلك التكلف
الذي نجده عند غيره من الأدباء . ولم يكتب في النثر العربي بعد أبي حيان ماهو
أبسط وأقوى وأشدَّ تعبيراً عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان ، فنأنا غريباً بين
أهل عصره ، وكان يعاني وحشة مَنْ يَرْتَفِعُ عن أهل زمانه ، ويتقدم عليهم) اهـ .

وفي شيخوخته عاش في مدينة شيراز فقيراً معدماً ، فأحرق كتبه ، وقال : إني
جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، وللد الجاه
عندهم ، فحرمت ذلك كله ، ولقد اضطرت بينهم بعد العشرة والمعرفة في
أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة
والعامة ، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه
بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم .

قال السيوطي : ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته ،
وخرجت من قبل حرقها .

الكويت : محمد علي العبد

مَعَ الْوَلَجِ (٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ: أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ وَالْبَاءُ مُشَدَّدَةٌ -: مَوْضِعٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ ، وَخَبِيُّ الْوَالَجِ : مَوْضِعٌ آخَرُ (٤).

وَأَمَّا الرَّابِعُ: بِضَمِّ الْحَاءِ بَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ -: مِنْ مَدْنٍ بَابِ الْأَبْوَابِ (٥).

وَأَمَّا الْخَامِسُ: أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ -: فَاجِيَةٌ بِخُورِزْشَانَ ، مِنْهَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَائِيُّ التُّكَلْمُ ، أَحَدُ شُيُوخِ الْمُعْتَزِلَةِ (٦).

- (١) فِي كِتَابِ نَصْرِ: (بَابُ حَبِيٍّ ، وَحَبِيٍّ ، وَحَبِيٍّ وَحَبِيٍّ وَحَبِيٍّ ، وَخَبِيٍّ ، وَخَبِيٍّ ، وَخَبِيٍّ).
(٢) حَبِيٍّ: عِنْدَ نَصْرِ: (مَوْضِعٌ يَتِمُّ كَانَ دَارًا لِأَسَدٍ وَكَثَانَةً وَكَتَفَرِيْفُ الْخَازِمِيِّ أَوْرَدَ بِأَقْرَبِ زَوَادِ شَاهِدًا مِنْ قَوْلِ مُضَرَّسِ بْنِ رَبِيعٍ :

لَعَنَرُكَ إِخْنِي بِلَوَى حُسْبِي لَارَجِي عَابِنَا خَبِرَا أَرْوَحَا
كَذَا وَرَدَ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» إِلَّا أَنَّ ضَبْطَهُ لِلْأَسْمِ: (بِالضَّمِّ ثُمَّ الْفَتْحِ وَبَاءٌ مُشَدَّدَةٌ بِلَفْظِ التَّضْمِيرِ) ثُمَّ أَوْرَدَ الشَّاهِدَ ، وَبَعْدَهُ قَالَ: حَبِيٍّ - بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ وَالْقَصْرِ: - مَوْضِعٌ فِي قَوْلِ الرَّابِعِ:
أَبْنَتْ أَيْمَاتُ حُسْبِي أَنَّ تُسَبِّحُنَا لَنَا خَبِرَا فَأَبْكَيْنَ الْخَزِينَا

وَلَمْ يَزِدْ ، فَلَمْ يَضَعْ التَّهَامِيَّ عِنْدَهُ (حَبِيٍّ) بِالتَّضْمِيرِ ، وَالَّذِي عَنْهُ الْخَازِمِيُّ وَنَصْرٌ ائْتَفَقَ بِتَحْدِيدِهِ بِإِبْرَادِ قَوْلِ الرَّابِعِ ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا مُضْطَرَبَ الْقَوْلِ فِي الْأَسْتِدْلَالِ بِقَوْلِ مُضَرَّسٍ ، وَمَا أَرَى الشَّاهِدَ يَنْطَبِقُ عَلَى الْمَوْضِعِ التَّهَامِيِّ ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ - وَإِنْ كَانَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - إِلَّا أَنَّهُ عَاشَ فِي الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ حِينَ كَانَتْ بَنُو أَسَدٍ قَدْ ائْتَشَرَتْ فِي نَجْدٍ ، بَعْدَ مُغَادَرَةِ تِهَامَةٍ بِغُصُورٍ ، كَمَا أَنَّ اسْمَ (حَبِيٍّ) يُسَمَّى بِهِ مَوَاضِعٌ ، بِذَلِكَ عَلَى هَذَا مَا أَوْرَدَهُ الْبَكْرِيُّ فِي رِسْمِهِ فِي «مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» فَقَدْ أَوْرَدَهُ فِي شِعْرِ الْأَوْسِ بْنِ خَبَرٍ مُسْتَدَلًّا بِهِ عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَالِيَةِ ، وَفِي شِعْرِ لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِ مَقْرُونًا بِوَعَالٍ ، وَوَعَالٌ يُسَمَّى بِهِ أُمْكَةٌ مُتَعَدَّةٌ أَشْهَرُهَا فِي شِمَالِ نَجْدٍ بِطَرِيقِ الشَّامِ ، لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا - انظُرْهُ فِي قِسْمِ شِمَالِ الْمَمْلَكَةِ مِنَ «الْمَعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ لِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَةِ السُّعُودِيَّةِ» وَذَكَرَ الْبَكْرِيُّ اسْمَ (حَبِيٍّ) فِي شِعْرِ لِلنَّابِغَةِ الْجُعْفِيِّ مَعَ أَسْمَاءِ مَوَاضِعٍ مِنْهَا كَوْرُ أَثَالِ الْوَاقِعِ فِي جَنْوبِ نَجْدٍ بِمَنْطَقَةِ رَنْيَةِ .

- وَكَلِمَةُ (لِأَسَدٍ) فِي نُسَخَةِ كِتَابِ الْخَازِمِيِّ الثَّانِيَةِ وَرَدَتْ: (الْأَزْدَ) ضَطًّا ، إِذْ بِلَادُ الْأَزْدِ الْيَمَنُ ، لَا تَحِلُّكَ .
(٣) حَبِيٍّ: عِنْدَ نَصْرِ - بَعْدَ ذِكْرِ حَبِيٍّ: يَفْتَحُ الْحَاءُ تَلِيهَا تَوْنٌ مَكْسُورَةٌ مِنَ الْأَمَّاكِينِ النَّجْدِيَّةِ -: وَبِضْمِّ الْحَاءِ وَالْبَاءِ بِمِثْلِهِ -: مَوْضِعٌ مِنْ ظَوَاهِرِ مَكَّةَ يُذَكَّرُ مَعَ الْوَلَجِ ، وَمِثْلُ هَذَا التَّعْرِيفِ وَرَدَ فِي «الْقَامُوسِ» وَشَرْحِهِ مَنَسُوبًا إِلَى نَصْرِ ، أَمَّا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» فَقَدْ وَرَدَ الْكَلَامُ الْمُتَعَلِّقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ تَوْنٌ ذَكَرَ اسْمَهُ ، فَبَعْدَ الْكَلَامِ عَلَى حَبِيٍّ وَرَدَ فِي النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ مَا نَصَّهُ: كَأَنَّهُ تَضْمِيرٌ عَنْ عَلِيٍّ إِذَا أَشْفَقَ ، وَهِيَ لَفْظٌ فِي (أَخْنِي) مَوْضِعٌ عِنْدَ مَكَّةَ يُذَكَّرُ مَعَ الْوَلَجِ ، وَأَوْرَدَ شَاهِدًا مِنَ الشُّعْرِ لَهُ (لِحْنٌ هُمَا) ثُمَّ قَالَ: الْخَبِيُّ - بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكَسْرِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ -: مِنْ الْأَمَّاكِينِ النَّجْدِيَّةِ عَنْ نَصْرِ ، ذَكَرَهُ مُقَرَّنًا مَعَ الَّذِي بَعْدَهُ ، وَأَضَافَ: الْخَبِيُّ -

بِالْكَسْرِ ثُمَّ الشُّكُونُ وَيَأْهِ مُعَرَّبَةٌ :- مَوْضِعٌ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ بِالسَّامَاةِ . انْتَهَى كَلَامُ يَاقُوتَ ، وَالْأَخِيرُ لَمْ يَزِدْ فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرِ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلَعَلَّ الْأَمْرَ اخْتَلَطَ عَلَى يَاقُوتَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ النُّسخَةِ فَرَأَى الْأَسْمَ فِيهَا غَيْرَ وَاضِحٍ الضُّبُطِ حَيْثُ وَرَدَ : (وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءُ تَلِيهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ مَكْسُورَةٌ) ثُمَّ غَيَّرَتْ (سَا) فَأَصْبَحَتْ (وَيَا) وَبَقِيَتْ (مَكْسُورَةٌ) نَعْدَمًا : (مِنَ الْأَمَاكِينِ النَّجْدِيَّةِ) وَيَضُمُّ الْحَاءُ وَالْبَاءُ مِثْلَهُ : مَوْضِعٌ مِنْ ظَوَاهِرِ مَكَّةَ - الْخ - فَلَمَّا لَمْ يَتَضَيَّحْ لَهُ الضُّبُطُ تَرَكَ غَلَّ الْأَسْمَ خَالِيًا وَأَوْرَدَ التَّعْرِيفَ ، وَلَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى نَصْرِ مَالِكٍ فِي كِتَابِهِ : وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى (بَابِ الْوَاوِ) مِنْ كِتَابِ نَصْرِ فَلَمْ أَرُ فِيهِ ذِكْرًا لِلْوَلَجِ ، وَلَا فِي غَلَّةٍ مِنْ «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» . وَبَيْنَ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ الْحَيُّ شَرْقُ الدُّعَاءِ ، كَانَ مِنْهَا فَاضِيحٌ قَرْيَةٌ بِرُبِّهِ طَرِيقُ الظُّهْرَانِ مِنَ الرِّيَاضِ ، وَالْحَيُّ - يَفْتَحُ الْحَاءُ - وَرَدَ فِي شِعْرِ جَرِيرٍ .

(٤) خَبِيٌّ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءُ الْمُعْجَمَةُ بِهَا مَوْحِدَةٌ مَكْسُورَةٌ وَتَشْدِيدُ الْبَاءِ :- قُرْبُ الشَّامِ ، عَلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ ، وَخَبِيٌّ الْوَالِجُ وَخَبِيٌّ مَعْتَوِرٌ خَبِرَازٍ فِي السُّلُفِ مِنْ جُرَادٍ وَالْمُرُوثِ ، لَيْسَ خَنْطَلَةٌ مِنْ تَيْمِيمٍ ، وَمَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ دِي قَارَ . انْتَهَى وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتَ عَلَى مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ نَصْرِ مَنَسُوبًا إِلَيْهِ . وَكَلِمَةُ (السُّلُفِ) فِي كِتَابِ نَصْرِ (الْمَلْتَمِ) عِنْدَ يَاقُوتَ ، وَجَلَّةٌ : (قُرْبُ الشَّامِ) عِنْدَهُ : (مَوْضِعٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ) وَلَكِنْ صَاحِبُ «تَاجِ الْعُرُوسِ» نَسَبَ إِلَى نَصْرِ : وَهُوَ إِلَى الشَّامِ أَقْرَبُ . وَجُرَادٌ وَالْمُرُوثُ يَقَعَانِ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَنَاطِقِ الْوَشْمِ ، الْأَوَّلُ رَمْلَةٌ تَدْعَى الْآنَ (نَقْرَةُ السَّرِّ) وَالثَّانِي أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِاسْمِهَا الْقَدِيمِ ، وَالْخَبِرَانِ لَيْسَا مَعْرُوفَيْنِ الْآنَ ، وَلَا اسْتَبْعَدُ الصَّلَةَ بَيْنَ اسْمَيْ (الْحَبِي) الْقَدِيمِ (وَالْخَبَرِ) الْحَدِيثِ حَيْثُ يَقْصِدُ بِالْأَجْرِ مَكَانًا فِي الرُّوضَةِ لِيَتَمَتَّعَ فِيهِ بِمِائِهَا بَعْدَ طُولِهِ الْفَطْرِ فَتَقْبَلُ مِلَّةً مِنَ الزَّمَنِ تُوْرَدُ وَيُسْتَفَى مِنْهَا كَالْخَبَرِ (الْخَبَرَاءِ) وَالنَّعْبِ ، وَالْخَوَابِ - جَمْعُ خَابَةٍ - مَعْرُوفَةٌ فِي الصُّمَّانِ حَيْثُ تَكْثُرُ الْخَبَرَاتُ فِي رِيَاضِهِ .

(٥) حَقِيٌّ : هُوَ نَصْرٌ تَعْرِيفُ نَصْرِ - وَفِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» خَتَا - يَضُمُّ أَوَّلُهُ وَتَشْدِيدُ ثَانِيهِ مَقْصُورٌ :- مَدِينَةٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ بَابُ الْأَبْوَابِ . وَقَدْ اطَّالَ الْكَلَامُ عَلَى بَابِ الْأَبْوَابِ ، وَهُوَ فِي الْمَشْرِقِ ، وَرَأَى بَحْرَ الْخَزَرِ .

(٦) جَمِيٌّ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِجَمٍّ مَضْمُونَةٌ وَيَأْهِ مَوْحِدَةٌ : صَفَحَ مِنْهُ أَبُو عَلِيٍّ شَيْخَ الْمَعْرِفَةِ . انْتَهَى . وَفِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : جَمِيٌّ - بِالضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيدِ وَالْقَصْرِ :- بَلَدٌ أَوْ كُورَةٌ مِنْ عَمَلِ خُوزِسْتَانِ ، وَبَيْنَ النَّاسِ مَنْ جَعَلَ عِيَادَانَ مِنْ هَلِيبِ الْكُورَةِ ، وَهِيَ فِي طَرَفٍ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَاذِ ، حَتَّى جَعَلَ مِنْ لَاجِبَةِ لَهُ جَبًا مِنْ أَعْمَالِ الْبَصْرَةِ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَبَيْنَ جَمِيٍّ هَلِيبِ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجَبَالِيُّ الشَّكْلُ الْمَعْرِفِيُّ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ ، مَاتَ سَنَةَ ٣٠٣ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ٢٣٥ . . . وَجَمِيٌّ فِي الْأَصْلِ أَهْجَمِيٌّ ، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهَا جَبُويٌّ ، فَتَنَسَبُوا إِلَيْهَا جَبَالِيٌّ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، يَثَلُ يَنْسَبُهُمْ إِلَى الْمَعْلُودِ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَجَمِ مَعْدُودٌ . وَجَمِيٌّ أَيْضًا : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ التُّهْرَوَانِ ، يَنْسَبُ إِلَيْهَا - إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ -

وَمَا ذَكَرَ نَصْرٌ :

١ - حَقِيٌّ : قَالَ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءُ تَلِيهَا نَاءٌ عَلَيْهَا نَقَطَتَانِ مُشَدَّدَتَانِ مَفْتُوحَتَانِ :- مِنْ جِبَالِ حِمَا ، أَوْ حِمْلَةٍ (٩) انْتَهَى وَفِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : حَقِيٌّ - مَقْصُورٌ ، يَلْقَظُ حَقِيٌّ مِنَ الْخُرُوفِ :- مِنْ خَطِّ ابْنِ عَتَّارٍ مِنْ خَطِّ الْوَزِيرِ الْغَرْبِيِّ أَنَّهُ اسْمُ مَوْضِعٍ ، قَالَ نَصْرٌ : حَقِيٌّ مِنْ جِبَالِ عُمَانَ أَوْ جَبَلَةٍ . انْتَهَى وَلَا اسْتَبْعَدُ الصَّلَةَ بَيْنَ هَذَا الْأَسْمِ وَاسْمِ (حَت) وَهُوَ جَبَلٌ فِي عُمَانَ - انْظُرْ هَجْلَةَ «العرب» ص ٢٢

ص ٢٨٣ .

٢ - جَمِيٌّ : قَالَ نَصْرٌ : وَمَا بِجَمٍّ مَكْسُورَةٌ وَنُونٌ مُشَدَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ :- أَكْمَةُ الْجَبِيٍّ - وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ جِلَّةً -

أَمَّا الْأَوَّلُ: بَعْدَ الْحَاءِ الْمَفْتُوحَةِ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ سَاكِنَةٌ -: مَوْضِعُ بِمَكَّةَ قُرْبَ الْحُجُونِ ، قَالَ الْمُهَاجِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ :

لِنِسَاءٍ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الْحَفِّ حَمَةٌ فِي مُظْلِمَاتٍ لَيْلٍ وَشَرْقٍ
وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَنِّي لِي بِالشَّهَادَةِ ١٩ وَإِنَّ الَّذِي
أَخْرَجَنِي مِنَ الْحَفْمَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوقَهَا إِلَيَّ (٢) .

- (١) أَوْرَدَ نَصْرٌ فِي (حَرْفِ الْحَاءِ): (بَابُ الْحِفْمَةِ وَالْحَفْمَةِ).
(٢) عِنْدَ نَصْرٍ: وَأَمَّا بِالْحَاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ -: مِنْ أَصْفَاعِ مَكَّةَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْحَزْوَةِ (٩) أَوْ مِنْ دَارِ الْأَرْقَمِ ، وَقِيلَ: صَخْرَاتٌ فِي رِيعِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ عُمَرُ: أَنِّي لِي بِالشَّهَادَةِ ١٩ وَإِنَّ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنَ الْحَفْمَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوقَهَا إِلَيَّ . انْتَهَى وَكَلِمَةُ (الْحَزْوَةِ) كَذَا وَرَدَّتْ فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرِ وَفَرْقَهَا (كَلَا) وَقَدْ يَكُونُ صَوَابًا (الْحَزْوَةِ) وَكَذَا وَرَدَتْ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَالْحَزْوَةُ اسْمُ سَوَاقِ مَكَّةَ الْقَدِيمِ ، وَكَانَ بِهَا يَلِي الْمَسْجِدَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُجْيَادِ وَأَسْفَلَ مَكَّةَ . وَلَيْسَ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» مَا يُضَيِّفُ إِضَاحًا عَلَى مَا ذَكَرَ نَصْرٌ وَالْحَازِمِيُّ يَبْزِي إِضَافَةَ بَيْنَ إِلَى بَيْتِ الْمُهَاجِرِ ، وَلِي «مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ»: الْحَفْمَةُ . . . صَخْرَاتٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ بِهَا رِيعُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - ثُمَّ يَهَيِّئُ غَيْرَ عَمَرَ فِي صَفَةِ جَنَّةٍ عَذْبٍ ، وَقَصَرَ فِيهَا لِأَنَّهُ خَلَّهَ إِلَّا نَبِيًّا وَقَالَ: وَهَيْئًا لِصَاحِبِ الْقَبْرِ - وَأَشَارَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ صَدِيقٍ وَهَيْئًا لِأَبِي بَكْرٍ - وَأَشَارَ إِلَى قَبْرِ - أَوْ شَهِيدٍ ، وَأَنَّى لِعُمَرَ بِالشَّهَادَةِ ١٩ وَإِنَّ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ مَنَزَلِي بِالْحَفْمَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوقَهَا إِلَيَّ - ثُمَّ أَوْرَدَ الْبَكْرِيُّ بَيْتَ الْمُهَاجِرِ وَمَعَهُ آخَرٌ - وَالْحَفْمَةُ كَمَا حَدَّثَنَا الْأَرْقَمِيُّ الْمَكِّيُّ - وَأَهْلُ مَكَّةَ أَخَذُوا بِشَعَابِهَا - قَالَ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» ج ٢ ص ٢٩٤ فِي الْكَلَامِ عَلَى (مُسْفَلَةِ مَكَّةَ) لَذَكَرَ الْحَزْوَةَ ، وَأَنَّهَُا دَخَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، كَانَتْ فِي أَصْلِ الْمَنَارَةِ إِلَى الْحَفْمَةِ - إِلَى أَنْ قَالَ -: الْحَفْمَةُ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ، صَخْرَاتٌ فِي رِيعِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثُمَّ أَوْرَدَ شِعْرًا نَسَبَهُ لِخَالِدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسَدٍ :

لِنِسَاءٍ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الْحَفِّ حَمَةٌ فِي لَيْلِي مُقْبِرَاتٍ وَشَرْقٍ
سَاكِنَاتٍ الْبَطَاحِ أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ سِ بِ مِنْ السَّكِنَاتِ دَوْرٌ بِمَشَقِّ

فَالشَّاهِدُ - كَمَا تَرَى - نَسَبَهُ الْأَرْقَمِيُّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لِخَالِدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ ، وَنَسَبَهُ الْحَازِمِيُّ وَمَنْ تَابَعَهُ - كَيَاقُوتُ - لِلْمُهَاجِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَنَسَبَهُ الْبَكْرِيُّ فِي «مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» فِي حَفْمَةِ وَالْحُجُونِ - لِلْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، إِلَّا أَنَّ حَالِمَ قُرَيْشٍ الزُّبَيْرِيَّ بْنَ بَكَّارٍ نَسَبَهُ لِلْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ الْمَخْزُومِيِّ - كَمَا فِي رِسْمِ الْحُجُونِ مِنْ «مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» مُتَابِعًا فِي ذَلِكَ عَمَّهُ مُضْمَبًا الزُّبَيْرِيَّ فِي كِتَابِهِ «نَسَبُ قُرَيْشٍ» - ٣١٤ - وَالْحَارِثُ مِنْ مُشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ، وَابْتِغَاءً بِشِعْرِهِ أَشْبَهُ .

وَقَوْلُ الْحَازِمِيِّ -: عَنْ الْحَفْمَةِ -: يَقْرُبُ الْحُجُونِ ، لَا يَتَلَاوُحُ مَعَ كَوْنِ الشَّاعِرِ وَصَفَ السَّكِنَاتِ بَيْنَ الْحُجُونِ وَالْحَفْمَةِ ، فَالْحُجُونُ لِي أَهْلُ مَكَّةَ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، وَالْحَفْمَةُ لِي أَهْلُهَا مَعْلُومَةُ الْمَوْضِعِ مَعَ دُرُوبِهَا .

وأما الثاني : أول خاء معجمة مفتوحة ثم ياء تحتها نقطتان ساكنة - : أكمة بين الرمة وأبانين من جهة الشمال ، بها ماء ليبي عسر ، يقال لها العبارة (٣) .

٢٤٥ - باب حُفْنٍ ، وَحِينٌ (١)

أما الأول : بضم الحاء والثاء المثلثة - : موضع حجازي عند الملم بينه وبين مكة يؤمان ، قال سلمى بن المقعد الهذلي :

إنا نزرعنا من مجالس نخلة فتجيز من حُفْنٍ يباض الملم
قوله نزرعنا : أي جثنا ، ونجيز : نحر (٢) .

وأما الثاني : أوله خاء معجمة مكسورة بعدها ياء تحتها نقطتان ساكنة - : بلدة من نواحي طوس ، ينسب إليها أبو الفضل بن المظفر بن منصور الحنفي ، ذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند ، وروى عنه أبياتا من شعره .

(٣) الحيمة : تفرقت الحازمي هو نصر تفرقت نصر ، وبثله عند ياقوت في «معجم البلدان» إلا أنه نسب التفرقت للأصمعي ، وهو في كتاب «بلاد العرب» - ٧٠ - التسوب للغة ، وجعل تصويره منها ياقوت للأصمعي ، وعندهما (مائة يقال لها العبارة) وقد أورد ياقوت شاعدا لبعض الأعراب : خير السالي - إن سالت بلبله ليل بخيمة بين بئس وفتر ولكن ابن خيمة يش وغر الواقعين في نيامه من خيمة أبانين في شمال نجد ؟ وخيمة ثالثة قال عنها ياقوت : من غاليب الطائيف وليست معروفة الآن ، أما خيمة أبانين - الجبلين المعروفين - فمعروفة ، وقد تسمى خيمة قطن لقرىها من هذا الجبل ، وهي واقعة شرقي بلدة (عقلة الصفور) بنحو عشرين كيلا ، بدعها الطريق إلى المدينة المنورة يساره ، غرب جبل أبان الأسود ، بينه وبين جبل قطن ، أما مائة العبارة فغير معروفة الآن ، وكثير من المياه القديمة فرست لغور المياه باطن الأرض ، والاستعاضة عنها بالآبار العميقة الغور . والقول بأن الحيمة بين الرمة وأبانين فيه تهور ، إذ الرمة ثمر بين أبانين ، والشمال بينهما الأسود تقع الحيمة في غربه بجبل نحو الشمال ، ووادي الرمة يقع جنوبها .

(١) لم يثبت نصر للاصمعي ، وأما ذكر الاسم الأول في (باب جبر وجبر وجبر وخبر وخبر) ولم يذكر الاسم الثاني .

(٢) قال نصر : وما بضم الحاء الملهمة ، بعدها ثاء مثلثة ساكنة وتون - : من أرض الحجاز ، بينه وبين مكة يؤمان . وفي «معجم البلدان» : حُفْنٌ - بضمين وأجره نون - : موضع في بلاد هذيل ، من الأزهري ، وقال غيره : موضع عند الملم (٤) بينه وبين مكة يؤمان ، قال سلمى بن مقعد القريني :

إِنَّا نَزَعْنَا مِنْ نَجَالِسِ نَحْلَةٍ فَجَعَلْنَا مِنْ حُشْنٍ بِنَاصِ مُثْلًا (٢)
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْعِزَّازَةِ الْهَذَلِيُّ:

وَقَالَ بِنَاءٌ لَوْ قُبِلَتْ لَسَانُنَا سِرَاكُنْ ذُو الْبَيْتِ الَّذِي أَنَا قَاجِعُ
رِجَالُ وَنِسْوَانُ بِأَكْثَابِ رَايَةِ إِلَى حُشْنٍ بِلَكِ السُّمُوعِ الدَّوَامِغِ
وَقَالَ ابْنُ:

أَرَى حُشْنًا أَتَمَّى ذَلِيلًا كَانَهُ نُرَاتُ وَخِلَاءُ الصَّنَابِ الصَّمَايِرِ
وَكَادَ يُؤَالِيْنَا وَلَسْنَا بِأَرْضِهِمْ نَبَائِلُ مِنْ فُهُمِ وَأَفْصَى وَنَابِرُ

وفي الشعر الذي تقدم عرّف أضيف من كتاب «شرح أشعار الهذليين» وهو من قصائد وردت فيه - ٧٩٧ و ٥٥٢
٦٠٦ - وكلمتا (المثلم) و(مثليا) صوابهما (اللم) و(اللميا) حيث وردت البيت مفعرا ص ٧٩٧: (اللم: موضع يقال
له يلملم واللم) وقد ذكر هذا ياقوت في حرف الألف من المعجم كما ذكره غيره. وفي «معجم ما استمعهم» ضبط
الاسم بالناء المثناة (حشْن): أرض في بلاد هذيل، لبني قُرَيْمٍ منهم، ويصنبر حشْن وذئابة (٩) ثمار، وإد هذالك -
ثم ذكر إغارة تابط شرأ على أحد بني قُرَيْمٍ وقتله، وبناته أمه الذي منه:

فَقِي فُهُمِ جَمِيعًا غَادِرُوهُ مُقِيمًا بِالْحَرِصَةِ مِنْ ثَمَارِ

وأبيات قيس بن خويلد - وهو ابن العيززة - العينية - ولها: العيون الدوامغ - كما في كتاب «شرح
أشعار الهذليين» - ٥٥٢ - لأننا وردت في «معجم البلدان»: (الدومغ الدوامغ) إلا أن صحة الاسم
(حشْن) بالناء المثناة - كما في مصنف البكري وكلمة (ذئابة): (ذئابة) ولكن اختصار الكلام غير موقعها
بته، وانظر الكتاب المذكور - ٨٤٥ - وحشْن وإد لا يزال معروفا سكاته من بقايا فهم قوم تابط شرأ
الذي قتل في ثمار أحد فروع حشْن، وكانت فهم تجاور هذيلًا لحلت في بعض بلادهم، وأعلى حشْن
تخدير من السراة بقرب الطاليف (الشفاء) ونجدة الوادي صوب الغرب حتى يكون مع أودية وشعاب وأدي
يللملم (السعدية) الذي منه بحرم حجاج يهامة، على مسافة تقرب من مئة كيلو جنوب مكة، حيث
يقبض في الساحل.

(٣) ثم أر بهذا الاسم ذكرًا في كتاب نصر، ولم يأت ياقوت بجديد حوله سوى قوله (... سمرقند، ثم
فازقها إلى طبرستان، فمات بها) فهل هذه الجملة سقطت من مخطوطي الحارمي اللذين وصلنا إلينا، أم
أطلع ياقوت على مصنف الحارمي؟ يظهر أنه رجع في ذلك إلى «الأنساب» للسمعاني ففيه - ج ٥
ص ٢٦٢ - تفصيل فيما نقل عن أبي سعيد الإدريسي، وكان معاصرا للمترجم وصاحباً له، ولم يؤرخ
زمنه إلا أنه قال: خرج من سمرقند قبل الشانين والثلاث مئة. وذكر السمعاني أن حين من قرى طوس،
وأنه زارها، وسمع الحديث على خطيبها. أما الإدريسي مؤرخ سمرقند فهو عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الله بن إدريس بن الحسن بن منوية الأستراباذي ترجمه السمعاني في «الأنساب» - ج ١ ص ١٣٩ -
وذكر أنه توفي في سنة ٤٠٥ خمس وأربع مئة، في سمرقند، وطوس القديمة فرست، وحل محلها مدينة
(مشهد) في أقصى بلاد فارس، ولأحد المعاصرين وهو السيد محمد مهدي العلوي رسالة عن «تاريخ
طوس»، مطبوعة في بغداد - انظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» - ٤٣٠ -

ديوان العرب

نجمة ومودة وأسى

[وللشعر في (جميع الخالدين) منزلة التي لم تتأثر منذ أن أنشئ هذا المجمع ، وكان من أبرز أعضائه مشاهير الشعراء كالاستاذ علي الجارم ، والاستاذ عزيز أباظة ، والاستاذ محمد عبدالغني حسن (المعروف بشاعر الاهرام) . ولهذا لم تخل دورة مؤتمره الرابعة والخمسين التي عقدت في شهر رجب ١٤٠٨ هـ من لقاء غرر من القصائد الممتعة بعد أن يجتهد النقاش في الموضوعات اللغوية الجافة فتنحاز النفوس إلى ماثروخ عنها ، وتستدعي حرارة جنو المداولة إلى مايطربو ، وكان من شعراء هذه الدورة الاستاذ محمد بهجت الأثري عن (الفصحى رباط وحلة الأمة) والدكتور محمد علي إبراهيم (قصيدة رثاء) والاستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي بهذه القصيدة المؤثرة حقاً].

مهدة إلى الاستاذ الكبير : الدكتور إبراهيم مذكور ، رئيس مجمع اللغة العربية].

سَعَيْتُ بَعْدَ ثَلَاثِ أَتْبَغِي أَرْبِي
وَعُدْتُ بَعْدَ ثَلَاثِ أَرْتَجِي أَمْلًا
حُلْتُ عَنْ مُورِدِ عَذْبٍ غَرَضْتُ لَهَا
عَقَدْتُ فِي شَامِخِ الْأَرْدَنِ أَصْبَرِي
وَفَزْتُ فِيهِ ، وَلِي أَهْلٌ جَعَلْتُ بِهِمْ
أَتَعَبْتُ نَفْسِي ، فَلَمْ أَحْزَ مَسِيرَتَهَا
وَقَدْ دَرَجْتُ ، وَدَابِّي فِيهِ فِي صَعْدِ
وَقَدْ صَرَفْتُ إِلَى (صَنْعَاءَ) وَافِدَتِي
وَقُلْتُ : لَا بُدَّ فِي (صَنْعَاءَ) لِي رَجْمٌ
قَصَدْتُهَا ، وَرَمَيْتُ الطَّرْفَ مُحْتَسِبًا
وَعُدْتُ أَضْيَعَ مَأْسُورٍ ، وَأَسْرَهُ
قَدْ جِئِلَ بَيْتِي وَبَيْنَ الْأَهْلِ فِي بَلَدِ

وَقَدْ تُحِبُّ الْمُنَى فِي سَعْيِ مُغْتَرِبِ
مُنَى ضُرُوبًا وَالْفَاقَا مِنَ الْأَدَبِ
وَالْعَذْبُ أَنْفَسُ مَا أَتْبَغِيهِ فِي طَلْبِي
وَبِئْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَعِدْ بِهِ نَسْبِي
وَقَاءَ مَا أَتَرَدَّى فِيهِ مِنْ وَصْبِ
وَقَدْ تَسَلَّقْتُ سَفْحَ الطُّودِ فِي تَعْيِي
حَتَّى قَطَنْتُ ، وَسَعْيِي فِيهِ فِي صَبِّ
وَقَبَلْتِي كُلِّ (نَجْمٍ) ثَائِبِ (نَدْبِ)
جَذَاءً ، لَمْ أَتَّخِذْ يَوْمًا لَهَا سَبِي
أَنْ أَلْتَقِيَ الْبَلَدَ الثَّائِي عَلَى اللَّهَبِ
ذَنْبُ النَّوَى ، يَالْبُؤْسَ النَّازِحِ الْحَرْبِ
سَمَا بِهِ كُلِّ مَعْدُودٍ مِنَ النُّخَبِ

يَاوَيْلَ بَغْدَادَ مِنْ ظُلْمِ أَعْدَ لَهُ
يَاخُسِرَ عَافِينَ رَاحُوا يَتَغَوَّنَ بِنَا
أَيَغْتَلِي كُلُّ هَمَامٍ إِلَى السَّلْبِ
لَا ، لَنْ نَجِيءَ إِلَى مَارَامٍ مِنْ خَبِثِ
قَدْ أَنْكَرُوا الْخَالِصَ الْمَأْتُورَ فِي الْكُتُبِ

دُو بَغْضَةٍ بَاتَ يُذَكِّي النَّارَ فِي الْخَطَبِ
مَايَتْبَغِي كُلِّ مَسْغُورٍ مِنَ الْكَلْبِ
وَيَخْلُطُ الْأَفْنَ الْمُرْدُولَ بِالْكَذِبِ !!
وَكَيْفَ يَسْطِيعُ مَشَاءَ إِلَى الْغَلْبِ
أَوْ لَا ، فَكَيْفَ الَّذِي مِنْ جَارِنَا الْجُنْبِ

وَقَدْ شَرَنْتَنِي، وَبَاعْتَ بَيْعَ مُغْتَصِبٍ
أَنْ أَسْعَفْتَ بِلِقَاءِ السَّادَةِ النُّجَبِ

مَادُمْتَ تُحَرِّصُ حَرِصَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ
عِلْمًا فَيَغْمُرُ مَا تُعْطِيهِ مِنْ كَثَبِ
مَا نَوَّرُوا فِيهِ مِنْ إِشْعَاعِنَا الْعَجَبِ
نُورُ (الْكِتَابِ) الَّذِي أَرَبَى عَلَى الْكُتُبِ
وَأَسْتَمِرُّوْهَا فَطَابَتْ زُبْدَةُ الْحَلَبِ
وَكَانَ مِنْهُ جَنَى مَغْسُولَةِ الرُّطَبِ

فِي حَاضِرٍ يَتَشَهَّى عَوْدَةَ الْحَقَبِ
كَانَتْ لِأَسْلَافِنَا فِي مَعْقِلِ أَشِبِ
لَمَلَقْتُ مِنْهُ، وَلَمْ أَسْمَعْ لِمُحْتَطَبِ
صَحْبُ تَسَامَوْا عَنِ الْمَزْهَوِّ بِالرُّتَبِ
عُقْبَى الَّذِي جَلَّ عَنْ شَكِّ وَعَنْ رَيْبِ

وَبَيْعَ النَّوَى، أَخَذْتَنِي أَخَذَ مُقْتَسِرٍ
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ، لَمْ أَعْلِمْ بِهَا غَرَضًا

يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ مَعْمُورًا تَجُودُ لَهُ
سَمَاحَةً ثَرَةً قَدْ رُحِتَ تُرْسِلُهَا
حَبَاكَ صَفْوَةً قَوْمِ كُلِّهِمْ قَمَرُ
مَشَوْا إِلَى الْكَلِمِ اللَّامِي أَضَاءَ بِهِ
تَحْلِبُوهَا فَأَهْدَتْ دَرَّ سَاعِيَةٍ
وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ نِعْمَاهُ أَصُورَةٍ

يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ، إِنَّا أُمَّةٌ شَقِيَّتْ
أَنْبِيَاكَ أَنَا أَضَعْنَا مَجْدَ عَامِرَةٍ
وَأَنْتَنِي جِئْتُ أَشْدُو بَعْضَ عَارِفَةٍ
فِي جَمِيعِكُمْ عَزٌّ مِنْ جَمْعٍ نَالَفَهُ
تَحَلَّمْتُ الْعِيبَ، بَلْ حُزْنُكُمْ بِهِ شَرَفًا

فِي حَاضِرٍ تَرَامَاهَا يَدُ النَّوْبِ
وَنِلْتُ مِنْهَا، وَقَدْ حَقَّقْتُ مِنْ أَرَبِ
صَيْدُ الرُّجَالِ، فَكَانَتْ زِينَةُ الْخُطْبِ
وَهِيَ السَّمَاحَةُ فِي الْأَفَاقِ وَالرَّحْبِ
جَمْعُ الْوَرَى، وَهِيَ صَوْتُ الْجُحْفَلِ اللَّجْبِ
مِنْ اللُّغَاتِ الَّتِي خَفَتْ إِلَى الْجَنِبِ
مِنْ الْمَعَارِفِ فِي الْأَجْوَاءِ وَالشُّهْبِ
بِمَا غَذَّتْهُ مِنْ أُمِّ بَرَةٍ وَأَبِ
مَشَتْ إِلَى كُلِّ عِزْقٍ غَابِرٍ تَرِبِ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا الْخَالِصِ الذَّهَبِ

إِنَّ الَّتِي بَتُّ مِنْ أَحْلَامِهَا قَلْبًا
سَعِدْتُ فِيهَا عَلَى مَرٍّ مِنَ الْحَقَبِ
مَشَتْ عَلَى الدَّهْرِ، بِنْتُ الدَّهْرِ يُخْطِبُهَا
وَأَسْتَقْبَلَتْهَا رُبُوعٌ لِأَحْدُودِهَا
وَقَدْ تَحَلَّى بِهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا
حَوَتْ لِقَائِي، لَمْ تُعْرِفْ بِعَامِرَةٍ
وَلَمْ تَقِفْ عِنْدَ هَذَا، بَلْ شَأَتْ عَدَا
رَكَتْ وَطَابَ لَهَا عِزْقُ تَكْفُلِهَا
صَحْبَتُهَا فَنَمَتْ فِي صُحْبَتِي يَفَّةُ
لَزِمَتْهُ فَهَذَا بَعْضُ صُحْبَتِهِ

وَجَدْتُهُ فَوَجَدْتُ الْعِلْقَ يَنْفُسَهُ
وَلَمْ أَشِخْ عَنْ خَصَاهَا، جَلَّ عَنْ شَبِّهِ
وَقَدْ يَشْوُفُكَ بَعْضُ السَّحْرِ فِي حَجَرٍ
وَحُلُوهُ حُلُوٌّ مَا اسْتَصْفَيْتُ مِنْ مِلْحٍ
إِنِّي لَأَقْتَجِمُ الْأَسْرَارَ فِي شَطْفٍ

أَسَابَةَ حَفَلْتُ بِالتَّنْبَرِ وَالْحَصْبِ
بَلْ جُلْتُ فِيهِ، وَلَيْسَ التَّبَعُ كَالْعَرَبِ
كَمَا تَرَى الْأَلْقَى الْمَنْصُورَ فِي خَشْبِ
فَحَلَّ عَنْكَ بَعِيداً شَهْدَةً الضَّرْبِ
مِنْ الْأَوَابِدِ بِمَا لَفَّ بِالْحُجْبِ

وَقُلْتُ: هَا (مِصْرُ) قَدْ عُدْنَا وَعَادَ بِنَا
رُحْنَا نَزْمُ خَرَابًا بَاتَ يَنْقُضُنَا
كَأَنَّا لَمْ نَرِثْ مِنْ غَايِرِ الْقَا
أَتَرْتَضِي أَنْ يَسُودَ الْكُفْرُ فِي بَلَدٍ
يَسُومُنَا الْخُسْفُ لَمْ تَشَأْ لِلظُّلْمَةِ
لَهْفِي عَلَى الرُّبُوبَاتِ الزُّهْرِ عَقْرَهَا
وَيَارِبِي (الْقُدْسِي) وَأَفَاكِ الرِّفَاقِ بِمَا
حَدَّثْتُ فِيكَ الْأَلَى اخْتَارُوا سِلَاحَهُمْ
فَذَاكَ أَجْدَى عَلَيْنَا مِنْ رَفَهِيَّةٍ
لَمْ نَعْتَبِرْ بِالَّذِي يُرَوِّى لَنَا عَجَبًا
إِنِّي لَأَنْفُ مِنْ بَعْضِ تَحْطَفِهِمْ
وَقَدْ أَعَانُوا (بَلْفُو) لِأَغْنَاءِ بِهِ
لَوْ أَنَّ قَوْمِي أَفَاقُوا مِنْ عَمَائِيهِمْ
إِذْنٌ لَأَمَنْتُ أَنَا أُمَّةً فَطَنْتُ

مَاضِيَمٍ مِنْ حَاضِرٍ أَوْفَى عَلَى الشَّجَبِ
مِنْ الْقَوَاعِدِ، بَلْ رُحْنَا إِلَى صَحْبِ
يَبْدُو عَلَى مَا أَضْعَانَهُ مِنَ الْحَسْبِ
أَسْرَى إِلَيْهِ نَبِيُّ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
وَقَدْ تَحَوَّلَ مَعْمُورٌ إِلَى خَرِبِ
دَمُ الشَّهَادَةِ مَطْلُولًا عَلَى التُّرْبِ
يَزِيدُ سِحْرًا عَلَى أَثَوَابِكَ الْقُشْبِ
(حِجَارَةً) كَرَمْتُ كَالسَّمْرِ وَالْقُضْبِ
إِنْ كَانَ كُلُّ الَّذِي نَبِّغِيهِ فِي الْخُطْبِ
مَاقِيلَ مِنْ فَعَلَاتِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
مَا زَانَتْهُمْ فَارْتَمَوْا فِي نَشْوَةِ الطَّرِبِ
وَذَاكَ اعْظَمُ مِمَّنْ لَأَذْ بِالْهَرْبِ
وَقَدْ تَدَاعَوْا فَتَارَتْ سُورَةُ الْغَضْبِ
بِمَا يُحْيِي بـ (أَقْصَاهَا) مِنَ الْكُرْبِ

يَا مِصْرُ، يَا مِصْرُ أُمُّ الْوَافِدِينَ إِلَى
مَشَا إِلَيْكَ، وَكُلُّ يَجْتَدِيكَ إِلَى
يَسْتَلْهِمُونَ نَجِيعَ التَّضْجِيَّاتِ هُدًى
وَحَسْبُهُمْ كُلُّ شَيْءٍ جَلَّ مَعْلَمُهُ

رِحَابِ تَجْدِكَ مِنْ مَوْزُونِهِ الْخَصْبِ
(صَعِيدِ) أَرْضِكَ بِالْأَنْجَادِ تَحْتَضِبِ
بَادِي الشَّوَاهِدِ مِنْ أَبِي دَمِ سَرِبِ
وَبَيْضَةُ الْمَجْدِ لَمْ تَهْرَمْ وَلَمْ تَشِبِ

يَا مِصْرُ إِنَّ هَزْزِي لِقِيَاكَ يَأْسِرُنِي
فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أَمْرِ وَجِغْتُ لَهُ

وَقَدْ سَعَيْتُ إِلَيْهِ سَعْيَ مُرْتَقِبِ
وَنَالَ مِنِّي، مَا قَدْ نَالَ مِنْ نَصِيبي ←

شمس الغد

عِنْدَمَا تُشْرِقُ شَمْسُ الْغَدِ فِي الرُّوْضِ الْأَعْنَ
عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ الْأَزْهَارُ وَالطُّيُورُ يُغْنِي
وَالْفَرَاشَاتُ تَحْبُو الْخَلَّ مِنْ غُصْنٍ لِيُغْضِنِ

حَيْثُ تَغْدُو الْأَرْضُ فِي أَعْدٍ رَأْسَهَا جَنَّةَ عَدْنٍ
حَيْثُ تَرَعَى الشَّاةُ وَالذُّودُ بِبِلَا حِفْدٍ وَضَمْنٍ
حَيْثُ إِنْسَانِيَّةُ الْإِنْسَانِ تَمُحُو كُلَّ لَوْنٍ
حَيْثُ لَا ظُلْمَ وَلَا خَوْفَ سِوَى عَذْلِ وَأَمْنٍ

عِنْدَهَا أَسْتَلِيهِمُ الْأَوْ تَارَ عَنْ أَعْدَبِ لَحْنٍ
تَسْعُ الْأَمَالُ قَلْبِي تَسْكُنُ الْأَحْلَامُ جَفْنِي
تَمَلُّ الْفَرَحَةَ دُنْيَا يَ فَاثْمُدُو وَاعْنِي

سَأَغْنِي الْأَرْضَ أَجْمَا دِي، وَأَهْدِي الشَّمْسَ فَنِي

محمد سعيد المسلم

القطيف : ١٤٠٨/٤/١٧

طَوْرًا فَرَحْتُ أَعَانِي أَيُّ مُضْطَرَبٍ
أَنْ كَانَ فِي (رُفَقَاءِ) الْأَمْسِ مُطْلَبِي
وَبُنْتُ عَنْهُمْ، وَضَبْرِي صَبْرٌ مُخْتَرِبٍ
تَهْدُ مِنْ صَبْرٍ مُلْتَمَعٍ وَمُلْتَهَبٍ
عَنْ بَعْضِ مُبْتَعِدٍ فِي شَخْصٍ مُقْتَرِبٍ
كَأَنَّ مِنْهَا ظِلَالًا قَطُ لَمْ تَغِبْ
كَأَنَّهَا الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعَبَبِ
أَغْنِي بِهَا فِي وُجُودِ عَابِسٍ شَجِبِ

→ وَذَلِكَ أَنْ صَحَابًا قَدْ عَرَفْتَهُمْ
بِهِمْ غَنَيْتُ، وَقَدْ حَقَّقْتُ نَافِلَةً
طَوْرًا، وَأَمْرِي مِنْهُمْ أَمْرٌ مُحْتَسِبِ
بَكَيْتُهُمْ، وَبُكَائِي زَفَرَةٌ صَعِدَتْ
وَقَدْ أَسْرَوْتُ إِلَى جُرْجِي بِنَعَضِ أَسَى
طَوْرًا شَخْصًا، وَعِنْدِي مِنْ سَرَائِهِمْ
لَكِنِّي رَحْتُ فِي تَيْهَاءِ مُظْلِمَةٍ
وَبِي نَيْلَةٌ مَا أَلْفِي بِهِ سَعَةً

الدكتور: إبراهيم السامرائي

صنعاء

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

آل عطيش : من آل ضُبَيْح من بني خالد

لقد لفت نظري أثناء مطالعتي لمجلة « العرب » العدد الصادر في شهري جمادى الأولى والآخرة لعام ١٤٠٨ هـ ص ٨٤١ - ٨٤٢ . . ملاحظات الشيخ عبدالعزيز بن سليمان السعيد قاضي محكمة الخرج حيث أورد بعض الملاحظات عن كتابكم القيم « جبهة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » وذكر أنكم أغفلتم ذِكر بعض العائلات التي تستوطن الدلم والخرج ، وهو بلاشك غير مقصود ومتعمد لما يُعرف عنكم من أمانة ودقة في تحقيق وتأليف وبحث .

وأحب هنا إبداء مايتعلق بموضوع عائلي وهي جاءت بلفظ (العيش) وهو خطأ مطبعي والصواب (العطيش) أو (آل عطيش) وهم من فخذ الظهيرات من آل ضُبَيْح من بني خالد .

وعائلة العطيش تشمل : آل عبدالعزيز ، آل عبدالله ، آل رشيد ، والبيت الأخير انقطع عقبهم ومنهم مطلق شارك في حملة الدولة السعودية إبان عهد تركي بن فيصل حسب ما أذكر الآن .

وهناك مجموعة من آل عطيش في المنطقة الشرقية ومنهم أهل عِنك وهي مقر بني خالد في نواحي واحة القطيف وكانوا إلى عهد اكتشاف النفط بادية ، استوطنوا حاضرة الآن .

ويرجع تاريخ قدومهم إلى الخرج إلى فترة حكم وسيطرة بني خالد في عهد أسرة آل عُريَيْر على مناطق العارض والخرج ، وما شملت منطقة اليمامة من ربيع نجد ، وهناك أراضي تعرف باسمهم ترجع إلى زمن سابق .

والأسرة جميعها تستوطن الرياض سوى بيت واحد فرد وأسرته مازال في مدينة الخرج .

وترتبط بمعظم أسر قبائل الخرج بروابط وعلاقة نسب ومصاهرة وأقرب هذه الأسر التي تنتمي إلى بني خالد وهم من آل صبيح عائلة الشَّدِّي في الدلم واليامة وحريملاء والمنطقة الشرقية . كما أن عائلة الجَوْد في منطقة العيون بالأحساء الآن يعرفون بآل عَطِيش وقامت بيننا وبينهم روابط وزيارات واجتماعات سنوية .

الرياض : ناصر محمد عبدالعزيز العطيش

« العرب » : للأخ الكريم الشكر على ما أوضح عن أسرته وحبذا لو انحف قراء « العرب » الأخوة الذين لم يرد لأسرهم ذكر في هذا الكتاب لتداركه عند اعادة طبعه قريباً إن شاء الله .

الزمادات من المساعدة الدواسر

كانت المجلة استوضحت من فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالعزيز بن سليمان السعيد قاضي محكمة الخرج عن نسب الزمادات الساكنين في اليامة ، فأفصل بالكتابة بتاريخ ١٤/٨/١٤٠٨هـ بما هذا نصه :

انني اتصلت ببعض رجال الأسرة الموثوقين في هذا المجال فأكدوا نسبهم كما هو معروف أنهم من (آل بوزمام) المساعدة من الدواسر ، ومن أسرهم :

- ١- الجهم في اليامة .
 - ٢- الرفدان في العسيلة من نواحي الأحساء .
 - ٣- السلطان الذين استوطنوا المصانع من نواحي الرياض ومنهم إبراهيم السلطان أمير المصانع سابقاً .
 - ٤- كذلك الزمادات الذين في ضرما والمزاحية .
- فكل هاؤلاء من آل (بوزمام) المساعدة الدواسر .

أما بالنسبة لاستيطان آل جمهور في جلاجل فقد اخبرني محمد بن الشيخ سليمان - رحمهما الله - ان جده والد الشيخ سليمان ووالد دخيل الله شقيق سليمان هو أول من استوطن بلدة جلاجل ، كما اخبرني ان لهم عمًا استوطن حوطة بني تميم ثم الخرج ولا اعلم له أولاداً ذكوراً ، ولكن له بنات في الخرج .

هذا ما أردت أن أخبركم به مع جزيل الشكر لك ولما تبذله له من جهد وفق
الله الجميع ..

وقد سبق ان نشرت « العرب » - س ١٥ ص ٢٠٠ - بحثاً للأستاذ أحمد بن
سليمان جاء فيه : ان الزمامات الذين في الرياض وفي ضрма من الوداعين من
الدواسر .

ثم نشرت - س ٢٢ ص ٨٤٢ - تعليقاً لفضيلة الأستاذ عبدالعزيز بن سليمان
ذكر فيه أن الزمامات من المساعرة ، وها هو فضيلته - وفقه الله - يؤكد هذا بما
نقل عن بعض رجال الأسرة الموثوقين في هذا المجال ، وكما في المثل (أَهْلُ شُعْبَى
أَفْرَى بِشُعَابِهَا) وشكر الله للشيخ عبدالعزيز وأدام له الخير والتوفيق .
حول كتاب « الجوهرتين » :

تصحيح .. وملاحظة

لقد استمتعت - متعكم الله بالصحة - بكتاب « الجوهرتين » واستفدت منه
كثيراً ، وقد شجعني تواضع العلماء الكائن بين برديك أن أبدي رأيي في بعض
الأشياء ، وهي التالي :

١ - قرأت في ص ٢٨٢ عن العُرج ، ويذكر شيخي الفاضل أنه لم يجده من
أسماء النباتات ، فتذكرت أن أهل تهامة (منطقة جازان) يسمون السدر عُرْجاً ،
ويجمعونه على عُرُوج ، ثم تذكرت أنه قد مر علي ، فبحثت حتى وجدت في كتاب
« الجيم » لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي الخبير بجمع اللغة
العربية ، ومراجعة أ.د. محمد مهدي علام عضو مجمع اللغة العربية ، وجدت
في ص ١٧٦ المجلد الثاني حرف (العين) السطر (الخامس) مايلى : (يقولون
لجماعة السدر : العُرجان الواحد عُرْج ، وهي العُلُوب الواحد عُلْب) انتهى .
ثم أن أهل ظهران الجنوب يسمون السدر عُلْباً الآن .

٢ - ص ٢٩٤ : الكبا : يعرف بفيفا باسم الكبّي واحده كُبْيّة مع نطق
(الكاف) كما ينطقها الخليجيون وهي لهجة أهل فيفا ، وكانت النساء تعمد إلى

سرجين البقر فيجمعنه ويكوؤزئه وَيَبْسَنه وبعد ذلك يستعمل لحفظ النار من أن
تخمد ، كما يوقد به على أي شيء لا يحتاج إلى لب النار وهذا قبل عشرين
سنة ، أما الآن فلا يستعمل ، وأعتقد أنه المراد ، حيث قرن بالبحر في
ص ١٤٦ .

٣- ص ٢٩٤ . آخر الصفحة ، خُرء الحديد ، هو كما ذكرت بالضبط ،
ولا يزال معروفا عند صناع منطقة فيفا ، حيث يسمون خبث الحديد ، خَرَّ
الحديد ، بإبدال اللام ميما ، كما هي لهجة الجنوب التي هي لغة حمير .

المعهد العلمي في عرعر : سلمان بن محمد الفيضي

بعض أسرار الحريق ونعام

كنت قد كتبت لمجلة العرب بياناً بأنساب أسر بلدي الحريق ونعام وقد نشر
فحواه في عدد المجلة لشهري الربيعان ١٤٠٨ هـ ، وحيث أن الخطأ والنسيان
صفة طبيعية في كل مخلوق وجل من لا ينسى ، فقد حدث فيما نشر أخطاء وسهوت
عن معلومات أخرى ، ومع اعتذاري للأخوة الكرماء أصحاب الشأن أحب هنا
التنبيه إليها واستدراكها لتعم الفائدة وهي :

١- عند سرد أسر بلد الحريق لم أذكر - سهواً أسرة التمام (التمامي) وكنت
أحسب أنني قد أدرجتها مع بقية الأسر ولم أتنبه إلى ذلك إلا بعد النشر ، فهذه
الأسرة الكريمة تنسب إلى بني (تميم) ولهم أبناء عمومة في بلد المزاحية .

٢- ورد فيما نشر أن آل حنتوش وآل فرحان من الهضيبيات من سُبَيْع فصحيح
أنهم من سُبَيْع ولكنهم ليسوا هَضِيبيات ، نَسَباً لأن المقصود بالهضيبيات نسبة إلى
اسم مَكَانٍ في بلدان سُبَيْع الواقعة غربي نجد . أما آل حنتوش وآل فرحان فهم
من النَبْطَة من سُبَيْع .. لذا لزم التنبيه .

٣- عند ذكر أسر بلدة نَعَام ورد أن آل منيع من آل غَمَلاس من المصارير من
الدواسر وهذا خطأ مني ، ولم أعرف أنني أوردته هكذا إلا بعد النشر . والصحيح
أن آل مَنِيْع من آل غَمَلاس من بني خالد ، ولهم أبناء عمومة في الخرج .
هذا ما لزم التنبيه عليه واستدراكه .

أحمد بن علي آل سليمان

السراة

وجه الأخ الأستاذ محمد ويس الرحبي المدرس في متوسطة الحديبية في آل بسام في سراة عبيدة استفهماً عن (السراة) الواردة في كتاب « الإصابة » في ترجمة ثوبان مولى رسول الله ﷺ فكان الجواب :

إن السراة أيها الأستاذ الكريم هي أبرز معالم جزيرة العرب الجغرافية ، فهي سلسلة الجبال المرتفعة الواقعة في غرب الجزيرة الممتدة من أقصى اليمن جنوباً إلى بلاد الشام شمالاً ، وتعرف أيضاً باسم الحجاز ، ويعني بهذا القسم الفاصل بين نجد وتهامة التي هي ساحل البحر الأحمر .

وللعلماء المتقدمين في تحديد أقوال كثيرة في كتب اللغة وفي كتب تحديد الأمكنة كـ « معجم ما استعجم » للبكري و « معجم البلدان » لياقوت وقبلهما « صفة جزيرة العرب » للهمداني وغير ذلك من الكتب مما لا يتسع المقام لذكره .

وكان كل قسم منها ينسب إلى سكانه كسراة ثقيف وسراة عدوان وسراة بجيلة وسراة الازد وسراة دوس وسراة الحجر والجانب الشرقي يعرف قديماً بسراة جنب وهو المعروف الآن بسراة عبيدة .

أما ثوبان بن بُجْدَدَ - وهذا الاسم بالباء بعدها جيم ساكنة ثم دالان والباء والدال الأولى مضمومتان على ما ذكر ابن ماكولا في « الاكمال » وصاحب « تاج العروس » وذكر غيرهما أن الباء مفتوحة - هذا الرجل من أهل السراة ، وقد اختلف المتقدمون في السراة هذه ، فذكر الذهبي في « سير اعلام النبلاء » - ١٥/٢ - : ان ثوبان هذا من أرض الحجاز سبي فاشتره الرسول ﷺ واعتقه .

أما ابن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » فيعرف السراة بأنها موضع بين مكة واليمن .

وقد اتضح لي ان ثوبان من سراة اليمن لأن الذهبي وابن عساكر ذكرا انه من بني أَلْهَانَ بن الحِيار والهان هذا أخو همدان وبنو الهان هاؤلاء قبيلة يمنية ينسب إليها

خلاف من مخالف اليمين يقع غرب صنعاء ، وهو متصل بالسراة ويدل على صحة نسبة ثوبان إلى بني ألهان ماورد في كتاب « تهذيب تاريخ دمشق » - ٣/ ٣٧٩ - من ان ثوبان رجل من ألهان منزله حمام جابر بحمص ، خلف عقبا يدعى ثوبان ، وكانت داره بحمص وفقا على مهاجري فقراء ألهان ، وقد عاش ثوبان عيشة فيها سعة فقد حضر فتح مصر وملك فيها دارا ، وذلك بعد ان انتقل بعد وفاة الرسول ﷺ وملازمته له طيلة حياته انتقل إلى الشام فنزل الرملة وملك فيها داراً ثم انتقل منها إلى حمص فابتنى بها داراً وتوفي بها سنة اربع وخمسين من الهجرة .

تصحيح « لسان العرب »

كان الأخ الأستاذ سليمان خان محمد نعمان من (المجمع الملكي) في عمان وجه سؤالا عما ورد في كتاب « نظرات في كتاب تاج العروس » ص ٤٨ من أن الأستاذ عبدالستار فراج - رحمه الله - قد نشر نقداً لكتاب « لسان العرب » ، وما هو الجواب :

ان نقد الأستاذ عبدالستار لكتاب « لسان العرب » في طبعة بيروت نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة في أجزاء هي :

١ - ج ١٢ سنة ١٣٨٠ (١٩٦٠) ص ١٧١ إلى ١٨٤ من أول الكتاب إلى الجزء الخامس .

٢ - ج ١٣ سنة ١٣٨١ (١٩٦١) ص ١٧٧ إلى ١٩١ إلى مادة (ف و ر) .

٣ - ج ١٥ سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢) ص ٥٦ إلى ٦٤ من (ن د ر) إلى (ح م ض) .

٤ - ج ٢٠ سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦) ص ٤٧ إلى ٥٤ من (ر ك ض) إلى (ع ي ل) .

٥ - ج ٢١ سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦) ص ٣٧ إلى ٥٠ من (غ ل ل) إلى (ح س ن) .

* تاريخ مدينة دمشق : [انظر « العرب » س ٢٠ ص ٨٥٩ وس ٢٢ ص ٨٤٩]

صدر الجزء التاسع والثلاثون من تجزئة المؤلف من كتاب « تاريخ مدينة دمشق وذكر فضيلتها ، وتسمية من حلها من الأمائل ، أو اجتاز بنواحيها من واردتها

٦- ج ٢٢ سنة ١٣٨٧ (١٩٦٧) ص ٢٥ إلى ٢٩ آخر النقد .

وقبل الأستاذ عبدالستار تعرض لتصحيح « اللسان » العلامة أحمد تيمور باشا ونشر تصحيحه في رسالة مطبوعة .

وللأستاذ عبدالسلام هارون تصحيح للكتاب نشر في أجزاء مجلة المجمع التي هي ٢٦ سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) و ٢٨ سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) و ٣١ سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) و ٣٢ سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) و ٣٥ سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) وفي مجلة المجلة ومجلة البيان الكويتية .

وتصحيح الأستاذ عبدالسلام هارون نشر بعد ذلك في كتاب بعنوان « تحقيقات وتنبهات في معجم لسان العرب » نشره مركز البحث العلمي واحياء التراث في جامعة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة سنة ١٣٩٩ هـ في مجلد ضخيم بلغت صفحاته ٥٣٩ وقد أسقط منه ماورد في التصحيح الذي كتبه الأستاذ أحمد تيمور .

الجرار: قائد الألف

ورد في مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٣٩٥ نقلاً عن كتاب « الإصابة » في وصف عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ بانه كان من الجرارين في الجاهلية . وزيادة إيضاح يحسن الرجوع إلى كتاب « المعبر » لابن حبيب - ص ١٤٦ إلى ١٤٩ - حيث أورد فصلاً عنوانه (الجرارون من مضر) : ولم يكن الرجل يسمى جرّاراً حتى يرأس ألفاً . ثم عَدَّ منهم عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ ، قاد غطفان إلى بني تغلب يوم السجاسي (؟) وهو الأحمق المطاع . - وذكر كثيرين غيره - .

وأهلها» للعالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩/٥٧١هـ).

وهذا الجزء يحوي من التراجم ممن اسمه عبدالله من (عبدالله بن سعود) إلى (عبدالحميد بن بكار) ويقع بفهارسه المفصلة في ٥٥٦ صفحة من القطع الكبير، وقد قامت الأستاذة الكريمة سكيّنة الشهابي بتحقيق هذا الجزء كغيره من الأجزاء التي تقدم الحديث عنها.

والواقع أن جهد الأستاذة يبرز في كل صفحة من صفحات هذا الجزء، مما يدل على تعمق في البحث، واهتمام بالغ في الثبوت من صحة النص، وذكر المصادر الكثيرة التي رجعت إليها المحققة في عملها هذا.

ومن المعروف أنه قل أن تخلو مطبوعة عربية من (التطبيع) - أي الخطأ المطبعي - ولعل من ذلك ما جاء في هذا الجزء ص ٦٢ : (أمر رسول الله ﷺ بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إلى مرّ نزل بالعقيقة، وأرسل الجنّة يجتنون اللّبان، فقلت لسعيد : وماهو : قال : ثمر (الأراك) إلى آخر الحديث. فكلمة (اللّبان) لعل صوابها (الكَبَاث) وأن ماقع هنا تصحيف، إذ ثمر الأراك هو الكبات كما في كتب اللغة.

أما كلمة (العقيقة) ففي النفس منها شيء، إذ لم أر لها ذكراً فيما بين يدي من الكتب وهي في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير - ج ٤ ص ٢٨٨ : (العقبة) وفيه الخبر بطوله، كما أورده الحافظ ابن عساكر، وخبر أجتناء (الكبات) ورد في «صحيح البخاري» في كتاب الأطعمة - الباب الخمسين -.

وقد صدر هذا الجزء مطبوعاً بمطبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٦/١٩٨٦ ولكن تأخر وصوله إلى المجلة.

• تحفة الزمن في تاريخ اليمن :

وصدر الجزء الأول من كتاب «تحفة الزمن في تاريخ اليمن» تأليف الحسين بن عبدالرحمن بن محمد الأهدل اليمني المتوفي سنة ٨١٥، بتحقيق الباحث المحقق

الأستاذ عبدالله بن محمد الحبشي ، عن مخطوطات خمس ، وصفها الأستاذ في المقدمة التي أورد فيها ترجمة للمؤلف استقاها من كتاب « الضوء اللامع » للسخاوي وغيره من المؤلفات .

وقد سار الأهل في تاريخه هذا على طريقة المتقدمين مُتَحَذِّيًا حَذَوُ الْجَنَدِيِّ ، بل مختصراً لكتابه ، كما يفهم من قوله بعد ذكره : قصدت إلى انتخاب تسهيلاً على طلابي مع ما ضمه إليه لزيادات مستحسنات . وكتاب الجندِيُّ سبقَت الإشارة إليه - « العرب » س ٢٠ ص ٤٣٠ - ويقول الأستاذ الحبشي عن مؤلف هذا الكتاب : لم يَقِفْ مَوْقِفَ الْمُلَخَّصِ الذي يختصر العبارة دون أن يعمل فيها فكره ، وإنما هَذَبَ وَشَدَّبَ ، وأضاف زيادة تربو عن نصفه مما يجعله بحق ، تاريخاً مستقلاً بحق لمؤلفه أن ينسب إليه . وينتهي هذا الجزء الواقع في ٣٦٧ صفحة إلى ذكر بعض الفقهاء الذين ادركوا نهاية القرن السادس ، ويظهر أن المحقق الكريم سيضع للكتاب فهرس شاملة لخلو هذا الجزء من ذكر محتوياته . وقد صدر سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) عن (منشورات المدينة) مطبوعاً في لبنان بطباعة حسنة .

• الأدوية والأدواء في معجم تاج العروس :

عني الأستاذ الدكتور هاشم طه شلاش بكتاب « تاج العروس » فتقدم برسالة عن مؤلفه « الزبيدي في كتابه تاج العروس » نال عنها إجازة (الدكتوراه) وطبع هذا الكتاب في مجلد ضخيم قاربت صفحاته ٧٣٠ وصدر سنة ١٤٠١هـ . ثم تصدَّى لجمع ما في « التاج » من أسماء الأدوية والأدواء - جمع ذاء - فجمعها في رسالة نشرها المجمع العلمي العراقي عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) جاءت في ١٠٦ من الصفحات ، وسهل للباحثين طريقة الوصول إلى مجموعة من أسماء الأدوية والأمراض كما وردت في كتب المتقدمين ، وبصرف النظر عن الجدوى من وراء استعمال تلك الأدوية للعلاج إلا أن اللغويين في حاجة إلى معرفتها لكثرة مايرد ذكرها في النصوص العربية القديمة .

• دليل السماء والنجوم :

من أحدث الكتب المتعلقة بالأجرام الفلكية ، ألفه الدكتور عبدالرحيم بدر ، وأهداه إلى الأستاذ الدكتور بول كونيتش - انظر « العرب » س ٢٢ ص ٧٢٩ -

العالم الألماني المتخصص بعلم الفلك عند العرب ، ومع أن المؤلف الكريم اعتمد أكثر ما اعتمد على مراجع أجنبية إلا أنه رجع إلى مؤلفات عربية لعلها على قلتها هي ما يجده الباحث أمامه في الدراسات الفلكية كـ « صور الكواكب » للرازي و « القانون المسعودي » للبيروني و « الأنواء » لابن قتيبة ، والثلاثة مطبوعة في الهند ، كما رجع إلى « عجائب المخلوقات » للقزويني .

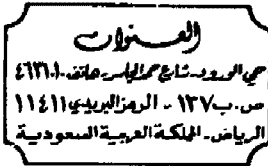
وللدكتور عبدالرحيم تعريب لكتاب « بدائع السماء » تأليف جيرالد كوكتر ، لهذا يعتبر هذا الكتاب على صغر حجمه دراسة متكاملة في موضوعها ، وقد جاء الكتاب في ٣٢٥ صفحة بطباعة حسنة موضحة بالصور والرسوم ، وقد طبع في بيروت وصدر عن (مؤسسة مصري للتوزيع) في طرابلس لبنان بدون ذكر تاريخ الطبع .

* شعراء مقلون :

وصدر للأستاذ المحقق الدكتور حاتم صالح الضامن مؤلف جديد بعنوان « شعراء مقلون » يحوي ما جمعه الدكتور الضامن من شعر :

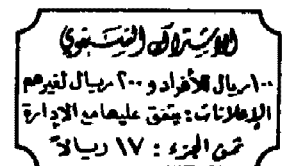
- ١- قيس بن الحدادية .
- ٢- سويد بن كراع العكلي .
- ٣- نهشل بن خُري .
- ٤- الكميت بن معروف الأسدي .
- ٥- بكر بن النطاح
- ٦- المخبل السعدي .
- ٧- الخليل بن أحمد .

وسعة اطلاع الأستاذ الضامن وعمق ثمرسه ومعاناته للبحث في الشعر القديم جمعاً ودراسةً ، تحمل على الاطمئنان بأن ما جمعه من شعر هاؤلاء هو جُلُّ ماتحويه المؤلفات العربية التي بين أيدينا - إن لم يكن كله - وقد ألحق بالشعر المخرج فهارس للاشعار والاعلام والقبائل والمواضع ، كما صدر كل شعر بترجمة مؤلفه وذكر بعد إيراد الآيات المصادر التي روت ذلك الشعر ، وحسب القارئ بعمل الدكتور الضامن صحة وتوثيقاً ، وقد جاء هذا المجموع في ٣٩٠ صفحة بطباعة جيدة في بيروت سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .



العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
تأليفها وإدارتها: محمد الجابري



ج ١٠، ٩ من ٢٣ الربيعان ١٤٠٩هـ - تشرين ثاني/كانون أول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٨م

اشتقاق أسماء المواضع والمدن العربية عند متقدمي العلماء

كانت (سياحة) ممتعة ذهنًا وثقافةً، في كتاب حافل بالمفيد الطريف من جوانب المعرفة العامة، فلقد حرص ياقوت بن عبدالله الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ (١٢٢٨م) أن يودع كتابه «معجم البلدان» خلاصة ما اطلع عليه في مؤلفات من سبقه من العلماء، مما يتعلق بالبلدان والجبال والأودية والقرى والمحال والبحار والأنهار والأصنام وغيرها، فجمع من تلك المؤلفات ما كان مشتتاً، وأضاف إليها ما كان مهملاً، حتى أصبح هذا الكتاب (أُوْحِدَ في بابهِ) - كما وصفه مؤلفه^(١).

وحلَّت (الدورة الرابعة والخمسون) من دورات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية، فكانت مناسبة طيبة أتاحت لي معاودة تتبع عدد من أسماء المواضع التي ورد ذكرها فيما سيعرض في تلك الدورة من مواد «المعجم الكبير»، وهو معجم شرع المجمع بتأليفه منذ أكثر من نصف قرن، وأصدر منه مجلدين ضخمين، بلغ فيهما إلى حرف الحاء، وهيًّا للعرض في جلسة يوم الأحد السابع عشر من شهر رجب ١٤٠٨هـ (٦ آذار سنة ١٩٨٨م) من مواد ذلك الحرف من (ح. د. ب) إلى آخر مادة (ح. ذ. ن) في نحو عشرين ومئة صفحة، ومن بينها اعلام من أسماء القبائل والأشخاص والمواضع بما جُلِّه - إن لم يكمل كله - ذو ارتباط وثيق بهذه البلاد الكريمة التي منها انبثق نور الهداية، فأضاء أقطار العالم، حتى انتشر فيها العلم والعدل والهدى.

كان من بين أسماء المواضع التي وردت في تلك المواد: (حَدَد) الاسم القديم للجبل المُطَّل على بلدة تيماء من الجنوب الغربي، المعروف الآن باسم (عُنَيْم) وكان

مما قرأت عنه في أحد المؤلفات أنه مذكور في «التوراة» مقروناً بتياء، باعتبارهما من أبناء إسماعيل^(٢) فحفزني هذا لمحاولة معرفة الطريقة التي سار عليها العلماء في تعليل أسماء المواضع القديمة التي سبقت تدوين اللغة العربية – في القرن الثالث الهجري فما بعده – وهي التي يُعبرُ عنها بأنها جامدة ، أو مرتجلة – أي غير مشتقة، ولا شك أن «معجم البلدان» من أحفل المؤلفات وأشملها في هذا الباب ، وقد جعل مؤلفه هذا الأمر نُصَبَ عَيْنِيهِ منذ أن شرع في تأليف كتابه، فنص في مقدمته أنه ذكر اشتقاق الاسم إن كان عربياً، ومعناه – إن أحاط به – إن كان أعجمياً – فكان أن أمضيتها سويعاتٍ مفرقةً، في تصفح الصفحات الكثيرة في أجزائه الأربعة، حتى انتهت بي سياحتي إلى قناعة بأن هذا الجانب من جوانب الدراسات الجغرافية المتعلقة بتعليل أسماء المواضع القديمة لا يصحُّ الوقوف فيه عند ما خلفه لنا سلفنا الصالح من متقدمي العلماء، بل لا يزال في حاجة إلى دراساتٍ أكثر عمقاً، وأوسع أفقاً، فمجالات المعرفة قد اتسعت، وآفاق العلوم أصبحت غير محدودة بزمان أو مكان، فهي تزداد وتتجدد في كل لحظة. وأولئك العلماء – أسبغ الله على أجدانهم شأبيب العفو والرضوان – قد قَدَّمُوا لنا ما استطاعوا تقديمه، من ضروب المعرفة التي أدركوها، فاستحقوا من الله عظيم الأجر، ومنا الاعتراف بفضل السبق مع إزجاء وافر الشكر.

ولقد اتضح لي أن مؤلف «المعجم» – مع كثرة مصادره وتنوعها، مما سرد أسماء أكثرها في مقدمته، وذكر غيرها عند الرجوع إليه – قد بلغت به الثقة بابن الكلبي درجة حملته على اعتماد آرائه أساساً في تعليل إطلاق الأسماء القديمة على مواضعها المعروفة، مع علمه بمنزلته عند علماء الحديث وغيرهم من مشاهير علماء عصره، ويبدو هذا جلياً في الدفاع عنه – ما وجد إلى ذلك سبيلاً – كقوله بعد إيراد كلام له^(٣): والله درةٌ ماتنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجةً، وهو مع ذلك مظلوم، وبالقوارص مكلوم. وقوله^(٣): قال ابن الكلبي: إنما سُمِّيَ دَيْرُ الجماجم لأن بني تميم ودُيَّيَانُ لما واقعت بني عامر، وانتصرت بنو عامر، وكثر القتل في بني تميم، بنوا بجماجمهم هذا الدَّير، شكراً على ظفرهم – وهذا عندي بعيد من الصواب – وهو مقولٌ على ابن الكلبي، وليس يصح عنه،

فإنه كان أهدي إلى الصواب من غيره في هذا الباب ، لأن وقعة بني عامر وبني تميم ودُثَيَّان كانت بِشَعْبِ جَبَلَةٍ ، وهو بأرض نَجْدٍ وليس بالكوفة . انتهى .

وياقوت أجلُّ من أن يجهل أن ابن الكلبي كغيره من العلماء ليس معصوماً من الخطأ ، وقد نقل عنه من ذلك أشياء كثيرة ، كَعَدُّه رُهَاطَ – الوادي القريب من مكة – في بطن ينبع ، وزعمه أن الْحِمَى مضافٌ إلى جُرَشَ الذي في الشام ، لا جُرَشَ^(٤) ، وغير ذلك مما ليس هذا موضع بسطه ، ومع هذا فلا شك أن هشام ابن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤/١٠٠) من أوسع متقدمي العلماء معرفةً في كل مايتعلق بأحوال العرب قبل الإسلام ، وله في ذلك مؤلفات تُعدُّ أهمَّ ماألَّفَ في موضوعها ، ولولاها لفقد الباحثون أساساً لدراسات كثيرة من تلك الأحوال ككتاب «الأصنام» وكتاب «الحيل» وغيرهما مما يقارب مئة وخمسين مؤلفاً ، وهو – بدون شك – إمام علم النسب بلا منازع ، وعلى مؤلفاته المعوَّلُ في هذا العلم ، ومن أهمها كتابا «جمهرة النسب» و«افتراق العرب»^(٥) .

أما مايتعلق بالبلدان فقد اطلع ياقوت على كتابين له عنها هما : «اشتقاق البلدان» عدُّه من مصادره في مقدمة كتابه – و«أنساب البلدان» نقل كثيراً عن نسخة منه بخط أحد مشاهير العلماء^(٦) ، وإن لم يصرح بمواضع النقل ، وهو فيما نقل من الكتابين لا يُميِّزُ بينها إلا قليلاً .

ومعلومات ابن الكلبي مستمدة من روافد متعددة ، مايتعلق بأنساب العرب يظهر أنه اعتمد على مؤلفات أبيه محمد بن السائب المتوفي سنة ١٤٦ ، مع ماأضاف إليها مما وجد مُسَجَّلاً ، أو تلقَّاه بالسَّماعِ عمن عاصروهم ، ومايتعلق بالبلدان يعول كثيراً على الشرقي بن القُطَّايي (الوليد بن الحصين ، المتوفي في منتصف القرن الثاني) وهذا الرجل كانت له حظوة لدى الخليفة المنصور ، بحيث كان يبعثه إلى بعض الملوك^(٧) ، وقد أسند إليه تعليم ابنه المهدي الأدب ، وهو من قبيلة كلب .

وقد أكثر ابن الكلبي النقل عن الشرقي مُصَرِّحاً باسمه^(٨) ، كما نقل عن أبيه محمد بن السائب نصاً يظهر أنه من «التوراة» قائلًا : أخبرني أبي قال^(٩) : رومي وصقلب وأرميني وافرنجي وإخوة ، وهم بنو لنطي . . . بن يونان بن يافث ، سكن

كل واحد منهم بقعة من الأرض فسميت به. من هذا النص وأمثاله مما ورد في «التوراة» كما في الكلام على أبناء اسماعيل بعد ذكرهم قال: (هذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم) - وَجَدَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ الْمَجَالَ أَمَامَهُ وَاسِعاً لِنِسْبَةِ كَثِيرٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ إِلَى شَخْصٍ وَرَدَ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ الْقَدِيمَةِ الْمُدَوَّنَةِ - كَالْتُورَةِ وَغَيْرِهَا - أَوْ الْمَتَدَاوِلَةِ بَيْنَ الْأَخْبَارِيِّينَ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي لَا تَارِيخَ لَهَا .

وابن الكلبي على درجة من الذكاء ، ومن سعة الاطلاع ، مكنّاه أن يضع - غالباً - كل اسم فيما يناسب له من المواضع ، وأن يحاول ربط تلك الأسماء ربطاً يتفق مع تقاربها في مواضعها ، ووفق ورودها في النصوص أو الأخبار التي اعتمد عليها .

ويظهر من النصوص التي نقلها ياقوت عن كتابيه في البلدان أنه يسير في تأويل أسمائها في اتجاهات خمسة: -

١ - اعتماده على نصوص قديمة - كالتوراة - وهو حينها يسلك هذا الاتجاه يسير سيراً متماسكاً، وإن لم يكن مستقيماً دائماً، ويتضح هذا في نظرفته إلى أسماء المواضع الأعجمية الواقعة في شرق المعمور من العالم، فهو يراها منقولة عن أسماء أشخاص يرجعون إلى أصل واحد، ممن عاش في تلك المواضع، بل قد يحاول الربط بين اسمي موضعين متباعدين، زاعماً أنها سُمِّيَا بشخصين أخوين، واكتفي بسرد أسماء أورد ياقوت كلامه عنها في «المعجم» وترتيبه يغني عن الإحالة إلى مواضعها: أَرَان - في أرمينية - وأصبهان، وجرزان، وجيلان، والرِّي، والسُّوس في خوزستان - والصين، وفارس، وكerman، وموقان، وهمدان - هاؤلاء كلهم يجمعهم نسب واحد، ويرجعون إلى أصل واحد هو يافث بن نوح، ومعروف ماورد في «التوراة» عن انحصار سكان العالم بأبناء نوح الثلاثة: سَام، وحام، ويافث .

وهناك أسماء مواضع واقعة في أطراف الجزيرة ونواحي العراق والشام، ومنها ماله ذكر في «التوراة» أو في شروحها، مثل آمد وأيلة والبلقاء، ودومة الجندل، وعَدَن، وعَمَّان - بضم العين وتخفيف الميم - وهيت، وتلك البلاد انتشر فيها

أبناء إبراهيم الخليل، وإذن فتلك أسماء أشخاص منهم، سميت بها تلك المواضع، ودمشق سميت بدمشق بن قالي المتصل النسب بسام بن نوح الجد الأعلى لإبراهيم، وهذا لا ينفي وجود من لا ينتمي إلى إبراهيم قد عاش في هذه البلاد، كصيدون وهو من أبناء كنعان بن حام، وبه سميت صيدا، أما غزة التي سميت بها المدينة المعروفة فهي امرأة صور، الذي بنى مدينة صور، ولكن الذي لم يتضح ملمح ابن الكلبي فيه هو قوله عن (فلسطين): سميت بفلسطين.. من بني يافث بن نوح، ثم عُرِبَتْ، فلماذا نسب هذا الموضع إلى أحد بني يافث.

هذا وأمثاله — مما لا يتسع المجال لذكره — مما تأثر به ابن الكلبي بما عَرَفَ أو نقل له عن «التوراة».

٢ — أما ماله صلة بأخبار القصاصين من أسماء المواضع مما يتعلق بتاريخ الأمم التي عاشت في الجزيرة ثم بادَتْ كالآراميين (بني إرم) والعمالة وغيرهم ممن لم تُدَوَّن سِيرُهُمْ وأخبارُهُمْ فلا بن الكلبي — فيما يرويه عن أبيه أو غيره من شيوخ — طريقة تدلُّ على خصب قريحة، لا تقف عند حدِّ نسبة الاسم إلى شخص ينتمي إلى إحدى تلك الأمم، بل تحاول إيجاد تقارب بين الأشخاص يتفق مع تقارب المواضع المسميات، كما في هذا الخبر الطريف الذي أورده صاحب كتاب «المناسك»^(١٠): هشام بن محمد عن أبيه قال: سُمِّيَ جَبَلًا طَيِّئٌ أَنْ سَلَّمَ بِنْتُ حَامِ بْنِ حِي، مِنْ بَنِي عَمَلِيقَ عَلَّقَهَا أَجَأُ بْنُ عَبْدِ الْحَيِّ مِنْ بَنِي عَمَلِيقَ، وَكَانَ الرَّسُولُ بَيْنَهُمَا حَاضِنَةً لَهَا تَدْعَى الْعُوجَاءَ، فَهَرَبَ بِهَا وَبِحَاضَتِهَا إِلَى مَوْضِعِ جَبَلِ طَيِّئٍ، وَبِالْجَبَلَيْنِ قَوْمٌ مِنْ عَادَ، وَكَانَ لِسَلَمَى إِخْوَةٌ هُمُ الْغَمِيمُ وَالْمُضِلُّ وَقَدْكَ وَفَائِدُ، وَالْحَدَثَانُ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِمْ، فَأَخَذُوا سَلَمَى فَوَضَعُوهَا عَلَى الْجَبَلِ، وَكُتِفَ أَجَأُ عَلَى الْجَبَلِ الْآخَرِ، وَقُطِعَتْ يَدَا الْعُوجَاءِ وَرَجَلَاهَا فَوَضَعَتْ عَلَى جَبَلٍ آخَرَ، ثُمَّ قَالَ الْإِخْوَةُ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ إِلَى قَوْمِنَا أَبَدًا، فَمَضَى الْغَمِيمُ إِلَى نَاحِيَةِ الْحِجَازِ، وَأَقْبَلَ الْمُضِلُّ إِلَى مَوْضِعِ الْقَاعِ، وَاسْتَنْبَطَ بِهِ بَشْرًا وَأَقَامَ حَتَّى مَاتَ، وَلَحِقَ فَدَكَ بِمَوْضِعِ فَدَكَ فَسَمِيَ بِهِ، وَلَحِقَ فَائِدُ بِالْجَبَلِ الَّذِي سَمِيَ فَائِدُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ^(١١)، وَلَحِقَ الْحَدَثَانُ بِحَرَّةِ الْحَدَثَانِ فَسَمِيَتْ هَذِهِ الْمَوَاضِعُ بِهِمْ، وَهِيَ مَنَازِلُ طَيِّئٍ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ.

وكما نقل ياقوت^(١٢) عنه عن الشرقي : الرَبْدَةُ ، وَزُرُود والشُّقْرَةُ بنات يَثْرَب بن قانية بن مهلائيل بن إرم ، ونقل عنه : سميت زباله بزباله بنت مسعر ، امرأة من العمالقة نزلتها ، وسميت طَمِيَّةً بطَمِيَّة بنت جام من بني عمليق ، وأرض صُبْح بناحية اليمامة سميت برجل من العماليق يقال له صبح .

٣ - وللملوك حمير قَبِيلَ ظهور الإسلام من السيطرة والنفوذ بين سكان الجزيرة ما دفع القصاصين ورواة الأخبار إلى التزييد فيما يروون عنهم ، والاعتناء في كثير منه على الخيال ، مما يجد الباحث نماذج منه في كثير من المؤلفات القديمة ككتاب «أخبار عُبيد بن شَرِيَّة الجهمي» وكتاب «التيجان في ملوك حمير» لابن هشام و«شرح القصيدة الحميرية» لَنَشْوَان وغيرها ، ولهذا فقد وجد ابن الكلبي مرتعاً خصباً في تلك الأخبار ، ولكونه يَمُتُّ بنسبه إلى أصحابها إذ هو كلبي قُضَاعِي جَمِيرِي ، قحطاني ، وله في الأخبار والحكايات صولات وجولات - فقد صادفت هوى في نفسه .

فسلطان أولئك امتدَّ - على ما يرى ابن الكلبي ومن شايعه من مؤرخي اليمن - إلى جميع أرجاء العالم ، إذ إفريقس بن صيفي^(١٣) - أحدهم - غَزَا المغرب فلما بلغ (إفريقية) تلك البلاد الواسعة أمر أن تُبْنَى هناك مدينة اشتق اسمها من اسمه ، ثم نقل إليها الناس ، فنسبت تلك الولاية الواسعة بأسرها إلى هذه المدينة ، ولا ينسى الراوي أن يوشَّحَ هذا الخبر بما يُحَلِّيهِ من الشعر ، وأغرب من هذا أنه - عفا الله عنه - لم يَعْدِمَ من مشاهير اللغويين والعلماء من يقفوا أثره في تهويل أمر أولئك الملوك ، ويرى أن نفوذهم بلغ أقصى المعمورة شرقاً بحيث ذكر عن أحدهم وهو شَمِير بن إفريقس أنه بلغ بلاد الصين في غزواته فَنُسِبَتْ إليه مدينة (سَمَرْقَنْد)^(١٤) ، ولا ينسى ابن الكلبي قَوَادَّ أولئك الملوك من نسبة بعض المواضع إليهم فالسُّلْتَانُ الموضع المعروف في شرق الجزيرة في حدود العراق سُمِّيَ باسم سَلْمَانَ الحميري مرَّ بهذا الموضع حين بُعِثَ في جيش كثير يريد شَمِير يرعش بن ناشر النعم ... الذي سمي به (سمرقند) لأنه كسر حائطها .

وقد يَعْمَدُ للإغراب - حين يَتَصَدَّى لبيان معاني أسماء بعض المواضع التي

لا يستعصي إدراك اشتقاقها على من لديه أدنى إلمام بالاشتقاق اللغوي ، فيحاول إيجاد صلة بين تلك المواضع وبين ذوي المجد التليد من أولئك الملوك الصناديد .

إن قصة الملك الحِمْيَرِيّ الذي غزا المدينة ، وعلم من أخبارها قرب بعث النبي الكريم ﷺ ، فسار إلى مكة حاجاً ، قِصَّةُ لها شهرتها عند عامة المؤرخين ، وابن الكلبي شيخ الأخباريين ، وها هو يدلي بدلوه في تعليل أسماء مناهل الطريق ومنازله التي مرَّ بها التَّبَعُ الحِمْيَرِيُّ ، ولاتزال معروفة فيما بين المدينتين الكريميتين ، مما نقله ياقوت عن «اشتقاق البلدان» فيما يظهر: —

مَلَلٌ : لما صدر تَبَعٌ عن المدينة بعد قتال أهلها يريد مكة ، نزل مَلَلٌ ، وقد أُغْيَا ، فسماها مَلَلٌ .

السيالة : مرَّ بها تَبَعٌ — بعد رجوعه من قتال أهل المدينة — وواديها يسيل فسماها السيالة .

الروحاء : نزل تَبَعُ الرُّوحَاءِ — بعد رجوعه من قتال أهل المدينة — فأقام بها وأراح ، فسماها الروحاء .

الرُّوَيْثَةُ : نزل تَبَعُ الرُّوَيْثَةِ ، وقد أبطأ في مسيره ، فسماها الرُّوَيْثَةُ ، من راث يريث إذا أبطأ .

السقيا : لما رجع تَبَعٌ . . فنزل السُقْيَا يريد مكة ، وقد عطش ، فأصابه بها مطر ، فسماها السُقْيَا .

الْعَرَجُ : لما رجع تَبَعٌ يريد مكة رأى دواباً تعرج ، فسماها العرج .

قُدَيْدٌ : نزل تَبَعٌ قُدَيْدًا فهبَّت ريح قدَّتْ خيم أصحابه ، فسمي قُدَيْدًا .

إلى مالا داعي للإطالة بذكره ، وقد يحاول السير على هذه الطريقة حتى في الأسماء الأعجمية كأن يقول في اشتقاق اسم (قُنْشَرَيْن) البلد الشامي —: مرَّ ميسرة بن مسروق العبسي على هذه البلدة فقال ماهذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال: والله لكانها قُنْ نَسْرٍ ، فَسُمِّيتْ قُنْشَرَيْنَ . واغْجَبَ للزعمشري — العالم

اللغوي - حين يوجه كلام ابن الكلبي أو يحذو حذوه ، فيقول : نقل من القنسر
بمعنى القنصري وهو الشيخ المسن وجمع ، وأمثاله كثيرة !!

ألا يستظرف - بالظاء المعجمة - القاريء ، وقد استظرف - بالطاء المهملة -
تلك التأويلات الساذجة لأسماء المواضع - ما روي عن الشاعر المشهور كثير بن
عبدالرحمن الخزاعي (كثير عزة) ولعله أراد مجازاة ابن الكلبي في تحليل تلك
الأسماء وأمثالها ، قال^(١٥) : سُمِّيَ (ملل) لتلمل الناس به ، و(الروحاء) لكثرة
أرواحها ، و(العرج) لتعرجه ، و(السقيا) لما سقوا من الماء العذب ، و(الجحفة) لأن
السيول قد جحفتها ، و(قديد) لتقديد السيول بها ، و(مر) لمرارة مائها .

٤ - أما نسبة المواضع لأناس يتمون إلى القبائل التي عرفت بعد بدء تدوين
التاريخ العربي من القحطانيين أو العدنانيين ، فهي فيما نقل عن ابن الكلبي
قليلة ، لأنه يدرك الفوارق الزمنية بين معرفة تلك المواضع والزمن الذي عاش فيه
أولئك الأشخاص ، وقد لا يلحظ في كثير من الأحيان ما ذكره هو وغيره فيما يتعلق
بمواقع سكنى القبائل في الجزيرة ، كأن ينسب الرها - في الجزيرة الفراتية - لرجل
يدعى الرها ، يوصل نسبه بخمسة آباء إلى لحم القبيلة القحطانية التي عُرف
انتشارها فيما بين أطراف الشام الغربية إلى مصر^(١٦) ، وينسب صندوداء في شرق
الشام لامرأة تدعى بهذا الاسم هي ابنة لحم ، فكان لحم الذي تنسب إليه القبيلة
استقر أول ما استقر في هذه الجهة ولما تنتقل القبيلة من الجنوب كأخواتها من القبائل
اليمنية القحطانية ، وينسب جبل البشر إلى رجل عاش في القرن الأول الهجري
كان خفياً لفارس ، فقتله خالد بن الوليد ، وليس مبراً من تأثير العاطفة القبلية ،
ولهذا فنسبته خناصرة - من أعمال حلب - لخناصرة بن عمرو الكلبي الذي وصفه
بأنه ملك الشام ، تدعو للتأمل .

إن (الثعلبية) الماء الذي كان معروفاً في شرقي الدهناء في طريق الحج في رأي
هشام بن محمد منسوب لرجل من بني دودان بن أسد يقال له ثعلبة استنبط ماءها
- في قصة طريفة^(١٧) .

وجبل (ثور) في أسفل مكة المكرمة منسوب إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن

طابخة بن الياس بن مضر .

و(هَجَر) - الاسم الذي لا يزال يطلق على الأحساء - سُمِّيَتْ عَيْنُهَا بهجر بنت المكفف، من العرب المتعربة، وكان زوجها مُحَلَمَ بن عبدالله، صاحب النهر الذي بالبحرين، يقال له نهر مُحَلَم، وعين محلم^(١٨).

و(ضَرِيَّة) الماء الذي أصبح قرية، في عالية نجد، سُمِّيَ بِضَرِيَّة بنت نزار، وهي أم عمران بن الحاف بن قضاة، - والقاريء يدرك أن قبيلة كلب من قُضَاعَة - أما الذي قد لا يدركه كل قاريء فهي الْمَزِيَّة الخاصة بهذا الموضع عند الأخباريين، فقد رووا أن الله خلق جُؤْجُؤَ آدم من كَثِيب ضَرِيَّة - ولعل هذا والله أعلم لنقاء تربة هذا الكثيب وصفاتها من الشوائب !!

ويقرب من هذا قول صاحب «معجم البلدان» عن دَحْنَا - أو دَحْنَا الموضع المعروف بين مكة والطائف: دَحْنَا أَرْضُ خَلَقَ اللهُ مِنْهَا آدَمَ . ولعله تأثر بالحديث المنسوب إلى النبي ﷺ إن الله استخرج ذرية آدم من ظهره بِدَحْنَا - أو بنعمان الوادي القريب من دَحْنَا - على ما ذكر الطبري في تفسير الآية الـ (١٧٢) من سورة الأعراف في تفسيره، وفي ذكر خلق آدم من تاريخه . ويبقى البحث عن وجه تخصيص هذا الموضوع بهذه المزيَّة !!

٥ - ويَجُرُّ ذكر آدم للإشارة إلى رفع نسبة كثير من المواضع التي ينظر إليها نظرة احترام أو تقديس إلى أبي البشر، فجبل (أبي قبيس) المطل على الكعبة المشرفة، كناه آدم عليه السلام بهذه الكنية - فيما ذكر هشام - حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدي الناس اليوم، من مرختين نزلتا من السماء على أبي قُبَيْس، فاحتكنا فَأَوْرَثَا نَاراً، فاقتبس منها آدم .

ولا داعي للإطالة بذكر أمثلة من هذا القبيل، تتعلق بتعليل أسماء مَنَى، وَجَمْع (مزدلفة) وعرفة^(١٩)، وأمثالها من الأمكنة التي لها منزلة في النفوس، مما كان مروياً عن هشام أو عن علماء ساروا على نهجه .

كما لا داعي للاسترسال في ذكر أقوال كثير من العلماء يظهر أنهم تأثروا بابن الكلبي أو من سار على نهجه أو أنهم اقتبسوا من مصادر ذات صلة بالكتب القديمة

المحرفة كـ «العهد القديم» وغيره .

ومجمل القول أن المتتبع لأقوال الذين تصدّوا لتعليل أسماء الأماكن العربية من الأخباريين ومن سار على نهجهم من المؤرخين يجد ذلك من شاكلة ماسلف إيراده .

أراني قد أطلت السياحة في هذا الكتاب القيم ، فأبعدت النجعة عما أردت قصده ، ولكن لا يفوتني أن أقرر بأن كل ما ذكرته عن ابن الكلبي أو غيره من العلماء الذين ساروا على نهجه – وما أكثرهم !! على تلك الطريقة من تعليل أسماء الأماكن القديمة ، لم أرْ منه إلا تنبيه الأذهان إلى ضرورة التعمق بدراسة معاني أسماء المدن والمواضع القديمة في هذا العصر ، الذي توافرت فيه وسائل المعروفة ، وتنوعت ، وأصبح لعلم الآثار منزلته في الدراسات الجغرافية والتاريخية مما لم يتهياً لأولئك العلماء .

وليس من شك بارتباط أسماء المواضع بساكنيها الأقدمين ، ارتباطاً ذا أثر لاحظته المتقدمون ، ولكنهم توسعوا فيه وبنوا كثيراً منه على استنتاجات قد لا نجد لها أساساً تاريخياً ، ولا يفي هذا أن جل أسماء الأعلام في اللغة العربية سواء كانت أسماء مواضع أو أسماء أشخاص ذات اشتقاق لغوي من مصادر عربية ، لوحظ في وضعها اتصاف الشخص أو الموضع بصفة مشتقة من مصدر اسمه ، وهذا من الأمور البديهية ، كما أن كثيراً من المواضع سميت بأسماء ساكنيها سواء كانت قديمة أو حديثة ، إلا أن أسماء المواضع القديمة حين يتجه لدراستها ذوو الاختصاص من علماء الآثار والتاريخ القديم واللغويين ، لاشك أنهم سيضيفون إلى ما أثر عن متقدمي العلماء في هذا الجانب المهم ما يمد ثقافتنا بروافد جديدة تقوم على أسس صحيحة من المعرفة .

ولقد تمنيت قبل خمسة وثلاثين عاماً حين رأيت الأستاذ الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه «المعجم» يتعرض لبعض تعليل أسماء المواضع بطريقة فيها من الجدة والطرافة ما ينأى بها عما عُرِفَ عن متقدمي العلماء تمنيت أن يتسع هذا الاتجاه فيقوم على أسس من الدراسات العميقة الشاملة التي لا تتركز على الخيال فحسب ، ومن

أمثلة محاولة الشيخ العلايلي لتعليل الأسماء قوله^(٢٠): (واصل الجُدُر (ابن) تُرْهِمُ (مِثْلُوجِي) ومن البقايا الأثرية الدالة (الأبانان) وهما جبلان مُحدَّداً الرأس كالسنان، أحدهما أسود، والآخر أبيض، يمر بينهما وادي الرِّمَّة ، وهو قاع عظيم، تنصب فيه جماعة أودية، وللعرب - كغيرهم كما هو معروف - بإجراء حكايات حول الأماكن والبقاع ذوات الصفة الفريدة ، فيغلب في تقديره - من وراء هذه التسميات وتحليلها - أن الجبلين يرمزان في الخيال العربي الأسطوري إلى الليل بالجبل الأسود ، وإلى النهار بالجبل الأبيض ، ومن بينهما وادي الرِّمَّة الذي يرمز إلى مَسْرَح الحياة، المائل وشيكا إلى مسرح صِنْوِه ، تمشي الرِّمَمُ فيه مَشْيَ السَّيْلِ ، وكان (لَمَرَّ الغداة وَكَّرَ العشي) في تصور العربي شكل الطاحونة الرهيبية الدائرة بالموت على الحياة في غير انقطاع أو توقف . وهذا التصور نجد له نظيراً عند الإغريق في حكاية ربة الليل) . انتهى .

أنا حقاً لا أرتاح إلى التوغل في الخيال بتلك الصورة التي عبر عنها الشيخ العلايلي ، بل لا أرى للخيال مدخلاً للدراسات التاريخية والجغرافية ، ولكنني أعجبت بهذا الاتجاه الجديد ، لأنه يعبر عن شدة الحاجة إلى تغيير مارسخ في الأذهان من معلومات تلقيناها عن اطمئنان وثقة ، وحسن ظن بسلفنا الصالح دون الاتجاه للبحث عن حقائقها اتجاهاً لا يُقَصَّدُ منه هضم حق أولئك السلف ولا انتقاصهم .

ولما يراد منها سلوك النهج العلمي الذي يفضي بالباحث إلى ادراك الحقائق الثابتة بيقين واطمئنان ، وإن كان أكثر ما توارثناه من معلومات عن ماضينا البعيد قد تراكم عليه غبار الزمن بصورة حجبت حقيقته .

وأجتزئ القول بعرض عشرة أسماء من مئات أسماء المدن والمواضع القديمة التي استعصى عليَّ فهمُ معانيها واستغلق إدراك الأصول اللغوية التي اشتقت منها .

وما أسعدني حين أرى اتجاه طلاب المعرفة من أبنائنا إلى التعمق في دراسة مايتصل ببلادنا وبحياتنا .

١ - أُنْهَـا (قاعدة بلاد عسير) :

لم يرد اسم هذه البلدة فيما اطلعت عليه من المؤلفات المشهورة ، التي تعرضت للحديث عن عمران المدن ، وتحديد مواقع المواضع ، باعتبارها من المدن القديمة ، وعدم ورود اسمها لا ينفي قِدَمَها .

ولعل أقدم نص ورد فيه ذكرها - على ما أعلم - هو ما جاء في كتاب «صفة جزيرة العرب»^(٢١) للحسن بن أحمد الحمداني - الذي عاش عشرين عاماً من آخر القرن الثالث الهجري وبقية حياته في القرن الرابع - وهو نص يدل على قدم تلك البلدة - ففي الحديث عن (جُرَش وأحوازا) قال^(٢١): ويصالي قَصْبَة جُرَش أوطانُ حَزِيمَة من عَنَز ، ثم يُواطِنُ حَزِيمَة من شامِها عَسِير ، قبائل من عَنَز ، وعَسِيرُ يمانية تَنَزَّرَتْ ، ودخلت في عَنَز ، فأوطان عسير إلى رأس ثِيَّة ، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها ، وبها قبر ذي القرنين - فيما يقال - عُثِرَ عليه على رأس ثلاث مئة من الهجرة .

وأعاد ذكرها بقوله^(٢١): والدَّارَة وأبها ، والحللة والفتيحا ، فَحَمْرَة وطَبَب ، فأتانة والمُغَوْت فجرشة ، فالأيداع ، أوطان عسير من عَنَز ، وتسمى هذه أرض طود . انتهى .

ولو عرف ياقوت الحموي - صاحب «معجم البلدان» اسم (أبها) - لما أعياه تعليله ، فمادة (بهو) في الفصحى ذات مدلولات واسعة ، واستعمالات كثيرة ، ويبقى الاطمئنان بذلك التعليل .

وقد لفت نظري الأستاذ محمد بن عبدالله بن حميد رئيس النادي الأدبي في أبها إذ نشر في «المجلة العربية»^(٢٢) كلمة استوضح فيها عما ورد في كتاب «كنوز مدينة بقليس»^(٢٣) تأليف وندل قيلبس منسوباً إلى سفر (أشعيا) من كتاب «العهد القديم» من (أن الهجن من مدينة إيفا (أبها) ستأتي جميعها من سبا ، وستجلب الذهب والبخور) إلى آخر ما ذكر ، ويستوضح الأستاذ محمد: هل حقاً كانت أبها تعرف باسم (إيفا) في الزمن القديم؟ وهل كانت مَعْبَراً للرحلات

التجارية وقت ازدهار حضارة سبأ ومعين وما تلاها من عصور جاهلية قبل الإسلام ؟

ومع أنني ليس لي من الاطلاع على الكتاب الذي نقل عنه وندل فيلبس النص مايمكنني من أن تكون إجابتي مبنية على أسس قوية من المعرفة إلا أن تلك العبارة — كما يظهر قد تصرف العرب فيها تصرفاً زاد اضطرابها — ونصها — كما في «سفر اشعيا» — ٦٠/٦ —: تغطيك كثرة الجمال — بكران — مديان وعيفة ، كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً . ومع غموض العبارة إلا أن الاسم اتضح مغايراً لما في تعريب كلام وندل فيلبس ، فهو في مصدره (عيفة) لا (إيفا) ثم قرأت في «سفر التكوين» نصاً صريحاً هو كما في «الاصحاح» — ٤/٢٥ — حيث ذكر أبناء مديان وأنهم: عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعة . وهذا النص يبطل ماتوهمه (فيلبس) من أن (عيفة) هي أبها ، ويصرف النظر عن التحريف الواقع في أسفار التوراة جميعها إلا أن (أبها) لا تقع في أحد الطرق الموصلة إلى شمال الجزيرة من بلاد سبأ ، لارتفاعها عن الطريق العام المار بِجَرْش ، وعن الطريق التهامي — وقد فصلت هذا في كلمة نشرت في إحدى الصحف ، [وانظر «العرب» ٥٢٥] وما أريد الوصول إليه هو أن اسم (أبها) من الأسماء التي لم يتضح لي معناها .

٢ — تَنْفَّة (في منطقة حائل):

يصف متقدمو العلماء هذه المنطقة في العهود السابقة لتدوين التاريخ على ماوصل إليهم من الأخبار المتناقلة بأنها بلاد واسعة ، كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف ، تسكنها بقايا من أمم بائدة كصحار وجديس^(٢٤) ، فانتقلت إليها قبيلة طيء اليمنية القحطانية من وادي طريب — في منطقة عسير — فاستوطنتها قبل ظهور الإسلام .

وقد بقيت تلك القبيلة في هذه البلاد ، حتى العصر الحاضر ، حيث عرفت قديماً باسم جبلي طيء ، وحديثاً بـ (جبل شَمْن) وشَمْرُ اسم فرع صغير من فروع القبيلة طغى على أكثر الفروع .

ومن أبرز مواطن الاستقرار المعروفة قديماً في هذه المنطقة (تَنْغَة) — بعد التاء
المثناة الفوقية المضمومة نون ساكنة فغين معجمة مفتوحة فهاء تنطق تاء في حالة
الوصل — .

وقد عرفت تَنْغَة بأن حائماً الطائي قُبر فيها ، وكانت تقع في موضع حصين من
جبل أجلى ، فقد أراد المحرق أحد ملوك الشام من آل جفنة أن يدين له حاتم
فامتنع ، فاقسم الملك : لَيَقْدِمَنَّ عليه قريته ، ثم ليجلن مواسلاً — الرِّيْطَ (٢٥)
مصبوغات بالزيت ، ثم ليشعلنها بالنار ، ولكنه حُذِر من ذلك وقيل له : إن تقدم
القرية تهلك ، فانصرف (٢٦) .

وقد عرفت باسم القرية فقال امرؤ القيس :

تَبَيْتُ لِبُؤَيِّ بِالْقُرَيْةِ أَمْنًا وَأَسْرَحُهَا غِبًّا بِأَكْنَافِ حَائِلٍ

وكذا في صدر الإسلام ، فقد اعترض أهلها للحسين بن علي أثناء توجهه إلى
العراق (٢٧) ، فعرضوا عليه أن يقيم عندهم ، وقال له الطرْمَاحُ بن عدي الطائي :
إن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به فسير حتى أنزلَكَ مَنَاعَ جَبَلْنَا الذي يُدْعَى
أَجَلًا امتنعنا به والله من ملوك غسان وجمير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود
والأحمر ، والله إن دخل علينا ذلٌ قط ، فأسير معك حتى أنزلَكَ القرية ، ثم أقم
فيها مابدا لك ، فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم ،
والله لا يوصل إليك .

ويظهر أن (القرية) أصبح علماً بدل (تَنْغَة) لغرابة هذا الاسم ، وصعوبة
نطقه ، كما في شعر امرئ القيس ، ولقربه من الوادي الذي كان معروفاً باسم
حائل كان يضاف إليه ، لتمييزه عن قُرَيَاتٍ أخرى متعددة ، ويبقى البحث في
أصل الاسم القديم وهذا ما لم يتعرض له من عرفت من المتقدمين كنصر بن
عبدالرحمن الاسكندري — مصدر ياقوت ومن جاء بعده كصاحب «تاج العروس»
بل وقع من بعضهم اختلاف في ضبطه ، هل هو بالغين المعجمة أم بالعين
المهملة ، وصحح صاحب «التاج» الأول ، وخطأ صاحب «القاموس» واطلاق
الاسم على موضع في حضرموت ، ثم نسبة ذلك الموضع إلى شخص ذي عقب

معروف النسبة^(٢٨) يوحى بأنه قد يكون ذا صلة ببلغة اليمنيين القدماء الذين ترجع إليهم قبيلة طيء في عصورها القديمة ، وهناك أسماء مواضع في هذه المنطقة لا يرتاح الباحث لما يورده اللغويون عن اشتقاقها مثل : مَوْقٍ ، وَغُضُورٌ ، وَرَمَانٌ ، وَأَجَا ، وغيرها .

٣ - تيماء :

ويحاول اللغويون إيجاد صلة بين اسم تيماء البلدة هذه وبين مادة (ت. ي. م) في اللغة العربية الفصحى ، فيقول الأزهرى : المتيمُّ المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء لأنها يُضَلُّ فيها ، وقال الأصمعي : التيماء الأرض التي لاماء فيها ، وقد يكون لهذا أصل من الناحية اللغوية ، ولكن البلدة كانت معروفة قبل بدء تدوين اللغة العربية بأحقاب طويلة ، فقد ذكرت في «التوراة»^(٢٩) وفي أخبار حروب موسى - عليه السلام - للعمالقة^(٣٠) .

ولكن الذي لاشك فيه أن نصوص التوراة التي وصلت إلينا محرفة ، ولا يمكن الاطمئنان إلا إلى ما ثبتت لدينا صحته من قبل علماء ذوي اختصاص بالدراسات الأثرية واللغوية .

٤ - جُرَش (قاعدة بلاد الأزدي في صدر الإسلام) :

وفي منطقة عسير عرفت هذه المدينة في العهد الجاهلي ثم في صدر الإسلام ، وصفها متقدمو المؤرخين بأنها مدينة عظيمة - حصينة وولاية واسعة^(٣١) ذات صناعة وزراعة ، فقد أرسل أهل الطائف إليها من يتعلم صناعة المجانيق حين علموا أن الرسول ﷺ عزم على غزوهم ، وعُرف بها نوع من أجود أنواع العنب يدعى (الجُرشي) وبجودة أدومها .

وقد فتحت مدينة جُرَش في العهد النبوي صلحاً ، وقدم وفد من أهلها على رسول الله ﷺ فأسلموا فقال لهم - فيما يرويه ابن سعد وغيره من أصحاب السير- : «مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقاه لقاءً ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم» وجعل شعارهم (مبروراً) وحمى لهم حول

قريتهم . وبقيت معروفة في صدر الإسلام ، حيث نسب إليها - في من نسب - السيدة الخيزران ، زوجة الخليفة المهدي وأم ولده وصاحبة الآثار العمرانية في طريق الحج العراقي ، وفي مكة حيث عمرت دار الأرقم التي كان يجتمع فيها المسلمون بالرسول ﷺ في أول الإسلام ، فعرفت الدار بها ، وتوفيت سنة ١٧٣ (٣٢) .

وبقيت المدينة معروفة حتى القرن الرابع الهجري حيث وصفها الهمداني (٣٣) بأنها كورة نجد العليا ، واعتبرها قاعدة لما حولها من الأودية والقرى ، يضيفها في التحديد إليها ، ولكنها اختفت من الوجود في عصر متأخر مجهول ، وانتقل سكانها المعروفون باسم (العواسج) إلى ثني من أثناء وادي بيشة عرف باسم (وادي ابن هسبل) .

ويرى أحد المتأخرين من الباحثين (٣٤) أن زوال تلك المدينة بسبب ثورة بركان كان بقربها يعرف باسم (حمومة) حيث تبدو صخور تلك الأكمة سوداء ، كأنها مصهورة ، ومن ذلك اشتق اسم (حمومة) فهو كما قال الهمداني (٣٥) : «جُرَشُ في قاع ولها أشرافٌ غربية منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها ، وبينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء - حمومة وحة وكولة - .

ولاتزال آثار جرَش معروفة جنوب شرق مدينة خميس مشيط بنحو خمسة عشر كيلاً (٣٦) ، أما اسم جُرَش الذي عُرفَ به المدينة فليس من المستبعد أن يكون اسم أول من سكنها ، ككثير من المدن والأودية الواقعة في جنوب الجزيرة .

ولكن الطريف في ذلك ما جاء في كتاب «أنساب البلدان» لهشام بن الكلبي - كما نقل ياقوت (٣٧) : «جُرَش قبائل من أفناء الناس تَجَرَّشُوا ، وكان الذي جَرَّشَهُمْ رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له عليه حمل شعير ، في يوم شديد الحر ، فسرده الثور ، فطلبه فاشتد تعبه ، فحلف لئن ظفر به ليدبحه ، ثم ليجرَّشَنَّ الشعيرَ وَلَيَدْعُوَنَّ على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشيًا !!

ومع سذاجة هذا التعليل فإنه لا ينطبق على الواقع من حيث موقع جُرَش ،

فذاات القصص - وهي جبال لاتزال معروفة تبعد عن جُرش جنوباً شرقياً بما يزيد على مئة كيل ، وهي في أعالي وادي طريب^(٣٨)، ولكن أبا المنذر - والله يعفو عنه - يأتي بالعجائب الغرائب - ولعل منها ما ذكر في تعليل جَرَش - بفتح الجيم - الموضع الأثري القديم في الشام (الأردن) فقد نسب لرجل يدعى جَرَش بن عبد الله ، وصل نسبه بقبيلته كلب .

٥ - حَجْرُ (قاعدة بلاد اليمامة) :

المدينة التي قامت الرياض على انقاضها^(٣٩)، لقد كانت من أقدم المدن في قلب الجزيرة، وكانت تعرف باسم الخضراء خضراء حَجْرٍ، وهي حاضرة قبيلة طَسَمٍ، والخَضْرَمَةُ في الخَرْج حاضرة جَدِيسٍ^(٤٠)، والقبيلتان من الأمم البائدة . وبعد أن خلفتهما قبيلة بني حنيفة بقيت حَجْرُ قصبة اليمامة، ثم أصبحت في صدر الإسلام سُرَّة اليمامة، ومنزل السلطان والجماعة، ومنبرها أحد المنابر الأولية: مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة ، وجلُّ أهلها بنو عبيد من بني حنيفة، وبها من كل القبائل^(٤١).

ويعلل متقدمو العلماء اسم حَجْرٍ بأن عُيَيْدَ بن ثعلبة سيد بني حنيفة عثر على القصور والحصون، وحدائق الأشجار والنخيل، خالية بعد فناء طَسَمٍ وجَدِيسٍ ، فاحتجر ثلاثين قصراً، وثلاثين حديقة، وسماها حَجْرًا ومنع النزول فيها إلا لمن كان من ولده لصلبه - في قصة طويلة معروفة^(٤٢) - إلا أن هذا التعليل أقرب إلى الخرافة منه إلى الواقع، فاسم (حجر) كان معروفاً في عهد طسم قبل سكنى بني حنيفة لهذه البلاد، الذي لا يسبق زمن ظهور الإسلام بأكثر من قرنين - في القرن الخامس الميلادي^(٤٣)، وكلمة (هَجْر) على ما ذكر بعض العلماء يقصد بها البلدة بلغة العرب العاربة فمنها هجر البحرين وهجر نجران، وهجر جازان^(٤٤)، وكل بلد تمتاز به البادية فهو هجرهم^(٤٥)، والهاء والحاء حرفان حَلَقِيَّان يتعاقبان في كثير من الكلمات، وقد يقال: بأن المتكلم يؤثر التسهيل عند الابدال وحرف الهاء في النطق أسهل من حرف الحاء، وهذا صحيح ولكن ليس قاعدة مطردة.

٦ - خيبر :

اسم الواحة المعروفة الواقعة في الحرة المعروفة بها في الشمال الشرقي من المدينة المنورة، وقد اختلف المتقدمون في تعليل هذا الاسم فمنهم من يرى اشتقاقه من قولهم أرض خيرة أي طيبة الطين سهلة^(٤٦)، ومنهم من زعم أنه اسم رجل من العماليق هو أول من نزل هذه البلاد، وهو خير بن قانية بن عبيل بن مهلائل بن ارم^(٤٧)، وهناك من يرى أن الكلمة عبرية تعني الحصن، ولاشتمال هذه البلاد على حصون سموها (خيابر) واحدها خير، ويؤيد هذا بعض الباحثين في عصرنا.

وأرى أن اسم (خير) من الأسماء الموغلة في القدم، ولما جهل اللغويون معناه تكلفوا لتأويله مختلف الأقاويل كعادتهم في أسماء المواضع القديمة، أما القول بأنه مأخوذ من لسان اليهود، وأن الخيابر فيه هي الحصون؛ فمن المعروف أن بلاد خير كانت معروفة قبل سكنى اليهود، ويمكن القول بأن كلمة (خير) مما وافقت فيه اللغة العبرية اللغة العربية، أو أن هذه الكلمة من المعاني مالم يدون في الكتب اللغوية التي وصلت إلينا كأسماء مواضع أخرى في هذه المنطقة، منها ما حاول المتقدمون تعليله، ومنها ما اعتبروه جامداً مثل: (فدك) الواحة الواقعة شرق خير في حرثها، والمعروفة الآن باسم (الحائط) و(يديع) الواحة الواقعة جنوب (فدك) والتي تعرف باسم (الحويط).

و(ضرغد) البلد الواقع شرق (فدك).

وأكثر أسماء حصون خير القديمة.

٧ - دومة الجندل (قاعدة بلاد الجوف قديماً) :

اسم قاعدة إقليم الجوف حتى عام ١٣٧٠ - وينطق بضم الدال وفتحها، وقد يقال دوماً الجندل^(٤٨)، وأصل هذا ماورد عن ابن الكلبي: لما كثر ولد إسماعيل - عليه السلام - بتهامة خرج دوماً بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة، وبني فيه حصناً، ف قيل: دوما، ونسب الحصن إليه مع الاختلاف في اسم ابن إسماعيل هذا هل هو دوما أو دوم، أو دما. ولكن الحموي وقد ذكر كلام ابن الكلبي يورد

خبراً يدل على تأخر حدوث التسمية عن عصر اسماعيل فيذكر أن الأكيدر الملك الكندي كان منزله أولاً بالحيرة - في العراق - وكان يزور أخواله من قبيلة كلب، ويخرج معهم إلى الصيد، فعثروا على مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها، وهي مبنية بالجندل - الحجر - فأعادوا بناءها، وغرسوا بها الزيتون وغيره، وسموها دومة الجندل، تفريقاً بينها وبين دومة الحيرة، والأكيدر أدرك ظهور الإسلام، وأجلاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الحيرة، وياقوت نفسه فاته أنه ذكر أن إنشاء دومة الحيرة كان بعد إجلاء الأكيدر من دومة الجندل، إذ قال: دوماً بالكوفة، والنجف محلها، ويقال: اسمها دومة لأن عمر لما أجلى أكيدر دومة - صاحب دومة الجندل - قدم الحيرة فبنى بها حصناً، وسماه دومة أيضاً. ثم ذكر دومة من قرى غوطة دمشق، المعروفة الآن والتي ينطق اسمها (دوما) (٤٩).

والواقع أن دومة الجندل من أقدم المدن عهداً، فقد ورد اسمها في «التوراة» (٥٠) وذكرت في الكتابات الآشورية باسم (ادوماني) وأن الملك الآشوري سنحريب استولى عليها، وأسر ملكتها سنة ٦٨٨ (٥١) قبل الميلاد، ولقد تم هذه المدينة تحبط المتقدمون في تعليل اسمها كأمثالها. وبقرها مواضع لا يجد الباحث لأسائها في المؤلفات اللغوية ما يطمئن إليه في فهمها، وهي بدون شك مقتبسة من جذور لغوية لاتزال مجهولة.

ومنها سكاكة - اسم المدينة الثانية التي أصبحت قاعدة المنطقة منذ عام ١٣٧٠ هـ.

وقارا - التي تنطق الآن القارة - ويطلق الاسم على بلدة في سورية.
وزعبل: اسم تل عظيم على مقربة من مدينة سكاكا - كان حصناً، أو معبدًا (٥٢).

٨ - مكة المكرمة :

البلدة التي قدسها الله بأن وضع فيها البيت العتيق، الذي جعل حجه أحد الأركان التي يقوم عليها الدين الإسلامي ﷺ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (٥٣) وشرفها بأن ذكرها في كتابه

الكريم بأسماء متعددة، فلا غرو أن يحاول علماء اللغة - ما استطاعوا - في اختيار المعاني الملائمة لتلك الأسماء، بتأثير عواطف دينية سامية كقولهم:

١ - سميت مكة: من المَكَاكَةِ وهي اللَّبُّ والمخ الذي وسط العظم، سميت لأنها وسط الدنيا، ولِّبُها، وخالصها .

٢ - سميت مكة: لأنها تنقص الذنوب وتغنيها .

٣ - سميت مكة: لأنها تهلك من ظلم فيها .

٤ - سميت مكة: لأنهم يمتكئون الماء فيها - أي يستخرجونه - .

٥ - سميت مكة: لأنها تجذب الناس إليها، والملك الجذب .

٦ - سميت مكة: لأنها تمكُّ الجبارين - أي تُذهِبُ نخوتهم - .

٧ - سميت مكة: لإزدحام الناس بها، من قولهم: امتكَّ الفصيلُ ضَرَعَ أمِّه إذا مَضَهُ مَصّاً شديداً .

٨ - سميت مكة: لأن العرب تَمَكُّ عند الكعبة - أي تُصَفِّرُ صَفِير المَكَاءِ الطائر المعروف - مع تصفيق بالأيدي في الطواف .

٩ - سميت مكة: لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هَبْطَةٍ شبه المَكْوِك - وهو إناء معروف - .

١٠ - سميت مكة: لأنه لا يفجر فيها أَحَدٌ إِلَّا بُكَّتْ عنقه، فكان يصبح وقد التوت .

إلى أقوال أخرى لا تخرج عن هذه المعاني .

وللمعاصرين من الباحثين من المستشرقين وغيرهم حول هذا الاسم من الأقوال ما هو أقرب إلى الخيال، ولعل من أطرفها رأيُّ لكاتب عراقي في بحث له عن مكة بعنوان (مكة وحمورابي)^(٥٤) حيث حاول إيجاد صلة بين (بكا BAGA) إله بابلي كان معروفاً في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ومنه أُخِذَ اسم الإله الكنعاني (بَعْلَبَك) ثم يخلص إلى القول بأنه يخمن أن (بك) أُطلق أولاً على مكان المعبود في مكة، ولما كانت أسماء المواضع تؤنث أضيفت إليه علامة التأنيث، فصار (بكة)، ثم عرفت باسم مكة .

وكذلك اختلفوا في معنى اسم (بكة) من أسماء هذه المدينة الكريمة، ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥٥) فبينما يرى بعض اللغويين أن الميم أبدلت باء، يرى آخرون تغايراً في المعنى بين الاسمين، ومن أمثلة الاختلاف:

- ١ - سميت بكة لأنها تبتك أعناق الجبابرة.
- ٢ - بكة اسم لبطن مكة لأنهم يتباكفون فيه - أي يزدهون -.
- ٣ - بكة موضع القرية، ومكة موضع البيت.
- ٤ - بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى، وهو بطن مكة المذكور في الآية الكريمة من سورة الفتح.

ولعل أعدل الأقوال في هذا ما روي عن عالم مكة الإمام التابعي الجليل مجاهد ابن جبر من أن الميم والباء يتعاقبان، وبه قال الإمام اللغوي ابن قتيبة^(٥٦) وغيره.

٩ - وَجُّ (الطائف) :

هناك ترادف بين كلمتي (وج) و(الطائف) في نصوص المتقدمين، بينما المعروف الآن إطلاق اسم (وج) على الوادي الذي يخترق مدينة الطائف، منحدرًا من المرتفعات الواقعة جنوب غرب المدينة حول قرية (الوهط) متجهًا صوب الشمال الشرقي حيث يُدعى أسفلهُ (الْعَرَج)، ثم يفيض في الأرض البراح.

ومن ذلك الترادف قول ياقوت في «معجم البلدان»: الطائف هو وادي وَجٍّ، وهو بلاد ثقيف^(٥٧). وقوله - في موضع آخر - : في تفسير الخبر المنسوب إلى النبي ﷺ^(٥٨) - : آخر وَطْأَةِ اللَّهِ يَوْمَ وَجٍّ، وهو الطائف، وغزوة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ، ولصاحب «القاموس المحيط»^(٥٩) حول هذا القول اعتراض ليس هذا محل ذكره.

ويتضح مما أورده متقدمو العلماء من أخبار عمران الطائف قدم تسمية الموضع باسم وج، لنسبة هذا الاسم إلى العمالة - إحدى الأمم المجهول عصرها - بخلاف اسم الطائف المنسوب حدوثه لمن عاش قبيل الإسلام بزمن يسير^(٦٠).

فما أصل تسمية ذلك البلد ؟ يلجأ المتقدمون لبيان مثل هذا إلى مايتناقله القصاصون من أخبار الأمم التي عاشت في الجزيرة في عصورها الأولى - ولا ملجأ لهم غير ذلك - فيجدون من الأسماء الشائعة بين تلك الأمم مايتفق مع أسماء المواضع التي هم بحاجة إلى معرفة أصولها، فيرجعونها إليها، وليروح القاري عن نفسه، هاهو أشهر أقوال رواة الأخبار منهم:

سُمِّيَ وَجُ (الطائف) يَوْجُ بن عبدالحق من العماليق (العماليق) وهو أخو (أجل) الذي سمي به جبل طيء، وهو من الأمم البائدة^(٦١).

ولهذه الصلة بين اسم هذا الوادي الواقع في غرب الجزيرة وبين اسم ذلك الجبل المعروف الواقع في شمالها مايربط الاسمين بأسماء مواضع أخرى هناك، لا يتورع ياقوت - أمطر الله على قبره شأبيب الرحمة والغفران - من نسبته إلى (العلماء بأخبار العرب) بدون تسمية أحد منهم، وهو لا يخرج عما هو معروف عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في أحد كتابيه «اشتقاق البلدان» أو «انساب البلدان»: ذكر العلماء بأخبار العرب^(٦٢) أن أجأ سمي باسم رجل وسمي سلمى باسم امرأة، وكان من خبرهما أن رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبدالحفي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى، فكانا يجتمعان في منزل العوجاء حاضنة سلمى، حتى علم بهما اخوة سلمى وهم الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان، فخافت سلمى وهربت هي وأجأ والعوجاء، وتبعهم اخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى فقتلوها هناك فسمي الجبل باسمها، ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين فقتلوها هناك فسمي المكان بها ولحقوا أجأ بالجبل المسمى بأجأ فقتلوه فيه فسمي به، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم فسار كل واحد إلى مكان فأقام به فسمي ذلك المكان باسمه^(٦٣) - وتقدم الخبر -.

١٠ - يَثْرِب (المدينة المنورة) :

من أسماء المدينة الشريفة طيبة الطيبة، الكثيرة الأسماء، مما يدل على شرف المسمى، وقد ورد في القرآن الكريم حكاية عن المنافقين في غزوة الأحزاب في التحريض على الانصراف عن القتال مع رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين:

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾^(٦٤) ووردت آثار في النهي عن تسميتها بهذا الاسم^(٦٥).

ويختلف المتقدمون من اللغويين وغيرهم في معنى هذا الاسم وإن اتفقوا على قدمه، ونسبته إلى إحدى الأمم البائدة، ويحاول بعضهم اعتباره مشتقاً من مصدر (ثرب) أو ذا صلة به، فيورد ابن الأثير في «النهاية»: يثرب اسم مدينة النبي ﷺ قديمة، فغيرها وسماها طيبة وطابة، كراهية التثريب، وهو اللوم والتعير - انتهى. وَيَلْمَحُ يَأْقُوتُ تَكَلَّفَ اللغويين وَتَحَلَّوْهُمْ في محاولة تعليل الأسماء ومحاولة اشتقاقها من مصادر فيقول: ولو تكلف متكلف أن يقول في (يثرب) أنه (يفعل) من قولهم لا تثريب عليكم أي لا تعير ولا عيب، ويقال أصل التثريب الافساد - إلى آخر ما ذكر -^(٦٦).

ولاشك بأن اسم (يثرب) من الأسماء الموغلة في القدم حتى جهل أصلها، فعمد أولئك العلماء إلى القول بأن أول من سكن يثرب رجل من العمالة^(٦٧) (العماليق) وقيل من أبناء إرم - (الآراميين) هو يثرب بن قانية بن مهلائل بن إرم ابن سام بن نوح - وذلك بعد تفرق أبناء نوح.

ومن الطريف أن يحاول ابن الكلبي - فيما يروي عن شيخه الشرقي بن القُطامي - إيجاد صلة قرابة بين يثرب الآرمي وبين مواضع تقع في طريق الحج في نجد^(٦٨) فيقول: زرود، والشقرة والربذة بنات يثرب بن قانية بن مهلائل بن رخام بن عبيل أخى عوض بن إرم بن سام بن نوح - على تباعد تلك المواضع.

فزرود - من المناهل المعروفة وهي واقعة في الجانب الغربي من الدهناء شرق بلدة الأَجْفَرِ بمنطقة حائل^(٦٩) (بقرب خط الطول: ٤٣/٢٨° وخط العرض: ٢٧/٥٠°).

والشقرة - وهي أيضاً معروفة كانت من المناهل فأصبحت الآن قرية تقع غرب الحناكية (نخل قديماً) بنحو ثلاثين كيلاً، ووادي الشقرة يجتمع بوادي الحناكية في حَضَوْضًا^(٧٠).

والرَبْدَةُ: الموضع الأثري المعروف في عالية نجد^(٧١).

ومَلَّمَحُ ابن الكلبي - أو شيخه - في محاولته تلك قد يكون مبنياً على إدراك كون بني ارم (الآراميين) قد انتشروا في البلاد من أعلاها إلى أسفلها، قبل وجود القبائل العربية المعروفة أخيراً، مع جهل زمانهم وانفرادهم بلغة خاصة، منها أسماء هذه المواضع التي يحمل الجهل بمعانيها على اعتبارها أسماء جامدة، والملاحظ أن المواضع كثيراً ما تضاف إلى سكانها، ومن ثم تعلق بها أسماء أولئك السكان، وليس معنى هذا مطابقة قول ابن الكلبي - أو غيره من المتقدمين - في تعليل كل الأسماء القديمة للواقع، ولكنه محاولة لتوجيه آراء أولئك الأجلة من العلماء الذين لا يجد الباحث في هذه النواحي سوى تعليلاتهم، حتى يفتح العلم آفاقاً أخرى من المعرفة.

حمد الجاسر

الحواشي :

- ١ - مقدمة «معجم البلدان» .
- ٢ - «قاموس الكتاب المقدس» ١/٣٦ : (١. ا) : ١ - ٣٠ حدد (حدة) أحد أولاد اسماعيل (١. ا) : (٣٠) ويدعى أيضاً حدار (تك : ٢٥ : ١٥) . وانظر «تاريخ العرب قبل الإسلام» . ١/٢٩٢ وقد وهم مؤلفه حين قال : يعرف حدد في الكتب العربية بأدد .
- ٣ - «معجم البلدان» رسم (جوف) و(دير الجماجم) .
- ٤ - المصدر رسم (سواع) و(جرش) .
- ٥ - الأول طبع القسم الأول منه والثاني نقل البكري في مقدمة «معجم ما استعجم» وفي مواضع أخرى وكذا ياقوت فأكثر النقل .
- ٦ - رسم (الرُّها) ٧ - «معجم البلدان» رسم (الغرين) .
- ٨ - المصدر رسم (اران - البلقاء - الريزة - زرود - الصبن - هجن) .
- ٩ - المصدر رسم (صقلب) .
- ١٠ - «الاصحاح» ٢٤/٢٥ ونصه : (وهذه أسماء بني اسماعيل حسب مواليدهم : نايوت - بكر اسماعيل - وقيدار، وإذبييل، وميسام، ومشاع، ودومة، ومسا، وحدار، وتيا، ويطور، ونافيش، وقدمة، هاؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم) .
- ١١ - ٣٠٥ ١٢ - وفيه ص ٣٠٦ : عن هشام بن محمد عن أبيه سميت فيد بفائد بن حام من بني عليلق .
- ١٣ - «معجم البلدان» كل اسم في موضعه من الكتاب .
- ١٤ - «معجم البلدان» رسم (الفريقية) و(سمرقند) .
- ١٥ - كتاب «المناسك» ٤٤١ وما بعدها ١٦ - «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم .
- ١٧ - «المناسك» ٢٩٣ و«معجم البلدان» وتجد فيه نصوص كلام ابن الكلبي عند ذكر أسماء المواضع .
- ١٨ - انظر عن (عين عَلم) قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» رسم (علم) .
- ١٩ - «صفة جزيرة العرب» - ٣٨٧ و«معجم البلدان» .

- ٢٠ - «المعجم» ٤٧/١ طبعة ١٣٧٣ (١٩٥٤م).
- ٢١ - ٢٥٧/٢٥٦ - طبع «دار الينامة» في الرياض سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤م).
- ٢٢ - جزء رجب ١٤٠٨ ص ١١٥ - ٢٣ - ١٢٣ - ٢٤ - «معجم البلدان» رسم أجا .
- ٢٥ - «مواصل قمة من قسم أجا مطلة على قرية حاتم، انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية». والرّبط : جمع رَبطَة وهي الثياب المنسوجة شرائح .
- ٢٦ - «الأغاني» : ١٠٥/١٦ ط الساسي بمصر.
- ٢٧ - «تاريخ ابن جرير» ٣٠٤/٢ ط أوربة ٢٨ - «تاج العروس» تنع وتنغ .
- ٢٩ - «سفر التكوين» ١٤/٢٥ و«سفر ايوب» ١٩/٦ و«شمال الحجاز» ١٠٠
- ٣٠ - «تاريخ ابن خلدون» : ٤٨/٢ و ٥٩٥ .
- ٣١ - «طبقات ابن سعد» ٣٣٧/١ و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢٣٢/٤ و«تاريخ ابن جرير» ٧٢٩/١ و«معجم البلدان» و«تاج العروس» رسم (جرش) .
- ٣٢ - «تاريخ بغداد» ٤٣١/١٤ ٣٣ - «صفة جزيرة العرب» ٢٥٥ .
- ٣٤ - «مذكرات سليمان شفيق باشا مجلة «العرب» س ٦ ص ٧٠٦ .
- ٣٥ - «صفة جزيرة العرب» ٢٥٦ .
- ٣٦ - في مجلة «العرب» س ٦ ص ٢٤٧/٢٤١ - بحث مفصل عن موقع جرش للأستاذ الشيخ سعيد بن عياش الغامدي رئيس محكمة خميس مشيط .
- ٣٧ - «معجم البلدان» رسم (جرش) .
- ٣٨ - «صفة جزيرة العرب» ٢٥٣ ومجلة «العرب» س ١٨ ص ٩٠ .
- ٣٩ - قرأت في أحد المؤلفات الحديثة أن الرياض كانت حمى الخيل الأمير مقرن بن أجود الجبيري في القرن العاشر وكانت تسمى (رياض مقرن) ثم عرفت فيما بعد باسم (الرياض) ولا أدري من أي مصدر هذا إلا أن وجود قصر قديم عرف باسم (مقرن) قد يؤيد ذلك القول .
- ٤٠ - «صفة جزيرة العرب» ٢٨٤ .
- ٤١ - «بلاد العرب» ٤٢ - «معجم البلدان» رسم (حجر) .
- ٤٣ - «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ٤١ .
- ٤٤ - «صفة جزيرة العرب» ١٧٠ ٤٥ - «أبو علي الهجري» ٣٨٦ .
- ٤٦ - «جمهرة اللغة» ٣٥٦/٣ لابن دريد .
- ٤٧ - «معجم البلدان» و«معجم ما استعجم» و«تاج العروس» رسم (خخير) .
- ٤٨ - «في شمال غرب الجزيرة» ٥٢٨ .
- ٤٩ - «معجم البلدان» رسم (دومة) ٥٠ - «سفر التكوين» ٢١٤/٢٥ و«سفر اشعيا» ١١/٢١ .
- ٥١ - «لمحات عن بعض المدن القديمة» للدكتور عبدالرحمن الأنصاري، مجلة «الدارة» ج ١ ص ٨٢ ففي «سفر التكوين» الأصحاح ٢٥ .
- ٥٢ - «في شمال غرب الجزيرة» ١٤٧ .
- ٥٣ - سورة آل عمران الآية ٩٧ .
- ٥٤ - كتاب «تاريخهم من لغتهم» عبدالحق فاضل . ٢١/٧ وزارة الإعلام العراقية سلسلة دراسات (١٧٧) سنة ١٩٧٧ .
- ٥٥ - سورة آل عمران الآية ٩٦ . ٥٦ - «معجم البلدان» رسم (بكة) .
- ٥٧ - «تاج العروس» رسم (بك) . ٥٨ - «الطائف» .
- ٥٩ - رسم (وج) .

شِعْرُ الْقَحِيفِ الْعَقِيلِي

[وهذا شاعر آخر من شعراء هذه البلاد يتصدى لجمع شعره عالم محقق جليل واسع الاطلاع له جهود مشكورة في جمع ما تشنت من أشعار المتقدمين هو الأستاذ الدكتور حاتم الضامن ، أما الشاعر فهو القحيف بن خبير العقيلي عاش في بلاد قومه بني عقيل في نواحي الأفلاج ، وقد سبق أن تصدى المستشرق الألماني الدكتور سالم الكرنكوي المعروف قديماً باسم فريتنس كرنكو لجمع شعره ونشره في مجلة « المجمع الآسيوي البريطاني » سنة ١٩١٣ من ص ٣٤١ إلى ٣٦٨ .

وقد حاولت اضافة شيء إلى ما جمعه الأستاذ كرنكو ، فنشرت في مجلة « العرب » س ١ ص ٤٠٦ إلى ٤٠٨ و ٥٥١ و ١١٥٥ .

ولكن محاولة الدكتور حاتم الضامن كانت أجدى وأنفع .

ولهذا ترى مجلة « العرب » أن تتحف قراءها بما قام به الدكتور الضامن حيال هذا الشاعر المقل ، مثلاً في مقدمة ضافية عن حياة الشاعر وتحليل موضوعات شعره ، ثم بجمع ما استطاع جمعه اعتياداً على ما سبقه من محاولتين لجمع ذلك الشعر ، مع تميز عمل الدكتور الضامن بتخريج ذلك الشعر . ولقد عني الأستاذ الدكتور شاكرا الفحام بالشاعر القحيف واخباره وأشعاره قبل ثلاثين عاماً ، كما أشار إلى ذلك في بحث نشر في مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » (مج ٦٢ ج ٣ - ذو القعدة ١٤٠٧هـ / تموز ١٩٨٧م ص ٦١٥ / ٦٢٩) ويظهر ان الدكتور شاكراً اكتفى بعمل الأستاذ الدكتور الضامن مع الإشارة إلى تخريج بعض أبيات وردت في مصادر لم يوردها الدكتور الضامن .

ولصلة بحث الدكتور شاكرا بهذا الشاعر ترى مجلة « العرب » في نشره مما يكمل جوانب الموضوع . وها هو ما اقام به استاذنا الجليل الدكتور حاتم الضامن من دراسة وجمع لشعر القحيف نقلاً عن مجلة « المجمع العلمي العراقي » : [م ٣٧ ج ٣ ص ٢٢٢ إلى ٢٥٣] وهذه المجلة مما لا يتسنى لكل باحث الاطلاع عليها بسهولة ويسر] .



من شعراء العصر الإسلامي القحيف بن سليم العقيلي ذكره الجمحي في الطبقة العاشرة وهم أربعة رهط . مزاحم بن الحارث العقيلي ويزيد بن الطثرية

-
- ٦٠ - انظر الخبر مفصلاً في المؤلفات المخصصة لتاريخ الطوائف لابن فهد والمجيمي والفاكهي .
 ٦١ - «معجم البلدان» رسم الطوائف و«تاج العروس» رسم (أجأ) . ٦٢ - المصدر رسم (أجأ) .
 ٦٣ - الخبر مفصل في كتاب «المناسك» ٣٠٥ وهو مما رواه ابن الكلبي عن أبيه .
 ٦٤ - سورة (الأحزاب) الآية الـ (١٣) ٦٥ - «وفاء الوفاء» : ١١/١ .
 ٦٦ - «معجم البلدان» رسم (يثرب) ٦٧ - «تاج العروس» رسم (ثرب) .
 ٦٨ - «معجم البلدان» رسم (زروذ) .
 ٦٩ - «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وقسم شمال المملكة رسم (زروذ) .
 ٧٠ - كتاب «المناسك» ٥٢١ .
 ٧١ - للدكتور سعد الراشد الباحث الأثري المعروف في كلية الآداب جامعة الملك سعود مؤلف عن هذا الموضوع ، من منشورات الجامعة .

وأبو دُوَادِ الرُّوَاسِي والقحيف العقيلي ، وهذه الطبقة كلها من بني عامر بن صعصعة^(١) . وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام^(٢) . وقال عنه صاحب « المؤتلف والمختلف » انه شاعر محسن كثير الذب عن قومه^(٣) ، وكان يُشبَّبُ بخرقاء التي كان ذو الرمة يشبَّبُ^(٤) بها ، ونسبه كما نقله صاحب « الخزائن » عن « الجمهرة » و « العباب » للصاغاني هو : القحيف (بضم القاف وفتح المهملة) ابن حُمَيْر (بضم المعجمة وفتح الميم) بن سُلَيْم (بضم السين وفتح اللام)^(٥) . ومن الغريب أن يذكر البغدادي في مكان آخر من « الخزائن » بانه شاعر جاهلي^(٦) ، وهو وهم كما أرى : ومن خلال متابعة أخبار القحيف يتضح لنا ان حياته الأولى كانت غير واضحة المعالم ، ولكن الأخبار تذكر رثاءه ليزيد بن الطثيرة الذي قتل سنة (١٢٦) وله أخبار مع المهير بن سلمى الحنفي بعد قتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦) كذلك وهذا يؤكد لنا انه كان حياً بعد هذا التاريخ ، ويذكر الشاعر في بعض قصائده ادراك الشيب له ويعبر عن استيائه من الشيبات اللواتي طلَعْنَ لأن الشيب داء يكرهه^(٧) .

وتبقى أخباره الخاصة والمتعلقة بأهله أو بيته غير متميزة سوى ما ذكر عن علاقته بخرقاء التي تذكر الأخبار انها جاوزت تسعين سنة ، وهي اشارة تدلُّ ولو بشكل تقريبي على عمره الذي يكون قريباً من سن خرقاء . ثم تقف بعض الأخبار على مجاورته لامرأة من عبس وقد أقام عندها شهراً وهام بها عشقاً ويؤكد هذا الخبر انه كان من أجمل الرجال واشطهم^(٨) ، ويشكو القحيف في بعض قصائده حساده الذين كانوا يغارون من نبوغه وشهرته وهم من ابناء عمه الذين حاولوا أن يفسدوا علاقته^(٩) .

كانت منطقة الفلج وما أحاط بها من البادية هي دار بني كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي جنوبها كانت بلاد قيس ومنطقة الفلج هي المنطقة التي كان يتحرك فوقها شاعرنا ، وتسمى فلج الأفلاج لكثرة زرعها ونخيلها ، وقد أشار إليها الشاعر ووقف عندها وذكر ثمارها ونخيلها وما توزع في أرضها من نبت خضيد ومنظر أنيق وما تربعت فيها من خُرَدٍ^(١٠) ، وفي ربوع المواضع المتناثرة في هذه المنطقة كان صوت القحيف يرتفع ليذبَّ عن قومه بعد ان استعر أوار الحرب بين

بني عقيل وحبيته عندما جلت حنيفة غازية كعباً ، وجاء صريخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها ، فأرسل في عقيل يستمدّها فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش بن كعب وافناء خفاجة ، وكان ممن سار معه القحيف ويزيد بن الطثرية فساروا حتى واجهوا القوم فواقعوهم ، وقتل في هذه الواقعة يزيد بن الطثرية فرثاه القحيف بأبيات مجّد فيها بطولته ، وبكى شجاعته ، وذكر نخوته ومروءته واستذكر أيامه .

إن التزام الشاعر بالدفاع عن قضايا قومه كانت تنعكس في المشاعر الصادقة التي كان يطوي عليها ضلوعه وهو يرثي ابطالهم . ويمجد قتلاهم ويذكر حسن بلائهم فكانت هذه الومضات المتباعدة التي وقفنا عليها تؤشر الحسن الذي كان يتداخل في نفسه ، واللوعة التي كانت تعتلج في حناياه وهو يبكي اولئك الرجال الأشداء أمثال الشاعر يزيد بن الطثرية الذي كان ينعت بالصنديد والفتى الذي خسرت به القبيلة حامياً من حماتها ومدافعاً عن وجودها^(١) .

وبناء القصيدة عند القحيف ينحو نحواً تقليدياً لأنه يحاول ان يمهد لكل غرض بما يتناسب معه .

وقصيدة الحرب التي كانت تأخذ حجماً متميزاً من شعره كان الشاعر يبيء لها لوازمها وعدتها ويعالج موضوعاتها بأساليبه التي تعطيها الصورة الواضحة ، وتحقق لها المناخ المناسب ، بعد أن يمهد للأحداث التي سيعرض لها . متخذاً من الحجج ما يبرر له خوضها ، ولعل قصيدته العينية التي عثرنا عليها — وهي أكمل من بقية قصائده — تكاد تكون من النماذج الكاملة في هذا الميدان ، فهو يستحضر المهموم بعد ان جرّعه البين السم الزعاف ، وبعد ان تذوق مطعمه الفظيع . ولكن هذه الحالة لم تحمله على ترك السياق العام الذي كانت تسير بموجبه مسارات القصيدة فهو كالشنفري وكغيره من الشعراء الفرسان الذين يردون الماء البعيد في جوف الفلاة التي لا أنيس بها إلا الخيام والقطا . وقد اتخذ من زمام ناقته وعمامته صلة لرشائه حتى يبلغ الماء لبعد قعره . وقد أعيا ناقته التعب حتى كلت عن السير ، وقد أوغل بها في الوادي حلاً وترحالاً ، فبدت عظامها وضلوعها من الهزال ،

ممهّداً بكل هذه الخصائص ليستقل إلى المهير الذي جمع لقبيلته الجموع ، ولكنه ينتهي إلى تمجيد قومه الذين يكونون نعم القوم عند احتدام الغوى ، وفي اشتداد المعركة (١٢) .

ونمثل قصيدته اللامية التي يمكن ان تكون نموذجاً آخر من قصائده المكتملة صورة البناء التقليدي الذي كان الشاعر يسعى إليه وهو يكشف لنا عن صورة أوضح لقصيدة الحرب التي مهد لها منذ الأبيات الأولى ، ووضع لوازمها وأدواتها التي استخدمها لتكون أكثر إيجاء ، وأشد تأثيراً ، وفي الأبيات وضوح كامل للبيض والنصال والصريخ وحنين النبع والأسل والنهال ومخالفة السيوف وذكر الصافنات وكراديس القبائل ومجاميع الكتائب والنواصي الشعث ، وصياح البيض التي تفرعها النصال . وغيرها من الألوان والأصوات والحركات والمواضع التي تعطي الحرب خلاها ، وتجلب للمواقف قدراتها ، وقد اكتملت اللوحة في عرف الشاعر بعد أن استطاع ان يجعلها صوتاً آخر من أصواته الشعرية وملحمة ثانية من ملاحم قبيلته وهي تضارع حنيقة بعد أن كانت حنيقة هي القبيلة التي غزت دياره عدواناً ظانّة بأنفسها سدة البأس ، ومعتقدة بقدراتها علي المصاولة ، ولكن الحرب انتهت إلى غير صالحها فتناثرت ممزقة وتوزعت أقساماً .

ان صوت الشعر الحربي كان يرتفع في قصيدة قحيف دفاعاً عن الحمى ، وإيماناً بمصلحة القوم وحماية عن الأرض التي وهب لها شعره ونفسه ، فكان حقاً من شعراء الحرب ، وكان حقاً من شعراء القضية التي منحها من نفسه ما تستحق ، ومن مشاعره ما جعلها منتصرة (١٣) ، وهو بذلك يمكن ان يضاف إلى مجاميع الشعراء الفرسان الذين عشقوا البطولة ، وتمثلوا الفروسية وعبروا في مضامينهم الشعرية عن القيم التي كانت تتمثل في هذا الاتجاه ، ولو قيّض لشعر القحيف ان يكتمل لقدم لنا صورة واضحة عن هذا المفهوم الشعري في عصره ، وعلى الرغم من طول هذه القصيدة فان صاحب «المكاثرة» قد أورد ثلاث أبيات ربما تكون جزءاً منها ، وهذا دليل آخر من أدلة ضياع شعره وهو آفة ابتلي بها هذا الشاعر وغيره ، ثم تجاوزت الشعراء إلى الشعر العربي الذي ضاع كثير منه ولازمته هذه الظاهرة في مراحلها الأخرى .

وكان الفحيف أميناً على سيادة قومه ، وحامياً لحمى قبيلته ، وكان شعره تعبيراً عن هذا التوظيف وكانت مضامينه تؤكد عمق الاحساس بالانتماء إلى الأرض التي عاش فوقها ، وفي مجابته للمهير بن سلمي الحنفي كانت تتجسد هذه الروح وتتعالى هذه الصيحة ، فكان دون العقيق الموت ورداً وأحمر^(١٤) . وكان قتل قومه من الشهداء الصابرين^(١٥) وعلى الرغم من الجموع التي حشدتها المهير من حنيفة فإن قومه سيرهبون خصومهم وهم يردون في أيمانهم البيض لامة . وقد تجمعت عقيل وقشير وجعدة والحريش وكلهم ليوث غاب^(١٦) وعندما كانت تتصاعد في نفسه سورة الفخر ، وتعلو همته قدرات الاعتزاز كان شعره يأخذ انجاساً قومياً حاداً ، وكانت معانيه تلتقي في حدود إياته الفذ ، وعندها تكون غضبة مضرية^(١٧) ، وتختلط بفخره مروءته وإنسانيته التي تعف عند المقدرة وتصفح عند التمكن عزة وتكرماً ، وهذا ماكان يؤكد الشاعر في بعض مقتطعاته التي بقيت من قصائد طويلة^(١٨) وكثيراً ماكان فخره يأخذ المبالغة تأكيداً لروح الاعتزاز ، وترسيخاً لصوت الشموخ والتحدي^(١٩) ، وكان الشاعر يعبر عن لذة الاشتقاء من الخصوم والتغني بالنصر والحرص على ادراك الثأر وتأكيده قدرة القبيلة في اذلال خصمها واذاقته الهوان ، وتجريعه كؤوس الهزيمة .

لقد تركت أيام الفلج أثرها الواضح في شعر الفحيف بعد ان اقتطعت جزءاً من شعره وأخذت حجمها المناسب من قصائده . لأنه حاول ان يتحدث من خلالها عن قدرة قومه الحربية اذ اشتدت فيها سواعدهم ، والتقت قبائلهم وتوحدت سيوفهم ، وارتفعت راياتهم ، وكان اعتزازه بقومه يوحى بعمق الصلة الممتدة في جذور انتمائه ، ويؤكد ولاءه إلى النصر الذي يمكن أن يتحقق وهذا ما دفع صاحب « المؤلف والمختلف » إلى أن يقول : كان كثير الذب عن قومه^(٢٠) ، ولعل خروجه ويزيد بن الطثيرة في مقدمة المقاتلين دفاعاً عن حمى القبيلة ، وذوداً عن كرامة ابنائها يعطي هذا التصور وجهه الواضح ، ويحدد رأي الشاعر في القضايا الحاسمة التي كانت تتعرض لها القبيلة ، وان حرصه على ابلاغ رسالته إلى قريش وأفناء قيس كان يعني تحمله مهام قومه ، واضطلاعه بالمسؤولية الكبيرة التي كانت تفرضها عليه تبعاته من خلال التزامه الشعري ، وهذا ماكان

يدفعه إلى ادانة (حنيفة) القبيلة التي كانت تشكل محور الصراع من قومه وكان ذكرها يقترن بعبارات التهديد والوعيد مثل عتابها بالرماح وغيرها^(٢١) ، وفي الطرف الثاني من الصراع كانت تتردد أسماء قبيلته ويطونها مثل عقيل وكعب وخاصة عندما تشتد زحمة الصراع ، وتتعالى قعقة السيوف ويحتمد اشتجار القنا . كما أنّ فخره بانتصار قومه كان يقترن أيضاً بتذكيره لخصومه وهم يتساقطون صرعى على النشاش بعد أن ضربوا ضرباً شديداً^(٢٢) أو تركوا صرعى تتناهم القشاعم والذئاب ، وتوزعهم السباع والضباع^(٢٣) ، وكما كانت النشاش تذكره بمواقع الانتصار كانت (النقب) تثير في ذهنه صورة الاقتدار ، وهو يذكر بني حنيفة وما جرى لهم .

وتظل أسماء المواضع التي عرض لها أو وقف عندها تمثل الإشارة الجادة في تعلقه بأرضه وحبها وصلته بكل جزء من أجزائها ، وكان الشاعر حريصاً على تحديد هذه المواقع وهذا ما جعل البلدانين يستشهدون بشعره ، ويعتمدونه في تثبيت هذه المواقع وقد استشهد له ياقوت في « معجم البلدان » بأبيات كثيرة ، فقد ذكر (معدن البرم)^(٢٤) وأصباح^(٢٥) وخبت^(٢٦) والسيدان^(٢٧) والأوق^(٢٨) والخنوقة^(٢٩) وفلج الأفلاج^(٣٠) وذبي بقر^(٣١) وكتمان^(٣٢) والعقيق^(٣٣) .

إن دفاع الشاعر عن قبيلته ، وانصرافه إلى تسجيل مآثرها الزم شعره بظاهرة تميزه بالفاظ الحرب والسلاح فكان قاموسه مشحوناً بالفاظ الحرب : فالرماح^(٣٤) والحرب^(٣٥) والصارم^(٣٦) والسيوف^(٣٧) والقنا^(٣٨) والدروع^(٣٩) والمغفر^(٤٠) والشهيد^(٤١) واللواء^(٤٢) والطنع^(٤٣) والصرعى^(٤٤) والسبايا^(٤٥) والصنديد^(٤٦) والأسنة^(٤٧) . وغيرها من الألفاظ التي تمثل المعاني البارزة في قصائده . أما غزله فعلى الرغم من روح القتال ، وخوض غمرات الحرب التي عاشت في شعره . وارتسمت في مدلوله الفني ، واتسع حجمها في استخدامه فان ذلك لم يحل دون اظهار عاطفته التي كانت تشرق في ملاحه ابياته ، وحبّه الذي كان يترقرق في ظل شوقه ، واحاسيسه التي كانت تُراق على أطراف الفاظه ، وترش وجوه معانيه ، فيزهو في دلالتها الشوق اللامع ، ويزهو في خفقاتها حبّه الأصيل^(٤٨) فخرقاء التي جاوزت التسعين سنة لم تزد إلا ملاحه في عيني القحيف ، لأنها أصبح من

القبس ، ولأنها تظل تحمل رونق الصبا ، وتعيش الوجه المشرق ، وتضفي على الحياة من روحها ما تجعلها رائعة في كل العيون ، رضية في كل القلوب ، ولأن الشاعر ظل ينظر إليها من خلال نظراته القديمة فبقيت الصورة لا تتغير ، وظلت العيون الخالدة تقيض بمعاني الشباب الفتي ، والنضارة الزاهية ، وهذا ما جعلها غير مرتبطة بالزمن . لأنها تخرج عليه من هذا المنظار ، وتبتعد عن صروفه في هذه العيون ، ولا تقع تحت تأثيره في دائرة الأحداث التي يقع تحت ضغطها الآخرون ، وهذا ما اعطاها صورة الملاحه ، ثم تبدو لنا شخصية ثانية عندما يتحدث إلى امرأة من عبس ، ولكن الاخبار لا تروي لنا بقية القصة بعد أن تنقطع أبيات القصيدة عند البيت الرابع ، وتنتهي معها قصة الشاعر الذي جاور بني عبس ، وأقام عندهم شهراً وهام بالمرأة العبسية ، والأبيات الأربعة يغلب عليها طابع الفتوة والفروسية وتتصاعد فيها عبارات الحرب والشجاعة وربما اتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عن قدرته ، وكانت المرأة فيها شاهداً على فروسيته ، وفي القطعة (٢٥) يذكر أبو الفرج أن بعض الفقهاء نهى القهيف عندما شاهده وهو يجد النظر إلى امرأة فنهاء عن ذلك وقال له : اما تتقي الله ؟ ، ويعبر الشاعر من خلال أبياته التي يرد بها عن فلسفته التي وجد لها طريقاً في تلك الأبيات^(٤٩) .

ووقفنا على مقطع من قصيدة له في مدح حكيم بن المسيب القشيري ومديحه يجاري فيه معاني المديح المتعارف عليها ، ولكن انقطاع الأبيات وضياح القسم الآخر من القصيدة قطع الصورة التي عبر خلالها الشاعر عن منهجه فيه^(٥٠) .

ديوانه :

يشير صاحب « الخزائن » إلى ديوان الشاعر بخط محمد بن حبيب^(٥١) وكذلك تأتي الإشارة في شرح أبيات « مغني اللبيب »^(٥٢) ويشير البكري في « التنبيه » وهو يذكر بيتاً له بأنه ثابت في ديوان شعره^(٥٣) ، ويبدو أن عوادي الأيام قد اتت على الديوان فطمسته مع المجاميع الأخرى التي لم تظهر حتى يومنا هذا ، وهذا ما دفع المستشرق كرنكو إلى أن ينبري لجمع شعر الشاعر الذي جمع له ثلاثاً وعشرين مقطوعة ونشرها عام ١٩٣١^(٥٤) . ومثله صنع الأخ الأستاذ حمد الجاسر ، حفظه

الله تعالى . وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمها نشر هذا الديوان إلا أن الطبعة جاءت خالية من التخريج والشرح والدراسة التي تعطي هذا الشاعر نصيبه ، وقد استطعنا ان نضيف واحداً وعشرين بيتاً إلى ما جمع الاستاذان الفاضلان مع محاولة دراسة شعر الشاعر وحياته من خلال تحليل الأبيات وابرار الجوانب المتميزة في شعره ، ويبقى فضل السبق لهما .

ان عدد الأبيات التي عثرنا عليها تؤكد مجموعة من الحقائق التي يمكن ان ننتهي إليها . منها ان الصفة العامة عليها صفة الأبيات المفردة والمقطعات التي تعني انها أجزاء من قصائد ، كما ان مقدمة بعض القصائد تؤكد انها مقدمات لاغراض الزم الشاعر نفسه بها ، وان هذه المقدمات كانت مشحونة بالعواطف وهي بلا شك محاولات للوصول إلى الأغراض الأخرى التي تؤدي إلى الغرض الرئيس الذي أراده الشاعر ، ولكن انقطاع الأبيات المفاجيء يوحى بالضياح الذي أصاب القطعة^(٥٦) ، وتتجدد هذه الظاهرة في القطعة رقم (٩) التي لم تبق الأيام منها غير ثلاثة أبيات وقف فيها الشاعر عند المواضع التي كان يطوف بها ، أو يحن إليها ، وقد تقدمته الحمول الروائح ، وتبقى مقدمات القصائد التي وقف الشاعر عندها دليلاً من أدلة ضياح شعر الشاعر بعد ان وجدناه يباشر الموضوع ، ويقدم له ثم تنقطع الأبيات^(٥٧) .

وشعر القحيف العقيلي الذي كتب عليه ان يظهر للمرة الثالثة وهو بهذه القلة فان أسباباً كثيرة تخفي وراء هذا الشعر الذي يظل يمثل النقطة الأولى في جمع شعره أو العثور على ديوانه الذي اكّدت النصوص وجوده إلى زمن البغدادى (١٠٩٣) للهجرة ، وندعو الله جلّت قدرته أن يوفق العاملين على احياء التراث ، إنه نعم الموفق .

[الحواشي] :

- | | |
|-------------------------------------|----------------------|
| (١) «طبقات فحول الشعراء ٧٦٩/٢ - ٧٧٠ | (٢) «الأغاني» ٨٣/٢٤ |
| (٣) «المؤتلف والمختلف» ١٢٩ | (٤) «الأغاني» ٨٣/٢٤ |
| (٥) «الخرزانه» ٢٥٠/٤ | (٦) «الخرزانه» ٣٤٢/٢ |
| (٧) القطعة رقم (٢٥) | (٨) «الأغاني» ٨٥/٢٤ |
| (٩) القطعة رقم (١٣) | (١٠) القطعة رقم (١٤) |

- (١١) القطعة رقم (٢٢) و(٣٤)
 (١٣) القطعة رقم (٢٣)
 (١٥) القطعة رقم (١٩)
 (١٧) القطعة رقم (٣٠)
 (١٩) القطعة رقم (٣٢)
 (٢١) تنظر القطع رقم ٢٦، ٢٣، ٢٠، ٧، ١
 (٢٣) القطعة رقم (٢) و(٥)
 (٢٥) القطعة رقم (٧)
 (٢٧) القطعة رقم (٩)
 (٢٩) القطعة رقم (١٠)
 (٣١) القطعة رقم (١٥)
 (٣٣) القطعة رقم (١٨)
 (٣٥) القطعة رقم (١)
 (٣٧) القطعة رقم (١٢)، (٣٣)، (٥)
 (٣٩) القطعة رقم (٢٠)، (١٨)
 (٤١) القطعة رقم (٤)
 (٤٣) القطعة رقم (٤)
 (٤٥) القطعة رقم (٣)
 (٣٧) القطعة رقم (٣٣)
 (٤٩) القطعة رقم (٢٥)
 (٥١) «الخزائن» ٤/٥٠٠
 (٥٣) «التنبه» ١٥٠
 (٥٥) في مجلة «العرب» م ١٩٦٧
 (٥٧) القطعة رقم (١٤)
- (١٢) القطعة رقم (٢٠)
 (١٤) القطعة رقم (١٨)
 (١٦) القطعة رقم (٢٠)
 (١٨) القطعة رقم (٣٢، ٣١)
 (٢٠) «المؤلف والمختلف» ١٢٩
 (٢٢) القطعة رقم (١١)
 (٢٤) القطعة رقم (٧)
 (٢٦) القطعة رقم (٩)
 (٢٨) القطعة رقم (٩)
 (٣٠) القطعة رقم (١٤)
 (٣٢) القطعة رقم (١٦)
 (٣٤) القطعة رقم (١)، (١٢)، (٢٦)
 (٣٦) القطعة رقم (١٢)، (٣٢)
 (٣٨) القطعة رقم (١٤)
 (٤٠) القطعة رقم (١٨)
 (٤٢) القطعة رقم (٤)
 (٤٤) القطعة رقم (٢)، (١١)، (٢٠)
 (٤٦) القطعة رقم (١٢)، (٣٤)
 (٤٨) القطعة رقم (٦)
 (٥٠) القطعة رقم (٣٣)
 (٥٢) «شرح أبيات مغني اللبيب» ٣٩٣/٢
 (٥٤) في مجلة «المجمع الآسيوي البريطاني» سنة ١٩١٣
 ص ٣٤١ : ٣٦٨ - The Journal The Royal Asiatic Society
 (٥٦) تنظر المقطعات رقم (١)، (٣)، (٨)

مابقي من شعره

- ١ -

- ١- لعمرى لقد أمست حنيفة أيقنت
 ٢- فخلوا طريق الحرب لا تعرضوا لها
 ٣- فيا حبذا قيس لدى كل موطن
 ٤- ومن ذا الذي لا يجتوي حرب عامر
 ٥- لعمرى لقد ضاقت دمشق بأهلها
- بأن ليس إلا بالرماح عتابها
 إذا مضر الحمراء عب عابها
 تزايل هام القوم فيه رقابها
 إذا ما تلاقت كعبها وكلابها
 غداة رأوا قيساً ترف عقابها

- ٢ -

- ١- هم تركوا على النشاش صرعى
 أباحوها القشاعم والذئابا

- ٣ -

أَتَسُونُ يَا حَزَنَانِ طَخْفَةَ نِسْوَةٍ تُرْكَنُ سَبَايَا بَيْنَ فَيْشَانَ فَالنَّقَبِ (١)

- ٤ -

١- لقد مَنَعَ الْفَرَائِضَ عَنْ عَقِيلٍ بَطْنِي تَحْتَ الْوَيْبَةِ وَضَرَبَ
٢- تَرَى مِنْهُ الْمَصْلُوقَ يَوْمَ وَافَى أَطْلُ عَلَى مَعَاثِرِهِ بِصَلْبِ

- ٥ -

١- تركنا على النَّشَاشِ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا السَّيْفُ وَعَلَّتِ
٢- وَبِالْفَلَجِ الْعَادِي قَتْلَى إِذَا التَقْتُ عَلَيْهَا ضَبَاعُ الْغَيْلِ بَاتَتْ وَظَلَّتْ
٣- قَتَلْنَا عَلَى النَّشَاشِ مِنْهَا عَصَابَةً كَرَامًا وَسَمْنَاهَا الْهَوَانَ فَذَلَّتْ
٤- إِذَا مَا الضَّبَاعُ الْجِلَّةُ انْتَجَعَتْهُمْ نَمَا النَّيُّ فِي أَصْلَانِهَا فَاتْمَهَلَتْ

- ٦ -

قال أبو الفرج : كبرت خرقاء (صاحبة ذي الرمة) حتى جاوزت تسعين سنة ، وأجبت أن تَنَفَّقَ ابنتها وتُحَطَّبَ ، فأرسلت إلى القحيف العقيلي ، وسألته أن يُشَبِّبَ بها فقال :

١- لقد أرسلت خرقاء نحوي جَرِيئًا (١) لِتَجْعَلَنِي خَرْقَاءَ مِمَّنْ أَضَلَّتْ
٢- وَخَرْقَاءَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا مَلَاخَةً وَلَوْ عُمِرْتُ تَغْيِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ

- ٧ -

١- فَمَنْ مَبْلَغُ عَفِي قُرَيْشًا رِسَالَةً وَأَفْنَاءُ قَيْسٍ حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتْ
٢- بِأَنَا تَلَاقِينَا حَنِيفَةً بَعْدَمَا أَغَارَتْ عَلَى أَهْلِ الْحِمَى ثُمَّ وَلَّتْ
٣- لَقَدْ نَزَلَتْ فِي مَعْدِنِ الْبُرْمِ نَزْلَةً فَلَايَا بِلَايٍ مِنْ أَصَاخٍ اسْتَقَلَّتْ

- ٨ -

١- خَلِيلِي مَاصِرِي عَلَى الزَّفَرَاتِ وَمَا طَاقَنِي بِالشُّوقِ وَالْعَبَرَاتِ (٢)
٢- سَقَى وَرَعَى اللَّهُ الْأَوَانِسَ كَالدُّمَى إِذَا قُمْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُبْتَهَرَاتِ (٣)

- ٣- إذا مَسَنَ قَدَامَ الْبُيُوتِ عَشِيَّةً قِصَارَ الْخَطِي يَرْفُلْنَ فِي الْحَبَابِ
٤- دَعَوْنَ بِحَبَابِ الْقُلُوبِ فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِنَّ بِالْأَهْوَاءِ مُبْتَدِرَاتِ
٥- تَقَطَّعَ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى لِثَرٍ مَا قَدْ فَاتَنِي حَسْرَاتِ (٤)

- ٩ -

- ١- أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَحْنَنُ نَاقَتِي بِخَبْتٍ وَقُدَامِي تُحَوِّلُ رَوَائِحُ
٢- تَرَبَّعَتِ السَّيْدَانِ وَالْأَوَقُ إِذْ هُمَا عَمَلٌ مِنَ الْأَصْرَامِ وَالْعَيْشِ صَالِحُ
٣- وَمَا يَجْزَا السَّيْدَانِ فِي رَيْقِي الضُّحَى وَلَا الْأَوَقُ إِلَّا أَفْرَطَ الْعَيْنِ مَائِحُ

- ١٠ -

- ١- تَحْمَلْنَ مِنْ بَطْنِ الْخَنُوقَةِ بَعْدَمَا جَرَى لِلثَرَا بِالْأَعَاصِرِ بَارِحُ

- ١٠ ب -

وقال لما حرمه إبراهيم بن عاصم وهو منصرف عنه :

- ١- أَغَادِ أَبَا الصَّبَاحِ أَمْ مَتْرُوحٌ ؟ وَلِلْمُعْتَدِي أَمْضَى هُمُومًا وَأَزْوَاحُ
٢- وَإِنِّي غَدُوٌّ مِنْ سَجِسْتَانٍ لَمْ أُمْتُ بِهَا لِعَطَاءٍ لِي مِنْ اللَّهِ مُرْبِحُ

- ١١ -

- ١- فِدَاءَ خَالَتِي لَبْنِي عَقِيلٍ وَكَمِ حِينَ تَزْدَحُمُ الْجُدُودُ
٢- هُمْ تَرَكُوا عَلَى النَّشَاشِ صَرَغِي بِضَرْبٍ ثُمَّ أَهْوَنُهُ شَدِيدُ

- ١٢ -

قال أبو الفرج : كان القحيف العقيلي يتحدث إلى امرأة من عبس ، قد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقاً ، وكان يخبرها أن له نَعَمًا ومالاً ، وهويته العَبْسِيَّةُ ، وكان من أجمل الرجال وأشطهم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها في ماله ارتحل عنهم وقال :

- ١- تَقُولُ لِي أُخْتُ عَبْسٍ مَا أَرَى إِلَّا وَأَنْتِ تَزْعَمُ مَنْ وَالَاكَ صِنْدِيدُ
٢- فَقُلْتُ يَكْفِي مَكَانَ اللَّوْمِ مُطَرِدُ فِيهِ الْقَتِيرُ بِسَمْرِ الْقَيْنِ مَشْدُودُ (٥)

- ٣- وَشِكَّةٌ صَاغَهَا وَفَرَاءَ كَامِلَةً وصارم من سيوف الهند مَقْدُودٌ
٤- أَنِي لِيرَعَى رَجَالٌ لِي سَوَامَهُمْ لي العقائل منها والمقاجيد^(٦)

- ١٣ -

قال ابن سلام : كان القحيف خرج زائراً لإبراهيم بن عاصم العقيلي ، فبعث الأشهب بن كليب العقيلي إلى إبراهيم بن عاصم^(٧) رسولاً يخبره أَنَّ القحيف قد هجاه وأساء القول فيه ، ليحرمه وليقصيه ، ففعل . فقال القحيف :

- ١- وَدَاخَلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ عَاصِمٍ مباركة الأسباب موصولة غدا
٢- أَبَا عَاصِمٍ إِنِّي إِلَيْكَ لَمُشْتَكٍ رجلاً عسى أن يَقْعُدُوا مِنْكَ مَقْعَدًا
٣- مَتَى مَا عَجِطَ خُبْرًا بَنَا يَا ابْنَ عَاصِمٍ تَجِدُ لِي رَجَالًا مِنْ بَنِي الْعَمِّ حُسْدًا
٤- وَمَا ذَاكَ عَنْ ذَنْبِ الْيَهْمِ جَنِيئُهُ سوى أن لي ذكراً أغارَ وأنجداً

- ١٤ -

- ١- بَدَانَا فَقَلْنَا أَثَابَ الْبَحْرِ وَاكْتَسَتْ أسافله حتى اَرْجَحَنُ وَأَوْدَا
٢- أُمُّ التَّيْنُ فِي قُرْيَانِهِ تَمْ نَبْتُهُ خَضِيداً وَلَوْلَا لَيْتُهُ مَا تَخَضَّدَا
٣- أُمُّ النُّخْلُ مِنْ وَادِي الْقُرَى انْحَرَفَتْ لَهُ يَمَانِيَّةٌ هَزُّ الْقَنَا فَتَاوْدَا^(٨)
٤- سَقَى فَلَجَ الْأَفْلَاجِ مِنْ كُلِّ قُمَّةٍ ذَهَابٌ تَرْوِيهِ دِمَائًا وَقُودَا^(٩)
٥- بِهِ نَجَدُ الصَّيْدَ الْغَرِيبَ وَمَنْظَرَا أُنَيْقًا وَرَخَصَاتِ الْأَنَامِلِ خُرْدَا

- ١٥ -

- ١- فَيَا عَجَباً مِنِّي وَمِنْ طَارِقِ الْكَرَى إذا مَنَعَ الْعَيْنَ الرِّقَادَ وَسَهْدَا
٢- وَمِنْ عِبْرَةٍ جَاءَتْ شَائِبٌ إِنْ بَدَا بذِي بَقَرٍ آيَاتُ رُبْعٍ تَأْبَدَا

- ١٦ -

- ١- نَظَرْتُ خِلَالَ الشَّمْسِ مِنْ مَشْرِقِ الضُّحَى وَوَأَفَيْتُ مِنْ كُتْمَانَ رَكْنًا عَطُودَا
٢- بَعِينِينَ لَمْ تَسْتَكْرِهَا يَوْمَ غُبْرَةٍ ولم تهبطا جوفَ الْعِرَاقِ فَتَرْمَدَا
٣- إِلَى ظُعْنٍ لِلْمَالِكِيَّاتِ بِالضُّحَى فَيَا لَكَ مَرَاى مَا أَشَاقُ وَأَبْعَدَا

وقال وهو في الطريق :

- ١- طلبتك ما طلبتك أم عمرو
- ٢- وكنت من العفاف وكان مني
- ٣- فلما أحدث الحدثان أمراً
- ٤- مررت أمام بيتك أجنبيّاً
- ٥- ولولا أنت ما نظرت زر نجم
- ٦- ولا استقبلت بين جبال بَم
- ولم يعلم علينا الناس عازاً
- وكنيت عفيفة علمي نسواراً
- وجد الحبل فأنجزر أنجزاراً
- وأما من هواك فلا اعتذاراً
- إلي ولا اعترفت لها مناراً
- وإسبىذ لهاجرة أواراً

- ١- أم ابن ادريس ألم يأتك الذي
- ٢- فليتك تحت الخافقين ترينه
- ٣- يريد العقيق ابن المهير ورهطه
- ٤- وكيف تريدون العقيق ودونه
- صبخنا ابن ادريس به فتقطرا
- وقد جعلت درعاً عليها ومغفراً
- ودون العقيق الموت ورداً وأحمرأ
- بنو المحصنات اللابسات السنورا

قال يرثي يزيد بن الطثرية :

- ١- ان تقتلوا منا شهيداً صابراً
- ٢- فقد قتلنا منكم مجازراً^(١)
- ٣- عشرين لما يدخلوا المقابرا
- ٤- قتل أصيبقت قُعصاً نحائراً^(٢)
- ٥- نفجاً ترى أرجلها شواغراً^(٣)

- ١- أمي أهل الأراك عفت رُبوع
- ٢- زيارتهم ولكن أخضرتنا
- ٣- كأن البين جرعي زعافاً
- نعم سقياً لهم لو تستطيع
- هموم ما يزال لها مُشيع
- من الحيات مطعمه فظيع

- ٤ - وماء قد وردت على جباه
٥ - جعلت عمامتي صلةً لدلوي
٦ - لاسقي فتيةً ومنقبات
٧ - ركبناها سماتها فلما
٨ - صبحناها السياط محذرجات
٩ - لقد جمع المهير لنا فقلنا
١٠ - سترهنا خيفة إن رانا
١١ - عقىل تغتري بنو قشير
١٢ - وجعدة والحريش ليوث غاب
١٣ - فنعم القوم في اللزبات قومي
١٤ - كهول معقىل الطرداء فيهم
١٥ - فمهاً يا مهير فانت عبد
١٦ - خليل وامق شفق عليها
١٧ - مريع منهم وطن فشمسى
- حمام حائم وقطاً وقوع^(١٣)
إليه حين لم ترد النسوع^(١٤)
أضرً بينفيها سقر وجيع^(١٥)
بدت منها السناين والضلوع^(١٦)
فعرتها الضليعة والضليع^(١٧)
أحسننا تسروغنا الجموع
وفي إيماننا البيض اللموع
تواري عن سواعدها الدروع^(١٨)
لهم في كل معركة صريع
بنو كعب إذا جحد الربيع^(١٩)
وفتيان غطرفة فروع
لكعب سامع لهم مطيع
له منها ابن أربعة رضيع
بعيد من له وطن مريع^(٢٠)

- ٢١ -

تبيت مع الأزام في رأس حالي وترتاد مالم تحتززه المخاوف

- ٢٢ -

قال يرثي ابن الطثرية :

١ - ياعين بكى هملاً على هملاً

٢ - على يزيد ويزيد بن جمل^(٢١)

٣ - قتال أبطال وحوله جلل^(٢٢)

- ٢٣ -

وقال في يوم الفلج : حين جاءهم صريح بني كعب بن ربيعة على بني عجل :

١ - ديار الحي تضربها الطلال من الخافي بها أهل ومال^(٢٣)

- ٢ - وَأَجْدَمَ ذُبُهَا عَوْدًا وَيَذْءَا
- ٣ - بِهَا الْفُدْرُ الرِّيَادُ وَكُلُّ هِقْلٍ
- ٤ - أَمَا وَمُعَلِّمِ التَّوَارَةِ مُوسَى
- ٥ - لَقَدْ كَانَتْ تَوَدُّكَ أُمُّ عَمْرٍو
- ٦ - وَيَبْضُ يَجْعَلُونَ الْهَامَ فِيهَا
- ٧ - وَلَمَّا أَنْ دَعَوْا كَعْبًا وَقَالُوا
- ٨ - أَتَانَا بِالْعَقِيقِ صَرِيحُ كَعْبٍ
- ٩ - ثَلَاثًا ثُمَّ وَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ
- ١٠ - وَحَالَفْنَا السَّيْفَ وَصَافِنَاتٍ
- ١١ - بَنَاتُ بَنَاتِ أَغْوَجَ طَائِحَاتٍ
- ١٢ - شَعِيرَ زَاذْهَهَا وَفَتَيْتُ قَتَ
- ١٣ - وَكَرَدَسَتْ الْحَرِيشُ فَعَارَضُونَا
- ١٤ - وَسَالَتْ مِنْ أَبَاطِحِهَا قُشَيْرٌ
- ١٥ - نَقُودُ الْخَيْلِ كُلُّ أَشَقِّ نَهْدٍ
- ١٦ - تَكَادُ الْجُنُ بِالْفَدَوَاتِ مَنَا
- ١٧ - فَبَتْنَ عَلَى الْعُسَيْلَةِ تُمْسَكَاتٍ
- ١٨ - فَلَمَّا شَقَّ أَبْيَضُ ذُو حَوَاشٍ
- ١٩ - صَبَحْنَاهُمْ نَوَاصِيَهُنَّ شُعْثًا
- ٢٠ - فَلَمَّا جُحِدِلَتْ مَيْتَانِ مِنْهُنَّ
- ٢١ - وَصَارُوا بَيْنَ تُمْتَنَ عَلَيْهِ
- ٢٢ - تَكْفَنُهُمْ حَنِيْفَةٌ بَعْدَ حَوْلٍ
- ٢٣ - أَمِنْكُمْ يَاحَنِيفَ نَعَمْ لَعَمْرِي
- ٢٤ - وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجَرٍ
- ٢٥ - كَانَ الْخَيْلُ طَالِعَةً عَلَيْهِمْ
- بَذْفِيهِ تَعَبَقَرَتِ السُّخَالُ (٢٤)
- كَبِيتِ الرَّفْقَةَ احْتَرَقُوا فَقَالُوا (٢٥)
- وَمَنْ صَلَّى وَصَامَ لَهُ بِلَالُ (٢٦)
- بَذَاتِ الصُّدْرِ إِذْ نَسِيَ الْخِلَالَ (٢٧)
- إِذَا ابْيَضَّتْ مِنَ الْخِلَلِ النَّصَالُ (٢٨)
- نَزَالَ وَعَادَةُ لَهُمْ نَزَالَ (٢٩)
- فَحَنُّ النَّبْعِ وَالْأَسْلُ النَّهَالُ (٣٠)
- رَحَى لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا يُفَالُ (٣١)
- سَوَاءٌ هُنَّ فِينَا وَالْعِيَالُ (٣٢)
- مَدَى الْأَبْصَارِ جَلَّتْهَا الْفِحَالُ (٣٣)
- وَمِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ لَهَا نِعَالُ (٣٤)
- بَخِيلٍ فِي فَوَارِسِهَا اخْتِيَالُ (٣٥)
- بِمَثَلِ أَتَى بِبِشَّةٍ حِينَ سَالُوا (٣٦)
- وَكُلُّ طِمْرَةٍ فِيهَا اعْتَدَالُ (٣٧)
- إِذَا اضْطَفَّتْ كَتَائِبُنَا تِهَالُ (٣٨)
- لَهُنَّ غُدِيَّةٌ رَهَجَ جُفَالُ (٣٩)
- لَهُ حَالٌ وَلِلظُلْمَاءِ حَالُ (٤٠)
- بَيْنَ حَرَارَةٍ وَبِنَا اغْتِلَالُ (٤١)
- وَقَرَّ حَنَانُهُمْ عَنْهُمْ فَزَالُوا (٤٢)
- وَمَنْصُوبٌ لَهُ جَذْعُ طَوَالُ
- وَكَيْفَ يُكْفَنُونَ وَقَدْ أَحَالُوا (٤٣)
- لِحَى تَخْضُوبَةٍ وَدَمٌ سِبْجَالُ (٤٤)
- صِيَاحُ الْبَيْضِ تَقْرَعُهَا النَّصَالُ (٤٥)
- بُقْرَسَانِ الصَّبَاحِ قَطَا رِعَالُ (٤٦)

- ٢٤ -

قال في يوم النَّشَاشِ :

- ١ - وَيَالنَّشَاشِ يَوْمَ طَارَ فِيهِ
- لَنَا ذِكْرٌ وَعُدٌّ لَنَا فَعَالُ

- ٢- كَأَنَّ الْأَيْمَنِ بْنَ ثُمَيْرٍ وإيانا وقد حَسِرَ القتالُ
٣- سَحَابَةٌ صَيِّفٌ لِلْبَرْقِ فِيهَا زَفِيفٌ لَيْلَةٌ اخْتَبَأَ الْهَلَالُ

- ٢٥ -

قال أبو الفرج : نظر بعض فقهاء أهل مكة إلى القحيف ، وهو يجدُّ النظر إلى امرأة ، فنهاه عن ذلك ، وقال له : أما تتقي الله ؟ تنظر هذا النظر إلى غير حُرْمَةٍ لك وأنت محرم ؟ فقال القحيف :

- ١ - أَتَعْنِي مَهْلًا طَلَمًا لَمْ أَقُلْ مَهْلًا وماسرفاً مِ الْآنَ قُلْتُ وَلَا جَهْلًا (٤٧)
٢ - وَإِنْ صَبَا ابْنُ الْأَرْبَعِينَ سَفَاهَةً فكيف مع اللاتي مُثِلْتُ بِهِنَّ مَثَلًا (٤٨)
٣ - عَوَاكِفَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَرُبَّمَا رَأَيْتَ عَيُونَ الْقَوْمِ مِنْ نَحْوِهَا نُجْلًا
٤ - يَقُولُ لِي الْمَفْتِي وَهَنْ عَشِيَّةً بِمَكَّةَ يَسْحَبِينَ الْمُهْدَبَةَ السُّحْلًا (٤٩)
٥ - تَقِي اللَّهَ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ يَافَتِي وما خِلْتَنِي فِي الْحَجِّ مُلْتَمِسًا وَضَلًا (٥٠)
٦ - وَوَاللَّهِ لَا أَتْسَى وَإِنْ شَطَطَتِ النَّوَى عِرَانِيْنَهُنَّ الشَّمُّ وَالْأَعْيُنُ النَّجْلًا (٥١)
٧ - وَلَا الْمِسْكَ مِنْ أَعْرَافِهِنَّ وَلَا الْبَرَى جَوَاعِلُ فِي أَوْسَاطِهَا قَصَبًا خَذَلًا (٥٢)
٨ - خَلِيلِي لَوْلَا اللَّهُ مَا قُلْتُ مَرْحَبًا لِأَوَّلِ شَيْبَاتٍ طَلَعْنَ وَلَا أَهْلًا (٥٣)
٩ - خَلِيلِي إِنَّ الشَّيْبَ دَاءٌ كَرِهْتُهُ فَمَا أَحْسَنَ الْمَرْعَى وَمَا أَقْبَحَ الْمُحَلَا
١٠ - وَمَنْ أَعْجَبَ الدُّنْيَا إِلَيَّ رُجَاجَةٌ تَظَلُّ أَيَادِي الْمُنْتَشِينَ بِهَا قَتْلًا (٥٤)
١١ - يَصُبُّونَ فِيهَا مِنْ كُرُومٍ سُلَافَةٌ يَرُوحُ الْفَقَى عَنْهَا كَأَنَّ بِهِ خَبْلًا

- ٢٦ -

- ١ - أَتَعْرِفُ أَمْ لَا رَسَمَ دَارٍ مُعْطَلًا من العام يمحاء ومن عام أولا (٥٥)
٢ - قَطَارٌ وَتَارَاتٍ خَرِيقٌ كَأَنَّهَا مُضِلَّةٌ بَوٌّ فِي رَعِيلٍ تَعْجَلًا (٥٦)
٣ - وَلَوْ أَنْكَرْتَ ضَمِيمًا حَنِيفَةً خَلَقْتُ بِهَا الْمُغْرِبُ الْعَنْقَاءَ حَوْلًا مُكْمَلًا
٤ - وَفِي الصَّخَصَجِيِّينَ الَّذِينَ تَرَحَّلُوا كَوَاعِبُ مِنْ بَكْرِ تُسَامُ وَنُجْلًا
٥ - أَخَذَنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وَأَمْهَرَنَ أَرْمَاحًا مِنْ الْخَطِّ ذُبْلًا

- ٢٧ -

حيًا وحياءً ما تَضَرُّ جَنُودُهُ بريئًا وتختصُّ الأئيمُ الْمُعْتَلَا

- ٢٨ -

- ١- على كل ذئالٍ أطار نسيئَهُ عبابُ الحيا والخصبِ حتى ثقيلًا
- ٢- رعى الروضَ والقريانَ حتى إذا رأى نصالَ السُفَا من حيث رُكُنُ نُصْلا

- ٢٩ -

- ١- عاثت في العقيقِ بنو قُشَيْرٍ كعيثِ جَعَارٍ في أخرى الرُحالِ
- ٢- خنائى يأكلونَ التمرَ لئسوا بزوجاتٍ يلدنَ ولا رجالِ

- ٣٠ -

- ١- فلولا السريُّ الهاشمي وسيفهُ أعاد عبيدُ الله يوماً على عُكلِ

- ٣١ -

- ١- لقد لقيتُ أفناء بكر بن وائل وهزانَ بالبطحاءِ ضرباً غثمًا^(٥٧)
- ٢- إذا ما غَضِبنا غَضِبَةً مُضِرَّةً هنكنا حجابَ الشمسِ أو قَطَرَت دما^(٥٨)

- ٣٢ -

- ١- سلوا فَلَجَ الأفلاجِ عَنَّا وعنكم وأكَمَّةً أذ سالت سرارتها دما
- ٢- عشيَّةً لو شئنا سَبَّينا نساءكم ولكنَّ صَفَحنا عِزَّةً وتكرُما
- ٣- عشيَّةً جاءت من عُقيلٍ عِصَابَةٌ تقدَّم من أبطالها مَنْ تقدَّما

- ٣٣ -

- ١- فإن تضربونا بالسياطِ فإننا ضربناكم بالمرهفاتِ الصوارِمِ
- ٢- وإنَّ تخلقوا منا الرؤوسِ فإننا قطعنا رؤوساً منكم بالفلاصِمِ

- ٣٤ -

قال يمدح حكيم بن المسيب القشيري :

- ١- إذا رَضِيتَ عليَّ بنو قُشَيْرٍ لعمرُ الله أعجَبني رضاها^(٥٩)
- ٢- ولا تنبو سيوفُ بني قُشَيْرٍ ولا تُضي الأسنَةُ في صفاها^(٦٠)

- ٣- تَنَضُّبْتُ الْقِلَاصَ إِلَى حَكِيمٍ خَوَارِجَ مِنْ تَبَالَةٍ أَوْ مَنَاهَا^(١)
٤- فَمَا رَجَعْتُ بِخَائِبَةٍ رِكَابَ حَكِيمٍ بِنِ الْمُسَيِّبِ مُنْتَهَاهَا^(٢)

- ٣٥ -

قال يرثي يزيد بن الطثرية :

- ١- أَلَا تَبْكِي سَرَاةَ بَنِي قُشَيْرٍ عَلَى صِنْدِيدِهَا وَعَلَى قَتَاها
٢- فَإِنْ يُقْتَلُ يَزِيدٌ فَقَدْ قَتَلْنَا سَرَاتَهُمُ الْكَهُولَ عَلَى لَحَاها
٣- أبا المكشوحِ بَعْدَكَ مِنْ يُحَامِي وَمَنْ يُزْجِي الْمَطِيَّ عَلَى وَجَاها

- ٣٦ -

- ١- وَمَخْتَبِطُ بَيْتٍ إِذْ جَاءَ طَارِقًا وَأَحْسَنْتُ مِثْوَاهُ وَأَسْرَرْتُ مَا يَهْوَى
٢- فَبَاتَ دَفِيًّا طَاعِمًا غَيْرَ مُؤَبِّبٍ إِلَى أَنْ غَدَا مُرْغَى وَأَعْلَنْتُ مَا يُرْوَى

بغداد : د. حاتم صالح الضامن

[الحواشي] :

(*) [أرى صواب كلمة (حزنان) : (خزان) بالخاء المعجمة بعدها زاي فآلف فنون - جمع خرز : وهو ذكر الأرناب ، ويضرب به أبناء البادية المثل في سرعة الهرب فيقولون : أخوف من الخرز ، وأهرب من الخرز . كما يقولون ذلك على الأرناب . وأضيف إلى طخفة لكثرة أرنابها ، إذ حولها شعاب وأودية كثيرة تألفها الأرناب إلى عهدنا هذا . أما فيشان والنقب فهما من قرى بني حنيفة ، كما في كتاب « صفة جزيرة العرب » - ٢٥٤ - ط « دار اليمامة » - محمد]

- (١) حريها : رسولها .
- (٢) « الأغاني » : بالهم .
- (٣) « الزهرة » : منبهرات .
- (٤) « الأغاني » : تساقط نفسي ... فاتها « الزهرة » من قد فاتها .
- (٥) القنير : رؤوس المسامير . السمر : شد الشيء بالمسار . الفين : الحداد .
- (٦) العقائل : جمع عقيلة ، وهي كرائم الابل . والمقاحيد : جمع مقحاد . وهي الناقة العظيمة الفحلة وهي السنام .
- (٧) إبراهيم بن عاصم العقيلي ، أحد قواد أسد بن عبدالله القسري ، أخى خالد بن عبدالله القسري . والأشهب الذي ورد ذكره في مقدمة القصيدة هو الأشهب بن عبدالله بن كليب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل من بني عم القحيف ، ذكره الأمازي في « المؤلف والمختلف » وهو شاعر « هامش طبقات ابن سلام » ٧٩١ .
- (٨) في الأصل : هن القنا . وهو تحريف .
- (٩) في الأصل : من كل همة . وهو تحريف . قال ياقوت : ويروى : سقى الفلج العادي .

- (١٠) « الأغاني » : فقد تركنا .
 (١١) القمص : القتل السريع .
 (١٢) نفجا : من الانتفاج ، وهو الارتفاع . شواغر : مرفوعات .
 (١٣) الجبى : الماء المجموع في الحوض للإبل . وفي « طبقات ابن سلام » : وماء قد يظل .
 (١٤) النسوع : جمع نسع ، وهو سير مضفور يجعل زماما للبعير . وفي « طبقات ابن سلام » : يتبلغ إذا تقاصرت النسوع .
 (١٥) منقيات : رقيقة الأخفاف . النقي : مخ العظام . وفي « طبقات ابن سلام » : ومنقيات ... أضر بنيتها . وفي « اللسان » : ومنقيات ... رجيع .
 (١٦) السنانس : حروف فقار الظهر ، أو رؤوس أطراف عظام الصدر .
 (١٧) محدرة : مفتولة . يقال : حدرج السوط أي قتله وأحكمه حتى استوى وصار أملس . وعزتها : غلبتها . الضليعة والضليع : القوي الشديد الأضلاع الواسع الجنبين .
 (١٨) تغتري : تقصد .
 (١٩) اللزبات : الشدائد .
 (٢٠) مربع وشسمى : موضعان .
 (٢١) « الأغاني » : حمل ، بالحاء المهملة .
 (٢٢) « الأغاني » : جرار حلل . والحلل : جمع حلة ، بالكسر ، وهم القوم النزول ، وفيهم كثرة .
 (٢٣) الطلال : جمع طل ، وهو مطر صفار القطر . الخافي : الجن ، وأرض خافية : بها جن .
 (٢٤) أجزم : أسرع . الذب : الثور الوحشي . تعبرت : جنت ، أي صارت كأنها في أرض عبق ، وهي أرض الجن ، والسخال : جمع سخلة : وهي ولد الشاة . والدف : صفحة الجنب .
 (٢٥) الفدر ، من الرعول : السن منها أو الشاب التام . الرياد : من راد يرود ، إذا جاء وذهب لم يطمن ولم يستقر . المحفل : الظليم (ذكر النعام) . احترقوا : من شدة حر الشمس . قالوا : من القيلولة .
 (٢٦) بلال : هو ابن رباح الحبشي ، مؤذن الرسول ﷺ .
 (٢٧) ذات الصدر : اسم مكان على الأغلب . الحلال : المصادقة .
 (٢٨) البيض : جمع بيضة وهي الخوذة التي توضع على الرأس . الحفلل : منفرج مابين الصفوف في الحرب .
 (٢٩) النصال : جمع نصل ، وهو حديدة السيف أو السهم .
 (٣٠) في البيت اقواء .
 (٣١) العقيق : عقيق اليامة ، وهو واد واسع ، وهولبي عقيق . الصريخ : المستغيث . النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . الأسل : نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق ، عدة الأطراف معتدلة ، وسميت الرماح أسلا على التشبيه به . والنهال : المتعشة إلى الدم ، فإذا شربت منه رويت .
 (٣٢) ثلاثا : أي ثلاث ليال . الثفال : جلد يسط تحت رجلي اليد ليقب الطحين من التراب .
 (٣٣) الصافنات : الجياد . وصفنت الفرس : إذا قامت على ثلاث . وفي « الأغاني » : ومضمرات . أعوج : فرس عتيق . وطمع بصره إلى الشيء : ارتفع . ومدى البصر : متناه . جلة : جمع جليل ، وهو المسن . وفي « أدب الكاتب » وشرحيه : ملجيات ... عليتها الفحال .
 (٣٤) القت : أجود علف الخيل . ماء الحديد : أي الحديد نفسه أذيب ثم سبك .
 ورواية « الأغاني » :

- وتعادى شربا مثل السعالي ومن زبر الحديد لها نعال
 (٣٥) كرددس القائد خيله : جعلها كتيبة كتيبة . والحريش : من بطون بني كعب بن ربيعة . الاختيال : الزهو والتيه . وفي الصناعتين : من فوارسها .

(٣٦) الأباطح : جمع أبطح ، وهو بطن الوادي ومسيل مائه . ويشة : واد . الآي : السيل . ورواية « اللسان » :

وجاءت من أباطحها قريش كسيل آي بيشة حين سالا

(٣٧) أشق : طويل . نهد : جسيم قوي . طمر : طويل القوائم خفيف . وفي « الاقتصاب » : نعوذ .

(٣٨) تمال : تفرع من شدة الحول . وفي « معجم البلدان » : اذا صفت كتابها .

(٣٩) العسيلة : ماء في جبل قنان (؟) . الرهيج : الغبار . وعجز البيت في « معجم البلدان » : بين حرارة وبها اغتلال .

(٤٠) أبيض ذو حواش : أي الفجر . وشق الفجر : طلع .

(٤١) النواصي : جمع ناصية ، وهي منبت الشعر في مقدم الرأس . والشعث : المتفرقة الشعر . الاغتلال : من الغليل والغلة ، وهو حرارة الجوف من العداوة والغيظ والشوق وغيرها .

(٤٢) جحدلت : صرعت . الخنان : أراد رئيس القوم الذي يلوذون به .

(٤٣) أحال : حال عليه الحول ، أي اتت عليه سنة كاملة .

(٤٤) سجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة . وسجل الماء سجلا : صبه صبا .

(٤٥) حجر : مدينة اليمامة .

(٤٦) الرعال : جمع رجيل ورعلة ، وهي القطعة المقدمة من الخيل .

(٤٧) « زهر الآداب » : خليلي مهلا .

(٤٨) « الأغاني » : لسبة بدل سفاهة . مثلن بنا مثلا .

« زهر الآداب » : اللات يدل اللاتي . ومثل بالرجل : نكل به .

(٤٩) « الأغاني » : يلنحن . والمهدة السحل : الثياب البيض الرقيقة ذات الأهداب .

(٥٠) « زهر الآداب » : بالهج .

(٥١) « الأغاني » : اقسمت لا أنسى . « زهر الآداب » : فوالله .

(٥٢) « الأغاني » : أعطافهن ... ضمنن وقد لوينها قضيا خدلا .

والبرى : جمع برة ، وهي الحلقة من خلخال أو سوار . والخلدل من النساء : الغليظة الساق ، ويقال : غلخلها خدل أي ضخم .

(٥٣) « زهر الآداب » : ... لا والله .

(٥٤) قال القالي : وهذا البيت شاهد على أن اليد العضو تجمع أيادي .

(٥٥) « اللسان » : و « الخزائن » : يقشاه .

(٥٦) « اللسان » : حريق ، بالحاء المهملة . ومضلة ، بفتح الميم والضاد .

(٥٧) الغشمشم : الكثير الظلم .

(٥٨) قال الأملدي : أخذ هذا البيت بشار فأدخله في قصيدته .

(٥٩) هو من شواهد النحو المشهورة على أن (على) بمعنى (عن) .

(٦٠) يريد أن سيفهم قاطعة لا تنبو عن شيء ، وأسنة غيرهم لا تؤثر فيهم ، فانهم كالصخرة المساء ، وهي الصفا .

(٦١) تنضيت : يقال : انضى فلان بعيره ، أي هزله . القلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة . تبالة : بلدة معروفة . مناه : أي من مكان قريب منها .

(٦٢) هو من شواهد النحو على أن الباء قد زيدت في الحال المنفية .

تخريج الشعر :

١ - والحامسة البصرية ٩/١ .

- ٢ - «الموشح» ٣٤٥ (هامش الأصل).
- ٣ - «معجم البلدان» ٢٨٥/٤ (فيشان).
- ٤ - «الأغاني» ٨٩/٢٤. قال أبو الفرج: ويروى لنجدة الخفاجي.
- ٥ - البيتان ٢٠١ في «معجم البلدان» ٢٧٢/٤ (فلج).
- البيتان ٣٠١ في «هامش الموشح» ٣٤٥.
- البيت الأول في «معجم البلدان» ٢٨٦/٥ (النشاش).
- البيت الرابع في «اللسان» و«التاج» (مهمل).
- ٦ - «الأغاني» ٨٥/٢٤.
- ٧ - «معجم البلدان» ١٤٥/٥ (معدن البرم).
- ٨ - «الحماسة الشجرية» ٥٤٢/١ عدا الأول. الأبيات ٥، ٤، ٣، ٢، ١ في «الزهرة» ١١/١. البيتان ٥، ١ في «الأغاني» ٨٢/٢٤.
- ٩ - «معجم البلدان» ٢٨٢/١ (أوق).
- ١٠ - «معجم البلدان» ٤٩٤/٢ (الخنوقة).
- ١٠ ب - «الفصوص» ٤٣٧.
- ١١ - مجلة «العرب» س ١ ص ٤١٤.
- ١٢ - «الأغاني» ٨٥/٢٤.
- ١٣ - «الفصوص» ٤٣٧، والبيتان ٤، ٣ في «طبقات فحول الشعراء» ٧٩١.
- ١٤ - «معجم البلدان» ٤٧١/١ (فلج).
- ١٥ - «معجم البلدان» ٤٧١/١ (بقر).
- ١٦ - «معجم البلدان» ٤٣٦/٤ (كتهان).
- ١٧ - «الفصوص» ٤٣٧، السادس فقط في «الأزمة والامكنة» ٢٣/٢.
- ١٨ - «معجم البلدان» ١٣٩/٤ (العقيق).
- ١٩ - «أسماء المغتالين» ٢٤٨، «الأغاني» ١٨٢/٨.
- ٢٠ - الأبيات ١-٦، ٩-١٥ في «الأغاني» ٨٧/٢٤-٨٨ والأبيات ٤-٨ في «طبقات فحول الشعراء» ٧٩٧ والأبيات ١، ٢، ١٦، ١٧ في «معجم البلدان» ١١٨/٥ (مربع) البيتان ١، ٣ في «معجم الشعراء» ٢١١ والبيت الخامس في «شرح مايقع فيه التصحيح» ٣٨٣، والسادس في «اللسان» (رجع)، والسابع بلا عزو في «اللسان» (سمن) والثامن في «اللسان» (حدرج)، والسابع عشر في «معجم البلدان» ٣٤٢/٣ (شمس).
- ٢١ - «تهذيب اللغة» ٢١٩/١٣، «اللسان» و«التاج» (زلم).
- ٢٢ - «أسماء المغتالين» ٢٤٨، «الأغاني» ١٨٢/٨.
- ٢٣ - الأبيات عدا السادس والسابع في «طبقات فحول الشعراء» ٧٩٢-٧٩٦.
- الأبيات ٦-٨ في «البرصان والعرجان» ٢٦٩، الأبيات ٨، ١٠، ١٢ في «الأغاني» ٨٩/٢٤، الأبيات ١٠، ١١، ١٥ في «الاقتضاب» ٢٥٥/٣، الأبيات ١٥-١٧ في «معجم البلدان» ١٢٥/٤، البيتان ٨، ١٤ في «اللسان» (قوا)، البيت الأول في «التهام» ١١٨، والبيت ١١ في «أدب الكاتب» ٣١٨ و«شرح مايقع فيه التصحيح والتحرير» ٣٨٣، و«شرح أدب الكاتب» ٣٠٠، البيت ٢٣ في «العمدة» ٤٧/٢، البيت ٢٤ في «معجم الشعراء» ٢٢١، عجز البيت ١٣ في «الصناعتين» ٣٣٦.
- ٢٤ - «المكاثرة عند المذاكرة».
- ٢٥ - الأبيات ١، ٢، ٤، ٩ بلا عزو في «أمالي القاضي» ١٢٤/٢ و«زهر الأدب» ١٠٥٧ وأكد نسبتها إلى

المجموع من شعر القحيف العقيلي

[وهذا علامة جليل يعنى بشعر القحيف هو الأستاذ الدكتور شاعر الفحام ، ذو الجهد المشكور في إبراز نسخة فريدة من شعر الفرزدق .

وفي هذا البحث المتنع عن القحيف ما يضيف إلى دراسة أستاذنا الدكتور الضامن معلومات تجعلها وتكملها ، كما يصحح بعض أخطاء وقعت في المحاولة التي قامت بها مجلة « العرب » بجمع شعر هذا الشاعر في ستها الأولى .

وهذا ما دعى مجلة « العرب » لنشره نقلاً عن مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » ج ٦٢ م ٣ ص ٦٦٥] .

(١)

هو القُحَيْفُ^(١) بن خُمَيْر^(٢) بن سُلَيْم^(٣) النُدَي^(٤) بن عبد الله بن عوف بن حزن

القحيف البكري في « التنبيه واللالى » إذ قال : هذا الشعر أشهر بالنسبة إلى القحيف العقيلي من أن يرتاب به مرتاب أو يشك فيه شاك .

الآيات ٢-٧ في « الأغاني » ٨٩/٢٤ - ٩٠ ، الآيات ١ ، ٢ ، ١٠ ، ١١ في « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » ١٠٥ ، الآيات ١ ، ١٠ ، ١١ في « اللالي » ٧٥١ .

٢٦- « النوادر في اللغة » ٢٠٨ ، الأول والثاني في « اللسان » (رعل) و « خزنة الأدب » ٣٤١/٢ والخامس بلا عزو في « المعاني الكبير » ١٠٩٥ .

٢٧- « نضرة الأغريض » ٦٠ .

٢٨- « أدب الخواص » ١١٣ .

٢٩- « الأمثال » (لمورج) ٤٩ ، الثاني بلا عزو في « كتاب سيويه » ١٩٦/٢ وهو برواية أخرى في « اللسان » (خنث) .

٣٠- مجلة « العرب » س ١ ص ٥٥٣ .

٣١- « المؤلف والمختلف » ١٢٩ ، « اللسان » (غشم) ، « التذكرة السعدية » ١٨٥ .

٣٢- « معجم البلدان » ٢٧١/٤ (فليج) .

٣٣- مجلة « العرب » س ١ ص ٥٥٧ .

٣٤- « خزنة الأدب » ٢٤٧/٣ - ٢٤٩ و شرح أبيات مغني اللبيب ٢٣١/٣ و ٣٩١/٢ البيتان ٢ ، ١ في « مجاز القرآن » ٨٤/٢ و نوادر أبي زيد ، ١٧٦ و « الاقتضاب » ٣٤١/٣ و « اللسان » (رضي) و « المقاصد النحوية » ٢٨٢/٣ و شرح شواهد المغني ، ٤١٦ ، الأول في « الكامل » ٥٣٨ و ٨٢٤ و « المقتضب » ٣٢٠/٢ و « جهرة اللغة » ٤٩١/٣ و « المحتسب » ٥٢/١ و « الخصائص » ٣١١/٢ و « الاقتضاب » ٢٦٦/٢ و « الانصاف » ٦٣٠ و شرح المفصل ، ١٢٠/١ و « معجم المواع » ٢٨/٢ و « الدرر اللوامع » ٢٢/٢ ، وينظر « معجم شواهد اللغة » ٤١٥ . والرابع في « مغني اللبيب » و « معجم المواع » ١٢٧/١ و « الدرر اللوامع » ١٠١/١ وينظر « معجم شواهد اللغة » ٤١٦ و « معجم شواهد النحو الشعرية » ٦٨٦ .

٣٥- « الأغاني » ١١٨/٨ و « فيات الأعيان » ٣٧٤/٦ ، و « مختار الأغاني » ٣٤٥/٨ الأول والثالث في « معجم الشعراء » ٢١١ .

٣٦- « الأمثال » لأبي عكرمة ٢٥ ، الأول بلا عزو في « الزاهر » ١٥٧/١ .

ابن خفاجة (واسمه معاوية)^(٥) بن عمرو بن عُقَيْل^(٦) بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة^(٧) . وقد جاءت نسبته في كتب الأقدمين : الخفاجي تارة ، والعامري تارة ، والعقيلي في الأعم الأغلب .

وهو شاعر إسلامي مقل^(٨) . عدّه ابن سلام في الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين وهم أربعة رهط : مزاحم بن الحارث العقيلي ، ويزيد بن الطثرية القشيري ، وأبودوداد الرؤاسي ، والقحيف العقيلي ، فالطبقة كلها من بني عامر ابن صعصعة^(٩) .

وكان القحيف من أجمل الرجال^(١٠) ، شُبِّبَ بخرقاء محبوبة ذي الرمة^(١١) . وله أشعار في الفتنة التي نشبت بين قومه وبين بني حنيفة عقب مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك (سنة ١٢٦ هـ)^(١٢) ، ويقول الأمدي في صفته : (شاعر محسن كثير الذبّ عن قومه)^(١٣) . ولعل الأصمعي قسا عليه حين سئل عنه فقال : (ليس بفصيح ولا حجة)^(١٤) .

(٢)

تحدث أبو عبيد البكري في « التنبيه » عن ديوان شعر القحيف العقيلي^(١٥) ، ورأى الإمام الصغاني ديوانه بخط محمد بن حبيب الراوية الكبير^(١٦) . أما المتأخرون من العلماء فلم يروا الديوان ، وكانوا ينقلون في كتبهم ما أورده الصغاني^(١٧) .

وعُنِيَتْ بالقحيف وأخباره وأشعاره أيام كنتُ أدرس شعر بشار بن برد في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ م ، فقد اختلطت أبيات من تائية القحيف التي يفخر فيها بيوم النشاش بأبيات من شعر بشار بن برد^(١٨) . وقيل إن بشاراً أخذ بيتاً له ليضمه إلى ميميته الشهيرة^(١٩) . فحركني ذلك لتتبع أخبار الشاعر وتقصي أشعاره ، ثم اطلعت من بعد على كلمة الأستاذ كرنكو التي علّق بها على ترجمة القحيف بن خمير في المؤلف والمختلف للأمدي وهي : (قد جمعتُ ونشرتُ ما بقي من شعره في مجلة المجمع الآسيوي البريطاني)^(٢٠) ، فجهدتُ وجاهدتُ حتى وُفِّقتُ للحصول عليها .

عُرف الأستاذ الدكتور فريتس كرنكو (سالم الكرنكوي) بعلمه وسعة اطلاعه على التراث العربي ، ونشره الكثير الجيد من الدواوين والمصنفات العربية . وقد شمر عن ساعد الجد لجمع أشعار القحيف العقيلي ، ونشرها في مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان - ١٩١٣ م) ص : ٣٤١ - ٣٦٨ ، المبحث الرابع عشر .

بدأ كرنكو فقدّم للشاعر وعصره (ص ٣٤١ - ٣٤٩) ، ثم نشر ما حظي به من أشعاره ، فبلغ (١٠٢) بيت ، ونصف بيت (ص ٣٤٩ - ٣٦٨) ، موزعة إلى (٢٤) ما بين بيت مفرد ونتفة ومقطعة وقصيدة ، مرتبة على حروف الهجاء ، ماعدا النتفة (٢٤) وهي بائية . وقد ذيل الأستاذ كرنكو كل شعر بترجمته الانكليزية ، وخرج الأبيات في مظانها من كتب الأدب والتاريخ والتراجم والمحاضرات والبلدان . ثم ألحق بها المقطعة (٢٥) وهي أربعة أبيات عينية ، نص الأستاذ كرنكو على أنها للقحيف العجلي ، وهو غير القحيف العقيلي^(٢١) .

وهذه جملة الكتب التي استعان بها الدكتور كرنكو في جمع أشعار القحيف : « أساس البلاغة » ، « الأغاني » ، « الاقتضاب » ، « تاج العروس » ، « تفسير الطبري » ، « الحماسة البصرية » ، « خزانة الأدب » ، « المقاصد النحوية » ، « للعيني » ، « الصحاح » ، كتاب « الصناعتين » ، « العمدة » لابن رشيق ، « الكامل » للمبرد ، « الكامل » لابن الأثير ، « لسان العرب » ، « مجمع الأمثال » ، « مجموعة المعاني » ، « المخصص » لابن سيده ، « معجم البلدان » ، « مغني اللبيب » ، نواذر أبي زيد الأنصاري .

لعله يحسن أن نشير إلى أن البيت المفرد (١٤) الذي أورده الأستاذ كرنكو يحتمل ألا يكون للقحيف . فقد جاء في « معجم البلدان » لياقوت : (ذو الصُّوَر : من عقيق المدينة ، وفيه يقول العقيلي :
ظرابي منتفة لحاما تسافد في أثائب ذي صوير)
وهذا النص لا يقطع بنسبته البيت إلى القحيف ، ففي عقيل غير ما شاعر .

كذلك فانه أورد في القصيدة اللامية (١٩) ورويًا مرفوعً البيتين :

وبالنشاش مقتلةً ستبقى على النشاش مابقي الليالي
فأذللنا اليامة بعد عز كما ذلت لواطتها النعال

وهما بيتان أوردهما الميداني في « مجمع الأمثال » (٢ : ٣٩٨ - ٣٩٩ / يوم
النشاش) ، دون أن يذكر اسم قائلهما . والقطع بأنهما للقحيف العقيلي يحتاج إلى
دليل واضح .

فإذا أدرجنا هذه الأبيات الثلاثة في المشكوك من شعره حتى نصل فيه إلى
اليقين ، كان ما بقي من شعر القحيف العقيلي الذي جمعه الأستاذ كرنكو (٩٩)
بيتاً ونصف بيت .

(٤)

ثم قام الأستاذ العلامة حمد الجاسر بجمع ثانٍ لشعر القحيف العقيلي ، ونشره
في مجلته الغراء « العرب » (٢٢) . وقد جعل الأستاذ الجاسر عمود عمله ما نهض به
الأستاذ كرنكو ، وضَم إليه ما أُتيح له معرفته من شعر الشاعر مما لم يذكره
كرنكو (٢٣) ، ثم خرَّج الأستاذ الجاسر الشعر من مظانه من كتب التراث ، ولم
يبالغ في التخريج مشيراً إلى عمل كرنكو في جمعه السابق .

نسق الأستاذ العلامة الجاسر ما جمعه في (٢٣) ما بين بيت مفرد ونثفة ومقطعة
وقصيدة ، كرَّر فيها الرقم (١٥) ، وضَم إليها من بعد بيتان (٢٤) ، فيصبح العدد
(٢٥) .

ولكن التحقيق يدعو إلى إسقاط البيت (١٨) :

فلولا السريّ الهاشمي وسيفه أعاد عبيدُ الله يوماً على عكلٍ
فهو لنوح ابن الشاعر الإسلامي الكبير جرير بن عطية بن الخطّفى ، وليس
للقحيف (٢٥) .

كذلك لابدّ من إسقاط البيتين (٢٣) :

فإن تضربونا بالسياط فإننا ضربناكم بالمرهفات الصوارم
 وإن تحلقوا بنا الرؤوس فإننا قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصم
 فهما لرجل من حنيفة وليسا للقحيف^(٢٦) . وتبقى عدة الأبيات التي نشرها الأستاذ
 حمد الجاسر بعد الاسقاط (١١٨) بيت ، من شعر القحيف .
 ويبدولي أن شيئاً من الخلخل قد وقع في أثناء الطبع ، فسقطت جملة أبيات كان
 الأستاذ كرنكو قد رواها في جمعه السابق ، ولا يعقل أن يتناساها الأستاذ العلامة
 الجاسر . وهذه هي :

١ - سقط من المقطعة (٦) قول القحيف :
 فيا حبذا قيسٌ لدى كل موطن يزایل هام القوم فيها رقابها
 وهو وارد في جمع الأستاذ كرنكو ، المقطعة (٣) وهي خمسة أبيات رواها
 صاحب الحماسة البصرية^(٢٧) .

٢ - سقط من تجميع الأستاذ حمد الجاسر المقطعة (٨) التي رواها الأستاذ
 كرنكو ، وهي ثلاثة أبيات :

فمن مبلغ عني قريشاً رسالةً وأفناء قيس حيث سارت وحلّت
 بأننا تلافينا حنيفة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولّت
 لقد نزلت في معدن البرم نزلةً فلاياً بلايٍ من أضاخ استقلت
 وهذه المقطعة مما رواه ياقوت في « معجم البلدان » .

٣ - سقطت المقطعة (١٠) التي رواها الأستاذ كرنكو وهي أربعة أبيات :

تقول لي أخت عيسٍ ما أرى إبلاً وأنت تزعم من والاك صنديدُ
 فقلت يكفي مكان اللوم مطرد فيه القتير بسمر القين مشدودُ
 وشكة صاغها (٩) وفراء كاملة وصارم من سيوف الهند مقدودُ
 إني ليرعى رجال لي سوامهم لي العقائل منها والمقاحيد
 وذكر كرنكو أنه استمد الأبيات من كتاب الأغاني^(٢٨) .

٤ - أسقط الأستاذ الجاسر بيتاً رواه الأستاذ كرنكو (القصيدة ١٩) وهو :
وبالنشاش يوم طار فيه لنا ذكرٌ وعُدُّ لنا فعالٌ
وهو بيت أورده ابن الأثير في أحداث يوم النشاش منسوباً إلى القحيف
العقيلي (٢٩) .

فاذا أضفنا هذه الأبيات التسعة إلى ما جمعه الأستاذ الجاسر خلص لنا من شعر
القحيف العقيلي (١٢٧) بيتاً .

أما المصادر التي عاد إليها الأستاذ العلامة حمد الجاسر في تخريج الشعر الذي
جمعه فهي : « الأغاني » ، « الأماي » للقالبي ، « الأمثال » لمؤرج السدوسي ،
« التنبيه » للبكري ، « حماسة ابن الشجري » ، « الحماسة البصرية » ، « خزنة
الأدب » ، « شرح شواهد المغني » ، « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام ،
كرنكو (مجلة المجمع الآسيوي البريطاني / نيسان - ١٩١٣ م) ، « معجم
البلدان » ، « المؤلف والمختلف » ، للأمدي .

(٥)

وبعد مضي ثلاث وسبعين سنة على المجمع الأول نهض الأستاذ الدكتور حاتم
صالح الضامن بجمع ثالث لشعر القحيف العقيلي ، ونشره في مجلة المجمع
العراقي (٣٠) . واستوعب جمعه أشعار القحيف العقيلي التي أوردها الأستاذان
الفاضلان : كرنكو والجاسر ، وأضاف إليهما ما عثر عليه من شعر القحيف في
مختلف المصادر . وعُني بتخريج الأشعار عناية تجاوزت الحد الذي انتهجه
الأستاذان الجليلان كرنكو والجاسر ، وإن لم يستقص في تخريجه المصادر كلها ،
فالاستقصاء بحر لا ساحل له ، ويصعب على المرء أن يحيط بجميع مظان
الشعر ، ويطلع على مواطن وروده كافة .

رتب الأستاذ الضامن أشعار القحيف على حروف الهجاء ، وبلغت (٣٦)
مايين بيت مفرد ونتفة ومقطعة وقصيدة ، فاذا أسقطنا منها البيت (٣٠) وهولنوح
ابن جرير بن عطية بن الخطّفي ، والبيتين (٣٢) وهما لرجل من حنيفة ، وقد تابع

الأستاذ الضامن في إثباتها مجلة « العرب » الغراء^(٣١) ، تبقى عدة الأبيات التي جمعها الأستاذ الدكتور الضامن (١٣٩) بيتاً ، خالصة للقحيف . وبلغت الزيادة التي أضافها الأستاذ الضامن إلى مجموع ماجاء في الجمعين السابقين لشعر القحيف (١٢) بيتاً . وهذه هي :

١ - البيت المفرد ذو الرقم (٢) .

٢ - البيت الثالث في المقطعة ذات الرقم (٥) .

وقد ورد البيتان في « الموشح » للمرزباني (مصر ١٩٦٥ م) : ٣٤٥ ، أثبتهما محقق الكتاب الأستاذ البجاوي في الحاشية نقلاً من تعليق كتبه الأستاذ محمد محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي على هامش نسخته الخطية (٢٦ ش) .

٣ - البيت المفرد ذو الرقم (١٧) .

وقد استمده الأستاذ الضامن من كتاب « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي (٢ : ٢٣) .

٤ ، ٥ - البيتان السادس والسابع في القصيدة ذات الرقم (٢٣) .

وقد جاء في كتاب « البرصان والعرجان » للجاحظ .

٦ ، ٧ - البيتان الثاني والثالث من المقطعة ذات الرقم (٢٤) .

والبيتان مستمدان من كتاب « المكاثرة عند المذاكرة » .

٨ - البيت المفرد ذو الرقم (٢٧) .

وهو مستمد من كتاب « نضرة الاغريض » .

٩ ، ١٠ - البيتان ذوا الرقم (٢٨) .

وقد جاء في كتاب « أدب الخواص » .

١١ ، ١٢ - البيتان ذوا الرقم (٣٦) .

وهما مستمدان من كتاب « الأمثال » لأبي عكرمة الضبي ، والأول منها في كتاب « الزاهر » بلا عزو .

عَدَد الأستاذ الضامن المصادر التي وأل إليها في جمع شعر القحيف فبلغت (٥٨) مصدراً (٣٣) . ستة عشر مصدراً منها أوردها فقط في معرض تخريج بيت أو بيتين من مقطعة القحيف التي يمدح بها حكيم بن المسيب القشيري :

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبي رضاها
ولا تنبو سيف بني قشير ولا تمضي الأسيئة في صفاها
تنضيت القلاص إلى حكيم خوارج من تبالة أو مناها
فما رجعت بخائبة ركب حكيم بن المسيب منتهاها

فقد تداول النحاة واللغويون البيت الأول منها شاهداً على مجيء (على) بمعنى (عن) . ويرى أبو العباس المبرد أن بني كعب بن ربيعة بن عامر يقولون : رضي الله عليك . كذلك فقد تداولوا البيت الرابع منها شاهداً على زيادة الباء في الحال المنفي عاملها .

وأورد الأستاذ الضامن في مصادره كتابي « أمالي ابن الشجري » و « فصل المقال » ، ويبدو أنه سها عن إيرادهما في تعليقات التخريج . وليس في الكتاين من شعر القحيف إلا البيت الأول من المقطعة المذكورة .

(٦)

قلتُ آنفاً إن الاحاطة بالمصادر واستقصاء ما جاء فيها من شعر القحيف أمر محسير المثال ، وبينتُ أن الأستاذ الدكتور الضامن قد عني بتخريج شعر القحيف في شتى المصادر فأحسن صنعاً . وقد رأيتُ أن أضمّ إلى ما قام به تعداد ما أورده الأستاذ كرنكو في جمعه من مصادر لم يذكرها الأستاذ الضامن ، ثم ما أثبتته على هامش نسختي حين كنت أطلع شعر القحيف .

المقطوعة (٥) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيت الأول من المقطوعة ورد في « تاج العروس » (نشش) .

المقطوعة (٦) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيتين الأول والثاني وردا في « الأغاني » في ترجمة ذي الرمة ، ثم وردا في ترجمة الفحيف . وأن الثاني منها ذكر مرتين أيضاً في ترجمة الفحيف ، ومرة في ترجمة ذي الرمة .

المقطوعة (٧) :

وجدتُ في تعليقاتي أني ألحقت بالأبيات الثلاثة بيتاً رابعاً :
تشكُّ نُميرٌ بالقنا صفحاتهم فكم ثم من نذر لها قد أحلت
عثر علىه في كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري (٣٤) .

المقطوعة (٩) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن الزبيدي (« تاج العروس » ٦ : ٢٨٢) أورد البيتين (٢ ، ٣) نقلاً عن الصغاني .

البيتان (١١) :

استمدهما كرنكو من كتاب « الكامل » لابن الأثير .

البيتان (١٥) :

جاء في تعليقاتي أن البيتين وردا في « شرح أبيات مغني اللبيب » ٧ : ٣٢ .

القصيدة (٢٠) :

جاء في تعليقاتي أن البيت الثامن ورد في « التاج » ٢ : ٢٠ .

وأن صدر البيت الخامس جاء في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ٢ : ١٠٨ .

المقطعة (٢٤) :

استمد كرنكو البيت الأول من « الكامل » لابن الأثير .

القصيدة (٢٥) :

جاء في تعليقاتي أن البيت الرابع ورد في شرح العكبري ٤ : ٨٥ - ٨٦ .
وجاء في تعليقات الأستاذ الدكتور الضامن (ت ١٠ ، ص ٢٤٩) : (قال
القالبي : وهذا البيت شاهد على أن اليد العضو تجمع أيادي) .
ولعله سهو ، صوابه : (قال أبو عبيد البكري في « التنبيه ») انظر
التنبيه : ٥٤ ، ١٠٥ ، والسمط : ٤٠٦ .
المقطعة (٢٦) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيتين (٤ ، ٥) قد وردا في « تاج العروس »
٥ : ١٣٠ نقلاً عن العباب للصغاني .
وأن البيت (٥) قد ورد في « أساس البلاغة » و « اللسان » (مهر) دون عزو .
وأن الشطر الثاني من البيت (٥) قد ورد في « المخصص » لابن سيده (٤) :
(٢٥) دون عزو .
قلتُ : وقد جاء البيتان (٤ ، ٥) في « العباب الزاخر » للصغاني - مادة خطط
(حرف الطاء - بغداد ١٩٧٩م) : ٥١ - ٥٢ .
البيتان (٣١) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيتين وردا في « مجموعة المعاني » : ١١٣ .
المقطعة (٣٢) :
جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيت الأول ورد في « معجم البلدان »
(أكمة) .
المقطعة (٣٤) :

ذكر كرنكو أن البيت الأول منها ورد في « تفسير الطبري » وفي « الصحاح » وفي
« المخصص » لابن سيده (١٤ : ٦٥) دون عزو .
قلتُ : ان كتب النحو واللغة التي أوردت البيت الأول كثيرة لا يكاد يحاط

بها . وكنتُ أؤثر ألا تهمل الإشارة إلى مواضع وروده في كتب المتقدمين مثل كتاب «معاني القرآن» للأخفش ١ : ٤٦ - ١٣٣ .

— خرّج الأستاذ الضامن البيتين الأول والثاني في «شرح شواهد المغني» للسيوطي (ص ٤١٦) .

ووجدت في تعليقاتي : (أورد السيوطي في شرح شواهد أيضاً شطر البيت الأول (ص ٩٥٤) ، وأورد (ص ٣٣٩ - ٣٤٠) البيت الرابع غير منسوب) .

— خرّج الأستاذ الضامن البيت الأول في «الخصائص» ٢ : ٣١١ .

قلتُ : وأعاد ابن جني ذكره في «الخصائص» ٢ : ٣٨٩ .

المقطعة (٣٥) :

ذكر الأستاذ الضامن أن الأبيات الثلاثة جاءت في «وفيات الأعيان» .

قلت : جاء في الوفيات البيتان الأول والثالث .

— لعله يحسن أن نشير في ختام كلمتنا إلى أن البيتين رقم (٤) يرويان أيضاً لنجدة الخفاجي . وأن البيتين رقم (٣١) يرويان لرجل من بني هزان .

وقد ذكر محقق «الحماسة البصرية» ومن قبله الأستاذ الكبير عبدالعزیز الميمني الراجكوتي أن أبيات جران العود اللامية متنازعة بينه وبين ابن مقبل والقحيف العقيلي والحكم الحضري^(٣٥) .

وبعد ، فإن الأستاذ الدكتور الضامن قد بذل جهوداً طيبة في صناعة شعر القحيف ، وجمع ما تناثر من شعره ، ومضى خطوة جديدة موفقة في الطريق التي سلكها سابقاه الأستاذان الفاضلان كرنكو والجاسر ، ويسر للباحثين والعلماء شعر القحيف العقيلي ، هذا الشاعر المضيع الذي تغنى حبه وأشواقه غناء عذباً ، وكان لسان قومه ومذرهمهم وفارسهم في تلك الوقائع المؤسفة التي نشبت بين بني عقيل وبني حنيفة ، في تلك الفتنة الهوجاء التي أعقبت مقتل أبي العباس الوليد بن يزيد

ابن عبد الملك (سنة ١٢٦هـ) .

لقد سعدت وأنا أنصف ما نهض به الأستاذ الضامن الذي وقف نفسه لخدمة العربية وتراثها ، وأضاف بعمله هذا الذي أتمه على خير وجه ماثرة جديدة تضم إلى سابقاتها .

د. شاكرا الفحاصم

[الحواشي] :

(١) هو بضم القاف وفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية ، على وزن زير (« القاموس المحيط » و « تاج العروس » - قحف ، « خزنة الأدب » للبغدادي ٢ : ٣٤٢ ، ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » للبغدادي ٢ : ٣٩٣) .

(٢) ضبطه الأمير ابن ماکولا : بضم الحاء المعجمة وفتح الميم وتشديد الياء التحتية وكسرها ، ثم نقل عن أبي غالب بن بشران عن أبي الحسين علي بن دينار عن الأمدى أنه خبر يسكون الياء على وزن الزير (الاكمال ٢ : ٥٢٢ - ٥٢٣) ، وكذلك ضبطه البغدادي على وزن زير (« خزنة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣) . وذكر الزبيدي في « التاج » (خر) أن الأمدى ضبطه كأمير . وانظر « المؤلف والمختلف » للأمدى (القاهرة - ١٣٥٤هـ) : ٩٣ ، و « معجم الشعراء » للمريزاني : ٣٣١ ، و « تبصير المتبه » لابن حجر ١ : ٤٦٦ .

- وتصحف خبر حيناً إلى حير بالحاء المهملة ، وتحرف حيناً إلى عمير (« لسان العرب » - غشم ، « القاموس المحيط » و « التاج » - قحف ، « نواذر المخطوطات » ٧ : ٢٤٨ ، « التذكرة السعدية » : ١٨٥) .

(٣) بصيغة التصغير على وزن زير (« خزنة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ ، « تاج العروس » - قحف) .

(٤) الندى : الكرم ، وأضيف سليم إلى الندى لاشتهاره بالكرم (« خزنة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣) . وقال الصغاني : رأيت بخط محمد بن حبيب في أول ديوان شعر القحيف : (البدي) بالياء الموحدة وتشديد الياء (« العباب » للصغاني - قحف ، « خزنة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ ، « تاج العروس » - قحف) .

(٥) « جهرة ابن الكلبي » ٢ : ٣١ ، « معجم الشعراء للمريزاني » (القاهرة - ١٩٦٠م) : ٢١١ ، ومن بني خفاجة بن عمرو بن عقيل توبة بن الحمير الشاعر صاحب ليل الأخيلية (« جهرة ابن الكلبي » ٢ : ٣٢ ، « جهرة ابن حزم » : ٢٩١) .

(٦) بصيغة التصغير على وزن زير (« خزنة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣) .

(٧) « جهرة ابن الكلبي » ٢ : ٣١ - ٣٢ ، « المؤلف والمختلف » للأمدى : ٩٣ ، « معجم الشعراء » : ٢١١ .

- وجاء (حزن بن معاوية بن خفاجة) في : « الاكمال » لابن ماکولا ٢ : ٥٢٣ ، و « العباب للصغاني - مادة قحف » تح محمد حسن آل ياسين - ١٩٨١م مجلد حرف الفاء : ٤٩٠ ، « خزنة الأدب » للبغدادي ٤ : ٢٥٠ « نقلاً عن « جهرة ابن الكلبي » و « العباب ») ، « تاج العروس » - قحف .

- أما سياق نسبه في « الأغاني » (٢٤ : ٨٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) : (القحيف بن حمير ، أحد بني قشير بن مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) فهو يخالف ما أجمع عليه النسابون والرواة .

- (٨) «الأغاني» ٢٤ : ٨٣ ، «خزانة الأدب» ٤ : ٢٥٠ ، «شرح أبيات مغني اللبيب» ٢ : ٣٩٣ .
— وجاء في «الخزانة» (٢ : ٣٤٢) قول البغدادي : (والقحيف ... هو شاعر جاهلي ، وتقدم ذكره في الشاهد ٣٥٣) . ويبدو أن خللاً أصاب كلمة البغدادي فاضطرب معناها . ونظي وجه الصواب فيها . وقد ترجم البغدادي للقحيف في الشاهد ٨٢٥ («خزانة الأدب» ٤ : ٢٥٠) .
- (٩) «طبقات فحول الشعراء» ٢ : ٧٦٩ — ٧٧٠ .
- (١٠) «الأغاني» ٢٤ : ٨٥ .
- (١١) «الأغاني» ٢٤ : ٨٣ ، «خزانة الأدب» ٤ : ٢٥٠ ، «شرح أبيات مغني اللبيب» ٢ : ٣٩٣ .
- (١٢) «معجم الشعراء» للمرزباني : ٢١١ .
- (١٣) «المؤتلف والمختلف» للامدي : ١٢٩ (ط القاهرة ١٩٦١م) .
- (١٤) «فحولة الشعراء» للأصمعي : ١٦ ، «الموشع للمرزباني» : ٢٢٠ .
- (١٥) «النتيه» : ١٠٥ .
- (١٦) «العباب الزاخر» للصغاني (خطط — قحف) .
- (١٧) «خزانة الأدب» للبغدادي ٤ : ٢٥٠ ، «شرح أبيات مغني اللبيب» ٢ : ٣٩٣ ، «تاج العروس» للزبيدي (خطط — قحف) .
- (١٨) انظر كتابنا : «نظرات في ديوان بشار بن برد» : ٩٠ — ٩١ .
- (١٩) «مجموعة المعاني» : ١١٣ ، «لسان العرب» (غشم) .
- (٢٠) «المؤتلف والمختلف» للامدي بتحقيق الأستاذ فريتس كرنكو (مكتبة القدسي بالقاهرة — ١٣٥٤هـ) : ٩٣ .
- (٢١) مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان — ١٩١٣م) : ٣٦٧ .
- (٢٢) مجلة «العرب» ، السنة الأولى ، الجزء الخامس (شباط/١٩٦٧م) : ٤٠٦ — ٤١٧ ، الجزء السادس (آذار/١٩٦٧م) : ٥٥١ — ٥٥٧ ، الجزء الثاني عشر (أيلول/١٩٦٧م) : ١١٥٥ .
- (٢٣) مجلة «العرب» ، س ١ ، ج ٥ : ٤٠٦ — ٤٠٨ .
- (٢٤) مجلة «العرب» ، س ١ ، ج ٦ : ٥٥١ ، ج ١٢ : ١١٥٥ .
- (٢٥) «الكامل» لابن الأثير ٥ : ١٤٢ (ذكر الحرب بين أهل الصيام وعاملهم / سنة ١٢٦هـ) ، مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان — ١٩١٣م) : ٣٤٨ .
- (٢٦) «الكامل» لابن الأثير ٥ : ١٤٢ ، مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان — ١٩١٣م) : ٣٤٨ .
- (٢٧) «الحماسة البصرية» ١ : ٩ .
- (٢٨) مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان — ١٩١٣م) : ٣٥٤ ، وانظر «الأغاني» (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٤ : ٨٥ .
- (٢٩) «الكامل» لابن الأثير ٥ : ١٤٢ .
- (٣٠) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ ج ٣ (أيلول ١٩٨٦م) : ٢٢٢ — ٢٥٣ .
- (٣١) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ ج ٣ (أيلول ١٩٨٦م) : ٢٥٠ — ٢٥١ .
- (٣٢) ورد في كتاب «المكثرة» للطائلي ثلاثة أبيات للقحيف العقيلي . ولكن البيت الأول منها كان قد أورده الأستاذ كرنكو في جمعه الأول ، استمد من كتاب «الكامل» لابن الأثير .
- (٣٣) انظر : فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الثالث — المجلد السابع والثلاثون) : ١ — ٥ / فهرس المصادر .
- (٣٤) انظر كتابنا : «نظرات في ديوان بشار بن برد» : ٩٠ — ٩١ .
- (٣٥) «سقط اللالي» : ٤٤٧ ، ٦٧٧ ، «الحماسة البصرية» ج ٢ رقم ١٨٤ / الهامش ، «حماسة ابن الشجري» ٢ : ٦٠٩ — ٦١٠ .

كتابان عن أحمد أمين

(١)

أحمد أمين - بقلمه وقلم أصدقائه

بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته ٣٠ مايو ١٩٥٥ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ - ١١٢ ص .

١ - لو صدر في حياته لأمكن أن يَسْرَهُ ، بل يَسْرُهُ كثيراً دون نقاش ...

٢ - من المتحدثين من تكلم باحترام وإعجاب وتقدير ... وعاطفة أحياناً ..

٣ - بقلمه وقلم أصدقائه : بقلمه وأقلام أصدقائه ..

ولنلاحظ أن بقلم فلان .. جاءتنا من الغرب ، وربما من فرنسا .. وقد انقرض التعبير هناك ويكاد ينقرض هنا .

٤ - حياة أحمد أمين : أول أكتوبر ١٨٨٦ - ٣٠ مايو ١٩٥٤ .

٥ - أحمد أمين اسمه ، أما أبوه فإبراهيم : الشيخ إبراهيم - تنظر ص ١٩ كلمة الدكتور أحمد زكي ولا يذكر (أحمد أمين) اسم أبيه (إبراهيم) عندما يتحدث عنه - تنظر « حياتي » ص ١٢ - ١٦ من ط ٢ .

٦ - احتفال الكتاب بالدكتوراه الفخرية التي منحتها جامعة فؤاد الأول لأحمد أمين يشير إلى احتفال أحمد أمين نفسه بها - كان المنح في ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ .

٧ - مكتبة أحمد أمين - ولابد من أن تكون ضخمة - : (الآن في إحدى قاعات المؤتمر الإسلامي تحمل اسمه ...) .

٨ - طلب جمع اللغة العربية من أحمد أمين نبذة عن حياته ... ، ١٩٥٠ ... جاء فيها :

أ - (في سنة ١٩١٤ أسس لجنة التأليف والترجمة والنشر واختير رئيساً لها من يوم تأسيسها إلى يوم وفاته) ..

ب - (في سنة ١٩١٨ ترجم كتاب « مبادئ الفلسفة ») .

ج - ذكر من مؤلفاته كتاب « فيض الخاطر » وهو مقالات في ٩ أجزاء .

٩ - افتقدنا بين أسماء المتحدثين عنه الذين شاركوه أو شاركهم التأليف والتحقيق مثل : زكي نجيب محمود ، ومحمد سعيد العريان .

١٠ - ذكر في النبذة أنه ترجم كتاب « مبادئ الفلسفة » (سنة ١٩١٨) ولم يذكر له شريكاً أو مُعيناً .

وصدر الكتاب مطبوعاً عن لجنة التأليف والنشر . وقد تحدث أحمد أمين في مقدمته (مايو سنة ١٩١٨) عن اختياره الكتاب والصعوبات التي لقيها في الترجمة . ولم يُشير إلى شريك (أو معين أساس) ولكنه ختم المقدمة بشكر (صديقي أمين مرسي قنديل ، وعبد الحميد العبادي ، فإليهما يرجع الفضل في مراجعة الكتاب ، وتنقيحه ، وإرشادي إلى ما غمض من معانيه) .

وواضح من صيغة الشكر أنه كان المترجم الوحيد ، أما هُما فقد جاء بأخرة مراجعين ومُنقحين - وطبع الكتاب مراراً (خمساً) .

وكأن أحمد أمين نسي ما كتبه على ظهر صورة له : (أُخذت في يوم الجمعة ٧ أبريل سنة ١٩١٦ - وكان بيدي اليسرى كتاب بالانجليزية عنوانه « مبادئ الفلسفة » ، وكنت قد اشتغلت بتعريبه مع أحد إخواني ، وهو على وشك (الانتهاء) تنظر ص ٥ ، وكان قريب العهد بتعلم الانجليزية .

١١ - ذكر القائمون على الكتاب : « مؤلفات أحمد أمين » (ص ص ٧ - ٨) فجاء : « فيض الخاطر » (٩ أجزاء) ولم يرد بين المنشور بالاشتراك كتاب أبي حيان التوحيدي : « البصائر والذخائر » الذي نشرته لجنة التأليف محققاً بالاشتراك مع السيد صقر .

كما لم يرد للمؤلف : « يوم الإسلام » .

والذي أعرفه أن « فيض الخاطر » في عشرة أجزاء .

١٢ - أحمد أمين كاتب من غير أسلوب (أدبي) ، ولا يُعنى بالأسلوب ، أو أن يكون له أسلوب :

أ - قال أحمد حسن الزيات (وهو صاحب أسلوب) ص ١٦ - ١٧ : (كان همه من الكتابة أن يُقَرَّرَ ويقنع ، لا أن يؤثر ويُمتنع . ولعل منشأ ذلك فيه أن عقله كان أخصب من خياله ، وأن عِلْمَهُ كان أكبر من فنه ، وأن حُبَّهُ للحرية والصراحة كان يجب إليه إرسال النفس على سجيتهما من غير تقييدها بأسلوب معين ، وعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها بوشي خاص . ومع ذلك كان لأسلوبه طابعه المميز وجاذبيته القوية . تقرأ فلا تروعك منه الصور البيانية الأخذة ، ولا الأصوات الموسيقية الخلافة ، وإنما تروعك المعاني المبتكرة الطريفة ، والآراء الصريحة الجريئة والشخصية القوية المهيمنة . فانت منه بإزاء عالم يبحث ليتنج ، أو مصلح يصف ليعالج ، لا بإزاء مُصَوِّرٍ يُلَوِّنُ لِيُعْجِبَ ، أو موسيقار يُلَحِّنُ ليطرب .

على أنه كان يتوخى الجمال أحياناً في الأسلوب بحكم الأثر الذي تركته فيه درايته للقرآن والحديث ، وروايته للشعر والنثر ، ودراسته للبيان والنقد ، فيجمع بين حسن الفكرة وجمال الصورة ، ويلتزم بين وزانة المعنى ورصانة اللفظ . وربما كان ذلك أظهر ما يكون في كتابه « حياتي » ، فإن تصويره البيت والسقاء والمحدث والكتاب ، والأزهر ، وفي وصفه لأبويه وأخويه وصديقه عبدالحكيم محمد وعلي فوزي ، وأستاذه عاطف بركات ومس بور لنماذج من البيان المطبوع الذي يشرق بنورالعقل ، وينبض بروح العاطفة ، ويزهو بألوان الفن) .

أ - أساء الزيات لنفسه من حيث لا يعلم ، فهو من أصحاب الأساليب ، وعليه ، فهو لا يحب الحرية والصراحة .

ب - كان أحمد أمين - ولا شك - يود أن يكون من أصحاب الأساليب ، مثل طه حسين ، ولكنه لم يستطع . . . وحاول ولم . . . وقال قاتل : لولا « الأيام » لما كانت « حياتي » وشتان !!

ج - قال ولده جلال ص ٤٠ : (كان يكره المظهر في كل شيء ، فكان

الأسلوب في الكتابة قليل الشأن عنده ، وكان يسره مايقوله له تلاميذه من أنهم لا يستطيعون تلخيص دروسه لشدة تركيزها) .

د - قال محمود تيمور ص ١٠٣ : (وإليك كتابه « فيض الخاطر » ... وإنما لصور شائقة ، ومشاهد رائعة تأنس فيها قبسة من الفن في العرض والتعبير ، حتى لتدهش إذ تتجلى لك - في شخصية هذا العالم الدارس - صبغة الفنان الأديب ...

إنه قاض (...) قاض ... قاض ... النزعة القضائية .) حملت الحماسة تيمور بعيداً ..

هـ - في كلمة الأمير مصطفى الشهابي ص ١٠٧ : (سألته مرة : لماذا لا يعنى في مؤلفاته ومقالاته بالمبنى بقدر عنايته بالمعنى ؟ فتبسم وأجاب قائلاً : هذا هو أسلوبى في الكتابة ، ولكل كاتب أسلوبه ، فأنا يهمنى ان يفهم القارئ من أبناء هذا العصر مواضيع كتي ، ولا يهمنى ان يتعلم البيان منها) .

سؤال الشهابي عن حسن نية ، ولكنه لا يريح المسؤول .

١٣ - ص ١٦ (من كلمة الزيات) : (كان من الأزهرين القلال الذين أوتوا دقة النظر ، وحرية الفكر ، وسعة الأفق) .

جاء في القاموس : (قوم قليلون وأقلأء وقُلُلٌ وقُلُلُون) ولم يختَر الزيات الغريب من هذه الجموع . وفي القاموس : (والقِلال ككتاب الخشب المنصوبة للتعريش) .

١٤ - ص ٢٤ (في كلمة الدكتور أحمد زكي) : (قلت له : إنه حمل العمامة بضعا وثلاثين عاما ، وأنها خَدَمَتْهُ بضعا وثلاثين عاماً) .

بضعا : بضعة .

١٥ - ص ٦٦ (في كلمة عبدالرزاق أحمد السنهوري) : (... سنة ١٩٢٠ ... كان إذ ذاك شابا معهما ، يبدو على وجهه من إمارات الجد والرزانة ما يجعل مظهره يزيد على سنه ...) .

صحيح إمارات : إمارات - بفتح الهمزة - وكثيراً ما يأتي الخطأ مطبعياً .

- ص ٦٩ : (من أجل مدته)

ما معنى (مدته) ؟

١٦ - ص ١٠٧ (في كلمة الأمير مصطفى الشهابي) : (وهكذا كان أسلوبه سهلاً مبسطاً ، حتى أن القارئ المتوسط الثقافة ، لا يلاقي أدنى مشقة في فهم الموضوعات الأدبية والاجتماعية والخلقية التي صنف الفقيد أو حاضر فيها) .

وردت (حتى أن) بفتح الهمزة والصحيح كسرهما - وكثيراً ما يقع ذلك في الخطأ المطبعي .

وأسلوبه - في وصف الشهابي - ليس أسلوباً أي أنه ليس خاصاً به ، وإنما هو ما للناس كلهم ..

١٧ - ص ١٠٩ (في كلمة السيدة وداد سكاكيني) : (ولقد قيل في الأثر « كل امرئ ما يحسن ») .

في المعجم : (الأثر بفتححتين (...) سُننُ النبي عليه الصلاة والسلام) .
وجاء عند الجاحظ في « البيان والتبيين » ط. هارون ١٩٤٨ - ٨٣/١ :
(وقال علي رحمه الله : (قيمة كل امرئ ما يحسن) وفي الحاشية (...) وفي « زهر الآداب » (٤١/١) : (كل امرئ) .

(٢)

محاضرات عن أحمد أمين

ألقاها الدكتور زكي المحاسني على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية بالقاهرة ، ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، القاهرة ، مطبعة الرسالة - ٢٠٦ ص ٢+ .

١ - حياة أحمد أمين ١٨٨٦ - ١٩٥٤ . ص ٢٦ وغيرها . عندما يرد اسم أحمد أمين يضعه بين أهلة : « أحمد أمين » ولعله يريد أن ينبه بذلك إلى أنه اسم

مركب بدليل قوله : (وكان أبوه الشيخ إبراهيم أزهرياً . . .) أجل و « أحمد أمين » اسمه وحده ، قال الزركلي : (أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ . . .) [. . .] اشتهر باسمه « أحمد أمين » وضاعت نسبته إلى الطباخ) وربما فهمت من حديث في القاهرة مع صاحب مكتبة الخانجي ان أصله من حلب ١٩

٢ - ص ٤٦ : (وقد جيل بينه وبين الترقية في الجامعة لأنه لم يحصل على درجة الدكتوراه وهو يدرس طلابها ، فلما تقدم بكتابه « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » كرسالة من أجل هذه الدرجة العلمية رفض طلبه بحجة أنه من الأساتذة ، وأن המתحدين قد يجابونه ، وهكذا تراخى الأمر ، ودخل فيه المطال حتى جدد العزم والطلب ، وألفت لجنة من ثقات المستشرقين لامتحانه وقدمت هذه اللجنة تقريراً بكفائته وجدارته بالأستاذية ، لكن الأمر لدى أولى الأمر يومذاك لم يحقق أمل أحمد أمين الذي كان ماضياً في جهاده العلمي الماثور . .) - يمكن ان يكون مصدره كتاب « حياتي » من مؤلفات أحمد أمين .

يفهم من كلام لأحمد أمين نفسه (ص ١٠٣) من كتاب المحاسني ان نيته كانت التقدم للدكتوراه بالجزء الثاني من « ضحى الإسلام » . قال : (وكانت النية ان أتقدم بهذا الجزء لنيل الدكتوراه من الجامعة المصرية وقدمت هناك طلباً وآخره مجلس الكلية ، ولكن العميد ذهب يستشير وزير المعارف إذ ذاك نجيب بك الهلالي فرأى أن ذلك مخالف للقانون لأسباب شكلية بحته ولأسباب أخرى لم أصل إليها بعد فعدلت عن هذا الطلب واحتقرت ماكنت أقدمت عليه من طلبي للدكتوراه) .

لقد كانت (الدكتوراه) مطمحاً كبيراً لدى أحمد أمين . ولتكن - بعد ذلك - (فخريه) .

٣ - ص ٣٦ : تخرج من : تخرج في .

٤ - ص ٥٥ - ٥٧ : (يتجلى مذهبه في الكتابة بمقاله الذي سماه (أدب اللفظ وأدب المعنى) - هـ : « فيض الخاطر » ص ٣١ من الجزء الأول - (. . .) كان يقلل من قيمة الألفاظ أمام روعة المعاني ، وهذه حقيقة نفسية

للكلام وروحه ومجالاته لم يتعمقها أوائلنا لكن الأواخر أبهوا لها حتى قال شوقي :
الشُّعْرُ رُوحٌ وَرَیْحَانٌ وَعَاطِفَةٌ يَأْلَيْتُ شِعْرِي هَلْ قُلْتُ الَّذِي أُجِدُّ ؟

وكان (فرلين) و(رامبو) وقبلهما (بودلير) يقولون جميعاً بعجز الألفاظ عن تحمل شحنات المعاني ، وكان (فرلين) من بينهم يكره علم البلاغة الذي كان مسيطراً على النثر والشعر في أواخر القرن التاسع عشر بفرنسا فكتب قصيدة يقول فيها ما معناه : (خُذْ رَقَبَةَ البلاغة اقصفها) « Prends l' éléquence et tends lui le cou » .

لم يكن علم البلاغة مسيطراً على النثر والشعر في أواخر القرن التاسع عشر بفرنسا ، والذي كرهه (فرلين) هو الخطابة وَقُلُّ اللهجة الخطابية التي تضخم الكلمات في الشعر ، والـ éléquence الذي أمر بِلِي رقبتهما هي الخطابة – ولا دخل للبلاغة في الأمر ، ثم إنه تحدث عن الشعر وحده ، وعنوان القصيدة التي ورد فيها القول : (فن شعري) ART POETIQUE

٥ - ص ٦٠ (...) والخلاصة التي أصل إليها هي أن أحمد أمين لم يكن صاحب أسلوب في الكتابة العربية ولا يُعَدُّ من البلغاء والمنشئين . وإنما كانت كتاباته تجري بلغة المؤلفين الذين يؤثرون المعنى على اللفظ) ..

الملاحظة صحيحة ، وربما كان الأنسب ان نقول : إنه ممن يأتي بالألفاظ على قدر المعاني .

وقد يزيد – من يريد الزيادة – أن أحمد أمين كان يطمح إلى أن يكون ذا أسلوب ، وقد حاول ولم يستطع ... لأنه لا يملك مؤهلات (الشاعر) من الكتاب ممثلين بظه حسين .

٦ - ص ٧٤ (نَلَّيْنُو ... من المستشرقين) .

نَلَّيْنُو : نَلَّيْنُو – مع ملاحظة أن أحمد أمين نفسه رسم الاسم : نَلَّيْنُو في كتابه « حياتي » .

٧- ص ٩٢ - ٩٣ : (ان فيكتور هوغو كتب مقدمة لكتاب « كرومويل » ، فأحدث في الأدب الذي كان يعاصره في فرنسا وأوربية حدثاً حين حمل على الكلاسيكية وقوض صروحها ، ليقيم مكانها مذهب الرومانتيكي المتجدد) .

وفي الهامش : عنيّت بكلمة المتجدد أن أرد المذهب الإبداعي الرومانتيكي إلى قدمه في الوجود ، إذ كان أول من ابتدعه الشاعر اللاتيني كاتولوس) .

أ - كرومول مسرحية شعرية من خمسة فصول سنة ١٨٢٧ . وهي مهمة في تاريخ الرومانتيكية ولكن الرومانتيكية كانت قبلها ، وكذلك تقويض صروح الكلاسيكية الذي يمكن أن يرد إلى أوائل القرن التاسع عشر (في فرنسا) ، وبرز جداً ديوان لامارتين « التأملات » سنة ١٩٢٠ ..

ب - ردّ المذهب الإبداعي الرومانتيكي إلى الشاعر اللاتيني (كاتولوس) يتطلب ذكر مصدر غربي متخصص في دراسة المذهب . ولم يقع في علمي شيء منه .

إن وجود سمات في مذهب متأخر لدى شعراء متقدمين لا يكفي برد المتأخر للمتقدم . لأن المذهب مصطلح مقترن بمجموعة صفات ومجموعة أدباء ، في مدة زمنية معينة . وإذا وجدنا عند الشاعر اللاتيني (كاتولوس) سمات من الرومانتيكية فإننا لا نجد لديه السمات كلها ضمن مجموعة الشعراء في المدة المعينة للمذهب .

ويعد فالشاعر اللاتيني (catullus) من شعراء القرن الأول قبل الميلاد يتصف شعره بالذاتية والحب اشتهر بحبه للشيء ، وقصائده فيها صادقة تعكس أفراحه وأتراحه . ويعد المؤسس للرثاء (élegre) الروماني بما ادخل فيه من عناصر السيرة الذاتية ..

هكذا يقول معجم للأدب العالمي ... وتدخل كثير من صفات شعره في صفات المدرسة الرومانتيكية (في القرن التاسع عشر) ... ولكنها لا تعني أنه أول من ابتدع الشعر الرومانتيكي . إنه - إذا كان لا بد من وصفه ووصف

شعره -: شاعر غنائي وشعره غنائي Lyrique والشعر الغنائي وجد في كل مكان من العالم ، وفي كل زمان ، لدى الإغريق واللاتين ولدى العرب والفرس ، ولدى الشرقيين كلهم والغربيين كلهم . ويمكن القول إن كل شعر رومانتىكي غنائي ، وليس كل شعر غنائي رومانتىكي - للشروط الخاصة التي ذكرناها لتكون مذهباً .

٨ - ينقل ص ١٧٧ - ١٧٨ عن مقدمة كتاب أحمد أمين : « النقد الأدبي » مايفيد أن الجامعة عهدت إلى أحمد أمين بتدريس البلاغة في كلية الآداب سنة ١٩٢٦ (وكان وقوف أحمد أمين على علم البلاغة عند العرب في كتبهم (...) قد أعطاه صورة مشوشة من البحث والدرس الذي لا يقوم على خطة محدودة ، ووضح له هذا الوضع في كتب الأصول البلاغية العربية ما ألم به من موضوعات النقد الأدبي وفنون البلاغة عند الغربيين في كتبهم المنهجية المنظمة - يومذاك - (أي حين اندفاعه لتدريس البلاغة في الجامعة اقترح إدخال موضوع النقد في دروس كلية الآداب مطلع تأسيسها وبقي هذا الموضوع فيها حتى اليوم) .
كنّا نودّ لو ذكر أحمد أمين أو الدكتور المحاسني أسماء كتب البلاغة الغربية المشار إليها .

٩ - تحدث عن (مؤلفاته وكتبه) ثم عن (التحقيق والتعليق ص ص ١٣٢ - ١٤٠ فوقف طويلاً عن تحقيق « حي بن يقظان » حتى إذا قارب ذيل الصفحة ١٣٩ قال : (لم يتردد في المشاركة بنشر مخطوطات كبرى تعهدتها ثقات من المحققين المتمرسين ، فقد نشر مع الدكتورين شوقي ضيف وإحسان عباس كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهاني ، فيما يخص مصر . . وأحيا كتاب « الهوامل والشوامل » مع الأستاذ السيد أحمد صقر ، وكتاب « العقد الفريد » مع الأستاذين إبراهيم الأبياري وأحمد الزين ونشر ديوان الحماسة بالاشتراك مع الأستاذ عبدالسلام هارون) .

اكتفى الدكتور المحاسني بهذه السطور المحدودة لدى الكلام على هذه الكتب المهمة جداً ، واكتفى لصاحبه بكلمة (المشاركة) دون أن يبين مدى هذه المشاركة ، ونوعها ١٩

ثم هناك كتب أخرى اذكر منها « البصائر والذخائر » للتوحيدي بالاشتراك -
على لغة الدكتور المحاسني - مع الأستاذ السيد أحمد صقر ١١

ثم - خارج التراث القديم - : « ديوان حافظ ابراهيم » (ضبطه وصححه
وشرحه ورتبه أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري) ١٩ ط ١ سنة
١٩٣٧ ، ط ٢ سنة ١٩٣٩ .

وحين عدد (مؤلفات أحمد أمين) ذكر له (ص ٢٠٨) زيادة على مآذرك
(ص ١٣٩) : « الإمتاع والمؤانسة » ولم يفصل هنا . ومعلوم أنه للتوحيدي
(صححه وضبطه وشرحه غريبه أحمد أمين وأحمد الزين) في ثلاثة أجزاء .

وذكر له من الكتب التي ألفها بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود :
« قصة الفلسفة اليونانية » ، « قصة الفلسفة الحديثة » ، « قصة الأدب في
العالم » - والأمر معروف ولكن الذي يريد أن يعرفه القارئ مدى مشاركة أحمد
أمين في تأليف كتب هي من الفلسفة الغربية على هذا الوزن الثقيل ؟

إذا كانت مشاركة أحمد أمين جدية : مناصفة في الجهد أو مثالثة وجب أن ترعى
في البحث طويلاً وعميقاً فما هذه المشاركات - إن صحت - بالقليلة الشأن . وفي
المشاركين من هم - مازالوا - أحياء يمكن للباحث أن يستعين بهم على استجلاء
الحقيقة في المشاركة - لقد طبعت كتب المشاركة كلها في (لجنة التأليف والترجمة
والنشر) التي رأسها منذ تأسيسها سنة ١٩١٤ حتى وفاته سنة ١٩٥٤ .

من الملاحظ أن الزركلي أهمل الإشارة - نهائياً - إلى كتب (المشاركة) تحقيقاً
كانت أم ترجمة ١٩ ؟

٩ - جاء في (مؤلفات أحمد أمين) (ص ٣٠٧) : « فيض الخاطر » (٩
أجزاء) .

وجاء في كتاب « حياتي » لأحمد أمين نفسه (ص ٣٠٦) : (وبعد أن كتبت
هذه المقالات في الرسالة والثقافة طلب إلي أن أكتب في مجلات أخرى : الهلال
والمصور وغير ذلك ففعلت ، ولما كثرت مقالاتي جمعت بعض ما كتبت وزدت
عليها وأودعتها ثمانية أجزاء سميتها « فيض الخاطر » .

أما الحقيقة الواقعة - أو التي وقعت - فهي أن : فيض الخاطر (١٠ أجزاء) .

١٠ - ص ٩٣ : (كتب عبدالرحمن بن خلدون مقدمة لكتابه الذي سماه « كتاب العبر » وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر . .)

الأهله لا تسد بعد العبر « كتاب العبر » إذا أريد سرد العنوان كاملاً وإنما بعد البربر هكذا : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر » .
والعنوان الأصلي أطول من هذا ، فهو : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

١١ - ص ١٣٣ : (. . . حتى غدت مدينة (بريل) بهولنדה إدارة النشر لمخطوطات العرب والإسلام في العصر الحديث ، عدا ما طبعه المستشرقون من كتب العرب التي نشروها ، وكانت مرتبطة منذ طويل السنين بمطامعهم الغربية في باريس ولندن وفيينا . . .) .

أ - مدينة (بريل) بهولنדה : مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولنדה .
ب - مطامعهم : مطابعهم - والخطأ مطبعي .
ج - يمكن أن تضاف مدن مهمة أخرى غير باريس ولندن وفيينا منها (كوته) .

١٢ - ص ١٧٧ : (وكانت كتب النقد القائمة على البلاغة العربية التي نظر فيها أحمد أمين هي : طبقات الشعراء لاسلام [. . .] ونقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر .) .

أ - طبقات الشعراء لابن سلام (ومثله كتاب ابن قتيبة) لم يرق على البلاغة العربية ، ولم ينص أحمد أمين على ذلك .
ب - المقصود بنقد النثر ، القدر الذي نشره طه حسين والعبادي بهذا الاسم منسوبة لقدامة ، وقد ثبت أنه ليس لقدامة ، فقد وجد الكتاب كاملاً وحقق ونشر مرتين منسوبة لصاحبه الحقيقي - نذكر هذا للفائدة فقط .

بغداد : على جواد الطاهر

مخطوطة جديدة بالنشر:

لمحمد بن احمد الأبيوزدي (٥٠٧/٠٠٠)

في صيف سنة ١٤٠٦ زرت مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا، وكان أن طالعت فيها مخطوطاً استرعى انتباهي فيه إيرادُ نصوص لغوية عن قدماء علماء اللغة، ومقطوعات شعرية لشعراء متقدمين، وأخبار وحكم وأمثال، قل أن يُعنى بها من ليس من متقدمي العلماء .

فكان أن طلبت صورة هذا الكتاب، ومع أن كثيراً من كلمات المخطوطة لا تكاد تُقرأ لعدم ضبطها، ولوقوع تحريف في بعضها، إلا أنني كلما ازددت مطالعة في الكتاب ازددت أنساً به، واستمتاعاً بكثير من نصوصه .

لم يرد ذكر اسم الكتاب لافي مقدمته ولا في طرة المخطوطة، إلا أنني استطعت أن أُميّز العصر الذي أُلّف فيه، وأن أدرك من بعض النصوص أن مؤلفه عاش في شرق البلاد الإسلامية في القرن الخامس الهجري، وأن من شيوخه عبد القاهر النحوي (٣٩) ومنهم أبو الحسن بن طلحة الإسفرايني (٤) وأبو منصور عبدالواحد بن أحمد الهمداني (١٤٧) وأبو الحسن علي بن أحمد النسوي، تلميذ ابن سينا (١٥٣) وفيد بن عبدالرحمن الصوفي الهمداني (٦٢) وهذا من شيوخ السلفي محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٦ .

وأنه من العلم بمقام فقد ذكر من مؤلفاته «الدرة الثمينة» (١٣٣ و ١٤٨) و«الفيصل» (١٤٧) و«منية الأديب» (١٠٨)، وعدّ من أجداده إسحاق بن أبي العباس الأموي (٨١ و ١١٨) .

ومن البلاد التي ذكرها: أبيوزد (٨٢) وهمدان (٦٢ و ١٤٧) وإسفرابين (٤) ومدينة السلام (٩٢) .

وبما ذكر من الكتب من غير تأليفه: «فرحة الأديب» للقاضي أبي العباس السعدي قال عنه: أُلّفه في صباه في سرقات الشعراء المحدثين. (١١٧) .

وذكر كتاب «الحماسة» في مقام نقده فقال (١٢٣): وأكثر ما أودعه أبو تمام الكتاب الموسوم بـ«الحماسة» من الشعر قد سبق إلى اختياره، ومن تصفح كتب العلماء فيما أملوه من النوادر والأشعار والشوارد وقف على جليّة ما أومأت إليه.

ومن الشعراء الذين أوردَ نماذجَ من شعرهم الرُّعْبَلُ بن الكلب (٧٣) وشاتم الدهر (١٥٣) وقعود الغواني (١١٥) والعُتَيْر بن ضابيء (٩٢) ومعبد بن جَنْش (٩٥) وغزّي بن أبي طفيل (١١٠) ورويشد بن كثير (١٢٨) وعبد الصمد بن عثمان الشَّريدي (١٢٩) وحامد بن الربيع اليربوعي (١١١) وصالح بن عبيد الله بن حجاج الفقعسي (١١٣) وعبد الجبار بن يزيد بن ربيعة العليمي (١١٠) وجابر بن رالان الطائي (١١٣) وضوء بن سلمة الغبري (٩٩) وجميل - ليس العذري ولا الفزاري - (٩٧) وغيرهم .

ومع عناية المؤلف بإيراد نصوص كثيرة من غريب اللغة، إلا أنه لا يرى استعمالَ الغريب منها، فهو يقول (٩١): ولا أذكر أمثالَ هذه الغرائب ليستعملها المحدثون، ولكنَّ مجيئها يكثر في أشعار المتقدمين كثرة دراري الكلم، فأعثر بها في أثناء ما أُمليه فأوردها ليقصر المتأخرون على حفظها، ولا يشاركوا المتقدمين في استعمالها، فالمستحسن من الكلام ما يجوز لا ما يجوز، وقد أنشدني بعضُ أصحابنا قصيدة ذكر فيها (السَّمْهَدَر) و(المُسَرْدَج) فأنكرتها عليه فقال: لم تنكر عليَّ ما سبقني إلى استعماله الشعراء، ثم أنشد لأبي النجم:

وَتَرَكْتُكَ الْيَوْمَ كَالْمُسَرْدَجِ

وأنشد غيره:

وَدُونَ لَيْلَى بَلَدٌ سَمْهَدَرٌ

فعرفت غلظته وكثافته، ولا يتنبه للطيف الدقيق في هذه الأماكن إلا من وضع في الكبير، فنصع طيبة، وحدثني غير واحد من أصدقائنا بمدينة السلام عن أسفهدوست الديلمي عن ابن بُنَاتَة أنه أنشد أبيات الفرزدق في الذئب ثم قال: هذا كلامٌ وُضع في الرَّأُووقِ .

وقال ص (١٠٨) - بعد إيراد عدد من الكلمات الغريبة - : وهذه غرائب لا يزكو استعمالها بالمحدثين . . . وقد صنف كتاباً وسميته بـ «منية الأديب» وهو يشتمل على نظائر في ذلك كالتشحيف، والبيت الرُّحاس، والتَّقم، وهذه امرأة شخنة المحتضن. الخ .

وقال ص (١٤٧) : فتأمل هذه اللغات المأخوذة عن الثقات الأثبات، فاللطف النظر فيها، وابتحث عن أسرارها ومعانيها، فلم تثنها كلمة طخياء، يتجافى عنها العلماء والفصحاء، ومن سام الأصول الكبار فهمها، وافتر معانيها وعلمها، وطرب لها طرب الساري للقمر وضوئه، وسرُّها سرور المجدب بالمطر ونوئه، وإن ضاق بها ذرعاً فليأخذ زهد ما يكفيه، وليرق على ظلمه فيه، فهي من واضح كلام العرب وصحيحه ومقبوله، دون وحشيته ومستنكره ومرذوله، ومن أعجبه غريبه، وأثر أن يكثر منه نصيبه، فليتصفح كتابي الذي يدعى «الفصل» وهو يشتمل على المُستتَرز، المستعمل من كلامهم كـ (أرل) وفيه حرفان قلما يأتلفان و(الذَّمة) و(الذهر) و(التبجيم) و(الرَّيم) وهو لا يخلو أيضاً من لغة غريبة أودعها العلماء مصنفاتهم، ولم يبت الحكم بصحتها كـ(الحازم) و(الزعبج) و(الأشفع) ومررت بها صفحا فذكرتها مقترنة بما وأردته مما يجري مجرى المهمل لِقَلْبِهِ، ويشبه أصحابنا في المستعمل لصحته، ولِيَجْلُ نَاطِرُهُ في كتابي الموسوم بـ«الدرة الثمينة» وهو يتضمن ما يأتلف مع الحروف كلها في المضاعف والمطابق، إلا مع التي تقارنه (؟)، ومنه يلتقط دراري الكلم، وفي عرفان ذلك مالا يُستصعب معه في تخير الفاظهم مراماً، مما ائتلف من حروف العربية، فكان كلاماً ولاجذا (؟) اللغة حتى نجعل قلبك صوانها، وتجمع في سويدائه شذائنها، فالواحد في تامورك، خير من الألف في مسطورك - ثم استمر في توجيه النصح لأحد تلاميذه ويظهر أنه ألف الكتاب استجابة لرغبته .

وقد توسعت في نقل ماتقدم من النصوص لتوضيح بعض ملامح عن ثقافة المؤلف اللغوية .

وقد عرضت الكتاب موضعاً بعض ماتبين لي عن مؤلفه على كثير ممن توسمت

بازار و يقال اسكوا ذل الطريق ومن امثال الخطا
 الكند من غير والحايد الحديثة الشايج من الابل والجلد وكان معها
 ولد اولم يكن وقاب ابو عبيد هي التي معها ولد لها والجمع عوذو قال
 غير سميت عايدا لانها عوذ بولدها قال ابو زيد ويقال عاذت
 واعاذت واعوذت وقاب الاصمعي قال بعض الاعراب ما
 يسرني بعلی علم قیل له وما علمك قال اعلم ان المرتبة البقل وان
 الحی فی اصول النخل وشر الفیات غبیات النبل وشر النساء
 العیة المراض والمیرا المیاض وهو شیخ علی العیش و ملیح من
 الهوان وهذا جبل فی الارض المخذم وقد لب بنلان العار
 وممن كلام الاعراب ومن عایم قمره عز وجل ظم حیاة جلد
 للرجل المجرور ولا يقال سلخ وهو يرد قم الفیظ ويقال واسطة الرجل
 واشد قوب من ملته ما من الناس الواسطة واسطة الرجل
 قال الاعشى غرو في كل عام لم غزوة تحت الدواب رحى السفن
 بحون تظل الفی جاذبا على واسط الكور عند الذق والجمع الاول
 واشد علما ونا رضى الله عنهم اجمعين موثق على الرجال اذا ترامت
 بايديهم ملكة قنار كان واسط الكور فيها تنوز لنا نله جهم صغار
 وتليها مربيان والذيان وهو غريب وقد جاء في الشر وكان بعامه
 خذت ويقال للاسی حج هذه الشجة ويقال فاقع بيت الفقوع
 وقار فلان تنعش ولانا وما غربت عليه نغبة قط اي فعله فيحة
 لا اله الا الله يقول هو انقل من الزواق وقاب الاعلم بن خالد
 جملواي كنهات الرقن الهاموي ويتنادون يوما قريني فاتب

فيهم المعرفة وسعة الاطلاع من أساتيدنا الأجلة كالدكتور إبراهيم السامرائي،
والأستاذ عبدالسلام هارون، والأستاذ محمود محمد شاكر وغيرهم فلم أجد لدى
أحد ممن عرضت عليه الكتاب ما ينير الطريق لمعرفة مؤلفه .

هل هو للأبيوردي المشهور؟

لفت نظري الابن الكريم الأستاذ جواد بن محمد الدخيل في كلية الآداب في
(جامعة الملك سعود) إلى أنه ربما يكون المؤلف الأبيوردي ويدل على هذا :

١ - ماجاء في «معجم الأدباء»^(١) لياقوت و«سير أعلام النبلاء» للذهبي عن
نسب الأبيوردي محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن
اسحاق بن أبي العباس محمد بن اسحاق ويتصل نسبه بعنسة بن عتبة بن عثمان
ابن عنسة بن أبي سفيان، بينه وبين أبي سفيان خمسة عشر أباً - على ما ذكر الذهبي
- وفي هذه المخطوطة (ص ٨١) مانصه : وقال جَدُّنا أبو العباس الإمام : كان عتبة
ابن عثمان بن عَنَسَة بن أبي سفيان يدعى عتبة الأشراف . ثم استرسل في إيضاح
معنى هذا الكلام .

وقال (ص ١١٨) : وكان عَمَرُو بن غيداق الشاعر يعتزي بنسبه إلى عثمان بن
عفان رضي الله عنه، فوفد على إسحاق بن أبي العباس الإمام الأموي، وكان
رئيساً ضخماً، والخير يومئذ عنده دُو عَيْنين، فمدحهُ بأشعار لا تدخل في حَيْزِ
الاختيار، وضمها هجو إنسانٍ من أهل نَسَا، كان ينازع إسحاقَ الرياسة، وسعى
به إلى السامانية - إلى أن قال - : ولولا أن الثناء من البعيد أحسنُ لذكرتُ من
فضائل جَدِّنا إسحاق ماتشهد به آثاره، وإن عَفْتُ أَكْثَرَهَا عَقَبُ الزمان، وكان أباً
للأرامل واليتامى، وقد وُصِفَ بالحزم والفضل، وعمر حتى جاوز التسعين، ولما
حضرته الوفاة طفق ينشد :

قُلْ لِلَّذِينَ تَبَاشَرُوا بِنَعْيِهِ صَبْرٌ عَلَى الرَّجُلِ الْمَجْنُ قَلِيلٌ
مَامَاتَ حَتَّى لَمْ يَدْعُ دُخْلًا لَهُ وَعَلَيْهِ مِنْ تِرَةِ الرَّجَالِ دُحُولٌ

٢ - يذكر مؤلف الكتاب بلدة (أبيورد) بعناية (٨٢) إذ يقول : وكان أبو عمر
اللغوي صاحب أبي العباس من حُفَاطِ اللغة، ومن الثقات فيما يرويه، ولكنه كَثُرَ

مِنَ الْغَرِيبِ، فَذُمُّ بِاِقْتِحَامِ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ - إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ جَدُّهُ مِنْ أَهْلِ (أَبِيوَرْد) وَابْنُ خَالَتَيْهِ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: حَدَّثَنَا شَيْخُنَا أَبُو عَمْرِو اللَّغَوِيُّ الْأَبِيوَرْدِيُّ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الشَّيْبَانِيِّ، وَالْمَذْكُورَانِ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ جُزْءٌ فِي فُضَائِلِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُسَمِّيهِ «سَعُوطُ الرَّافِضَةِ».

٣ - يروي المؤلف عن عبد القاهر النحوي كما في (ص ٣٩) إذ يقول: وأنشدني الشيخ عبد القاهر النحوي، قال: أنشدنا أبو الحسين - وساق السند إلى المفضل ابن محمد الضبي، فأورد قصيدة لعامان^(٢) بن كعب بن عمرو بن سعد وهو جاهلي:

أَلَا قَالَتْ بَهَانُ وَلَمْ تَسَابِقْ نَعَمْتُ وَلَا يَلِيطُ بِكَ النَّعِيمُ
بُنُونٌ وَهَجْمَةٌ كَأَشَاءِ بُسْ صَفَايَا كَثَّةُ الْأَوْبَارِ كُومُ

- إلى آخر المقطوعة - وعبد القاهر هو الجرجانيُّ العالم المشهور.

وقد نصَّ مترجموه، ومنهم ياقوت والذهبي^(٣) بأنه لقي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه العربية.

٤ - عدَّ ياقوتُ من مؤلفات الأبيوردي «الدرة الثمينة»^(٤). وتقدم النقل عن هذا الكتاب.

٥ - وعُرفَ الأبيورديُّ باهتمامه باللغة، فذكر ياقوت^(٥) أن له فيها مصنفات لم يُسَبِّقَ إليها. ومثل هذا في «البغية» وفي «سير أعلام النبلاء»: وله في النحو واللغة مصنفات ما سُبِّقَ إليها.

ووصفه السمعاني بأنه أوحده عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب^(٦). والكتاب الذي بين أيدينا مملوء بالنصوص عن قدماء أئمة اللغة، ونقل ياقوت عن السمعاني أن الأبيوردي قال: كنت ببغداد عشرين سنة حتى أُمِرْتُ طَبْعِي عَلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَبَعْدَ أَنْ ارْتَضَحَ لَكُنَّةٍ. كما ذكر أنه تولى خزانة دار الكتب النظامية في بغداد^(٧).

وقد ورد في هذه المخطوطة (٩٢) نصٌ بدخول مؤلفها مدينة السلام وأن له فيها أصدقاء .

مؤلفات الأبيوردي :

هاهو أوفى مااطلعت عليه من أسماء مؤلفاته في «معجم الأدباء» و«سير أعلام النبلاء» و«هدية العارفين» :

- ١ - «أنساب العرب» .
- ٢ - «بغية الشادي من علل العروض»، نقل الدكتور عمر الأسعد في مقدمة «ديوان الأبيوردي» - ١٧ - عن «زاد الرفاق» - ٢٥٣ - : ولقد أودعت كتابي الموسوم بـ«بغية الشادي» من علل العروض...
- ٣ - «تاريخ أبيورْد ونَسَا» .
- ٤ - «تَعْلَةُ المشتاق إلى ساكني العراق» .
- ٥ - «تَعْلَةُ المقرور في وصف البرد والنيان وهذان» وجاء في هامش إحدى مخطوطات «معجم الأدباء»^(٩) : لعله أبيورْد والبيران - وعلق محقق المطبوعة قائلاً : لا أشاركة هذا الرأي لأن ما ذكر لا يتفق مع ما صدر به اسم الكتاب، أما ذُكِرَ هَـمَـذَانُ فَلِأَنَّ شتاءها مفرطُ البرد، كثير الثلج، طويل الأمد، لا تجدي معه النيران .
- ٦ - «تلو الحماسة»، ورد ذكره في هذه المخطوطة - ١١٥ - بما نصه : وقال قعود الغواني وهو مما أودعته «تلو الحماسة» :
وَتَحْتَ مَشَاجِرِ الْأَخْدَاجِ حُورٌ نَوَاعِمُ مِنْ ظَبَاءِ الرَّمْلِ عَيْنٌ
ونقل الدكتور عمر الأسعد أيضاً نصاً من كتاب «زاد الرفاق» - ١٦٠ ب - في الكلام على «حماسة» أبي تمام : ورسمت الأوراق المشتملة على ما يضاهاها من اشعار المحدثين بـ «تلو الحماسة» .
- ٧ - «الدرة الثمينة» .

٨ - ديوان شعره، وهو أقسام : العراقيات والنجديات والوجديات، قد نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور عمر الأسعد في مجلدين

وطبع قبل ذلك طبعة سيئة في بيروت أدخل فيه من الشعر ماليس لصاحبه .
٩ - «زاد الرفاق في المحاضرات» ذكره الذهبي كما سيأتي، وبعده صاحب
«كشف الظنون» ومن جاء بعده، وذكر الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في هامش
«إنباه الرواة» ٥٠/٣ : ان هذا الكتاب يشتمل على مناظرات مع ارباب النجوم،
ونقض لحججهم وهو مخطوط برقم (٥٨٢ أدب) في دار الكتب المصرية .
١٠ - «سهلة القارج» رد فيه على المعري في «سقط الزند» وفي «هدية
العارفين» «السهلة والقارج» .

١١ - «طبقات العلم في كل فن» كذا ورد اسم الكتاب في «معجم الأدباء»
وفي «سير أعلام النبلاء»^(١٠) وفي موضع آخر من هذا الكتاب^(١١) «طبقات العلماء
في كل فن» وكذا ذكر الزركلي، وعند ابن خلكان «طبقات كل فن» وكذا في «إنباه
الرواة» .

١٢ - «قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان» ذكر الدكتور المنجد^(١٢) : أن
ابن عساكر نقل عنه كثيراً .

١٣ - «كوكب المتأمل» في وصف الخيل .

١٤ - «ماختلف واثتلف في أنساب العرب» .

١٥ - «المجتبى من المجتبى» في رجال النسائي في السنن الماثورة وشرح
غريبه .

١٦ - «المختلف والمؤتلف» تكرير ياقوت والذهبي وغيرهما لاسم هذا الكتاب
مع ما تقدم يدل على أن هذا الأخير ليس خاصاً في أنساب العرب، بل يشمل
الأعلام وأسماء المواضع . وذكر الدكتور عمر الأسعد أن الدكتور مصطفى جواد
حققه وطبعه مع «المختلف والمؤتلف» لابن الصابوني المجمع العلمي العراقي سنة
١٩٥٧ .

١٧ - «نزهة الحافظ» وأضاف صاحب «هدية العارفين» : وقيل : «نزهة
الحافظ» .

ومما عده صاحب «هدية العارفين» من مؤلفاته «ترجمة السلفي في أخبار
الجاحظ» كذا أورد الاسمين باعتبارهما اسم كتاب واحد ، أما (ترجمة السلفي)

فلاشك أن صوابها: (تَرْجَمَةُ السَّلَفِي) لِأَنَّ السَّلَفِيَّ أَلْفَ تَرْجَمَةٍ لِلْأَبْيُورْدِيِّ عَلَى مَازَكَرِ الذَّهَبِيِّ إِذْ قَالَ (١٣): وَقَدْ عَمِلَ لَهُ السَّلَفِيُّ سِيرَةً وَطُولًا . وَنَقَلَ بَعْضَ أَقْوَالِ السَّلَفِيِّ .

أَمَّا كَلِمَةُ (فِي أَخْبَارِ الْجَاحِظِ) فَلَعَلَّ الْأَبْيُورْدِي كَتَبَ مُؤَلَّفًا عَنِ الْجَاحِظِ . وَعَدَّ أَيْضًا «النَّجْدِيَّاتُ» قَالَ عَنْهَا: مَنْظُومَةٌ فِي أَلْفِ بَيْتٍ (١٤)، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ النَّجْدِيَّاتِ قِصَائِدَ ذَكَرَ فِيهَا الْأَبْيُورْدِي نَجْدًا فِي مَقَامِ الْأَطْرَاءِ وَالشَّاءِ وَهِيَ مِنْ دِيَوَانِهِ .

وَإِذَا صَحَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَخْطُوطَةَ لِلْأَبْيُورْدِيِّ فَيَنْبَغِي أَنْ يُضَافَ إِلَى مُؤَلَّفَاتِهِ :

١ - «الْفَيْصَلُ» وَرَدَ ذَكَرَهُ فِي (ص ١٤٧) .

٢ - «مَنِيَّةُ الْأَدِيبِ» (ص ١٠٨) .

مِنْ اسْتِعْرَاضِ أَسْمَاءِ مُؤَلَّفَاتِ الْأَبْيُورْدِيِّ، وَوُرُودِ ذِكْرِ بَعْضِهَا فِي هَذِهِ الْمَخْطُوطَةِ يَتَضَحُّ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالَاً لِلشَّكِّ أَنَّهَا مِنْ مُؤَلَّفَاتِ الْأَبْيُورْدِيِّ، فَقَدْ ذَكَرَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ كِتَابَ «الدَّرَّةِ الثَّمِينَةِ» كَمَا فِي «مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ» (١٥) وَذَكَرَ هَذَا الْكِتَابُ فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْمَخْطُوطَةِ - ١٤٨/١٣٣ .

كَمَا وَرَدَ مِنْ بَيْنِ مُؤَلَّفَاتِهِ «تَلْوُ الْحِمَاسَةِ» فِي مَخْطُوطَةِ (دَارِ الْكُتُبِ) مِنْ «زَادِ الرِّفَاقِ» كَمَا تَقْدِمُ، وَوَرَدَ الْاسْمُ فِي هَذِهِ الْمَخْطُوطَةِ - ١١٥ - .

وَصِفِ الْمَخْطُوطَةِ :

هِيَ مِنْ مَخْطُوطَاتِ مَكْتَبَةِ (دِيرِ الْأَسْكَوْرِيَالِ) فِي إِسْبَانِيَا وَرَقْمُهَا (٧٥٣) وَفِي طَرْتِهَا كَلَامٌ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ عَنَوَانُهَا

مِنْهُ : (هَذَا الْكِتَابُ يَذْكَرُ فِيهِ فِضَائِلُ فَضْلِ الْعَرَبِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ أَشْعَارِهِمْ وَأَمْثَلُهُمْ (؟) بِحَسَبِ الْمُنَاسَبَةِ وَاقْتِضَاءِ الْمَقَامِ فِي شَأْنِ أَكْثَرِ الْمَتَدَاوِلَاتِ بَيْنَهُمْ وَالْمُسْتَعْمَلَاتِ بَيْنَ جَمِيعٍ (١٦) وَالْمُنَشَّاتِ) . ثُمَّ بَيَّتَانِ مَنْسُوبَانِ لِلْبَدِيعِ الْهَمْدَانِيِّ :

في الكتاب يدكر فيه فضائل فض
 في المغرب وفيه احسن اشعار
 امثلم بحسب المناسبة واقبنا
 المقام في شان اكثر المنداولات
 فيلنهم المستلزمات بر جميع الش
 والمنشآت



للدواعي

راي الصنف مكنوا على باب آه
 فضحة ضيقا في الصنف

قلت لغير افهم اني
 اقواله خبرنا من الحرف



في وقت
 رصه وعلائه
 ما تما ونظرت
 الة مواتة

رَأَى الصُّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السَّيْفِ
فَقُلْتُ لَهُ (خَيْرًا) فَأَوْهَمَ أَنِّي أَقُولُ لَهُ (خُبْرًا) فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

ثم كلام لم يتضح ، وبجانبه ختم كبير لعله اسم ختم المكتبة التي كانت النسخة
فيها أو اسم صاحبها ، ثم الورقة التي تلي الطرة في أعلاها بشكل طرة (طغراء)
فيها (صاحبه عبدالله بن حسن) وتحتها بدون بسملة : (الحمد لله رب العالمين
وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا بُثْنَةً أَوْ يَلْقَى الثَّرِيًّا رَقِيهًا

عَلَامَ أَيُّهَا الْأَخُ وَقَاكَ اللَّهُ الْمَحْذُورَ ، وَلِقَاكَ فِي مَقَاصِدِكَ السَّرُورَ ، تَضَاهِي النِّجْمِ
وَرَقِيهِ فِي الْمَقَاطِعِ وَلَا تَبَاهِي الثَّرِيَّ وَالْعَيُوقَ بِالْمَطَالَعَةِ ، فَمَا لَكَ عَلَى الْهَجْرِ مَصْرًا
وَبِغْظَةِ الْغَدْرِ مُسْتَقْرًا ، وَمَتَى ابْتَدَعْتَ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ حَتَّى تَمُثَلَ فِينَا قَوْلُ ابْنِ [أَبِي] (١٧)
ربيعه :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلْتُ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانُ!

فتجافيت عن وصل يُعَدُّ الْأَنْسُ مِنْ خَصَائِصِهِ ، وَكُنْتَ تُفِي بِهِ وَفَاءَ التَّابِعِ
بِقِلَائِصِهِ ، فَإِنْ نَزَحْتَ دَارُكَ تَرَخْتَ أَخْبَارُكَ ، أَوْ قُرْبَ مَزَارُكَ لَمْ يُؤْمِنْ صَدُودُكَ
وَأَزُورَارُكَ ، وَكَمْ زَرْتَنِي مُبَكَّرًا ، وَبِعَمْتَنِي مُعَقَّبًا وَمُهَجَّرًا ، وَضَرَبْتَ إِلَيَّ أَكْبَادَ الْمُطَيِّ
وَطَوَيْتَ غَوْلَ الْبِلْدِ النُّطَي :

بِنَابِيَةِ الْأَخْفَافِ عَنْ شَعَفِ الذَّرَى نِيَالُ تَوَالِيهَا رِحَابُ جَنُوبِهَا
فَادْبِرْ غَرِيرُكَ ، وَأَقْبِلْ هَرِيرُكَ ، وَأَذْقَنِي مِرَاةَ الْبَيْنِ ، وَبِلَّتْ إِلَى ارْتِشَافِ
الْأَعْدِيْنِ ، وَأَهْنُوكَ قَهْقَهَةَ الْإِبْرِيْقِ ، وَأَضْرِبْ صَفْحًا عَنْ رِعَايَةِ الصَّدِيقِ ،
وَلِلْإِخَاءِ حَقٌّ لَا يُهْدَرُ ، وَلِلْكَرِيمِ ذِمَّةٌ لَا تُخْفَرُ ، وَأَنْتَ تَلْتَحِفُ بِجَلْبَابِ الظَّلَامِ ،
وَتُزَوِّجُ ابْنَةَ الْعَنْبِ بِابْنِ الْغَمَامِ ، حَتَّى تَرَى) وَتَنْتَهِي الصَّفْحَةَ ، وَلَكِنْ تَعْقِيْبُهَا وَهِيَ
كَلِمَةُ (الْفَجْرِ) لَا تَتَّصِلُ بِالصَّفْحَةِ الَّتِي بَعْدَهَا ، عَمَّا يَدُلُّ عَلَى وَقْعِ خَرَمٍ فِي النُّسْخَةِ
وَلَعَلَّ فِيهِ مَا يَفْهَمُ مِنْهُ اسْمُ الْكِتَابِ .

نصائح عبد الله

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله اجمعين
 يا ابا عبد الله انك لاني لائقا بشيئة او يلقي الثريا رقيبها
 علام ايها الاخ وقال الله الهذول ولناك في مقاصدك السرور وتمام
 النجم وريقه في المداينة ولا تباغي الثريا واليتوق بالمطالعة فالك
 على الهجر مدر الفرد مستقرا ومنى ابتدعت هذه
 الطبيعة حتى

ايها المشك الثريا سهيلا عمدا الله كيف يلتقيان
 في شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يا
 فجايت عزوم الان من خصايصة وكنت تقي به وقاء التاج
 بقلايصه فان نزحت دار على راحت اجبارك اوقرب مزارك لحر
 يوم من ك زورارك ولم يرني مبكرا ويمتني مقبلا ومجرا وضرب
 الى اباد المطام وطويت عول الجبلد البطي
 بناي اخفاف عن شيف الذرى بناي تواليها رحاب جنو بها
 غرياء واقبل هدير كرا واذ قني مران البير وملت الى ارتشاف
 والمشك قهقهة الابرقت واضرب صفحا عن رعاية الصديق
 حق لا يمدك وللك ديرة لثمة لا تحفد وانت تلحف
 الظلام وتزفج اينة العنب بابن القام حتى ترى
 البحر

وفي الصفحة التي تليها كلام مبتور يبدأ بما هذا نصه: (بينه، وبدا نَجِثُ القوم، وبالبعير ناخس، والداء ناجس، ونَجَشَ الصيد، وأنْفَجَ اليربوع فنفع). وما أشبه هذه الكلمات.

وأبرز مباحث الكتاب ترد بعد جملة (وسألتني عن) ومن أمثلة ذلك : -

- ١ - سألتني عن قصة صَوْلَة - ٣ .
- ٢ - سألتني عن الاسْفِنْط - ١٧ .
- ٣ - سألتني عن ابن نفيسة الأموي الداعي لنفسه - ٣٩ .
- ٤ - سألتني عن ضربة فارس الهذاج - ٤١ .
- ٥ - سألتني عن قولهم: ناقة كَتُومُ الرغاء - ٦٢ .
- ٦ - سألتني عن ابن قتره - ٧٣ .
- ٧ - سألتني عن اشتقاق المنبر - ٨٤ .
- ٨ - سألتني عن اشتقاق دُخْشُم - ٨٦ .
- ٩ - سألتني عن اشتقاق الجوزاء - ٩٨ .
- ١٠ - سألتني عن نقيض زكا يزكو - ١٢٣ .
- ١١ - سألتني عن منكر ونكير - ١٢٥ .
- ١٢ - سألتني عن اشتقاق الدِّيَامِيم - ١٤٢ .

وفي الكتاب فصل مطول عن أسماء (سيوف العرب)

وأخر ما ختم به الكتاب عن الأنواء في أقوال العلماء والشعراء ، بدأه بتوجيه النصيح إلى إنسان يظهر أنه ممن يعاقر ابنة الحان، قال فيه ص ١٥٣ : (فمالك عَقِير العقار، وهلاً اقتديت بالصالحين الأخيار، والتزمت ما تقتضيه الحكمة فيها اتِّسَامُكَ، وانتهجت سنن سقراط في زهده، فهو إمامك، فنحن نتحقق أن الذكر هو عمر ثانٍ، ومن رغب عن اقتنائه فليس بإنسان، وبالعلم يتهياً خلوده، ومن الجهل يتولد خوله وخموده، وأنت تتعمد أطراحه ونسيانه، وقد أنفقت عليه من شبابك رَيَعَانَهُ، ومن أمسى للكأس صريعاً، وأصبح للعلم مُضْيعاً، تمكن من

الملاوح سيف عمرو بن سلمة وقال سراقه البارقي فيه شعر
 اذا قبضت انا ملكت عمرو على الملاوح واحتدم اللقاة
الملاوح سيف ثابت بن قيس وقال شعس
 ومن يد لا يما للسيف منكم بما كان الملاوح بالمليسم
 اقا بالكرم وهو كالمثب في ذل سليل الحجاب شعس
 سيفك ضرب القدم لم يعرض ما وما قدور في الفصاع مثيب
والسفاح سيف عدي بن عبد الكلي شعر هذا حميد قد انكم
 يذرع الهيل ويضئ قدما سيفه السلاخ ما تلعثما
 وذكر بعضهم ان الليل ما من سيف عرقبة الكلي الذي قال فيه شعر
 والليل ذو الفكين كحون وهذا القول من استنباط العلين
عابس سيف عبد الحق الكلي وقال الفزدق شعر
 اذا ما ترقى عابسا فاصر سيفه دما ويغطي ماله ان يتسما
والخطير سيف عبد مالك الحولاني ولما ملك العباس بن محمد المهدي
 استعمل روقا بن عباد الحولاني على مخدوف من مخايلها فطلب منه
 الخطير فوجه له وانشدوا امر فله ابني بدلا بالخطير
 وكل يدل به اعور **وذي الخصرين** سيف قيس بن الخطيم
 وقال يفرض ضرب بدلي الخصرين عامه ما لك فابنت منق قد اصب شفاها
 وكان انصار رضى الله عنه يمزون المثل سيف في قيادة الانصار
مو الجوم وسيف مالك بن العجلان وهو المسنون
القطاع سيف عمام بن شبيب الجهمي وقال
 قد شرت جرم ونهد شعرا الى على الاعداء ليت شورا

أخلاقه السفه، واحتوشته في دينه الشبه، والحكمة ترفع أربابها، وتلحق بالرفيق الأعلى أصحابها ﴿ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ومن اتشح بعطافها وارتضع من أخلافها، أفضى إلى معارف تورده المشرب الروي، وتوضح له المسرب السوي، وقد قال أخويونان: كنت قبل اليوم أشرب وأظما، حتى عرفت فرويت بلا شرب، فارتدغ عما يُذنيك من مقارفة الإثم، واكتحل بمراود السهر في دراسة العلم، فقد جاءك النذير، وابتسم في مفارقك القتير، وأقبل على شانك، وأعرض عن ذم زمانك، فأمله عن سنن الحق ناكبون، ولاهوائهم في عمايتهم راكبون، ولسنا نرى فيهم لأبي شجاع نظيرا، فتكون بنيل مصادفه القوي عنده جديرا، والدولة غضة العود، ولكنها تدبر بالقرود، ولا سبيل إلى اقتسار الهمج بالغلبة والقهر، فتسل عما تأمله بما قال شاتم الدهر :

لَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَغَرًّا سَبِيلُهُ	وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبٌ مُسْلَعًا
وَمَعْرِفَةً حَصَاءَ غَيْرِ مُفَاضَةٍ	عَلَيْهِ وَلَوْنَا بِالْعَثَانِينَ أَذْرَعًا
وَجَبْهَةً قِرْدٍ كَالشَّرَاكِ ضَمِيلَةٍ	وَصَعْرَ خَدْيِهِ وَأَنْفًا مُجْدَعًا
هُنَاكَ ذَكَرْتُ الذَّاهِبِينَ أُولِي النُّهَى	وَقُلْتُ لِعَمْرٍو وَالْحُسَامِ : أَلَا اجْدَعَا :
فَإِنِّي أَرَى الْخَيَيْنَ كُفْبًا وَعَامِرًا	أَصَابَهُمْ دَهْرٌ وَكَانَ مُفْجَعًا
أَرَى كُلَّ مَأْفُونٍ وَكُلَّ خَزَنَلٍ	وَشِهْدَاةَ بَرْعِيَّةٍ قَدْ تَضَلَعَا
وَسَامَى الْمَعَالِي يَتَبَيَّنُهَا لِنَفْسِهِ	فَيَالِكَ دَهْرًا مَا يَزَالُ مُرَوَّعًا

ولست تظفر فيهم بكريم، فتفر إليه من زمن لثيم، وتجد عنده الطول والإحسان، وتنشده قول أبي هفان :

إِلَيْكَ هَرَبْتُ مِنْ زَمَنِ وَقَوْمٍ	غَدُوا بِالْجَهْلِ وَاللُّؤْمِ اللَّبَابِ
لَقَدْ عَمَرُوا بَيُوتَهُمْ بِخَيْرٍ	وَحَلُّوْهَا بِأَعْرَاضٍ خَرَابِ

وهم لا يساوون أن يُفغر بانتقاصهم قم، وتُغبر للإمام بعراضهم قديم، ومن شيمي الإحجام عما يتحاماه الكرام، ولكني أوتيت لك إذ أعضلت بك الأمور، فأبشرك في التسلية ما يُنفث به المصدور، والعيش أطوار، وقد أحسن بشار :

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُحَيَّرٍ وَلَوْ أَنَّي خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى فَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عَلَيَّ أَنْ يَسَالَ الْمُغَيَّا

وَالْأَلِيْقُ بِ أَنْ أَتَوَّقَى الْإِطْنَابَ وَالْإِطَالَةَ ، وَأَخْتَمَ بِإِيضَاعٍ مَاسَأَلْتَنِي عَنْهُ الرِّسَالَةَ ،
وَهُوَ تَلْخِيصٌ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فِي كُتُبِ الْأَنْوَاءِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَهِيَ أَنَا
أَجْتَهَدُ فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّحْقِيقِ ، وَهِيَ يَهَيِّيانُ بِكَ إِلَى الْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ
مَذَاهِبَ الْعَرَبِ فِي النُّجُومِ غَيْرُ مُشَاكِلَةٍ لِمَذَاهِبِ أَصْحَابِ الْقِيَاسِ وَالرَّصْدِ مِنَ
الْفَرَسِ وَالرُّومِ ، وَهُمْ فِي الْاهْتِدَاءِ بِهَا أَصْدَقُ الْأُمَمِ نَظَرًا ، وَأَجُودُهُمْ هَا فِي
طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا تَشْبِيهَا ، وَأَكْثَرُهُمْ لِلْأَنْوَاءِ وَالْبَوَارِحِ ذِكْرًا ، حَتَّى نَسَبَ بَعْضُهُمْ
كُلَّ نَجْمٍ إِلَى الشَّقِّ الَّذِي يُرَى مِنْهُ ، فَقِيلَ : كَوْكَبُ جَرْمٍ ، وَسُهَيْلُ الْيَمَانِي ، وَهَذَا
كَمَا جَعَلَ بَعْضُهُمُ اللَّصُوصَ عَيْنًا لِبَارِحِ الْجُوزَاءِ ، إِذْ تَهَيَّأَ لَهُمْ انْتِفَاعٌ بِهَيُوبِهِ .

وَقُلْتُ لِكَلْبِيِّ مِنْ بَنِي هُذَيْمٍ : إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ اهْتِدَائِكَ بِالنُّجُومِ ، وَأَنْتَ
لَا تُحْسِبُ وَلَا تَكْتُبُ . فَقَالَ : إِنْ الْعَاقِلُ لَا يَجْهَلُ سَقْفَ بَيْتِهِ . وَعَمَّنِ اعْتَرَفَ بِعِلْمِهِ مِنَ
الْأَعْرَابِ فِي هَذَا الشَّانِ بَنُو مَأْوِيَّةَ مِنْ كَلْبٍ ، وَبَنُو مَرَّةَ بْنِ هَمَامٍ مِنْ شَيْبَانَ ، وَقَالَ
مَعَاوِيَةُ لِدَغْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَلَامَةِ — وَقَدْ ضَمَّهُ إِلَى ابْنِهِ — : عَلِمَهُ الْعَرَبِيَّةُ
وَالْأَنْسَابُ وَالنُّجُومَ . فَالْفَلَكَ مَدَارُ النُّجُومِ الَّذِي يَضُمُّهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كُلُّ
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ . وَاسْتَرْسَلَ فِي الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ حَتَّى الصَّفْحَةَ الـ
(١٧٠) فَقَالَ : (وَأَمَّا عَطَارِدُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِنَا فِي اشْتِقَاقِهِ ، وَالْعَرَبُ
تَقُولُ : عَطَرِدُ لِي ، أَيُّ أَعْدَدَ ، وَشَاوُ عَطَرِدُ ، أَيُّ طَوِيلَ ، وَقَوْلُ أُمِيَّةَ :

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ) .

وَتَنْتَهِي الصَّفْحَةُ وَتَعْقِيبُهَا كَلِمَةُ (حَمْرَاءُ) لَا تَوْجَدُ الْوَرَقَةَ الَّتِي هِيَ فِيهَا .

وَعَدَدُ صَفْحَاتِ الْمَخْطُوطَةِ ١٧٠ صَفْحَةً تَحْوِي الصَّفْحَةَ ٢١ سَطْرًا بِخَطِّ بَيْنِ
الْفَارَسِيِّ وَالنَّسَخِ ، وَبَعْضُ الْكَلِمَاتِ مُشْكَلَةٌ بِالْحَرَكَاتِ ، وَالْعَنَاوِينُ بِخَطِّ الثُّلُثِ ،
وَلَيْسَ فِي الصَّفْحَاتِ مَا يُشِيرُ إِلَى مُقَابَلَتِهَا وَتَصْحِيحِ بَعْضِ كَلِمَاتِهَا ، فَهِيَ لَا تَخْلُو مِنْ
أَخْطَاءٍ .

. فوردن والعيتوق متقدرا . في ، الضرب فوق النجم لا يتسلع .
 فلما كان درود المزمع معلوما وقتته وذلك ان خلفا اذا هم بتوجيهها
 اشطر الليل حتى اذ جئن عليه وجهها فاساد الليل حتى يفتح (الماء
 عرف الزمان وقاب . ذوالرمة شعر الاطرت هيوما بذرها .
 وايدى الشربيا جئ في المغارب . والشربيا جئ في جميع اوقات الليل
 من زمان طلوعها هذا غير محظور لكنه ذكر الحيات ومول مسير فعلم انه
 في آخر الليل واشعار العرب متواطئة على هذا التفسير وهم يشرون ايضا
 الى انما يقصدونها بذكر كواكب يرصدونها كقول الشاعر
 . ان العواق طاعله كثر الهوى . فاذا اثناني ودهم فليبعد
 . فلتتركهم بليلى ناتي . تذر السماك وتمتدي بالفض قد
 . واما قول الراعي في قوله ايلي تكاللا عيا . فحاشا جارا طبق النجوم
 فتقوله طبق النجوم اي الليل كله فحاشا طبق النجوم ومثل درج النجوم
 بامناه . ايا من انا الليل فالنارطان اللذان سالتني عنهما كزبان متباينا
 لعام نبات نجش وكل متقدم فارط وقيل للقدم في طلب الماء فارط وفراط
 القفا مستقمانها الى الوادي والما الفراط الذي يكون لمن سبق اليه من
 الاسيا والجلعان مما احصاه والوزن تخلف عليها انها سهيل للشبه
 المجهون يدعونها المحنئين والعرب تقول هذا شي حليف اذا كان
 فيه مخالفة عليه وانشدوا سوكيت غير حلفه ولكن
 تكون يعرف علة به الاديم . واما عطار فلم يشكلم احد من علمائنا
 في اشتقاق العرب فتقول عطر ذي اي اعد وشاوء طر اي
 طويل وتو . امية شعر الشمس تطلع كل آفة ليلة .

رسالة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١١٨٢) إلى عبدالهادي بن بكري العجيلي (١١٧٩)

مقدمة التحقيق

محمد بن إسماعيل الأمير:

نسبه ومولده : هو (السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس ابن علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١)) ، يلقب

استدراك : →

بعد إعداد ما تقدّم للنشر اتّضح أنّ هذه المخطوطة نسخة ناقصة من كتاب «زاد الرفاق» وسيأتي إيضاح ذلك ، ووصف مخطوطتي الكتاب الكاملتين .

حمد الجاسر

الحواشي :

- ١ - ج ٦ ص ٣٤١ نشرة مرجليوث وج ١٧ ص ٢٣٤ الطبعة المصرية .
- ٢ - ورد الاسم في «لسان العرب» في رسم بس - بك - نهل - لطم (عاهان) وكذا في «معجم البلدان» و«تاج العروس» رسم (بس) .
- ٣ - «معجم الأدباء» ٢٤٤/١٧ و«سير أعلام النبلاء» ٢٨٤/١٩ .
- ٤ - نفس المصدر وتقدم النقل عن هذا الكتاب .
- ٥ - نفس المصدر السابق . ٦ - «بقية الوعاة» : ١٦ .
- ٧ - ٢٣٧/١٧ .
- ٨ - «هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» لاسماعيل باشا البغدادي ٨١/٢ .
- ٩ - ٢٤٣/١٧ . ١٠ - ٢٨٤/١٩ . ١١ - ٢٩١/١٩ .
- ١٢ - «مقدمة طرفة الأصحاب» : ٢٥ .
- ١٣ - «سير أعلام النبلاء» ٢٨٩/١٩ .
- ١٤ - «هدية العارفين» ٨٢/٢ . ١٥ - ٢٤٤/١٧ .
- ١٦ - مكان النقط كلمات لم تتضح في التصوير .
- ١٧ - ما بين المربعين ساقط من الأصل .

بالبدر^(٣) ، ويعرف : (بالأمير . . . من بيت الإمامة في اليمن)^(٣) ، ولد بمدينة كحلان في النصف الأول من شهر جمادى الثانية سنة تسع وتسعين وألف للهجرة^(٤) .

تعليمه الأولي ، ورحيله في سبيل العلم : تلقى تعليمه الأولي على يد والده إسماعيل بن صلاح بمدينة كحلان^(٥) ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى صنعاء^(٦) سنة عشر ومئة ألف للهجرة على اختلاف فيها^(٧) ، وقد رحل إلى الحجاز مرات عديدة^(٨) . حيث التقى في مكة المكرمة والمدينة المنورة بعدد من علمائها^(٩) ، وأخذ عن كثير منهم^(١٠) .

أعماله : رغب الأمير عن تولي مهام القضاء^(١١) ، والمناصب الحكومية الأخرى ، وانصرف إلى : التدريس والتأليف^(١٢) ، وانقطع إليهما ولم يسلم عندئذ من آثار الفتن ، والامتحان^(١٣) ، إذ أودع السجن مراراً ، وناله سخط العامة^(١٤) ، وكيد الحكام^(١٥) : (ولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء)^(١٦) ، وقد وصفه محمد بن علي الشوكاني بأنه : (تفرد برئاسة العلم في صنعاء ، وتظهر بالاجتهاد ، وعمل بالأدلة ، ونفر عن التقليد . . .)^(١٧) .

مؤلفاته : ألف محمد بن إسماعيل الأمير عدداً غير يسير من المؤلفات ، والرسائل المختلفة ، إذ بلغت مؤلفاته حوالي تسعين مؤلفاً ورسالة^(١٨) ، ولعل من أهمها : « توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار » ، و « سبيل السلام شرح بلوغ المرام » و « المسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية » « إسبال المطر على قصب السكر » ، « اليواقيت في المواقيت » ، « الروض النضير » ، « إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد » ، « تطهير الاعتقاد عن أدران الأخاد » ، « شرح الجامع الصغير » للسيوطي ، « الرد على من قال بوحدة الوجود »^(١٩) .

شعره : لم يحض محمد بن إسماعيل الأمير نتاجه الفكري والأدبي للتأليف والتدوين وحسب ، وإنما صرف بعضاً من مواهبه للشعر ، والقريض ، فكان شاعراً إلى جانب كونه من العلماء المجتهدين في عصره ، وقد عرف له ديوان شعر : (يشتمل على ماينوف على ثلاث مئة صفحة)^(٢٠) ، فيه ألوان مختلفة من

أغراض الشعر : الذاتية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والإخوانية وغيرها^(٢١) .
وقد جمعه بعد وفاته ابنه عبدالله بن محمد^(٢٢) ، ومن شعره في تأييد دعوة الشيخ
محمد بن عبدالوهاب^(٢٣) قصيدته الموسومة بـ « الدالية »^(٢٤) ، التي يقول في
طالعها :

سلامٌ على نَجْدٍ ومن حلٌّ في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي^(٢٥)
ومن شعره أيضاً قوله :

القلب أعلمُ ياعذول بدائه
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى^(٢٦)
فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِينَ عَوَازِلِي
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى
فوحق من خاف الفؤاد وعيده
ما كنت ممن يرتضي حسن الثنا^(٢٨)
مَنْ ذا الذي بسط البسيطة للورى
من ذا الذي جعل النجوم ثواقبا
من ذا أتى بالشمس في أفق السما^(٢٩)
أسواه سواها ضياءً نافعاً
من أطلع القمر المنير إذا دجى^(٣١)
من طَوَّلَ الأيام عند مصيفها
من ذا الذي خلق الخلائق^(٣٢) كلها
وأدرَ للطفل الرضيع معاشه
ياويح من يعصي الإله وقد رأى
ما غير داء الذنب من أدوائه
وأحق منك بجفنه وبمائه
قسماً به في أرضه وسمائه
إن الملامة فيه من أعدائه
ورجى^(٢٧) مثوبته وحسن جزائه
بيديع نظمي في مديح سوائه
فرشاً وتوجّها بسقف سمائه
يهدي بها السارين في ظلماته
تجري بتقدير على أرجائه
لا والذي رفع السما^(٣٠) بينائه
ليل فشابه صبحه بضياته
وأنت قصاراً عند فصل شتائه
وكفى الجميع ببه وعطائه
من أمه يمتص طيب غذائه
إحسانه بنواله وندائه^(٣٣)

وفاته : (توفي - رحمه الله - سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين ومئة وألف في يوم
الثلاثاء ثالث شهر شعبان)^(٣٤) من هذا العام نفسه ، وقد رثاه جملة من شعراء
عصره^(٣٥) .

الرسالة : توثيقها ، قيمتها ، وصفها :

أولاً - توثيقها : يعتمد المشتغل بتحقيق التراث ونشره إلى توثيق ما يقع بين يديه من آثار فكرية أو أدبية ، إذ هو بعمله هذا يحقق نسبتها ، ويرفع من منزلتها ، ويعلي من مكانتها ، وما يؤكد نسبة هذه الرسالة لمحمد بن إسماعيل الأمير كونها مرسومة بقلمه ، ومرسلة منه لأحد معاصريه المعروفين في زمنه ، فهي مشابهة في رسمها لآثاره المخطوطة الموجودة الآن بين أيدينا^(٣٦) ، وهي كذلك تمثل آراءه المعهودة تجاه العمل بالكتاب والسنة^(٣٧) ، ونبذ ما خلافتها من مظاهر التقليد ، ولقد كُتبت هذه الرسالة في آخر سني حياة هذا العالم ، أي قبل موته بحوالي ثلاث سنوات رحمه الله ، ولذلك يمكن القول بأن هذه الرسالة مرسلة بالفعل من محمد بن إسماعيل الأمير إلى معاصره الشيخ عبدالحادي بن بكري أحد علماء بلدة رجال ألمع بتهامة عسير ، وذلك بالرغم من عدم ورود خاتم مرسلها ولا توقيعها ، وإنما كان إهمال هذين الأمرين معهوداً في تراث هذه الأمة في هذه الفترة الأخيرة .

قيمتها : يدرك الباحث في تاريخ الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية في القرون الأخيرة الماضية أهمية تحقيق التراث ونشره ، فلقد أهمل الباحثون المحدثون هذا الجانب ، وانصرفوا إلى دراساتهم المكرورة المعهودة ، وهم بهذا يغفلون تراثهم ، ويعدلون عن تحقيقه ، وربما تفاوتت منازل تلك الآثار المخطوطة ، ولكنها جميعها تمثل واقع الحياة الفكرية والأدبية في تلك الفترة المنسية من تاريخ الأدب العربي ، ولعل قيمة هذه الرسالة التي بين أيدينا الآن تأتي من خلال منزلة مرسلها ، ومكانته العلمية ، وما مثَّلَتْه من ملامح الاتصال الثقافي بين علماء اليمن وعلماء تهامة ممثلين في علماء آل بكري العُجَيليين برجال ألمع الذين منهم الشيخ عبدالحادي بن بكري ، مما يدل على حركة فكرية مناسبة في هذا الجزء المجهول من جزيرة العرب ، ولقد دلت هذه الرسالة بوضوح على جهود الإمام محمد بن إسماعيل الأمير تجاه العمل بالكتاب والسنة ، وما بذله في سبيلها من نصره وتأييد ، فالحق أن هذه المواقف قد عرفت عن هذا العالم من خلال مؤلفاته ،

وما عرفه الناس عنه من معاصريه العلماء ، ومن أتى بعدهم من المؤرخين والعلماء ، والباحثين ، فلقد سلك منهجاً أحيا فيه السنة ، وعمل بالكتاب الكريم ، ناهيك عن دفعه للتقليد والتعصب .

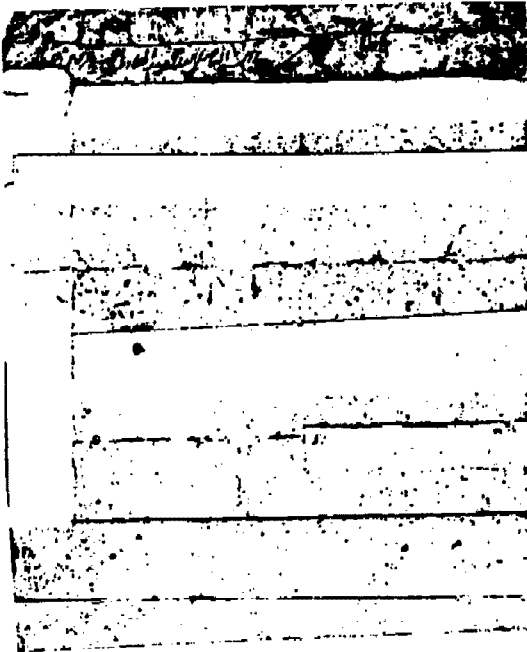
وتزداد قيمة هذه الرسالة في كونها كتبت بقلم الأمير الصنعائي نفسه ، وأنها أرسلت منه في آخر سني حياته ، فضلاً عن قيمتها التاريخية المثلثة في منهج كاتبها في كتابة الرسائل الإخوانية ، وطريقته في التحرير ، وفن الكتابة في عهده ، فلقد تميزت في رسم الحروف ، وبراعة الاستهلال ، وما تضمنته من ديباجة ، وخاتمة ، وكل ذلك يعطي هذه الرسالة قيمة تاريخية مهمة ، وبخاصة إذا أدرك مقام كاتبها ، ومكانته الأدبية .

وصفها : لقد تم الاعتماد في تحقيق هذه الرسالة على نسختها الخطية الأصلية الموجودة في مكتبة الحسن بن علي الحفطي رحمه الله ، إذ تم تصويرها من قبله قبل وفاته بأيام معدودة ، وتقع هذه الرسالة في ورقة واحدة ، وهي ذات حاشية واسعة ، وكانت مكتوبة بخط نسخي معتاد ، وتحوي صفحتها الأولى سبعة عشر سطراً ، عدا حاشيتها ، وفي كل سطر نحو أربع عشرة كلمة تقريباً ، ولم تكن هذه الرسالة مختومة بخاتم صاحبها ، وإنما هي مؤرخة بتاريخ معلوم .

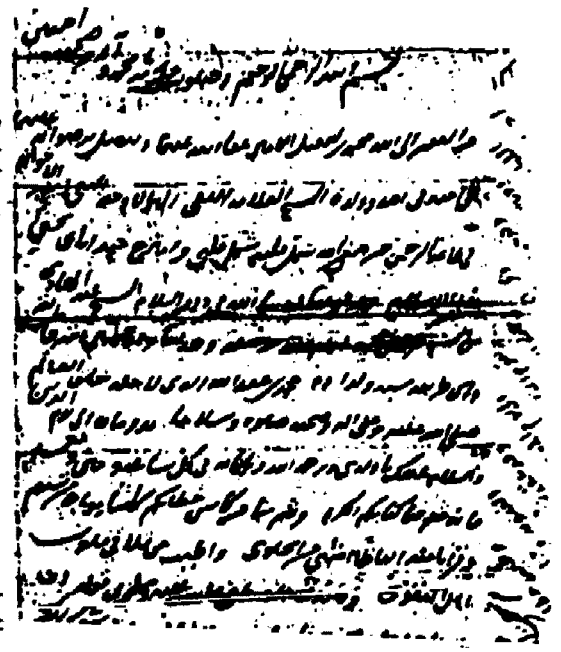
وتتصف هذه الرسالة بأن أغلب حروفها مهملة لا معجمة^(٣٨) ، وأن كاتبها اعتاد تسهيل الهمز^(٣٩) ، وحذف المد^(٤٠) ، وكان لا يحافظ أحياناً على تطبيق قواعد الإملاء ، مثل : إثبات حرف الألف بعد الواو التي هي جزء من الفعل^(٤١) ، وإهمال رسم الألف عند ورود لفظ (ابن) في صدر السطر ، ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة قد اتسمت بسلاسة أسلوبها ووضوحه ، واتصفت بالمحافظة على نهج الكتابة من حيث كتابة العنوان في ظهر الورقة ، فالحق أن هذه الرسالة شاهد على العصر الذي كتبت فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

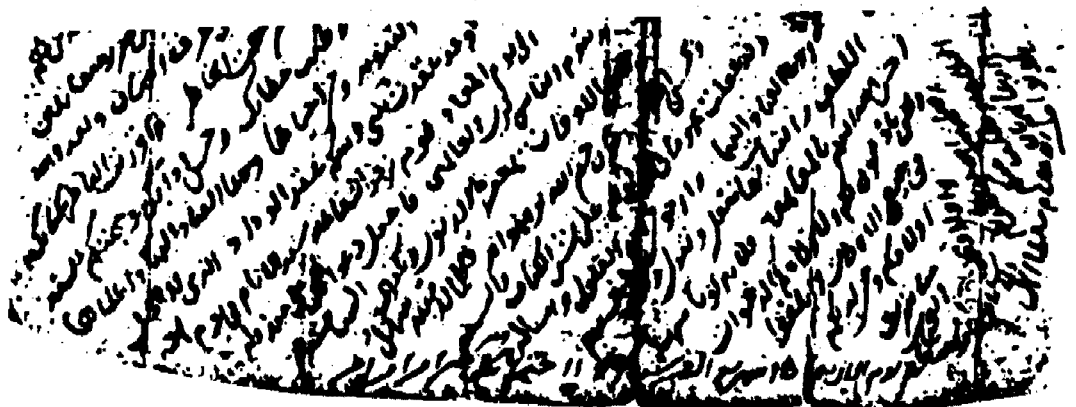
من الفقير إلى الله : محمد بن إسماعيل (٤٣) الأمير (٤٤) عفا الله عنهما ، وتفضل برضوانه عليهما ، إلى أخيه في الله ، وولده الشيخ : العلامة ، التقى ، البر ، الأوحى ، التقى ، زينة الإخوان في طاعة الرحمن ، من جمع الله شمل قلبه شمل قلبي ، وامتزج حبه إياي بحبي : نور الإسلام ، ورفقينا - إن شاء (٤٥) الله - في



الصفحة الثانية



الصفحة الأولى



حاشية الرسالة

دار السلام^(٤٦) : الشيخ عبدالهادي^(٤٧) بن^(٤٨) الشيخ بكري^(٤٩) بن محمد آدم
الله توفيقه ، وهدانا وإياه إلى أشرف طريقة ، وإلى طريق سيد ولد آدم^(٥٠) :
محمد بن عبدالله الذي لأجله خلق العالم^(٥١) صلى الله عليه ، وعلى آله^(٥٢) ،
وصحبه صلاة^(٥٣) ، وسلاما يدومان إلى يوم الدين ، والسلام عليك ، يا ولدي
ورحمة الله وبركاته في كل ساعة ، وحين ، وبعد :

فإنه شرفنا كتابكم الكريم ، وشربنا من كأس^(٥٤) خطابكم كأساً : ﴿ مَزَاجُهُ
مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾^(٥٥) ، وقرأنا^(٥٦) منه ألفاظاً أشهى من الحلوى ، وأطيب من تلاقى
قلوب أهل^(٥٧) التقوى ، وَصَدَّقَ المصطفى ﷺ في قوله : إن « الأرواح أجناد^(٥٨)
مجندة فما تعارف منها ائتلف . . . »^(٥٩) ، فإنه دلنا كتابكم على أن الله - وله
الحمد - قد جمع القلوب في عالم الغيوب ، وألف بينها : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾^(٦٠) ، فله
الحمد والثناء^(٦١) : ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾^(٦٢) ، والله يتقبل منكم
الدعاء^(٦٣) ، ويكافئكم^(٦٤) عنا بالحسنى ، ويجعلنا وإياكم من الإخوان الذين
هم : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾^(٦٥) ، في غرف الجنان ، ولقد والله شرحت
الخاطر ، وقررت الناظر بكتابك ، وطيب خطابك ، وحسن آدابك ، ومحبتكم
للسنة النبوية ، وَمَنْ أَحْيَاهَا ، ودعا العباد إليها ، وأعلاها^(٦٦) .

وقد عقدت بيني وبينكم عقد الوداد ، الذي لا ينحل إلى يوم المعاد ، يوم
نرجو^(٦٧) شفاعة سيد الأنام في . . .^(٦٨) ﴿ يقوم الناس لرب العالمين ﴾ فاجعل
دعواتك لي مبذولة في جميع الأوقات بمغفرة الذنوب ، وتكفير السيئات^(٦٩) .
وبحسن الختام^(٧٠) ، فإن ختم الله برضوانه فكل ما^(٧١) لاقيه سهل . وقد
جعلت أوقاتي قومة على نشر : الكتاب ، والسنة^(٧٢) ، ودعاء^(٧٣) العباد إليهما ،
وأرجو من الله القبول ، واسأله^(٧٤) اللطف ، والثبات فيما نفعل ونقول ، ولقد
أحسستم أحسن الله إليكم بالمعاهدة^(٧٥) ، فلا تركونا منها^(٧٦) ، ونحن باذلون
لكم ولأولادكم الدعوات في جميع الأوقات ، وابلغوا أولادكم ، وَمَنْ لَدَيْكُمْ منا
شريف التحيات ، وأولادي أصلحهم الله مبلغونكم^(٧٧) السلام ، ونطلب منكم
الدعاء^(٧٨) لهم بأن يكونوا من : الأعلام ، وعلماء^(٧٩) أهل^(٨٠) الإسلام ، ورقمه

ظهر يوم الأربعاء^(٨١) ١٥ شهر شوال من سنة ١١٧٩^(٨٢) ختمها الله بكل خير
آمين ، آمين ، آمين^(٨٣) .
حققها وقدم لها :

د. عبدالله بن محمد أبوداهش [الهوامش] :

- (١) محمد بن علي الشوكاني ، « البدر الطالع » ، ح ٢ ، ص ١٣٣ . حققها وقدم لها د. عبدالله بن محمد أبوداهش وكيل كلية اللغة العربية بالجنوب .
- (٢) دارة الملك عبدالعزيز ، « الكتاب السنوي الأول » ، ص ٢٤١ .
- (٣) خير الدين الزركلي ، « الأعلام » ، مع ٦ ، ص ٣٨ .
- (٤) محمد بن علي الشوكاني ، كتابه السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٣ .
- (٥) قال ياقوت : (كَحْلَانٌ : فعلان من الكحل ، وهو السواد ، مأخوذ من الكحل الذي يكتحل به ، والبيانيون اليوم يقولون : كَحْلَانٌ بالضم ، وكَحْلَانٌ : من أشهر غالييف اليمن ، وفيه بينون ورُعَيْن ، ومما قصران عجيبان ، قال امرؤ القيس :

ودار بني سَوَاسَةَ في رعين نَحَّرُ على جوانبه الشمال

- وبين كحلان وفمار ثمانية فراسخ ، وبينه وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً . « معجم البلدان » ح ٤ ، ص ٤٣٩ .
- (٦) قال عنها الهمداني : (... هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها ، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز ، وكان اسمها في الجاهلية إزال ، ويسمى أهل الشام القَصْبَةَ ... وقد جمعت أخبارها في القديم في كتاب « الإكليل » وأضربنا عن ذكر قديمها في هذا الموضع صفحا ، ولم يزل بها عالم وفقه وحكيم وزاهد ...) ، « صفة جزيرة العرب » ٨٢ ، انظر : « معجم البلدان » لياقوت ٤٢٥/٢ ، و : « تاريخ مدينة صنعاء » للرازي .
- (٧) وقبل سنة سبع ومئة وألف ، انظر : « البدر الطالع » ١٣٣/٢ ، و : « مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني » ٢٩٥ .
- (٨) قال عبدالله بن محمد الحبشي : « وفي سنة ١١٢٢ حج للمرة الأولى ، والتقى بجماعة من شيوخ مكة ... ثم مرة أخرى ، سنة ١١٣٢ ، ومرة ثالثة سنة ١١٣٤ ... » ، « مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاء » ، مجلة « العرب » ، ح ٩ ، ص ٧ (ربيع الأول ١٣٩٣ هـ) ص ٦٨٠ ، قال عبدالرحمن بن علي الأمير : (... فرحل إلى مكة المكرمة حيث أقام بها قرابة ثمانية أعوام منقطعا للتدريس في الحرم المكي الشريف) ، « الكتاب السنوي الأول » ، نشر دارة الملك عبدالعزيز ، ص ٢٥٥ .
- (٩) منهم : الشيخ أبو الحسن بن عبدالهادي السندي ، انظر كتاب : « مجموعة رسائل في علم التوحيد » جمع عبدالرحمن بن يحيى الإيراني ، ص ٥ .
- (١٠) مثل : الشيخ عبدالرحمن بن أبي الغيث ، وطاهر بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني ، المصدر السابق ، ص ٥ .
- (١١) عبدالله بن محمد الحبشي ، مقاله السابق ، ص ٦٨٠ ، قال الحبشي : (يقول المؤرخ زبارة : إن الإمام القاسم بن الحسين عرض عليه تولي القضاء في بندر المخا فامتنع عن ذلك ، وأثر نشر العلم) ، المصدر نفسه .
- (١٢) قال عبدالرحمن بن علي الأمير : (تصدر بمدينة صنعاء لتدريس السنة المطهرة وغيرها من فنون العلم والمعرفة ، وللتأليف والفتوى ...) ، « الكتاب السنوي الأول » ، نشر دارة الملك عبدالعزيز ص ٢٤٦ .
- (١٣) قال الشوكاني : (وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن) ، كتابه السابق ١٣٣/٢ .
- (١٤) قال الشوكاني : (وتجمع العوام لقتله مرة بعد أخرى) كتابه السابق ١٣٤/٢ .

- (١٥) المصدر نفسه ١٣٤/٢ .
- (١٦) المصدر نفسه ١٣٤/٢ .
- (١٧) المصدر نفسه ١٣٣/٢ .
- (١٨) عبدالله بن محمد الحبشي ، « مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني » ، مجلة « العرب » ح ١٠ ، ص ٧ (ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ) ص ٧٨٤ .
- (١٩) عمر رضا كحالة ، « معجم المؤلفين » ٥٦/٩ ، ٥٧ .
- (٢٠) الكتاب السنوي الأول ، نشر دار الملك عبدالعزيز ٢٦٣ ، وهو مطبوع في قطر ، ولدى المحقق نسخة خطية منه .
- (٢١) انظر ديوانه .
- (٢٢) عبدالرحمن بن يحيى اليرباني ، مجموعه السابق ١٣ .
- (٢٣) انظر أخبار هذه الدعوة وصاحبها في كتاب : « عنوان المجد في تاريخ نجد » لابن بشر .
- (٢٤) انظر ديوانه ورقة ٥٦ ، وقد حققها مستقلة زهير الشاويش ، تحت عنوان : « القصيدة الدالية » ، مط المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت .
- (٢٥) ديوانه ، ورقة ٥٦ .
- (٢٦) في الأصل : « التقا » .
- (٢٧) في الأصل : « ورجا » .
- (٢٨) كذا في الأصل ليستقيم الوزن .
- (٢٩) كذا في الأصل ليستقيم الوزن .
- (٣٠) كذا في الأصل ليستقيم الوزن .
- (٣١) في الأصل : « دجا » .
- (٣٢) في الأصل : « الخلاق » .
- (٣٣) قال في حاشية الأصل : (المدة لضرورة الشعر وإلا فهو هنا مقصور) ، انظر ديوانه ، ورقة ١ .
- (٣٤) محمد بن علي الشوكاني ، كتابه السابق ح ٢ ، ص ١٣٩ .
- (٣٥) المصدر نفسه ١٣٩/٢ .
- (٣٦) انظر « الأعلام » للزركلي ٣٨/٦ ، فلقد أورد أنموذجاً من تحريره في إحدى حواشي كتبه ، وفيه يتبين رسمه وطريقة كتابته .
- (٣٧) قال عبدالرحمن بن يحيى اليرباني : (كان رحمه الله داعياً إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وعدم التقيد بالمذاهب المعروفة ، وداعية إلى إخلاص التوحيد) مجموعه السابق ٨ .
- (٣٨) مثل قوله : (من العصر) .
- (٣٩) مثل قوله : (محمد بن إسماعيل الأمير) .
- (٤٠) مثل قوله : (آدم) .
- (٤١) مثل قوله : (نرجوا) .
- (٤٢) زاد : (وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين) .
- (٤٣) في الأصل : (اسمعيل) .
- (٤٤) يعرف بالأمير ، مثل أسلافه ، انظر : « الأعلام » للزركلي ٣٨/٦ .
- (٤٥) في الأصل : (شأ) .
- (٤٦) كذا في الأصل ، وقد كثر مثل هذا في آثار الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير ، إذ قال — على سبيل المثال — في إحدى قصائده :

انظر : «ديوانه» ورقة ٤ .

(٤٧) يعرف ب : (هادي) ، وهو : عبدالمهادي بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جفثم بن عجيل ، من آل بكري العجيليين سكان الملع بتهامة عسير ، لم تذكر المصادر التي بين أيدينا الآن تاريخ ولادته ، ولم تترجم له أيضاً ، ولكنه كان حياً في عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م ، إذ قيل في إحدى الوثائق المخطوطة المحررة في هذا العام نفسه : إن أهالي رجال الملع ، قد : (جلدوا المهدي على إقامة الشريعة المحمدية ، وتعاهدوا بالله الذي لا إله إلا هو على تنفيذها ، والرضا بحكمها ، وهي الطريقة المحمودة ، ونصبوا الفقيه هادي بن بكري على فصل الشريعة المطهرة ...) انتهى ، ولقد امتد العمر بهذا العالم من بعد حتى عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م تاريخ وصول هذه الرسالة إليه ، ولا نعلم تاريخاً محدداً لوفاة . وقد كان خلال تلك الفترة السابقة يسهم بالتدريس في بلدته رجال الملع ، إذ قال الحسن بن أحمد عاكش في معرض ترجمته للشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفطي (١١٤٥ - ١٢٣٣هـ) إن الحفطي قد أخذ : (عن عمه عبدالمهادي) ، « عقود الدرر » ١٧ . وفي « مشجرة نسب الفقهاء آل عجيل » ، قيل : (...) وأولاده أعني الشيخ بكري خمسة : عبدالقادر ، وهادي [عبدالمهادي] ، ومحمد ، وطواشي ، وأحمد ... وأما هادي فأبناؤه أربعة : محمد ، وحسن ، الذي عرف بتأييده لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهائي وأمرء الدولة السعودية الأولى ، وبخاصة الأمير عبدالله بن سعود الذي اعتاد مكاتبة ابن عبدالمهادي ، ومن أحفاده أيضاً : الشيخ : عبدالمهادي بن محمد بن عبدالمهادي صاحب كتاب : « تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد » توجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ^{٥١٠}/_{٨٦} ورد هذا اللفظ في أول السطر ، ولم يرسم قبله حرف الألف .

(٤٨) ورد هذا اللفظ في أول السطر ، ولم يرسم قبله حرف الألف .

(٤٩) قيل في : « مشجرة الفقهاء آل عجيل » : (الشيخ بكري ، هو : بكري بن محمد بن مهدي [بن] موسى بن جفثم [بن] عجيل ، وأولاده أعني الشيخ بكري خمسة ...) انتهى ، وقيل في : « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » : لعاكش (الشيخ بكري يتصل بنسبه بالشيخ العلامة الولي المشهور في البراري والبحور : أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر عجيل ...) ورقة ١ ، وقال عاكش أيضاً : (وكان الشيخ بكري المذكور من العلماء العاملين . ومن الأولياء الزاهدين ، وفريته الآن فيهم كثرة بقرية رجال ، وهم علماء تلك البقاع ، وعلى فتاويهم وأحكامهم المعول بلا نزاع ...) ، المصدر نفسه ، ورقة ١ . وقد قيل في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق : (...) ثلاثة لم يكن أشهر منهم بالإحسان ، وفعل الخير ، وانتشار الصيت لهم في مشرق الأرض ومغربها ، فائنان منهم من أهل [الثروة] ، وهما : الأمير عز الدين القطبي ، وأبو الغيث بن عفلق ، وثالثهم : الشيخ بكري بن محمد ، وهو يفضلهم بالعلم والولاية ، والاتفاق من غير ثروة ...) انتهى ، قال عنه عاكش : (...) الشيخ الولي قطب الحجاز : بكري بن محمد موسى) : « حقائق الزهر » ورقة ٥٢ .

(٥٠) في الأصل : (آدم) .

(٥١) كذا في الأصل .

(٥٢) في الأصل : (اله) .

(٥٣) في الأصل : (صلوه) .

(٥٤) في الأصل : (كاس) .

(٥٥) من آية (٧) سورة المطففين .

(٥٦) في الأصل : (قرانا) .

(٥٧) غير واضحة في الأصل ، ولعلها كما اثبت .

(٥٨) كذا في الأصل .

(۵۹) والحديث : « الأرواح جنود مجتدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ، انظر : صحيح البخاري ، ومسلم ، و : « مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » للزرقاني ، و : « الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة » للسيوطي ٤٨ .

- (٦٠) من آية ٦٣ سورة الأنفال .
(٦١) في الأصل : (الثنا) .
(٦٢) آية ٤٢ من سورة النجم .
(٦٣) في الأصل : (الدعا) .
(٦٤) في الأصل : (يكافكم) .
(٦٥) آية ٤٤ سورة الصافات .
(٦٦) يريد بهذا القول نفسه ، وغيره ممن ناصر الكتاب والسنة في هذه الفترة الأخيرة من تاريخ الأمة .
(٦٧) في الأصل : (نرجوا) .
(٦٨) هنا كلمة غير واضحة في الأصل ، ولعلها : (هو) .
(٦٩) في الأصل : (السات) .
(٧٠) توفي رحمه الله ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م .
(٧١) في الأصل : (كلما) .
(٧٢) قيل في كتاب : « أبجد العلوم » للفتنوي : (...) كان له صولة في الصدع بالحق ، واتباع السنة ، وترك البدعة ، لم يرمثله في هذا الأمر (١٩٢/٣) .
(٧٣) في الأصل : (دعا) .
(٧٤) في الأصل : (واساله) .
(٧٥) هكذا قرئت هذه الكلمة ، وربما كانت غير ذلك .
(٧٦) هكذا قرئت هذه العبارة ، وربما كانت غير ذلك .
(٧٧) كذا في الأصل .
(٧٨) في الأصل : (الدعا) .
(٧٩) في الأصل : (علما) ، ولعلها : (من علماء) .
(٨٠) كذا في الأصل .
(٨١) في الأصل : (الارمعا) .
(٨٢) قبل وفاة الأمير بثلاث سنوات تقريباً .
(٨٣) رسمت لفظة : (آمين) هكذا : « ام ام ام » ، ولقد وجه الأمير رحمه الله تعالى رسالته بقوله : (سيدي الشيخ الفاضل العلامة عبدالحادي بن الشيخ بكري بن محمد ...) ، وذلك في ظهر الورقة نفسها ، بعد أن طواها وهياها للمرسل إليه ، وهذا نهج معهود في كتابة الرسائل .

المصادر والمراجع :

أولاً - الدوريات :

- (١) الحبشي ، عبدالله بن محمد . (مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني) ، مجلة العرب ، ح ٩ ، ص ٧ (ربيع الأول ١٣٩٣هـ) ص ٦٨٠ .
(٢) الحبشي ، عبدالله بن محمد . (مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني) ، مجلة العرب ، ح ١٠ ، ص ٧ (ربيع الثاني ١٣٩٣هـ) ص ٧٨٠ .

ثانياً - المخطوطات :

- (١) الأمير ، محمد بن إسماعيل . «ديوانه» . نسخة مخطوطة توجد لدى المحقق ، تاريخ النسخ ١٣٥١هـ ، بدون رقم .
- (٢) الأهالي في رجال ألمع . «عهد مخطوط يتضمن اتفاقيهم على إقامة الشريعة الإسلامية» ، يوجد لدى الباحث ، بدون رقم .
- (٣) عاكش ، الحسن بن أحمد . «حداائق الزهر في ذكر الأشياء أعيان الدهر» ، نسخة مخطوطة ، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان ، تحت رقم .
- (٤) عاكش ، الحسن بن أحمد . «عقد الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر» ، نسخة مخطوطة ، توجد في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ، تحت رقم ١٣٣٤ ، الرياض .
- (٥) عاكش ، الحسن بن أحمد . «قمع التجري على أولاد الشيخ بكري» ، نسخة مخطوطة ، توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي بأبها .
- (٦) مجهول ، «مشجرة في نسب آل بكري المجيلين سكان رجال ألمع بتهامة عسير» ، مخطوطة ، توجد لدى الباحث ، بدون رقم .
- (٧) مجهول ، «ورقة مخطوطة تتضمن أخباراً عن الشيخ بكري بن محمد» ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .

ثالثاً - المطبوعات :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الإيراني ، عبدالرحمن بن يحيى ، (جامع) . «مجموعة رسائل في علم التوحيد» ، ط ١ مط دار الفكر ، دمشق ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة باليمن (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
- (٣) الأمير ، محمد بن إسماعيل . «القصيدة الدالية» ، تحقيق زهير الشاويش ، مط الكتب الإسلامي ، دمشق ، بدون تاريخ .
- (٤) البخاري . أبو عبدالله محمد بن إسماعيل . «صحيح البخاري» ، منشورات المكتبة الإسلامية ، وتوزيع مكتبة العلم بالملكة العربية السعودية ، جدة . بدون تاريخ .
- (٥) ابن بشر ، عثمان . «عنوان المجد في تاريخ نجد» ، ط ٤ ، مط دار الهلال للأوفست ، الرياض ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
- (٦) الحموي ، ياقوت . «معجم البلدان» ، طبعة داري صادر ، وبيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .
- (٧) دار الملك عبدالعزيز ، «الكتاب السنوي الأول» ، مجموعة بحوث مقدمة في دورة الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية خلال الفترة ١٦-١٤٠١/٦/١٨هـ ، ومنها بحث : «محمد بن إسماعيل الأمير إمام الاجتهاد» لعبدالرحمن علي الأمير ، مط دار الهلال للأوفست ، الرياض ، بدون تاريخ .
- (٨) الرازي الصنعاني ، أحمد بن عبدالله . «تاريخ مدينة صنعاء» ، تحقيق : حسين عبدالله العمري ، عبدالجبار زكار ، ط ١ ، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .
- (٩) الزرقاني ، محمد بن عبدالباقى . «مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» ، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، ط ١ ، منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .
- (١٠) الرزكلي ، خير الدين . «الأعلام» ، مع ٦ ، ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .

هل جاءت التوراة من جزيرة العرب؟!

[لا تزال أصداء أفكار الدكتور كمال صليبي في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» تتردد في مجال الدراسات التاريخية في الجامعات العلمية . وبمناسبة قُرْب صدور الطبعة الثانية من ذلك الكتاب تقدم «العرب» لقراءها دراسة شاملة عميقة عن الأسس التي بُنِيَ عليها الدكتور الصليبي تلك الأفكار ، للأستاذ الدكتور محمود أبو طالب من الجامعة الأردنية - نشرتها مجلة «دراسات تاريخية» بتاريخ أيلول سنة ١٩٨٧ ج ٢٧ / ٢٨ س ٨ - إذ جُلّ القراء لا يطلعون على ما ينشر في هذه المجلة ولأن الموضوع عميق الصلة بتاريخ بلادنا] .

صدر في أيلول من سنة ١٩٨٥م من تأليف الدكتور كمال الصليبي الأستاذ في قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت كتاب بعنوان: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»^(١). وهو الآن في طبعته الثانية في كل من اللغات العربية والانجليزية والألمانية . وأطروحة هذا الكتاب هي أن تاريخ بني إسرائيل ، كما ترويهِ التوراة قد اتخذ مساره بالكامل في أرض عَسِير وجنوبي الحجاز في غربي شبه الجزيرة العربية، وأن الصعوبات التي واجهها ويواجهها دارسو التاريخ التوراتي وأدَّتْ بالكثيرين منهم إلى التشكك في صحة ذلك التاريخ سببها قبولهم بالفكرة التقليدية القائلة بأنَّ جذورَ تاريخ بني إسرائيل تعود إلى العراق ومصر وأنَّ بُؤْرَتَهُ كانت في فلسطين . ووفقاً لهذه الأطروحة فإنَّ أرض كنعان التي نجح بنو إسرائيل في إقامة كيانٍ لهم فيها ليست فلسطين وإنما المنحدرات البحرية لِعَسِير من منطقة بَلْعَمَر في الشمال عبر منطقة رجال ألمع ، وحتى منطقة جيزان في

→ (١١) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر . «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» تحقيق : محمد ابن لطفي الصباغ ، ط ١ مطبعة الملك سعود ، مطبوعات عمادة شؤون المكتبات (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

(١٢) الشوكاني ، محمد بن علي . «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ، مح ٢ ، منشورات دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، وهي مصورة عن طبعة دار السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

(١٣) العمري ، حسين بن عبدالله العمري . «مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني» ، دار المختار للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

(١٤) القنوجي ، صديق بن حسن . «أبجد العلوم» ، ح ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(١٥) كحالة ، عمر رضا . «معجم المؤلفين» ح ٩ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

(١٦) مسلم ، «صحيح مسلم» ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

(١٧) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب . «صفة جزيرة العرب» ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

الجنوب . كما أن أرض الفلسطينيين^(٢) هي ليست الساحل الفلسطيني وإنما ساحل تهامة من جوار اللّيث في الشمال إلى جوار جيزان في الجنوب . وأن (هيردن) ليست نهر الأردن وإنما هي لفظة تعني (جُرْف) أو (قَمّة) أو (مرتفع) وقد استعملت للإشارة إلى مثل هذه المظاهر الطبوغرافية في عَسِير وجنوبي الحجاز . وفي عسير أيضاً - وليس في مصر وفي العراق - نَجْدُ نَهْرَي مِصْرَايم وفرات ، والأول هو وادي لِيَّة والآخر هو وادي إَضَم . أما مصرَايم نفسها فليست سوى قرية المَصْرَمَة (أو المصرامة) بين أبها وخميس مُشَيْط . وليس هذا كل شيء فالمؤلف يرى أيضاً أن كتابات المصريين والعراقيين، وبمالك الأجزاء الشمالية من بلاد الشام في الألفين الثانية والأولى قبل الميلاد مما له صلة ببيئة تاريخ بني إسرائيل تشير هي الأخرى إلى غربي شبه الجزيرة العربية .

ولقد وصف الدكتور الصليبي نفسه هذه الأطروحة بأنها: (استنتاج مذهل) - ص ٢٧ - وهو يقر بأنها تبدو: (في منتهى الغرابة للوهلة الأولى، ليس فقط بالنسبة لليهود والمسيحيين الذين اعتادوا على أن أرض التوراة هي فلسطين بل أيضاً بالنسبة إلى المسلمين الذين أخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين) - ص ١٤ ، ١٥ - بل إنه يعتقد كما ورد على لسانه في مقابلة معه نشرتها مجلة لبنانية^(٣) بأن هذه الأطروحة تُشكّل دعوةً إلى إعادة النظر في أسس الحضارة الغربية . وكيفما كان الأمر ، فإنّ أقلّ ماتنتطوي عليه هذه الأطروحة - ان صحت - هو خلق تاريخ قديم كامل لغربي شبه الجزيرة العربية ، ومحو كامل تاريخ فلسطين القديم ، وإعادة النظر في التاريخ القديم لكل من الشام ومصر والعراق لمدة ألفي سنة - على الأقل - وشطب كل ماكتب في هذه المواضيع لمدة ألفي سنة أخرى .

وفي الفصل الأول من هذا الكتاب وهو بعنوان (العالم اليهودي في العصور القديمة) - ص ٢٧ ، ٥٦ - يفسر لنا الدكتور الصليبي كيف قدر لـ (الوهم) بأن فلسطين هي أرض التوراة أن يسيطر على البشرية كل هذه المئات من السنين . ويبدأ تفسيره بالتأكيد على أن كون مسار تاريخ بني إسرائيل في غربي شبه الجزيرة

العربية: (لا يعني أن اليهود لم يكن لهم أي وجود في فلسطين أو في غيرها من البلدان خارج غرب الجزيرة العربية في أيام التوراة) - ص ٢٨ - . وتعود بدايات الوجود (اليهودي)^(٤) في فلسطين إلى القرن العاشر قبل الميلاد - أي إلى زمن داود وسليمان - وكان الحافز له حيثئذ تجارياً . ثم لم يلبث انتقال (اليهود) إلى فلسطين أن اتخذ شكل هجرات واسعة النطاق بسبب الحروب التي نشبت بين مملكتي إسرائيل ويهوذا منذ انفصلتا إثر وفاة سليمان، وكعادة المهاجرين في كل زمان وفي كل مكان من هذا العالم - كما يؤكد الصليبي - عمد (اليهود) المهاجرون إلى فلسطين إلى إطلاق أسماء يعرفونها في غربي شبه الجزيرة العربية على مواقع في فلسطين . وهكذا فإننا نجد في فلسطين ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد أسماء أماكن توراتية مثل يهوذا ، يروشلیم^(٥)، بيت لحم، حبرون، شمرون، جرزيم، عيال، كرمل جليل وهردن - ص ٣٥ ، ٣٦ - . كما أن الدكتور الصليبي يؤكد أيضاً أنه لم يكن اليهود أول من استوطن فلسطين قادماً من غرب شبه الجزيرة العربية بل هناك الفلسطينيون أي الفلستيون - والتفسير له - الذين وصلوا ولاشك من غرب شبه الجزيرة العربية قبلهم، فصارت تعرف باسمهم، وهناك أيضاً الكنعانيون الذي نزحوا من غرب شبه الجزيرة العربية في زمن مبكر عندما تفرقت قبائلهم في الأرجاء (سفر التكوين ١٠ : ١٨) ليعطوا اسمهم لأرض كنعان (كنعان) على امتداد الساحل الشامي شمالي فلسطين - ص ٣٣ - وقد أعطى كل من الفلسطينيين والكنعانيين أسماء يعرفونها في عسير لمواقع في فلسطين وبلاد الشام ، ومن هنا نجد فيها أسماء فلسية مثل غزة وأشكلون وبيت دجن منذ (ماقبل بني إسرائيل) وأسماء كنعانية مثل صور، صيدون، جبيل، أرواد ولبنان منذ (زمن مبكر) - ص ٣٤ - .

ويستمر الدكتور الصليبي في تفسيره ليخبرنا بأنه عندما تحطم كيان بني إسرائيل السياسي في أرض عسير باحتلال نبوخذ نصر البابلي ليروشلم سنة ٥٨٦ ق.م ، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين، وقبل أن يمر وقت طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت في غياهب النسيان - ص ٤٣ - وقد تحقق ذلك نتيجة لموت اللغة العبرية الذي بدأ منذ نهاية القرن

السادس قبل الميلاد مع بداية شيوع اللغة الآرامية كلغة للحياة اليومية أواخر زمن البابليين، وبلغ ذروته عندما أصبحت الآرامية لغة رسمية في زمن الامبراطورية الأخمينية . ويموت اللغة العبرية بدأت صلةً يهود فلسطين بكتبهم المقدسة تنقطع ، وانقطعت أيضاً الصلة بينهم وبين يهود غربي شبه الجزيرة العربية ، ولم يلبث هؤلاء – أي يهود غربي الجزيرة – أن تشتتوا بين الكيانات المحلية الجديدة ، وأهمها دولة معين التي قامت في نفس المنطقة التي كانت قد قامت فيها مملكة بني إسرائيل من قبل . أما بالنسبة ليهود فلسطين فقد كان الحال مختلفاً إذ أتاح لهم الصراع بين البطالمة والسلوقيين الفرصة لتحقيق استقلالهم ، وإقامة ما يعرف باسم مملكة الحشمونيين سنة ١٦٧ ق.م ويؤكد المؤلف أن هؤلاء الحشمونيين قد اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لإسرائيل القديمة وفي أيامهم (تم اعتبار فلسطين بأنها الأرض الأصلية لشعب إسرائيل البائد والتوراة العبرية) – ص ٤٨ – . ومنذ ذلك الوقت سيطر هذا الوهم على العالم .

ولإثبات أن الربط بين فلسطين والتوراة ليس أكثر من وهم، يستند المؤلف على ركيزتين نجد الأولى في الفصل الثاني المعنون بـ (مسألة نهج) – ص ٥٧ - ٧٢ – ونجد الأخرى في الفصل الخامس وعنوانه (مالم يكتشف في فلسطين) – ص ١٠٥ ، ١٢١ – والركيزة الأولى هي أن النص العبري التوراتي يمثل لغة ميتة يجب عند التعامل معه تعريته من جميع حركاته، والركيزة الثانية هي أن النشاط الأثري في فلسطين والذي مضى على بدايته أكثر من مئة سنة لم يقدم لنا حتى الآن أي دليل على صحة مثل هذا الربط .

وفي توضيحه للنقطة الأولى يؤكد المؤلف على أن النص العبري التوراتي مكتوب بلغة (خرجت عن إطار الاستعمال العام منذ زمن يعود إلى ما بعد القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد) (ولذلك) فإنه لا يمكن لأحد أن يعرف كيف كانت هذه اللغة تلفظ وتصوت في الأصل لدى الشعب أو الشعوب التي تكلمتها) – ص ١٥٧ – . وبناءً على ذلك من القرن السادس الميلادي قامت جماعة من علماء اليهود اصطلاح على تسميتهم الـ (ماسوريين) بإدخال النقط والحركات على هذا النص ، ويحكم أنهم كانوا يتعاملون مع لغة مضى على موتها أحد عشر أو اثنا عشر قرناً

٦٧٩

فإن ما أدخلوه من الحركات لا يمكن اعتباره موثقاً أو صحيحاً . ومن المؤكد أيضاً — كما يدعي المؤلف — أنهم ارتكبوا الكثير من الأخطاء فيما يتعلق بالحروف الساكنة ، وبصورة خاصة حين اعتبروا أن كلمة واحدة هي في الأصل كلمتين ، أو حين اعتبروا حرفاً ما سابقاً لكلمة ما ، بينما هو في حقيقة الأمر لاجئ للكلمة التي قبلها ، وهكذا

ولاشك أن الدكتور الصليبي مُصِيبٌ فيما يتعلق بزمان إدخال الحركات في النص العبري التوراتي ، أما القول بأن اللغة العبرية قد ماتت منذ القرن الخامس قبل الميلاد ففيه الكثير من المبالغة بل عدم الصحة . صحيح أن استعمال اللغة العبرية في الحياة الدنيوية اليومية قد بدأ منذئذ بالانحسار ، وصحيح أيضاً أن بعض ألفاظ التوراة لاتزال إلى اليوم موضع خلاف في معناها ومعناها ، إلا أنه من المؤكد جداً من الناحية الأخرى أن ترتيل أجزاء من التوراة العبرية قد كان ولا يزال هو محور الصلوات في الكُنُس ، وفي البيوت الخاصة . ولقد بدأ الربانة منذ القرن الخامس قبل الميلاد بدراسة النصوص العبرية التي بين أيديهم من أجل تقرير ماهو (مقدس) منها وماهو (غير مقدس)^(٦) وهي عملية لم تنته إلا في أواخر القرن الأول الميلادي ، ولا يصح تكنيكياً الحديث عن (التوراة)^(٧) كمجموعة كاملة من الأسفار المقدسة قبل ذلك . وبالعبرية كتبت طائفة الإيسينيين اليهودية جُلُّ كتاباتها وكُلُّ أسفار التوراة المقبولة لديها ، وهي الكتابات المعروفة باسم (مخطوطات البحر الميت)^(٨) ويعود أقدمها إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأحدثها إلى أواسط القرن الثاني الميلادي . وإلى الفترة اليونانية تعود كثير من الكتابات العبرية التذكارية التي كُتِبَتْ عنها في الكُنُس وعلى المقابر إضافة إلى العديد من قطع العملة الحشمونية^(٩) . ولقد وجد عدد من آباء الكنيسة الأوائل أنفسهم مضطرين إلى تعلم اللغة العبرية حتى يتمكنوا من قراءة ما اصطلاح المسيحيون على تسميته (العهد القديم) بلغته الأصلية . وفيما يخص أسماء الأماكن وهي حُمة كتاب الدكتور الصليبي وسداه كما يقولون ، وصلنا ومن الفترة اليونانية نص توراتي دخلت عليها فيه الحركات وأعني بذلك الترجمة اليونانية المعروفة باسم (السبعونية) Septuagint لم تلبث أن تبعتها ترجمة لاتينية تعرف باسم (الدارجة)

Vulgate وفي سنة ٢٤٥م أنجز الأب أوريجن Origen عملاً ضخماً يعرف باسم Hexapla يتألف من ستة أعمدة متوازية الأول منها هو النص العبري بحروفه الساكنة ، والثاني هو مايقابل تلك الحروف باليونانية Transcription أما الأعمدة من ٣ إلى ٦ فقد حوت نصوص أربع ترجمات يونانية معروفة في زمنه من بينها الترجمة السبعونية . ومن الغريب أن الصليبي قد نوه بالترجمات الآرامية زمن الأخمينيين واليونانية زمن الهيلينيين في معرض التدليل على أن اللغة العبرية كانت ميتة تماماً - ص ٥٨ ، ٥٩ - ولكن مالا يستطيع إنكاره أنها كانت مفهومة على الأقل من قبل أولئك الذين قاموا بتلك الترجمات . وهذا هو أقل مايقال بشأن الـ (ماسوريم)^(١٠) الذين بدأوا بإدخال الحركات في النص العبري في القرن السادس الميلادي ، إذ من المستحيل أن يكونوا قد قاموا بذلك (بصورة اعتباطية) كما يزعم المؤلف - ص ١٥ - وإلا لكان يصح أن يقال: بأنهم وضعوا قواعد جديدة ، وبالتالي نصّاً توراتياً جديداً .

أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها الصليبي لإثبات أن الربط بين فلسطين والتوراة وهمّ فهي الادعاء بأن النشاط الأثري المكثف فيها لم يكشف عما يبرر مثل هذا الربط ، وقد اقتصر الدكتور الصليبي في محاولة إثبات ذلك على مناقشة عاجلة لثلاثة نقوش هي: نقش ختم من تل الخليفة بالقرب من العقبة، ونقش نفق سلوان من القدس، ونقش ميشع من ذيبان، ومجموعتين من الكسر الفخارية التي تحمل كتابة كشف عن المجموعة الأولى في سبسطية، وتعرف باسم كتابات السامرة، وكشف عن الأخرى في تل الدوير، ويشار إليها عادة باسم كتابات لاخيئش . ويخلص من هذه المناقشة إلى أن هذه النقوش والكتابات لا تحتوي أسماء أشخاص أو أماكن يمكن أن ترتبط بالتوراة . ثم يختم هذا الفصل بسرد مجموعة من المطابقات اللغوية بين أسماء أماكن وردت في بعض كتابات الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) وهي مما اكتشف في العراق وفي بعض رسائل تل العمارنة (التي تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد) وقد اكتشفت في مصر ، هذا من ناحية ، وبين أسماء أماكن في غربي شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى . وبذلك يختلط في فصل عنوانه (مالم يكتشف في فلسطين) بعض ما اكتشف في كل

من فلسطين والعراق ومصر . ولا مجال بالطبع لقبول مطابقاته اللغوية المتعلقة برسائل تل العمارنة ونصوص سرجون الأشوري إذ لم يثبت لنا بعد أن أرض التوراة هي عسير ، أما مناقشته للكتابات التي وُجِدَتْ في فلسطين فيمكن اعتبارها مثلاً لما يجب أن لا تكون عليه المناقشة العلمية .

وللتدليل على مدى تهافت هذه المناقشة فإننا سوف نقبل جَدَلاً كُلُّ النقاط التي يُصِرُّ عليها ثم نسأل : هل تثبت هذه النقاط حتى لو صحت أن فلسطين هي ليست أرض التوراة ؟ أما النقاط التي بصر عليها فهي :

أولاً : أن الحروف الأربعة المكتوبة على ختم الخليفة لى ت م هي ليست اسم يوثام ملك يهوذا كما زعم المنقب (نلسن جلوك N. Gleuck) وإنما إلى يوثام ما وقد لا يكون من بني إسرائيل بل قد (يكون اسم الاله المصري أتوم) ^(١١) . كما أن تحديد موقع عصيون جبير المذكور في التوراة في تل الخليفة الحالي ليس صحيحاً . والواقع هو أن كثيرين من المختصين قد سبقوا الدكتور الصليبي في رفض المطابقة بين يوثام وملك يهوذا الذي يحمل نفس الاسم ، ورفضوا أيضاً تحديد موقع عصيون في تل الخليفة .

ثانياً : أن اسم الملك حزقيا من ملوك يهوذا غير مذكور في نقش سلوان ، ولا يرد في هذا النقش ذكر اسم أي موقع بما في ذلك يروسلم ولم يدَّع أحد خلاف ذلك .

ثالثاً : أن الكتابات التي عُثِرَ عليها في سبسطية ويطلق عليها اسم كتابات السامرة لا ذكر فيها لاسم الموقع (شمرون) . ولم يدَّع أحد خلاف ذلك أبداً .

رابعاً : ان كتابات تل الدوير لا ذكر فيها لاسم المكان (لاخيش) المذكور في التوراة وأن ادعاء وليم البرايت W.F. Albright بأن لاخيش هي تل الدوير ادعاء باطل ، وباطل أيضاً ادعاؤه بأن الحروف ... س ل م هي ما بقي من اسم يروسلم .

خامساً : ان نقش ميشع يتحدث عن حروب هذا الملك المزابي مع عمري

ملك اسرائيل وابنه ، وقد كتب على نصب أُقيم في جحرا جنوبي الكرك بعد اضطرار ميشع للجللاء عن مؤاب في الحجاز .

وبقى أن مالا يستطيع الدكتور الصليبي أن ينكره هو أن هذه الكتابات قد اكتشفت في أرض فلسطين والأردن ، وأن أربعاً منها بالعبرية وإحداها بالمؤابية وهما لهجتان كنعانيتان ، وإن اسم ميشع واسم يوثام مذكوران في التوراة ، وليس صحيحاً مازعمه المؤلف من أن جلوك وبناء على ختم يوثام فقط حدد موقع عصيون جبير التوراتية في تل الخليفة ثم أخذ : (يعلن للعالم دون أن يرف له جفن اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لمناجم نحاس الملك سليمان) - ص ١٠٦ - . لقد نقب جلوك في تل الخليفة^(١٢) عدة شهور وكشف عن طبقاته الأثرية وماتحويه من فخار وأبنية ، ودرس سياق ذكر عصيون جبير في النصوص التوراتية قبل أن يقترح هذه المطابقة التي تبقى اقتراحاً ربما كان خاطئاً . وليس صحيحاً أيضاً أن البرايت^(١٣) قد حدد موقع لاختيش في تل الدوير بناء على الكسرة رقم ٤ التي وجدت فيها ، ومن الغبن الشديد أن يوصف اقتراحه بأن الحروف س ل م هي مابقي من اسم يروسلم بالصفافاة والاعتباطية وغياب أقل احترام للأمانة العلمية - ص ١١١ - إذ أن اقتراحاً كهذا ، بغض النظر عن صحته أو عدم صحته أمر غير مشروع في مجال الدراسات الأثرية والتاريخية . ثم لماذا كل هذا الغضب ألم يؤكد لنا المؤلف في عدة مواضع من كتابه أنه كان يوجد في زمن التوراة يروشلیم فلسطينية ١٩

إن الثقة المطلقة وغير المعقولة التي يُقدَّم بها الدكتور الصليبي مثل هذه الحجج وتجاهله التام لعشرات بل مئات الدراسات والتقارير التي تتعلق بهذه الكتابات الخمس فقط يؤكد لنا أنه لا يُقدَّر مدى التعقيد الذي نجده في تاريخ فلسطين القديم . وإلا كيف خيّل للدكتور الصليبي أنه يستطيع أن يقنع أحداً باستثناء بعض من قابلوه من كتاب الصحف الدارجة ، أن ميشع قد أقام في جحرا نصباً تذكاريّاً لتخليد هزائمه ، ثم انتقل هذا النصب ليكشف عنه في ذبيان ، أو أنه حتى يصحّ الربط بين حزقيا ونقش سلوان ، يجب أن ينص هذا النقش الذي لم يصلنا كاملاً على مايلي : (إن هذا النقش قد كتب في زمن الملك حزقيا

— ٧ ص ١٠٧ — ونذكر بهذه المناسبة أن نقش سلوان لم يعثر عليه في قرية سلوان قرب القدس كما يزعم الصليبي وإنما على جدار نفق يربط بين عين ستنا مريم (وتسمى أيضاً عين أم الدرج) وبركة سلوان وكلاهما على التلة الشرقية إلى الجنوب من سور الحرم الجنوبي^(١٤).

هذا عن محاولة الدكتور الصليبي إثبات أن أرض التوراة هي ليست فلسطين ، فماذا عن محاولته إثبات أن هذه الأرض هي عَسِير ، ويعرف الجميع بالطبع أنه لم تجر في أرض عَسِير حتى الآن أية نشاطات أثرية ، ولم يكتشف فيها أبداً أي أثر مكتوب له أية صلة قرية أو بعيدة بلغة التوراة أو تاريخها ، فعلى ماذا يعتمد الدكتور الصليبي إذن ؟

يعتمد الدكتور الصليبي على ما يدعيه من وجود مطابقات بين أسماء أماكن في التوراة وأسماء أماكن في عَسِير وغربي شبه الجزيرة العربية ، ويعترف الدكتور الصليبي بأنه اكتشف هذه المطابقات اكتشافاً وعن طريق الصدفة ، إذ نقرأ في الفقرة الأولى من الفصل الأول مايلي : (لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة . كنت أبحث عن أسماء الأمكنة ذات الأصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية عندما فوجئت بوجود أرض التوراة كلها هناك . . . وكان أول ماتنبهت إليه أن في هذه المنطقة أسماء أمكنة تشبه أسماء الأمكنة المذكورة في التوراة ، وسرعان ماتبين لي أن جميع أسماء الأمكنة التوراتية العالقة في ذهني أو جلها مازال موجوداً فيها) — ص ٢٨ — . وبما أن أسماء الأماكن في غربي شبه الجزيرة العربية وأسماء الأماكن في التوراة لم تكن في يوم من الأيام سرّاً خفياً فإن سرّ تفرد الدكتور الصليبي ، دون غيره بهذا الاكتشاف يكمن في المنهج أو على الأصح غياب المنهج الذي اتبعه للوصول إلى هذه المطابقات وهذا مانجده فيما عنوانه : (ملاحظات لغوية) — ص ٢١ ، ٢٥ — وهي التي نجدها مكررة في (مسألة نهج) — ص ٦٠ ، ٦٣ —

وبما يلفت النظر أن كتاباً تستند أطروحته في شقها الأهم على مطابقات لغوية قد اكتفى مؤلفه بما سماه (ملاحظات لغوية) جاءت مختصرة جداً ، ومحشورة بين

المقدمة والفصل الأول ، ولا ذكر لها في قائمة المحتويات ، وتبدأ هذه الملاحظات بإفادتنا بأن الأبجدية العبرية تشترك مع الأبجدية العربية في اثنين وعشرين حرفاً وأن هنالك ستة حروف عربية لا وجود لها في العبرية . يلي ذلك قائمة (بالتحولات التي يقرها علماء اللغات السامية بين اللغتين) تتألف من حروف عبرية وما يقابلها من الحروف العربية . ولم يقدم الدكتور الصليبي أي دليل على أن علماء اللغات السامية يقرون جميع هذه التحولات أو أي دليل على أنها جميعاً صحيحة . ولم يميز الدكتور الصليبي بين تحولات يقبل علماء اللغات السامية بإمكانية حدوثها في ألفاظ ذات معنى واحد أو متشابه أو متضاد^(١٥) وبين النقل في أسماء الاعلام^(١٦) ، إذ أن الأصل في هذه الأخيرة أن تنتقل بحروفها كما هي فيما عدا تلك الحروف التي لا وجود لها في إحدى اللغتين . ومع ذلك فإن تحولاً في أحد حروف اسم العلم كان يحدث ولكن دون أن يحكم ذلك قاعدة جامعة مانعة . إذ ليس شرطاً أن تتحول الهمزة مثلاً إلى واو أو ياء بل قد تبقى همزة أو قد تتحول إلى عين أو قد تسقط .

وتأتي المفاجأة بعد قائمتي الحروف العبرية والعربية ، حين يقدم لنا الدكتور الصليبي مجموعة جديدة تماماً من قواعد التحول في الحروف بينهما ، استنبطها هو (من المقابلة بين أسماء الأماكن التوراتية وتلك الموجودة إلى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية - ص ٢٣ - . فهو يستنتج مثلاً وعلى هذا الأساس أن حرف اللام في أسماء الأماكن التوراتية مهما كان موضعه في التركيب يتحول إلى (ال) التعريف في نظيره العربي في عسير . وهكذا تصبح جلعد : الجعد وتصبح لمعلاه : المعلاه . وهو يقرر أيضاً أن أسماء الأماكن التوراتية التي على وزن (يفعل) (تفعل) تتحول إلى العربية على وزن (فعل) و(فعلة) وهكذا تصبح يقطن : قطن ، تعنك : عنقه ، علماً بأن الدكتور الصليبي يؤكد في الملاحظة التي تلي ذلك مباشرة أنه يجب تعرية الأسماء في كل من العبرية والعربية من الحركات وحروف العلة - ص ٢٤ - فكيف استقام له مع ذلك الحديث عن الأوزان . ولنفرض جدلاً أن اللغة العبرية لغة ميتة فلا نعرف كيف كانت تلفظ أسماء الأماكن فيها فلماذا يريدنا أن نغيث اللغة العربية أيضاً ؟! ويؤكد الدكتور الصليبي أن الشين

العربية لا تنقلب إلى ثاء عربية إلا في منطقة جيزان حيث تصبح بشن التوراتية بشن، كما أن الكاف العربية لا تنقلب أبداً إلى خاء وذلك لأنه لم يجد مثل هذا التحول على الإطلاق في التعريب الذي حصل لأسماء الأماكن التوراتية في شبه الجزيرة العربية - ص ٢٤ - . ولاتنسخ هذه القواعد الجديدة عدداً من التحولات التي وضعها في القائمتين بل إنها تضعنا أمام حالة لا مثيل لها من الدوران في حلقة مفرغة .

إن الدكتور الصليبي يريد أن ينقل أرض التوراة إلى عسير لأنه يدعي أنه وجد مطابقات لغوية بين أسماء الأماكن في كل منها ، وهو يريد أن يقنعنا بصحة هذه المطابقات بناء على قواعد جديدة تماماً استنبطها هو دون غيره من افتراض وجود هذا التطابق أصلاً .

ولنضرب على ذلك مثلاً: المطابقة بين يروشلם وآل شريم التي نجدها في الفصل التاسع : (أورشليم ومدينة داود) - ص ١٧٥ ، ١٩٣ - ويتوصل المؤلف إلى هذه المطابقة في الصفحة ١٨٣ . وحسب ادعائه فإن كل ما حصل لغوياً عند النقل من الاسم التوراتي إلى آل شريم هو (تغير موقعي الحرفين الراء واللام بين قسمي الاسم المركب) - ص ١٨٣ - ولم يتنبه الدكتور الصليبي إلى أنه لا وجود في النص العبري أبداً لصيغة (يروشليم) ، للباء بين اللام والميم وإنما يكتب دوماً ودون استثناء يروشلیم أما ما حصل للاسم (يروشليم) حتى أصبح آل شريم فهو مايلي :

أولاً : تحولت الباء إلى مدة .

ثانياً: نقل الحرف الثاني الراء ليصبح الرابع .

ثالثاً: سقطت الواو نهائياً .

رابعاً: انتقل الحرف الرابع الشين ليصبح ثالثاً .

خامساً: انتقل الحرف الخامس اللام ليصبح الثاني .

سادساً: أضيفت ياء جديدة في آل شريم .

وقد اقتصرنا محاكمات المؤلف اللغوية على الجملة التي اقتبسناها اعلاه أما الصفحات من ١٧٥ إلى ١٨٣ فقد احتلتها مناقشة ما يسميه (احداثيات)

يروشلם بالنسبة إلى حبرون التي هي الخربان في منطقة المجاردة . ويذكر اسم حبرون للمرة الأولى في الصفحة ٣٥ في سياق التأكيد على ان بني اسرائيل عندما هاجروا من عسير إلى فلسطين زمن التوراة استعملوا في فلسطين أسماء توراتية من بينها حبرون ، ويذكر في المرة الثانية في الفقرة الأولى من هذا الفصل ليفرض علينا المؤلف مايلي :

(هناك خمسة أمكنة تسمى حبرون مازال موجودة تحت اسم (خربان) (خربن بقلب الأحرف) على المنحدرات البحرية لعسير ، ومن بين هذه الأمكنة الخمسة يحتمل ان عاصمة داود الأولى (أي حبرون) كانت قرية الخربان الحالية في منطقة المجاردة) — ص ١٧٥ — فلماذا وعلى أي أساس اختار خربان في منطقة المجاردة دون غيرها من بين خمسة مواقع تحمل نفس الاسم لتكون عاصمة داود الأولى ؟ ويستمر المؤلف (وكما سنرى لابد ان اورشليم كانت تقع على مسافة ماصعوداً باتجاه الشرق في جوار النماص . . . الخ) ولكن مائراه هو سبع صفحات من (التدقيق في النص العبري لصموئيل الثاني ٥ : ٦ — ١٠ الذي يتحدث عن كيفية استيلاء داود على اورشليم) — ص ١٧٦ — يحدد فيها المؤلف مواقع عدد من أسماء الأماكن الحقيقية أو المتخيلة بالنسبة إلى خربان في منطقة المجاردة ثم لا يلبث أن يعثر على موقع اورشليم : (فورا على مسافة حوالي ٣٥ كم إلى الشمال من بلدة النماص في سرة عسير شمالي أبها . انها القرية التي تسمى اليوم آل شريم) — ص ١٨٣ .

وفي الفصل المعنون (مسألة الأردن) — ص ١٣٣/١٥٤ — توصل الدكتور الصليبي في الصفحة الثانية من هذا الفصل إلى أن هـ ي ردن الأردن (جرف) (نتوء) أو (مرتفع) كما يلي : يقرر الدكتور الصليبي في الجملة الأولى من هذا الفصل ان هـ ي ردن لم تكن في التوراة نهراً لأن عبارة نهر هيردن لا ترد في أي مكان فيها ، ورغم انه يقتبس من كتاب (لجون سيمونز) قوله إن : (مشكلة أصل ومعنى كلمة يردن التي اختلفت الآراء حولها مازالت بلا حل — ص ١٣٣ هامش رقم ١ — إلا أنه يقرر أنها من الجذر (يرد) بمعنى انحدر ويقابلها في العربية الجدر (ردى) الذي يعني سقط ومنها اشتق الاسم الذي نجده في عسير

في صيغة ريدان وهي تعني نتوء أو مرتفع (أما النون في كل من يردن وريدان فهي أداة تعريف مائة) وعلى ذلك فإن هيردن تعني جرف نتوء أو مرتفع. من ناحية أخرى وفي الهامش رقم ٣ صفحة ١٣٥ يعترف الدكتور الصليبي، على مضض أن عبارة (مياه الأردن) ترد في التوراة (وهي تذكر عدة مرات) وهنا يقترح أن (يرد) العبرية مقابلة لـ (ورد) العربية وليس (ردى) ويكون معنى هـ ي ردن هنا ليس جرفاً أو نتوءاً أو مرتفعاً وإنما جدول ماء أو بركة^(١٧).

وكتاب الدكتور الصليبي هو مجموعة هائلة من المطابقات اللغوية من هذا المستوى، وفيه من المفارقات مالا يحيط به حصر، ومنها أن المؤلف يؤكد لنا - وفي أكثر من مكان - أن بعض أسماء الأماكن في عسير زمن التوراة قد اطلقت من قبل المهاجرين إلى فلسطين على مواقع فيها، ونحن نعرف على وجه التحقيق كيف انتقلت أسماء هذه المواقع في فلسطين إلى لغتنا العربية فلماذا انتقلت في عسير على نحو يختلف تمام الاختلاف؟ إننا نعرف أنه في فلسطين عربت هذه الأسماء كما يلي: يروشلם : أورشليم، يريحو : أريحا، عزة : غزة، أشكلون : عسقلان، أشدود : أسدود، يافو : يافا، عكو : عكا، وتعنك : تعنك... الخ، فلماذا عربت في عسير على النحو التالي: يروشلם : آل شريم، يريحو : الرخية أو الوراخ وعزة: آل عزة في منطقة بَلْحَمَر أو العزة في وادي إضم أو عز في منطقة بَلْسَمَر وأشكلون شقله في جوار القنفذة أو ثقالة في الجوار نفسه، ولماذا عربت أشدود أما إلى السدود في رجال الملع أو السداد في منطقة جيزان أو الشديد في منطقة مكة المكرمة، أو السداد في منطقة الطائف وكيف أصبحت يافو : الوفية، وعكو : العكة وتعنك : عنقة؟... الخ؟

ومن النقاط البارزة في هذا الكتاب التسليم بصحة روايات التوراة التاريخية تسليماً مطلقاً، إلى درجة لم يصل إليها أكثر التوراتيين المحافظين تطرفاً، ولذلك فإن المؤلف يرهق نفسه في البحث في جغرافية روايات يحوم شك كبير حول صحة أحداثها. والتوراة كتاب ديني ذو نظرة تاريخية خاصة، وقد كتب مافيه من روايات لتعزيز تلك النظرة ونجد في التوراة في بعض الأحيان، روايتين مختلفتين أو متناقضتين لحدث واحد. ونقد الروايات التوراتية من حيث نشأتها وفلسفتها

ومن حيث المدرسة التي حررتها وصاغتها ومن حيث انتقالها حتى دخلت في (الكانون Canon) ^(١٨) الذي لم يغلق إلا في القرن الأول الميلادي أمر ضروري جداً لتقييم روايات التوراة تاريخياً ، وضروري جداً مقارنة ماله صلة بالآثار منها بنتائج الحفريات الأثرية ذات العلاقة ولو فعل الدكتور الصليبي ذلك لوجد انه لا مجال للشك أبداً في ان التوراة قد نشأت في فلسطين من ناحية ، ولا مجال أبداً ، من ناحية أخرى ، للقبول بان كل روايات التوراة التاريخية صحيحة وهذا مثل بسيط :

تذكر مدينة جبعون وسكانها الجبعونيون في التوراة خمساً وأربعين مرة . وفهم من هذه الإشارة أن في مدينة جبعون بركة ماء (أرميا ٤١ : ١٢) وان سكانها كانوا يتعاملون بصناعة النبيذ أو نقله على الأقل (يشوع ٩ : ٤) ومنها أيضاً ان جبعون ، في زمن يشوع كانت مدينة عظيمة محصنة (يشوع ٩ ، ١٠) وانه قد احتلها ، ومنذ سنة ١٨٣٨ ارتأى ادوارد روبنسون E. Robinson أن جبعون هي الجيب التي تقع على مسافة ١٤ كم إلى الشمال الغربي من القدس وبين السنوات ١٩٥٦ - ١٩٦٢ قام (جيمس بريتشارد J.B. Pritchard من جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالحفر في هذا الموقع فكشف عن وجود بركة ماء^(١٩) ومعصرة نبيذ^(٢٠) وكشف أيضاً عن عدد كبير من النقوش و (طبقات) اختتام على مقابض جرار فخارية من بينها واحد وثلاثون مقبضاً نقش عليها كلمة ج ب ع ن . وكان على (بريتشارد) ان يقنع المختصين بأن هذه الحروف اسم المكان الذي هو جبعون ، وكان عليه ثانياً أن يقنعهم أن تلك الجرار لم تأت إلى الجيب حيث وجدت من جبعون وهذا ما فعله في نقاش مطول^(٢١) . وبذلك يصبح تحديد موقع جبعون في الجيب الحالية في حكم المؤكد . من ناحية أخرى لم تكشف الحفريات في الجيب عن أية آثار لمدينة محصنة يمكن إرجاعها إلى الزمن الذي يفترض ان يشوع قد احتلها فيه ، وبذلك تكون رواية سفر يشوع ليست صحيحة وانما نسجت فيما بعد لاعتبارات ايديولوجية لا مجال للخوض فيها .

الجامعة الأردنية : د. محمود أبو طالب

(١) كمال سليمان الصليبي ، التوراة جاءت من جزيرة العرب ، ترجمة عفيف الرزاز ومراجعة كمال الصليبي ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٥م بيروت ، ٣٦٤ صفحة ، ١١ خارطة . ويفهم من تصدير ناشر الطبعة العربية (ص ٨) ومن بعض المقابلات مع المؤلف (مثلاً القبس اليومية الكويتية الصادرة بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٥ ص ١١) ان مجلة دير شبيغل Dirspigel الألمانية قد تعاقدت معه في صيف سنة ١٩٨٢م ، بعد ان أوشك على الانتهاء من تأليف كتابه على ان تتولى نشره باللغات الألمانية والانجليزية والعربية والفرنسية والهولندية والدانماركية . ويبدو ان هذه المجلة قد واجهت صعوبات في العثور على دور نشر تتولى القيام بهذه المهمة إذ لم يقدر لهذا الكتاب ان يرى النور إلا في أيلول من سنة ١٩٨٥ .

(٢) هذا تعريب موفق لاسم هذا الشعب القديم الذي كتب بالعبرية التوراتية Pelisitim وبالمصرية Peleset وبالسامرية الأشورية Palashtu .

(٣) مجلة الشراع الأسبوعية الصادرة بتاريخ ١٩٨٤/٩/٣م .

(٤) يستعمل الدكتور الصليبي في هذا الكتاب مصطلحي (يهود) و (الديانة اليهودية) كمرادفين لمصطلحي (بني اسرائيل) و (ديانة يهوه) . وينعقد الاجماع على ان المصطلحين الأولين لم يظهرأ إلا بعد السبي البابلي وانه لذلك لا يصح استعمالهما عند الحديث عن الفترة التي سبقت ذلك السبي . ولكن هذه تبقى مسألة ثانوية في ضوء التغيرات الضخمة الأخرى التي يقرحها المؤلف .

(٥) هكذا يكتب المؤلف اسم هذه المدينة المشهورة بالحروف الساكنة كما يعتقد انه ورد في النص العبري للتوراة وهذا خطأ . فقد كتب هذا الاسم في النص العبري دوما ودون أي استثناء يروشلם وبينها ال (ماسوريم) الذين ادخلوا الحركات في النص العبري ان هذا ما هو مكتوب Kethib وانها يجب ان تقرأ Qere يروشلايم . حول هذه المشكلة انظر :

A.D. Tushingham, « Yetushalayim, » pp. 183 - 193 in Archaeology in the Levant. Essays for Kathleen Kenyon, R. Moorey and p. Parr ed. Aris and Phillips Ltd Warminster, England, 1978 .

(٦) ان صفة (مقدس) و (غير مقدس) ليست دقيقة في التعبير عن العملية التي نشير إليها . والمقصود هو ما يقابل المصطلح Canon في اللغات الأوروبية الحديثة وفي اليونانية واللاتينية الذي يوصف به نص ما - ليس بالضرورة دينياً - عندما ينعقد الاجماع على انه (اغلق) فلا يزداد عليه أو ينقص منه . ويختلف (كانون) العهد القديم الكاثوليكي والارثوذكسي عن نظيره البروتستانتي . والآخر مطابق لمجموعة الأسفار التي يصفها اليهود بانها (ثلوث الالهي) والتي يفترض في المؤمن ان يغسل يديه بعد كل مرة يمسه خشية ان ينتقل ما بها من القداسة إلى ما يمسه فيلوث تلك القداسة . من أجل فكرة عامة عن هذا الموضوع الحساس انظر :

G.W. Anderson, « Canonical and non - Canonical, pp. 113 - 159 in The Cambridge History of the Bible Vol. I.P.R. Ackroyd and C.F. Evans ed., The University Press, Cambridge, 1970 .

(٧) نستعمل مصطلح « توراة » هنا كما استعمله الدكتور الصليبي ، وكما هو شائع في الاستعمال العربي العام رغم عدم دقته . والمقصود هو ما يسميه المسيحيون « العهد القديم » وما يطلق عليه اليهود اسم « تنك » وهو مصطلح يتألف من الحرف الأول من اسم كل جزء من الأجزاء الثلاثة التي يتألف منها كتاب اليهود المقدس توراً ، نبييهم وكتوبيم . واما بالنسبة للمفهوم الإسلامي فإن التوراة هي كتاب واحد مقدس انزل على سيدنا موسى عليه السلام حرف فيها بعد من قبل ربانية يهود .

(٨) من أجل فكرة عامة عن هذا الموضوع انظر : وليم بروز ، مخطوطات البحر الميت ترجمة محمود العابدي ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٧ ، عيان . وقد اضاف المترجم ، الذي عمل سنوات طويلة في دائرة الآثار الأردنية معلومات مهمة تتعلق بمصير هذه المخطوطات .

(٩) انظر مثلاً :

R. Hestera et. al, *Inscriptions Reveal : Documents From The Time of the Bible the Mishna and Talmud*, The Israel Museum, Jerusalem, 1972 .

Synagogue في :

M. Avi, Yonah ed. *Encyclopedia of Archeological Excavations In the Holy Land*, Vol. IV. The Israel Exploration Society and Massada Press, Jerusalem, 1978 .

(١٠) من الجدل الأرامي م س ر ويعني (ينقل) (يسلم) . واقدم ما وصلنا من جهد هؤلاء الـ (ماسوريم) لا يرقى إلى ما قبل القرن العاشر الميلادي وهي نسخة من التوراة بـ (ماسورة) هارون بن موسى بن اشر موجودة الآن في متحف لينتغراد في الاتحاد السوفيتي وهي التي اعتمدها رودلف كتل R. Kittel ورفاقه في Biblia Hebraica التي صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٢٩ م ، والتي حلت فوراً محل النسخ العبرية الأخرى التي كانت متداولة وتعمل الجامعة العبرية الآن على اصدار تحقيق جديد للتوراة أساسه مايعرف باسم نسخة حلب Aleppo Codex وتنسب إلى هارون بن اشر أيضاً وكانت محفوظة في كنيس حلب ولكنها سرقت سنة ١٩٦٥ م إلى الكيان الصهيوني .
حول هذا الموضوع انظر :

M. Goshen - Gottstein. «The Aleppo Codex and rise of the Massoretic - Bible Text » , Biblical Archaeologist, Vol. 42, N°. 3 (1979), pp. 145 - 165 .

(١١) وبالطبع فان اقتراح الدكتور الصليبي المتعلق بان هذا الاسم قد يكون للاله المصري آتوم مرفوض رفضاً قاطعاً لأن أي ختم هو بالضرورة لتوثيق معاملات رسمية ادارية وتجارية مما لا شأن للالهة به ولم يحدث أبداً ان اكتشف ختم اله في أي مكان من الشرق القديم . أضف إلى ذلك ان المصريين القدماء لم يستعملوا اختتاماً وان سكان فلسطين القدماء لم يعبدوا آلهة مصرية .

(١٢) V. Glueck. « The First Campaign at Tell el - Kheleifeh (Ezion Geber), Bulletin of the American Schools of Oriental Research N° 71 (1936) . pp. 3 - 17; « The Topography and History of Ezion Geber and Elat, » ibid N° 72 (1938), pp. 2 - 13; « The Second Campaign at Tell El - Kele - ifah (Ezion Geber : Elath) ibid N°. 75 (1939) , pp. 8 - 22; « The Third Season of Excavations at Tell el - Kheleifeh ibid N°. 79 (1940) , pp. 2 - 18; « Ostraca from Elath » ibid' . N° 79 (1940), pp. 3 - 10; ibid' . N° 82 (1941), pp. 3 - 11 .

(١٣) من أجل عرض للاقتراحات المتعلقة باسم تل الدور في العصور القديمة ، بما في ذلك اقتراح (البرايت) الذي طرحه سنة ١٩٢٩ . وتلخيص لابرز موجودات هذا الموقع بما في ذلك الكتابات وقائمة بأهم المصادر انظر :

O. Tufnell, « Lachish » , pp. 296 - 308 in *Archaeology and the Old Testament*, D. Winton Thomas ed, The Clarendon Press, Oxford (1967) .

(١٤) ويتحدث النقش عن عملية الحفر نفسها ، ويرد في خمسة مواضع من التوراة (الملوك الثاني ٢٠ : ٢٠ اشعيا ٢٢ : ١١ اخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٢ - ٣٢ - ٣٠ وبن سيراخ ٢٨ : ١٧) أن حزقيا

(٧١٥ - ٦٨٧ ق.م) قد حفر في يروشلم بركة وصلها بنفق إلى عين جيحون . وإن مناسبة ذلك هو الاستعداد للحصار الذي كان متوقعا أن يفرضه سنحاريب على هذه المدينة .
(١٥) انظر مثلا :

L.H. Gray, Introduction To Semitic Comparative Linguistics, Philo Press, Amsterdam, 1971 .

ربحي كمال ، التضاد في ضوء اللغات السامية . دراسة مقارنة ، جامعة بيروت العربية . بيروت ١٩٧٢ .

(١٦) انظر مثلا فيما يتعلق بفلسطين :

A. F. Rainey, « the Toponymics of Eretz - Israel », Bulletin of the American Schools of Oriental Research N°. 231 (1978), 1 - 17 .

(١٧) يجمع الدارسون على انه من الصعب القبول بأن صيغة هيردن مشتقة من الجذر يرد انظر :

J. Simons , The Geographical and Topographical Textes of the old Testament, brill, Leiden, 1959 .

وقد نوه سيروس جوردن بأن عبارة (نهر الأردن) لا ترد في التوراة وإن هذا الاسم باستثناء مرتين (المزمير ٤٢ : ٧ ، أيوب ٤٠ : ٢٣) يكون دوماً مسبوقاً بأداة التعريف ، هذا بالإضافة إلى عبارتي (هذا الأردن) و (اردن اريحا) وقد قاده ذلك إلى اقتراح أن هذه اللفظة تعني (نهر) اعتماداً على ذكر Iardanus في اوديسه هوميروس (٢ : ٢٩١ - ٢) ولكن رأيه هذا لم يحظ بالقبول انظر :

C. Gordon, Before the bible . The Common Background of Greek and Hebrew Civilizations, Harper & Row, New York 1962, pp. 284 - 5 .

ونذكر بهذه المناسبة (ان بردية اناستاسي الأولى) وهي عبارة عن رسالة سخرية من أحد الكتاب المصريين إلى غريمه ومنافسه وتعود إلى أواخر زمن السلالة التاسعة عشرة المصرية ، أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ترد فيها عبارة (جدول الأردن أين يقع) واسم الأردن هنا مسبوق بالإشارة الدالة على نهر أو جدول من أجل ترجمة انجليزية لهذه الرسالة الطويلة الممتعة انظر :

J.A. Wilson, « An Egyptian Letter », pp. 465 - 479 in Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament,

J.B. Pritchard ed. 3rd edition With Supplement, Princeton University Press, Princeton, 1969 .

وفي :

W.Helck, Die Beziehungen Ägyptens Zu Vorderasien im 3. Und 2. Jahrtausend V. Chr., Ägyptologische Abhandlungen 5. 2nd Revised ed. O. Harrassowitz, Wiesbaden, 1971, pp. 315 - 319 .

نجد مناقشة لغوية جغرافية لهذه الرسالة .

(١٨) انظر الهامش رقم ٦ .

J.B. Pritchard, The Water Sysrem of Gibeon, The University Museum, The University of Pennsylvania, Philadelphia, 1961 . (١٩)

Idem Winery, Defenses and Soundings at Gibeon. The Univerairy Museum , The Unicerity of Pennsylvania , Philadelphia, 1964 . (٢٠)

Idem Hebrew Inscriptions and StampsFrom Gibeon. University Museum , The Univeraity of Pennsylvania . Philadelphia, 1959 . (٢١)

مشورات (دار اليمامة) :

هدية لا أكرم منها ولا أئمن

[نشرت مجلة «الضاد» التي تصدر في حلب في عددي ١ ، ٢ كانون الثاني شباط ١٩٨٨م كلمة كريمة للأستاذ فريد جحا المفتش الاختصاصي لمادة اللغة العربية وآدابها بوزارة التربية السورية، وترى مجلة «العرب» اعترافاً وتقديراً بما وجهه الأستاذ الكريم من ثناء عل ما نشره «دار اليمامة» بإشراف صاحب هذه المجلة من مؤلفات أن تطلع القراء على نموذج من نماذج الوفاء في هذا العصر وما أقله].

هذا اليوم الحادي والعشرون من شهر جمادى الأولى كان يوماً سعيداً جداً: ففي فجره تلقيت هاتفاً من ابنتي في مستقرها البعيد، وأنصت معه إلى زقزقات أحفادي تهتني بالعام الجديد، وفيه أشرقت الشمس زاهية ضاحكة، وسط سماء زرقاء حلوة، بعد أسبوعين لم نر فيها شمساً ولا سماء، بل سحباً دكناً، ومطراً مدراراً، وبرداً شديداً.

وتلقيت في غداة هذا اليوم أيضاً، هدية كريمة ثمينة، فلقد حمل إليّ البريد ما أرسله الصديق العالم الأستاذ حمد الجاسر^(١) من كتب نشرتها (دار اليمامة) الزاهرة، فكانت بعددها وأهميتها، ومكانتها، خير ما يرسل صديق إلى صديق. فالكتب، كانت ولا تزال، خير ما يقتني، وعجبت لها أحالت بيّني إلى مكتبة تعني فيه كل شيء: مناضده وخزائنه، وأرائكه، وجدرائه، فإذا ما عتبت زوجتي ما أخلق من فوضى في ترتيب البيت، حين ألقى بالمجلدات في كل مكان، ضحكّت وقلت: هوأي مع الكتب، وحياتي في مطالعتها... ثم ذكرتها، لأضحكها، بالبيتين المشهورين:

شيشرون . قال قولاً حبذا القول النصوح
(كل بيت دون كتب جسد مافيه روح)

هذه الكتب القيمة التي أرسلها إليّ الصديق أغلى ما أقتنيت من زمن بعيد، ففيها التراث والعلم والتحقيق والترجمة والطباعة الفخمة... وفيها قبل كل شيء اتصالها بتاريخ جزيرة العرب وجغرافيتها وتراثها، وأكرم به تاريخاً، وأعز به تراثاً، وأحسن بها جغرافية، فهي على صلة بأرض الآباء والأجداد، أولئك الذين أعطونا فأحسنوا العطاء، أعطونا هذه الحضارات التي ازدهرت فوقها وحواليها،

وفي أكرم مدنها ولد الرسول العربي صلوات الله عليه، وفيها بعث، ودعا قومه إلى الإسلام، وإلى مدينتها الأخرى يثرب هاجر، وأقام الدولة الإسلامية الأولى، ثم فيها توفي صلوات الله عليه ودُفن... ومنها انطلقت جيوش الفتح والتحرير، تنشر كلمة الله ودينه، وتحمل للدين الغارقة في الظلمات آنذاك، نور الرسالة السمحة، وحضارة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، لأنها كانت عربية اللسان، إسلامية المضمون، إنسانية الروح.

هذه الكتب، وفيها («رسائل في تاريخ المدينة»، و«صفة جزيرة العرب»، وكتاب «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» و«وصف إفريقيا»^(١)) ومدينة الرياض»، و«رحلة إلى بلاد نجد» و«البرق البياض في الفتح العثماني»...) هذه الكتب تجمع بينها خصال ومزايا: أناقة المظهر، وجودة الطباعة، وحلاوة الإخراج، أما المضمون، فحدث عنه ولا حرج: فهذه الكتب، مع صلتها الوثيقة بأكرم بقعة، وأحبها إلى قلب كل عربي، تعالج الموضوعات التي أهتم بها اهتماماً خاصاً، ويهتم بها معي كل من له علاقة ثقافية بتراث العرب وحضارتهم.

لذلك لم يكن غريباً، بعد سعادة هذا اليوم البسام، أن أشكر الله، جلّ وعلا، الشكر الجزيل، على آلائه التي غمرني بها، وأن أحمده بعد كل صلاة، فلقد كانت نعمه دائمة كثيرة وافرة، وكان من أكرمها، هذه الكتب التي وصلني في ضحى يوم جميل من أيام جمادى الأولى، كتب فرحت بها، وأحلتها من مكتبي مكاناً لائقاً، ووضعتها في مكان قريب يسرُّ لي الوصول إليها لأقرأها بعد أن أنهى ما بين يدي من دراسات، ثم لأعد عنها دراسات تعرّف بها، وتقوّمها، وتدعو القراء العرب في كل مكان إلى اقتنائها ومطالعتها والإفادة منها.

٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ الموافق ١١ كانون الثاني ١٩٨٨ م

حلب — سورية : فريد جحا

الحواشي :

(١) كان الفضل للأستاذ عبدالله يوركي في هذه الصداقة، فعن طريقه وطريق مجلته [الضاد] تعرّفت منذ شهرين إلى الأستاذ حمد الجاسر الذي اتفقا من صداقته بأزهى فيه. إنه فضل جديد يضاف للضاد ولصاحبها في أعناقنا، فالشكر جزيل الشكر له.

(٢) ليس من منشورات (دار الهيام).

أمكنة التعدين القديمة

حول رنية

البوادي عبثوا بمسميات الأرض والبقاع بحيث إذا مات قريب أحدهم أو قريته أو ناقتة أو جملة أعطى ذلك الموضع اسم الميت، مثل قولهم: رُجِّم سارة، وحصاة دائخة، وغدير ثورة، وهكذا وهذه فيها آثار مناجم قديمة، ومعروف أن رنية من بلدان بني عُقيل المشهورة بكثرة المعادن، والمعروف أن وادي بيشة قبل التقائه بوادي رنية بمسافة تقدر بـ ٥٥ إلى ٦٠ كيلاً يكون قد دخل ضمن الحدود الإدارية الجنوبية لرنية وبواديها، وهذا واقع في الشرق من مورد دُونِج - الواقع في الشرق من مورد (عُقيلان) المعروف شرق المعمور من قرى بيشة، وقدماً كانت حدود رنية أبعد من ذلك كثيراً على ما ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» من أن حدود رنية تبالة وبيشة وتثليث ويَبْنَم وعَقِيق ثَمرة، على مافي رسالة عَرَام السلمي، وذكر أن سكان رنية بنو عُقيل بن كعب، وذكر وفرة مياهها، وفي «بلاد العرب» - ٧، ٦ - : جميع بني خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية . وفي «الأغاني» - ٢٢٢/١١ - ذكر أن ماء جرير من مياه بني عُقيل هاؤلاء ، وفي كتاب «أبو علي الهجري» - ٣٢٨ - ذكر أشهر الأعلام الواقعة شرق رنية ونسبها إلى رنية ومنها جبل شَير والسُّتار وغَاير - ثم قال: إنهما جبلان قرب سقمان من رنية، وسُقمان ماؤه في هضب - وأقول: هو كذلك حتى الآن فلو وصف واصف الآن تلك الجبال أو سهاها لم يجد أوضح مما ذكر الهجري، وفي الغرب من رنية ذكر الهجري أيضاً أعلاماً مازالت معروفة بأسمائها ومواضع نسبها إلى رنية قال - ٣٨٨ - : هَيْج وسألته يعني شيخاً من بني هلال عن هيج فقال: هما هَيْجَان - جبلان بأسفل رنية ودَاراً مقصور مذكر . الخ . وأقول: إن هيج أو هيجان - هما جبلان أسودان في ظهر حَرّة بني هلال في الطرف الجنوبي مما يلي تبالة، ودَارا والغضار - هي مايعرف الآن باسم الغَضِيرِيَّة في عليا وادي رنية غرب كَوْر آل عُمَيْر - عن الكور هذا انظر مجلة «العرب» س ١٨ ص ١١١٥ - ولديّ موضوع موسع عن

نواحي رنية وماحولها سأتحف به قراء مجلة «العرب» قريباً لهذا أكتفي بما تقدم الآن .

وأما عن آثار المعادن فكثيرة في نواحي رنية ولكن أسماءها هي حسب مواقعها من الأرض أو قربها من الجبال المشهورة، ومعظمها يقع جنوباً إلى الجنوب الشرقي من رنية، وفي هذه الناحية شريط من الأرض منخفض يقع ما بين الرمال والحزون، ويمتد من الغرب إلى الشرق تطل عليه جبال وآكام من الشمال فيها من المعادن، وأرض هذا الشريط لها مسميات فأعلاها يدعى (صيفاء) بالفاء، ومنها في الجنوب الغربي والجنوبي تقع أرض التنظيم وأرض الميثب، وكتمان، ووسطها المصفوحة وآخرها المصافيح، وفي تلك الأرض وما حولها الكثير من فوهات المناجم القديمة التي لازالت معالمها واضحة وهي من الغرب إلى الشرق على التوالي :-

مناجم (الصريفات) مفردها صريف - بالصاد .

مناجم جبل الشماس وتقع منه في غربه وفي شرقه .

مناجم سود البثر - بثر الوزران .

مناجم (ضليعات القتاد) في غرب جبل حداء .

مناجم جبل حداء وناحية برقة زارا .

مناجم حزم شياط ، وعن حزم شياط هذا وتحديدده وماحوله انظر مجلة

«العرب» س ٢١ ص ٥٣٩ و٥٥٢ و٥٥٣ .

وهناك منجمان بعيدان بعض الشيء إلى الشرق من تلك المناجم المذكورة وهما

منجم بني جربوع ومنجم جفن ضب .

ويقع قَرْيُ عُرَيْق (النقيب) - عن النقيب انظر «العرب» س ٢١ /

ص ٥٥١ - .

ثم مناجم جبل (ضلفع) وسويقة وكتيفة .

ومناجم جبل سَلَى والصدوعية، وهذه تطل على رنية المدينة من الجنوب

الشرقي، وفي الشرق من جبل حداء وأمشاط تقع جبال الحديد كما يسميها الخبراء

ولها اسم محلي معروف هو (جدائر الحشيشي) والحشيشي رجل قتل أو مات بقربها فسميت به .

وهي تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي مسافة تقرب من سبعين كيلاً ولكنها غير عريضة فعرضها لا يتجاوز الكيلين .

وأما جبال الرصاص - فهي جبال تكتنف مجرى وادي الراشدة في منطقة جبل الصوان ، غرب حجر الراشدة بحوالي خمسة عشر كيلاً وهي من رنية جنوباً على بعد ٥٨ كيلاً وعن تلك المناجم وغيرها حدثني من أثق بقوله وقد صحب أحد الخبراء أكثر من ثلاث سنوات في تلك المناجم ومن ضمن العمال الذين يحفرون المناجم برفقة الخبراء لمشاهدتها من الداخل ثم أخذ عينات من مختلف تربة المنجم ، قال : إن المناجم المذكورة لاتباعد عن بعضها كثيراً في تلك الجهة وعندما نحفر بعمق إلى مترين نجد سرداباً سبق حفره في الداخل أو عدة سراديب فنسير بداخلها ، ونجد فيها بقايا فحم تعرف أشجاره مثل الغضا والسمر ، وكذلك نجد عظاماً لازالت بحالة جيدة ، وكسراً كثيرة من أحجار الرحي مفردة رحي ، وقد سألنا المترجم عنها فسأل الخبير فأجاب : إن القدماء كانوا يوقدون على المناجم بالخطب وبالكبر حتى تذوب المعادن ، وتسقط على الأرض ، ومعها عوالق من أحجار ، فيتركونها لتبرد ، ثم يأتي دور الرحي بعد ذلك - وأما تكسير الرحي من جانبهم فهو متعمد لكي لا تستعمل في هذا العمل من غيرهم .

وقال - محدثي : ولقد لفت نظرنا أن الخبير عندما يقف على منجم من المناجم يسألنا بقوله : كم من الوقت يستغرق مسير الجمل المحمل بالماء من رنية إلى هذا الموقع ، فنجيبه لمعرفة مسير الجمال عن المسافة وكان معظمها ومنها حزم شياط تصله الجمال المحملة بالماء من رنية بعد مسير يوم على سير الرخاء ، وأما المنجمان الشرقيان - بني جربوع وجفن ضب - فلا تصلهما إلا بعد يوم ونصف ، وكنت أنا ورفاقي حين نرى الرحي المكسرة نقول فيما بيننا : هذا من حجر الجبيل الفلاقي في رنية ، لأن أحجاره هي التي تصلح للرحي ولا يشابهها أية أحجار في ناحيتها . وكلها من ناحية الجنوب من رنية .

بين الكرامة والخرافة

لاتصل إليّ مجلة «التضامن الإسلامي» التي تصدر في مكة المكرمة عن وزارة الحج والأوقاف إلا في فترات متقطعة ، ولا أبالغ إذا قلت : بأنني لم أر من أجزائها الكثيرة منذ أعوام سوى جُزئي شعبان وشوال ١٤٠٨ ، وباستعراض فهارس الجزئين رأيتها مجلة جديرة بالمطالعة ، لما تحويه من أبحاث دينية ، وتفصيلات وافية عما تقوم به وزارة الحج والأوقاف من أعمال ، وما يجري بين كبار موظفيها وبين زوار هذه البلاد الكريمة من علماء المسلمين ووجهائهم من مقابلات واتصالات ، وتباحث في الشؤون العامة المتعلقة بالقضايا الإسلامية في جميع أرجاء البلاد الإسلامية .

وكان مما وقفتُ عنده في مطالعة جزء شعبان (ص ١٩ - ٢١) مقالة للأستاذ ناجي الطنطاوي عنوانها: (من كرامات الصالحين : المشي على الماء) ، ولقد عرفت الأستاذ الطنطاويّ مما قرأته من آثاره ، وقد عرفت أنه أحد العلماء الأجلة ، ربيب بيت علم وفضل في دمشق ، وهو أخو العالم الجليل الشيخ علي الطنطاوي ، وابن أخت الكاتب الإسلامي الكبير السيد محب الدين الخطيب

ومن المعادن القديمة : ناضحة : وهي لا تبعد شمال شرق مدينة رنية أكثر من ٢٥ كيلاً وكنت أظنها المسماة في المعادن باسم الكوكبة وهي في طرف عرق سُبَيْع مما يلي رنية - انظر «العرب» س ١ ص ٥٥١ و ٥٥٣ - .

والأحسن : وهناك موضع يدعى الآن (حسن) قرن أسود عال ، وعنده آثار قديمة ويقع على جانب مجرى وادي الخرمة - تربة قديماً في الشرق من جبل نين ، ومنه ترى الإبل التي تشرب على مورد (القنصلية) المعروفة وهي منه ناحية الشمال الغربي في الفرشة في بطن الوادي غرب عرق سُبَيْع ، وشرق الحرة و (حسن) يقع من ناضحة في الشمال الغربي مسافة يوم لحاملات الأثقال من الإبل .

رنية : فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

صاحب مجلتي «الزهراء» و«الفتح» الذي تولى رئاسة تحرير مجلة «الأزهر» فترة من الزمن - انظر «العرب» س ٤ ص ٥٧٥ - والبيئة التي عاش فيها الشيخ الطنطاوي بيئة دينية أبعد ما تكون عن الانحرافات ، أو التأثير بالبدع والانحرافات ، ولهذا فما كتبه الشيخ ناجي في مقالته تلك ليس من قبيل ما يكتبه كثير ممن يدعي العلم والدين ، ومحبة الأولياء والصالحين عن جهل وعدم تثبت ، إلا أن طغيان العاطفة الدينية عند الشيخ ناجي قد يكون انجرف به بحيث جزم بأن ما ذكر في مقالته تلك هي إحدى الكرامات الثابتة .

وكان من الملائم - إن لم يكن من الواجب - أن يُورد الأستاذ الطنطاوي من الأدلة ما يثبت ما ادّعاه كرامة ، وما يزيد صحة ما ذهب إليه .

أما إرسال القول على هذا النحو : (مما ثبتت صحته عن طريق النقل الصحيح) و : (وقد ثبت خبر المشي على الماء بسند صحيح) و : (وهذا الخبر صحيح نقله المؤرخون بسند ثابت لا مجال للطعن بصحته) .

فالأستاذ الطنطاوي وغيره ممن يتحرون الحقائق فيما يقولون لا يجدون مندوحة من الوقوف عندها موقف المثبت حتى تتضح لهم طريقة نقل ذلك الخبر بصورة صحيحة ، وبسند صحيح ، وهذا مما فات الكاتب الكريم .

ويحسن إيراد خلاصة الخبر كما ساقها ، قال - ص ٢٠ - : (قال الراوي : ثم قام العلاء بن الحضرمي فدعا الناس إلى بلدة (دارين)^(١) التي تجمع فيها المرتدون وقال لهم : انهضوا إلى عدوكم ، ثم ارتحل وارتحل المسلمون معه وساروا حتى أتوا على خليج من البحر ، ماخاضه أحد من قبل ذلك اليوم ، ولم يكن عندهم سفن يجتازون البحر بها ، وكانوا يتهيبون عبور البحار لأنهم عاشوا فوق رمال الصحراء الجافة القاحلة ، فقام العلاء وصلى ركعتين ، ثم وقف يدعو الله سبحانه وتعالى ، ثم أخذ بعنان فرسه واقتحم البحر وقال : بسم الله جُوزُوا !! ، فاقتحم المسلمون معه البحر على الخيل والإبل والحمير ، وكان فيهم الراجلون أيضاً .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمشينا على الماء كأننا نمشي على الرمال ووالله ما ابتل لنا قدم ولا خُف ولا حافر ، وكان الجيش أربعة آلاف ، والتقى المسلمون

بأعدائهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وظفّر المسلمون ، وانهزم المشركون ، وعاد الإسلام إلى البحرين ، وكتب العلاء إلى أبي بكر رضي الله عنه يعرفه بذلك .
وهذا الخبر صحيح نقله المؤرخون بسند ثابت لا مجال للطعن بصحته .

ليس الأستاذ الطنطاوي بحاجة إلى تذكيره بأننا في عهد أحوج مانكون فيه إلى تقريب فهم كل مايتصل بديننا الحنيف من تعاليم ومن أخبار ، ومن تاريخ ، إلى أذهان ناشئتنا الذين قد تأثروا أعظم التأثير بما لحياة هذا العصر من كبير الأثر في زعزعة الأفكار ، والانغماس في المادة انغماساً طمس كثيراً من البصائر ، فَعَمِيَتْ عن إدراك كثير من الحقائق الروحية ، حتى طغيت النزعة المادية طغياناً أوجب على كل من يريد لتلك الناشئة الخير ، وأن تكون في منأى عن خطر الانجراف والانحراف ، عَدَمَ مُجَاهِدَتِهِمْ بأمور أبعد مانكون عن الحقائق التي يستطيعون إدراكها ، ولا سيما مما لا يترتب على الجهل بها مساسٌ بالعقيدة الصحيحة ، بل ربما تكون مثاراً للحيرة والشك عندهم ، فيتخذوا ذلك وسيلة لإنكار الثابت الصحيح مما جاء الشرع الشريف بتقريره مما يجب اعتقاده .

وعلى ذلك النهج الحميد - نهج تقريب فهم تعاليم ديننا الحنيف لإدراك ناشئتنا - سار الشيخ الجليل الطنطاوي الكبير في دروسه المؤثرة ، المفيدة حقاً التي تبثها الإذاعتان المرئية والمسموعة منذ مايزيد على ثلاثين عاماً .

أما مازعمه الأستاذ ناجي وعده كرامة فهو إلى الخرافة أقرب بعد تجريد خبر الواقعة التاريخية مما ألصق به ، وإيضاح هذا :-

١ - أن الخرافة هي الحديث المستملح المستغرب ، والخبر الذي ساقه الأستاذ الطنطاوي له أصل ، ولكن مازجه من (التخريف) ما أبعده عن الحقيقة ، مثل : (أتوا على خليج من البحر ماخاضه أحد من قبل ذلك اليوم) و: (ما ابتل لنا قدم ولا خُف ولا حافر) . ولهذا أصبح أقرب إلى الخرافة منه إلى الواقع .

٢ - أن المكان الذي حدثت فيه القصة لسانٌ ممتدٌ من الأرض ، نحو جزيرة دَارَيْنَ (تاروت) ، وهذا اللسان في حالة الجزر يسوغ المرور فيه للمشاة والركبان ،

وفي حالة المدّ يطفئ ماء البحر فلا يُستطاع عبوره ، وكان هذا معروفاً إلى عهد قريب ، فقد كان الناس يَمرون بذلك السَّخَر وقت الجزر ، ويتوقفون وقت المدّ ، حتى قامت الدولة بردمه فأصبح صالحاً لمرور السيارات وغيرها ، والأخبار التي ذكرها ثقات المؤرخين تدل على ذلك ، فالذهبي في كتاب «سير أعلام النبلاء» - ١ / ١٣١ - وصف ذلك اللسان بأنه (رَقْرَاقُ) فقال : (فسار إليهم وبينهم البحر - يعني الرُّقْرَاقُ - حتى مَشَوْا فيه بأرجلهم) . والبلاذُريُّ في كتاب «فتوح البلدان» - ٩٦ المطبعة المصرية سنة ١٣٥٠ - سَمَّى ذلك المكان (مَخَاضَةً) وقال : (وذلك كَرَّازُ النُّكْرِيِّ على المخاضة إليهم ، فتقحم العلاء في جماعة من المسلمين البحر فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير ... وقال كَرَّازُ :

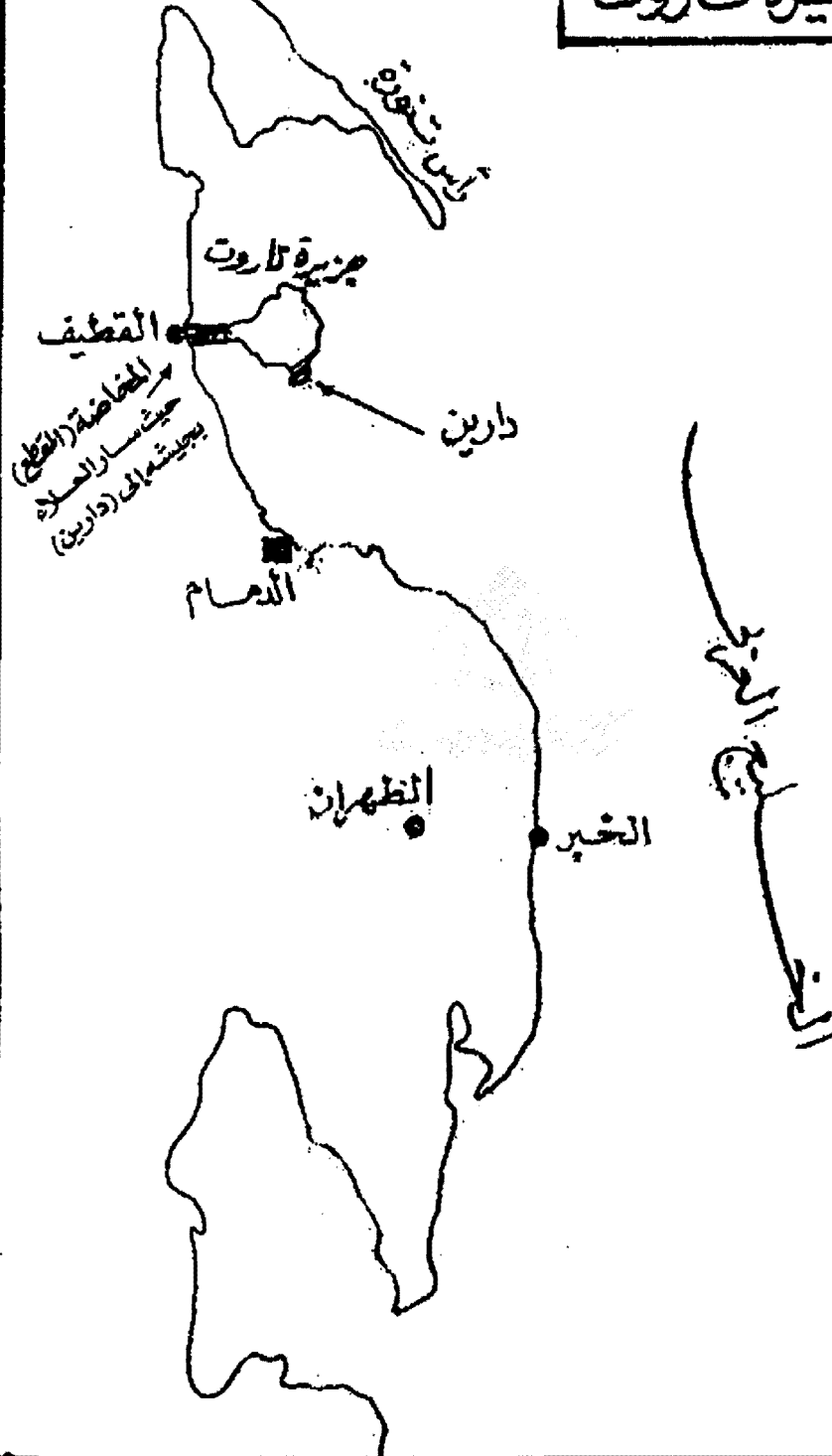
هَابَ الْعَلَاءُ خِيَاضَ الْبَحْرِ مُقْتَحِمًا فَخُضْتُ قَدَمًا إِلَى كُفَّارِ دَارِينَا وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْعَلَاءَ هَابَ وَتَرَدَّدَ حَتَّى أُرْشِدَهُ كَرَّازُ النُّكْرِيِّ وَهَذَا مِنْ بَنِي نُكْرَةَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ .

٣ - وَتَرَدَّدَ الْعَلَاءُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي تَقْضِي بِهِ حِيْطَةُ الْقَائِدِ الْحَذَرَ لَصِيَانَةِ جَيْشِهِ ، وَلِعَدَمِ الْإِقْدَامِ عَلَى مَوَاطِنِ الْخَطَرِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ .

ولهذا فقد سار الجيش في (المخاضة) التي وصفها ابن كثير في «البداية والنهاية» - ٦ / ٣٢٩ - : (فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رَمْلَةٍ دَمِيَّةٍ فَوْقَهَا مَاءٌ لَا يَغْمُرُ أَخْفَافَ الْإِبِلِ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى رُكْبِ الْخَيْلِ) .

وهكذا كانت المخاضة التي شاهدها وعرفناها فقد كانت رَمْلَةً دَمِيَّةً ، وقد كتبت عنها في قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص ٦٥٧ بما هذا نصه : (وهنا تنبيه لأبْدُ منه ، فقد ورد في كثير من كتب التاريخ من تهويل خَوْضِ جيش العلاء بن الحضرمي^(٢) البحر إلى دَارَيْنَ ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ كَرَامَةً خَصَّ اللَّهُ بِهَا الْعَلَاءَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَكَرَّمَ اللَّهُ وَإِكْرَامَهُ فَوْقَ الْحَدِّ وَالْوَصْفِ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا وَرَدَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ ، فَمَوْقِعُ دَارَيْنَ فِي الْغَرْبِ الْجَنُوبِيِّ مِنْ جَزِيرَةِ تَارُوتَ ، وَجَزِيرَةِ تَارُوتَ لَا يَفْصِلُهَا عَنْ بَلَدَةِ الْقَطِيفِ

دارين في جزيرة تاروت



الواقعة على الشاطئ ، سوى خَوْزٍ يَقُلُّ مأوّه عند الجزر فيستطاع خوضه لجميع راكبي الحيوانات ، وعند السدّ يكون الماء عميقاً ، ولا شك أن العلاء بعد أن استولى على الزاوة الواقعة بقرب بلدة القطيف جاز المَخَاضَةَ إلى جزيرة تاروت ، حين أرشده إليها النكريّ أو الرجل النصراني - على مافي إحدى الروايات - ومن تَارُوت سار إلى دَارَيْنَ . انظر الرسم المرفق بهذا .

وقد حاول الدكتور محمد حسين هيكل^(٣) تقريب الأمر لهما هو أقرب إلى المعقول ، ولكنه وقع في خطأ شنيع ، فقد رسم موقع دارين في خليج عُمان ، بعيداً عن موقعها ، ثم أتى بخبر لا أدري من أين استقاه فزعم أن بعض المسيحيين أمَدُّوا العلاء بسفن ركب فيها إلى دَارَيْنَ ، وكل هذا خطأ ، فدارين لا تزال معروفة ، وهي بقرب ساحل القطيف ، وخوض جيش العلاء إليها من الأمور المعتادة ، وقد كان سكان القطيف وغيرهم يخوضون الماء إليها ، حتى أنشئ منذ عشرين عاماً الجسر الذي وصل بين مدينة القطيف وبين الجزيرة وهو مَرْدُوم وليس جسراً عائماً .

أما ما أضيف إلى الخبر من مبالغات وأمور لا يقبلها العقل فلا شك أنها من وضع القصاصين .

٤ - وقد سبق أن قُمتُ بدراسة عن العلاء بن الحضرمي قائد الجيش الإسلامي في تلك الواقعة قبل ثمانية وأربعين عاماً نشرت خلاصتها في جريدة «أم القرى» [٨٦٣ع] في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ - ٤ يوليو ١٩٤١ - ومابعدا من أعداد [وقد حاولت ما استطعت تَقْصِي ما يتعلق بقصة خوض البحر فأتضح لي من ذلك أن الخبر من ناحية السند ليس صحيحاً ، فهو يدور على رجلين :

أحدهما سيف بن عمر التميمي ، وهذا هو الذي عَوَّلَ عليه ابن جرير ومن جاء بعده كابن الأثير وابن كثير وغيرهما ، وسيفٌ هذا قال عنه ابن معين : ضعيف الحديث . وقال أبو حاتم : متروك الحديث . وقال ابن عدي : بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكورة ، لم يتابع عليها . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات وأنه كان يضع الحديث واتهمه بالزندقة - انظر كتاب «تهذيب

ما اتفق لفظه واختلف مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤هـ)

- ٥٤ -

(١)

٢٤٦ - باب حَجُون ، وَحَجُور^(١)

أما الأول: بَعْدَ الْحَاءِ الْمَفْتُوحَةِ حِيمٌ مَضْمُومَةٌ وَآخِرُهُ نُونٌ - : جَبَلٌ بِأَعْلَى

→ التهذيب ٢٩٥ / ٤ .

والثاني عبدالله بن لهيعة المصري الحضرمي الذي نقل عنه الذهبي الخبر في «سير أعلام النبلاء» ١ / ١٩١ - وابن لهيعة هذا قال عنه ابن مهدي : لا أحمل عنه قليلاً ولا كثيراً . وقال الإمام أحمد : ما حديث ابن لهيعة بحجة . - انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» ٥ / ٣٧٣ .

فكيف يصح القول بأن الخبر صحيح ، وعلماء الحديث يَصِفُون رَاوِيَهُ بتلك الأوصاف ١٩ ؟

٥ - أن فيما ثبت في الكتاب المطهر والسنة النبوية الكريمة من ذكر كرامات الأولياء ما يغني عن التثبت بأخبار واهية أضاف إليها القصاصون من تهاويلهم وخرافاتهم ما يخرجها عن حد المعقول ، والله الموفق ،

حمد الجاسر

الحواشي :

- ١ - دارين الواردة في كلام الأستاذ الطنطاوي هي جانب كبير من جزيرة كانت تعرف بهذا الاسم - ثم غلب عليها اسم تاروت وانحصر اسم دارين في الجانب الغربي حيث يقع على ساحل بحر عميق ترفأ إليه السفن .
- ٢ - ورد في حاشية الأستاذ الطنطاوي أن العلاء توفي ببلدة لياس ، والواقع أن صواب الاسم (تياس) بالناء المثناة وهو زَمَلٌ يقع فيها بين منطقة الخففي ومنطقة الولهراء في حدود الكويت وليس بلدة ، وقد حددت الموقع في قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .
- ٣ - «أبو بكر الصديق» .

مَكَّةَ ، عِنْدَهُ مَذَافِنُ أَهْلِهَا ، وَقَالَ السُّكْرِيُّ : الْحَجُّونُ مَكَانٌ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى مِيلٍ
وَنَصْفٍ ، عَلَيْهِ سَقِيقَةُ آلِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَى مَكَّةَ ، وَفِي
شِعْرِ أَبِي ذُوَيْبٍ :

بَايَةَ مَا وَقَفْتُ وَالرُّكَا بَ يَنْ الْحَجُّونَ وَيَنْ السَّرَرَ (١)
وَأَمَّا الثَّانِي : آخِرُهُ رَأَى - : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ يُنْسَبُ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَيُنْسَبُ إِلَى
الْمَوْضِعِ بَعْضُ التَّابِعِينَ .

وَأَيْضًا بَلَدٌ مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ ، لِابْنِ سَعْدٍ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ (٢) .

- (١) حَذَّ نَصْرٌ : (بَابُ الْحَجُّونِ ، وَحَجُّوْرٍ ، وَحَجُّوْرٍ) .
(٢) قَالَ نَصْرٌ : - يَفْتَحُ الْخَاءُ وَأَجْرُهُ نُونٌ - : جَبَلٌ بِمَكَّةَ ، فِي ذُنَابِهِ مَذَافِنُ أَهْلِهَا ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَبِي
عَمْرٍو : الْحَجُّونُ جَبَلٌ آخَرُ غَيْرُ هَذَا . انْتَهَى . وَقَالَ ياقوتٌ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : الْحَجُّونُ : الْأَخْوَاجُ وَمِنْهُ
غَزْوَةُ حَجُّونَ ، الَّتِي يُظَاهَرُ الْغَزَا فِي الْغَزْوِ إِلَى مَوْضِعٍ ثُمَّ يُخَالَفُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَقِيلَ : هِيَ الْجَيْشَةُ وَالْحَجُّونُ
جَبَلٌ بِأَهْلِ مَكَّةَ ، عِنْدَهُ مَذَابِنُ أَهْلِهَا ، وَقَالَ السُّكْرِيُّ : مَكَانٌ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى مِيلٍ وَنَصْفٍ ، وَقَالَ
السُّهَاطِيُّ : عَلَى فَرْسَخٍ وَثَلَاثَ ، عَلَيْهِ سَقِيقَةُ آلِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ حَامِلًا عَلَى مَكَّةَ فِي أَهْلِهَا
السُّفَاحِ ، وَبَعْضُ أَهْلِهَا الْمُتَصَوِّبِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْحَجُّونُ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ ، الَّذِي يَجِدَاهُ مُسْجِدُ
الْبَيْتَةِ ، عَلَى شِئْبِ الْجَزَارَيْنِ - ثُمَّ أُوْرِدَ ياقوتٌ أَبْيَاتًا مِنْ قَصِيدَةِ مُضَافٍ بْنِ عَمْرٍو الْجَرْمِيِّ يَتَشَوَّقُ إِلَى
مَكَّةَ : -

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسَ ، وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَابِرُ
وَأُوْرِدَ الْبَكْرِيُّ - فِي «مُعْجَمِ مَا اسْتَفْجَمَ» - قَوْلًا لِلزُّبَيْرِيِّ بَكَارٍ : الْحَجُّونُ مَقْبَرَةُ أَهْلِ مَكَّةَ ، جِذَاءُ ذَا أَبِي
مُوسَى الْأَشْجَرِيِّ ، وَأَتَشَدُّ لِلْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ :

لَيْسَاءُ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الْحَدِّ مَدَى أَشْهُى مِنْ نِسْوَةٍ يَلْمَشِقِي
وَأُوْرِدَ أَقْوَالًا أُخْرَى لِغَيْرِ الزُّبَيْرِيِّ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْدِيدِ مَوْضِعِ الْحَجُّونِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ بِقُرْبِ الْقَبْرِ ، فَالْمُتَأَخِّرُونَ
وَبَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ يَرَوْنَ الْجَبَلَ الَّذِي تَقَعُ الْقَبْرَةُ بِسَفْحِهِ بِمَا يَلِي الْأَبْطَحَ ، وَمَسْجِدُ الْجَنِّ - مُسْجِدُ
بَيْتِهِمْ - وَفِيهِ شَقَّتْ نَيْفٌ كَذَا (نَيْفَةُ الْحَجُّونِ) وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ لَكِنْ وَرَدَ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»
ج ٢ ص ١٦٠ مَا يُلْهِمُهُ مِنْهُ أَنَّهُ الْجَبَلُ الْمُقَابِلُ لِهَذَا فِي الْجَانِبِ الْأَخْرَى مِنَ الْمَعْلَاةِ ، يَدْعُوهُ النَّسَبُ إِلَى ابْنِ عَمْرِو
بَيْتِهِ : قَالَ أَبُو عَمْرٍو الْخَزَاعِيُّ : الْحَجُّونُ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى مُسْجِدِ الْحَرَسِ بِأَهْلِ مَكَّةَ ، عَلَى بَيْتِكَ وَأَنْتَ
مُضْجِدٌ ، وَهُوَ أَيْضًا مُشْرِفٌ عَلَى شِئْبِ الْجَزَارَيْنِ . انْتَهَى . وَلِهَذَا قَالَ الْقَاسِمِيُّ فِي «شِفَاهِ الْغَرَامِ» ٢٩٤/١ :
الْحَجُّونُ الْمَذْكُورُ فِي حَدِّ الْمُحَصَّبِ جَبَلٌ بِالْمَعْلَاةِ - مَقْبَرَةُ أَهْلِ مَكَّةَ - عَلَى يَسَارِ الدَّائِلِ إِلَى مَكَّةَ وَبَيْنَ
الْحَارِجِ مِنْهَا إِلَى بَيْتِ - وَأَطَالَ الْكَلَامَ فِي تَأْيِيدِ هَذَا مُسْتَدِلًّا بِكَلَامِ الْخَزَاعِيِّ وَالنُّوَيْ فِي «شرح مسلم» =

أَمَّا الْأَوَّلُ: يَفْتَحُ الْحَاءُ وَسُكُونُ الْجِيمِ: - بَلْدٌ مَعْرُوفٌ بِالْيَمَامَةِ ، وَلَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ (٢).

= والفاكهى ، فهو على مايقفهم من كلامه الجبل المقابل للبقيرة بفصل بينهما وادي المصطب (الابطع) ويقفهم من كلام الأزرقى أن أهل مكة - قبل الإسلام - كانوا يقفرون موتاهم في سفح الجبلين ، وقد أصبغها في داخل مكة ، والمسافة بينهما وبين المسجد الحرام قريب مما ذكر السكري ، أما ما ذكر السهيلي في «الروض الأنف» فكما جاء في «شفاء الغرام» ١/ ١٩٦: تخالف للمعسوس والمفقول انتهى - أي فرسخ وثلاث = ٤ أميال ، ولعله أراد (السرى) الوارد في شعر أبي ذؤيب مقرونا بذكر الحجون . فقد ورد في «شرح أشعار الهذليين»: ١٣ - السرى على أربعة أميال من مكة . الحجون ثنية صغيرة ، ويقال: مكان من البيت على ميل ونصف ، عليه سبيقة آل زياد بن عبدالله الحارثي ، وكان عاملاً على مكة - انتهى والكلام للسكري ، والسرى بين وادي نخسر وبين ، وزياد بن بني الحارث بن كعب من مذحج ، وهو خال الشفاح ، وذكر ابن جرير وغيره ولايته على مكة . وألحار والمجور في البيت (بأية) متعلق ببيت قبله يطلب فيه نخل رسالة إلى صاحبه أي بلغها عني بعلامة وقولها - البيت - وفي المخطوطة الثانية: (تنسب إليه القبيلة) عند نصر - حجور - : ما أخبره راء - بلد لبني سعد بن زيد مناة بن تميم ، من وراء عمان ، وأيضاً: صفح بماني تنسب إليه قبيلة من اليمن . انتهى . وحجور من قُرُوح حاشيد ، من قبيلة همدان ، فصل الحمداني في الجزء العاشر من «الإكليل» نسبهم ، وعند أخذهم ، وأطال في «صفة جزيرة العرب» الكلام في ذكر بلاد قريشهم همدان ، فحلدة بلاد حاشيد ومنهم حجور الذين لا يزال لهم بقية في بلادهم القديمة في اليمن .

(٢)

ولمعرفة بعض من ينسب إلى حجور يحسن الرجوع إلى كتاب «اللباب» لابن الأثير

وقال ياقوت في «المعجم»: حجور - بالفتح يجوز أن يكون فعولاً بمعنى فاعل من الحجر أي ألحق ، مثل شكور بمعنى شاكِر ، ونافق خلوب بمعنى كثيرة الخلب: حجور موضع في وادي بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، قال الفرزدق:

لَوَكُنْتُ تَذَرِي مَابِرْمَلٍ مُقْبِدٍ
يَقْرَى عُمَانٌ إِلَى قَوَاتِ حَجُورٍ

ورواه بعضهم بضم أوله وزعم أنه مكان يقال له حجر فجمعه بما حوله - ثم ذكر حجور القبيلة الحاشدية وبعض من ينسب إلى حجور . أما حجور الذي في بلاد بني سعد فيظهر أنه في جهات ومال يبرين فيما بينها وبين عمان فيما يعرف الآن باسم (الرَّيْبِ الخالي) فتلك الجهات من بلادهم قديماً ، ورمل مقيد يبرين على ما ذكر نصر.

(١) في كتاب نصر: (باب حجر ، وحجر ، وحجر).

(٢) قال نصر - بعد ضبطه -: بلد اليمامة - ولم يزد.

وقد أطال ياقوت الكلام عن حجر ، فأجدة اليمامة التي قامت مدينة الرياض على أنقاضها ، وقد فصلت عنها الكلام في كتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» .

وحَجَرُ الرَّاشِدَةِ: مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي عُقَيْلٍ ، وَهُوَ مَكَانٌ ظَلِيلٌ أَسْفَلُهُ
كَالْعُمُودِ ، وَأَعْلَاهُ مُتَشَبِّهُ ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ (٣) .

وَأَمَّا الثَّانِي : يَكْسَرُ الْحَاءُ : - دِيَارُ ثُمُودَ ، جَاءَ ذِكْرُهَا فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ،
وَفِي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْحَدِيثِ (٤) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : بِضَمِّ الْحَاءِ : أَبْرَقًا حُجْرٍ : جَبَلَانِ بَيْنَ جَدِيدَلَةَ وَفَلَجَةَ ، عَلَى
طَرِيقِ حَاجِّ الْبَصْرَةِ ، نُسِبَا إِلَى حُجْرٍ أَبِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُهُمَا ، وَهُنَاكَ
قَتَلَتْهُ بَنُو أَسَدٍ (٥) .

(٣) هُوَ نَصْرٌ كَلَامَ نَصْرٍ إِلَّا أَنَّ كَلِمَةَ (مَكَانَ) عِنْدَهُ (قُرْنٌ) وَلَمْ يَرِدْ ذِكْرُ أَبِي حَبِيبَةَ عِنْدَهُ . وَعِنْدَ يَاقُوتَ نَصْرٌ كَلَامَ
الْحَازِمِيِّ يَدُونِ يَنْسِبُهُ إِلَّا أَنَّ كَلِمَةَ (أَبِي حَبِيبَةَ) عِنْدَهُ (أَبُو حَبِيدٍ) وَبِلَادُ بَنِي عُقَيْلٍ كَانَتْ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ ،
جَنُوبَ وَادِي الدَّوَّاسِرِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِاسْمِ (عَفِيقِ بَنِي عُقَيْلٍ) إِلَى فُرُوعِ الْأَوْدِيَةِ الْمُتَحَدِّثَةِ مِنْ سَرَاقَةِ
جَنْبِ (حَبِيبَةَ الْآنَ) . وَذَكَرَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ أَنَّ حَجَرَ الرَّاشِدَةِ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا بِقُرْبِ بَحْرِي وَادِي الرَّاشِدَةِ
عَلَى نَحْوِ ٥٨ كِيلًا جَنُوبَ بَلَدَةِ رَنْيَةِ .

(٤) لَا يَزَالُ الْحَجَرُ مَعْرُوفًا وَقَاعِدُهُ بِلَدِ الْمَدِينَةِ (الْمَدِينَةِ) وَعِنْدَ نَصْرٍ : وَأَيْضًا بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَالشَّامِ دِيَارُ
ثُمُودَ ، فِي الْقُرْآنِ .

(٥) لِإِثْبَاتِهِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى مَا فِي كِتَابِ نَصْرٍ . أَمَّا يَاقُوتَ فَلَذَكَرَ هَذَا الْإِسْمَ فِي مَوَاضِعٍ فِي بَابِ الْحَاءِ أورد
نَصْرٌ كَلَامَ الْحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ إِلَيْهِ ، وَالثَّانِي فِي حَرْفِ الْأَلْفِ إِذْ قَالَ : الْأَبْرَقَانِ تَنْتِنَةُ الْأَبْرَقِ ، وَإِذَا جَاوَزَا
بِالْأَبْرَقَيْنِ فِي شَعْرِهِمْ مَثْنً فَاكْثَرَ مَا يَرِيدُونَ بِهِ أَبْرَقِي حَجَرِ الْهَيْمَةِ ، وَهُوَ مَنَزَلٌ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ ، مِنْ الْبَصْرَةِ
بَعْدَ رَمَلَةِ اللَّوَاءِ لِلْقَاصِدِ إِلَى مَكَّةَ ، وَمِنْهَا إِلَى فَلَجَةِ ، ثُمَّ أوردَ شِعْرًا وَقَوْلًا لِلزَّخْرَشِيِّ هُوَ : الْأَبْرَقَانِ مَاءُ
لَبْنِي جَعْفَرٍ . وَمَا أَرَى يَاقُوتَ أَرَادَ إِلَّا مَوْضِعًا وَاحِدًا وَإِنْ أَخْطَأَ نَسَبَهُ إِلَى حَجَرِ الْهَيْمَةِ وَلَعَلَّ أَوْضَحَ تَحْدِيدِ
لِمَوْضِعِهِ مَجَاجَافٍ فِي كِتَابِ « الْمَنَاسِكِ » ص ٥٩٧ وَمُلَخَّصُهُ : بَيْنَ ضَرْبَةٍ وَجَدِيدَلَةَ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مِيلًا ، وَأَبْرَقًا
حَجَرٍ مِنْ جَدِيدَلَةَ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ فَرْسَخًا ، وَهِيَ جَبَلَانِ يَكْتَسِفَانِ الطَّرِيقَ ، كَانَ نَزَلَ عَلَيْهَا حَجَرُ أَبُو أَمْرِئِ
الْقَيْسِ الْكِنْدِيِّ الشَّاعِرِ ، وَكَانَ مَلِكًا قَتَلَهُ بَنُو أَسَدٍ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَإِذْنٌ فَلَأَبْرَقًا حَجَرٍ يَقَعَانِ فِي الْجَنُوبِ
الْغَرْبِيِّ مِنْ بَلَدَةِ ضَرْبَةٍ لِلْمُتَّجِعِ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ مِنْ ضَرْبَةٍ الْمَعْرُوفَةِ عَلَى مَسَافَةِ تَقْدِيرِ ٣٢ + ٤٢ (الَّتِي هِيَ
١٤ فَرْسَخًا) = ٧٤ مِيلًا أَيْ نَحْوَ ١٥٠ كِيلًا عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ . وَجَدِيدَلَةُ وَفَلَجَةُ مَجْهُولَتَانِ وَلَكِنْ
النَّصُّوَصُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَلَجَةَ هِيَ مَا يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ الْخِصْرَةِ الْمَنْهَلِ الْمَعْرُوفِ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ
صَاحِبُ « الْمَنَاسِكِ » - ٦١٣ - أَنَّ الْأَبْرَقَيْنِ بَيْنَ بِلَادِ بَنِي كِلَابٍ وَسَلَمٍ وَفَزَارَةَ وَعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ لَا تَسْكُنُهَا
الْقِبَالُ ، وَكُلُّ مَشْرِدٍ يُلْجِإُ إِلَيْهَا .
وَمَا زَادَ نَصْرٌ :

١ - حَجَرٌ : قَالَ : وَوَادٍ أَيْضًا بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَبِلَادِ حُدْرَةَ وَغَطَفَانَ . وَعِنْدَ يَاقُوتَ : وَوَادٍ بَيْنَ بِلَادِ حُدْرَةَ
وَوَطَفَانَ ، وَلَرَى هَذِهِ الْعِبَارَةَ أَكْثَرَ اسْتِقْلَامَةً ، إِذْ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَبِلَادِ حُدْرَةَ بِلَادُ نَجْدٍ الطَّوِيلَةُ الْغَرِيبَةُ ،
وَكَانَ كَلِمَةُ (الْيَمَامَةِ) فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرٍ فَوْقَهَا خَطٌّ قُصِدَ مِنْ خَلْقِهَا لِتَصْحِيحِ الْجُمْلَةِ : وَادٍ فِي بِلَادِ حُدْرَةَ
وَوَطَفَانَ فَوَضِعَتْ (لِي) وَمُلْتَبِ الْيَاءِ إِلَى الْخَلْفِ فَوْقَ كَلِمَةِ الْيَمَامَةِ . وَهَذَا الرَّادِي لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا فِي =

٢٤٨ — بابُ حَدِيثَةٍ ، وَحَدِيثَةٍ ، وَحَدِيثَةٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ: يَفْتَحُ الْحَاءُ وَكَسْرُ الدَّالِ وَيَعْدُ الْيَاءُ ثَاءً مُثَلَّثَةً: حَدِيثَةُ النَّوْرِ عَلَى الْفَرَاتِ ، نَاجِيَةُ أَنْبَارٍ يُنْسَبُ إِلَيْهَا سُؤْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَدِيثِيُّ ، وَغَيْرُهُ (٢).
وَأَمَّا الثَّانِي: يَعْدُ الْيَاءُ قَافً وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ: مَوْضِعٌ بِالْيَمَامَةِ قُتِلَ فِيهِ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ (٣).

= الشَّامِلُ الْغَرْبِي مِنْ خَرَّةٍ خَبِيرٍ، خُلِدَتْ مُؤَيَّمَةٌ فِي قِسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

٢ — خَجَرٌ: قَالَ: وَجَبَلٌ أَيْضًا فِي بِلَادِ غَطَفَانَ . وَكَذَا ذَكَرَ يَاقُوتُ ، وَمَا زَاهُ إِلَّا الَّذِي تَقَلَّمَ ذِكْرُهُ ، فَلَا سُمْ يُظَلَّقُ عَلَى وَادٍ وَعَلَى سُلَيْسِلَةٍ جِبَالٍ وَالْجَمْعُ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ عَمَّا يَلِي بِلَادَ عُلَازَةَ .

٣ — الْحَجَرُ: قَالَ: وَمَا يَكْسُرُ الْحَاءُ -: الْمَكَانُ الْمُخَوَّزُ جَنْدُ الْكُفْبَةِ — يَفْصِدُ جَبْرَ اسْمَاعِيلَ الَّذِي يَصُبُّ فِيهِ سَيْلُ الْكُفْبَةِ ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ مِنْهَا .

٤ — خَجَرٌ وَجَجِرٌ — وَضِعَ فَوْقَ الْحَاءِ ضَمَّةٌ وَتَحْتَهَا كَسْرَةٌ وَكَتَابَةٌ (مَعًا) لَوْفَهَا إِشَارَةٌ إِلَى تَفْجِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا . جَجَرُ بَنِي سُلَيْمٍ قَرْيَةٌ لَهُمْ . . . وَهَذِهِ الْقَرْيَةُ تَقَعُ شِمَالِ الْمُتَعَلِّينَ (الْمُهْدِي) فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لَهَا ذِكْرٌ فِي الشُّعْرِ الْقَدِيمِ ، ذَكَرَهَا عِرَامٌ وَغَيْرُهُ .

٥ — جَجِرٌ — قَالَ: وَقَرْيَةٌ مِنْ دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ بِالْقُرْبِ مِنْ قَلْعَى وَذِي رَوْلَانَ ، وَيُقَالُ بِالْفَتْحِ — كَذَا قَالَ وَمَا رَامَا إِلَّا إِلَيْنِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .

٦ — الْحَجَرُ: قَالَ: وَمَا يَفْتَحَتَيْنِ -: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنْ أَرْكَانِ الْكُفْبَةِ .

٧ — ذُو خَجَرٍ وَيُقَالُ: بِضَمِّ الْحَاءِ -: مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ — كَذَا قَالَ نَصْرٌ وَلَمْ يُجَلِّدْ مَوْضِعَهُ .

٨ — خَجْرَةٌ: قَالَ نَصْرٌ: وَخَجْرَةٌ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ . وَكَذَا وَرَدَ فِي «مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ» وَهَذِهِ هِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِخَجْرَةِ دُوسٍ ، وَالْحَجْرَةُ — مَعْرُوفَةٌ — وَهِيَ بَلَدَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي يَمَامَةٍ ، انْظُرْ عَنْهَا كِتَابِي فِي سِرَافَةِ غُلَيْبٍ وَزُهْرَانَ .

(١) جَنْدُ نَصْرٍ: (بَابُ الْحَدِيثَةِ ، وَالْحَدِيثَةِ ، وَالْحَدِيثَةِ).

(٢) سَمَّاهَا يَاقُوتُ فِي «المعجم»: حَدِيثَةُ الْفَرَاتِ ، وَقَالَ: وَتُعْرَفُ بِحَدِيثَةِ (النَّوْرِ) عَلَى فَرَايِخَ مِنَ الْأَنْبَارِ ، وَأَطَالَ الْحَدِيثَ عَنْهَا — وَذَكَرَ غَيْرَهَا وَقَالَ: الْحَدِيثَةُ فِي هَذِهِ مَوَاضِعَ يُنْسَبُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَدِيثِيٌّ وَحَدَّثَانِي . وَتَحَدَّثْتُ عَنْ سُؤْدِ بْنِ سَعِيدٍ فَذَكَرَ أَنَّهُ يَرْوِي عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُقْيَانَ بْنِ عُبَيْتَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَذَكَرَ مِنْ رَوَى عَنْهُ مُسَيْلِمُ فِي «صَحِيحِهِ» وَغَيْرِهِ ، وَبَسَطَ تَرْجَمَةَ فَقُلْتُ عَنْ الْخَطِيبِ صَاحِبِ «تَارِيخِ بَغْدَادَ» . هُوَ نَصْرٌ كَلَامُ نَصْرٍ . وَقَالَ يَاقُوتُ: الْحَدِيثَةُ بَشَانٌ كَانَ يَقْنَأُ (يَقْنَأُ) حَجَرَ ، مِنْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ ، لِمُسَيْلِمَةِ الْكَذَّابِ كَانُوا يُسَمُّونَهُ حَدِيثَةَ الرَّحْمَنِ ، وَبَعْنَهُ قُتِلَ مُسَيْلِمَةُ فَسَمَّوْهُ حَدِيثَةَ الْمَوْتِ . انْتَهَى . وَذَكَرَ =

وَأَمَّا الثَّالِثُ : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ وَبَعْدَ الْيَاءِ فَاءٌ - : مِيَاهُ لِبْنِي عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ مِلْحَةٌ فِي وَسْطِ خَمْسٍ ، فَلِذَا شَرِبَ الْمَالُ مِنْهَا سَلَحَ عَنْهَا^(٤) .

= البلاذري في «فتوح البلدان» أن إسحاق بن أبي حنيفة الأصابعي - والي السامرة في عهد المأمون بن مكيان الحديفة منسجدا (جامعا) . وقد جهل الآن موقعها ، ولكنها بقرب قرية الجبيلة إذ هناك حدثت وقعة غفرية التي قيل فيها مسيلة ، وغفرية شرق الجبيلة غير بعيدة عنها .

وذكر ياقوت : الحديفة قرية من أغراض المدينة في طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والحزرج قبل الإسلام ، ولها أراذ قيس بن الخطيم بقوله :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيفَةِ حَاسِرًا كَأَنِّي بِالسَّيْفِ بِهَرَقٍ لَاجِبٍ

ولم يذكر السهمودي هذه القرية في موضعها من كتاب «وفاء الوفاء» مع تقصيه في ذكر المواضع المذنية .

(٤) في مخطوطة الأصل (ماء) وفوقها في الهامش (مياه) ولعل الصواب (مائة) كما في كتاب نصر : وأما يفتح الحاء للمعجمة وكسر الدال المنقوطة - : ماء لكتب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، وثم لحيط وهو نعت إزالة ، وهي مائة ملحّة ، في وسط خمس ، فلذا شرب المال من ما فيها سلح عنها . وفي رسم (خديفة) يفتح أوله وكسر ثانيه ، وبعد الياء المثناة من تحت فاء - أورد ياقوت الاسم في «المعجم» قائلا : ووجدتها في كتاب نصر بالقلب - ثم أورد كلامه وأضاف : قاله الحارثي ونصر - ولم يورد الاسم بالقلب ، وليس في كلام نصر نص على أن الاسم بالقلب ولكنه ورد في المخطوطة . ولم أفتد إلى مصدر نصر ، ولكن ورد في كتاب «بلاد العرب» - ١٣٨ - في ذكر مياه بني أبي بكر بن كلاب : ثم مائة بما يلي التوقية يقال له الحوالب لبني قريظ ، والحديفة - سميت الحديفة لأنها ملحّة في وسط خمس ، فلذا شرب منها المال سلح منها ، وهي يخطي بني أبي بكر ، ثم الجافة إلى آخر ما ذكر . وأذن فالاسم بالقلب كما يفهم من مذلول (خلق) في كتاب اللغة ، وموقعها في حالة نجد ، فون ومثل بني عبدالله بن كلاب المعروف الآن باسم (نمود سبيح) .

وعما زاد نصر :

الحديفة : قائلا : يضم الحاء - : بقلة الحزن ، في ديار بني يربوع ، لبني جيمري بن رباح منهم ، ومنها حديثان بذلك المكان . انتهى . وأورد ياقوت في «المعجم» غير منسوب وأورد قبلة : الحديفة - يجوز أن يكون تصغير جمع حديفة مقصور وهي البستان - وهو موضع في غشوم حزن الحسا ، ذكر في أيام الغطالي ، وهو والذي بقعة واحد ، جمعه بما حوله على عاتيق في أمثال ذلك . انتهى . وقد أوضحت في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» أن الحديقتين - أبا في وإد يعرف باسم وادي الحديفة ، بقرب التبيبة (تياس قديما) شرق الدغناء ، وهناك أبا تدعى أبا الحديفة ، وهي تابعة لمركز لبنة (يقع وادي الحديفة بين خطي الطول ٤٤/٢٥ و ٤٤/٤٤ وخطي العرض ٢٨/٢٥ و ٢٨/٤٥ تقريرا) .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

بنو زيد أسرهم ومنازلهم

[تمة لما صدر في مجلة «العرب» عدد محرم وصفر ١٤٠٨هـ]

تلبية لما أبداه بعض الأخوة من ملاحظات حول مانشر أوضح هنا بعض الحقائق :

(١) إن الهدف من تسجيل ماتقدم ماهو سوى تعريف أبناء تلك القبيلة - التي كثرت بطونُها وأفخاذها وأسرها - بعضهم ببعض قدر المستطاع بهدف صلة الرحم والتعاون على البر والتقوى .

ثم إن في تدوين تلك المعلومات تقييداً لما لدى هذا الجيل من وثائق وروايات وأخبار تستنير بها الأجيال القادمة .

(٢) ليس المقصود من هذا العمل سرد أجداد كل أسرة ، وإنما المقصود ذكر الأسرة مع بيان البطن الذي تنتسب إليه بدون الدخول في تفاصيل دقيقة قد تكون عرضة للخطأ .

وما أثير من ملاحظات كالتي كتبها الأخ محمد بن عبدالعزيز الأصيلع من أن آباء بعض البطون دخل فيه آباء بطن آخر أو لم يدخل فهو خلاف لا طائل تحته مادام أن الكل متفقون على أن كُلاً ينتسب إلى الجد الأعلى فإن لم يكن أباً فهو جَدٌ ، والجد أب .

(٣) أشكر الإخوة الذين شاركوا في توضيح ماخفي أو إكمال مانقص . إذ عمل الإنسان معرض للنقص والسهو . وقد حصل بعض التصرف عند طباعة مانشر في العدد المذكور أدى إلى حصول بعض الاختلاف اليسير وهاهو توضيحه :

(١) الحزيم: ورد بالخاء المعجمة بينما الصحيح بالخاء المهملة .

(٢) الربيعية: اسم لثلاث أسر ، إحداها في القويعية وفي نخيلان وهم آل سلمان من عطية .

الثانية: في المزاحمية والدمام من آل سلمان أيضاً .

والثالثة: في شقراء من آل سليمان وليست من آل سلمان . وعند الطبع في المجلة أُدِجَت الأسر الثلاث تحت اسم واحد ، ونسبت إلى سلمان مع أن كل أسرة مستقلة .

(٣) الرقيب: ورد أن هذه الأسرة من آل علي . والصواب أنها من عطية من بني زيد .

(٤) السحيمي: ورد هذا الاسم باعتباره من آل بلدي ، ولم يعرف في آل بلدي أسرة بهذا الاسم .

(٥) الشعيلان: في بلد الشعراء — بالعين بعدها راء — أسرة معروفة ومشهورة . وقد حدث خطأ مطبعي فورد أنهم من آل صالح . والصواب أنهم من آل عثمان من آل علي من عطية من بني زيد .

— تعديلات وإضافات في الأماكن والبلدان :

(١) الضويان في الشعراء — بالعين بعد الراء — وهم معروفون ومشهور أنهم منها بل هم أمراؤها . وسهواً كتب القويعة فقط .

(٢) العويس: في الدوادمي ونخيلان وداحس .

(٣) القرانا في شقراء .

(٤) الماطر في شقراء كتب سهواً عطية والصواب (عطوي) وهذا يعرف مما سبق لأن بلدي ورد عدة مرات .

(٥) المجيلول في شقراء .

(٦) الخضير: في القويعة وروضة العرض .

ومن الأسر التي لم يرد ذكرها فيما سبق :

(١) الحُصْنُ جمع حصان في الخنقة من آل سليمان من عطية من بني زيد .

ب) الحشاش: بتشديد الشين التي بعد الحاء في الداودمي من آل سويد من آل
فياض من عطوي من بني زيد .

خ) السيف في الداودمي والشعراء من آل سويد من فياض من عطوي من بني
زيد .

د) العبدالعزیز من آل حمد من آل سلمان من عطية من بني زيد .

هـ) العجيان في رويضة العرض من آل سلمان من عطية من بني زيد .

و) العمانا في رويضة العرض من آل عبدالعزیز من آل حمد من آل سلمان من
عطية من بني زيد .

ز) آل غرّان: بتشديد الراء - في القويعة من آل سليمان من عطية من بني
زيد .

ح) آل مرقب في القويعة من مسلم من عطية من بني زيد .

ط) المسلر في القويعة من آل رشيد من عطية من بني زيد .

تنبيه : بعض الاخوة يستغرب بعض الأسماء ويقول : انه لم يسمع بها . وهذا
غير كافٍ في نفيها ولعل هذا بسبب كثرة الأسر ، وتشعبها وتفرقها ، ومثال ذلك

المسعد والحريشان والجهيم .

فالأولى ذكرها عبدالله أبو بكر - رحمه الله - ومن ابنه عبدالرحمن نقلتها .

والثانية أملاها علي بعض الاخوة من أسرة آل مهنا في الداودمي . منهم الشاعر
مهنا بن محمد المهنا ، وعبدالرحمن بن سعد القويز . وذكروا أنها فرع من آل مهنا .

والثالثة ذكرها الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى كما ذكر المطاوعة من آل
سلمان . وقال : منهم سعود بن محمد بن سعود بن حمد بن محمد بن سلمان - والله
أعلم .

الرياض : احمد بن محمد بن يحيى

وقدم لنا الأخ علي بن محمد شعيلان الماضي ايضاحاً حول مجاء في الكلمة التي نشرتها «العرب» للأخ محمد بن عبدالعزيز الاصيقع عن بني زيد وأسرهم -س ٢٢ ص ٨٤٦- وهذا نص ماقدمه لنا الأخ علي :

ان الشعيلان وآل عليان وآل صقر وآل زينان وأولاد ماضي بن محمد وسعد بن عبدالله الابراهيم والناصر من آل عثمان من آل ماضي ، من آل علي ، من عطية من بني زيد ، وجميعهم يسكنون الشعراء ماعدا آل محمد من الناصر فانهم في الرياض من عهد قديم .

ولاتوجد اسرة باسم آل المسعد في الشعراء من بني زيد

أخطاء وليست تطبيعاً

من تنبيهات أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٩٠	٩	مضان	مظان بالطاء لا بالضاد
٤١٠	١١	المشائخ	المشايع ياء بدون همزة
٤٣٠	٦	المتوفي	المتوفى الياء غير منقوطة

وقد أراد أستاذنا أن يخفف وقع ذلك في النفس فأشار إلى أن التطبيع (الخطأ المطبعي) لا يجد ولا يصد ، ولكن الواقع ان ضعف النظر حال دون دقة التصحيح ولاستاذنا الشكر الجزيل .

الضياغم والدنادشة

كتب الأخ الأستاذ مالك بن فيصل الدندشي المدرس في المعهد العلمي في رفحاء إلى مجلة «العرب» كتاباً مطولاً يدور حول إهمال دراسة قبيلة الضياغم من حيث ماضيها وتنقلها في البلاد ومختلف أحوالها ، وعتب على صاحب «كتاب جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وعلى الدكتور علي شواخ صاحب كتاب «القشعم من كبريات القبائل» بأنها لم يفصلا في كتابيهما من أخبار الضياغم ومن إيجاد صلة بينهم وبين الدنادشة التي يذكر الأخ مالك بن فيصل أنهم من ضنا عبيد ابن رشيد بن عرار بن شهوان بن منصور بن ضيغم ، وإن اسمهم الجديد الدنادشة لم يُلقبوا به إلا في عهد زعيمهم إسماعيل بن نعمور .

وطلب أن يفسح فيما كتب المجال لنشره في المجلة .

والواقع أن المجلة لا تتمكن من نشر شيء لا يطمئن محررها إلى توثيق مافيه من معلومات بذكر مصادر معتمدة ومعروفة ، ومن الممكن للأستاذ مالك أن يقوم بدراسة مفصلة عن أسرته الدنادشة يشفعها بما يؤيد كل ما يذكر من معلومات حولها بأدلة يقتنع بها الباحثون ، ولا أثر للعواطف فيها . أما عدم توسيع ماورد في الكتابين المشار إليهما عن الضياغم ، فمؤلفاهما ذكرا مايطمئنان إليه ويثقان به وهو مَبْلَغ علمهما ، وما على العارفين سوى الإيضاح والتفصيل فيما يتعلق بتلك القبيلة .

الضاحي (آل ضاحي) من الأسلم من شمر

أسرة الضاحي : من الغبن من الأسلم قوم ابن طوالة من شمر . منهم صالح ابن ضاحي بن عبدالله بن ضاحي بن محمد بن ضاحي بن محمد من السعود من الغبن من الأسلم .

وقد سكن عنيزة ثم الكويت وأخيراً استقر في الرياض وتوفي فيها رحمه الله .
وأولاده : عبدالله وضاحي ومحمد ومسعود جميعهم في الرياض .

وأخوه إبراهيم بن ضاحي بن عبدالله سكن الكويت ومات فيها - رحمه الله -
وله من الأولاد علي ومحمد في الكويت .

وبنو أخيه في طابة إحدى قرى حائل وهم محمد ومشعان وعيسى وبدر أبناء
ضاحي بن محمد بن ضاحي بن محمد بن السعود من الغبن من الأسلم ومازلوا في
طابة والبير والجحفة والصفراء وحائل .

وكذلك بنو أخيه سعد بن عبدالكريم أبناء مغيلث بن جارا الله بن مغيلث بن
محمد من السعود من الغبن من الأسلم ومازالوا في حائل وطابة والبير والجحفة
والصفراء .

الرياض - متوسطة اجنادين: خالد بن ضاحي بن صالح الضاحي

أسر متحضرة من مطير لم تذكر في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة»

أبعث بهذه المعلومات عن بعض الأسر المتحضرة في مطير لم تذكرهم في كتابك
القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة من نجد» ولم يذكرهم الأخ ماجد بن طاهر
المطيري فيما كتب بمجلة العرب (س ٢١ ص ٤٢١) تحت عنوان (أسر متحضرة
من مطير) ، ولمعرفتي بمطالبتك بتزويدك بأية معلومات أبعث إليك بهذه
المعلومات :

- ١ - العوض والمعزي في حنيظل والعويمر بالأسياح .
- ٢ - بنو منديل المريخي من المريخات من واصل من بريدة من مطير .
- ٣ - آل جويعد من مطير في الأسياح . ذكر الأسر الثلاث منديل الفهيد في
كتاب «آدابنا الشعبية» .
- ٤ - آل مطيري في الرياض . على ماذكر الشيخ حمد الحقييل في «كتر
الأنساب» .
- ٥ - العلي المعلي من مطير . ذكرهم الشيخ حمد الحقييل في كتابه .

- ٦ - المويس في القصيم من العبيات من واصل من بركة من مطير .
- ٧ - آل زرعة : من مطير . ذكر هذا إبراهيم الحمد المزروع في جريدة «الجزيرة» بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٤٠٦هـ [العرب: انظر الصواب عن نسب آل زرعة في كتاب «جمهرة أنساب الأسر» - ص ٣٤٤ -
- ٨ - الفجحان: المذنب من الرخمان من الموهة من علوى من مطير .
- ٩ - الصعانين: الرياض وبريدة من الموهة من علوى من مطير .
- ١٠ - الفارس: في عنيزة من الدياحين من مطير .
- ١١ - آل السمري في الرس من الدياحين من مطير .

عبدالعزیز بن سعد المطيري

المندسة أيضا

وعقب بعض القراء على ماجاء في مجلة «العرب» س ٢٣ ص ٢٨٤ فكان ممن عقب :

١ - الأخ حجاب بن سعود المحمدي من مدرسة عتبان بن مالك في المدينة المنورة يقول: بأن المندسة الواقعة في الجنوب من وادي بواط عندما يصب في وادي الحمض في محاذة طريق تبوك انها واقعة في بلاد ولد محمد من قبيلة حرب التي تمتد بلادها شمال المدينة وغربها .

٢ - الأخ عوض بن عويض بن لويحق المطيري مقررأ :

أ - المندسة منهل قامت عليه جرة للشطّر كما ورد في مجلة «العرب» وهذه الهجرة تقع شرق العُمق - بضم العين وفتح الميم - جنوب وادي الشُعْبَة شرق جبال أبلّ وغرب جبل فَرْقَيْن .

ب - المندسة هجرة كبيرة تقع غرب القصيم للزناغيب من بني عون من بني عبدالله من مطير بالقرب من جبل النَجج .

هذا بعض ماعلق به القراء ، وكما سبقت الإشارة إليه من أن المندسة في الأصل وصف فأطلق على مواضع متعددة .

• « أخبار مكة » للفاكهي :

وأكمل الأستاذ المحقق الشيخ عبدالمملك بن عبدالله بن دُهَيْش تحقيق كتاب « أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه » للإمام محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي من علماء القرن الثالث الهجري .

وقد سبق أن أشارت مجلة « العرب » - ص ٢٢ ص ٨٤٨ - إلى صدور الجزء الرابع من هذا الكتاب وقد تلاه الجزء الخامس يحوي بقية الكتاب مضافاً إليها :

١ - نصوص من القسم المفقود من الكتاب . وقد تقدم أن القسم الذي نُشر يحوي النصف الأخير من الكتاب ، وأن نصفه الأول لا يزال مفقوداً - انظر « العرب » ص ٨ ص ٨٠١ - .

وهذه النصوص التي أحققها المحقق الفاضل الشيخ عبدالمملك اقتبسها من مؤلفات عديدة كـ « فتح الباري » و « الإصابة » وكتاب « شفاء الغرام » للفاسي وهذا الكتاب حوى كثيراً من النصوص المفقودة .

٢ - مناظر لبعض المواضع المذكورة في كتاب الفاكهي . لم يقف جُهدُ المحقق على تحقيق النص فحسب ، بل أضاف إلى ذلك محاولة ربط الحديث بالقديم ، فصور عدداً من المواضع التي ذكرها الفاكهي وأضافها إلى الكتاب بصور موضحة ملونة تقع في ٣٢ صفحة .

٣ - خرائط توضيحية لبعض المعالم الأثرية في كتاب الفاكهي في عهده القرن الثالث الهجري هي :

١ - التقسيم الجغرافي لمكة المكرمة .

٢ - أشهر دُور مكة المكرمة .

٣ - الآبار التي كانت في مكة المكرمة .

- ٤ - البرك والجياض التي كانت في مكة .
 - ٥ - حوائط مكة المكرمة (بساينها) .
 - ٦ - شبكة الطرق الرئيسة في مكة وثناياها ومقابرها .
 - ٧ - المواضع التاريخية والمساجد .
 - ٨ - رسم تخطيطي لشكل وأبعاد المسجد الحرام وأبوابه ومناراته وموقع الكعبة المشرفة في نهاية عهد المهدي العباسي .
- وقد وقع هذا الجزء في ٣٠٦ من الصفحات .

أما الجزء السادس فهو مخصص لفهارس الكتاب ، وهي فهارس مفصلة وافية ، ويقع هذا الجزء في ٣٣٦ صفحة .

وطباعة الجزءين جيدة من حيث الورق والحروف ، وقد صدرًا سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) وليس في أجزاء الكتاب ما يُشير إلى مكان الطبع ، أو اسم المطبعة .

* كتاب « الدلائل » :

وصدر في سلسلة منشورات (معهد المخطوطات العربية) من فروع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الكويت كتاب « الدلائل » للحسن بن البهلول ، من أهل القرن الرابع الهجري ، بتحقيق الأستاذ الدكتور يوسف حبي ، ومراجعة الدكتور محمد عبدالحادي أبوريدة ، والكتاب كما عرفه الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المقدمة - ص ٥ - : (يضم دلائل العلوم الطبيعية والحيوية والطبية والهندسية والرياضية والفلكية والعلوم الإنسانية بما في ذلك الآداب والتاريخ والجغرافية ومفاهيمات النظريات الفلسفية وأصول الأفكار الدينية) .

ومع ما حواه هذا الكتاب من معلومات طريفة ومفيدة وخاصة ما يتعلق بعلم الفلك إلا أن ميزته البارزة احتواؤه على معلومات كانت شائعة عند مختلف الأمم ، ويعتبر الكتاب من أقدم المصادر لتدوين تلك المعلومات المشوبة بالخرافة والطرافة في كثير منها .

ويقع الكتاب في ٥٤٠ صفحة ، تحوي الفهارس منها نحو مئة صفحة ، والطباعة حسنة ، وعناية المحقق بارزة في كل صفحة من صفحات الكتاب ، وقد طبع في الكويت وصدر عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٧ م) .

* « تاريخ التراث العربي » : [انظر « العرب » ص ٢٣ ص ٥٤٢]

وصدر المجلد الرابع من هذا الكتاب القيم الذي سبق أن صدرت أجزاءه الأولى منذ بضع سنوات - « العرب » ص ٢٣ ص ٥٤٢ - بتعريب لجنة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهذا المجلد الرابع يحوي من العلوم السيمياء والكيمياء والنبات والفلاحة ، وهو مما قامت جامعة الملك سعود على نشره ، فتولى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالله حجازي في قسم الكيمياء من تلك الجامعة تعريب المجلد ، وقام الأستاذ مازن يوسف عماري بمراجعته ، وقد صدر عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) في مجلد تبلغ صفحاته ٥٩٤ بفهارسه المفصلة .

ويظهر أن مؤلف الكتاب الدكتور فؤاد سزكين لم يطلع على الترجمة العربية ، وأن الدكتور عبدالله حجازي المعرب لم يرجع إلى كثير من الكتب التي تعرض هذا القسم للحديث عنها ، وَيَتَضَحُّ هذا فيما ورد من كلام عن كتاب « الفلاحة النبطية » ص ٤٧٨ حيث يرد اسم (قوثامي) : (قوتعامي) و (قثامي) وكذا اسم (ضغريث) فقد ورد : ضغريت بالتاء - أما اسم (بينوشاد) فقد كتب بحروف لاتينية بهذه الصورة (JANBUSCHAD) مع وروده معرباً في أصل الكتاب ، ولورجع المعرب الكريم إلى (ص ٤) من الكتاب نفسه وهو مما نشره الدكتور سزكين بطريقة التصوير لا تهتدى إلى صحة تلك الأسماء .

ومع كل هذا فقد بذل الدكتور عبدالله في سبيل تعريب هذا الكتاب جهداً واضحاً مشكوراً .

❖ منهاج السنة النبوية :

قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنشر كتاب « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية » لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية - ٧٢٨/٦٦١ - تحقيق الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم - رحمه الله - وهو من نال درجة (الدكتوراه) في موضوع (موافقة العقل للنقل عند ابن تيمية) وسبق له أن حقق كتاب « درء تعارض العقل والنقل » في أحد عشر جزءاً فنال بتحقيق هذا الكتاب (جائزة الملك فيصل العالمية) في الدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٥ هـ ، وكان كتاب « منهاج السنة » قد طبع بالمطبعة الأميرية في بولاق في مصر قبل ثمانين عاماً ، وقد هيات الجامعة مجموعة من النسخ الخطية التي رَجَعَ إليها المحقق الفاضل فبرزت هذه الطبعة بصورة من الجودة والإتقان على خير ما يطمح إليه المهتمون بنشر التراث ، وجاء هذا الكتاب في تسعة أجزاء يحوي الجزء التاسع الفهارس العامة للآيات القرآنية ، وللأحاديث والآثار ، وللغة والشعر ، وللإعلام والفرق والطوائف والقبائل ، وللأماكن والبلدان ، ولأسماء الكتب ومراجع التحقيق وأُخِذَ به فهرس للتصويب والاستدراكات .

وصدر عن مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض سنة ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) .

وفي مقدمة الجزء الأول تقديم الكتاب بقلم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير الجامعة ثم مقدمة المحقق وفيها وصف المخطوطات التي اعتمدها في النشر ، ثم مقدمة للمحقق في طبعته الأولى للجزءين من الكتاب تحدث فيها عن مؤلفات ابن تيمية وعن كتابه « منهاج السنة » وتاريخ تأليفه وعن ابن المطهر الحلي صاحب كتاب « منهاج الكرامة » الذي رَدَّ عليه الشيخ ابن تيمية ، ثم مقارنة بين الكتابين ، وبعدها كلمة عن تقي الدين السبكي وكتاب « منهاج السنة » والرد عليه شعراً من قبل تلميذين من تلاميذ ابن تيمية ، ثم موقف ابن تيمية في كتابه « منهاج السنة » من قضية وحدة المسلمين ، فوصف بعض الأصول التي اعتمدها في نشر الكتاب ، وفي آخر كل جزء من الأجزاء بيان مفصل لموضوعاته .

ج ۱۲، ۱۱ س ۲۳ الجهادیان ۱۴۰۹ھ - کانون ثانی/شباط (یتاير/فبرایر) ۱۹۸۹م

حول وقعة الفيل :

خشم و پلادها

وأُتِمَّتْ بقراءة البحث التي نشرته مجلة « الحرس الوطني » - ع ٩٠ شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٨ هـ ص ٤٣ عن (موقعة الفيل) بقلم المؤرخ العسكري محمد فيصل عبد المنعم ، وأعجبت بسعة اطلاع الكاتب الكريم على مصادر الموضوع قديمها وحديثها ، ولكنني وقفتُ عند قوله : (وعندما بلغ الجيش الحبشي تهامة اليمن خرج إليه قوم من أهلها اشتهروا بالبأس والشجاعة ، وهم بنو خثعم بقيادة زعيمهم نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي ، واستبسل بنو خثعم في القتال ، ولكن أبرهة تمكن - في النهاية من إيقاع الهزيمة بهم ، وأسر زعيمهم نُفَيْل) . ثم ذكر بعد ذلك بلوغ الجيش الحبشي مدينة الطائف ، فإذا كان هذا الجيش قد اتخذ طريقه من اليمن إلى مكة الطريق التهامي فكيف يخترق سلسلة جبال الحجاز ويرجع إلى مدينة الطائف ؟ ثم ماهو المصدر الذي يمكن الرجوع إليه في عد قبيلة خثعم من سكان تهامة اليمن ، وكتب التاريخ الموثوق بها التي رجع إليها كاتب البحث وأورد أسماؤها حين تذكر خبر التقاء الأحباش بقبيلة خثعم لا تزيد على القول : ومضى أبرهة حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي ، في قبيلتي خثعم : شهران وناهس ، ومن معه من قبائل العرب فقاتله ، فهزموه أبرهة ، وأخذ نُفَيْل أسيراً ، فأقى به فلما همُّ بقتله قال له نُفَيْل : أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يَدَايَ لك على قبيلتي خثعم. شَهْرَان وناهس بالسمع والطاعة^(١) .

ولاشك أن مما يعين على فهم القضايا التاريخية ويساعد على إيضاح ما قد يكتف

بعضها من غموض ، ويزيل ماقد يغطي بعض الحوادث من لبس ، محاولة ربط تلك القضايا والحوادث - ما أمكن - بالبيئات التي حدثت فيها ، بل اعتبار هذه البيئات مع ما جرى فيها كلاً لا يتجزأ في الدراسة التاريخية ، وذلك بإبراز الصلات بين مظاهر هذه البيئات وبين ما جرى فيها من حوادث ، وخاصة متى كان لما يُعْرَضُ من قضايا تاريخية صلات باقية ، كالحال في واقعة الفيل ، التي حدثت فوق أجزاء معروفة من بلادنا ، وشارك فيها من سكان هذه البلاد من لا يزال يعيش فوق أديم الأرض الذي جرت فوقه الحادثة ، كقبيلة خثعم التي لا أريد من حديثي هذا سوى محاولة إبراز جانب من صلتها بتلك الحادثة ، بتعريف بلادها القديمة ، لعل في هذا ما يضيف جديداً مما يتطلبه المهتمون بدراسة تاريخنا القديم .

ولعل الباحث - أي باحث في التاريخ العربي قديمه وحديثه - لو حاول معرفة أمكنة استيطان قبيلة خثعم منذ أن عُني المهتمون بتدوين تاريخ القبائل العربية وتنقلها داخل جزيرتها في آخر القرن الثاني الهجري إلى عصرنا الحاضر - لما وجد لتلك القبيلة ذكراً بين سكان تهامة اليمن من القبائل ، ولوجد فيما بين يديه من المصادر التاريخية أن تنقل هذه القبيلة واستيطانها مر بأدوار عدة :

الدور الأول : منذ أقدم ما عرف عن نشئها قبل انفصالها من جذمها الأصلي حين كانت معدودة من فروع أنمار بن نزار بن معد ، من القبائل العدنانية ، قبل أن تنتسب إلى القحطانيين ، وحين كان موطن العدنانيين مكة وماحولها ، قبل أن تنتشر فروعها إلى قبائل متعددة ، لكل قبيلة كيائها الخاص ، وأمكنة استقرارها التي لا تشارك فيها ، فأجلت بنو مدركة بن الياس بجيلة وخثعم من غور تهامة ، فيما حول مكة على ما أورد البكري مفصلاً ، فيما نقله عن قدماء المؤرخين كابن الكلبي وعمر بن شبة وغيرهما ، منسوباً إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنه^(٢) .

الدور الثاني : حين تفرقت القبائل العدنانية اتجه ابنا أنمار بجيلة وخثعم نحو سراة الحجاز ، الواقعة جنوب الطائف ، فاستقرتا في أعالي أوديتها كوادي حلي وغيره ، بعد أن أجلت عنها سكانها الأقدمين - وكانوا من بقايا العرب البائدة ،

من بني إرم ، يعرفون ببني ثابر - على ما ذكر قدماء المؤرخين ، ومن أشهرهم هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ في كتابه « الافتراق » - تفرق العرب - فيما وصل إلينا منه مما نقله البكري في مقدمة كتابه « معجم ما استعجم » وياقوت الحموي في مواضع من كتابه « معجم البلدان »^(٣) وغيرهما من المتقدمين ، وكلام ابن الكلبي مروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - : فقأ أثمار بن نزار بن معد بن عدنان عين أخيه مضر بن نزار ثم هرب ، فصار حيث نعلم - أي انتسب في اليمن ، فظعننت بجيلة ، وخنعم ابنا أثمار إلى جبال السروات فنزلوها ، وانتشروا فيها ، فنزلت قسر بن عبق بن أثمار حقال حلية وأسالم ، وما صاقبها من البلاد ، وأهلها يومئذ حي من العاربة يقال لهم بنو ثابر ، فآزحلوهم عنها ، وحلوا مساكنهم منها ، ثم قاتلوهم فغلبوهم على السراة ، ونفوهم عنها ، ثم قاتلوا بعد ذلك خنعم أيضاً فنفوهم عن بلادهم - ثم أورد من شعر سويد بن جُدعة القسري البجلي :

وَنَحْنُ أَزْحَنُ ثَابِرًا عَنْ بِلَادِهِمْ وَحَلِيٌّ أَبْحَنَاهَا فَتَحْنُ أَسْوَدَهَا

الدور الثالث : انسياح قبيلة خنعم من أعالي السراة إلى سفوحها وسهولها الشرقية الشمالية ، المتصلة ببلاد نجد ، ومن أسباب ذلك انتشار فروع القبيلتين بجيلة وخنعم ، وكثرة تلك الفروع ، وتزاحمها في المنازل ، وقد استأثرت بجيلة بالاستقرار في أعالي السراة من ذلك العهد حتى عصرنا الحاضر حيث يتبوأ بنو مالك (بجيلة^(٤)) أعلى القمم في هذه السراة ، وهو جبل إبراهيم (البثراء^(٥)) وماحوله من الجبال وما انحدر منها من الأودية ، بعد أن أزاحوا إخوانهم الخنعميين عن مجاورتهم - على النهج القبلي المعروف - :

وَأَخْيَانًا عَلَى بَكْرِ أَخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

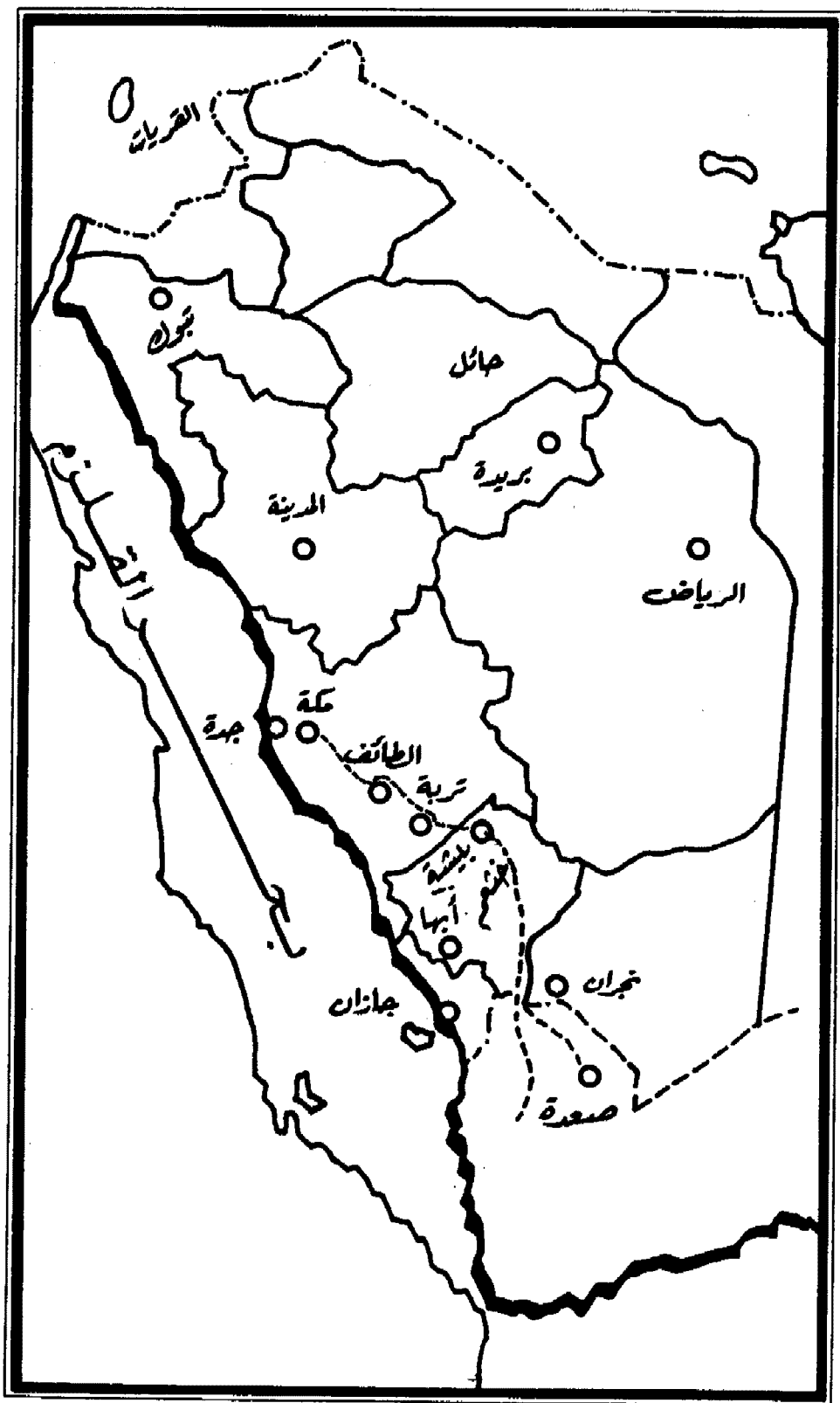
وحدث أن موجة قوية من موجات هجرة قبائل الجنوب بعد حادثة خراب سد مأرب انتشرت في السراة من طرفها الجنوبي حتى بلاد بجيلة منها ، فلم يكن لدى قبيلة خنعم من الحول والقوة ما تحافظ به على ما بقي لها من بلاد بجوار بجيلة ، فكان أن انزاحت عن هذه البلاد جنوباً ، وانساحت شرقاً ، حيث حلت محلها

فروع من الأزد منهم زهران وغامد ودوس وبارق ، قال ابن الكلبي : وأقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من بلاد السراة ، وما والاها : جبل يقال له شن ، وجبل يقال له بارق حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سبأ ، وتفرقها في البلاد ، فقاتلوا خثعماً فأنزلوهم من جبالهم ، وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة : غامد ، وبارق ، ودوس ، وتلك القبائل من الأزد ، فظهر الإسلام وهم أهلها وسكانها ، وعن استطيان خثعم في السراة يقول شاعرهم العملس القحافي - وقحافة بطن من شهران من خثعم - :

نَحْنُ الَّذِينَ وَرَثْنَا الطُّودَ عَنْ إِرَمٍ أَيَّامَ أَحْمَسَ وَافَاهِ بِأَنْمَارِ
أَيَّامَ حِمِيرَ تَعْلُو نَارُ عِزَّتِهَا مَا أَوْقَدَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ نَارِ
ولاتزال قبيلة خثعم تحلُ جانباً من السراة فيما بين بلاد غامد الأزدية ، وبلاد شمران القبيلة التي كانت في الأصل من جنب من مذحج من قحطان ، وهي تعد الآن من خثعم .

وذكر ابن الكلبي أن قبيلة خثعم بعد زحزحة القبائل الأزدية لها عن بلادها نزلت مابين بيشة وتربة ، وما صاقب تلك البلاد وما والاها ، فانتشروا فيها إلى أن أظهر الله الإسلام وأهله ، فتيامنت بجيلة ، فانتسبوا إلى أنمار إراش - من كهلان ابن سبأ - وقالوا : نحن أولاد قحطان ، لسنا إلى معد بن عدنان .

وأورد الأشعري اليميني النسابة في كتابه « الباب » سبباً آخر لانتساب القبيلتين إلى اليمن فقال : فاما أنمار واياذ ابنا نزار فنسبهما غير معروف ، وذلك أن أنمار بن نزار انتسب إلى اليمن ، وذلك أنه كان له ابنان وبنات اسمها سلامة ، فتزوجها إراش بن عمرو بن الغوث بن زيد بن كهلان فولدت له ولداً فسمته باسم أبيها أنمار بن نزار ، فولد بجيلة وخثعم ، وقيل : إن بجيلة وخثعم من أهل اليمن ، وإنما نقلوا اسمهم إلى ربيعة بن نزار أنهم حاربوا نهد بن زيد ، فتحالف عليهم نهد وجنب وسنحان وزبيد ، فأضروا بهم ، فانتسب خثعم إلى نزار فقالوا : نحن بنو أكلب بن ربيعة بن نزار ، وكانوا ينسبون إلى أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفل - وهو خثعم - وقالت شهران : نحن بنو أنمار بن نزار ، فنصرتهم



غزو عدوان ومن والاهم من قبائل نزار . انتهى . ومهما قيل حول اختلاف انتساب خثعم إلى أحد جذمي العرب العظيمين عدنان أو قحطان ، فالقبيلة عريقة الحسب والنسب ، كريمة المحدث ، ذات أصالة ومجد ، أنصفها شاعرها عبدالله بن عبید الله الاكلبي المعروف بابن الدُمَيْنَةِ ، بل تجاوز الإنصاف إذ قال :

وَحَثَمٌ قَوْمِي مَآيِنَ النَّاسِ مَعْشَرٌ أَعَمَّ نَدَىٰ مِنْهُمْ وَأُنْجَىٰ لِحَاثِفِ
وَأَفْذَىٰ لِمَغْلُولٍ وَأَوْفَىٰ بِذِمَّةِ وَأَوْفَىٰ لِضَمِيمٍ عَنْ نَقِيلٍ مُحَالِفِ
وَأَجْبَرَ لِلْمَوْتِ إِذَا رَقَّ عَظْمُهُ وَأَسْرَعَ غَوَاثًا يَوْمَ هَيْجَا لِحَاثِفِ
إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا عَلَىٰ تَرْوَةِ الْعُدَىٰ جَهَارًا وَلَمْ يَغْزُوا فُرُودَ الْخَوَالِفِ
وَإِنْ يُسْأَلُوا الْمَعْرُوفَ لَمْ يَتَخَلَّوْا بِهِ وَلَمْ يَدْفَعُوا طُلَابَهُ بِالْحَسَائِفِ

دور الانتشار والاستقرار : لم تستطع قبيلة خثعم الصمود والبقاء بعد انحدارها في سفوح السراة الواقعة فيما بين وادي تربة وبيشة ، فقد كانت تلك البلاد قبيل ظهور الإسلام ميدان حروب ضارية ، ومجال جلاذٍ مستمر ، بين القبائل العدنانية والقبائل القحطانية التي بدأ الاحتكاك بينها نتيجة لتزاحم فروعها الكثيرة في جنوب الجزيرة العربية ، فكان الغلب للعدنانيين بحيث تمكنت أكثر البطون العامرية العدنانية من احتلال تلك البلاد ، والاستقرار فيها بعد المعارك المعروفة باسم أيام العرب التي حدثت بيت الجذمين العظيمين ، كيوم الذَّهَاب ويوم الحَوَيِّ ، ويوم قَيْفِ الرِّيح ، ويوم العُرْقُوب ، وما بزغت شمس الإسلام إلا وقد انتشرت فروع عامرية في السهول الواقعة في سفوح السراة من شرق الطائف ، حتى انتهاء سراة جَنْبٍ ، بقرب رمل الجزء - الطرف الغربي الشمالي لما عرف حديثاً باسم الربع الخالي ، فأزاحت تلك الفروع قبيلة خثعم للتوغل جنوباً حيث وجدت باتصالها بالقبائل اليمنية - من الأزد ومذحج - بالمناصرة في تلك الحروب ، وفي الانتساب إلى جذم واحد ، وفي التجاور في المنازل ما مكنها من المشاركة في الاستيطان ، وهياً لها الاستقرار حيث تعيش أكثر فروع خثعم الآن ، ممتدة من أعالي فروع وادي تباله في السراة حتى اجتماعه بوادي بيشة ، ثم بالانتشار على ضفاف هذا الوادي العظيم ، وفي حوضه وروافده كوادي ترج ، ووادي هرجاب ، ووادي يَغْرَا .

ونستطيع أن ندرك أن زمن استقرار الخثعميين في هذه البلاد كان نتيجة لحروب تلك الأيام التي حدثت قبل ظهور الإسلام ، وكان النصرُ فيها حليفاً للعدنانيين ، وقبل حدوث تلك الواقعة التي خلد ذكرها القرآن الكريم في سورة الفيل .

وتدل الآثار البارزة والأخبار المتناقلة بين السكان المحليين في جنوب البلاد أن طريق الحج اليمني القديم الممتد من صنعاء إلى صعدة مخرقاً السراة إلى طلحة الملك فسروم الفيض فكنته فالجسداء فبيشة فقبالة فحرة بني هلال ، فوادي تربة إلى اسافل الطائف ، فقرن المنازل إلى مكة هذا الطريق هو الذي سلكه أصحاب الفيل ، كما سلكه قبلهم ثُبَّانُ أسعد أبي كُرب الملك الحميري ، الذي تروي كتب التاريخ القديمة خبر وصوله المدينتين الكریمتين^(٧)؛ المدينة ومكة ، فلا يزال يحمل اسم (درب الفيل) و(درب أسعد الكامل) ولا تزال آثار الإصلاح القديمة بادية فيه كتدليل عقباته ، وتبليط الخشن من أرضه ، ورصف بعض مجاري الأودية التي تعترضه ، وكثيراً ما ينسب السكان تلك الآثار إلى أصحاب الفيل^(٨) .

بل إن من نصوص متقدمي المؤرخين ما يوجي بذلك ، فالهمداني لما ذكر ذات عش الواقعة بقرب كنته قال^(٩) : ذات عش من أداني القاعة وهناك مات أبرهة ، منصرفاً من غزوة الفيل ، وذات عُشٍّ من أرض كنته ، والقاعة — وتدعى القاعة الشهباء — من ذات عش إلى بنات حرب^(١٠) ، ولا تزال القاعة معروفة وهي قاع فسيح تتخلله^(١١) أودية وشعاب ، فيما بين طريب ويعرا ، في بلاد شهران ، ومادام أبرهة مات في هذا الطريق فينبغي أن يكون الطريق الذي أتى منه هو وقومه ، إذ يطبق المؤرخون على أنهم حين نزل عليهم البلاء (خرجوا هارين ، يتدرون الطريق الذي جاءوا منه ، يسألون عن نُفيل ليدلهم على الطريق^(١٢)) .

فاين التقوا بنفيل بن حبيب الخثعمي وقومه حين مجيئهم ؟

لقد أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» منازل هذا الطريق ومناهل^(١٣) ، وحدد المسافات بينها من صنعاء إلى مكة ، بل أضاف إلى ذلك ما يوضح موقع كل منزلة ومنهل مما يليها بدرجات العرض ، كما ذكر أصحاب تلك المنازل والمناهل من بطون القبائل ، التي يخرق الطريق بلادها ، فذكر — فيما

ذكر - أن المحجة من صنعاء إلى مكة على طريق نجد اثنتان وعشرون مرحلة ،
ومن البرد خمسة وثلاثون بريداً - تكون أميالاً أربع مئة وعشرين ميلاً - وذكر أن
الاتجاه إلى صنعاء إلى صعدة على سمت مابين مطلع بنات نعش ومغيها ، ومن
صعدة إلى كُتنة على سمت مغيب الأول منها ، ومن كتنة إلى بيشة على سمت
مغيب الأوسط منها الذي إلى جنبه السُّها ، ومن بيشة إلى المناقب (الريعان) على
سمت مغيب الآخر منها ، الذي يطلع آخرها ويغيب آخرها . وكان مما ذكر عن
القبائل التي تقع المنازل في بلادها مما تدعو المناسبة لمعرفة سكانه من القبائل :

خولان فيما بين صعدة والعرقه .

ثم وادعة من همدان ، فيما بين العرقه وأرنيب .

وبعد هذا المنزل يقع منزل سروم الفيض المعروف باسمه الآن الواقع في بلاد
جنب من مذحج قديماً وفي عهدنا يعد من بلاد قحطان الاسم الذي حل محل
مذحج في العصور الأخيرة .

أما منزلا الثَّجَّة وكُتنة فالأول في بلاد نَهْد إخوة جَنْب والثاني في بلاد شهران من
خشعم .

ثم تمتد المسافة التي يقطعها هذا الطريق عند الهمداني أربعة وتسعين ميلاً في
بلاد خشعم من كتنة إلى مابعد تبالة على هذا النحو^(١٣) :

من كتنة إلى ينبم ٢٠ ميلاً .

ومن ينبم إلى بنات حرب ٢٠ ميلاً .

ومن بنات حرب إلى الجسداء ٢٢ ميلاً .

ومن الجسداء إلى بيشة بعطان ٢١ ميلاً .

ومن بيشة إلى تبالة ١١ ميلاً .

وتبالة لأكلب من خشعم ، ثم تنتهي بلاد خشعم ، فالمنزلة التي تلي تبالة كانت
تدعى القريحا ، قرية على وادي رنية وقد خربت^(١٤) ، وكانت لبني هلال - من

بني عامر من قيس عيلان ، وتمتد بلاد هاؤلاء القيسيين إلى قرب مكة ، ومنهم ثقيف بمنطقة الطائف ، ولكن الطريق يدع بلدة الطائف جنوبه حيث يمر بالفتق قرية كانت تقع شرق الطائف قال عنها الهمداني : والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق إلى المغرب ، إذا صليت في الفتق استقبلت المغرب ، فوقعت الطائف بينك وبين مكة ، ومنها إلى رأس المناقب وهي منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب .

وبعد أن اتضحت المنازل الواقعة في ذلك الطريق ، ومنها مالايزال معروفاً باسمه القديم ، ومنها مايمكن الاهتداء إلى موقعه بالاهتداء بالدرجات التي تشير إلى الاتجاه وتقدير المسافات ، فقد أصبح من الممكن الجزم بأن التقاء جيش أبرهة بالختعميين كان في إحدى المنازل المذكورة أو بقربها ، فالنص الذي ورد فيه ذكرهم ، وتكرر في أكثر كتب التاريخ الموثوق بها لا يُسمي الموضع ، بل لا يزيد على تسمية فرعي خثعم وقائدها ، وشهران وناهس - مع أكلب - منها تتفرع أحياء خثعم ، والثلاثة أبناء عفرس بن حلف بن خثعم ، وشهران أثنى الفروع ، فمنه بنو واهب وبنو الفرع ، ومن واهب قحافة ، ومن فروع أكلب جليحة والهرز . وشهران فرع صغير أيضاً ، وواهب أيضاً ، ولناهس بن عفرس فروع ، وجميع تلك الفروع التي هي جماع أحياء خثعم عند ظهور الإسلام قد انتشرت في روافد وادي بيشة وعلى ضفافه من وادي تبالة شمالاً غربياً حتى حدود بلاد القبائل المذحجية من نهـد وجنب وزبيد جنوباً شرقياً ، وقد تكون كتنة الهجيرة - كما دعاها الهمداني^(١٥) - منتهى بلاد الخثعميين في الجنوب ، ويطونهم منتشرة فيما بينها وبين الجنيـنة آخر قرى بيشة شمالاً .

ولقد كان جليحة - الفرع الأكليبي الخثعمي - من منازل ذلك الطريق مايدل على قوة ذلك الفرع وانتشاره في ذلك العهد ، ومنها وادي يعرا الذي نص الهمداني على أن فيه نخلاً وآباراً جليحة ، وجليحة أيضاً بنات حرب المنزل الذي يتوسط بلاد خثعم فيما بين كتنة وبيشة ، يضاف إلى هذا أن نفيلاً قائد خثعم في حرب أصحاب الفيل من جليحة فهو ابن حبيب بن عبدالله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب - الفرع الكبير - بن جليحة بن أكلب ، ولا بد أن تكون المعركة

وقعت في بلاد هذا القائد ، أو على مقربة منها ، ولعل من محاسن الصدف بالنسبة لهذه القبيلة الكريمة أن يلفظ عدوها الذي حاربها فهزمها أنفاسه الأخيرة في حد بلادها ، في ذات العش في حد القاعة الجنوبي ، والقاعة من بلاد جليحة .

والإشارة إلى فروع قبيلة خثعم قديماً يدعو إلى بسط القول في مسألة ذات صلة بالموضوع لا بالنسبة لهذه القبيلة وحدها ، بل تتعلق بجميع القبائل في الوقت الحاضر ، مما ينبغي لمن يبحث في دراسة انساب القبائل إدراكه :

١ - عندما تكثر فروع القبيلة وتتسع بلادها وتقوى ينشأ عن هذا تميز أحد تلك الفروع بوفرة عدد ، أو بكثرة منازل ومناهل فتتنامى شهرته مما يسبب انتهاء كثير من الفروع الأخرى إليه دون الانتماء إلى الأصل ، وهذا ماحدث لقبيلة خثعم ، مع أكبر فروعها وهو شهران ، الذي انفرد الآن باسمه ، وبكيانه وبمنازله ، وبعدم انتمائه إلى القبيلة الأم التي قبعت بعد أن جادت بإنجاب تلك الفروع وفروع أخرى انضوت إلى الفرع الشهراني نفسه - قبعت في مساحة ضيقة من البلاد في سراة بيشة فيما بين بلاد غامد وبلاد بلقرن (بني القرن) مجاورة قبيلة شمران ، التي أصبحت أحد فروعها في العهد الحاضر ، بينما اندمجت فروعها القديمة في (شهران العريضة) كما كانت تعرف قديماً ، مع من انضم إليها من ألفاف القبائل العدنانية التي كانت منتشرة قرب حوض وادي بيشة ، وإذا استعرض الباحث أسماء فروع خثعم قل أن يجد بينها اسماً من الأسماء القديمة ، ولكنه يجد أكثرها معدوداً في (شهران) .

وأعجب من هذا أن بعض القبائل التي كانت تنازع خثعم السيادة على بعض البلاد كقبيلة بني سلول بن عامر^(١٦) قد دخلت في أحد الفروع الخثعمية ، فأصبحت الآن معدودة من شهران .

ويجد الباحث لهذا أمثلة كثيرة بين القبائل العربية المعاصرة ، ومن ذا الذي يجهل ماكانت تتمتع به قبيلة طيء قبل ظهور الإسلام ، وإبان ظهوره من قوة ومكانة وسيطرة على بلاد تعتبر من أخصب البقاع وامنعها في الجزيرة ، إنها الآن لا تعدو قبيلة صغيرة محتفظة باسمها القديم ، تعيش في العراق ، فكيف زحزحت

عن بلادها وأصبحت بالدرجة التي عليها من الضعف ؟! إن قبيلة طيء - في الواقع - لم تضعف ولم تغادر بلادها القديمة ، ولكن نشأ منها فروع نالت شهرة وثروة في العدد مما جذب انتفاء الفروع الصغيرة إليها دون القبيلة الأم ، فقبيلة شمر في شمال نجد ، وقبيلة بني صخر في الأردن ما هما سوى فرعين من فروع قبيلة طيء .

٢ - كثيراً ما سبب التجاور في المنازل اختلاطاً في الأنساب ، ومن أمثلة ذلك قبيلة شمران التي ينسبها المتقدمون من علماء النسب إلى صداء من مذحج ، وصداء بنوه منبه والحارث والغلي وهفان وشمران وسنحان ، وبلاد هاؤلاء قديماً ما يعرف بسرارة عبدة الآن ، وجل قبائل مذحج - ومنهم جنب - يطلق عليهم الآن قحطان .

ويظهر أن قبيلة شمران انتقلت من بلادها الأولى وانفصلت عن قومها في عهد مبكر ، فالهمداني حين تحدث عن سكان السراة من الأزدي عد منها الحجر بن الهنو ، ولهبأ ، وغامدأ ، ودوسأ ، وشكرا ، وبارق السوداء ، وحاء ، وعلي بن عثمان ، والنمر ، وحوالة ، وثبالة وسلامان والبقوم وشمران^(١٧) . وفي كتاب « الاكليل » عد شمران من خولان بن عمرو من قضاة فقال^(١٨) : أولد خولان ابن عمرو غير من ذكرنا عيس بن خولان ، وجابر بن خولان ، وشمران بن خولان ، وحررض بن خولان ، وإليه ينسب وادي حررض - إلى آخر ما ذكر - ويظهر أن مجاورة شمران قبيلة خثعم كانت من أسباب اندماج القبيلتين واختلاطهما في النسب .

٣ - وما يوقع اختلاط النسب بين القبائل توافق الأسماء ، كما أوضح ذلك الهمداني إذ قال^(١٩) بعد ان ذكر انتساب الأجعود القبيلة الحميرية القحطانية إلى جعدة القبيلة العامرية العدنانية : وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فإنها تكاد أن تتحصل نحوها ، وتنسب إليها ، رأينا ذلك كثيراً . وأضيف بأنه كثير أيضاً في عهدنا ، ومن أمثله بنو خالد - القبيلة المعروفة - فهم كغيرهم من القبائل في هذا العهد ، لا يجمعهم أصل واحد ، ولكن الاسم كان يطلق على آباء عديدين من قبائل متباعدة في النسب .

وكذا اسم (تغلب) قد عرف به الفرع الوائلي الربيعي العدناني ، واشتهر أكثر من غيره ممن سمي بهذا الاسم ، مثل تغلب بن حلوان من قضاة من قحطان ، وكانت فروع من تغلب القضاة قد انتشرت في وادي الدواسر ، الذي كان يعرف قديماً بالعقيق - عقيق جرم ، ثم بعقيق بني عقيق وعقيق قمر ، ولا تزال بطون من قبيلة الدواسر في عهدنا تنتسب إلى تغلب ، وتتهم أنها من تغلب ربيعة ، وتغلب هذه لم تمتد بلادها إلى جنوبي نجد ، بل انحدرت - بعد ان مزقتها الحرب - شرقاً ، ثم اتجهت صوب الشمال حيث استقرت في الجزيرة الفراتية ، ولكن منها فروعاً انتشرت في تهامة ، ولعلها بقيت هناك منذ عهد الألو كبن فرسان الذين تسمى باسمهم الجزيرة الواقعة بمنطقة جازان^(٢٠) ، وبني شعبة الذين كانوا في القرن السابع الهجري وما حوله يعيشون في ضواحي مكة الجنوبية ، ثم انتقلوا في عصور متأخرة إلى جنوب تهامة حول البلاد التي عرفت باسم (الدرب) و(درب بني شعبة)^(٢١) فهناك من النسابين من يرى أنهم من تغلب كابن سعيد المغربي الأندلسي المتوفى سنة ٦٦٠هـ (٢٢) .

الرياض : حمد الجاسر

الحواشي :

- (١) « السيرة النبوية » لابن هشام ج ١ ص ٤٦ - « تاريخ ابن جرير » ١٣٢/٢ طبع دار المعارف بمصر ، « الكامل » لابن الأثير ج ١ ص ٤٤٢ ، « البداية والنهاية » لابن كثير ١٧١/٢ .
- (٢) « معجم ما استعجم » ص ٥ إلى ٥٨ الطبعة المصرية سنة ١٣٦٣ تحقيق مصطفى السقا .
- (٣) نفس المصدر ص ٥٨ و « معجم البلدان » رسم (بارق) .
- (٤) عن اطلاق اسم (بني مالك) على (بجيلة) انظر كتاب « في سرة غامد وزهران » - ٤١٦ - .
- (٥) انظر عن نسبة هذا الجبل للصوفي الزاهد إبراهيم بن أدهم مجلة « العرب » ص ٢٢ ص ٢٨٣ .
- (٦) « السيرة النبوية » ١٩/١ .
- (٧) انظر « العرب » ص ١٨ ص ١٠٢٤ - صنان - .
- (٨) « معجم ما استعجم » رسم (عش) .
- (٩) « صفة جزيرة العرب » - ٤٢٦ طبعة دار اليمامة .
- (١٠) « العرب » ص ١٨ ص ١٠٢٦ .
- (١١) « السيرة النبوية » ٥٣/١ ومصادر الجاشية (١) .
- (١٢) « صفة جزيرة العرب » - ٣٣٨ - .
- (١٣) المصدر نفسه - ٣٣٩ - .
- (١٤) المصدر نفسه ١٦٢ ، ٢٥٨ ، ٤٣٢ - وحل محلها في المؤلفات التي بعد عهد الحمداني كالادريسي في ←

منتخبات «السيد» ... وملاحظات

المنتخبات بقلم صاحب السعادة الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد باشا مدير الجامعة المصرية - الجزء الأول ، يطلب من مكتبة الأنجلو المصرية . دار النشر الحديث ١٩٣٧ (١٥ فبراير) - ص ٣٣٢ + ٣ . مطابع أحمد الصاوي محمد .

١ - جمع مواد الكتاب إسماعيل مظهر .

٢ - المنتخبات: مقالات كتبها السيد في جريدة «الجريدة» .

٣ - رتبها (الجامع) تاريخاً بدءاً بالعدد ٣٤٣ - ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٨ وانتهاء بالعدد ١٦٦٩ في ٤ سبتمبر ١٩١٢ .

٤ - الاتجاه الغالب على الموضوعات الاجتماعية ، عن التعليم والمرأة والأخلاق والسلوك والعادات . . . ، فيما يجب أن يكون ، وإدانة ماهوكائن من تأخر . . . - فهو أقرب إلى المعلم أو المربي الشاعر بالمسؤولية عن مجتمعه مقارناً مع الغرب خاصة .

وللسياسة نصيبها من الكتاب ، في مواد من الوطنية والأحزاب والاستقلال والانكليز (وكرومر خاصة) - وهو فيها وطني معتدل، يراعي الظرف المحيط أكثر

→ « نزهة المشتاق » الرواية ووصفها بانها قرية كبيرة فيها عيون جارية « العرب » ص ٥ ص ١٤ - ويظهر أنها موقع مدينة رنية .

(١٥) « صفة جزيرة العرب » ٢٥٨ - إذ هناك أربعة مواضع كل واحد يدعى (كتنة) وانظر « العرب » ص ١٨ ص ١٠١٧ .

(١٦) انظر « معجم البلدان » رسم (مطلوب) و (المعمل) وكتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام ترجمة العجبر السلولي .

(١٧) « صفة جزيرة العرب » - ٢١١ - .

(١٨) ج ١ ص ٧٤٧ - الطبعة الثانية .

(١٩) « صفة جزيرة العرب » - ١٨٠ - .

(٢٠) لعل أوفى ما ذكر عن نسب (فرسان) ماورد في كتاب « التعريف بالأنساب » للاشعري النسابة اليمني ، ولا يزال الكتاب مخطوطاً .

(٢١) انظر عن بني شعبة « العرب » ص ٨ ص ٨٩٢ .

(٢٢) « نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » لابن سعيد المغربي - ٦٠٣ ، ٦٤٠ - .

كما يمكن أن يحمل من عناصر الثورة .

٥ - أما اطلاعه فواسع ، وثقافته العربية والغربية كذلك ، ومع أنه خريج كلية الحقوق المصرية مع إقامة أو دراسة في باريس . . . فإن لغته العربية سليمة ، وثقافته الأدبية العربية كذلك ومحفوظه من الشعر العربي . . .
ويكُنُّ لتولستوي (ص ص ١٩٢ - ١٩٦) تقديرًا عميقاً .

٦ - ويجد دارس (الأعلام) مادة عن (قاسم أمين) و (أحمد عرابي) . ويجد دارس (السياحة) : باريس ، لندن ، و (أسبوع في المدينة المنورة) . في ست حلقات (ص ص ٢٢٩ - ٢٥١) . وقال ص ٢٦١ : (السيد جمال الدين الأفغاني ، لزمته في الأستانة - شهراً وبعض شهر . . .) .

٧ - الوطنية معروفة ، ولكن (القومية) قلقة لديه ، وقد تعني - عابراً - العرب ، ولكنها - في الغالب الأعم الأرسخ - تعني المصرية (تنظر ص ١٠٩ ، ١٤٢ ، ٢٦١ ، ٣١٦) .

ومثلها (الأمة) (ص ٣١٤) - وتقرأ (ص ٣١٤) : (إن كل أمة تطلب إلى مصر أن تبقى إلى الأبد مبعدة عن استقلالها ، إنما هي أمة تتخذه نفسها ، لأن هذا المرام لا يرام إلا من ليف من الناس ليس لهم ما للأمة المصرية من القومية العتيقة ، والوطن المحدود ، والنظامات الاجتماعية ، حين كان العالم لا يزال قليل العلم بمقتضيات النظامات الاجتماعية . أمة كأمتنا قد ولدت التمدن مرتين ، لا ينبغي للتمدن الحديث أن يطمع في التوغل في إذلالها وإبعادها عن أقل الأقدار لمطامع الأمم ، وهو الاستقلال . من العيب العظم أن تداجي الأمة في أمر استقلالها . . .) .

وفي ص ٣١٦ : (إن أول معنى للقومية المصرية هو تحديد الوطنية المصرية والاحتفاظ بها والغيرة عليها غير التركية على وطنه ، والانكليزي على قوميته . . .) .

٢ - ص ٧٢ «السيدة الأمريكية» (. . .) تتعرف بالأرسطوقراطيين (العائلات

الشريفة)... - ٢٢ نوفمبر ١٩٠٨ .

شرحه للكلمة الأجنبية يدل على قرب العهد بتعريبها ، وكأنه يستعملها لأول مرة ، أو في المرات الأولى للاستعمال - ولأجظ الطاء التي ستكون لدى التداول تاء .

٣ - ص ٧٧ : (فرغ المتنورون ...) من المناقشة في كون التعليم واجباً أو جائزاً...) المتنورون من الكلمات التي كانت سائرة في بداية القرن العشرين واستمرت حيناً ، وهي في أصلها ترجمة للكلمة الفرنسية ، وخلفها (رنة) دلالة التنوير الفرنسي في القرن الثامن عشر الذي مهد للثورة ، وفي العصر فولتير وديدور وروسو...

ثم انقرضت شيئاً فشيئاً وحل محلها: المفكرون والمتقنون ...
وقد انقرضت من قبل عند الفرنسيين إلا ما بقي منها مصطلحاً يدل على حال وزمن معينين .

٣ - ص ٩٨ : (الحالة النفسية «البسيكولوجية»...) - ٢١ يناير ١٩٠٩
شرحها يدل على البدء في استعمالها . ويتكرر الحال ص ٣١٩ - ٣ سبتمبر ١٩١٢ .

٤ - ص ٩٨ : (الوسط) - وضعها بين قوسين لجدة العهد باستعمالها وهي ترجمة للكلمة الفرنسية milieu ، واستمرت تستعمل على وجه محدود لأن كلمة (البيئة) هي التي غلبت عليها .

٥ - ص ١٠١ : (الأرغول ... المزمار) - ٣٠ يناير ١٩٠٩ ، ص ١١٠ :
(المزمار والأرغول) - ٣ مارس ١٩٠٩ .

٦ - ص ١٠٦ : (المرسح ... المراسح التمثيل) - ٣٠ يناير ١٩٠٩ /
ص ١٤٤ (مراسح اللعب) - ٢٦ يولييه ١٩٠٩ .

استعمل المرسح والمراسح تبعاً للاستعمال اللبناني في لبنان وعلى لسان الفرق التي انتقلت تعمل في مصر .

٧ - ص ١١٥ : (تلك هي سخرية صرفة) - ١٤ مارس ١٩٠٩ .

يرى اللغويون أن الصحيح : سخرية صرف - ولكن التأنيث مع المؤنث خاصة ، غلب وساد ، واستعمال السيد هنا ينفع من يؤرخ للاستعمال السائد (الخطأ) .

ولابد من أن يكون السبب في تأنيث الصرف مع المؤنث ، وتذكيره مع المذكر يرجع إلى أن استعمالنا الحديث جاء ترجمة للاستعمال الأجنيبي (الفرنسي) .
ومثل الصرف والصرفة : البحث والبحثة .

٨ - ص ١٣٢ : (يخرج بعضهم من بيته إلى القهوة القريبة ...) - ٣ مايو ١٩٠٩ .

استعمل (القهوة) على الشائع لديهم ولدينا بدل (المقهى) .
والقهوة فيما يشرب وفيما يقصد عند الفرنسيين واحدة Café .

٩ - ص ١٣٣ : (قال سيسرون ...) - ٣ مايو ١٩٠٩ .
يقصد شيشرون ، ولفظه كما يلفظه الفرنسيون بالسين ، وهو في لغته الأصلية كيكرون .

١٠ - ص ١٤٨ : (... إلى العمل في السياسة بالذات ...) - ٢٦ يولييه ١٩٠٩ لتأريخ استعمال (بالذات) في الكتابة الحديثة .

١١ - ص ١٤٥ (صديق من فرنساويين يسبح الآن في أميركا) .

نقول اليوم فرنسي ، وكان أهل النهضة يقولون : فرنساوي ، وكلمة (ساح يسبح سياحة) يمكن أن تهم صانع المعجم فيما دخل عليها من تطور بسبب الاتصال بالغرب . ولها أصل : ساح الماء : جرى على وجه الأرض . والسياحة : الذهاب في الأرض للعبادة والترهب ... ثم ...

١٢ - ص ١٨٤ : (مرت بنا سنو دراستنا ...) - ١٣ يناير ١٩١٠ .

١٣ - ص ٢١٢ : (... اتخذناه عنواناً لهذه المقالة) - ٤ فبراير ١٩١١ .

لمن يؤرخ استعمال (المقالة) مصطلحاً . واستعماله هنا يدل على توطده
وشبوعه .

١٤ - ص ٢٤٨ : (استمساك العرب بمبادئ العدل) - ٢٩ من أغسطس
١٩١١ ، وتكرر .

ص ٢٦١ : (مارأيت قوماً أقل استمساكاً بشخصيتهم القومية من المصريين) -
٢٤ ديسمبر ١٩٣١ .

١٥ - ص ٢٥٥ : (لا أنكر أن عرابي أساء وطنه وأمه) - ٢١ سبتمبر
١٩١١ . يريد أساء إلى ...

١٦ - ص ٢٢٢ : (الانتحار) - ٣١ مايو سنة ١٩١١ . لمن يؤرخ لاستعمال
كلمة (الانتحار) . ومعلوم أنها ترجمة لكلمة أجنبية (فرنسية) فيها انتحر ،
وانتحرار .

أما لدينا فلم أر غير: (قتل نفسه) .

١٧ - ص ٣١٨ : (داخلة في بروجرام أعمالها) - ٢ سبتمبر ١٩١٢ . بروجرام
تعريب للكلمة الأجنبية (الفرنسية) Programme ظلت تستعمل تقريباً إلى أن حلت
عنها كلمة (منهج) ترجمة لها دون أن تقضي عليها .

١٨ - ص ٣١٨ : (يجب على الكاتبين أن يتتهزوا الفرصة لينشروا في الأمة
عقيدة الاستقلال) - ٢ سبتمبر ١٩١٢ .

كانوا في مطلع القرن - فيما يبدو - يفضلون استعمال الكاتبين وكانها (أرقى)
من الكتاب وانتقلت إلى العراق ، وهكذا كانت يستعملها لدينا (محمود أحمد
السيد) .

١٩ - ص ٣٢٤ : (لا يجرأ أحد في هذه المدينة أن ينكر على أحد...) - ٤
سبتمبر ١٩١٢ الصحيح: لا يجرؤ . والذي وقع للسيد ظل يقع لكثيرين على
اختلاف المكان والزمان ... ويجرؤ على ..

٨ - ص ٣٧ (مادام الكتاب إسماعيل صبري باشا والمويلحي وشوقي وحافظ والمطران ، وغيرهم ممن رزقوا سعة الخيال ؛ الذين لديهم المعدات اللازمة للقصصيين ، مادام هؤلاء لا يريدون أن يصنعوا من القصص ما ينقي أخلاق الأمة من أدران الطبائع الاستبدادية في قالب غرامي ، يستهوي النفوس لقراءتها ، وماداموا يعتذرون في كل وقت بعدم الوقت ، مكتفين بما يخرجونه لعالم الأدب من الحوليات التي قل من يفهمها من الناس الذين كان من حقهم أن يستفيدوا منها حكمة بالغة أو زاجر للطبع القاسي ، وصارفاً عن الرذيلة للأخذ بالفضيلة ، ماداموا كذلك ، يكتبون في مجالسهم بنقد أساليب الكتابة ومعاني الشعر ومبانيه ، من غير أن يقبلوا على عمل ما يقدرون عليه لمصلحة أمتهم وخدمة الإنسانية ، فليس من الغريب أن تتصدى جرائدنا اليومية في عطلة الصيف إلى الأبحاث الأخلاقية ، وإن كانت كتابتها في هذا الباب لا تغني غناء القصص المصرية ، التي لا أظن كتابنا بعد الدعوات المتكررة الشفهية والتحريرية ، يقيمون على القعود عن تأليفها) - ٣ أغسطس ١٩٠٨ .

دعوة مبكرة جداً إلى مزاوله القصة ، وبيان فوائدها الوطنية خلال الإمتاع ... يوم لم يكن محمد حسين هيكل قد فكر بكتابة «زينب» .

والكاتب في موقف الموجه ، والناقد التوجيهي بحكم اهتمامه الاجتماعي وعمله السياسي وإطلاعه على القصص العالم وفي طليعته قصص تولستوي .

وفي استعمال (مادام الكتاب ... فليس ...) مثل لمن يبحث في تاريخ استعمال (مادام ...) (في العصر الحديث) بمعنى إن بقي الكتاب ... فليس ، وبمعنى بما أن ... ولأن ... ، وتأتي مع ذلك في بدء الجملة .

ويرى النحويون أن (مادام) من الأفعال الناقصة (أخوات كان) تفيد المدة الزمنية وهي تدخل على مبتدأ والخبر ، ولا تأتي هي وجملتها في أول جملة .
والآية الكريمة : ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً﴾ أي مدة دوامي حياً والمثل النحوي : (أعطت مادمت مصيباً درهماً أي أعطت مدة دوامك مصيباً درهماً) .

والملاحظ أن في عاميتنا ما يتصل بالاستعمال الحديث - الذي رأينا مثله على قلم السيد - من معاني الشرطية واعتماد الثاني على الأول دون نظر إلى الدوام والزمن .

٢٠ - وتسأل : لم «المنتخبات» وليس «المقالات» كلها؟ ولم تبدأ بمقال العدد ٣٤٣ - ٢٥ من أبريل سنة ١٩٠٨ وليس بالعدد الأول في ٩ مارس ١٩٠٧؟ فإذا كان المقصود بالجمع خدمة المؤرخين وجب أن تكون الخدمة كاملة وأفكار السيد كلها عبط اهتمام المؤرخين في خيرها وشرها ؛ وإذا كان المقصود خدمة الباحث الأدبي فإن الباحث الأدبي ينطلق من بدء الأشياء ويسير مع تطورها ومقالات السيد كلها من نسق لغوي متقارب في البناء واللغة و(اللغة السياسية) خاصة (والحذر) في الأداء كذلك ؟

لابد من أن يكمن السبب فيما جرى في مصر من تطور ولاسيما بعد ثورة ١٩١٩ في المفهوم الوطني والقومي ، والموقف من الانكليز خصوصاً ، والموقف من اللغة العربية كذلك . ولم تكن مواقف (السيد) كلها على الدلالة المطلوبة من الوطنية واللغة والموقف من الانكليز . لقد كان من حزب الارستقراطية ، وهو وحزبه يماثلون الانكليز في أخف ما تخفف به اللهجة نحوهم ، وقد تبنى في السياسة سياسة اللورد كرومر ، وفي الدعوة إلى اللغة العامية دعوة السير وليم ويلكوكس !!

٢١ - ونلاحظ إن للمنتخبات جزءاً ثانياً، وأن إسماعيل مظهر دأب على الاختيار والانتخاب في عمليتين آخريين هما : «صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية» و«تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع» . إن إسماعيل مظهر يختار ويتنخب ولا يجمع المقالات كلها جمعاً كاملاً . . . في أجزاء أو في موضوعات شاملة ويبقى السؤال والجواب في تعليل ذلك حيث هما .

بغداد : علي جواد الطاهر

٣٧ عاما في دنيا الصحافة

[كتبت للعدد الـ ١٠٠٠ من مجلة «البهاة» الصادر بتاريخ ١٩/٨/١٤٠٨هـ].

حديثُ المرءِ عن نفسه — في مقام الإطراء والثناء — من الأحاديث السمجة الممجوجة ، مالم يتناول جانباً من جوانب أعمال تلك النفس لغرض إبراز حقيقة من الحقائق التي قد يعلّق في الأذهان حيالها ما ليس صحيحاً ، فما أرى هذا النوع من الأحاديث إلا محموداً ، وخاصة حين تدعو المناسبة إلى ذلك .

وهذا ما دفعني للتحدث بإيجاز عن بعض الجوانب المتعلقة بإنشاء هذه المجلة الحبيبة إلى قلبي ، استجابة لرغبة أستاذ كريم أجله وأجلّ له في نفسي من التقدير ما يوجب عليّ تحقيق رغبته .

في صبيحة يوم من أيام ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ وقد تسنى لي الاجتماع بسعود بن عبدالعزيز — رحمه الله — إذ كان ولياً للعهد ، وكان قد أمر بنقلي من (مراقبة التعليم في الظهران) قبل ثلاث سنوات لأتولّى (إدارة التعليم في نجد) ، ثم نُقِلْتُ من هذا العمل بأمر ملكي حين أَمَرَ الشيخُ محمدُ بن ابراهيم بإنشاء معهد ديني علمي في الرياض ، لِإِسَاعِدَ في إنشاء هذا المعهد ، فكنت على صلة حسنة بسمو ولي العهد تلك الأيام ، فأظهرت له في صباح ذلك اليوم ضرورة إيجاد صحيفة في مدينة الرياض . وكان — تغمده الله بواسع رحمته — ذا رَغْبَةٍ قوية في فعل كل ما مِنْ شأنه تقدّم هذه البلاد وإصلاحها في مختلف مرافقها الحيوية ، وكان ذا نفسٍ سَمَحَةٍ ، سريع الاستجابة لفعل الخير ، فما كان منه وقد علم برغبتي بأن أقوم بالإشراف على هذه الصحيفة إلا أن أمر بالكتابة إلى وزير الداخلية وإلى وزير المالية بالكتابين رقم ٧١٨٢ و ٧١٨٣ وتاريخهما ١٣/٤/١٣٧٢هـ بما صورته :

من سعود بن عبدالعزيز إلى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لقد طلب منا الشيخ حمد الجاسر السماح له بإصدار صحيفة في الرياض باسم (الرياض) فوافقنا على ذلك .

فأنتم إن شاء الله تعاملون الصحيفة فيما يرد لها من ورق وخلافه كما تعاملون الجرائد والمجلات الداخلية ، وسيرد لها مطبعة ، فأنتم أعفوها من الرسوم .

والسلام ..

التوقيع

سعود

كان أن اتصلت بوزارة الداخلية ويتولاها في ذلك العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل فأحيل الكتاب إلى وزارة الخارجية ، إذ (قلم المطبوعات) كان من فروع تلك الوزارة ، وهو الذي يمنح الإجازة بإصدار الصحف ، وكان مقرها في جدة ، وبعد الاتصال بها طُلبُ مني إحضارَ كفيلين ، أحدهما غارم ، والآخر يتعهد بإحضاري في أي وقت يراد مني فيه الحضور . ولم أكنُ أعرفُ أحداً في هذه المدينة الكريمة سوى أشخاص لا تمكنهم أعمالهم الرسمية من تحقيق رغبتني ، فيما لو طلبت منهم كفالتي ، إلا أنني كنت مدعواً للغداء عند الشيخ محمد بن علي ألبير قاضي تلك المدينة ، وكان من أساتذتي في المعهد السعودي في مكة المكرمة سنة ١٣٤٩ وما بعدها ، ومن بين المدعوين أخوه أحمد ، وعبد العزيز بن حمد العبدلي من وجهاء أهل عنيزة ، وحين علما بالأمر أبديا موافقتها على أن يكفلاني لدى قلم المطبوعات ، فكان ذلك ، ومُنِحَتْ رخصةٌ بإصدار صحيفة باسم (الرياض) تصدر بصفة مؤقتة شهرية ، ثم أسبوعية ، فيومية .

عدتُ إلى الرياض وَجَعْتُ بعض موادٍ للعدد الأول من هذه الصحيفة التي رأيت الإسراع بإصدارها خشية أن يَحْدُثَ من الأمور ما يحول دون ذلك ، وسافرتُ إلى مصر ، وهناك اجتمعت بأبنائنا من الطلبة الذين يدرسون في الجامعة ودار العلوم وكليات الأزهر ، ورأيت أن أَكَلِ رسم الأسس التي ينبغي أن تسير عليها هذه الصحيفة إلى أولئك الشباب الذين هم بِدُونِ شِكِّ أكثر خِبرةً وأوسعَ معرفةً وإدراكاً لما ينبغي أن تكون عليه الصحافة الناشئة في مثل بلدنا ، وهكذا وجدتُ في أولئك الأبناء ما كنت أتوقع ، فقد توالى اجتماعاتهم في أحد منازلهم في

شارع يوسف جوهر في الدُّقي ، حيث رسموا الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها هذه الصحيفة ، من حيث الشكل والمنهج ، ثم هَيَّأُوا مما كتبوه ما أضافوه إلى ما أحضرته معي من مقالات ، وفي (مطابع دار الكتاب العربي) تم الاتفاق على طبع العدد الأول من مجلة (الرياض) ، فصدر ذلك مصدراً بكلمة كتبها بعنوان (هذه الصحيفة : يدُ بيضاء لسمو وليِّ العهد المحبوب) أوضحت فيها ملامح عمَّا توخاه المشرفون على إصدارها من الإسراع إلى ذلك بهذه الصورة ، وما جاء في تلك الكلمة : فأصدرنا هذا العدد ، ولم نُؤثِّرْ أَنْ يصطبغ بهذه الصبغة الأدبية التي قد تروق لفئة خاصة — غير أن الظروف والملايسات قَسَرَتْنَا قَسْرًا سنكون عنه — إن شاء الله — بمنجاة ومناى ، حينما يهيئُ الله الوسائل اللازمة ، فنرى « مطبعة الرياض » تلقف مايقدم لها من نتاج الأفكار ، وقرائح الفهوم ، فتحيله أَكْثَلًا شَهِيًّا طَرِيًّا ، وشرابا سائغًا عَذْبًا ، يُرَبِّي العقول وينعش الأرواح . ونرى قراء « الرياض » في كل مدينة من مدن هذه المملكة العظيمة ، وفي كل قرية من قراها — بل في كل شعب من شعابها ، وفي كل وادٍ من أوديتها — يجودون لها بكل جديد طريف ، عن دراية ومعرفة ، وبصيرة ورشد ، ويجودون فيها وفي غيرها من صحفنا مِنْ غِذاءِ الأرواح والعقول كل نافع مفيد . حينما نرى ذلك — وهو قريب إن شاء الله — بفضل مايبذله سمو ولي عهدنا المحبوب في جميع السبل التي تعود على الأمة بالصالح — تصبح « الرياض » لا صحيفةً أسبوعية فحسبُ ، بل يومية تتجاوب اصداؤُها في أنحاء المعمورة ، مدوية بما يطيب ذكره ، ويحسن نشره ، عن هذه المدينة السعيدة ، بل عن هذه الأمة المجيدة ، وما ذلك على الله بعزيز .

تتلوها كلمة بعنوان (سبيل الدعوة إلى الحق) للشيخ عبدالعزيز بن باز المدرس في معهد الرياض ، فأخرى بعنوان (حاجة الإسلام إلى الدعاية) للشيخ عبدالله الخياط مدير مدرسة الأمراء في الرياض ، فكلمة الأستاذ خليل الهراس أحد الأساتذة المصريين المدرسين في معهد الرياض ، فمقطوعات شعرية قديمة وحديثة ، فدراسة أدبية للأستاذ ناصر الحمد المنقور ، معتمد المعارف في نجد ، فمقال للأستاذ شكيب الأموي عن (القوة والعلم أم الضعف والجهل) فوصف

رحلة في داخل نجد ، يتلوها نقد لكتاب « تهذيب الصحاح » في اللغة الذي طبع على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان وصدر تلك الأيام ، ونَقَدُ آخر لكتاب « طبقات فحول الشعراء » ثم بحث لغوي للشيخ يوسف الضبع ، فوصف مخطوط نادر ، فمقال طَبَّيٌّ بعنوان (عالج نفسك بدون طبيب) للدكتور يوسف الحُمَيْدَان ، فمختارات وتعليقات ، وينتهي العدد بصفحتين عن أنباء الحركة الثقافية .

ويتوالى نشاط أولئك الأحبة من أبنائنا الطلبة ممن أصبحوا فيما بعد يتسمنون أعلى المراكز في الدولة من وزارات وغيرها ، منهم بل أبرزهم وأنشطهم بالنسبة للعمل في هذه الصحيفة في أول نشأتها اثنان هما : ناصر المنقور ، وصالح الحُصَيْنُ ومن أولئك عبدالرحمن أبو الخليل ، وعبدالعزیز السالم ، ومحمد بن عبدالرحمن الفُريج ، وعبدالرزاق الرُّيس ، وعبدالرحمن بن سليمان آل الشيخ ، وحسن المشاري ، وإبراهيم العنقري ، وعبدالله الطريقي ، إلى آخرين لا يتسع المقام لذكر أسمائهم من مشاهير الكتاب والشعراء الذين في استطاعة القارئ أن يرى آثارهم فيما نشرته المجلة في سنتيها الأولين .

لقد طبع العدد وتقدمت بنسخ منه لسعود - رحمه الله - طالباً الأمر بنقله من القاهرة إلى الرياض بواسطة المخطوط السعودية ، وهو لا يزيد على مئة كيل ، ولكنني فوجئت بكتاب من الديوان بتوقيع رئيس الديوان ملخصه : إن سموه أمر بما يلي :

١ - عدم استعمال اسم (الرياض) للمجلة التي أصدرتم لأن هذا الاسم منحه سموه الشيخ عبدالله بلخير مستشار سموه .

٢ - يمكنكم أن تنقلوا المجلة على حسابكم .

٣ - سوف لا يُسمح بتوزيع أي عدد من المجلة وهي تحمل اسم (الرياض) .

أصبح لا مندوحة لي من تغيير الاسم ، بعد طبع أوراق وظروف ودفاتر كلها

تحمله ، مع الإعلان في جريدة « البلاد » السعودية عن (الرياض) وتكاليف ذلك لا يعتبر يسيراً بالنسبة لحالتي في ذلك الوقت .

وكان نظام المطبوعات إذ ذاك قَرناً من حَيْثُ استبدال الاسم بغيره ، إذ تُنصُّ إحدى مواده على أن لصاحب المطبوعة (جريدة أو مجلة أو غيرها) أن يغير الاسم بما يختاره من الأسماء ، بشرط ألا تكون مستعملة الآن ، أو أنه لم يَمُضَ على استعمالها في الماضي أكثر من عشر سنوات . فقدمت طلباً بتغيير الاسم إلى (اليامة) لعدم استطاعتي استعمال الاسم الأول ، ولكن ما الحيلة والمجلة قد طُبعتْ ، والمبلغ المصروف لطبعها وإن كان قليلاً إلا أنه بالنسبة لي في ذلك الوقت يعتبر كثيراً ١٩ ليكن تغيير الغلاف والورقة الأولى التي تحمل اسم (الرياض) وما يقابلها في الملزمة ، وأجرة إعادة طبع الغلاف مع الورقتين المذكورتين أيسر من طبع المجلة كلها ، فكان ذلك . ولكن بعض المقالات كتبت لمجلة الرياض وورد اسمها فيها ، وليكن هذا فما الذي يضير ١٩

أُرْسِلَتِ المجلةُ بعد هذا التعديل مجزأة مع بعض المسافرين ، فوصلت إلى الرياض ووزعت . وكانت الاشتراكات فيها لم تتجاوز مئة نسخة ، والباقي - من الألف - بيع ، سوى ما يقرب من مئتي نسخة .

وبعد ذلك تلقيت كتاباً من وزارة الخارجية ينصُّ على أنه جرى رفع طلب تغيير الاسم إلى المقام السامي ، ولكنه صدر بدون الموافقة على الاسم الذي اخترته إلا بإضافة كلمة أخرى (يامة نجد) أو (نجد اليامة) وكان بيني وبين الأستاذ خير الدين الزركلي - رحمه الله - صداقة ، وكان الذي يتولى وكالة الخارجية ، وهو الذي وقع كتابها ، وقد ألحق به في ورقة منفصلة كتابة ورد فيها : (هذا ما ورد من المقام السامي ولن يعجزك وجود مخرج من ذلك) . كان المخرج الاستمرار على اسم (اليامة) وإن كان اسم الرياض الذي اخترته أولاً بقي يداعب مخيلتي ، وأتمنى في كل مناسبة صدور صحيفة في هذه المدينة باسمها ، إلا أن المعارضة في ذلك تأتي من جانب قوي كان هو المشرف على شؤون الصحافة ، وهو الأستاذ عبدالله بَلْخَيْرٍ ولم يَمُضْ يَسِيرُ زمنٌ حتى قامت مؤسسة الصحافة والطباعة والنشر ، التي يملكها ثَرِيٌّ كبير مشهور في مدينة جدة بإصدار

مجلة باسم « الرياض » ، ولا جادث الشيخ عبدالله بلخير في الأمر ، وكيف أُنْع من استعمال اسم مُنْحَتْ به رخصة من قلم المطبوعات ويسمح لغيري باستعماله ١٩

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَالِيهِ الدُّو حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ ١٩

أجاب : بأنه صاحب الحق في الاسم وقد (أعاره) مؤسسة الصحافة !

كان الشيخ بلخير قد قرر القيام بمشروع طباعي صحفي ضخيم ، ومنحته الدولة لتلك الغاية أرضاً واسعة تتوسط مدينة الرياض ، تُحَدُّ جنوباً من بيوت آل فهد (شارع القطار فيما بعد) إلى ماعرف باسم (شارع الجامعة) شمالاً ، وغرباً من (طريق المطار) إلى قرب مؤسسة الكهرباء شرقاً ، وأحضر إلى الرياض من لبنان خبيراً بشؤون الطباعة هو جورج صيقل ، فمكث مدة في الرياض وفي الظهران درس خلالها ما تتطلبه البلاد من مطبوعات وما يلزم لها من آلات طباعة فكان أن أحضرت بعض الآلات إلى ميناء الدمام ، وبقيت في صناديقها فترة من الزمن .

ويعد أن توقفت مجلة « الرياض » التي صدرت في جدة كانت فكرة إصدار صحيفة في مدينة الرياض باسم الرياض لاتزال تراودني .

وأذكر أنني في إحدى المرات عبَّرتُ لجهة مسؤولة عن تلك الفكرة ، فوجدت استحساناً بل موافقة ووعداً بالعمل على تحقيقها ، فكان أن تقدمت بطلب ذلك ، وبعد أن تمت الموافقة ونلت تصريحاً برقم ٢/٧٦٧٨ تاريخ ١٣٧٦/١٢/١ هـ هذا نصه :

تصريح

بناء على الأمر الملكي الكريم برقياً برقم ٢٢٦٥٨ في ١٣٧٦/١١/١٧ هـ بالموافقة الملكية العالية على طلب الشيخ حمد الجاسر اصدار صحيفة أسبوعية في الرياض باسم (الرياض) تكون خاضعة لنظام الصحافة وتتجنب الدخول في السياسة أو المهاترات الصحفية .

لقد أخذ التعهد على الشيخ حمد المذكور واعطى هذا التصريح لاصدار صحيفة باسم « الرياض » في الرياض ، . ونرجو أن تقوم بواجبها في خدمة الحكومة والبلاد بكل نزاهة واخلاص .

أمير الرياض

توقيع

الختم

صورة للديوان الملكي للبرقيات

بدأت بالاستعداد لإصدار الصحيفة ، وأعلنت ذلك في صحيفة « اليامة » ولكنني فوجئت من الجهة المسؤولة عن شؤون المطبوعات بمعارضة شديدة ، لم أستطع التغلب عليها ، إلا بعد أن وكلت الصحافة في عهد فيصل - رحمه الله - إلى مؤسسات مُنِحت امتياز إحداها مع عدد من الإخوة الذين اخترتهم ، وهي (مؤسسة اليامة الصحفية) .

لقد صدر العدد الأول أول ما صدرت صحيفة اليامة في عهدها الأول . بتلك الصورة التي أوضحتها من حيث تنوع الموضوعات فيه ، تنوعاً كان مثار نقده من كثير من المهتمين بالشؤون الصحفية ، إذ لم تتضح من خلالها أهداف الصحيفة ، مع أن أولئك الشباب من ابنائنا ، ومنهم من كان قد أكمل دراسته قد عُنُوا بهذه الناحية الأساسية ، ولكن للظروف حكمها في بلاد لم ينتشر فيها التعليم الحديث ، ولاتزال نظرة كثير من أهلها إلى الصحافة نظرة استرابة ، بل استهجان من بعضهم ، ولهذا كان من أهم الوسائل التي أريد منها محاولة تغيير تلك النظرة الاستعانة بنشر آراء العلماء وأفكارهم في المجلة ، ثم التدرج فيما ينشر بالطريقة الممكنة نحو الغاية المتوخاة ، التي هي الاهتمام بالنواحي الاجتماعية بصفة عامة .

كان من أول ما فكرت فيه بعد الموافقة على السماح لي بإصدار الصحيفة إيجاد مطبعة لها في مدينة الرياض ، وكنت إذ ذاك مساعداً لمدير المعهد ، الذي يتولى رئاسته الشيخ محمد بن ابراهيم ، ويضم عدداً كبيراً من المدرسين والطلاب ، فاستطعت أن اجمع منهم مبلغاً من المال لغرض انشاء شركة باسم (شركة الطباعة والنشر الوطنية) وأردت شراء مطبعة مستعملة من مصر ، ولكن الأستاذ محب الدين الخطيب وهو خبير بهذا الشأن نصحني بأن اشترى آلات حديثة وهياً لي

الاتصال بإحدى الشركات التي تتولى توريد آلات الطباعة من ألمانيا ، وبواسطة وكيلها في بيروت (سابا وشركاه) تمَّ شراء آلات مطبعة كاملة وبدأ وصول بعضها إلى الرياض .

وفي تلك الأثناء تم طبع العددين الأولين في مصر لانتخذاهما أنموذجاً لما يطبع بعدهما من أجزاء ، وكنت قبل طبعهما قد اجتمعت ببعض الأخوة المشرفين على إدارة مطبعة (البلاد السعودية) في مكة فعلمت أنه بإمكانها طبع الصحيفة مادامت شهرية .

وكنت كتبتُ للمصديق الأستاذ عبدالله عريف - رحمه الله - وهو مدير تلك المطبعة أطلب منه أن يُمدَّ « اليمامة » بشيء من كتاباته ، فبعث يستوضح عن موضوع ما يكتبه ، وأشار إلى ماحواه العدد الأول من موضوعات من بينها مانشرته المجلة عن « تهذيب الصحاح » وذكر أن الشيخ محمداً كان راضياً عن ذلك لا كما قدَّرتُ ، وأضاف في كتابه إلي : (لست من رأيك في طبع المجلة في مصر ، لأنني أريد لمطبعة البلاد السعودية ، بل لأن ذلك أكرم لبلادنا ، ومَسْأَلَةُ الأسعار والمطابع هنا ولاسيما مطبعتنا تستطيع أن تساعدك في هذا ، لاسيما إذا قدَّرتُ مشاكل الشحن من القاهرة إلى هنا) .

إذن هامي مشكلة الطباعة قد أَوْشَكَتْ أَنْ تَنْحَلَّ ، وفعلاً تم الاتفاق على أن تتولى مطبعة البلاد السعودية في مكة طبع المجلة اعتباراً من العدد الثالث باجرة قدرها ٥٦٠ ريالاً لآلف نسخة (خمس ملازم) أي مايقرب من ضعف أجرة طبعها في مصر ، ويضاف إلى هذا ٦٠ ريالاً لتصحيح التجارب (البروفات) ولكن أحد الإخوة أبدى استعداده للقيام بالتصحيح بدون مقابل وهو الأستاذ عبدالله بن خميس ، وكان مقيماً في مكة في ذلك الوقت ، وفعلاً صدرت أربعة أعداد من الثالث إلى السادس مع ملحق لجزء ربيع الثاني ١٣٧٣ هـ عن وفاة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - مطبوعة بتلك المطبعة ، ولكن تلك الأعداد كانت تتأخر في صدورها عن الوقت المحدد ، فقد يوشك أن ينتهي الشهر قبل صدور العدد المخصص له ، والمفروض توزيعه في أوله ، مما اضطر الأستاذ عبدالله لكتابة كلمة

في باطن غلاف العدد السادس الصادر في شهر جمادى الأولى ١٣٧٣هـ جاء فيها (فرنا من المطابع المصرية لسبيين : ١ - كثرة الأغلاط المطبعية وهي نتيجة حتمية تفرضها بحوث المجلة وتحقيقاتها الغربية على المصححين هناك - ٢ - هوة البعد السحيقة بين محرري المجلة وبين المطبعة مما يسبب تأخر المراسلات والوقوع في الارتباك ، ولأجل هذا اخترنا مطابع البلاد السعودية لتكون الفائدة مزدوجة ، فانعكست القضية وجاءت الخسارة بالنسبة إلينا مزدوجة) .

ثارت نائرة الصديق الأستاذ عبدالله عريف مدير مطابع البلاد فأرجع مواد العدد السابع وأخبر الأستاذ عبدالله برفض طبعها ، ولم يُجدِ ما بذلته من محاولات ليبقى الأمر على ما هو عليه ، فكان الاتصال بمؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة ويديرها السيد مدني بن حمد ، لطبع المجلة ، وبعد الموافقة بشفاعة الشيخ إبراهيم الجفالي - رحمه الله - تم تقديم عدد رجب ، ولقد انتهى الشهر والذي يليه ، ثم خرج العدد بشكل غير ملائم للأعداد التي صدرت من حيث الشكل مما اضطر إلى العودة للطبع في الخارج .

وكان بعض الإخوة قد انشؤوا مكتباً في بيروت باسم (المكتب السعودي للتأليف والنشر) ومن أعماله الاشراف على طبع ما يوكل إليه من مطبوعات كان من بينها هذه المجلة ، من العدد الثامن من سنتها الأولى حتى العدد التاسع من السنة الثانية ، حيث تم طبعه في (مطابع الرياض) في شهر رمضان سنة ١٣٧٤هـ وبعده صدر العددان العاشر والحادي عشر عن شوال وذو القعدة سنة ١٣٧٤هـ مزدوجين ، لتبدو الصحيفة فيما بعد في شكل جريدة أسبوعية جامعة اعتباراً من غرة شهر صفر سنة ١٣٧٥هـ (١٨ سبتمبر ١٩٥٥م) .

وبشاء الله أن تُنزعَ من يدي وأنا أهيتها للصدور يومية في سنتها الثامنة ، إلا أن فيصلاً - رحمه الله - لم يرضَ بهذا الحيف ، فسارع لإزالته في أول مناسبة سنحت لذلك .

لم تكن المسيرة في معايشة الصحافة - في السنوات الماضية - مريحة ، وخاصة بالنسبة لي ، مما لاداعي لتفصيل ما قاسيته خلال صدور « اليامة » جريدة ، ولن

أتحدث عن المشكلات التي تعترض سير الصحفي الناشئ في بلاد حديثة العهد بالصحافة ، ولكنني أكتفي بالإشارة إلى واحدة منها ، ومنها تنشأ أشدّ البلايا وأسوأ المشكلات ، انها مشكلة الرقابة على المطبوعات (ولا يبتك مثل خير) .

لم أشعر صباح يوم من الأيام وأنا في مكتبي في مطابع الرياض إلا بالاستاذين عبدالعزيز بن ابراهيم بن معمر وعبدالله بلخير مستشاري الملك سعود - رحمه الله - يدخلان عليّ ، وأثناء حديثهما أخبراني أن الملك بعثها لكي يسند إليّ رئاسة مكتب مراقبة المطبوعات في الرياض الذي أمر بإنشائه ، فرجوتها أن يبلغاه جزيل شكري على هذه الثقة التي أَعْتَزُّ بها وإنني أرجو منه أن يفضل عليّ بأن أتولى رقابة الجريدة التي أصدرها وحدها دون غيرها ، فكان الأمر كذلك ومضى وقت و « اليامة » بدون رقيب ، ثم حدثت أمور لا داعي لتفصيلها وتولى الرقابة في خلال ذلك عدد من المراقبين ممن كان وصفهم بالجهل لغاية ما اسند إليهم من عمل أيسر صفة تنطبق عليهم حتى حانت من فيصل - رحمه الله - إحدى نظراته الصائبة ، فزال عن الصحافة (كابوس) الرقابة .

وكان مما حدث أنني في شهر محرم سنة ١٣٧٧هـ وصحيفة « اليامة » في سبتها الرابعة - رأيت قضاء فترة من الوقت في مصر ، وفي مساء اليوم الذي قررت السفر في صبيحة الذي يليه . وكنت قد أسندت عمل الإشراف على شؤون الصحيفة للأستاذ عمران بن محمد العمران ، إذ دخل علي شاب من شُداة الأدب ، ممن كنت أرى بعض كتاباتهم تُنشر في الصحف ، فقدم لي كتاباً خلاصته أن الأمر السامي صدر بإنشاء مكتب للمطبوعات في مدينة الرياض ، وإسناد ادارته لفلان (الشاب نفسه) ليتولى الإشراف على المطبوعات بما فيها صحيفة « اليامة » ، فاستقبلته استقبالاً حسناً ، وأخبرته بانني سأسافر غداً وأن الأستاذ عمران سيتولى رئاسة تحرير الصحيفة ، وإنني لأمل أن يكون عوناً له في عمله ، وبعد حديث طويل عبرت له فيه عن سروري بتوليهِ أعمال رقابة المطبوعات ، وما يناط به وبأمثاله من الشباب المثقف من آمال ، حيال صحافة بلادنا الناشئة - خرجنا إلى المكان الذي اعتاد الناس في ذلك العهد الخروج إليه في المساء (طريق خريص) وبقينا في أحد المقاهي إلى ما بعد العشاء ، ثم افترقنا

مطمئناً على أن الصحيفة ستجد من هذا الشاب خير عون لها لتسير سيراً محققاً
لللغاية المتوخاة .

ولكنني لم أشعر وأنا في القاهرة استمع إلى إذاعة لندن في صباح أحد أيام آخر
شهر صفر ، ولم أستكمل الشهر في غيابي إلا بإذاعة خبر فحواه : أن الحكومة
السعودية قررت إيقاف جريدة « اليمامة » مدة شهر ، ومحاكمة صاحبها لنشرها
مقالاً يمس الحكومة الباكستانية .

كان الأستاذ عمران نشر كلمة في العدد الهـ (٩٦) بتاريخ ٢٠/٢/١٣٧٧هـ
عن (أغا خان) وتعرض فيها لذكر حكومة الباكستان ، وكان الرقيب قد أجاز
نشرها ، فلما احتجت الحكومة الباكستانية وعرض الأمر الشيخ يوسف ياسين على
الرَّجُل المسؤول في الدولة في غياب الملك وولي عهده أمر بإيقاف الصحيفة وسجن
صاحبها ، وقبل البدء في التحقيق عمد الرقيب إلى أخذ أصل المقال ، وقال
للمشرف على الصحيفة : إذا سئلت عن نشره فقل : بأن قسم الصف أخذه مع
الأوراق الأخرى بدون اطلاعي .

عدت في ١٨ شهر ربيع الثاني ١٣٧٧هـ وأشرفت على تهيئة العدد الجديد من
الصحيفة ولكن الأستاذ عمران أخبرني بأن الرقيب لم يُجَزْ نُشْرَ شيء من مقالاته ،
فلما استوضحت منه بالهاتف كان جوابه : يُوجَّهُ هذا السؤال إلى مرجعي ، ولم
يستكمل كلامي ، فكان أن ذهبت في صباح اليوم التالي إلى الشيخ عبدالله
بلخير ، ومعني إضبارة مملوءة بالمقالات التي أمر الرقيب بعدم نشر شيء منها ،
فوجدت الاثنين معاً ، فكان مما جرى الحديث فيه موضوع الرقابة وأن الأخ القائم
بها الآن لا يُبَدِي تعاوناً مع المشرفين على الصحيفة ، وقدمت له النماذج مما في
الإضبارة ليطلع على شيء من تصرفاته ، وكان من بين تلك المقالات مقالٌ للأستاذ
محمد علي العبد عن احتجاج جمعية الرفق بالحيوان في بريطانيا بشأن (الكلبة
لايكا) وسكوته عن قذف الطائرات البريطانية القنابل المحرقة على الشيوخ
والنساء في الجنوب العربي ، ومقالٌ آخرٌ للأستاذ عبدالكريم بن جهيمان عن
ضرورة إيجاد أمكنة لقضاء الحاجة في الميادين والساحات العامة في مدينة الرياض

استكمالاً لنظافتها . فلما استوضح الشيخ بلخير من المراقب عن عدم السماح بنشر عدد من المقالات كان مما أجاب به : بريطانيا صديقة لنا ولا يسوغ أن نوجه لها نقداً ، كما أن مدينة الرياض ينبغي ألا يقرأ الناس عنها أنها غير متكاملة في مظهرها الحسن . وأجوبة أخرى عن المقالات الأخرى من هذا القبيل .

فأكدت للشيخ بلخير ضرورة تغيير المراقب بإنشاء هيئة رقابة مكونة من مندوب من وزارة المعارف ، وآخر من إمارة الرياض ، وثالث من المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر ، ورابع من إدارة الصحيفة أو ترك الأمر إليّ كما كان في السابق ، ولكنه أظهر لي من الرقة واللفظ والتودد ما حملني على الثقة به ، ولكن كما قيل : (يَدُ تَشْجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي) ، فأصدرتُ العدد الذي كان المراقب قد أشار بعدم نشر بعض مقالاته إذ رأيتها كلها صالحة للنشر ، وفي مساء ذلك اليوم تلقيت صورة برقية مطولة موجهة إلى صاحب الجلالة وإلى سمو ولي عهده ، وإلى المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر بأن صاحب « اليامة » قد تخطى نظام المطبوعات ، وخالف الأوامر وفعل كيت وكيت .

فما كان مني إلا أن وجهت برقية لتلك الجهات مضمونها : إن عدم تعاون المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر مع الصحيفة اضطرني إلى إيقافها حتى ترى الحكومة رأيها في الأمر .

اتصل بي الأمير فهد الفيصل أمين مدينة الرياض ، وأخبرني بأن الملك ليس راضياً عن إيقاف صدور « اليامة » فأوضحتُ له الأمر ، فكان أن استُبدِلَ الرُّقِيبُ بآخر فتنفس القائمون على الصحيفة الصُّعْدَاءُ ، ولكن أَصْلَ الداءِ لم ينحسم حتى حانت من فيصل - رحمه الله - إحدى نظراته الصائبة ، فأزال عن الصحافة كابوس الرقابة في ٢٤ رجب سنة ١٣٧٩ هـ .

كان الأستاذ السيد علي فدعق يكتب في « اليامة » بصفة مستمرة فكان فيما يكتب ملاحظات حول (ديوان المظالم) ويرأسه في ذلك العهد الأمير مساعد بن عبدالرحمن - رحمه الله - فأثار ماكتب غضب الأمير ، وكان الذي يتولى إدارة الإذاعة والصحافة والنشر الأستاذ إبراهيم الشورى بالوكالة عن الشيخ عبدالله

بلخير ، وكان حديث العهد بالقدوم إلى الرياض ، وبينني وبينه معرفة ، منذ كان مديراً للمعهد السعودي في مكة ، وكنت من طلابه ، فذهبت للسلام عليه في (فندق زهرة الشرق) وبينما أنا عنده إذ دخل عليه الأستاذ عبدالمؤمن مجلّد ، مدير مكتب رئيس ديوان المظالم فقدّم له الجريدة مشيراً إلى مقال الأستاذ فدعق ، وأخبره بأن الأمير متأثر من هذا المقال ، فغضب الأستاذ الشورى .

وما كان فيما كتب الأستاذ السيد علي فدعق ما يثير الغضب ، إذ نصه كما جاء في العدد الـ (٢٠٢) الصادر في تاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ تحت عنوان :
(كل احد) :

٢ - ديوان المظالم لدينا عُصْرٌ من عناصر العدالة ، وتطبيق النظام ، ونصفة الذين تقع عليهم ظلامات رؤسائهم الذين يستغلون سلطتهم لظلم الآخرين ، هذا الديوان هل رفع لجهة الاختصاص إذ تنص المادة العشرون من نظام شُعب مجلس الوزراء الموقر على وجوب رفع تقرير كل ستة شهور ؟ لم نَسْمَعْ ولم نَقْرَأ أنه رفع مرة تقريره إلى الجهة المختصة إننا نرجو أن نَقْرَأ - مجموعة أحكام ديوان المظالم - لأنها تحوي آراء فقهية محترمة وتفسيرات قانونية سليمة لأن الديوان علماء نرجو ذلك وكان الله في عونهِ . انتهى .

ولكن الشيخ الشورى وهو المشرف على إدارة شؤون الصحافة اثناء غياب الشيخ عبدالله بلخير كتب أثناء زيارتي للسلام عليه كلاماً باسم (رئيس التحرير) يدور حول ثقة الصحيفة ببعض الكتاب ، وكون بعضهم ليس محلاً للثقة لأنهم يكتنون من الأهواء والأغراض خلاف ما يبدونه في مجال النصيح والإرشاد وذكر الأستاذ السيد علي حسن فدعق باسمه ، وطلب مني ان انشر هذا الكلام بتوقيعي ، فأظهرت له الموافقة مجاملة ولكنني رأيت الكلام على درجة من القسوة تحول دون نشره . وفي المساء تلقيت برقية بعدم نشر أي شيء من كتابات الأستاذ علي فدعق .

واتفق أن زار المطابع الشيخ الشورى في صبيحة اليوم الثامن عشر من شهر رجب ١٣٧٩ هـ لطبع أوراق تتعلق بزيارة ملك المغرب التي ستجري في العشرين

من الشهر المذكور ، فرأى العدد الـ (٢٠٥) الصادر في ذلك اليوم خالياً عما كتب عن الأستاذ على حسن فدعق . فأنفعل ووجه إليّ كلاماً شديداً لم استطع تحمّله ، فخرج من المطبعة غضبان ، ويظهر انه ذهب إلى مجلس الوزراء لمقابلة سمو الأمير فيصل ، فكان أن صدر الأمر بدعوة الصحفيين في صبيحة يوم السبت ٢٤ رجب ١٣٧٩ هـ .

وعقد الاجتماع الصحفي في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت في التاريخ المحدد ، برئاسة سمو رئيس مجلس الوزراء الأمير فيصل ، وحضره عن المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر الأستاذ إبراهيم الشورى وحسن الأشعري ، كما حضره رؤساء تحرير الصحف (قريش واليامة والندوة والرائد وأم القرى وصحيفة الخليج العربي والمدينة المنورة وصحيفة القصيم) .

وكانت تحية كريمة من فيصل - رحمه الله - حيث رأى صاحبي « قريش » و « اليامة » جالسين في طرف الحاضرين أن دعاهما واجلسهما بجواره ، ووصفهما بأنهما شيخي الصحافة وينبغي أن يتصدرا المجلس . وكان ذلك في الوقت الذي كان بعض الحاضرين يتوقع أن يصبّ جام غضبه على من كان السبب في الدعوة لهذا الاجتماع .

ثم كانت لفظة كريمة أخرى من سموه حين سمي « اليامة » في معرض الحديث عن الصحف التي كان يحرص على قراءتها وهو في (لوزان) .

وفي سياق التدليل على ما يمكنه سموه للصحفيين من تقدير واحترام واعتراف بفضلهم قال : إنه أصدر أمره بتعيين أحدهم وهو الأستاذ عبدالله عريف (أميناً للعاصمة) ، ووصف الاجتماع بأنه عائلي أخوي ، المقصود منه التذاكر في الشؤون المتعلقة بالصحافة ، ثم أعلن سموه إلغاء الرقابة قائلاً : إن القائمين على الصحف هم أبناء البلاد ، ومن الصفوة الطيبة التي يجب أن تكون قدوة صالحة في كل عمل نافع ، في التوجيه والارشاد ، وفي تحرير الحقيقة ، وفي النقد النزيه ، وفي عدم الانحياز إلى هوى أو مآرب خاص ، وإن لهاؤلاء الصحفيين من التقدير في نفسي ومن الثقة بهم ما يحملني على أن أرفع الرقابة عن الصحف .

أخلاق عرب الرولة وعاداتهم

لألويس موزل

ترجمة د. محمد بن سليمان السديس

١ - اللباس والسلاح (★)

الذقون والشعر ، الوشم ، الأحزمة : يَعْتَنِي الرُّوْلَةُ كَثِيرًا بِالْجِسْمِ^(١) ، ولا سيما بشعرهم ولحاهم ، ولا يكاد يكون بينهم من لا يجيد الحلاقة ، وقص الشعر ، ويقدم كل منهم هذه الخدمة للآخر لأنه ليس لديهم مرايا يخلقون أمامها ، فيجلس الرُّوْلِيُّ بعد أن يَدْعُو صاحبه قائلاً : (حَسْنِي أَوْزْنِي ، أو اخلِّقني) ، على عَقْبِيهِ ، ويتنظر صابراً إلى أَنْ يُعِدَّ صاحبه صابونته وشفرته ومقصه ، فإن كان يودُّ أن يخلق الشعر النامي تحت ذقنه وعلى حلقه (الجُرْجُور) قال : (جَرَجِرْنِي) . فإن رغب في أن يخلق قَفَا رأسه إلى أذنيه (صُورِه) قال : (صَوِّرْنِي) ، وإلا فإنَّ الحلاق سيخلق شعرَ قفا رأسه والشعر الذي تحت الذقن ،

ويبقى حديث — بل أحاديث — فقد أبقت سِنُو الصحافة العِجَافُ في القلب أَسَى ، وفي النفس حُرْقَةً ، وفي الحلق غُصَّةً ، إلا أنَّ المقام يستدعي الإيجاز ، والمناسبة مناسبة طيبة ، يراد منها استجلاء جهودٍ خَيْرَةٍ ، جديرة بأن تمحو آثار تلك السنين الغُفْرِ ، فها هي صحافة البلاد تبدو في أروع مظهر وأقواه ، في رعاية شاملة من دولة كريمة ، توجهها عقول نيرة حكيمة .

وها هي نخبة الشباب الواعي المثقف — بما أوتيت من علم وإدراك — تَكْتَبُ جَنَابَاتِ تلك الصحافة في مختلف شؤونها لتبلغ بها ما يستطيع بلوغُهُ في توجيه الأمة وجهة الخير والصلاح .

وما إخالكَ — أيها القاريُّ الكريم — بحاجة إلى مزيد من البرهان أوضح مما بين يديكَ :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

حمد الجاسر

ويقص لحيته القصيرة (لَحْيَةٌ أو دَقْنُهُ) ، وعنفقته (عَدْسُهُ) ، ويحلق عارضيه (عوارض) ، ويقص شاربه (شَوَارِب) مُقَصِّراً طرفيه (سُبُق) ، ويمشط الشعر على الجبهة ، ويقصره (قصه) في الوقت نفسه ، إن الأشخاص - ولا سيما من يهتمون بمظهرهم - يصفرون شعرهم الأمامي لِيُضْجِي ضفيريّين أو أربع صفائر (قرون) أو سِتّاً ، بل قد يبلغ الثماني ، والرجل الذي يصفّر شعره على هذا النحو ، ويتأنّق في زيه (وَلَدٌ يَنْصُب) يُدْعَى (جاهل) ، أما الرجال الذين لا ضفائر لهم فيتولى الحلاق حلاقة شعرهم (شُوشُهُ) ، فإذا فرغ من عمله حمى الحليق قائلاً : (إِسْلَمْ وإغْنَمْ الْبَلَّ !) أي (لتسلم ولتغنم الإبل !) ، والإجابة : (أجرِك الله) . فيضيف الحلاق : (ساعك الله) . ويكاد يكون الحلاقُ العامُ دائماً بدوياً حراً ، ويحلق من أجل الكلمة الطيبة لا من أجل الأجر المادي ، ولذا يجب أن يشكر ، لأنه لا أَسْوَاً عند البدوي من إساءة الأدب ، أو نكران الجميل ، ولذا قيل : (تَعَبَ الْحَرُّ مَرّاً) .

والغدائر الطوالُ مُصَدَّرُ زهوٍ للبدوي الساذج الذي يختال بها اختيالاً صبيانياً ، وغالباً ما ألحقت به بالغ الضرر (تورده موارد الهلاك) ، فإن طورد أمكن القبض عليه بيسر ، إن أمسك العدو بصفائره ، لأنه لن يكون عاجزاً عن الفرار وحسب ، بل يستطيع أعداؤه أن يوثقوا يديه خلف عنقه بشعره هو ، وإضافة لذلك يربطون ضفيرة أو ضفيريّين حول ساقه فوق الكاحل . . . ولذا قيل : (رأسك غَرَأَصَك) . لقد قال لي صاحبي منديل القطعي : إن قوماً من عشيرة التُومَان التابعة لقبيلة شَمَر ، قبضوا عليه ذات مرة ، وكان قد حاول سرقة بعير لهم ، فشدوا وثاقه بصفائره ، ولما اطلقوا سراحه في اليوم التالي قَصُّوها ، ومُدَّ ذلك الحين ومنديل يبغي شعره قصيراً (شوشه) . وإذا قَبَضَ بدويٌّ على لُصٍّ ، سواء أكان (اللص) على قدميه (حايِف) ، أو راكباً (مُعَيَّر) ، من قبيلة معادية له (قُوماني) قص قطعة من ضفيرته ، قارناً عمله هذا بقوله : (أنا مُعَيِّتُكَ اللهُ) . ويضيف : (إِنْ قَضَيْتَكَ لَأَقْصَّ لِحْيَتَكَ) أي : لئن أمسكت بك (أي مرة أخرى) لَأَقْصَنَّ لِحْيَتَكَ .

إن قطع لحية المرء - حسب الفكرة الشعبية - كقطع رأسه . . (لا اقطع

راسك) ، إنه لأيسر كثيراً أن يعفو أهل القَتِيل عن قاتله من أن يصلح أهل البدوي المقصودة لحيته من قصها .

ذهب سابل النُصَيري الرويلي ، مرة إلى قبيلة بني صخر باحثاً عن ناقتيه اللتين كانتا قد سلبتا منه (نقيصه) ، وقد حل معه خطاب توصية لشيخهم من الأمير سطم ، وقد طلب الأمير سطم في خطابه من الشيخ أن يعيد لسابل ناقتيه ، أو أن يضمن حصوله على تعويض (يَدُونُ عَلَيْكَ) . ولم يمض وقت طويل بعد رحيل سابل حتى قاد سطم محاربيه الشبان في غارة على الفدعان ، ولقد لقي سابل في وادي السرحان وسأله : (أين ناقتاك ؟) - : (لم أجدهما) :

- لَمْ يَوْسَمَا بِسِمَةِ عَشِيرَتِكَ ؟ ماذا قال لك الشيخ ؟

- لقد قبض علي (الصخور) وهم يراعون إبلهم ، وأوثقوني بصفائري ، ووسموا علي فخذي اليمنى سمة الصخور ، وقصوا صفائري ونصف لحيتي ، وطرَدوني قائلين : (أَرَأَيْتَ مَا نَلَتْ عَوْصُ نَاقَتَيْكَ !) . وما أن رأى سطم سمة الصخور حتى صاح : (يَشُوفُ اللَّهُ لَنَا وَلَهُمْ ! علي بني صخر !) أي : ليقض الله بيننا وبينهم ، (فَلَنُغَزِ) علي بني صخر ! . ثم هاجم الرولة غيم بني صخر ، وأسروا أكثر من مئة رجل ، وقصوا لحاهم بالسيوف والخنجر ، ووسموا سمة الرولة علي خَدِّ كُلِّ رَجُلٍ وَأُذُنِهِ ، وذهبوا بقطعانهم برمتها ! .

ويخلق كثيرٌ من الرجال الكبار الرأس كله ، ويسمى (الواحد) من هاؤلاء (أصلع) . أما من هم صُلُعٌ طبيعةً فَيُدْعَى أحدهم (أقرع) .

وتهتم الفتاة بشعرها اهتماماً شديداً ، فهي تنتظر وقوف الناقة في الصباح فتلتقي بولها بصحن صغير ، وتغسل شعرها به (يَبُولُ) . إن بول البعير يقضي علي الصُّبَّان ، وينعش فروة الرأس ، ويُزِيلُ الحِكَّةَ ، ويُضْفِي علي الشعر لمعاناً متميزاً . ثم تتناول الفتاة مشطاً خشبياً ذا أسنان خشنة في كلا جانبيه ، وتمشط شعرها (تَمَشِّطُ) وتجدله (يَلِمُ رَأْسَهُ) . أما الشعر الذي فوق الجبين ، فهي عادة لا تجدله ، بل تقصه وحسب ، لكي ينساب إلى أسفل (قُصَّهُ) . . ولكنها تقص باقي الشعر الذي علي أعلى رأسها ، وفوق أذنيها ، ليكون صفائر

(ذوايب) . . وتصنع ضفيرتين صغيرتين (عَكَصَة) من شعر مؤخر الرأس ، وفي طرف كل ضفيرة عُقْدَةٌ صغيرة قد رُبِطَتْ بشریط صغير . ولا تُلَفُّ الضفائر حول الرأس ولا تُطَوَّى . ويسمى الشعر الطويل غير المجدول (شَعْر) ، والمجدول يعرف بـ (قِذَائِل أو قُرُون) . والشعر المقصوص فوق الجبهة (قُصَّة - ناصية ، أو جبهة) . الضفائر : قذله ، عرف ، أو قرون . والشعر القصير : حواف ، بركم ، قعقوله ، راس ، أو شوشه .

إن الشعر الطويل والضفائر المسترسلة زينة المرأة الأساسية . . ويتمنى كل شاب ان يتزوج فتاة أو امرأة قد تحملت بتلك الزينة . أما الرجال الكبار فلا يعيرون اهتماماً للشعر الطويل ، وينصحون الشبان : (تَلْهَى بَأَمِّ شَوْشَةِ أَيْمَانِ لِحْيِكَ الْمُنْقُوشَةِ) أي : (تَسَلِّ بالمرأة ذات الشعر القصير ، إذا لم تستطع الحصول على المرأة التي قد حُلَّ شَعْرُهَا بقطع النقود) .

والنساء كلهن تقريباً قد وُشِمَتْ شفاهُهُنَّ وخدودُهُنَّ وأنوفُهُنَّ وجباههنَّ وصدورُهُنَّ وماحول صدورهنَّ وبطنهنَّ . ويتولى الوشم دائماً امرأة غَجَرِيَّة (نُورِيَّة) ، فتتقش الغجرية ، في بادئ الأمر ، أشكالاً معينة في الجلد ، ثم تغطس الإبرة في النيلة ، وتنقل هذا الصبغ إلى الثقوب . . وبعد هذه العملية تلف هذا الجزء من الجسم برباط . . ولا تنزع اللفائف مالم يمض اليوم السابع حين تغسل البقع . . وهكذا تظهر الصور (دَقَّ الوُشَام) . ويفترض عموماً أن تعزز الدوائر والمثلثات جمال الفتاة (مِنْ شَأْنِ زِرَافَةٍ) .

ويرتدي الرجال والنساء على أجسادهم العارية نطاقاً دقيقاً مجدولاً من خمسة أنسعة من جلد الغزال ، ويدعى النطاق الذي يرتديه الرجال من هذا الضرب (حَقْو) أو (سَبِيَّة) ، وما ترتديه النساء (بَرِيم) أو (غُسْبِي) . ويدعى الأشخاص الذين لا يلبسون هذا الحزام (مَعْو) أو (أَسَلْت) . ويشترى الرولة (الحَقْو) من الصَّلَيب عادة بربع مجيدية (٢٢,٥ ستاً) .

ملابس الرجال :

يتألف اللباس الرئيسي للرجال من قميص أبيض (ثوب) يصل إلى العقبين ،

له أكمام عريضة ، تنتهي عند المعصم بحاشية طولها أكثر من المتر (ثوب مُروَدَن) ، ويربط الرجل - وهو يمشي أو يعمل - الأكمام خلق عنقه ، وإذا كان راكباً تركها تتدلى دون ربط ، والقميص مفتوح عند الصدر (جيب) ليربط من أسفل الخلق بأزرار أو حبل قَدْ خيط للقميص . وليس للثوب باقة ، ولكنه يزين أحياناً بتطريز أزرق أو أحمر أو أسود حول الرقبة وعلى الصدر .

ويرتدي الرويلي الموسر فوق الثوب ليأساً يُدعى (زُبُون) ، - الجمع زُبُنَات - وهو مصنوع من مادة خفيفة ، ولا يكون أبداً من القماش . وهذا يشبه قميصنا^(٢) إلا أنه يصل إلى الكاحلين ، ولا باقة له ، ومفتوح من الأمام من أعلاه إلى أسفله ، وله أكمام عراض تتجاوز اليد ، متدلّية بنحو عشرة ستمترات . وقد شُقَّتْ الأكمام من أطرافها لتكون مفتوحة بطول نحو خمسة عشر ستمتراً . . وقد بَطُنَتْ بقماش أحمر داكن إلى المقدار نفسه ، ثم تُنَيِّت إلى الخلف (قلابه) ، لكي تظهر البطانة . وقد جعل لطرفي الكمين وشقيهما ، والحافة المحيطة بالرقبة ، والتي على الصدر - حاشية من خيط ملون (خُرْج) ينتهي تحت الذقن بخيطين صغيرين (قران) ويثنى ذيل القماش إلى أعلى بحيث يكون عرضُ المثني منه نحو أصبعين (قيطان) . ويحاط على الصدر ، وعند وَرَكَيْ الزُبُون (كذا) جيبان داخليان (نَحْبَا ، والجمع نَحَابِي) .

ويسمى (الزُبُون) المصنوع من الكتان الأبيض وغير المبطن : (صَايَة) ، والمصنوع من الكتان الأبيض والمبطن : (زِبُونُ بَيْضَا) . وإن كان من الحرير غير الخالص الأسود ، وله أشرطة صُفْرٌ دُجِّي (ميداني) . وإن كان من الحرير الخالص وله أشرطة مُرَقَّشَةٌ دُجِّي (أَمَر) . وإن كان من القطن وله أشرطة مُرَقَّشَةٌ دُجِّي (دِيمَة) .

ويُشدُّ كلُّ من الثوب و (الزبون) إلى البدن بحزام جلدي أو صوفي عرضه نحو عرض اليد .

ويغطي الرجل رأسه بقبعة مستديرة تنسج من الصوف الخشن أو وبر الإبل (طاقية) ، ويضع عليها غترة (منديل) طولها نحو ١,٢ من المتر ، وعرضها

١,١٥ من المتر ، يطويها أولاً على شكل مُثَلَّث ، ثم يلقي حاشيتها الوسطى (ذيلها) على كتفيه ، وينظم الحواشي الخارجية (الرَّجْلَيْنِ) بيديه اليمنى واليسرى كليهما ليتساوى طولها ، ثم يجر الغترة على وسط جبهته . ويرتدي الرويل غالباً غُتْرًا قطنية ذات لون قاتم نوعاً ما (منديل) ، ونادراً غُتْرًا بيضاء خالصاً (قُضَاضَةٌ) .

ويدعى (المنديل) المنسوج من خيوط مُخَمَّرٍ وسود (شمريه) ، و (المنديل) الأسود المشوب بحمرة (هِنْدِيَّة) ، والمنديل ذو النقط المرقشة (ستامبوليَّة) ، والمنديل ذو الأشرطة الصُّفْرِ أو ذات اللون الأحمر الوردي (حمصي) . والمنديل الأزرق أو الأحمر ذو المربعات (شماغ) .

و (القُضَاضَةُ) أي المنديل الأبيض ذو الطرف الأحمر أو الأزرق والأهداب القصيرة يدعى (حاشيه) . ويدعى المنديل الحريري (مقرونه) ، وإن كان قد نُسِجَ مع خيوط فضية عرف بـ (مقصبه) ، وأكثرها رواجاً الزرقاء الداكنة المقرونة أو البنفسجية المشربة بحمرة ، أما المقرونة البيضاء بياضاً خالصاً فيرتديها الشيخ وحده ، وذلك في المناسبات الاحتفالية دون غيرها ، وحالما تتسخ يهبها الشيخ زنجياً . ولا يربط المنديل بالرأس ، بل يربط بحبل سُمُكُهُ نحو بوصة واحدة مصنوع من الصوف أو وبر الإبل ، ويثنى مرتين حول الجبهة والجمجمة (عَصَابَةٌ) ، وتجعل الحاشيتان متقاطعتين تحت الذقن ، وتُجْرَانُ تحت العصابة ، لتبرزاً فوق الجبين كقرنين صغيرتين ، والرجل الذي تكون حاشيتا المنديل (الرَّجْلَيْنِ) قد تقاطعتا تحت ذقنه يقال له (مُتَلَثَّم) . وإن كان لا يريد أن يعرف جَرَّهُمَا (ببساطة) إلى أعلا فوق ذقنه ، بل وأنفه ، فلا يبدو إلا عيناه ، وأَيُّ إنسان يقابل رجلاً قد تنكر على هذا النحو يصبح به : (فِكَ اللَّثْمَةِ حَتَّى اعْرِفَكَ) أي أَمِطِ اللَّثَامَ كي أعرفك .

وأهمُّ جزءٍ من لباس الرجل عباءته (عبا) . وتتألف من قطعتين كلُّ منهما ٢,٥ من المتر طولاً و ٦٠ سنتيمترا عرضاً . وتُحَاطُ هاتان القطعتان معاً من جوانبهما الطويلة . وتُثْنَى الأطراف الضيقة ، وتُحَاطُ معاً أطرافهما العليا أيضاً ،

وَتُشَقُّ فِي الثَّنَيْنِ الْعُلَوَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونُ عَرْضُهُمَا قَرَابَةَ السِّتِينَ سَتِيمَتراً فَتَحَات
يَكُونُ طَوْلُهَا نَحْوَ الْخَمْسِينَ سَتِيمَتراً . وَعِنْدَئِذْ تُلْقَى الْعَبَاءُ عَلَى الْكَتْفَيْنِ ، وَتُدْخَلُ
الْيَدَانِ فِي الْفَتَحَتَيْنِ .

وَتُطَرَّزُ الْعَبَاءُ فِي الْغَالِبِ حَوْلَ الْعُنُقِ ، وَعَلَى الصَّدْرِ ، أَوْ يُضَافُ شَرِيطٌ
مَنْسُوجٌ مِنْ خَيْوُطٍ صُفْرٍ أَوْ ذَهَبِيَّةٍ .

وَتُدْعَى الْعَبَاءُ ذَاتُ اللَّوْنِ الرَّمَادِيِّ الْخَفِيفِ الْمَشْرَبِ بِصَفْرَةٍ (بِشْت) ، وَذَاتُ
اللَّوْنِ الرَّمَادِيِّ الْخَفِيفِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الصَّوْفِ النَّاعِمِ (خَاكِئَةٍ) ، وَذَاتُ اللَّوْنِ
الرَّمَادِيِّ الْخَفِيفِ وَالَّتِي نَصَفَ نَسْجُهَا قَطَنَ (لُومِيَّةٍ) ، وَالْعَبَاءُ الْمُتَوَسِّطَةُ الْوِزْنِ
وَالَّتِي بِهَا أَشْرَطَةُ بَيْضٍ وَرَمَادِيَّةٌ قَائِمَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَعَرْضُهَا نَحْوُ عَشْرَةِ سَتِيمَتَرَاتٍ
(مُبْدَهَةٌ) (٣) ، وَالْعَبَاءُ الَّتِي تَكُونُ مِنَ اللَّوْنِ نَفْسِهِ وَلَكِنَّا مَصْنُوعَةٌ مِنَ الصَّوْفِ
الْجَيِّدِ (رُجِيَاوِيَّةٌ) ، وَالْعَبَاءُ الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الصَّوْفِ الْجَيِّدِ ، وَلَهَا أَشْرَطَةُ حُمْرٍ
وَبَيْضٍ (سَعْدُونِيَّةٌ) ، وَالْعَبَاءُ الصَّوْفِيَّةُ الْجَيِّدَةُ ، الَّتِي لَهَا أَشْرَطَةُ بَيْضٍ وَبُنِيَّةٌ
قَائِمَةٌ ، وَقَدْ زَخَرَفَتْ عِنْدَ الْعُنُقِ وَفَوْقَ الْكَتْفَيْنِ (حَسَاوِيَّةٌ) ، وَتُدْعَى الْعَبَاءُ
الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الصَّوْفِ الْجَيِّدِ أَوْ الْوَبْرِ وَالَّتِي لَا أَشْرَطَةَ لَهَا ، وَيَكُونُ لَوْنُهَا غَيْرُ
مَزْخَرَفٍ (أَسْوَدٌ أَوْ بَنِي عَادَةٍ) مَشْرَبٌ بِلَوْنِ قَرْنَفَلِيٍّ (مِزْوِيٍّ) .

وَيَصْنَعُ سَكَانُ وَاحَةِ الْجُوفِ عَبَاءَاتٍ مِنَ النُّوعَاتِ الْمَسَمَّاءِ (بِشْت)
(وِ مَزْوِيٍّ) أَنْفَةَ الذَّكَرِ . وَيَرْتَدِي الرُّوَيْلِيُّ فِي الشِّتَاءِ مَعْطَافاً مِنْ جِلْدِ الْغَنَمِ
(فُرُوءَةً) عَوْضَ الْعَبَاءِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَا تَغْطِي سِوَى الصَّدْرِ دُعِيَتْ (أَبْطِيَّةٌ) .
(وِ الْحَرَاثِيَّةُ) مَعْطَفٌ مِنْ جِلْدِ الْغَنَمِ ذِي الصَّوْفِ الْأَبْيَضِ ، مَصْبُوغٌ بِالْحَنَاءِ ، غَيْرُ
مَبْطُنٍ وَيَصِلُ إِلَى الْبَطْنِ .

(وِ الْخَيْالِيَّةُ) مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْمَادَّةِ نَفْسِهَا ، لَكِنَّهُ مَبْطُنٌ بِالْقِمَاشِ (مُقَبِّيَّةٌ) ، وَغَيْرُ
مَصْبُوغٍ . (وِ الْبَقْدَلِيَّةُ) تَغْطِي الْوَرَكَيْنِ أَيْضاً ، وَلَهَا أَكْثَامٌ تَتَدَلَّى خَمْسِينَ سَتِيمَتراً
تَحْتَ الْيَدَيْنِ ، وَتَصْنَعُ مِنَ الْجُلُودِ الْجَيِّدَةِ ، وَتَكُونُ عَادَةً سُودَاءَ اللَّوْنِ ، وَمَبْطُنَةٌ
بِبَطْنَانِ مِنَ الْقِمَاشِ الْأَزْرَقِ الْغَامِقِ ، وَلَهَا أَيْضاً مَشَابِكٌ تَحْتَ الْعُنُقِ وَعَلَى الصَّدْرِ .

وفي الطقس الدافئ إما أن يسير الرويلي حافي القدمين مفضلاً ذلك على سواه ، أو يربط حول عقبه وإبهام قدمه نعلًا مقطوعة من جلد البعير غير المدبوغ (نعل) . ويلبس الرعاة جذاء سفلياً مصنوعاً من الجلد الخشن (زربول) ذا باطن ثخين (نعل أو جذوه) ، وظاهر قاس (حوره) ، وعقباً خفيفاً وعريضاً (عقيب) ، ومشابك (بزيم) لشد الحذاء وتضييقه . ويلف الرولة على القدم خرقاً (حشوه) والجمع حشاوي . ويشترى شيوخ العشائر الشبان أحذية (صرميه) من النوع الذي يلبس في المدن . ويرتدي الراكبون أخفافاً من الجلد الأحمر الناعم (قزمه أو جزمة) ، لها أعقاب حديدية سميكة مصنوعة من صفائح الحديد المطوية (حذو) .

وأحسنها جميعاً (الجزمة الحلبية) . وأزهدا ثمناً ضرب يدعى (نسوانية) ويكون عادة أصفر اللون . و (القزمة) التي تصل إلى الركبتين تدعى (رباطية) .

ويشتري الموسرون معطفاً قصيراً ليس عديم الشبه بـ (صديريتنا)^(٤) ، ويصنع من قماش رقيق متعدد الألوان ، إما مبطن (برفيل) ، أو غير مبطن (نصية) .

والمصروف السنوي للباس رجل من عامة الرولة هو :

حَقْو (حزام للبطن)	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$ ، ٢٢ ، من الدولار)
ثوب	١ مجيدية (٩٠ ، من الدولار)
زبون (ثوب خارجي)	١ مجيدية (٩٠ ، من الدولار)
مَحْزَم (حزام خارجي)	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$ ، ٢٢ ، من الدولار)
طاقيه	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$ ، ٢٢ ، من الدولار)
منديل	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$ ، ٢٢ ، من الدولار)
عصاة	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$ ، ٢٢ ، من الدولار)
عبا	٣ مجيديات (٢٠٧ ، من الدولار)

فَرَوَة ٣ مجدييات (٢,٧٠ من الدولار)

زربول (حذاء) ١ مجدية (٠,٩٠ من الدولار)

المجموع $\frac{1}{4}$ ١٠ مجدييات ($\frac{1}{4}$ ٩,٢٢ من الدولار)

وبالإضافة إلى هذا يخسر لشراء معطفه القصير المصنوع من الفراء (أبطية) من مجدية ونصف إلى مجديتين (١,٣٥ - ١,٨٠ من الدولار) ، و $\frac{1}{4}$ مجدية ($\frac{1}{4}$ ٢٢ سنت) لشراء منديله الأبيض (القضاضة) ، و $\frac{1}{4}$ مجدية لمعطفه القصير (نُصِيّه) .

ويلبس الروبلي شتاءً كل مالديه من ثياب متيقناً أنه إن لم يفعل ذلك فلن يدفاً أبداً . ويقول المثل : (اللِّي مائثقل مائثقل)^(٥) ، أي (الذي لا يُثقل على المرء من الملابس لا يتيح له من الدفء ما يمكنه من التنقل)^(٦) .

ملابس النساء : ترتدي المرأة قميصاً أو لباساً أزرق قائماً (ثوب أسود) ذا أكمام عراض لها حواشٍ طوال ، ويكون أطول من لَابِسْتِه بمر واحد . وتقوم كل امرأة تقريباً بخياطته بنفسها ، ويستنفد القميص قطعتين (بيرمتين) من نسيج القطن كل منها ثمانية أذرع (٦ أمتار) . ويسمى القماش العادي (مستيكا) ، والنوع الأجود (أبورويشه) . ويخلو ثوب المرأة من أية زخارف . ويلصقه بالبدن حزام عريض منسوج من القطن الأحمر أو الأسود أو الخيوط الصوفية ، ويدعى (شويجي) . وتُرْزَمُ المرأة ثوبها الطويل من الأمام تحت الحزام لتظل قدمها غير معوقة . . جاعلة الثوب نوعاً من التنورات (حثول) . وتلف رأسها بمنديل كبير أسود (مقرونة) . وهي تطوي هذا المنديل مع وسطه ليكون على شكل مثلث ، وتلقيه على رأسها ، وهي ممسكة بالحاشية اليسرى إلى خدها الأيسر ، على نحو يجعل الحاشية الوسطى تقع على ظهرها . . ثم تضع طرف الحاشية اليمنى تحت ذقنها وتغطي بها الحاشية اليسرى التي على الخد الأيسر ، وتلفه على رأسها ثانية بحيث يتدل على الجانب الأيمن من وجهها . ثم تطوي منديلاً أو خرقة قطنية سوداء لتكون عصابة عرضها نحو خمسة سنتيمترات وتطويه على (المقرونة) أي

المنديل الكبير ، على رأسها وجبينها . وقد تستعمل عوض المنديل العادي عصابة من قماش ناعم . مثل تلك العصابة التي تسمى (صَفَّة)^(٧) أو (مِرْعَز) أو (قُرَيْشَه) مصنوعة من قماش منسوج نسيجاً من الرخاوة بحيث يمكن مدّه كما لو كان نسيجاً محبوكاً (كروشيه) . وتدعى العصابة المصنوعة من هذه المواد الناعمة (شِطْفَه) .

وعباءةُ المرأة كعباءة الرجل بيّده أنها ليست لها أية أشرطة طويلة ، وأنها تكون إما سوداء أو بنية غامقة (مِرْزوي) .

وتلبس المرأة الرويلية الثرية معطفاً قصيراً من قماش أزرق اللون له أكمام ضيقة مشية إلى الباطن . ويدعى هذا المعطف (جبه) . ويعرف القماش الجيد تجارياً بـ (جوخ ماهود) ، والقماش العادي بـ (جوخ خفيف) .

و (المزاوي) ثوب ترتديه النساء الثريات فوق لباسهن ، له أكمام ضيقة . ويغطي الذراعين حتى المعصمين .

وتسير كل امرأة رويلية تقريباً حافية القدمين ، لكن النساء جميعاً يفتنين بعض الحلي . وهن يرتدين حول الرقبة (مَخْنَقَة) وهي عقد من المرجان الأحمر . ويرتدين على النحر (قِلَادَة) من اللؤلؤ الزجاجي ، وعلى المرفقين معصدين زجاجيين أسودين صغيرين (معاضد) ، وعلى المعصم حليتين شبيهتين بالمعصدين (سَبَت) ، ويرتدين فوق الكاحلين خلخالين صغيرين من الزجاج أو النحاس الأصفر (حُجُول) ، وبالأذنين قرطين من النحاس الأصفر (طَرْقِيَه) ، وفي الأصابع خواتم (فِتَاخ) ، وفي المنخر الأيمن أحياناً (زَمَام) من النحاس الأصفر . والنساء يتعلقن تعلقاً شديداً بهذه الحلي ذات الأثمان الزهيدة . . فهن يدخرن وِبَر الإبل مدة طويلة ، وغالباً ما اختلسن الحبوب^(٨) ، لكي يتمكن من شرائها .

والنساء الثريات يَلْفُفْنَ رؤوسهن (يَتَلَفَعْنَ) ، بغطاء يسمى (شُمْبَر) . . وهو شال عرضه ٤٢ سنتيمتراً ، وطوله ٣,٢ متر . ويصبغنه بالسواد ، تاركات نحو ستة سنتيمترات وحسب لتكون أشرطة حمراء في الطرفين ، ثم يقصصن

الशल طولاً حتى وسطه ويخطن القسمين معاً على نحو يؤدي إلى تشكيل غطاء عرضه ٤٨ سنتيمترا وطوله ١,٦ من المتر . فإذا رغبن في لف رؤوسهن بهذا الشال (يتلفعن به) عمدن إلى وضع حاشية من حواشيه على كتفهن اليسرى ، ويمددن الشال على الرأس ، ويلقن الحاشية الأخرى من اليمين تحت الذقن ، ويغطين بها الحاشية التي على الكتف الأيسر . ثم يربطن الشال بمنديل مطوي بالجهة والرأس ، ويجذبن كلتا الحاشيتين على الظهر ، ويرفعن الشال من الأمام إلى أن يغطي الذقن . وتميل الفتيات الصغار إلى ارتداء كل من (المقرونة) أي المنديل الكبير ، و (الشمبر) . وتتدلى حاشيتا (المقرونة) على الصدر بينما يكون (الشمبر) قد وضع متقاطعا تحت الذقن . وإن لم يك لدى الفتاة الشغوف باللباس (بِنْتُ غَوِيَّانَه) خلا (مقرونة) واحدة فقط ، فلن تشدها إلى رأسها بالمنديل القطني الأسود . بل تؤثر أن تدعها تنسدل قليلاً إلى أسفل ، لأنه يمكن عندئذ رؤية صفاتها على نحو يبرز جمالها .

وتحب كل أنثى صبغ راحتيها وأظافرها ، وإن كانت شبيخة فشعرها أيضاً بالحناء الأصفر (كذا) إما من النوعية المصرية ، أو من ضرب يؤتي به من مكة (مكاوية) . . والأخير هو الأحسن .

والفتيان والفتيات مغرمون معاً بصبغ أجفانهم بالكحل ، مستعملين ميلاً صغيراً حاداً (مروود) في هذه العملية . فييلون (المروود) بالماء بلأ خفيفاً ، ويمسسون به الكحل المحفوظ بصنيديق صغير جداً من الصفيح (مكحلة) . . ثم يفركون اللون على حافة الأجفان ، معتقدين أن الاكتحال يقوي النظر . ولذلك فإن كثيرين (يفركون) الكحل حتى على عدسة المنظار المقرب مقتنعين اقتناعاً لا يرقى إليه الشك ، بأن الآلة تتيح ، حينئذ ، رؤية أفضل .

أثمان لباس النساء :

بريم (حزام للبدن)	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$, ٢٢ من الدولار)
ثوب	مجيديتان (١,٨٠ من الدولار)
شويحي (حزام)	$\frac{1}{4}$ مجيدية ($\frac{1}{4}$, ٢٢ من الدولار)

مقرونة	مجديتان (١,٨٠ من الدولار)
شطفه	$\frac{1}{4}$ مجدية ($\frac{1}{4}$ ٠,٢٢ من الدولار)
جبه	مجديتان (١,٨٠ من الدولار)
مزوي	٣ مجديات (٢,٧٠ من الدولار)
مخنقة (عقد من المرجان)	٤ قروش (٠,١٨ من الدولار)
قلادة	٤ قروش (٠,١٨ من الدولار)
معاصد	٤ قروش (٠,١٨ من الدولار)
فَتْخَه (خاتم)	٤ قروش (٠,١٨ من الدولار)
زُمام	$\frac{1}{4}$ مجدية ($\frac{1}{4}$ ٢٢ من الدولار)

المجموع ١٠ مجديات و ١٦ قرشاً (٩,٧٢ من الدولار)

٢- الباعة الجوالون :

العناية بالمظهر الشخصي ، الأطفال ، العبي : يشتري الرولة كل ما يحتاجون إليه من الحلي وأدوات الزينة إما من التجار الذين يلمون بهم حين يخيمون في المناطق المأهولة في شهري يوليه وأغسطس ، أو من الباعة الجوالين الذين يرافقونهم طوال السنة . والذين يذهبون معهم حتى إلى البراري الداخلية .

ويسمى البائع الجوال إما (رحيباوي) أو (كبيسي) : الرحيباوي نسبة إلى مدينة (الرحبة) القديمة ، والكبيسي نسبة إلى موطنه مدينة (الكبيسة) الصغيرة . وقد أمست كلمتا (رحيباوي) و (كبيسي) تعنيان أي بائع جوال يبيع المنسوجات أو البضائع العامة ، حتى أنها تطلقان الآن على تجار من المعروف أنهم من أماكن أخرى . فالبائع الجوال القادم من بغداد يدعى (رحيباوي بغدادي) أو (كبيسي بغدادي) .

وإذا زار شاب شديد الوله باللباس (ديقان) بائعاً جوالاً ليفصل له ثوباً أمره ببيت الشعر القديم : (فصل لي ياتاجر ضافي ! فصل لي ياتاجر يارحيباوي) !

يقولون : (الهدوم جناح بني آدم^(٩)) ، لأن الناس ، دائماً ، يعدون الشخص ذا البزة الحسنة فوق ماهو في الحقيقة .

ويدعى آخرون أن الثياب لا تضيف شيئاً إلى مزايا الإنسان . (الزين زين لو قَعْدَ مِنْ مَنَامَةٍ ، وَالشَّيْنُ شَيْنٌ لَوْ تَغَسَّلَ بِالصَّابُونِ)^(١٠) . أي : الجميل جميل وإن كان قد استيقظ (تَوَّأ) من منامه (ليس على بدنه سوى قميصه) .. وَسَيِّئُ الشَّكْلُ سَيِّئٌ وَإِنْ غَسَلَ نَفْسَهُ بِالصَّابُونِ .

والفتاة التي تتوخى إعجاب شابٍ تعتني بمظهرها ، وتبذل قصارى جهدها في العناية بمظهرها وملبسها ، لكن حالما تعلم أنها قد أحبت ، فإنها لا تعود تهتم بالتأنق في الملبس ، ولا تفكر في غير مزايا حبيبها ! تقول أزوجة شائعة :

وَالله يَجْرُدُ لَا أَرْمِيكَ وَأَلْبَسُ جَدِيدَ
أَيُّ الْجَدِيدِ وَأَيُّ الْجَرْدِ
إِلَيَّا شُقَّتِ الزَّيْنُ عَقْلِي يَرْدِي
قُرُونُ الشُّوقِ رُمَحَ السُّرْدِي

أي : (والله لأطرحنك جانباً أيها الثوبُ الخلق ولا لبسن (ثوباً) جديداً . أيهما خير الجديد أم القديم ؟ .. إذا رأيت الجميل ذهب عقلي .. الذي له صفات تثير أشواقِي كأنها الرماح التي يحملها (السُّرْدِيَّةُ)^(١٢) .

ويستطيع الرجلُ خلع عباءته أو (فروته) في بيته ، أو يستطيع أن يمضي ، كما تقول العبارة الدارجة ، في لباس أسفل الحزام (بهدوم المحزم) .. وعلى أية حال ، عليه ألا يظهر في ذالك الشكل في الخارج ، لأن ذلك سيكون إهانة للحشمة العامة . وإذا قدم مسافر بدون عباءته ، أو (فروته) ، فإنه يعلن إما أنه قد سلب تلك الأشياء ، أو أنه فقدوها . وفي المناطق الخطرة لن يحل الرويلي جزأه إلا في الليل . وسياوي إلى مضطجعه بلباسه الكامل . أما في الأماكن الأخرى فينام بثوبه ، أو حتى عريانا . وقد لف جسمه بعباءته وحسب . وإن أيقظته جلبة بغتة في الليل قفز من فراشه ، وخطف سلاحه بذراعيه ، وانطلق ممسكاً بعباءته بيده اليسرى ، ومندفعاً إلى الخارج ليرى ماذا حدث .

يلصق على وركي الرضيع دمن بعير يابس (دَمْنِه) (١٣) ، ثم يلف بشال طويل مربوط بخيط طويل وموصول بعمودي الخيمة الرئيسيين بحبلين من صوف البعير . . وهكذا يكون (المهاد) المهد جاهزاً . إن دمن البعير يتشرب بول الرضيع وبرازه ، ويحظى الرضيع في عامه الثاني بثوب أزرق غامق الزرقة (ثوب) ، ويغطي رأسه الصغير بقلنسوة (قبع) مربوطة بخيطين (علطه) تحت الذقن . . كما يلبس أحذية (قزيمه) .

وكلُّ روبيلٍ يحمل عصا ، فالعصى يحتاج إليها عادة لتوجيه الركاب . وتلك العصى رقيقة ، وطول كل منها نحو ثمانين سنتيمتراً ويسمى أحدها (محجان) . وقد جرت العادة أن يعدها الرولة لأنفسهم من الشجيرات القوية . وتفضل تلك العصي المقصوفة من أشجار اللوز وأحد طرفيها مثقوب ، ويسحب من خلال الثقب حبل قوي متصل بمحجن فتتدلى العصا من المعصم . ويكون طرف العصا الأخرى الأمتن قد نحت على شكل رأس طائر (أبي منجل) إلى نحو ثمانية سنتيمترات طولاً ، ونحو ثلاثة سنتيمترات ونصف عرضاً .

(الباكور) عصا لها ، أيضاً ، حبل في طرفها ، وقد ثني طرفها الآخر ليكون نصف دائرة .

(المطرق) مستقيم تماماً . ويشتري كل من (الباكور) و (المطرق) من الباعة الجوالين . وهما من الخيزران (خيزراني) .

(القناة) هراوة ثقيلة نحو سبعين سنتيمتراً طولاً ، وفي طرفها عقدة .

(المسلوت) عصا طولها ١,٢ من المتر . . متينة ولكنها ليست بشقيلة جداً . وتكون مثقوبة في ثلثها الأول ، ويدخل في الثقب خيط دقيق على شكل معلاق فتعلق العصا على الرجل به .

(المذروب) تشبه (المسلوت) إلا أنها أمتن كثيراً وأثقل . . وتزداد متانتها بدءاً من وسطها فما فوق ، والعصي الثلاث : (القناة) و (المسلوت) و (المذروب) كلها أسلحة جيدة .

٣- تدخين الغلايين :

كثير من الرولة - رجالاً ونساء - مغرمون بالتدخين . ولكل مدخن غليون . وتستعمل كلمة (غليون) لما تستعمله النساء ، أما ما يستعمله الرجال فهو (سبيل) . والرويلي إما أن ينحت (سبيلاً) لنفسه من حجر هش ، أو يشتريه من (كيسي) . و (السبيل) غليون مكون من قطعة واحدة على شكل مرفق ، وجزؤه الأدق هو الأفقي الذي طوله نحو تسعة سنتيمترات ويدعى (الذيل) . وتسمى زاوية المرفق (طيز) ، والجزء الأجوف العمودي الذي طوله نحو خمسة سنتيمترات هو (الرأس) ، والداخل (البطن) . ويحيط بفم (السبيل) المشتري طوق نحاسي تتدلى منه سلسلة (سنسله) لها رأس نحاسي (قبية) ، لمنع التبغ المحترق من التناثر . وينظف الغليون بسلك (مبخاش) .

يدعو الشيخ عبده : (عَمَزْ لي السبيل) أي : (املا لي الغليون تبغاً وأعدّه) - (ابخش السبيل لا ينسد) أي : نظف الغليون لئلا ينسد ، ويتألف الغليون من ثلاثة أجزاء : الأنبوب (البوز) قصبة خشبية طويلة (الْقُصْبَةُ) والفم (المَصَّة) .

ويحمل البدوي التبغ و (الزند) (١٤) و (المشعلة) (١٥) التي يشعله بها في أكياس جلدية تعرف بـ (سفره) و (صفن) على التوالي . ويسمى الصوّان ، أو حجر القداحة (صلبوخ) ، والزند (زناد) ، والمشعلة (قدحة) . وهذه إما أن يعدها البدوي بنفسه من (الشيخ) أو (القطين) الجاف المسحوق ، أو يشتريها من بائع .

قصائد ذات صلة بالتدخين : ذكر (الغليون) وآثار التدخين في أكثر من قصيدة ، والبيتان الأولان من القصيدة التالية التي قالها نمر بن عدوان ، معروفان في كل مكان ، بينما لا يعرف البقية إلا قليلون :

- ١- ياشمعة الصُبَيَّانَ عَمَزْ لَنَا الْبُوزَ وَأَمَلِهُ مَنْ التَّنَّ الْغُويِرِي وَنَاسِهِ
- ٢- أَخِيرَ عِنْدِي مِنْ حَبِّ كُلِّ مَنبُوزٍ عَظِيمٍ طَوَالَ اللَّيْلِ يَطْرِدُ نَعَاسِهِ
- ٣- مَعَ ذَلَّةٍ يَغْبِي لَهَا الْهَيْلَ وَالْجُوزَ وَعِشْرِينَ عُوْدٍ عَازِفِينَ قِيَاسِهِ

- ٤- مَع شَاةٍ مُضِلَّاحٍ لَهَا الْعَتِيلُ مَرْكُوزٌ وَمَزَيْنٌ حَبُّ اللَّقِيمِي لِبَاسُهُ
 ٥- يَغْبِنُ لَدُسْمِينَ الشَّوَارِبُ هَلْ الرُّوزُ فَكَاكَّةُ الْمَظْهُورِ يَوْمَ اخْتَوَاسِهِ
 ٦- رَبْعِي هَلْ الرَّدَاتُ مَا ضَرَبَهُمْ هُوَزٌ كَمْ وَاحِدٌ مِنْ فِعْلِهِمْ طَاخُ رَاسِهِ
 ٧- وَلَا هُمْ مَشَاوِرَةُ الْعَجَائِزِ هَلْ الْكُوزُ الَّتِي تَحَاكِيهِمْ ذُرُوبُ النِّقَاصِ
 ٨- يَارَبِّ يَا لَلَّتِي تَنْبِتُ الْعِشْبَ لِلدُّرُوزِ لَا تَجْمَعِ الْفُضَّةُ لِبَاقِي نَحَاسِهِ
 ٩- كَمْ قَالَةٍ غُلَّةٌ وَرَا الصُّدْرَ مَكْنُوزٌ وَتَقْضِي وَيْهِ بِالْكَبْذِ مِثْلَ الْخَلَاصَةِ

معنى الأبيات :

- ١- يا أجمل الفتيات ، املأ لنا الغليون المكسور من التبغ (المجلوب من الغور) وقدمه لنا .
 ٢- إن عظماً يطرد عني الكرى طوال الليل لأحب إليّ من تقبيل كل فتاة ضخمة الردفين .
 ٣- وإضافة إليه (دلة) يدخر لها (الهيل) والجوز وعشرون عوداً (أي ، من بهار آخر ربما - قرنفل (مسمار) ، قد عرف قياسها .
 ٤- وشاة سمين قد وضع لها على النار قدر كبيرة ، وقد أعد حب (اللقيمي) ليكون لباساً لها^(١٦) .
 ٥- ثم دسم شوارب الرجال الشجعان . . الذين يخلصون الإبل المحملة في معمة القتال .
 ٦- إنهم قومي هم أهل المبارزة الجيدة ، إنهم يبطشون بأعدائهم بطشاً حقيقياً . . وكم من رجل سقط رأسه نتيجة لفعالهم .
 ٧- إن قومي ليسوا أولئك الذين يشاورون العجز . . وبيعون الزبد . . والذين يتحدثون عن الخلال الرديئة والأخلاق السيئة .
 ٨- يارب ، يامن ينبت العشب للدروز ، لا تجمع الفضة لنفسك (تعالي الله عن ذلك !) ، فالباقي نحاس لا قيمة له^(١٧) .
 ٩- رُبَّ كلمة يكون ألوها مكنوزاً في الأحشاء ، ثم تذهب ، ويبقى أثرها في الكبد كأثر الجمر^(١٨) .

راوي هذه القصيدة هو جواد العاني . .

البيت ١ - : غالباً ما ينكسر الغليون القصير (السبيل) من عند كوعه . فإن لم يكن لدى البائع الجوال غلايين للبيع صنع المدخن غليوناً لنفسه . . يستبدل بالفم المكسور عظماً دقيقاً صغيراً يثبت فيه بقى من الغليون . ويربطه بجلد ، ويخيطه خياطة محكمة ليحول بين الدخان والتسرب . ويسمى مثل هذا الغليون المصلح (بوز) ، لكن الكلمة نفسها تطلق على بطن الغليون ، بينما يسمى العظم الصغير الذي يوضع في الفم (عَظْم) أو (بَز) .

البيت ٢ - : عظم البوز : قطعة العظم التي توضع في الفم . المنبوز : المرأة ذات الردفين الضخمين والكتفين العريضتين ، والخصر الأهيف (أم الردوف والكتوف شطاياها منبوزات) .

البيت ٤ - : مصلاح : راعٍ حي الضمير لا يجمع قطيعه . وعلى هذا ف (شاة مصلاح) تعني : شاة رُعِيَتْ تحت يد راعٍ مصلاح . العتل : لفظة شاعرية بمعنى القدر الضخمة .

البيت ٥ - : مركز : موضوع ، لأن القدر توضع على ثلاثة أحجار (أثافي) على النار ، حب اللقيمي : هو وجبة (العيش) المعدة من حب القمح ، يتناول الأكل قطعاً صغيرة (لقم) بأصابعه ، ويلف بها قطعاً صغيرة من اللحم^(١٩) .

البيت ٦ - : هوز : تعني (دعابة) . خدعة في المباراة^(٢٠) .

البيت ٧ - : الكوز : إناء من الخزف على شكل كمثرى ، يستعمل لكيل الزبد ، إن من يبيعون الزبد لبخلاء ، لأنه ينبغي أن يستهلك في المنزل .

عرف حمار أبو عواد البيتين الأولين . . وثانيهما حسب روايته هكذا :

أَلَذَّ وَأَحْلَى مِنْ يَنَا كُلُّ مَنْبُوزٍ عَظْمٍ تُوَلِّي يَطْرِدُ نَعَاسَهُ
أي : إن عظماً صغيراً يطرد النعاس لألذ وأحلى من الخبر الطيب الذي تُحرك به أية فتاة ضخمة الوركين .

تَبَاك ، Nicotina Persica Lindl. ، يدخنه بعض الشيوخ في انبوب ماء ويرى
الروبي العادي أن (التَبَاك) ضار بالصحة ، وأنه يجدر القوى الفكرية أيضاً ..
وغالباً ما سمعت البيت :

ياشارب التُّبْمَاكُ شارِبُكَ لا طال
إياك وإيّا واحدٍ حال (٢١) دونه (٢٢)

أي : لا طال شاربك ياشارب (التَبَاك) ! ، أيكما خير أنت أم من امتنع
عنه ؟

قالت ذلك امرأة من قبيلة العجمان ، الذين يقطنون على ساحل الخليج (...)
لزوجها الذي لا يستطيع فراق (نارجيلته) حتى في الليل ، ولشدة برمها بهذه
العادة ، ذكرته في ذلك البيت ، بأنها ربما وجدت من يحل محل الزوج الذي
لا يهوى سوى (تمباكه) . وما أن سمع البدوي هذه الكلمات حتى ألقى
(نارجيلته) على الأرض ، واختطف رجمه ، وطلب من المرأة إيضاح ماتعني
بالبیت ، فترددت في بادئ الأمر لكنها لما أدركت شدة انفعال الزوج قالت :
شَرَابَةُ التُّبْمَاكِ مَغْهَمٌ فَضًّا بَالٌ

أَلْيَا طَالُ شَارِبٍ وَاحِدٍ يَقْصُرُونَهُ !

أي : شاربو الدخان واسعو الصدور ، وإذا كان شارب شخص طويلاً (أي أكثر
من المعتاد ، كناية عن الغرور) فإنهم يقصرونه (أي يجابهونه ، ويعرفونه
بحقيقته ، بالتصدي له) (٢٣) .

فتأمل الرجل قولها ، وفتر غضبه . ووعداها ألا يدخن كثيراً كما كان يصنع من
قبل ، ويضيف الرولة إلى البيت الأخير :

يَسْتَاهِلُ التُّبْمَاكُ مِثْلَ ابْنِ هَذَا الَّذِي يَصِرُّ بِمِثْسَانِي رِدُونَةٍ (٢٤)

أي : إن من كان مثل ابن هذا ، الذي يحمل التبغ عاقداً عليه مثاني أردانه
لمستحق له . كان فهد بن هذا أكبر شيوخ (العمارات) الذين يقطنون كلنا
ضفتي الفرات الأوسط ، يحمل (نارجيلته) ، مثله مثل شيوخ كثر ، على بعيره

حين يظعن ، وفي الأسفار الطويلة ، وخلال الوقفات القصار ، وهو ينتظر وصول الإبل المحملة ، يصب في (النارجيلة) ماءً من قربة صغيرة ، ويضع قليلاً من (التبناك) الرطب المفتت في (الرأس) ، ويضع عليه جمرة ، ويدخن . هؤلاء المدخنون يحتفظون بالدخان عادة في أطراف أكمام ثيابهم .
ومدمن تدخين (التبناك) يصاب غالباً بمرض الربو .

٤ - الأسلحة :

لقد وظف رجال في كل نخيم صيادين . ومهمة بعضهم تزويد الشيخ باللحم لقاء مبلغ محدد تحديداً ثابتاً . ويحمل مثل هؤلاء الرجال معهم دائماً بندقية قديمة وذخيرة ، ويصنع حزام الذخيرة (المذخر) من الجلد المتين (سير) ، ويخاط به من الخلف نسعان من الجلد (جناد) ليماً من على الكتفين ، ويتقاطعا على الصدر ، ويشدهما إلى الحزام من الأمام إبزيمان جديدان (بزيم) . ويربط بكل نسع (جناد) أنبوتان نحاسيتان صقيلتان (تطاريف) للملح البارود . ويخاط في يمين الحزام غمد (جوا) لخنجر (شبريه) ذي مقبض (نصاب) مزخرف ، وهنا يشد جراب (مخروط) يحتوي الرصاص والخرطيش (القبسون) ، والصيد الذي لا يحمل باروده في الأنابيب النحاسية يضعه في باطن حزامه في قرن صغير (قرن الذخير) مصنوع من الزنك أو النحاس الأصفر . وتربط بالحزام بسلسلة دقيقة طويلة ، أو بسير من الجلد مطواة كبيرة (حوصا) تستعمل لذبح الصيد لكي ينسف الدم . وللبندقيات التي يستعمل الصيادون خرطيش ، وهي من طراز ذوات الفتيل القديم .

ولدى الرولة من البندقيات المعدة للقتال أنواع : (الصُنع) و (الشيهاني) و (« الموزر » Mouser) . وكانت (الصنع) ، وهي بندقية إنكليزية عسكرية قديمة ، أعظم الأسلحة شعبية بين عامة البدو قبل الحرب الكونية . وكان ثمن البندقية الأصلية من هذا الطراز يصل إلى مائتي ٤٠ إلى ٤٥ مجيدية (٣٦ - ٤٠,٥٠ دولاراً) ، وكانت أكثر ما تُستورد من مصر ، أما غير الأصلية (التجارية) والتي تأتي من الهند فتباع بثمان يتراوح بين ٢٨ إلى ٣٠ مجيدية

(٢٥, ٢٠ - ٢٩ دولاراً) . والشيهاني بندقية عسكرية تركية (مارتيني) ، ويمكن شراء ذلك النوع من (الشيهاني) المسمى (أم سنقي) بـ ٥٠ إلى ٦٠ مجدية (٤٥ - ٥٤ دولاراً) ، ونوعية (أم قفل) بـ ٤٠ - ٥٠ مجدية (٣٦ - ٤٥ دولاراً) . ويسمى البدو البندقيات الحديثة كلها (موازر Mousers) . ولا يجب الرولة البندقيات التي تلقم من مؤخرتها (Breechl Oaders) ويقل طلب مثل هذا النوع من البنادق (أم اصبع) عن طلب غيرها . ويصل ثمن (الموزر) الأصلية ، ولاسيما الـ (Mamnlchers) إلى مابين ٥٠ و ٦٠ مجدية (٤٥ - ٥٤ دولاراً) . وتباع غير الأصلية منها بثمن يقل عن ثمن تلك بمبلغ يصل إلى ٢٠ مجدية (١٨ دولاراً) وتجلب الأسلحة كلها من ميناء جدة أو الكويت . وأثناء إقامتي عند الأمير النوري زارته ست قوافل تجارية محملة بالذخائر الحربية . وكان عدد إحدى القوافل ٢١٠ جملاً تحمل أكثر من ألف بندقية ، مع آلاف الخراطيش ، بالإضافة إلى الرصاص ، وملح البارود ، والكبسولات المتفجرة (Caps) . وهناك في نجيم كل قبيلة خبير (ميكانيكي) يستطيع إصلاح البنادق وصناعة الخراطيش . ويمارس كل من أبناء الشيوخ وعبيدهم الرماية بين الفينة والفينة . ويكون هدفهم (نيشانهم) عادة حجراً أسود ، أو عوداً مربوطاً به منديل أو خرقة بالية . ويكافي الشيخ خير الرماة بمنحه رأس أول بعير يذبحه (أي الشيخ) . (رميه) - الجمع رمي - تعني (دوي ، أو صوت انفجار) . (بارودي عرفت رميها) . تعني : (أعرف صوت انفجار بندقيتي) . (والله رميها زين) أي : والله ان رميها لحسن . (البندق) هي بندقية بارود ذات زناد له صوانه أو (كبسولات) وهي دائماً مؤنثة :

مَع بِنْدِقٍ لَفْظَاتٍ فَمَهَا بِضُنْبِي
لَهَا عَلَى خَطِّ الْمَجْنَحِ مَرَامِي

أي : (بندقية تعينني طلقات فمها على بلوغ هدفي^(٢٥)) ، والتي قد قدر رميها ليصيب بعض ذوات الأجنحة .

والألفاظ المعبر بها عن الرصاصات هي : ثلاثي ، ورباعي ، وخماسي ،

وستاتي ، وأكبرها عياراً الأخيرة . (والشيشخانه) أو (الشيشخان) نوع من البندقيات العتيقة تكون ماسورة إحداها ذات ست زوايا في الداخل ، فإن كانت الماسورة مستديرة أو - في الأقل - ناعمة دعيت (حمرا) . (بُنْدُقيَّة) هم الرجال المسلحون بالبنادق .

ومن بين الأسلحة القديمة ، ما انفكت الرماح والسيوف والخنجر مستعملة . ويتألف الرمح من نصل فولاذي أو حديدي ، قد أُجِدَّ من كلا طرفيه ، وعود خشبي . والنصل إما أن يكون عريضاً ، وفي هذه الحالة يدعى (شلفا) ، أو ضيقاً (حرب) . و (الشلفا) إما أن تجلب من بلاد فارس (عجمية) ، ويكون ثمنها - في هذه الحالة - مجديتين أو ثلاثاً (١,٨٠ - ٢,٧٠ من الدولار) ، أو أن تكون شائعة الاستعمال يصنعها الحداد من الحديد بنصف مجدية (٤٥ سنتاً) . والحربة التي تصنع - بصفة رئيسة - في مدينة (الدير) على ضفة الفرات اليمني ، تدعى أيضاً (عرينية) ، وتباع بربع إلى نصف مجدية ($\frac{1}{4}$ - ٢٢ - ٤٥ سنتاً) . وحُدَّ (الشلفا) أو (الحربة) الحاد يدعى (عسلة) . والطرف السفلي الداخل في العود (جب) . وتستعمل خشبة دقيقة لكن قوية (عرق) ، أو خشبة سميكة (شاكري) لتكون عوداً للحربة . وتعمل عيدان الحراب أيضاً من قصب الخيزران الأجوف ، ويبلغ ثمن القصبه - بوجه عام - مجدية واحدة (٩٠ سنتاً) . ويثبت في طرف العمود السفلي رأس حديدي مدبب (قنطار) ليتمكن تثبيت الرمح في الأرض . وقد يزين الرمح بريش النعام ، أو بسلاسل رقيقة تربط بـ (الجب) .

والسيوف ضربان : (نمشة) وهي إما (مغربي) ذو ثلاثة أخاديد ، ثمنه يتراوح بين مجديتين و ٤٠ مجدية (١,٨٠ - ٣٦ دولاراً) أو (شنتيان) وهو بالغ المرونة . و ثمنه يتراوح بين مجديتين وعشر (١,٨٠ - ٩ دولار) ، أو (حسينية) ذو أخدود واحد طويل ، و ثمنه أيضاً يتراوح بين مجديتين وعشر مجديات .

وأنواع الضرب الثاني من السيوف (السيف المقوس ذو الحد الواحد ، وهو

وحده الذي يطلق عليه الرولة كلمة (سيف) ، كما يلي : دابان ، ٥ - ١٠ مجيديات (٤,٥٠ - ٩ دولارات) ، (هندي) مصنوع من الفولاذ الأسود ، ٤٠ - ١٥٠ مجيدية (٣٦ - ١٣٥ دولار) ، (عجمي) من الفولاذ الرمادي ، ٥ - ٤٠ مجيدية (٤,٥٠ - ٣٦ دولار) ، أو (الجوهر) مصنوع من الفولاذ المسبوك من خراسان ، ١٥٠ مجيدية (١٣٥ دولار) . ويمتد مقبض السيف - في الغالب - إلى (الشباك) حيث يبدأ النصل . ويزخرف بالذهب والفضة . ويكون للغمدة (الجفيرة) حلقتان معدنيتان (حوامل) يربط بهما الحبل المستعمل لتعليق السيف .

ويكون الخنجر قصيراً دقيقاً ، (شبريه) ، أو عريضاً طويلاً ، (قديمي) ، أو عريضاً قصيراً (خنجر) . ويصل ثمنه إلى ثلاث مجيديات (٢,٧٠ دولار) ، لكن إن كانت يده مزخرفة بسلاسل ذهبية وأحجار كريمة فقد يصل ثمنه إلى خمسين مجيدية (٤٥ دولار) بل وإلى أكثر من ذلك .

وأكثر من يحمل الرماح فقراء البدو ، ولا يحمل السيوف إلا ذوو الشأن من الرجال . لكن كل يملك أسلحة نارية ، وهذه قد تكون مسدساً أو بندقية .

والمسدس (رداني) إما أن يكون النوع الثقيل القديم (كرداغ) الذي كان يستعمله أهالي مملكة (الجبل الأسود) سابقاً ، والذي يتراوح ثمنه بين اثنتي عشرة وأربع عشرة مجيدية (١٠,٨٠ - ١٢,٦٠ دولار) ، أو يكون (الموزر) ، وهذا أيضاً إما أن يكون من نوعية (السانتين)^(٢٦) ، أو (الانكليزي) . ويصل ثمن السانتين ، وأصل الكلمة (سانت اتين (St. Etienne) من ٢٠ إلى ٢٢ مجيدية (١٨ - ١٩,٨٠ دولار) . ويباع نوع صنع من النيكل تقليداً له - في مصر والبصرة - بثمان يتراوح بين أربع مجيديات وخمس عشرة مجيدية (٣,٦٠ - ١٣,٥٠ دولار) .

العناية بالنظافة الشخصية :

لا يُعبر الرولة النظافة إلا اهتماماً ضئيلاً . فلما يجب ألا يفرط فيه ، لأنه لا يكاد يكون هنالك منه ما يكفي للشرب والطبخ . وفي الأراضي الرملية يمسحون أيديهم

تدحسبونهم بالرجل الخفاف الطيف . ولا تغسل الثياب . ولا يستحم إلا حين يحلون قرب غدیر کبیر . يتوضأ الفتيان نهاراً والفتيات في الليل ، ويغسل الملابس عادة زنجي أو امرأة (صلبية) ، بينما تنظر إليها ربة البيت وبناتها بلا اهتمام ، وهن يحككن أنفسهن طوال الوقت ، ولم يكن يدور بخلد هن أن يخلصن أنفسهن من قملهن ، أو أن ينظفن ملابسهن جيداً .

وقد تغلي الزوجة - من وقت لآخر - زوجها (تغلي برأسه) ، والأخت أخاها أو حبيبها ، والأم أطفالها ، ويغلي بعض النساء بعضاً . ويدخر الشيوخ وحدهم الصابون لضيوفهم . ويجمعون لأنفسهم (الشنان) ويحففونه ، ويسحقونه ويستعملونه لغسل (أيديهم وثيابهم) وقد أحضرت صابوناً أوروبياً لبعض النساء ، لكنهن عمدن إلى مسح أيديهن وأبدانهن به جافاً من أجل رائحته الطيبة ، بدلاً من أن يغسلن أنفسهن به .

وتختلف عشائر الرولة ، وحتى بطونهم ، لا في لهجتهم وحسب ، بل وفي لباسهم أيضاً . ويرتدي الرولة لباساً واحداً لكنه ذو ألوان وتفصيل وزخارف مختلفة . وإذا رأى رويلي ركباً من بعيد استطاع أن يعرف في الحال ان كانوا رولة ، ومن أي فخذ أو بطن ، يعرف ذلك من رحالهم ، وزخارف مزاداتها ، وألوان غترهم وعباءاتهم وخفافهم ، وطرارز لباسهم ، وطريقة قعودهم على الرحل ، إلخ . إنه ليستطيع أن يميز من بعد الفريجي من الكويكبي ، وأن يميز هذين من المرعضي ، وأكثر من ذلك الفروق بين الرولة والسبعة أو الصقور ، ويحتاج الرجل الغريب شهوراً ليعرف اختلافات العشائر (العنزية) المتعددة في الزي ، وسنين قبل أن يستطيع تمييز أفراد البطون المختلفة في العشيرة الواحدة .

التعليقات :

(*) هذا هو الفصل السادس من كتاب (أخلاق عرب الرولة وعاداتهم) الذي أقوم بترجمة القسم الأول منه ، وقد نشرت (العرب) فصلين آخرين - ص ٢٠ (ص ص ٢٣٠ - ٢٦٣) ، و ص ٢١ (ص ص ٧٦١ - ٧٧٩) . كما نشرت (الدارة) ثلاثة فصول أخرى في أعدادها : الثاني من السنة العاشرة (ص ص ١٣٠ - ١٥٢) ، والأول من السنة الحادية عشرة (ص ص ٩٥ - ١١٢) ، والأول من السنة الثالثة عشرة (١٦٧ - ١٩٤) .

- (١) يُدعى إبهام الرجل (بهام) ، الإصبعان الثاني والثالث في الرجل (الخنصر) الإصبع الرابع للرجل (خنصر) ، الإصبع الصغير للرجل (بنصر) ، الظفر (ظفر) ، أصابع الرجلين (أصابع الرجلين) ، بطن القدم (خف) ، وسط الرجل (كبد الرجل) ، العقب (عقب) ، العرقوب (عرقوب) ، الساق (ساق) ، الجلد (جربوعة) ، الركبة (عين الركبة) ، رأس الركبة (زلاله) ، تحجوف الركبة (مابض) ، الفخذ (فخذ) ، العانة (حده) ، الذكر (عبر) ، أو (زب) ، الخصيتان (خصيان) ، الحشفة (فصعه) ، الخاصرة (خاصرة) ، الورك (ورك) ، العجيزة (شطيه) أو (طيز) ، السرة (سرة) ، الصلب (جنب) ، الاضلاع (ضلوع) ، الصدر (صدر) ، حلمة الثدي (دبد) ، البطن (كبد) ، الأمعاء (قصبان) ، الكلية (كلوه) ، الطحال (طحال) ، الكبد (ستار) ، المرارة (مرارة) ، القلب (قلب) أو (صندوق القلب) ، الرئة (رئة) ، الظهر (ظهر) ، أسفل الظهر (دقيق) ، فقر الظهر (خرز الظهر) ، عضل الكتف (دفع) ، لوح الكتف (كتف) ، قفا الكتف (رمان الكتف) ، الرقبة (رقبة) جزءاً قفا الرقبة العضليان (علبا) ، التجويف بينهما (نقيره) ، الفهقه — فقرة العنق الأولى — ، (فاعوس) الترقوه (ترقه) ، حفرة الحلق (ثغيره) ، الوريد (وريد) ، الحنجرة (براقه) ، تفاحة آدم أو الحرقلة — عقدة الحنجرة — (زده) ، الذقن (عدسه) ، الحنك (حنوك) ، الشفاه (براطم) ، أو (بلاجم) ، جانبا الفم (شدوق) ، الحدود (وجنات) ، الأنف (خشم) ، المنخران (مناخر) ، عرني الأنف (عرنون) ، جسر الأنف (مقرن) ، عظم الخد (رمانه) ، العينان (عيون) ، إنسان العين (صبي) ، الجفون (جفون) ، الرمض (رمض) ، الحاجب (حجاج) ، الجبهة (جبهة) ، الأصداغ (صوابر) ، الأذن (اذن) ، شحمة الأذن (شحمة) ، الأسنان (سنان) ، الثنايا (ثنايا) ، الأنياب (نيان) ، الأضراس (رحي) ، الزردمه (حليق الموت) ، المريء (بلعوم) ، أعل الرأس (غاذية) ، الهامة (هامة الرأس) ، الدماغ (دماغ) ، العضد (عضد) ، المرفق (كوع) ، الذراع (ذراع) ، الإبط (دغدغ) ، قفا اليد (مشط) ، الكتف (كف) ، البهام : (باهم) ، السبابة (طويل) ، الخنصر (خنصر) ، اليد (يد) (أو إيد ، المثني إيدي والجمع ايدين) ، ثلاث أيد ثلاث ايدين ، خمسة أقدام (خمس رجلين) .

(٢) يعني المؤلف بقميصهم طبعاً القميص المعروف في كل مكان الآن ، الذي كان سائداً في بلاد الغرب وحسب .

(٣) قد يكون الصحيح : (مَبْدَحُه) فالبدح هي الرقع المستطيلة التي تكون في الثوب . وهناك ضرب من الثياب يدعى (مَبْدَح) .

(٤) أي الصديرية السائد لبسها في الغرب .

(٥) ترجمة المؤلف هكذا :

" He who does not put on heavy clothong will not get warm by carrying it "

أي : (من لا يرتدي ملابس ثقيلة لن يدفأ بحملها) .

(٦) قد تكون (ينقل) كتابة عن (العمل) ، الذي هو في الحقيقة ، نقل أشياء من مكان لآخر . والملابس الثقيلة تمكن الإنسان من العمل لأنها توفر له الدفء . ومن لا يثقل نفسه بها لن يستطيع العمل .

(٧) هكذا ورد (Safa'a) ولعل الصواب (سفعه) . إذ يسمى الخمار في بلاد العرب (سفع) . وقد تكون (سفعه) هي الصيغة المستعملة عند الرولة . أما (صفعة) فالظاهر أنه تحريف .

(٨) يؤخذ على المؤلف هنا تعميمه امراً كالسرقة على نساء الرولة .

(٩) الهدوم : الملابس .

- (١٠) ثمة في القصيم رواية أخرى لمعجز هذا البيت هي :
والشَّيْنُ شَيْنٌ لو لَيْسَ كُلُّ مَالَةٍ
ومعناه يلائم صدر البيت أكثر . وتستعمله النساء .
- (١١) ترجم المؤلف الجملة هكذا : (ولكن أيا الحديد ؟ وأيا القديم ؟) . وهو غير المقصود .
- (١٢) السَّرْدِيَّة : اسم عشيرة معروفة .
- (١٣) ذكر المؤلف أن الدمن يلصق ، والصحيح أنه يلدز ذرا بعد طحنه بحيث يمس مسحوقاً لين الملمس ، ويكون له قدرة على امتصاص السوائل .
- (١٤) (الزند) كلمة مستعملة في كثير من أنحاء بلاد العرب ، وهي قطعة فولاذية يستخرج بها الشر من الصوان .
- (١٥) ماتشعل به النار ، كمشتقات النفط السريعة الالتهاب ، والحرق ، والسعف ، وأوراق النباتات اليابسة .
- (١٦) كان من عادة القوم دفن اللحم في الطعام ، الذي غالباً ماكان (جريشاً) أي حبا مكسراً من ضرب من القمح ذي حبوب كبيرة الحجم نسبياً ، يُدعى (لقيمي) . [العرب : لعله في الأصل منسوب إلى قرية (القيم) في الطائف وهي موصوفة بجودة البر . كما في « تاج العروس » رسم - ل ق م -]
- (١٧) الظاهر أن المراد : يارب أسألك ألا تخلط أشراف الناس بأرذلهم أي ، الفضة بالنحاس .
- (١٨) ترجم المؤلف الشطر الثاني هكذا : ستختفي ، ومع ذلك تسكن في القلب كما لو كانت حقيقة ناصعة .
- (١٩) هذا ماوضح به المؤلف (حب اللقيمي) وقد وصفناه في الحاشية ١٦ أعلاه .
- (٢٠) هوز : الهوز التلويح بالضرب دون فعله ، أي التهديد . والمقصود يفعلون ولا يكتفون بالتهديد . ويقول مثل معروف : (من هازك ضريك) أي : إذا سمحت لأمري أن يهدك فالخطوة الثانية التي قد يقوم بها هي ضريك .
- (٢١) المشهور : جاز .
- (٢٢) ترجم المؤلف هذا البيت هكذا :
O Thou who Smokest tumbac ! if thou smokest long
Woe to thee and woe to me , for there is one who is drawing near .
وهي ترجمة بعيدة عن المعنى كثيراً .
- (٢٣) ترجم المؤلف هذا البيت هكذا :
Those who smoke tumbac have a big heart if one smokes too much, he must be worned
وترجمة الصدر صحيحة ، أما ترجمة العجز فغلط .
- (٢٤) ترجم المؤلف صدر هذا البيت هكذا :
He cannot live without tumbac like Eben Haddal
وهو غلط .
- (٢٥) هذا تعريب ترجمة المؤلف لصدر البيت ، والأدق : (مع بندقية ما تلفظه من فيها (أي من رصاص) يصيب هدفه ، لا محالة) .
- (٢٦) منسوباً إلى المدينة الفرنسية (سانت إيتيان) . وفيها مصنع قديم للسلاح .

كتاب «النسب الكبير»

[هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ تقريباً إمام علماء النسب بلا منازع، ومن أوفى مؤلفاته فيه كتاباً «جمهرة النسب» ونسب مَعَد واليمن الكبير، وللأول مختصرات وصل إلينا بعضها، ومنه مخطوطة تحوي نحو نصف الكتاب نشرت في الآونة الأخيرة، أما «النسب الكبير» فمنه مخطوطة تحوي النصف الأخير من الكتاب تصدَّى الأستاذ محمود فردوس العظم لتحقيقها ونشرها، كما نشر القسم الموجود من «الجمهرة» وبهاتين القطعتين يكمل ما وصل إلينا بما كتبه ابن الكلبي أو رواه عن أبيه أو غيره من أنساب القبائل العربية العدنانية والقحطانية، وقد وَهَم كثير من الباحثين بمن ظنَّ أن القطعتين تُكوِّنان كتاباً واحداً - وأوضحت خطأ هذا الوهم مراراً، اعتياداً على التغاير بين مباحث الكتائين -

وسرُّ «العرب» أن تقدم لقراءها المقدمة التي كتبها الباحث المحقق الأستاذ ووكس بن زائد العزيزي لكتاب «النسب الكبير» صَدَرَ حديثاً بتحقيق الأستاذ الجليل محمود فردوس العظم الذي أسدى للباحثين في هذا العلم بنشر كتاب الإمام فيه يداً يجب أن تذكر فتشكر -]

كرمني - كرمه الله - الأستاذ البَحَّاث المحقق (محمود فردوس العظم) بكتابة مقدمة لتحقيقه الماتع «النسب الكبير» لـ (ابن الكلبي). والأستاذ (العظم) ليس في حاجة إلى مَنْ يقدمه إلى أساطين العلم، والبحث، والتحقيق؛ بعد أن أتحف المكتبة العربية بتحفته الخالدة «جمهرة النسب» لـ (ابن الكلبي) في ألف وخمسة مئة وست صفحات من القطع الكامل الكبير، بتلك الدقة، وذاك الإتقان - لكنه تواضع العلماء الذين يهبون للناس من ذات نفوسهم غير متوقعين حمداً ولا شكراً.

يذكر لنا الأستاذ (العظم) أنه مولع بأنساب القبائل منذ الطفولة.. وعلم الأنساب علم شريف نوه به - ضمناً - الكتاب الكريم بآية محكمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات الآية الـ ١٣.

وأمر برعاية هذا العلم النبي العظيم - صلى الله عليه وسلم - بحديثه الشريف: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم مَنسأة في الأجل، محبة في الأهل، مثرة في المال!». .

فكان ولع الأستاذ (العظم) بعلم الأنساب تلبية لذلك النداء الأكرم، الكريم!.. يوم هامّ به مُزوداً بعلم جمّ، تزيّنه خبرة واسعة بأحوال القبائل، وولع بأنسابها، إلى صبرٍ وجلدٍ عزّ نظيرهما، إلّا عند مَنْ وهب لهم الباري من فيض كرمه من غير حساب. وقد أتم الله نعمته عليه بخطٍ بديعٍ - وحسُن الخط من حُسْن الخط - وبفن جميل، فجاء إبرازه لـ «جمهرة النسب» و «النسب الكبير» بهذه الصورة الفنية، عملاً داشناً، عزّ نظيره.

قرأت كتاب «النسب الكبير» قبل أن يقدم إلى المطبعة، فأعجبت بما فيه من دقة واتقان، وضبط للأسماء، وهو ما نحتاج إليه في مطبوعاتنا العربية، أشدّ الاحتياج. لأن اغفال الأسماء من الضبط يجرد العمل من قيمته العلمية. فالكثير من مخطوطاتنا غير المقيّدة بإعجام الحروف، وغير المضبوطة بالشكل، تجعل المحقق حائراً، أهو يحل رموزاً؟ أم يكشف عن طلاسم؟ أم يحقق أهوالاً لا تقرأ. وإذا رافق ذلك خط رديء، فهناك الطامة الكبرى!.. وقد لقي المحقق الفاضل عنتاً من رداءة الخط. لكنه تغلب على العراقيل والمثبطات بحلّقي ومهارة، فأبرز الكتاب بخطه البديع، هو ولوحاته. وكان من ميزات هذا الكتاب أنه كتب الأصل بخط كبير، وضبطه بالشكل، وكتب الحواشي والتعليقات بخط صغير بلا تشكيل - وجعل لكل لوحة رقمين: -

أ - رقماً أسود خاصاً باللوحة،

ب - رقماً أحمر خاصاً بالقبيلة.

أما أسلوبه في التعليقات والحواشي، فهو أسلوب الجاحظ، تحاشياً للملل القارئ، وقد جاء في تلك التعليقات والحواشي بأشياء كثيرة فيها فوائد جمّة، عدا الإمتاع والمؤانسة، والاستيلاء على إعجاب المطالع، منها قوله! (إن النبي العظيم ﷺ كان يمزح، ويتقبل المزاح المذهب، وبلغ من إعجابه بالمزاح، أن إحدى المزاحات جعلته يضحك كلما تذكرها، حولاً كاملاً!..)

والدروس المستفادة من مزاح الرسول العظيم ﷺ وتقبل المزاح المذهب، تعني أن التجهم والكآبة ليسا من روح الدين، بل على النقيض من هذا، لأن الإيمان

الحي إذا دخل في قلب إنسان عاقل يجعله باسم الثغر طلق المَحْيَا، لأنه يحس بأنه قريب من الله ، والقريب من الله لا يحزن ، ولا يتجهّم وجهه!..) .

الأستاذ (العظم) مخلص للحقيقة، محب لها، يؤثرها في كل موقف . وهو مستعد للتنازل عن رأيه إذا رأى في الرأي المخالف لرأيه حقيقة . من ذلك تخليه عن الرأي الذي قال إن «النسب الكبير» هو تكملة لـ «جمهرة النسب» ، يوم وضع علامة الجزيرة العربية الشيخ (حمد الجاسر) أن «النسب الكبير» مستقل عن «جمهرة النسب» ، فلم يكابر، ولم يقف مُدافعاً عن رأي ثبت عدم صوابه ؛ كما فعل أحد العلماء الكبار الذين حققوا «تاج العروس» يوم نبهه على أوهامه شيخنا الاستيامة (حمد الجاسر) فثار ذلك العالم ، وجاء مكابراً حتى الشتم ، ثم عاد إلى الاعتذار!..

قد يظن بعض الناس أن الاهتمام بالأنساب، هو دعوة إلى القَبِيلِيَّة ، ورد إلى الجاهلية، وهذا ظَنٌّ خاطيٌّ ، لأن الاهتمام بالأنساب إنما هو احترام لماضي هذه الأمة ، وليس دعوة إلى العيش في أوكار الرجعية ، والجمود عند الماضي .. فالأمة التي لا تحترم ماضيها لا تستحق الحياة . لأنها كالإنسان الفاقد الذاكرة ، له شكل بشري ، لكنه لا يفيد نفسه ، ولا يفيد سواه ، واهتمام العرب بماضيهم ليس بدعة خاصة بهم . وهل سجلات الأمم الراقية وإحصاءاتها سوى لون من ألوان اهتمام العرب ، بأسلوب جديد ؟ أطلق عليه اسم التوثيق . ونحن عندما نهتم بالأنساب ، نبرهن على عراقة هذه الأمة التي أنجبت عباقرة ، عطروا تاريخ الإنسانية بمآثرهم ، في كل منحنى من مناحي الحياة . وإن الأمة التي أنجبت أولئك العمالقة لم تعقم ، بل هي قادرة على إنجاب أمثالهم ، وإنها أمة خالدة ، لن تموت ، مهما أصابها من النكبات ، ومهما تقلب عليها من ظروف الحياة ! أجل إنها قد تعذبت لكنها لن تموت ، وحياة لغتها دليل على خلودها . فكم من أمة كانت أكثر منا عدداً ، وأقوى منا جيوشاً ، بادت يوم سقط علمها، واندمجت في غيرها من الفاتحين، وأصبح الباحث عن تاريخها، كالمنقب عن الآثار في الحفريات!.. وتحقيق الأستاذ (العظم) لـ «جمهرة النسب» ولـ «النسب الكبير» إحياء لمجد هذه الأمة العظمى . وإبرازه إياهما بهذه الصورة المشرقة يدل على

مقدرة في التحقيق ، ورصانة في البحث .

خلاصة ما أريد أن أقول للحقيقة وللتاريخ : إن ما قام به الأستاذ (محمود فردوس العظم) يدل على همة عالية تنتصر على كل الصعوبات والمشبطات ، ولا سيما أنه سلك في صياغة هذا التحقيق مسلكاً مبتكراً ، إذ كتب الكتاب مع لوحاته بخطه البديع ، فكانَ له في ذلك حسناتٌ عديدة منها :

- ١ - بطبع الكتاب بالخط ، وكأنه المخطوط الأصل .
- ٢ - تحاشى بذلك أوهام الطباعة التي لا يكاد يخلو منها كتاب عربي ، مهما بذل في سبيل مراقبته ، وتحاشى صعوبات ضبط الأسماء والكلمات .
- ٣ - تجنب تجارب الطباعة العديدة المزعجة .
- ٤ - اختصر زمن الطباعة الذي يطول أحياناً إلى درك الإملال .

وليس في مُكنتنا أن نقدر ما بذل المحقق من جهد إلا إذا علمنا أنه في أثناء بحثه عن أصول القبائل وأنسابها ضحى بزيارة الأهل ثلاثة أعوام ، وضحى بزيارة دمشق عروس الديار السوريّة ، وهو يقتنص الحقائق من أفواه المعمرين العارفين ، ويستنطق المعالم والآثار في بلاد اليمن .

ولابدُّ لي من أن أذكر ميزة مشكورة لهذا الأستاذ الفاضل ، وهي أنه لا يغفل عن تسجيل الشكر للذي أعانه ولو بكلمة ، نقيضاً لما نرى من يسطون على أتعاب غيرهم ولا يشيرون إلى أصحابها بكلمة .

فتحية خالدة لهذا البحاث الجليل ، وشكراً على ما قدم إلى التاريخ عامة وعلم الأنساب خاصة ، من خدمة ، وتهنئة حارة لمحقق :

أ - « جمهرة النُسب » ،

ب - « النسب الكبير » ،

بهذه الصورة الداكنة الوضيفة .

عمان : روكس بن زائد العزيزي

« زاد الرفاق »

سُحِّتْ لي سائحة زرت خلالها القاهرة ، بعد تقديم وصف المخطوطة المجهولة الاسم للنشر ، في هذه المجلة^(١) ، وكنت قد عرفت بأن مخطوطة من كتاب « زاد الرفاق » في دار الكتب المصرية ، ولما لم يتسَّن لي الاطلاع على هذه المخطوطة أثناء زيارة هذه الدار ذهبت إلى معهد المخطوطات في القاهرة فوجدت النسخة مصورة فيها ، كما وجدت نسخة أخرى أقدم منها مصورة أيضاً ، فتمكنت من الحصول على صورتيهما ، وعلى دراستهما ومقابلتهما على المخطوطة التي وصفتهما في المجلة ، فظهر لي من ذلك أن الثلاث النسخ لكتاب واحد هو « زاد الرفاق » للأبيوردي ، إلا أن نسخة مكتبة (دير الاسكوريال) لا تحوي من الكتاب إلا ما يقارب الثلث الأخير منه ، ونقص آخره يسير ، ولكنه لا يحوي النص الذي ورد فيه اسم الكتاب ، كما ورد في النسختين الأخريين بهذا النص : (وقد أوردت وأصدرت ، وأكثرت حتى أضجرت ، وبعثت إليك بهذه الأوراق ، موسومة بـ « زاد الرفاق ») - نسخة لاللي في استنبول رقم ١٧٨٦ ص ٣٠٣ ، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٨٢ أدب ص ٦٢٣ - .

ومقدمة النسختين تتفق مع المقدمة التي ذكرها صاحب « كشف الظنون »^(٢) للكتاب المذكور ، وقد نص الذهبي على عدّه من مؤلفات الأبيوردي ، ونقل عن ابن الخشاب مانصه^(٣) : (قرأت على عبدالرحيم بن الإخوة ثلاثة أجزاء من أول كتاب « زاد الرفاق » للأبيوردي ، وهذا الكتاب - نَعَمْ والله - باردُ الوضع ، مشوبٌ أدبه بفضولٍ من علومٍ لاتعد في الفضل ، دَالَّةٌ على أن الأبيوردي كان مُخْرِقاً مُجِياً لِأَن يَرَى بعين مُفَتَّنٍ ، مُتَشَبِّعاً بما لم يُعْطَ . انتهى . ومعروف أن ابن الخشاب - مع ما وصم به من صفات يُربأ بأهل العلم عنها - كان يتناول على الفضلاء منهم ، وينتقص ذوي المنازل الرفيعة^(٤) - وهذا لا ينافي تبخره بعلم النحو ، ومعرفته بغيره من علوم أهل زمانه . ولعل أكثر إنصافاً منه لهذا الكتاب أخذ العلماء المتأخرين ، فقد نقل أستاذنا الدكتور إحسان عباس في تحقيقه لكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ. أَخْبَارُ عِبَادَاتِهِ أَنْ لَسْتُ أَقِيلُ
 بَشِيرَةً أَوْ بَلِيغَ الثَّرَايَ قِيمَتَهَا، عَلَامُ أَيُّهَا الْأَخِ وَقَالَ اللَّهُ الْمُحْدَوْنُ وَلَقَاكَ فِي مَقَامِكَ
 الشَّرُّ مَرْتَضَايَ الْجَنِّ وَمُرْقِيَهُ فِي الْمَقَاطِعِ وَلَا تَبَاهِي الثَّرَا وَالْعَبَقُ بِالْمَطَالَةِ
 فَالْكَ، عَلَى الْمَجْمُوعِ خَيْرًا. وَبَطْنِيَةِ الْخُذْرِ مَسِيرَةً. وَمَتَى ابْتَدَعْتَ مِنْهُ الطَّبِيعَةُ حَتَّى تُثَلِّ
 فَيَا قَوْلَ ابْنِ رُبَيْعَةَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الثَّرَا مَهْلًا عَمَلُكَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ مَتَى ثَابِتَةً قَرَامًا مُخْتَلِفَةً
 وَمُمِيلَ إِذَا اسْتَقْلَّ بَارَنَ فَجَاءَتْكَ عَنْ وَصِيلِ هَذَا الْأَنْشِ مِنْ خَصَائِصِهِ وَكَتَبْتُ فِيهِ وَفَاءً
 التَّابِعِ بِغَلَايِصِهِ فَإِنْ زُرْتُ دَارَكَ تَرَخْتُ أَخْبَارَكَ أَوْ قَرَّبَ مَرَاكَ لَمْ يَوْضُقْ
 صَدْرَكَ وَازْدَوَاكَ وَكَمْ زُرْتَنِي مُبَكَّرًا وَيَمْتَسْنِي مُعْتَبِرًا وَمَهْجَرًا أَوْ ضَرَبْتَ أَتَى الْكَأْبِ
 الْمَطْعَى وَطَوَيْتَ غَوْلَ الْبِلَدِ الْبَطْنِيَّ بِنَابِلِيَةِ الْإِخْفَافِ عَنْ شَعْفِ الذَّرَى بَالِغًا لِمَا رَجَبُ
 فَادُّ بَرَعِيكَ وَأَقِيلَ هَرِيرَكَ وَادْفَنْ مَرَاةَ الْبَيْنِ وَبَلِّكَ إِلَى رَشَاقِ الْأَعْدِيَا
 وَالْمَشْكُ قَمِيئَةً الْأَبْرِيقِ وَأَضْرِبْ صَفْحًا عَنْ رِعَايَةِ الشَّدِيدِ وَالْإِخْلَاقِ لَا يَمْلِكُ
 وَلِلْكَرِيمِ ذِمَّةٌ لَا تُخْفَرُ وَأَنْتَ تَلْجُفُ بِجَلَابِ الْكَلَامِ وَتُزَوِّجُ ابْنَةَ الْعَيْشِ بِابْنِ الْغَمَامِ
 حَتَّى تَرَى الْفَجْرَ يَنْشُرُ صَغِيرَتَهُ وَتَسْمَعُ ذَا الرِّغْنَاتِ بَرْقَ عَقِيرَتِهِ وَيُنَادِيكَ مُطَوِّقَةً بِكَابِ
 وَأَنْتَ مُنْزَمٌ بِقَوْلِهِ نَوَاسٍ: نَجْوَتْ مِنَ الْقَبْرِ الْمُغِيرِ سَيْفُهُ إِذَا مَارَاةً بِاتِّجَارِ سَبِيلِ
 وَأَصْلَتْ خَمَارًا عَلَى مَحْمَرَةٍ فَرَاخَ بِأَوَانِهِ وَرَحْتَ أَيْلَ وَكَأَنَّهُ نَظَرٌ فِي اسْتِمَالِ لَمِيلٍ إِلَى
 أَبْيَاتِ زَيْدِ الْحَيْلِ يَا بَنِي الصِّدْقِ رَدِّ وَافْرُوسِي. (أَنَا يَفْعَلُ مِنْهَا بِالذَّلِيلِ
 عَزَّوَدَا مَهْرِي الَّذِي عَوَّدْتَهُ دَجْلَ اللَّيْلِ وَابْطَاءَ الْقَبِيلِ أَهْلُ الرِّزْقِ عَلَى بَنِيهِ
 وَاجْرَأَ الرِّفْعَ نِسْوَانِ أَيْلَ وَأَنَا أَدْرَعُ الْغِيَا هَبْ وَاتَّبِعْ بِمَنْشَى الْكَوَاكِبِ وَمَا يَفْرُقُ اللَّيْلُ
 الطَّوِيلَ وَمِمَّا مِنَ النَّاسِ الْأَمِنْ نَجْمُ أَوَانَا وَأَيْتُ مَسْجُورِ الْجَوَانِحِ بِهِمْ تَحْرُثُنِي نَارُ
 مَرْيُومِ الزَّادِ بِدَمِجٍ تَفْرُقُنِي نَيْتَارَةً وَتَنَادُنِي أَشْجَانُ تَبْرَحُ بِالطَّرَفِ السَّاهِرِ وَتَدْنِيكَ
 نَشْوَنُ يَفْرُدُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ وَكَأَنَّ النَّدِيمَ يَكْرَعُ بِالزَّهَرَةِ مَكُونُ نَمِجَةٍ وَنَشْدِيدِيَا
 وَجِشٍ وَقَدْ تَقَوَّيْتُ بَنَاتِ نَعِشٍ وَنَدَانِ صَدِيقَةٍ بِمَجْدٍ كَرِيمٍ الْعَجَاةُ وَرَجَبُ الْعَطَلِ.

(أول الكتاب من خطوطه لالي)

«وفيات الأعيان» - ٤ / ٤٤٩ - في ترجمة الأبيوردي - ما هذا نصه : بهامش (ن) بخط غير خط الأصل : (وقفت على مؤلف له سباه ب «زاد الرفاق» واستصحبته بحمد الله سبحانه وتعالى ، وهو من الكتب الممتعة ، ويشتمل من نوادر الظرف والآداب على ما يروق العميون ويُعجب الأسماع ، وحرره الفقير عارف) .

والواقع أن الكتاب لم يَحُلْ من التباهي وإبراز التمكن في العلم في مقام الافتخار ، ولكنه مع ذلك يحوي علماً غزيراً ، وأدباً جَمّاً ، وليس كما قال صديقنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم^(٥) : (إن هذا الكتاب يشتمل على مناظرات مع أرباب النجوم ونقد لحججهم) . حقاً إن فيه نصوصاً قليلة في إبطال مزاعم من يعتقد بأن للنجوم تأثيراً في الكون ، وفيه فصل مطول عن علم النجوم عند العرب يدل على سعة اطلاع مؤلفه في هذا الشأن ، ولكنه لا يحوي مناظرات مع أرباب النجوم ، وإنما ساق ذلك مساق المبين لاستيضاح أحد تلاميذه .

وهذا التلميذ وهو يدعوه في أول الكتاب : أخا : (علام أيها الأخ) ويعاتبه على جفائه وقلة زيارته ، وميله إلى (ارتشاف الأغذيين ، وتَلَهِّيهِ بَقَهْقَهة الإبريق) ويظهر أن هذا ممن أسرف على نفسه بمعاورة بنت الحان ، حيث ختم الكتاب بنصحه عن الاقلاع عن ذلك (فمالك عقير العقار ، وهلا اقتديت بالصالحين الأخيار) . ويظهر أنه ينحو منحى الفلاسفة : (وانتهجت سنن سقراط في زهده فهو إمامك) .

وهذا الذي وجه إليه الأبيوردي الكتابَ بشكل رسالة من أهل (جَنَزَة) قال عنه^(٦) : (وقد فارقت الوطنَ لتكون في العِلْمِ نارا على عِلْمٍ ، وتسود به في بلدتك وهي (جنزة) القاصرة عن الإحاطة بوصفها الألسنُ ، والآهلة بما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين ، وهي أول أرض مسك تراها) .

وجنزة هذه على ما ذكر صاحب كتاب «بلدان الخلافة الشرقية»^(٧) : (من إقليم الرّان كانت تعرف باسم كنجة وتسمى اليوم اليزابيث بول (Elizabet Pol) .

وقد ذكر صاحب «معجم البلدان» جنزة بأنها أعظم مدينة بِأَرانَ ، وعد ممن خرج منها من أهل العلم أبا حفص عمر بن عثمان بن شعيب الجنزري ، أديب

في الصحاح رقيب النجم الذي يعني بطريقه مثل النجم
قريبه الاكمل اذا طلعت النجم يا عشتار يا عشتار
يا عشتار يا عشتار يا عشتار يا عشتار يا عشتار

الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وفي الأساس وطلع رقيب في الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبي محمد
الثريا وهو البرزخ لانه فيها لا يفارقها ابدًا فلا يزال رقيب عليها او تلقى الثريا رقيبها
الطوبى لها ويقال لا اتيك اوتلقى النجم ورقيه في المقاطع ولا تهاى الثريا والعروق بالمطال فالك
وقوله احقاي يكون حفا حتى نمل فينا بقول ابي ديبعة شعر
او تعتقدون حفا
الصبوق تطلع مع الثريا قالوا ان
صديا والملاسة باشى كالنجم والصبوق
ما طلع معها وصدى قبيلة
اي ملومة ابدًا وفي الصحاح
الهيون نجم احمر مضيء طرفه فان شربت دارك تراخت اخبارك او قرب مزارك لم يؤمن صدك وزورك
المجرة نحو الايمن يتلو الثريا لانه
قوله مبكرا قال شنة الثريا يقول البلد النقي في الجهد هو لذي الامة
به ياتي الاصطبار فيحفظ
على الابتكار
بنابة الاخفاف عن شعب الذرى سال تواليا رحاب جنوبها
فادبر غريرك واقبل فريرك واذفتى مرارة البين وملت الى ارتشاف الاعداء
والهتك فقهمة الابريق واضربت صفحا عن رعاية الصديق والنجاء

الارض

في

فاضل ، متدين ، قرأ الأدب على الأديب أبي المظفر الأبيوردي ببغداد وهذان .
ومثل هذا ورد في كتاب «الأنساب»^(٨) للسمعاني .

أفترى هذا الجزري هو الذي وجه إليه الأبيوردي كتابه «زاد الرفاق» ؟! لولا
وصفه بأنه (فاضل متدين) لصح هذا ، ولكن يظهر أن من أهل تلك البلدة من
تلقى العلم عن الأبيوردي غيره أو أنه أطلع عما كان يعييه ، وارتدى رداء من
الفضيلة والدين لستر عيوبه .

ولا أدري هل الاستنتاج من جملة : (وترى حاسدك يا أبا المقيم للمقيم المقعد،
وتكون لك يامسافر كالزاد للمسافر) أن اسم ذلك الجزري (مسافر) وكنيته (أبو
المقيم) ؟!

زمن تأليف الكتاب : يظهر أن الأبيوردي ألف هذا الكتاب بعد أن بلغ
الأربعين سنة من عمره ، على ما يفهم من هذه الجملة : (وقد مُنِيتُ بِمَسَاوِرَةِ
الحاسد ، في هذا الزمان الفاسد ، والعشرون تُرَضِّعُنِي أَخْلَافُهَا ، وَهَلُمُّ جَرًّا إِلَى
الأربعين وقد ألبستني أعطافها)^(٩) .

موضوع الكتاب : هو من كتب المحاضرات التي تجمع مختارات متنوعة من
التاريخ والأدب ، ومقاطيع شعرية ، وأبحاث لغوية ، ويكاد يغلب سرُّ المفردات
اللغوية على هذا الكتاب ، بحيث تشمل خيِّراً واسعاً منه ، مع تنوع محتوياته ،
وإيراد كثير من الأمثال ، ومن غرائب الأخبار والأشعار القديمة والحديثة ، ويمتاز
في ذلك على كثير من المؤلفات في هذا الشأن ، وبأنه ينقل عن نصوص أصيلة ،
فهو ينقل عن خط أبي عمرو اللغوي صاحب ثعلب^(١٠) ، وينقل عن خط صاحب
«الأغانى»^(١١) .

ومن طرائف القصص التي أوردها ولم أرَ لها ذكراً فيما اطلعت عليه من المؤلفات
قوله^(١٢) :

(وسألتني عن قصة صولة في قول الشاعر :
سائلوا صولة هل نبهتُها ؟

فبذلت المستطاع من المساعدة والمرافدة في إيرادها ، وإن أفحش الشاعر فيها
قاله ، وأمنت البائسة كَيْدَهُ واحتياله ، وكانت تُذْنِيهِ لِمَا يُظْهِرُهُ من حسن سيرة ،
ولا تشعر فيها بخفيه من قبح سريرة ، ولم يكن لها مُغَازِلًا ، فكيف ذكرها مُبْتَهَرًا
وهَا زِلًا ، والله در الكُمَيْت ، فقد سحرني بهذا البيت :

قَبِيحٌ بِمِثْلِي نَعْتُ الْفَتَاةِ إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِشَارًا

قال الشعبي : كانت لمعاوية جارية اسمها صولة ، وكانت ثقة عنده ، وكان
الشعراء يتتابونها لكثرة عطائها ، وفيهم فتى ناسك ، وصولة تَمِيلُ إليه لدبانته ،
فقال لها ذات يوم : إني مُضَيِّقٌ ، فَخُذِي هذه الرقعة فإن رَأَيْتِ خلوةً فادفعيها إلى
أمير المؤمنين ، فأخذتها فدفعتها إليه في بعض خلواته ، فقرأها ثم قال : ما أحسبه
إلا كاذبًا . فقالت صولة : حاشاه يا أمير المؤمنين ! ، مثله لا يكذب ، بل هو
صديق ، قال لها : أتدريين مافيها ؟ قالت : لا . قال : فاسمعي فإن كان صادقًا
فقد هتك الله سترك على يديه ، قالت : مافيها يا أمير المؤمنين ؟ قال فيها :

سَأَلُوا صَوْلَةَ هَلْ نَبَّهْتُهَا بَعْدَمَا نَامَتْ بِعَرْدٍ ذِي عُجْرٍ ؟
فَتَبَارَزْتُ فَتَبَارَزْتُهَا جَلْسَةَ الْحَازِرِ يَسْتَجِي الْوَتْرُ

فقالت : كذب عَدُوُّ الله ، وقد نسب بعضُ الأمويين هذا الشعر إلى عبدالرحمن
ابن الحكم ، والشعبي أدى لما يعيه ، وأعلم بما يرويه ، وكم بأرض فلان من هاد
وهيد) .

وأضاف في موضع آخر^(١٣) : (وقال عوانة : طلب ابنُ الزُّبَيْرِ إلى معاوية حاجةً
فلم يقضها ، وكانت لمعاوية مولاة ظريفة لها منه منزلة ، يقال لها صولة ، فوقف
ببابها ، فمرَّ به عنبسةُ بنُ أبي سفيان ، فقال : ما يقفك هاهنا ؟ ما هذا بموقف
مثلك !! فقال ابنُ الزُّبَيْرِ : إذا طَلَبْتُ الأمور من أعاليها فَأَعْيَتْ فاطلُبُها من
أسافلها ، وقال يحيى بن سعيد الأموي : شُكِّي إلى عمر بن عبدالعزيز عماله
فشاور فقليل له : عليك بأهل القدر من الناس ، وقال ارسطوطاليس : لم يضع
رئيسُ صِنَاعَةٍ إلا في شَرِّ زَمَانٍ وَأَخْسُ سُلْطَانٍ .

ويتسع المجال لو حاولت تقديم أطراف من الأخبار أو الأشعار أو الحكم أو المفردات اللغوية التي يحويها هذا الكتاب ، ولعل الله أن يهيء له من يتولى تحقيقه ثم نشره ، ولا أجدر بذلك من علماء مجمعنا الكريم (مجمع اللغة العربية بدمشق) فلصاحب الكتاب آصرة تربطه بهاؤلاء العلماء الأجلاء ، وفي الكتاب نفسه ما ينم عن طيب خيم وعن وفاء لبلاد الشام ولأهلها .

النسخ المخطوطة : عرفت منها ثلاثاً : إحداها تقدّم وصفها ، وهي في مكتبة (دير الأسكوريال) والثانية في تركيا في (مكتبة لاللي) والثالثة في (دار الكتب المصرية) وعند مقابلة النسخ الثلاث اتضح لي أن كل نسخة منقولة عن أصل مغاير لأصلي النسختين الآخرين .

١- نسخة لاللي (في استنبول) :

في المعلومات التي سجلتها بعثة التصوير من معهد المخطوطات أنه صور سنة ١٩٤٩م في استنبول في المكتبة السلمانية وأن رقم شريطه (١٠٥) وأن رقم الكتاب (١٧٨٦) وأنه نسب للزنجشري خطأ ، وأنه كتب في القرن السابع في ١٥٥ ورقة عنها ٣٠٤ من الصفحات قياس ١٩٤ × ١٣٢ في الصفحة ٢٣ سطرًا بالقلم النسخي ، وكثير من الكلمات مضبوطة بالحركات ، ومع جمال الخط لا يخلو من التحريف أو النقص في بعض الكلمات .

وفي طرة الصفحة الأولى (كتاب «زاد الرفاق» لجار الله العلامة) ثم أسماء بعض من ملكوا النسخة ، وهي تتفق في المقدمة مع ماورد في نسخة (دير الأسكوريال) التي تقدم وصفها وتنتهي بالبيتين :

إذا كنت يوماً خائفاً أو مُحَوَّلاً ولاقيت عمرانَ بنَ مُرَّةٍ فانزِلِ
هو الغيث والشهر الحرام وضامنٌ لك الدهرُ إنْ أنحى بِنابٍ وكلُّكَلِ

تم الكتاب .

ومن عيوب هذه النسخة عدم وضوح كثير من الصفحات في أولها ، إما لقدم الأصل ، أو لرداءة التصوير .

اذا كنت يوما خائفاً او متحولاً ولاقيت عمر بن مرة فانزل
مواقيت الشهر الحرام وضامن لك الذم ان انجي بكتاب وكل كل

(الصفحة الأخيرة من مخطوطة (لاللي))

اذا كنت خائفاً او متحولاً ولاقيت عمران بن مرة فانزل
هو الغيث والشهر الحرام وضامن لك الدهر ان انجي بكتاب وكل كل

تم كتاب هذا الرقاق بعون الملك الخلاق
الذي يحب ان يذهب بالنز على الا حادق
لان يحبر بالحبر على الا وراقت

على يد افقر الوري واضوحهم

الى من يرى ولا يرى مصحى

المشتق الامام غفر الله له

ولوالديه جميع الذنوب

والايتام في دار السما

اسلامبول العامة

١٤٢٦ جماد الاول

١٤٨٨هـ



(الصفحة الأخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية)

٢- نسخة دار الكتب المصرية :

رقمها في الدار ٥٨٢ أدب وتقع في ٣١٥ ورقة في الورقة صفحتان وفي الصفحة ١٩ سطراً والخط نسخي واضح ، وتزدان كثير من صفحات الكتاب بحواشي توضح معاني بعض الكلمات ، أو تنسب الشعر لقائله ، أو تبين أصل اقتباس الشاعر ، ويظهر أنها نقلت عن نسخة قديمة حيث ورد في آخر حاشية الورقة الثالثة ما هذا نصه : (فلتحرر تلك الحاشية من مظانها فإننا لم نقلها وأمثالها إلا حرصاً على الفائدة واعتماداً على أنكم تحرورنها وإلا فغالبا كما تروا) (؟) ناقصة حيث أنها قديمة الخط) . ووردت كلمات أخرى في نهاية بعض الحواشي بهذا المعنى ، وناسخ الأصل وكذا ناسخ الحواشي لا يحسنان ما ينقلان ، ولهذا قل أن تخلو صفحة من صفحات هذه النسخة من الأخطاء ، ويبدو أن واضع الحاشية فارسي أو يحسن اللغة الفارسية لأنه يورد منها جملاً كما في هامش ص ١٠٤ حيث أورد: قال خالق المعاني كمال الدين إسماعيل الأصفهاني :

موى سغيد ست خرد رانذير
أي عاقل ارزمانه بك موى بندكير

وانظر حاشية ص ١٢٨ أيضاً. وآخرها بعد البيتين الواردين في نسخة لالي : (تم كتاب «زاد الرفاق» بعون الملك الخلاق الذي يحق أن يُذْهَبَ بالتبر على الأحداق ، لا أن يُجَبَّرَ بالحبر على الأوراق ، على يد أفقر الوري وأحوجهم إلى من يرى ولا يرى ، مصطفى الدمشقي الامام ، غفر الله له ولوالديه جميع الذنوب والآثام ، في دار السعادة اسلامبول العامرة في ١٢ جمادى الأول سنة ١٢٨٨) . وفي هذه المخطوطة نقص ورقة أو ورقتين ، قد يكون ناشئاً عن التصوير الذي كرر بعض الأوراق .

٣- نسخة مكتبة دير الاسكوريال :

— تقدم وصفها — وهي لا تحوي من الكتاب سوى ما يقارب الثلث من آخره ،

عزير ملك الحبشة
وطاهر بن قاسم بن قاسم
بن قاسم بن قاسم بن قاسم
بن قاسم بن قاسم بن قاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد الراغب في رد العلم

وَأَمَّا الْفُلُ فَأَنزَلْنَاهُ ذِكْرًا لِّعِبَادِنَا
فِي الْبَحْرِ وَنُفِثْنَا بِهِ أَلَمًا لِّقَوْمٍ ظَالِمِينَ

تال لاء: اراہم

لفظ

عن حماد بن عمار

سُبُّ وَلَسْتَ اِدرى

أي: لرجلي أنا

عبد السلام اخا طربہ

هو الذي قال لا اله الا الله وان نوح

قالت له فقال له

انا امير المؤمنين صاحب ديه

و این

المجلس الوطني
العلمي

فلیحفظ

وَمِنْ خَرَرٍ

۱۰ افتاد و محاسن

البر اعنة الاحدق

لَا يَخْلُقُ إِلَّا مَا يَشَاءُ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

البراعة الواحد

عَنْ عَلِيٍّ

بسم الله الرحمن الرحيم

7.3.1.

1. *Introduction*

حيث يبتدئ الخرم من الورقة الثانية بعد جملة: (وتزوج ابنة العنب بالغمام حتى ترى) والذي يتصل بهذه الجملة هو: (الفجر ينشر ضفيرته) ولكن الذي في هذه النسخة هو: (منه وبدا نجيث القوم) والجملة هذه تقع في الصفحة الـ (١٨٥) من نسخة لاللي ، والصفحة الـ (٣٨٢) من نسخة دار الكتب المصرية ، فكأنها تنقص هذا العدد من الصفحات في أول الكتاب ، أما آخره فإن آخر صفحة منه وهي الصفحة الـ (١٧٠) تنتهي بكلمة: (وقول أمية:

والشمس تطلع كل آخر ليلة).

ويتبعها في النسختين الآخرين:

هراء يُصبح لونها يَتَوَرَّدُ

ثم مايقارب ورقة واحدة هي آخر الكتاب .

الرياض: حمد الجاسر

الحواشي :

- ١ - «العرب» ص ٢٣ ص ٦٤٧ ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٦٣ ج ١ ص ٢٢ إلى ٤١ .
- ٢ - ٩٤٥ وقد ورد فيه أن وفاة الأبيوردي سنة ٥٥٧ وكذا عند ابن خلكان «وفيات الأعيان» ٤ / ٤٤٩ منصوصاً على ذلك باللفظ (سنة سبع وخمسين وخمس مئة) ولكن أستاذنا الزركلي - رحمه الله - في «الأعلام» - ٦ / ٢٠٩ - خطأ هذا وقال: إنه من خطأ الطبع . وقد تنبه إلى هذا المستشرق بروكلمان فأشار إليه في ترجمة الأبيوردي في «دائرة المعارف الإسلامية» .
- ٣ - أنظر ترجمته في «معجم الأدباء» ١٢ / ٤٧ ومابعدها .
- ٤ - هامش «إنباء الرواة» ٣ / ٥٠ .
- ٥ - الورقة الـ (٢٩٦) النسخة المصرية .
- ٦ - ٢١٣ . ٧ - ٣ / ٣٥٥ .
- ٨ - الورقة الـ ٦٨ النسخة المصرية .
- ٩ - الورقة الـ (٢٥٠) النسخة المصرية .
- ١٠ - الورقة الـ (٢٢٩) النسخة المصرية .
- ١١ - الورقة الـ (٣) نسخة الاسكوريال .
- ١٢ - الورقة الـ (١١٧) نسخة الاسكوريال .

« قبيلة مزينة في الجاهلية والإسلام »

اطلعت على نسخة من الكتاب الموضح اسمه بعاليه لمؤلفه الأخ الأستاذ : مساعد بن مسلم البهيمية الحصني المزني الحربي . وقد سررت جداً لصدور مثل هذا الكتاب باعتباره رافداً هاماً من روافد مصادر تاريخ قبيلة حرب وأنسابها ، فمزينة تلك القبيلة العريقة تعتبر اليوم بطلاً من بطون قبيلة حرب ، لا أحد يجادل في ذلك ، ولكن مع احتفاظ مزينة بنسبها وتاريخها .

ولذلك فإن قيام أي مخلص من أبناء القبيلة بكتابة مآلديه من معلومات عن الفخذ أو البطن الذي ينتمي إليه لاشك يمثل مصدراً أكثر دقة وتفصيلاً ، ولو قام من كل فرع من القبيلة أحد أبنائه بتأليف كتاب مفصل عن ذلك الفرع لتكون لدينا في النهاية موسوعة متكاملة عن نسب القبيلة الأم ، وعن تاريخها وبلادها ، وهذا هو المأمول من أبناء قبيلة حرب وغيرها .

وكتاب الأخ مساعد بن مسلم يعتبر من الكتب القيمة بشكل عام ، من حيث الفكرة والأسلوب والإخراج ، ولعل هذا أقل ما يقال فيه .

غير أنه من المؤسف حقاً وجود بعض المآخذ على مثل هذا الكتاب القيم ، والمتعلقة ببعض النقاط التي كنا نتمنى لو أن المؤلف لم يخض فيها ، ولم يتعرض لها بهذا الأسلوب الذي قلل من قيمة الكتاب ، بل أساء إلى صاحبه أولاً وإلى القبيلة ثانياً .

وسوف نحاول فيما يلي إيراد بعض الأمثلة على هذه الملاحظات والرد عليها فنقول وبالله التوفيق :

أولاً : لم يوفق المؤلف إلى الطريق الصحيح ، والأسلوب العلمي في الرد على ما يعترض عليه مما ذكره الأستاذ عاتق بن غيث البلادي مؤلف كتاب « نسب حرب » فضلاً عن عدم اهتدائه للرأي الصحيح فيما يتعلق بنسبة حرب إلى قحطان ، على النحو التالي :

١ - أنه لم يكتف بمخالفة رأي البلادي بل عمد إلى تسفيه رأي البلادي وحكم بعدم صحة ما أورده الهمداني حيث قال : (والحقيقة أن البلادي لم يتحرّ الدقة في ذلك والتثبت ، وهذا هو الذي نأخذه عليه) إلى أن يقول : (ولم يكلف نفسه البحث اللازم لهذا الموضوع) انتهى ما اخترناه من كلام المؤلف .

وهنا نقول : إن الذي لم يتحرّ الدقة هو الأستاذ مساعد بن مسلم - سلمه الله - وليس الأمر كما ذكر للأسباب التالية :

أن البلادي قد اجتهد في تحري الدقة فعلاً فلو رجعت إلى كتابه لوجدت أنه قد استعرض عدداً لا بأس به من كتب النسب ، حيث يتضح ذلك مما أورده في مقدمة كتابه فما هو بعد أن سُمي بعض هذه المصادر ، واستعرض ما فيها يقول بالحرف الواحد : (وهناك روايات كثيرة في كتب المتقدمين والمتأخرين لو أوردها لأخذت حيزاً كبيراً من هذا الكتاب) .

أقول : لكن البلادي اختار من هذه المصادر أقربها إلى الصحة والواقع ، وهو ما ذكره الهمداني الذي هو ابن الجزيرة ، والعالم بأنساب اليمن بالذات ، فكان قوله هو الفصل ، كما أن الهمداني قد دُعِم أقواله بشواهد وأدلة منطقية كافية كالقصص المفصلة والمؤيدة بالأشعار والأخبار ، وبأسماء الأشخاص والأماكن ، بشكل لا يتطرق إليه الشك لمن ألقى السمع وهو بصير ، وبإليت الأخ مساعد بن مسلم أورد لنا (الشواهد الأخرى من التاريخ) التي يذكرها لكي تؤيد ما ذهب إليه .

أما ما ذكره الأخ مساعد من أنه نقل عن الإمام الجليل ابن حزم وعن البغدادي والقلقشندي ومن هذا حذوهم من أن قبيلة حرب ترجع إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية ، فهذا الذي يحتاج إلى دقة وتثبت فكيف نعول على قول الإمام ابن حزم وهو فارسي الأصل ، اندلسي المولد والمنشأ في نسب قبيلة عربية شرقية يمنية لم يذكرها إلا في سطر واحد .

وليعلم الأخ مساعد أن أولئك النسابة الذين ذكرهم قد نقلوا ما كتبه الهمداني على علاقته ، ثم نقل بعضهم عن بعض ، وقد صدق فيهم قول الأستاذ سمير

عبدالرزاق القطب مؤلف كتاب « أنساب العرب » حيث قال : (وَهَمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِي أَنْسابِ الْعَرَبِ حِينَما نَسَبُوا قَبِيلَةَ حَرْبٍ إِلَى الْعَدْنَانِيَةِ وَمَنْشَأَ هَذَا الْوَهْمِ :

١ - أنهم رأوا هذه القبيلة تقطن مواطن العدنانية القديمة وهي أقوى من يقطن بين مكة والمدينة .

٢ - أنهم رأوا أن بعض القبائل العدنانية قد انضمت إليها ودخلت فيها مثل مزينة .

٣ - أن كثيراً من المؤلفين عن الأنساب يكتبون وهم بعيدون عن مواطن القبيلة .

والصحيح أن حرباً يرجعون إلى خولان من قحطان) انتهى ما اخترناه من كلامه ص ٥٧ .

وأخيراً وليس آخراً فإن التمسك بهذا الرأي الخاطي لا يقتصر على تسفيه آراء البلادي وحسب بل يتعداه إلى علماء أجلاء سوف تُسمي بعضهم :

١ - الشيخ حمد الجاسر .

٢ - الشيخ النسابة عبدالله بن عبدالرحمن البسام صاحب كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون » .

٣ - الباحث اليمني الأستاذ أحمد حسين شرف الدين في كتابه « دراسات في أنساب قبائل اليمن » .

٤ - الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل أستاذ التاريخ وأمين جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في تحقيقه لتاريخ ابن ربيعة وتاريخ الفاخري .

٥ - الأستاذ فؤاد حمزة في كتابه « قلب جزيرة العرب » الطبعة الثانية .

٦ - الشيخ حمد الحقييل في كتابه « كنز الأنساب » الطبعة العاشرة .

وأكتفي بهذا العدد آملاً أن يكون كافياً لإقناع الأخ مساعد بن مسلم ، وإني

لأتساءل : هل كان قد اطلع على رأي هاؤلاء عندما عارض رأي البلادي
ولا أقول إلا :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم .

إلا أن يكون المؤلف أعلم من هؤلاء بالأنساب !!

ثانياً : يقول الأخ المؤلف : إنه في حيرة من أمره : (إذ لا يمكن لقبيلة عدنانية
أن تحالف قبيلة قحطانية يمنية مع وجود قبائل عدنانية بجانبها قوية مثل بني أسد
وبني تميم وبني سليم . فهلا اجتمعت هذه القبائل العدنانية على إخراج حرب
وردها إلى اليمن) .

أقول : والصحيح أن الأمر هنا لا يحتاج إلى كل هذه الحيرة ، فالخلف بين
القبائل لا يخضع لنسبها وإنما تحدده عوامل القوة والضعف والظروف السياسية
والاقتصادية والجغرافية للقبيلة في ذلك الوقت ، وتلك القبائل التي ذكرت لم تكن
في أوج قوتها ولم يكن بينها تحالفات قائمة إذ ذاك حتى تتحد ضد تلك القبيلة أو
غيرها فانهتى الأمر على ما انتهى إليه ، وكل شيء بمشيئة الله .

ثالثاً : يقول المؤلف في موضع آخر : (وهنا يتضح غلط الهمداني ومجانبة
للصواب حيث قال : إن حرباً ست مئة ومزينة خمسة آلاف ، فمن غير المعقول
أن تهزم بني أسد ثم تهزم مزينة ، وعلى أثرها سليم ، وكلها قبائل عدنانية أصلها
واحد ، وعدوها الذي يخرجها من ديارها واحد ، قوامه ست مئة مقاتل . . ثم
أين ذهبت الدولة الإسلامية التي كانت حاكمة في ذلك العصر ؟) .

وهنا يجب التنويه بأن هذا الكلام على إطلاقه غير صحيح ، فالهمداني
والبلادي لم يقولوا إن حرباً كانت في يوم من الأيام ست مئة رجل ، وقبل مغيب
شمس ذلك اليوم تغلبت على عزة ومزينة وسليم وبني أسد ، بل قالوا : إن حرباً
كانوا ست مئة رجل عندما اشتبكوا مع ناس من عزة وانتصروا عليهم ، ثم
ناصبتهم مزينة العداء أي بعد ذلك والله أعلم كم استغرق ذلك من السنين ،
لكن الأمر انتهى باشتباك القبيلتين فيما بعد ، وكان عدد مزينة خمسة آلاف ولم

يحدد عدد حرب . . وبعد هذا الانتصار بمدة غير معلومة اشتد العداء بين حرب وبين بني الحارث وبني مالك من سليم - وليس كل سليم - فاشتبك الطرفان ، وكان عدد القوم من سليم أربعة آلاف ، وانتهى الأمر بانتصار حرب أيضاً وتغلبها على تلك البلاد ، والمعروف أن الانتصار يصنع الانتصار . . وقد استغرقت كل هذه الحروب التي أدت إلى اشتداد شوكة حرب ما يقارب قرنين من الزمان حيث يقول الهمداني : (فلما غلبت بنو حرب على تلك البلاد ، وقهرت غيرها ، تعلقت بها قريش بإصهارها . . إلى أن يقول : فلم يسرها - أي تلك البلاد - أحدٌ إلا بخفارتهم ، وكان المقتدر بالله يبعث إليهم بالمال في خفارة الطريق) .

فإذا ما اتفقنا على أن حرباً نزلوا الحجاز في حدود سنة ١٣١هـ فإن حكم المقتدر بالله انتهى سنة ٣٢٠هـ والله أعلم .

أما فيما يتعلق بتساؤل المؤلف عن دور الدولة الإسلامية حينئذ ، فهو قد أجاب على نفسه بتناقض واضح إذ نجده يقول في ص ٣٥ : (إن قبائل العرب لما قامت الدولة العباسية رأت منهم ضعفاً عن عرب الجزيرة حيث تركتهم ينحر بعضهم بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً مما أدى إلى تحالف القبائل التي كانت في الحجاز كلها) انتهى ما اخترناه من كلامه .

وإذا كانت كل هذه الأمور لا تُقْنِعُ المؤلف فأين غاب عنه قول الله تعالى :

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . وهنا يتضح أنه قد تسرع كثيراً في حكمه على بطلان قول الهمداني ، ولم يفهم ما عناه من أن تلك الانتصارات لم تتم بين عشية وضحاها ، وعلى يد ست مئة رجل فقط .

رابعاً : يقول المؤلف في صفحة ٣٥ من كتابه : (والذي يهمننا من هذا كله هو أمر مُزينة ، فبعد أن قُسِّمَتْ حربٌ إلى هذا التقسيم ، ووزعت هذا التوزيع فلا ضير على مُزينة العدنانية أن تذكر نسبها بوضوح ، وأن يكون لها تاريخها الواضح الجلي ، الذي لا يستطيع أحد أن ينكره .) انتهى ما اخترناه من كلامه .

ولاشك أن هذا استنتاج في غير محله ، وسوء فهم واضح من المؤلف فلم ينكر أحد من حرب - سواء البلادي أو غيره - نسب مُزينة وأرومتها وعراقتها ، كما

لا يستطيع الأخ مساعد بن مسلم إنكار دخول مزينة مع حرب في حلف جعلها قبيلة واحدة . فالحقيقة التي يجب الاعتراف بها وإيضاحها أن البلادي لم يضم مزينة حقها ، ولم يسقط نسبها ، ولنستعرض بعض ماجاء في كتابه « نسب حرب » ص ٩٨ ومابعدها إذ يقول : (مزينة والنسبة إليهم مزي ، والمتأخرون يقولون مزيبي ، قبيلة عريقة ، كانت تسكن نواحي الفُرع إلى العقيق) . . . الخ . وبعد أن أورد البلادي مذكرته أهتم كتب الأنساب عن مزينة وديارها قال في موضع آخر : (وقدم وفد مزينة على رسول الله ﷺ وهم أربع مئة رجل ، وقتلوا معه في غزوة حُنين وعددهم ألف) ، ويضيف قائلاً : (وقد اشتركوا في فتح مكة مع خالد بن الوليد . قال رسول الله ﷺ : « الانصار ومُزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبدالله موالٍ دون الناس والله ورسوله مولا هم ») .

كما يقول البلادي في موضع آخر : (وقد برز من مزينة في الجاهلية والإسلام رجالٌ غير خاملين الذكر ، منهم زهير بن أبي سلمى وابنه كعب ، ومن مزينة النعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند المعروفة بفتح الفتوح -) .

وأقول : إن المرء هنا ليتساءل : هل يعتبر كلام البلادي هذا عن مزينة إنصافاً أم إجحافاً ؟ وأخيراً فليست هذه كل الملاحظات أو الشطحات التي ذهب إليها مؤلف الكتاب ولكننا اكتفينا بأهمها ، وذلك رغبة في عدم الإطناب ، وإلا فإننا لم نتجاوز الصفحة الـ ٣٥ من ذلك الكتاب الذي يناهز ٣٠٠ صفحة . كما لا يفوتنا في النهاية أن نؤكد أن ما أوردناه ليس دفاعاً عن البلادي لمجرد الدفاع ، فنحن نؤمن بأن البلادي بشر ، وأن كتابه ليس قرآناً متزلاً . إلا أنه يجب على كل منصف أن يعترف بفضل البلادي على قبيلته ، فهو السباق إلى طرق هذا الموضوع ، وهو الذي حاول قدر جهده أن يستنبط نسب قبيلته ، وأن يعرف بتاريخها وفروعها ، فإن أصاب شكرناه ، وإن أخطأ وجهناه وأعناه بالقول والعمل إلى الصواب ، ليس بهذا الأسلوب الذي انتهجه مؤلف كتاب مزينة . ولكن بإمداده بالمعلومات الصحيحة . . . والله من وراء القصد .

الرياض : فائز بن موسى البدراني الحربي

دَحْنَا وَدَحْنَا (تَجْنَا)

هذه أسماء ثلاثة يتكرر ورودها واطلاقها على موضعين متقاربين ، فيما بين الطائف ومكة . ويحسن ايراد خلاصة ماورد عنها في كتب العلماء .

١ - دَحْنَا

جاء في كتاب « شرح أشعار الهذليين^(١) » لربيعة بن الجحدر الهذلي اللحياني يرثي أثيلة بن المُتَنَخِّل الطابخي اللحياني الهذلي وكان معه حين قتل ففَرَّ عنه ، قتله بنو سعد بن فهم :

فَلَوْ رَجُلًا خَادَعْتُهُ لَخَدَعْتُهُ وَلَكِنَّمَا حُوتًا بِدَحْنَا أَقَامِسُ
أَقُولُ لَهُ كَيْمًا أَخَالَفُ رَوْغُهُ : وَرَأَاكَ مِ الْأَزْوَى شِيَاهُ كَوَانِسُ

ونقل البكري عن الأصمعي قول الشاعر^(٢) :
وصاحب لي بِدَحْنَا أَيْمًا رَجُلٍ أَنَّى قُتِلَتْ وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْبَطْلُ ؟

ولكن البكري - رحمه الله - وقد ذكر خبر انصراف الرسول ﷺ من الطائف وسلوكه على دحنا حتى نزل الجعرانة قال : أراه سلك على دَحْيٍ ، موضع ذكره أبو بكر بن دريد ، ولولا أنه غير محدد عندنا لارتفع الارتياب ، وقال عن دحنا : موضع بِسَيْفِ البحر ، واستدل بقول ربيعة بن الجحدر الهذلي ، متوهماً أنه يعني حوتاً حقيقياً يقامسه أي يغاطسه في الماء ، والواقع أن الهذلي أراد التمثيل بمقامسة الحوت ، إذ هو يتحدث عن اناس من بني سعد بن فهم اغاروا عليه وعلى صاحبه ففَرَّ حتى قتل صاحبه ، فَهَمُّ من الكثرة كالحوت في البحر ، وليس قرنه رجلاً واحداً لكي يخدعه فيغلبه ، ويظهر أن الموضع الذي قتل فيه - وهو دَحْنَا - في نواحي الطائف ، حيث كانت تستقر بعض بطون هذيل ، وبلاد بني فهم التي في السراة جنوب الطائف ليست بعيدة عن هذه البلاد^(٣) .

وورد في تفسير الطبري « جامع البيان عن تأويل أي القرآن^(٤) » في تفسير الآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٥) ﴾ عن ابن عباس قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره بدَحْنَا ، وأخرج من ظهره كل نسمة هو

وفي « الطبقات الكبرى »^(٧) لابن سعد : خلق الله آدم من أرض يقال لها دحنا ، وفيها أيضاً : خلق الله آدم بدحنا .

وقال الواقدي^(٨) : خرج رسول الله ﷺ من الطائف فأخذ على دحنا ، ثم على قرن المنازل ، ثم على نخلة اليمانية حتى خرج إلى الجعرانة .

وفي « السيرة النبوية »^(٩) لابن هشام : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة .

وفي خبر قدوم مالك بن عوف رئيس هوازن على رسول الله ﷺ في الجعرانة عند الواقدي^(١٠) : خاف مالك ثقيفاً . . . أمر براحلته فَقَدَّمَتْ حتى وُضِعَتْ بدحنا ، فخرج من الحصن فجلس على فرسه ليلاً فركضه حتى أتى دحنا ، فركب بغيره فلحق رسول الله ﷺ فيدركه قد ركب من الجعرانة .

وقال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : دَحْنًا - بفتح أوله وسكون ثانيه ونون والـف يروى فيها القصر والمد - : وهي أرض خلق الله تعالى منها آدم ، قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف إلى دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس فقسم الفَيْء واعتمر ، ثم رجع إلى المدينة ، وهي من مخاليف الطائف . والجملة الأخيرة يظهر أنها من كلام ياقوت .

وقال السهيلي في « الروض الأنف »^(١١) : عند الكلام على خبر انصراف النبي ﷺ عن الطائف على دحنا : دحنا هذه هي التي خلق من تربها آدم عليه السلام ، وفي الحديث « ان الله خلق آدم من دحنا ، ومسح ظهره بنعمان الأراك » . رواه ابن عباس ، وكان مَسْحُ ظَهْرِ آدم بعد خروجه من الجنة باتفاق من الروايات ، واختلفت الرواية في مكان مسح ظهره ، قُرُوي ماتقدم ، وهو اصح ، وَرُويَ أَنَّ ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض ، وهو قول السُدِّي ، وكلنا الروایتين ذكرهما الطبري .

وجاء في « القاموس » وشرحه « تاج العروس » مانصه : ودَحْنًا - بالضم أو بالكسر وقد يمد - : أرض خُلِقَ منها آدم عليه السلام وقد جاء ذكرها في سيرة ابن

إسحاق في انصراف رسول الله ﷺ من الطائف على دُجْنا ، وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه : أن الله تعالى خلق آدم من دُجْنا ، ومسح ظهره بنعمان الأراك ، وكان مسح ظهره بعد خروجه من الجنة بالاتفاق من الروايات ، ورُوي أن ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض وهو قول السُّدِّي ، وكلتا الروایتين ذكرهما الطبري ، كذا في « الروض » للسهيلى .

أو هي بالحاء المهملة ، وهكذا هو مضبوط في « الروض » وكتب السيرة ، ودحنى موضع بين مكة والطائف له ذكر في دجن قريباً . انتهى .

ويمحس قبل محاولة تحديد موضع دحنا الوارد في الأخبار المتقدمة الإشارة إلى مايتعلق منها بآدم عليه السلام ، فالأستاذ محمود محمد شاكر يرى أن دحنا الواردة في خلق آدم وفي استخراج ذريته من ظهره تقع في أرض الهند ، لا في بلاد العرب ، فيقول^(١٢) : فالأخبار التي ورد فيها ذكرُ هبوط آدم أو خلقه وفيها (دحنا) ولم يبين موضعها تُبينها هذه الأخبار التي ذكرتُ لك ، وبيّنتُ أنها بأرض الهند ، ودحنا بالحاء المهملة هي (دهنج) في الأخبار التي ذكرتها قبل مُعرّبةً ، وهكذا جاءت في المراجع (دحنا) بالحاء المهملة ، ولكن رواة كتب اللغة رَوَوْا لنا في خبر ابن عباس : أن الله مسح ظهر آدم بدجنا وهو اسم موضع ، ويروى بالحاء المهملة ، هكذا ذكر صاحب « لسان العرب » في (دجن) ثم في (دحن) وقال : وهو بين الطائف ومكة ، فهذا أول الخلط ، وإنما هو موضع بالهند في هذا الخبر ، أما الذي بين الطائف ومكة فهو (دحنا) العربية ، التي ذكرناها أولاً .

وعلق الأستاذ عبدالرحمن الوكيل على ما أورده السُّهَيْلى من أن الله خلق آدم من تراب دحنا قال^(١٣) : زعمه أن الله خلق آدم من دحنا قول لا يثبت سند صحيح ، ويخالف ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه ، من أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض .

وعَلَّقَ الأستاذ محمود محمد شاكر على ما في « القاموس » وشرحه بقوله : فخلط أيضاً بين الموضعين الذي في السيرة ، وموضع خلق آدم أو مهبطه ، وإنما خلط اتباعاً للسُّهَيْلى في « الروض الأنف » وسبب هذا الخلط بلا ريب هو ذكر (نعمان

الأراك) في خبر خلق آدم ، ونعمان الأراك بأرض العرب ، فقال مَنْ لم يجمع أخبار الخلق : إن دحنا بأرض العرب ، ولم ينظر فيما جاء في رواية الخبر الأخرى أنها بأرض الهند ، هذا وظني أن دحنا ودجنا بالقصر والمد تعريب في (دهنج) التي مضى ذكرها ، وهي الأرض التي بالهند . أما التي ببلاد العرب فهي دحنا بالحاء لا غير ، وهذا كاف إن شاء الله .

وزل قلم الأستاذ فقال عن نعمان ^(١٤) : نعمان هو واد لهذيل من وراء عرفة على ليلتين من عرفة وهو نعمان الأراك . و (ليلتين) لعله تصحيف (ميلين) والمسافة بين الموضعين أقل من الميلين ، وأستاذنا اعتمد في ذلك ماجاء في «معجم البلدان» .

وفي بلاد العرب موضعان أحدهما (دَحْنا) بالحاء المهملة والثاني (دُجْنا) بالجيم المعجمة وينطق (دُجْنا) بابدال الدال تاءاً - كما سيأتي - .

أما دحنا الموضع الذي لاشك أنه هو الوارد في «السيرة النبوية» فلا يزال معروفاً ، وكنت قد علقت على نسختي من كتاب «البداية والنهاية» في التاريخ لابن كثير على كلمة دحنا بما هذا نصه ^(١٥) : لاتزال معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وطريقها يمر بالفج الواقع شرق الشرايع . وأرخت هذه الحاشية في ١٣٦٣/١١/٣ هـ .

وقد اهتبلت فرصة زيارتي مدينة الطائف في يوم الثلاثاء رابع شهر المحرم من هذا العام فطلبت من الأخ الأستاذ عبدالرؤوف عبدالجبار أن يخبر أخويّ الكريمين الأستاذ محمد سعيد كمال مؤرخ الطائف ، والشريف محمد بن منصور (الملقب بالنجدي) النسابة ، بأنني أرغب في مقابلتهم ، ولما أكرمانني بالزيارة ذهبنا معاً إلى موقع دَحْنا الذي لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، وبعد مسيرة تقرب من ٢٥ كيلاً من مدينة الطائف بالاتجاه شمالاً غربياً ، نحو قرن المنازل وبعد أن اجتزنا منطقة الحوية مررنا بأرض مرتفعة خشنة تدعى حُرَيْم فواز ^(١٦) ، ثم انحدرنا منها إلى أرض منبسطة مستوية ، تُحَدُّ جنوباً بقرية رَحَاب ، وشرقاً بشمال بقرية رَيْحَة ، وغرباً بوادي قَرْنٍ أَعْلَى وادي قَرْنٍ المنازل ، وتمتدُّ هذه الأرض نحو خمسة أكيال

طولاً أما عرضها فيقرب من ثلاثة أكبال ، وهذه الأرض يطلق عليها السكان اسم (دحنا) ، وفيها آثار سكنٍ وعمرانٍ قديم ، وفيها عمران حديث للأشراف ذوي ناصر ، ولو صح ما قيل لنا من أن قرية ربيعة الواقعة في الشمال الشرقي من دحنا سميت بهذا الاسم لأن الرسول ﷺ استراح فيها - لو صح هذا لاعتبرت من دحنا ، وهي في الواقع ماهي سوى طرف امتداد لتلك الأرض الممتدة المستوية ، وجميع سيول تلك الجهة تفيض في وادي قَرْين ، من أَدِيمَة (وادي رحاب) فَدَحْنَا فَرَبِجَة .

وتدل الآثار الباقية في دحنا على انتشار العمران فيها مما يؤيد قول ياقوت الحموي في « معجم البلدان » بأنها من مخاليف الطائف ، وعلى هذا فيظهر أن مُسَمَّى دحنا يشمل ما يطلق عليه الآن اسم رحاب وربيعة وما بين هذين الموضعين ، وأن بقايا العمران في هذه الجهات من بقايا مخلاف دحنا .

وقد حدثنا الشريف طایل بن محسن بن هزاع من آل ناصر بأن في أرض دحنا آثار سَدَّين واضحين ، وبركة قديمة ، وآثار عين غار ماؤها ، وروى من الأشعار المنسوبة إلى بني هلال قول أحدهم :

شَدَّانَا وَلَا ابْقَانَا وَرَأَانَا حَسَايِفَ غَيْرَ عَسَلِجِيَّاتٍ دُقَاقٍ طَحِينَهَا^(١٧)
وَلَا يَنْسَى حَزَمَ الْقَمَاعِ وَبَرْدَةَ وَضَيْفٍ عَلَى عَسَرِ اللَّيَالِي وَلَيْتِنَهَا^(١٨)
وَلَا يَنْسَى (دَحْنًا) وَسِدَّانَهَا الْعُلَى وَخَضِرٍ عَلَى شِرَائِهَا نَازِلِينَهَا^(١٩)

وذكر لنا الشريف ابن محسن أن الطريق الذي يخترق دحنا يَدْعُ السيل الصغير شماله ، ثم ينزل على السيل الكبير ، وكان مما ذكر لنا : المَلِيح الذي ورد في خبر عجيء رسول الله ﷺ إلى الطائف ، لا يزال يطلق على وادٍ معروف شرق السيل الكبير ، ولكنه يعرف بـ (مليح) .

٢ - دُجْنَا

وضبط الاسم صاحب « القاموس » وغيره بضم الدال أو بكسرها ، وتقدم نص كلامه .

وقد وقع خلط بين وصف دحنا - بالحاء المهملة - ودجنا - بالجيم - ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، ولكن هناك من النصوص ما يفهم منه ما يتعلق بكل موضع من الموضعين ، فَدَحْنَا - بالحاء المهملة - هي التي ذكر ياقوت أنها من مخاليف الطائف ، أما دُجْنَا - بالجيم المعجمة - وتسمى أيضاً (تَجْنَا) بالناء - فهي ثنية في طريق الطائف ، ويظهر أن الرسول ﷺ في عودته من الطائف لم يسلك هذه الثنية ، وإنما مر بأرض دَحْنَا ومنها إلى قَرْن المنازل (السيل الكبير) .

ومما يتعلق بتعريف دُجنا من أقوال المتقدمين ما جاء في كتاب « أخبار مكة » (٢٠) ، للفاكهي في ذكر المواضع التي كان بها رسول الله ﷺ حين خرج إلى الطائف ، وعَدَّ من تلك المواضع نخلة اليمانية ومَرَّ الظهران وليَّة من ناحية الطائف ، ثم قال : دَجَنَوتَيْنِ قَرِيبَيْنِ من الطائف ، إحداهما على عَجَّة الطائف ، وهي السُّفلى ، والعليا مُرْتَفَعَةٌ عن يمين الزاهب ، معارِضَةٌ في المغرب ، بينها أميال ، ودَجْنَا هذه طيبة ، موضعها عَذِيٌّ طَيِّبُ الهواء ، ويقال - والله أعلم - إن الله تبارك وتعالى مسح ظهر آدم عليه الصلاة والسلام بدَجْنَا . ثم أورد خبر ابن عباس في تفسير الآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ قال : مسح ظهره بدجنا وقالوا : بل مسح ظهره بنعمان . انتهى . ولكن يظهر من هذا النص أن الفاكهي خلط بين الموضعين ، فالموضع الذي مر به الرسول ﷺ وهو دَحْنَا يظهر أنه هو الذي وصفه بالطيب وطيب الهواء والعذاة ، ويظهر أنها العليا المرتفعة عن يمين الزاهب معارضة في المغرب فتلك الصفة تنطبق على دحنا التي تقدم ذكرها ، وهي التي على طريق قرن المنازل . بخلاف التي على عجة الطائف (طريق الثنية) وهي التي وصفها بالسفلى ، فتلك دُجْنَا بالجيم وتسمى (تَجْنَا) وقد أورد الأزرق في « أخبار مكة » (٢١) ، ما هذا نصه : وقف أبو سفيان بن حرب على رَذَمِ الْحَدَّائِينَ ،

فصُرب برجله فقال : سنام الأرض إن لها سناماً ! زعم ابن فرقد - يعني عتبة بن فرقد السلمي - أني لا أعرف حقي من حقه ، له سواد المروة ، ولي بياضها ، ولي ما بين مقامي هذا إلى تَجْنَا . وتَجْنَا ثنية قريبة من الطائف ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إن أبا سفيان لقديم الظلم ، ليس لأحد حق إلا

ما أحاطت عليه جدرانه . انتهى ، ويوضح هذا أن آل عتبة بن فرقد وهم من سليم كانوا حلفاء لبني عبدالمطلب بن هاشم ، فاتخذوا رباعاً بمكة . ورباعهم في الجانب الأسود^(٢٢) من المروة ، وكانت رباع آل حرب ابن أمية - أبي سفيان وذويه - مجاورة لرباعهم ، فلأبي سفيان دار البيضاء على المروة ، ويظهر أنه حدث خلاف بين أبي سفيان وبين عتبة فقال هذا القول ، أي : إن لي مكة وماحولها حتى الثنية الواقعة في سلسلة جبال الطود الفاصلة بين مكة والطائف حيث تقع ثنية تجنا في جبل طاد ، من سلسلة تلك الجبال الواقعة بين الجبال التي شرق عرفات والجبال المطلة على قرن المنازل ، وكلها تُكوّن سلسلة متصلة من سرة الحجاز .

ولقد بقي اسم (تُجْنَا) يطلق على ثنية في أحد طرق الطائف إلى القرن التاسع الهجري حيث نجد في كتاب «تحفة اللطائف في فضل الخبر ابن عباس والطائف»^(٢٣) لابن فهد في وصف ثمار الطائف للشيخ محمد بن علي الشيبني (٨٣٧/٧٧٩) :

رَأَى صَاحِبِي أَثْمَارَ وَجٍّ فَقَالَ لِي : تَرَى هَذِهِ الْأَثْمَارُ تَسْقُطُ أَوْ تُجْنَى ؟
فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّهَا هَنِيئًا فَإِنَّمَا أَطَايِبُهَا تُجْنَى وَتَأْتِيكَ مِنْ (تُجْنَى)

وجاء في كتاب «البحر العميق في العمرة والحج إلى بيت الله العتيق»^(٢٤) ، لمحمد بن أحمد بن الضياء القرشي العمري الحنفي (٨٥٤/٧٨٩) في الكلام على دجنا - بالبدال - أنها تسمى أيضاً تجنا بالتاء قبل الجيم وأنها بقرب طاد . والكتاب الذي نقلت عنه هذا النص ليس بين يدي الآن لِأُورِدَ الكلامَ وافيًا ، ولكنني نقلت هذا في هامش ماورد في كتاب «تاج العروس» عن دجناء ودجنا بتاريخ ١٣٦٣/٦/٢٧ هـ . وطاد هذا جبل لايزال معروفًا وهو في بلاد هُذَيْلٍ ، يقع شمال شرق جبل كبكب .

ثم عُرِفَتْ تُجْنَا هذه فيما بعد باسم الثنية وطريقها بطريق الثنية .

وكان من طرق الطائف المعروفة إلى عهد قريب كما ذكر ذلك الأستاذ محمد سعيد كمال^(٢٥) وقال عنه : طريق الثنية يقع في بلاد الأشراف الجوازين ، ينحدر

سيله على وادي البجيدي للجوازين ، وقبل اصلاح طريق كراً وتعبيد جَبِيلِهِ ، اتجه التفكير إلى فتح طريق الشنية ، ثم عدل عنه إلى طريق كرا .

ولاتزال الشنية التي كانت تعرف باسم تجنا معروفة ، وهي في طرف جبل طاد ، ومنها يتجه الطريق نحو الشرائع .

لقد اتضح فيما تقدم من النصوص أن هناك ثلاثة مواضع :

١ - دَحْنَا : التي مر بها الرسول ﷺ ، وكان متجهاً من الطائف إلى قرن المنازل فالجعرانة ، وهذه لاتزال معروفة ، ونصوص المؤرخين واضحة في الدلالة على أنها هي المقصودة .

أما الآثار الواردة في خلق آدم ، أو في استخراج ذريته من ظهره - بصرف النظر عن منزلة تلك الآثار الواردة في ذلك عند علماء الحديث فأستاذنا الشيخ محمود شاكر يراها في بلاد الهند ، مستدلاً على كون آدم عليه السلام فيما يروي المؤرخون نزل هناك ، ومعروف أن نزوله بعد خلقه بفترة ، ولا أرى ما يمنع من أن تكون دحنا الطائف هي الواردة في تلك الآثار ، سواء صحت أو لم تصح ، فدحنا - كما وصفها الفاكهي - أرض غليظة طيبة التربة ، ولعل هذا من الأسباب التي حملت بعض المتقدمين إلى نسبتها إلى آدم ، كما نسبوا كتيب ضرية وهو كتيب أصفى مايكون رملاً ، نسبوا إليه أن الله خلق جُؤْجُؤَ آدم^(٢٦) منه . ويستأنس لهذا أن في إحدى روايات استخراج ذرية آدم من ظهره : في نعمان . وفي أخرى : في دحنا . ونعمان ليس بعيداً عن دحنا ، ومهما يكن فالمقصود تصحيح الاسم أما مايتعلق به من الأخبار فمعروفة منزلتها لدى العلماء .

٢ - دجنا - بالجيم - يتضح من كلام اللغويين كصاحب « لسان العرب » وصاحب « القاموس » أنها هي دحنا المذكورة بالحاء وهذا مايفهم أيضاً من كلام الفاكهي ، إذ ذكر دَجْنَائِينَ وقال عن التي على محجة الطائف إنها السفلى ، هذه واقعة على المحجة التي عرفت بطريق الشنية وهي ثنية تجنا ، فإذا صح ماورد في مخطوطة كتاب الفاكهي من إعجام الجيم فإن الاسم صحيح ، وإن كنت لا أستبعد أن الاسم تصحف على الفاكهي ، فخلط بين الموضعين : دحنا المعروفة

وهي بالحاء المهملة ، ودجنا الشنية وهي بالجيم ، ونطق الجيم تاءاً سهلاً ، لتقارب مخرجي الحرفين .

٣- تجنا - بالتاء المضمومة بعدها جيم - : لاشك في صحة هذا الاسم ، وإطلاقه على الشنية التي تمر بجبل طاد ، أثناء الطريق المتجه إلى الشرايع (حين قديماً) من الطائف لورود الاسم في « أخبار مكة » للأزرقي ، وفي شعر محمد بن علي الشيبني وفي كتاب « البحر العميق » .

وتكملة الحديث ستأتي ..

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) ٦٤٣/٢ .
- (٢) « معجم ما استعجم » : ٥٤٦ .
- (٣) انظر عن سرقة بني قُهم « العرب » س ٢٤ ج ١ . (٦) ١٣٥/١ - ط . مصر .
- (٧) الطبعة الأوربية ٥/١/١ و ٨/١/١ ولم يرد اسم (دحنا) في فهرس المطبوعة البيروتية .
- (٨) « المغازي » : ٩٣٩ .
- (٩) ٤٨٨/٢ .
- (١٠) « المغازي » : ٩٥٥ .
- (١١) ٢٧٨/٧ .
- (١٢) هامش « تفسير الطبري » ٢٢٦/١٣ .
- (١٣) هامش « الروض الأنف » ٢٧٨/٧ .
- (١٤) « تفسير الطبري » ٢٢٣/١٣ .
- (١٥) ٣٥٢/٤ .
- (١٦) نسبة إلى الشريف فواز بن آل ناصر كان قد حماه .
- (١٧) شَذَانًا : شَذَبْنَا أي ارتحلنا . ابقانا : ابقينا . حَسَايِف : أشياء يؤسفنا فقدانها .
- عسليجات : رُحِي جمع رُحَى .
- (١٨) القُصَاع : القُصْع تصغير قمع وهو جبل صغير بارز ، ويقال : بأن الأرض التي حوله من أشد البقاع برداً .
- (١٩) تَنَسَّى : تَنَسَّى . سُدُوْدُهَا : سُدُوْدُهَا .
- (٢٠) ١٠١/٥ .
- (٢١) ٢٣٧ و ١٦٤/٢ .
- (٢٢) ص ٥١ طبعة النادي الأدبي في الطائف .
- (٢٣) الأزرقي ٢٣٥/٢ .
- (٢٤) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً وقد اطلعت على ٣ نسخ منه :
- ١ - مخطوطة ليدن وتقع في ٤٦٩ ورقة وقد استكتبها عالم مكة القطب النهروالي فنسخت له في مكة المكرمة سنة ٩٦٠ .
- ٢ - مخطوطة مكتبة الحرم المكي وتقع في ثلاثة أجزاء أوراقها ٣٣٦ + ١٣٠ + ٢٠٩ = ٦٧٥ وتاريخ كتابة الجزء الأول سنة ١١٣٧ والجزءان الآخران نسخاً سنة ١٠٦٣ .
- ٣ - مخطوطة دار الكتب المصرية وهي الجزء الثالث وحده وهو مخصص لتاريخ المدينتين الكريميتين وما فيها من مساجد وآثار ولم يذكر فيه اسم مؤلفه .
- (٢٥) « العرب » س ٨ ص ٨٦٩ .
- (٢٦) « معجم ما استعجم » رسم (ضرية) .

حَجَرُ الرَّاشِدَةِ ومواضع أخرى في منطقة رنية

[مَرَّ ذِكْرُ حَجَرِ الرَّاشِدَةِ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ الَّذِي تَنْشُرُ «العرب» أبوابه متصلة من ٢٣ ص ٧٠٧ فطلبت من الأستاذ فُهَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّحِيِّ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى مَوْقِعِهِ فِي إِحْدَى مَقَالَاتِهِ - تَحْدِيدُ ذَلِكَ الْمَوْقِعِ ، فَاتَّخَفَ الْقَرَاءُ هَذَا الْبَحْثَ] .

١ - حَجَرُ الرَّاشِدَةِ :

ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «الْأَغَانِي»^(١) هَذَا الْاسْمَ فِي سِيَاقِ خَبَرِ خَبَرِ مَقْتَلِ تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ - بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ - الْخَفَاجِيُّ الْعُقَيْلِيُّ ، وَقَصَّتْهُ مَعَ خُصْمِهِ ثَوْرَ بْنِ أَبِي سَمْعَانَ بْنِ كَعْبٍ بَنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقَيْلٍ ، وَمُلَخَّصَ ذَلِكَ الْخَبَرِ أَنَّ قَوْمَ تَوْبَةَ مِنْ بَنِي خَفَاجَةَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقَيْلٍ لِحَاءٌ ، ثُمَّ إِنَّ تَوْبَةَ شَهِدَ بَنِي خَفَاجَةَ وَبَنِي عَوْفٍ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ عِنْدَ هُمَامِ بْنِ مُطَرِّفِ الْعُقَيْلِيِّ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ ، وَكَانَ مِرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمِئِذٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ هُمَامًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي عَامِرٍ . فَوُثِّبَ ثَوْرُ بْنُ أَبِي سَمْعَانَ عَلَى تَوْبَةَ فَضَرَبَهُ بِجُرْزٍ^(٢) ، وَعَلَى تَوْبَةَ الدَّرْعُ وَالْبَيْضَةُ ، فَجَرَحَ أَنْفَ الْبَيْضَةِ وَوَجْهَ تَوْبَةَ ، فَأَمَرَ هُمَامُ بِثَوْرِ بْنِ أَبِي سَمْعَانَ فَأَقْعَدَ بَيْنَ يَدَيْ تَوْبَةَ وَقَالَ : خُذْ بِحَقِّكَ يَا تَوْبَةُ ! فَقَالَ تَوْبَةُ : مَا كَانَ هَذَا إِلَّا عَنْ أَمْرِكَ ، وَمَا كَانَ لِيُجْتَرِيَ عَلَيَّ عِنْدَ غَيْرِكَ . وَأَمَ هُمَامُ صَوْبَانَةً ابْنَةً خَزَنَ بَنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقَيْلٍ ، فَاتَّهَمَهُ تَوْبَةَ لِذَلِكَ ، فَانْصَرَفَ تَوْبَةَ وَلَمْ يَقْتَصْ مِنْهُ ، فَمَكَّثُوا غَيْرَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ إِنَّ تَوْبَةَ بَلَغَهُ أَنَّ ثَوْرَ بْنَ أَبِي سَمْعَانَ خَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ رَهْطِهِ إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ قُبَاءٌ^(٣) ، يَرِيدُونَ مَا لَهُمْ ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُرَيْرٌ^(٤) ، بِثَلَاثِينَ - قَالَ : وَبَيْنَهُمَا فَلَاحَةٌ - فَاتَّبَعَهُ تَوْبَةُ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ وَبَحَثَ حَتَّى ذُكِرَ لَهُ أَنَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهُ سَارِيَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ وَكَانَ صَدِيقًا لِتَوْبَةَ فَقَالَ تَوْبَةُ : وَاللَّهِ لَا نَنْظُرُ قَهْمٌ عِنْدَ سَارِيَةَ اللَّيْلَةَ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْهُ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا حِينَ يَصْبِحُونَ فَقَالَ لَهُمْ سَارِيَةُ : ادْرُعُوا اللَّيْلَ فَإِنِّي لَا أَمْنُ مِنْ تَوْبَةَ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنَامُ عَنْ طَلَبِكُمْ ، قَالَ : فَلَمَّا تَعَشَّوْا ادْرُعُوا اللَّيْلَ فِي الْفَلَاحَةِ ، وَأَقْعَدْ تَوْبَةَ لَهُ

رجلين ، ففعل صاحبا توبة ، فلما ذهب الليلُ فزع توبة وقال : لقد اغتررت إلى رجلين ماصنعا شيئاً ، وإنِّي لأعلمُ أنهم لم يُضْبِحُوا بهذه البلاد ، فاقتصُ آثارهم ، فإذا هُم قد خرجوا ، فبعث إلى صاحبيه فأتياه فقال : دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء في مزادتيه ، ثم اتبعا أثري ، فإن خفيَ عليكما أن تدركاني فإنِّي سأَنُورُ لكما إن أُمسيتُمَا دوني ، وخرج توبة مسرعاً في أثر القوم حتى انتصف النهار ، وجاوز علماً يقال له أفيخ^(٥) ، في الغائط ، فقال لأصحابه : هل ترون سمراتٍ إلى جنبِ قرون بقر^(٦) - وقُرُونُ بَقَرٍ مَكَانٌ هناك - فإن ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه ، فليس وراءه ظِلٌ فنظروا فقال قائل : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيد . قال توبة : ذلك ابنُ السَّحْبَرِيَّةِ ، وذلك أَرَمَى مَنْ رَمَى ، فمن له يَخْتَلِجُهُ دُونَ القوم فلا يَنْذَرُونَ بِنَا فقال عبدالله أخو توبة : أنا له ، قال : فاحذر لا يَضْرِبَنَّكَ ، وإن استطعت أن تحولَ بينه وبين القوم فافعل . فخلَّى طريق فرسه في غَمَضٍ من الأرض ، ثم دنا منه ، فحمل عليه فرماه ابنُ الحبترية - قال - وبنو السَّحْبَرِ قَوْمٌ مِنْ مَذْجِجٍ فِي بَنِي عُقَيْلٍ - : فعقر فرسَ عبدِ الله أخي توبة ، واختلَّ السهمُ ساقَ عبدالله فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذروهم ، فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة ، وأخذوا سلاحهم وذرَقَهُمْ ، وزحف توبة إليهم ومن معه ، فلما رأوا ذلك صَفُّوا رجالهم ، وجعلوا السمرات في نحورهم ، فارتقى القوم لا يغني أحدٌ منهم شيئاً في أحد ، ثم إن توبةَ وكان يَتَرَسُّ له أخوه عبدالله قال توبة : يا أخي لا تَتَرَسَّ لي فإنِّي رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع الترسَ عَنِّي أن أوافقَ منه عند رفعه مَرْمَى فَأَرْمِيهِ . قال : ففعل ، فرماه توبة على حَلْمَةِ ثديهِ فصرعه ، وجال القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح ، حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفر . . . الخ - إلى أن قال - : فلم يزل توبة خائفاً . وكان السَّيْلِيلُ بن ثور رايماً كثير البغي والشر ، فَأُخْبِرَ بِغُرَّةٍ مِنْ توبة ، وهو بَقْنَةُ مِنْ قَنانِ الشرف ، يقال لها قَنَةُ بَنِي السُّحْمِيرِ ، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه ، فترقى توبة ورجل من إخوته في الجبل ، فأحاطوا بالبيوت فناداهم وهو بالجبل : هاأنذا فمن تبغون؟ فاجتنبوا البيوت ، وأخذوا أفراساً لتوبة وإخوته ، وانصرفوا . ثم إن توبة غزاها فمرَّ على أفلت بن حَزْنِ بن معاوية بن خفاجة

ببطن^(٧) ، بِيشَة ، فقال : ياتوبة أين تريد؟ قال : أريد الصبيان من بني عوف بن عُقَيْل ، قال : لاتفعل فإنَّ القوم قَاتِلُوكَ فمهلاً . قال : لا أَقْلِعُ عنهم ماعِشْتُ ، ثم ضرب بطن فرسه واستمر يحضُرُ وهو يرتجز :

تَنْجُو إِذَا قِيلَ لَهَا : يَعْاطِ تَنْجُو بِهِمْ مِنْ خَلَلِ الْأَمْشَاطِ

حتى انتهى إلى مكان يقال له حَجَرُ الرَّاشِدَةِ ، ظليل ، أسفلهُ كالعمود ، وأعلاه منتشر ، فاستظلَّ فيه هو وأصحابه حتى إذا كان بالهاجرة مرَّتْ عليه إِبِلُ هبيرة بن السمين أخي بني عوف بن عُقَيْل ، واردة ماء لهم يقال له طَلُوب^(٨) — فأخذها ، وخلي طريق راعيها ، وقال له : إذا أتيت صِدْعَ البقرة مولاك فأخبره أن توبة أخذ الإبل . ثم انصرف توبة يطردُ الإبلَ قال : فلما ورد العبد على مولاه فأخبره نادى في بني عوف فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ، ثم اتبعوه ، ونهضت امرأة من بني الهرة من خَنَعَم ، كانت في بني عوف ، وكانت تُؤْخِذُهم^(٩) فقالت : أُرُونِي أَثَرَهُ ، فخرجوا بها فَأَرَوْهَا أَثَرَهُ ، فَأَخَذَتْ من ترابه فسافته فقالت : اطلبوه فإنه سَيُحْبَسُ عليكم ، فطلبوه فسيقهم فتلاوموا بينهم وقالوا : مانرى له أثراً ومانراه إلا وقد سبقكم . . . وخرج توبة وأصحابه حتى أخذوا في الْمَضْجِع من أرض بني كلاب في أرض دَمَثَةِ تَرْبَةِ ، فضلَّتْ فرسُ توبة الخوصاء من الليل ، فأقام واضطجع حتى أصبح ، وسار أصحابه بالإبل ، وهم ثلاثة نفر سوى توبة : الْمُحَرِّزُ أحد بني عَمْرٍو بن كلاب ، وقابض بن أبي عُقَيْل ، أحد بني خفاجة ، وعبدالله أخو توبة لأمه وأبيه ، فلما أصبح توبة وجد فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظلم^(١٠) ، قريبة منه ، فأشلاها حتى أتته ، ثم خرج يَغْدُو حتى لحِقَ بأصحابه ، وقد انتهوا إلى هَضْبَةِ يَكْبِدِ المضجع يقال لها هند^(١١) ، وكان توبة وأصحابه يريدون قصد عبدالعزيز بن زُرارة بن جزء بن سفيان بن عوف الكلابي . . . قال : ثم نزلوا بطرف هَضْبَةِ الشُّجْرِ ، من أرض بني كلاب فقالوا بالظهير فلم يشعروا إلا والإبل قد نَفَرَتْ وكانت بُرُوكاً بالهاجرة ، من وَئِيدِ الخيل ، فوثب توبة وكان لا يضع السيف ، فَضَبَّ الدَّرْعَ على السيف فتقلده ، وراجَتِ القوم ، فطلب قائِمُ السيف فلم يقدر عليه لأنه تحت الدَّرْعِ ، ولم يستطع سَلُّهُ فغشيه

الأعداء فقتلوه ، وتشتت أصحابه ، ثم قرَّ قابض الخفاجي صاحبُ توبة من فوره إلى عبدالعزيز بن زرارة أحد بني أبي بكر بن كلاب ، فأخبره بقتل توبة ، فنادى عبدالعزيز في قومه ، فجاءه أبوه زرارة فقال أين تريد؟ قال: قُتِلَ توبةُ فقال: أبوه: طُوطُ^(١٢) سحقاً لك ، أطلب بدم توبة أن قتلت بنو عَقِيلٍ ظالماً لها ، باغياً عادياً عليها؟! فقال: ولكني^(١٣) أجنُّه إذن. قال أبوه: أما هذه فننعم ، فالقَى السلاح ، وانطلق حتى أجنُّه ، وفي مقتل توبة قالت ليل الاخيلية بنت عبدالله بن الرجال بن شداد بن كعب بن معاوية بن عباد بن عَقِيلٍ في رثائه :

نَظَرْتُ وَرَكُنْ مِنْ ذِقَانَيْنِ دُونَهُ مَقَاوِرَ حَوْضَى أَيِّ نَظَرَةٍ نَاطِرِ
لَاؤِنَسَ إِنْ لَمْ يَقْصُرِ الطَّرْفُ عَنْهُمْ فَلَمْ تَقْصُرِ الْأَخْبَارُ وَالطَّرْفُ قَاصِرِي

إلى أن قالت :

فَأَنَسْتُ خَيْلاً بِالرَّقِيٍّ مُغِيرَةً سَوَابِقَهَا مِثْلُ الْقَطَا الْمُتَوَاتِرِ
قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ وَأَبْصَرُ دُونَهُ قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ قَتِيلُ مُحَابِرِ

وقالت :

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يَسِرْ بِنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَغَوِّرِ
وَلَمْ يَغْلُ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ يَقُودُهَا بِسُرَّةٍ بَيْنَ الْأَشْمَسَاتِ فَأَبْصَرِ^(١٤)

ولها :

هَرَاقَتْ بَنُو عَوْفٍ دَمًا غَيْرَ وَاجِدٍ لَهُ نَبَأُ نَجْدِيَّةٍ سَيَغُورُ
تَدَاعَتْ لَهُ أَفْنَاءُ عَوْفٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ هَضْبِ الرُّذَهَتَيْنِ نَصِيرُ

هذه نبذة ملخصة من قصة توبة مما جاء في كتاب «الأغاني» أوردتها لتعرضها لذكر أسماء أعلام من موارد ومواضع ، لاتزال مشهورة بهذه الأسماء ، أو نحوها ، كما أنها متقاربة في مواقعها في أحداث القصة ، وهي من الجنوب إلى الشمال ثم الغرب ثم إلى الشمال منها : ماء قوباء ، جُرير ، تَثْلِيث ، أفيخ ، قُرون بقر ، بطن ييشة ، حَجَرُ الرَّاشِدَةِ ، طُلوْب ، كَبْدُ الْمَضْجِع ، هَضْبُ الرُّذَهَتَيْنِ ، ظَلَم ، هَيْدَة ، الشجرة .

كما أن لَيْلَى الْأُخَيْلِيَّةَ ، ذكرت في بعض الأبيات التي أوردنا من شعرها أسماء مواضع في الشرق من الموضع الذي قتل فيه توبة مثل حَوْضَى والرُّقْيَى ، وفي الجنوب منه ذكرت الأشمسيات وأَيْصَرَ .

١ - حجر الراشدة: حَجَرٌ أحمر عال ، أعلاه ضخم ، وأسفله قد أضعفته عوامل التعرية ، وقد أصاب صاحب «الأغاني» في وصفه حيث قال: ظليل أسفله كالعمود ، وأعلاه منتشر انتهى . ويقع بقرب نهاية وادي الراشدة ، في مجرى وادي بَيْشَةَ في منطقة مورد الحزيم ، أحد موارد بادية المُرُوكَةِ من سُبَيْع ، غرب جنوب ضَلْفَع ، فيما بين ٣٥ و ٤٠ كيلاً تقريباً .

وَالْحَجَرُ بارزٌ في أرض دمنة رملية ، نباتها الرُمْتُ والغضا ، ومجرى وادي بَيْشَةَ منه في الجنوب ثم في الشرق ، لِأَنَّ وادي الراشدة يرفده من الشمال الغربي حينها ينعطف وادي بَيْشَةَ إلى الشمال الشرقي .

وماء طَلُوب من الْحَجَرِ في الغرب حوالي ٧ أو ٨ أكيال فقط ، والطلوب بئر جاهلية بعيدة القعر ، مطوية بالحجر ، عذبة الماء غزيرته ، وعن الراشدة قال الشاعر العامي :

يَاللهُ فِي بَرْقِي عَلَى الرَّاشِدَةِ لَأَخْ يَسْقِي الْحَرَيْنِمَا لَيْنَ غَبَى غَبْلَهَا
الْحُرَيْمَانِ وَأُحْرِيْمَانِ أَبْرِقَاتُ جَنُوبِ غَرْبِ الْحَجَرِ عَلَى ضَفَةِ وَادِي بَيْشَةَ ، وَالْعَبْلُ : ساقٌ أبيض عالٍ ، جنوب مجرى الوادي ، ليس له نظير في ناحيته ، ويسمى الآن عَبْلُ أُمِّ السَّقِيَانِ ، وأم السَّقِيَانِ هضبة حمراء بجواره شمالاً على طرف الوادي ، وأرض صيفاء منها في الشرق ، وَالْمَيْثَبُ وكَتَمَانِ مِنْهَا جَنُوباً تَرَاهُمَا بِالْعَيْنِ المجردة .

وعن مسميات الْحَجَرِ الآن فهي مايلي : - حجر الراشدة ، حصاة الراشدة ، وهذا تمييزٌ لها عن حصاة أخرى هي حصاة ختران ، شرق الحاوي^(١٦) .

وجلية الراشدة تمييز لها عن جلية أخرى هي جلية المفجر ، والمفجر شعبة من وادي بَيْشَةَ ، تتشعب منه ناحية الجنوب الشرقي جنوب مورد الوسيط من

الحزيم ، غرب النهاية الغربية لحزم شياط ، بحيث تكون هذه الشعبة ذاهبة إلى جهتها مابين حزم شياط وجبل حذاء ، مروراً بالغريدات ، موازية لانحدار مجرى بيشة برنية ، بعد اجتماعهما^(١٧) وحجر الراشدة يقع جنوباً إلى الجنوب الغربي من مدينة رنية على بعد ٤٠ أو ٤٥ كيلاً ونفود حنجران يفصل بينهما .

٢ - ناضحة: (١٨)

ولعل أوضح تحديد لها مذكره صاحب كتاب «بلاد العرب»^(١٩) قال: قال العامري :

يَا صَاحِبِي قَفَا عَلَى الْأَطْلَالِ بِالْخَلِّ^(٢٠) فَالضُّفْرَاتِ مِنْ أَوْرَالِ^(٢١)
فِي حَوْضَيْنِ إِلَى بِرَاقٍ نَوَاضِحٍ قَدْ طَالَ مَا بَقِيََتْ عَلَى الْأَحْوَالِ
أورال : برقة سوداء في الرمل من بلاد عبدالله وأبي بكر ، وعنى حَوْضَيْنِ عبدالله بن كلاب من أقصى دار كلاب .

قال أبو مهدي : هي بِرَاقٌ نَوَاضِحٌ ، وقال : ناضحة من بلاد عبدالله وربيعه ابني كلاب ، وحوضيان ماء^(٢٢) لبني كلاب وهما عامنان لهم كلهم ، وكذلك قال العامري . وقال : ناضحة ماء^(٢٣) لعبد الله بن كلاب وقال في الكتاب أيضاً^(٢٤) - قال العامري :

وَحَلَّتْ بِالْبَغَاثِ بِغَاثٍ حَوْضِي شَائِبٌ تُحْفَرُ فِي الرُّغَابِ
وَبِالْأَعْرَاضِ حَتَّى كُلِّ عُرْضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مُطَرِدُ الْحَبَابِ
وعن هذه الأعراض التي تنهي في الرغاب من بغاث حَوْضِي قال لبيد بن^(٢٥) ربيعة الكلابي : وهو يستخيل السحاب إلى أين سيصب ماءه قال :

عَلَى الْأَعْرَاضِ أَيْمَنْ جَانِبَيْهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى كَوْرِي أَثَالِ

ويقصد بالأعراض هنا مجموعة الشعاب والأودية المنحدرة إلى الشرق من حرة بني هلال وماحولها من المرتفعات ، بما فيها وادي تربة المشهور ، حيث تنتهي كلها في رملة بني كلاب التي تحيط بها من الشرق ، ومابين تلك الرملة غرباً إلى

المرتفعات المذكورة رياضُ بني عُقَيْلٍ ، وفيها يستقر معظم سيول تلك الشعاب ، وهي تقع شمالي مدينة رَنْبَةَ غير بعيد وأورد البكري^(٢٦) قول الشاعر في وصف المطر أيضاً قال:

حَرَى مِنْهُ رِيَاضُ بَنِي عُقَيْلٍ وَأُورَالٍ وَنَاصِحَةُ حَرَاهُ
قال: ناصحة: وأرى صوابها ناصحة انتهى .

وأقول: هنا جاء ذِكْرُ نَاصِحَةِ مَقْرُونًا بِأُورَالٍ ، ثم جاء مَقْرُونًا بِخَوْضِي ، ثم وُصِفَ أَنَّهُ بِالْقَرَبِ مِنْ رِيَاضِ بَنِي عُقَيْلٍ ، وَأَنَّهُ فِي الرُّغَابِ مِمَّا يَلِيهَا وَكُلُّ تِلْكَ الْأَوْصَافِ تَنْطَبِقُ عَلَى مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ نَاصِحَةَ الْقَدِيمَةِ هِيَ الرِّخَامُ الْآنَ عِلْمًا أَنِّي لَمْ أَرِ لِاسْمِ الرِّخَامِ أَيُّ ذِكْرٍ فِيهَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَوْ أَشْعَارِهِمْ ، وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْهَا الْجُزْءُ الْأَعْلَى كَالنَّضْحَةِ وَهَذَا يُوَافِقُ مَسْمَاها الْقَدِيمَ ، وَعَلِمْتُ مِنْ أَحَدِ الْإِخْوَةِ أَنَّهُ رَافِقٌ لِأَحَدَى بَعَثَاتِ التَّعْدِينَ الَّتِي تَسْأَلُ عَنِ الْمَوَاضِعِ لَتَقِفَ عَلَيْهَا فَأَجَابَهُمْ بِأَنَّهُ تَسْمَى (الرِّخَامُ) وَقَبْلَ بَضْعِ سِنَوَاتٍ سَأَلْتُ أَحَدَ كِبَارِ السَّنَنِ مِنَ الْبَادِيَةِ فِي نَاحِيَّتِهَا عَنْ اسْمِهَا ، فَأَجَابَنِي بِأَبْيَاتٍ ضَمَّتْ مَجْمُوعَةَ مَسْمِيَّاتٍ لَا زَالَتْ مَعْلُومَةٌ ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى مَهْرَاسَ ، أَحَدِ الْجُهْرَانِ مِنَ الْمُورَكَةِ ، وَقَدْ تَوَفَّى قَبْلَ سَنَةِ ١٣٠٠ تَقْرِيبًا قَالَ :

عَلَّ الْمَطَرُ يُسْقِي لَنَا قَهْيَةً وَالتَّغْذِوَةُ وَالْعَيْرُ مَعَ كَلَانٍ
وَأَبُو سُنُونٍ عَلَّهَ الْوَسْمِيَّةُ وَالنَّاصِحَةُ وَغَهْيَنُ وَالْغِرَّانُ

وعن غَهْيَنَ وَالْغِرَّانِ أورد أيضاً أبياتا لابن الشاعر ويدعى محميد بن مَهْرَاسَ الجُهْرِيِّ قَالَ :

جِنَّا رَعَيْنَا فِي قَرَارِ غَهْيَنَ وَالْغِرَّ يَوْمَ أَنَّهُ زَهَا مَرْعَاهُ
يَوْمَ أَنَّ قَوْمَكَ سَنَدُوا لِلْعَيْنِ يَشَارُكُونَ الثَّوْرَ فِي مَفْلَاهُ

غَهْيَنُ: جَبِيلٌ يَتَوَسَّطُ قَرَارَ (رِيَاضِ) الْغِرَّانِ .

والقَرَارُ: مَكَانٌ اسْتَقَرَّ الْمَاءُ عِنْدَ نَزُولِ الْأَمْطَارِ ، وَهُوَ بِمَعْنَى الرِّيَاضِ مَكَانٌ اسْتِرَاضَةُ الْمِيَاهِ ، وَتَكُونُ عَادَةً مِنْ أَخْصَبِ الْمَوَاضِعِ وَأَفْضَلُهَا ، وَعَنِ الْغِرَّ

والغِرَّان^(٢٧) والعَيْنُ توجدُ في عليا وادي رَنْيَة وحولها منابت الحلفاء التي تفضل مرعاها الأبقار . وعن قول العامري : ناضحة ماء لعبدالله بن كلاب ، نقول : إنَّ هناك ماءة في الشمال من ناضحة ، يفصل بينها عدة أقواز ، وهي في حَقْفِ الأَقَوازِ شمالاً عما يلي الرُّقَّ ، بقرب قَهَبٍ أبيض صغير ، منها مطلع الشمس ، وقد سُمِّيَ الماءُ (قَهْبِيَّةً) نسبة له ، وقد ورد ذكرها كثيراً في أشعار العامة في ناحيتها ، ولوقوع قهبة أبيضاً في رأس الرُّقَّ جنوباً نسب إليها ، قال : عُيَيْدُ بن دريمج من الجهران من قصيدة له :

يَاسَعْدُ بِأَطْوَلِ رِقَانٍ قَهْبِيَّةٍ والركابِ ذَا السَّنَةِ حَيْلَهَا وَإِي
وقالت لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةُ من قصيدة رثاء توبة بن الحُمَيْرِ :

فَأَنَسْتُ خَيْلًا بِالرُّقِيِّ مُغْيِرَةً سَوَابِقَهَا مِثْلُ الْقَطَا الْمُنَوَاتِرِ
وموضع مقتل توبة وموضع هَضْبِ الرُّذَهَتَيْنِ في الغرب من الرُّقِيِّ أو الرُّقَّ ، وهذا يمتدُّ من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة رملة بني كلاب يشبه أرض الساحل ، وتغوص فيه أخفاف الإبل ، ويصعب السيرُ فيه ، والذي يطيل النظرَ يَجِدُ بأرضه صَدَفًا ومخاراً كالذي يُوجد قرب البحار ، وفيه منتهى كُلِّ سُيُولِ الجِرارِ الغربية ومرتفعاتها الشمالية الغربية من رَنْيَة .

وأما موقع ناضحة فهي في الجنوب الغربي من حَوْضَيْنِ وأورال ، في منتصف الطريق تقريباً بينها وبين مدينة رَنْيَة ، وبقرب ناضحة برق متفرقة ، ففي الشمال : قَهَبُ أبيض ، ثم في الغرب فَحْلَيْنِ ، وفي الجنوب أبو سُنُون ، وأبرقاً الخليج ، وأَبْرَقُ مردغة^(٢٨) .

رفية: فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

الحواشي :

- (١) ج ١١ ص ١٢ ط مصورة عن مطبعة دار الكتب المصرية .
- (٢) الجُرُزُ (بالضم) عمود من حديد .
- (٣) لعلها مايعرف الآن باسم (قبرة) أو (القبرة) وهي مورد ماء قديم يقع جنوب جرير .
- (٤) جرير: مورد ماء أيضاً قديم يقع في غائط تنكفاً إليه سيول ماحوله ، وفي أصله واد يذهب إلى ناحية

الشمال الشرقي فيما بين جبلي جرأ وجريز ، حيث يقضي سيله في وادي تَلَيْثَ المشهور ، وهو في الشرق من بلدة تَلَيْثَ في منتصف الطريق تقريباً فيما بينها وبين وادي الدواسر ، وليس كما ذكر أحد كتاب مجلة العرب، ١٨/٢١ من أنه يقع شمال بلدة تَلَيْثَ على بعد ١٠٠ كيل .

(٥) افبخ: يعرف الآن باسم (يفبخ) ي ف ي خ - جبل مشهور على الطريق الذي يربط رَنْيَة بوادي الدواسر ، وهو من رَنْيَة إلى الجنوب الشرقي .

(٦) قرون بقر: تعرف الآن باسم (الباق) جُبيلات بيض يعلوها دكة سوداء ، وهن إلى الشمال الشرقي من يفبخ ، وترى منه بالعين ، وعندهن قتل توبَة بين السُحْمَرِ الحفاجي خصمه ثور بن أبي سمعان من بني عوف بن عُقَيْل .

(٧) بطن بيشة: لاشك أنه يعني بطن وادي بيشة ، لأن من أراد الوصول إلى حَجَرِ الراشدة وهو قادم من ناحية تَلَيْثَ أو من وادي الدواسر أو حتى من الشمال الشرقي لابد أن يقطع مجرى بطن وادي بيشة وهذا ما فعله توبَة في غزوه لبني عوف أهل طلبوب .

(٨) ماء طلبوب: يعرف الآن باسم ماء الطويلة ، وهذا تغيير سهل في الاسم ، وهي بئر عذبة الماء عادية مطوية بالحجر ، إلى عهد قريب ، وهي إلى الغرب من حجر الراشدة على بعد لا يتجاوز ٧ إلى ٨ أكيال ، وهي للمجاعة من الذكور من سُبيح سكان مدينة رَنْيَة ، وفي السنوات الأخيرة وُضِعَ عليها مركز إمارة تابع لإمارة رَنْيَة لخدمة القبائل في ناحيتها ، وهي تقع في جَرُ جبل فوثان ، جبل عال أحمر ، مطل على مجرى وادي بيشة من الشمال الغربي .

(٩) تُؤَخِّذُ لهم: أي تعالجُ بالسحر وتعاطى الكهانة .

(١٠) ظلم: كذا في «الأغاني» ولكنه ليس بـ (ظلم) المعلوم في عالية نجد فذاك بعيد عن المواضع التي أوردناها هنا وقد يكون (ظَلَمًا) هضبة حمراء ملساء معروفة وإلى جانبها (أبو الظلمان) يماثلها في التكوين ، إلا أنه أصغر حجماً بكثير ، وفي كل من (ظلمًا) و(أبو الظلمان) ردهة تلزم الماء طويلاً يردها الناس بعد نزول الأمطار في ناحيتها ، والهضبتان تقعان في جوف هضاب متناثرة ، حمر صفار ، وهذا كله يقع في الشمال الشرقي من مدينة رَنْيَة في طرف رملة بني كلاب إلى الغرب من ناضحة عما يلي فَحْلين .

(١١) هَيْدَة: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٤٢٢/٥ - هيدة: اسم ردهة في أعلى المضجع وقال أبو عبيدة في «المقاتل»: لم يقف علياؤنا على هيدة ما هي حتى جاء الحسن فأخبر أنه موضع قُتِلَ فيه توبَة بن السُحْمَرِ الحفاجي ، وهما هضبتان يقال لهما بتا هيدة قال: وَفَرَّتْ ليلي على قبر توبَة ففكرت بغير زوجها وقالت:

غَفَرْتُ عَلَى أَنْصَابِ تَوْبَةَ مُفَرَّمَا هَيْدَةَ إِذْ لَمْ تُحْضِرْهُ أَقَارِبُهُ

وأقول: هيدة هيدان بمعنى واحد هما أكيمتان إحداهما ، أكبر من الأخرى ويقربها يقع ثَمَدُ الشجرة معروف منذ القديم ، والهضبتان تقعان شمالي المضيب الذي سبق الحديث عنه مسافة ضحلة لسير الإبل العجلى .

وعاترة تصبُ في رملة بني كلاب بالقرب منها انظر مجلة «العرب» - ٥٥٤/٥٥٣/٢١ .

وعن هيدان قال: معطش بن مضحي من القنافة - يرحمه الله -:

يا لله في بارق تركدُ غايِلَة يَنْقِي لَنَا صُلْفَجَ وَأَطْرَافَ كَثْمَانِ
نَرعى الْمَعَاشِيرَ تَسْمَنُ في مَسَايِلَة يَغُوضُهَا في الشَّوْطِ وَرَمَتْ هَيْدَانِ

الشويط: نوع من الشجر الشوكي تلجأ البادية إلى قطعه وأحرقه بالنار ، ثم تقطعه للإبل في وقت

الجذب ، وهو نافع لها ومفيد ، وهيدان : يُنبت القتاد الذي يتخذ منه الشويط وينبت الرمث أيضاً لأنه يطرف الرملة غرباً ولازال معروفاً بهذا الاسم (هيدان) .

(١٢) طُرُط : كلمة تهكم واستهزاء .

(١٣) أجنه : أكنفه وأشتره .

(١٤) لعلها عنت بالأشمسات : الشّاس : جبال سود متداخلة ، وفي غربها ماء قديم وكذلك في جنوبها ، وجنوب غربها وتقع من حجر الراشدة جنوباً إلى الشرق على بعد ١٨ إلى ٢٠ كيلاً .

وأيصر : قد تعني الصريفات وهن حزون متقاودة في أرض هي من أحب الأراضي للبلدية في ناحيتها ، وهي غرب الشّاس لا تبعد أكثر من ٨ إلى ٩ أكبال وفيها كثير من حفر المعادن القديمة وسبق الكلام عليها وماينها وبين الشّاس سرّة من الأرض ، هابطة تمتد من الغرب إلى الشرق .

(١٥) هضب الردهتين لا يكون إلا الذي يكبد المضجع الأعلى بطرف الرملة ، وفيه ظلماء ، وأبو الظلماء المشار إليها ، وهو من قبيلة أو هيدان ناحية الجنوب الشرقي في موضعه المحدد ، والهضب المذكور بات فيه توبة ليكة التي قتل في غديها بعد أن لحق برفاقه في هيدة حيث مؤيّلهم .

كبد الشيء مقبله وواجهته الموالية ، ومن المضاجع المضجع الأعلى ، قال الشاعر :

سقى المضجع الأعلى إلى بطن ختل إلى القهب مستن الرباب خصب

(١٦) «العرب» : ١١١٦/١٨ .

(١٧) «العرب» : ٥٥٣/٥٥٢/٥٣٩/٢١ .

(١٨) «العرب» : س ١٢ ص ٩٣٩ وس ٢١ ص ٥٥٥/٥٥٣ .

(١٩) ص ١٦٦ .

(٢٠) خُل الملح لا يزال معروفاً بالبحرق ، يسلكه الغادي والرائح .

(٢١) أورال : هي برقة سوداء داخل الرمل ، في الشمال الغربي من حوضين في شقة هناك ولكنها اليوم تسمى (أراض) بالفساد .

(٢٢) لاتزال (بترين) حتى الآن ، وهي اليوم تسمى ورشة في جانب خوض الماء ، إلى الجنوب الشرقي ، وفي السنوات الأخيرة أحدث عليها مركز إمارة . يتبع إمارة رنية ، والماء لال صامل من أشرف رنية .

(٢٣) ماء ناضحة : هي اليوم تعرف باسم (ماء قهية) وسبق تعريف السبب في ذلك وتحديدها .

(٢٤) ص ١٦٥ .

(٢٥) أثال وكوزني أثال انظر مجلة «العرب» س ١٨ ص ١١١٩ ، وعن العروض قال لبيد بن ربيعة :

نُقَاتِلُ مَايِنَ الْعَرُوضِ وَخُتَمًا

أي ماين مكة واليمن .

وقال أيضاً :

فما آل جُحَفِيّ بن سعد كائما سقى جمعهم ماء الزعاف مُنِيْم

قال الجوهري : جعفي أبو قبيلة من اليمن وهو جعفي بن سعد العشيرة «اللسان» ١٩٢/٢ و ٣٧١/١٠ .

(٢٦) ص ٦٣٠ .

(٢٧) انظر «العرب» : ٧١٣/٧/٥٧٣/٤ .

(٢٨) عن هذه المواضع انظر «العرب» ٤٢٦/٢٠ و ٥٥٣/٥٥٢/٥٥١/٢١ .

أسماء أحياء الرياض القديمة

نشرت «المجلة العربية» [جزء ذي القعدة ١٤٠٨هـ/ تموز ١٩٨٨م ص ٢٠] كلمة للأديب الباحث الأستاذ الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي تتعلق بتعليل بعض أسماء أحياء الرياض القديمة ، على ما اتضح له من كتاب وقع في يده ، أبانَ أَضْلَ تلك الأسماء ، وسبب إطلاقها على المواضع التي أُطْلِقَتْ عليها ومنها : (شِلْقًا وَالْفُوطَة وَخَنْشَلِيلَة) .

مع الإشارة إلى أن الرياض كانت تسمى (رياض مقرر) لعله مقرر بن مرخان جد آل سعود ، وعن وقوع خانات كثيرة في بلدة الرياض منها : (خان المحرق وخان جليجلة وخان شليلة) .

والواقع أن الكتاب الذي أشار إليه الأستاذ الفريق المعلمي سبق أن لفت نظري للاطلاع عليه الصديق الكريم الأستاذ عبدالله بن علي بن مُحمَّد رئيس النادي الأدبي في ابها في كلمة نشرها في جريدة «البلاد» [ع ٨٤٣٧ في ١٤/٤/١٤٠٧هـ] وقبل ذلك كان ابننا الأستاذ أبو عبدالرحمن بن عقيل بعث إليَّ بصفحات مصورة منه مستوضحاً عن بعض مانجاء فيها من معلومات ، وكان من بينها سَرْدُ نَسَبِ الأمير أحمد بن محمد بن سليمان بن فوزان بن تركي بن عبدالمحسن ابن علي بن خالد بن أحمد بن عبدالله بن عبد الوهاب بن سليمان بن زيد بن محسن ابن سدير - السديري - إلى آخر النسب وقال : بأن سدير بن عامر سمي به وادي الفقاء لتغلبه عليه هو وذريته من بعده .

وسُدَيْرٌ هذا هو الأب الرابع عشر للأمير أحمد بن محمد الذي ذكر المؤلف الالتقاء به سنة ١٢٨١ في عهد الإمام فيصل بن تركي ، ومن المعروف أن علماء التاريخ يحددون للمقرن ثلاث طبقات (ثلاثة رجال) وعلى ما ورد في هذا الكتاب تكون الفترة الزمنية بين أحمد بن محمد وبين جده سدير تقارب خمسة قرون أي أن الزمن الذي عاش فيه سدير هو القرن الثامن الهجري ، بل قد نص صراحة في قسم يظهر أنه من أجزاء الكتاب قال عن سدير بن عامر : وقد ثارت ضده قبائل نجد بعد وفاة أبيه بدعم من بني جروان في الاحساء عام ٧٨٧ .

ويتبين خطأ هذا إذا أدركنا أن وادي سدير كان معروفاً قبل هذه الفترة بقرون ، فقد ورد ذكره في كتاب الحفصي عن اليمامة الذي هو أحد مصادر ياقوت في كتابه « معجم البلدان » حيث ذكر : ذو سدير قرية لبني العنبر . وقال في موضع آخر من كتابه : بظاهر السخال واد يقال له ذو سدير . ولاشك أنه يعني وادي سدير المعروف الذي كان يسمى أيضاً الفقاء ووادي المياه أيضاً .

من هنا ضعفت ثقتي بذلك الكتاب ، وإن كنت أعجبت بخيال مؤلفه الخصب ، لتمكنه من إيراد أشعار كثيرة شواهد على ما يوردها من أخبار ، أو يؤرخ من رجال ويذكر من حوادث ، فقد يتبع ذلك بقصيدة قد تتجاوز العشرات بل قد تبلغ المئات من الأبيات على درجة قوية من حسن السبك ، وسلاسة النظم ، مع احتوائها على عدد كثير من أسماء المواضع والقبائل التي لها صلة بالخبر ، مما يدل على سعة اطلاع الناظم ومعرفته بالمواضع والقبائل التي يتحدث عنها ، وإن كان أسلوب القصائد التي يوردها في كتابه أسلوباً واحداً سواء منها ماساقه على لسان أناس قال إنهم عاشوا في القرن الثاني الهجري أو آخرين عاشوا في القرن الرابع عشر مما يدل على أن الناظم واحد .

أما ما يورده من أصول أنساب القبائل ويفرعه من ذكر أسر يصلها بتلك الأنساب فمن الأمور التي تستدعي الحيرة ، وتثير الدهشة لاتساع ذاكرته لأنساب القبائل ، ولما سكتها ، ولصلات بعضها ببعض ، بصرف النظر عما يورده من خلط في ذلك .

لندع هذا إلى ما ذكر عن تعليل أسماء أحياء الرياض .

لقد تذكرت وأنا أقرأ ما كتب عن ذلك قصة حدثت قبل عشرين عاماً حين سُئِلَ أحدهم عن اسم جبل يقع جنوب مدينة الاحساء على طريق المتجه إلى قطر يدعى (دُخْنَة) وعن صلته بمحلة دخنة إحدى محلات الرياض ، فأسعفه الخيال الخصب بأن قال (متمعلما) أو (هازلا) : كانت هناك قبيلة تدعى دخنة ، تسكن حول ذلك الجبل ، ثم إنها انتقلت إلى الرياض واستقرت هناك !! وقد اشرت إلى هذه الخرافة في كلامي عن ذلك الجبل في « المعجم الجغرافي للبلاد

العربية السعودية ، قسم المنطقة الشرقية ، ولم يمض طويل وقت حتى رأيت كلام الرجل مسطراً في أحد المؤلفات باعتباره حقيقة تاريخية وهكذا تصبح الخرافات تاريخاً .

أما عن نسبة مواضع في الرياض إلى بني أمية فليس هناك من الأدلة التاريخية - حسب علمي - ما يثبت ، بل إن أقوى عامل وطد حكمهم في نجد هو إبراهيم ابن عربي في عهد عبدالملك بن مروان ومن بعده ، وقد اتخذ مقر اقامته في (العُقَيْر) وهذا في بطن وادي حنيفة ، وقد أشرت فيما كتبت منذ زمن إلى أنني أرى أنه كان يقع على مقربة من المغيدر والمَلَقَا ، حيث كان يوجد هناك قصر يدعى قصر (عقران) وقد شاهدت من آثار ذلك القصر فرأيت اللبنيات التي كان بني بها قد عملت من الأجر الأحمر ، وماكان لهذه البلاد عهدٌ بالبناء بهذا النوع من اللبن إلا منذ زمن قريب ، ولم يؤثر للوالي الأموي ابن عربي هذا من الانشاءات العمرانية سوى سجن (دَوَار) الذي أنشأه في مدينة حجر (الرياض) وخلد ذكره الشعر العربي في ذلك العهد فكان مما قال جحدر العكلي - انظر « العرب » س ١١ ص ٧٣ - :

يَا رَبِّ دَوَارٍ أَنْقِذْ أَهْلَهُ عَجَلًا وَأَنْقُضْ مَرَاثِرَهُ مِنْ بَعْدِ إِثْرَامِ
رَبِّ أَرْمِهِ بِخَرَابٍ ، وَأَرْمِ بَانِيَهُ بِصَوْلَةٍ مِنْ أَبِي شَيْلَيْنِ ضِرْغَامِ
وقد استجاب الله دعاء هذا الشاعر فزال دوار من الوجود .

وأمر آخر فقد تصدّى لتحديد جميع المواضع المشهورة في اليمامة كلها ومنها مايحيط بحجر (الرياض) من أمكنة وجبال ، وأودية وقرى ، عالم من أهل هذه البلاد في القرن الثالث الهجري وهو محمد بن ادريس بن أبي حفصة اليمامي فالف كتاب « اليمامة » سجل فيه أسماء قراها وأمكنتها المشهورة وجبالها وأوديتها وطرقها وكان من مصادر ياقوت فنقل عنه كثيراً في « معجم البلدان » ولم يرد فيما نقل أية إشارة عن أي موضع من هذه المواضع التي نُسِبَتْ إلى بني أمية - انظر عن كتاب ابن أبي حفصة « العرب » س ١ ص ٧٦٣ و ٧٦٩ - .

أما المكان الذي دعاه (خان المحرق) وقال بانه يقع في الجنوب الغربي لمدينة

الرياض القديمة أي ناحية عُنَيْقَة ، فاذا صح أن الموضع معروف بهذا الاسم فليس من المستبعد أن يكون موضع قرية المَحْرَقَة التي حدد مكانها ياقوت بأنها في قبلة العرض وان العرض في قبلة حجر وحجر في قبلة الشط بين الوتر والعرض ، ووصفها صاحب كتاب « بلاد العرب » بأنها قرية تقع في بطن العرض وانها قرية آل المهير وهاؤلاء من سادات بني حنيفة .

والقول بأن مدينة الرياض كانت تسمى (رياض مقرن) لعله مقرن بن مرخان جد آل سعود ، فالظاهر أن صاحب الكتاب نسبها إلى مقرن بن أجود بن زامل من الأجاودة أمراء الاحساء الذين امتد حكمهم إلى نجد في القرن التاسع وأول العاشر ومقرن هذا قتله البرتغاليون سنة ٩٢٨ .

وانظر عن آل أجود « العرب » س ١ ص ٦٦٠/٦٠١ -

وكان قضاة الرياض في ذلك العهد قبل بروز اسمها يضافون إلى مقرن فيقال : قاضي مقرن ويقصد القرية التي كانت في الاصل إحدى محلات مدينة حجر حين كانت قائمة ، فلما ضعفت تفرقت محلاتها وعرفت بأسماء متعددة مثل : مقرن ومعكال والبنية والعود وجبرة والصليعاء والخراب وغيرها حتى كان في عهد دهام بن دواس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري فجمعها داخل سور واحد لاتزال بعض آثاره مشاهدة ، وقد تحدثتُ عن ذلك في كتاب « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » .

ومعكال كان الاسم ينطق بالنون (معكان) على ما جاء في كتاب « سمط النجوم العوالي » للعصامي حيث أورد خبر غزوة شريف مكة حسن بن أبي غني هذه البلدة سنة ٩٨٦ ونواحي أخرى من الخرج ، ووصف الغزوة أحد شعراء مكة محمد بن علي الطبري بقصيدة منها :

وَيَحْسَبُ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ (البَدِيعِ) وَيَمُنُّ أَهْلُ (السُّلَيْمِيَّةِ) الْغُبَا وَ (مَعْكَانَا)
أَوْ (آلِ خَالِدٍ) مَنْ أَهْدَى ضَلَالَتَهُمْ نَفْسَهُمْ فَفَدَوْا هَذِيأَ وَقُرْبَانَا

أما القَرِيَّةُ فهناك مواضع لايزال بعضها يحتفظ بهذه التسمية الآن ، وفي العهد

رَحْرَحَان: وهل هو اسم جبلين؟!

رَحْرَحَانُ من أشهر جبال غرب الجزيرة ، واذكرها ، فطالما كان هذا الجبل وماحوله مسرحاً لعراكٍ قُبليٍّ ، في العهد الجاهلي ، ولهذا خلده الشعر العربي فتكرر ذكره في مقام افتخار كثير من الشعراء الإسلاميين والجاهليين ، وقد جرى فيه وقائع منها يومان من أشهر أيام الجاهلية ، أحدهما انتصرت فيه بنو عامرٍ على بني دارم من بني تميم ، فقال النابغة الجعدي يفتخر بيوميه من قصيدة طويلة :

هَلَا سَأَلْتُ يَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتُ هَوَازِنُ أَنْ الْعِزُّ قَدْ زَالَا

وقال جرير يهجو بني دارم :

أَتَسْنُوْنَ يَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ بَدَا فَوَارِسَ قَيْسٍ لِأَيِّسِينَ السُّنُورَا ؟
تَرَكْتُمْ بَوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ وَيَوْمَ الصُّفَا لَا قَيْتُمْ الشُّعْبَ أَوْعَرَا

وقال أيضاً :

وَلَيْلَةَ وَادِي رَحْرَحَانَ زَفَقْتُمْ فِرَارًا وَلَمْ تَلُؤُوا زَفَيْفَ النَّعَائِمِ
تَرَكْتُمْ أَبَا الْقَعْقَاعِ فِي الْقِدِّ مُوثَقًا وَأَيُّ أَخٍ لَمْ تُسْلِمُوا لِلْأَذَاهِمِ ؟

كما جرت معارك حول هذا الجبل في العصور الأخيرة ، منها على ما روى الأخ

القديم من المواضع قرية كانت تابعة لحجر ذكرها صاحب كتاب « بلاد العرب » وحدد موقعها بانها واقعة بين الواديين يقصد وادي الوُتْر (البطحاء) ووادي العرض .

هذا ما رأيت التعليق به على كلمة حبيبنا الفريق الأستاذ العلمي عما لا أراه وافياً بالغرض إذ الموضوع في رأيي بحاجة إلى دراسة أوفى وأعمق ممن لهم من بسطة العلم ، وسعة من الوقت والاتجاه للبحث في هذه الموضوعات مما يمكنهم من ان تكون كلماتهم الفصل في مثل هذه الأمور ، وما التوفيق إلا من الله سبحانه وتعالى .

حمد الجاسر

الأستاذ سعد بن عبدالله بن جنيد - يوم جرى بين قبيلة الروقة من عتبية بقيادة مصلط بن ربيعان وبين قبيلة مطير بني عبدالله ، وفيه يقول مطلق بن رباح الصانع العتبي :

هَاضِني يَوْمَ جَرَى عَلَيْنَا عَاشَ (رَحْرَحَان) مَنْ الْعَسَامِ
أَيَّمْتَهُمْ (شَدْخ) يَضْفِي عَلَيْهِ وَيَطْمَنُّهُمْ (نُقُودَ الْقَوْزِ) شَامِ
أَلَا يَاطِيكُمْ يَا أَوْلَادَ (رَوْق) لَوْلَا الْهَوَشُ ضِعْتُوا فِي الْمَظَامِي
(مُضَلَّط) كُنْهَ الْحَيْدِ الْمَيْتِ كَمَا ضَلَعَ عَلَى الضِّلْعَانِ زَامِي
صَفَّقَهُمْ مَنْ يَسَارُ وَمَنْ يَمِينُ صَفَّقَ الْحَوْضُ فِي وَجْهِ الطَّوَامِي

وشَدْخُ : جبل قريب من جبل رحرحان - كما أن الاسم يطلق قديماً على وادي الحناكية (نخل) - كما في « معجم ما استعجم » .

وقال الشماخ :

سَرَتْ مِنْ أَعَالِي زَحْرَحَانَ فَأُضْبِحَتْ يَفْقِدُ وَيَاقِي لَيْلَهَا مَا تَحْسُرَا
وهذا شبيه بقول ذي الرمة :

سَرَتْ مِنْ مَنَى جَنَحِ الظَّلَامِ فَأُضْبِحَتْ يَبْسُيَانُ أَيْدِيهَا مَعَ الصُّبْحِ تَلْمَعُ

افترأهما على سيارتين لا على ناقتين ١٢

وقد حدد المهجري موقع رحرحان حين ذكر أنَّ الخبرة سره هي الربذة من الربذة مهب الشمال ، وهي ماء لبني ثعلبة بن سعد ، وأضاف : وأول أجبل هي الربذة في غربيها رحرحان ، وهو جبل كثير القنان ، وقنانه سود بينها فرج وأسفله سهلة تنبت الطريفة ، وهي لبني ثعلبة بن سعد . ثم ذكر ما يقربه من المياه ، وقال : وبين رحرحان وبين الربذة بريدان . ومعروف أن البريد أربعة فراسخ وأن الفرسخ ثلاثة أميال ، وعلى هذا التحديد فالمسافة بين رحرحان وبين الربذة $(2 \times 4) = 8$ $(3 \times 8) = 24$ ميلاً .

وهذه المسافة تقارب المسافة الواقعة بين الربذة وبين جبل لايزال معروفاً باسم

رحرحان يقع شمال غربي الربذة وقد رسم في المصور الجغرافي (الخريطة B ٢٠٥)
وكتب اسمه خطأ : (رهرهان) ككثير من الأسماء التي كتبت بحروف لاتينية ،
ثم نقلت إلى العربية ، فوقع النقل خطأ ، وهذا الجبل علي مافي المصور يقع شرق
جبل يدعى القصير شرق الحناكية (نخل قديماً) في الطرف الغربي من سلسلة
جبال تدعى الخشبة ، واسم الخشبة قديم .

وسيلُ رحرحان على ما يتضح في المصور الجغرافي يتجه نحو الجنوب الغربي
فيلتقي بوادي الحناكية المجتمع مع وادي الشقرة ، ثم يفيض سيل الوادين في قاع
حوضاً .

ويقع رحرحان على مافي ذلك المصور بين خطي الطول : $٤٥^{\circ} / ٤٠'$
و $٤٥^{\circ} / ٤٠'$ وبقرب خطي العرض : $٢٤^{\circ} / ٤٧'$ و $٢٤^{\circ} / ٥٠'$ تقريباً - انظر
الرسم - .

وهذا الجبل كما يفهم من كلام المتقدمين واقع في بلاد غطفان قديماً .
ولكن أحد الإخوة نشر في مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٨٣٠ في الكلام على
جبال أبلَى الواقعة في منطقة المهدي (معدن بني سليم) فعُدَّ من بين تلك الجبال :
رمرم (يرمرم) ورحرحان وحَزرة والموقعة ورايان ، وهو الأخ عبدالعزيز بن سعد
المطيري .

وقد ذكرت في هذا الأخ عوض بن عويض بن لويحق العبدلي المطيري فأكد لي
صححة ماذكر عبدالعزيز بن سعد ، بل اتحفني بكتاب ألفه عن قبيلة بني عبدالله
ودعاه « البرهان في معرفة بني عبدالله بن غطفان » قال فيه في ص ٥٠ عن جبل
رحرحان ؛ يقع شمال غرب جبل رمرم بنحو عشرة أكيال ، قابع على ضفاف وادي
حوس ، ووادي حوس من أودية أبلَى غرب ذي ساعدة بنحو عشرة أكيال ،
جنوب غرب مهد الذهب ، ويعتبر رحرحان من مجموعة جبال أبلَى شمال الطريق
الموصل بين المهدي والسويرقية (السوارقية) .

وهذا الجبل الذي ذكر الأخوان المطيريان أنه أحد جبال أُبُلْ يقع بعيداً عن جبل رحرحان المعروف ، ومنطقته كانت قديماً من بلاد بني سليم ، فهل تسمية هذا الجبل حديثة نشأت بعد انتشار بني عبدالله بن غطفان (مطير) في هذه البلاد ؟!

إن كثيراً من السكان عندما ينتقلون من موضع كانوا ألفوه ، وعاشوا فيه زمناً طويلاً تدفعهم العاطفة إلى أن يسموا الموضع الذي ينتقلون إليه باسم الموضع القديم ، وهذا له أمثلة كثيرة في القديم ، وفي الحديث ، ولعل من أبرزها في العهد الحديث تسمية ماتنطبق عليه أكثر أوصاف (هضاب القلب) باسم (طخفة) ومعروف أن طخفة المشهورة من الهضاب التي لاتزال معروفة في حمى ضرية بعيدة عن طُخْفَة التي يظن أن اسمها القديم هضاب القلب ، ولكن سكانها المتأخرين يظهر أنهم انتقلوا من طخفة القديمة لسبب من الأسباب إلى هذه الهضاب المشابهة لهضاب طخفة فسموها بها ، وانظر لتفصيل هذا رسم (طخفة) من قسم عالية نجد من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

ويبقى التساؤل : هل اسم رحرحان يطلق الآن على جبلين ؟! إذ الجبل الذي بقرب أُبُلْ لم يرد له ذكرٌ فيما اطلعت عليه من المؤلفات القديمة .

وعلى ذكر رحرحان يحسن التنبيه على خطأ وقع في كلام أحد المتقدمين — ولعله أبا عبيدة معمر بن المثنى ، فقد ذكر في « النقائص » — ص ١٠٦٠ — أن رحرحان أرض قريبة من عكاظ . ثم أتى من بعده فتناقلوا هذا الخطأ ، ومنهم ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ولا صلة لرحرحان بعكاظ فالمسافة بين الموضعين شاسعة .

محمد الجاسر

**ما اتفق لفظه واختلف مسماه
من أسماء المواضع**
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤هـ)

- ٥٥ -

٢٤٩ - بابُ حَدِيْلَةٍ ، وَجَدِيْلَةٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بِضَمِّ الْحَاءِ وَقَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ - : بَنُو حَدِيْلَةٍ واسمُهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ قَالَه شَبَابٌ .

وقال ابنُ إِسْحَاقَ : بنو عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ : هُمُ بَنُو حَدِيْلَةٍ وَلَهُمْ بِهَا قَصْرٌ (٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : - أَوَّلُهُ جِيمٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا دَالٌ مَكْسُورَةٌ : - أَحَدُ مَنَازِلِ حَاجِ الْبَصْرَةِ (٣) .

- (١) عِنْدَ نَصْرِ : هَذَا النَّصْرُ .
- (٢) لَمْ يَزِدْ نَصْرٌ عَلَى قَوْلِهِ : بَنُو حَدِيْلَةٍ مَحَلَّةٌ بِالْمَدِينَةِ ، بِهَا دَارُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَأَطَالَ ياقوتُ الكلامَ عَنْ حَدِيْلَةٍ فَذَكَرَ أَنَّهَا مَدِينَةٌ بِالْيَمَنِ سُمِّيَتْ بِذِي حَدِيْلَةٍ . وَنَقَلَ قَوْلَ شَبَابِ الْعَصْفَرِيِّ ، وَهُوَ خَلِيفَةُ بْنُ خُبَّاطٍ التَّوْفِيُّ سَنَةَ ٢٤٠هـ . فِي كِتَابِهِ «الطَّبَقَاتُ» - ٨٨ - تَرْجُمَةً أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، كَمَا نَقَلَ كَلَامَ ابْنِ إِسْحَاقَ صَاحِبِ «السِّيَرَةِ» وَهُوَ فِيهَا فِي تَهْدِيْبِ ابْنِ إِسْحَاقَ - ج ١ / ٧٠٣ هَذَا النَّصْرُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدِيْلَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءٌ - وَأَوْصَلَ نَسَبَهَا إِلَى الْخَزَرَجِ ثُمَّ قَالَ : وَهِيَ أُمُّ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، فَبَنُو مُعَاوِيَةَ يَنْسُبُونَ إِلَيْهَا . انْتَهَى وَهَذَا يَتَضَرَّعُ أَنَّ قَوْلِي شَبَابٍ وَابْنِ إِسْحَاقَ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمَا . وَالْأَصْلُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَبِي الْمُنْدَبِرِ نَقْلُهُ ياقوتُ عَنْهُ وَذَكَرَ بَعْضُ الصُّحَابَةِ الْمُنْسَوْبِينَ إِلَى حَدِيْلَةَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ . وَأَوْرَدَ كَلَامَ نَصْرِ مَنْشُورًا إِلَيْهِ . وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَصْرَ بَنِي حَدِيْلَةٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى ضَرْبِ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قَضِيَةِ الْإِفْكِ قَائِلًا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى حَسَّانَ فِي ضَرْبِيهِ بَيْرَحَاءَ وَهِيَ قَصْرُ بَنِي حَدِيْلَةَ الْيَوْمَ «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» ٣٠٦/٢ - وَقَدْ خَلَدَ السُّمُودِيُّ فِي «وَفَاءِ الْوَفَاءِ» مَوْقِعَ بَيْرَحَاءَ ، وَكَانَ مَعْرُوفًا إِلَى زَمَنِ قَرِيبٍ ، وَلَكِنْ خَرَقَتْهُ الْعُمُرَانُ الْقَوِيَّةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَرَأَيْتَ أَكْثَرَ الْعَالَمِ الْأَثَرِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ . وَقَوْلُ ياقوتَ أَنَّ حَدِيْلَةَ مَدِينَةٌ بِالْيَمَنِ لَمْ أَرْ مَا يُؤَيِّدُهُ فِي مَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْلاَفَاتِ الْيَمَنِيَّةِ .
- (٣) قَالَ نَصْرٌ : وَالجَدِيْلَةُ مِنْ مَنَازِلِ حَاجِ الْبَصْرَةِ . وَمَعَ مَا أَوْرَدَ ياقوتُ مِنَ النُّصُوصِ فِي تَحْدِيدِ هَذَا الْمَنْزِلِ مِنْ مَنَازِلِ طَرِيقِ الْحَجِّ الْبَصْرِيِّ الَّذِي يَخْتَرُقُ وَسَطَ نَجْدٍ إِلَّا أَنَّ أَوْضَحَ تَحْدِيدٍ لَهُ هُوَ مَا أَوْرَدَ فِي الْمَوْلاَفَاتِ الَّتِي خَلَّدَتْ الْمَسَافَاتِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَنَازِلِ ، وَمَنْ أَوْضَحَهَا مَا أَوْرَدَ فِي كِتَابِ «الْمَنَاسِكِ» - ٥٩٧ - حَيْثُ وَرَدَ أَنَّ جَدِيْلَةَ بَعْدَ فَرْسِيَّةٍ لِلْمَتَجِّهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مِيلًا . إِذَنْ فَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ =

٢٥٠ - بَابُ حَدِيثٍ ، وَحَرْثٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالذَّالِ - : مِنْ بِلَادِ الثُّغْرِ مِنْ بِلَادِ الْعَوَاصِمِ ، يُنسَبُ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ الْحَذَنِي ، رَوَى عَنْ مُوسَى ابْنِ هَارُونَ وَغَيْرِهِ (٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : - بَفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ - : وَادِي الْحَرْثِ فِي الْيَمَنِ (٣).

= من بلدة ضربة المعروفة على مسافة تقارب ستمئة كيلو ، وقد خفي اسمها إذ تغيرت أسماء المناهل القديمة ، بل أكثرها فسوس وغار ماؤه . ولما ذكر ياقوت هذا المثل نقل عن أبي سعيد - يقصد السمعاني - أن بنته مغل بن حاجب بن أونس الجديلي ، روى عن يحيى بن راشد ، ولكن الذي في «الأنساب» للسمعاني - ٢٢١/٣ - بعد ذكر الاسم ... الجديلي الكلابي من أهل جديلة ، يزوي المقاطيع ، روى عنه يحيى بن راشد ، ذكره ابن جيان في كتاب «الثقات» . فوصف مغل بأنه كلابي يؤكد النسبة لهذا الموضع إذ هو في بلاد بني وقير بن الأصبغ بن كلاب - كما في كتاب «بلاد العرب» وغيره ، ويظهر أن منازل طرقي الحج كانت تكثر أثناء مرور الحجاج بها كما هو الحال في عصرنا .

(١) أورد نص الاسم الأخير في حرف الحاء : (باب خزب ، وخرب ، وغرب ، وخرب ، وجرب ، وخرب وحرب).

(٢) الحدث قلعة حصينة واقعة شمال بلاد الشام في الثغور الموالية للبلاد الرومية ، والثغر هو ما يلي دار الحرب من بلاد المسلمين ، وفي تلك الثغور حصون وقلاع يقتصر بها فصرفت بالعواصم ، وأطال ياقوت الكلام عن الحدث وعن الثغور للبلاد الإسلامية في عهده ، وعن العواصم . وعمر بن زرارَةَ الحَذَنِي ترجمه ابن خنبر في «تهذيب التهذيب» - ٣٦ / ٨ - وذكر أنه توفي في بضع وثلاثين ومئتين ، ونقل ياقوت عن كتاب «الفصل» للحازمي طرفاً من ترجمته ، وفي «أنساب السمعاني» طرف أيضاً ، وموسى بن هارون مترجم في «تهذيب التهذيب» أيضاً .

(٣) في كتاب نصير : وأما بضم الحاء وفتح الراء المهملة وأجرة ثاء أيضاً : موضع باليمن نسب إليه ذو حرب ، ووادي بني الحرب - على قول - باليمن ، لا أدري هو أم غيره ، وهم من جبر . انتهى وأورد ياقوت في «المعجم» حرب بن زرارَةَ عمر ، من أقبال جبر في قصة طويلة خرافية عن أبي ذريرة يسئله إلى ابن الكلبي ، ولم يحدد مكاناً . ولكن الجعفي في «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» قال : الحرب عزلة من غلاف بحدان وأعمال إب ، ثم أورد قصة ذي حرب نقلاً عن «معجم البلدان» . وما زاد نصير :

١ - خرب : بفتح الحاء والزاي المعجمتين : - جبل أسود قريب من خربة تقدم ذكرها وقال عنها : خربة - بفتح الحاء المعجمة زاي مفتوحة ثم باء موحدة مفتوحة مخففة : - معبد لبني عقيل بين عَمَاطَيْنِ والعَقِيَيْنِ من ناحية اليمامة ، وبها أمير ومبصر ، ويقال فيه الحزبات خزبات ذو - وكذا ذكر غير نصير من المتكلمين ، والعَقِيْنِ هنا هو ما عرفت الآن باسم (وادي الدوايس) أما عَمَاطَانِ فبهران باسم (الحصاتين) الجليلين المشهورين في جنوب نجد ، وانظر عن تحديد موقع هذا المعبد كتاب «الجوهرتين» - ٣٥٤ - . =

٢ - وَقَالَ عَنْ حَرْبٍ: وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحِوَاءَ الْمُهْمَلَةَ وَسُكُونِ الرَّاءِ أَيْضًا: - بَلَدٌ بَيْنَ بَيْتَيْنِ وَبَيْتَةٍ عَلَى طَرِيقِ حَاجٍ صَنْعَاءَ، وَيُقَالُ أَيْضًا بَنَاتُ حَرْبٍ. انتهى وهذا الموضعُ حَدُّ مَوْقَعَةِ الهمْدَانِي فِي وَصْفَةِ جَزِيرَةِ الْقَرْبِ، فِي وَصْفِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، وَأَنَّهُ يَقَعُ شَرْقَ بِلْدَةِ بَيْشَةَ بِنَحْوِ ٤٣ مِيلًا. وَلَا يَزَالُ اسْمُ بَنَاتِ حَرْبٍ يُطْلَقُ عَلَى جِبَالٍ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَإِنْ كَانَ الهمْدَانِيُّ عِنْدَ الْمَوْضِعِ قَرْيَةً قَدْ يَوْجَدُ فِيهَا مَعْدِنٌ ذَهَبٍ، وَلَكِنْ الْقَرْيَةُ قَدْ يُدْرِكُهَا الْحَرْبُ.

وَأَضَافَ نَصْرًا: وَبَنَاتُ حَرْبٍ مَدِينَةُ السَّلَامِ. يَقْصُدُ عَمَلَهُ مَشْهُورَةً فِي بَغْدَادِ الْقَدِيمَةِ، أَصِيفَ إِلَيْهَا بَعْضُ مَشَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ.

٣ - وَقَالَ عَنْ حَرْبٍ: وَأَمَّا بِالْحِوَاءِ الْمُتَعَجِّمَةِ الْمُفْتَوْحَةِ وَزَاوِ مُهْمَلَةٍ مَكْسُورَةٍ: اسْمٌ لِلْأَرْضِ الْقَرِيبَةِ بَيْنَ هَيْثُ وَالشَّامِ. وَلَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ فِي تَعْرِيفِ هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى هَذَا، وَهُوَ مِنْ أَطْرَافِ السَّنَاوَةِ الشَّمَالِيَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْبِرَاقِ وَالشَّامِ.

وَزَادَ نَصْرًا عَنْ حَرْبٍ: وَمَوْضِعُ بَيْنَ قَيْدٍ وَجَبَلِ السُّعْدِ عَلَى طَرِيقِ كَانَتْ تُسَلِّكُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَنَحْوُ هَذَا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَقَدْ وَصَفَ هَذَا الطَّرِيقَ صَاحِبُ كِتَابِ «النَّاسِكِ» - ٥١٩ - وَذَكَرَ أَنَّ الْحَرْبَ هَذَا فِيهِ بَرْ كَبِيرَةٌ غَلِيظَةُ الْمَاءِ فِي بَطْنِ الْوَادِي، وَقَدْ زُوِيَ الْمَسَافَةِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّقْمِ - الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِاسْمِ الرَّقْبِ - نَحْوُ عَشْرَةِ أَمْيَالٍ شَرْقًا - وَبَيْنَ الرَّقْمِ وَالسُّعْدِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا وَقَالَ نَصْرًا أَيْضًا: وَدَوَّرَ الْحَرْبُ صُفْعًا مِنْ سُرٍّ مَنْ رَأَى. وَعِنْدَ يَأْقُوتٍ: وَدَوَّرَ الْحَرْبُ مِنْ نَوَاحِي سُرٍّ مَنْ رَأَى.

وَزَادَ نَصْرًا: وَأَيْضًا جَبَلٌ قُرْبُ بَعَارٍ، نَحْوُ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ. وَلَعَلَّ أَصْلَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ عَرَامٌ فِي رِسَالَتِهِ «أَسْمَاءُ جِبَالِ بَيْهَامَةَ وَسُكَّانَهَا» - ٤٣٠ - نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ - بَعْدَ ذِكْرِ جَبَلِ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ جَبَلِ بَعَارٍ. وَلَيْسَ قُرْبُ بَعَارٍ مَاءً، وَالْحَرْبُ جَبَلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ لَا يَنْبَغُ شَيْئًا. وَيُعْرَفُ بَعَارُ الْآنَ بِاسْمِ (عَارٍ) كَمَا فِي الْعَامَّةِ فِي حَذْفِ التَّاءِ وَالْيَاءِ مِنْ أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ كَمَا فِي (تَنَوَّى) وَ(يَجْوَدَةُ) وَجَبَلُ بَعَارٍ (عَارٍ) غَرْبَ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ (الْمُهْدِ) غَرْبَ جَبَلِ أَيْلٍ وَالْحَرْبُ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُ.

٤ - الْحَرْبُ: قَالَ نَصْرًا: وَأَمَّا بِثَلَّةٍ - يَفْتَحُ الرَّاءِ -: أَبْرَقَ طَوِيلٌ مِنْ دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ، بَيْنَ سَجَا وَالثُّغَلِ، يُقَالُ لَهُ حَرْبُ الْعُقَابِ. انتهى وفي كتابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» - ١٦٤ -: حَرْبُ الْعُقَابِ ضِلْعٌ - أَيْ جَبَلٌ لَيْسَ بِضَخْمٍ - وَهُوَ مُتَقَاوِدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَجْلِ نَحْوِ مِائَةِ فَرَسِيخٍ أَوْ سِتَّةٍ. وَفِيهِ - ٢١٣ -: وَسَجَا مُرْتَفَعَةٌ فِي دِيَارِ أَبِي بَكْرٍ، وَجِبَالُهَا حَرْبُ الْعُقَابِ وَحَرْبُ الذُّبِّ وَالشَّهْدِ. انتهى وَسَجَا مِنْ أَشْهُرِ مَنَاطِلِ غَالِيَةِ نَجْدِ الْمَعْرُوفَةِ، وَحَوْلَهُ أَكَامٌ جَبَلَاتٌ صَغِيرَةٌ مَمْتَلئةٌ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَادِي الثُّغَلِ شَمَالًا شَرْقِيًّا دُونَ هَضْبَاتِ أَجْلِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَّا أَنَّ اسْمَ حَرْبٍ لَيْسَ مَعْرُوفًا.

٥ - حَرْبٌ: قَالَ نَصْرًا: وَأَمَّا بِكَسْرِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ: نَاحِيَةٌ بَلَّاحِيَّةٌ، وَقِيلَ إِنَّهُ تَضْعِيفُ الْحَرْبِ. انتهى. لَيْسَ هَذَا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَالَّذِي فِيهِ: حَرْبٌ - يَفْتَحَتَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ -: مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ، ذَكَرَ فِي حَدِيثِ خُنْسِ السَّبْعِيِّ الصَّنَعَانِي، وَيُرْوَى جَزْرَةً - إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ - وَلَكِنْ الْحَبْرِيُّ الْيَمَنِيُّ مَعَ تَقْصِيصِهِ لَمْ يَتَّخِذْ عَلَى كَلَامِ يَأْقُوتٍ وَلَمْ يَذْكُرْ سِوَى الْجَزْرَتَيْنِ - مَثْنَى جَزْرَةً - بَلَدَةً بِمَخْلَافِ بَنِي بَجِيحٍ مِنْ الْحَدَا فِي مَشَارِقِ ذِمَارٍ.

٦ - حَرْبٌ: قَالَ نَصْرًا: - وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحِوَاءَ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ وَتَاءٍ مُثَلَّثَةٍ -: مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ. وفي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: حَرْبٌ مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ، قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ: =

٢٥١ - بَابُ جِرَاءٍ ، وَخَرَاءٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بِكَسْرِ الْحَاءِ وَبِالْمَدِّ : جَبَلٌ جِرَاءٌ بِمَكَّةَ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَبَّدُ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ (٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : - يَفْتَحُ الْحَاءُ بَعْدَهَا زَايٌ مُشَدَّدَةٌ وَبِالْمَدِّ - : مُوَضِّعٌ فِي الشَّعْرِ (٣).

٢٥٢ - بَابُ حَرَّانٍ ؛ وَحُدَّانٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - يَفْتَحُ الْحَاءُ وَتَشْدِيدُ الرَّاءِ - : الْبَلَدَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي دِيَارِ مُضَرَ ،

= فَلَمَّا مَبِطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا حَرَّامٌ عَلَيْنَا الْخَيْمُ مَا لَمْ نَفَارِبْ
فَسَاحَتْ بِنَا وَجَالُ أَمِيرَةٍ فَمَا رَجَعُوا حَتَّى أَجَلَّتْ لِفَارِبِ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَكُنَّا نَحْمِلُ بِالْحَرْثِ إِذْ يَسْلُومُهُمْ فَنَمُ بِمَبِطَلِهَا حُرَّاءُ شُرُوبِ

وَلَمْ يَذْكُرِ الْقَبْرُوزُ أَبَايَ وَلَا السُّمُهَوْدِيُّ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ أَمَاكِنِ الْمَدِينَةِ . (والحَرْث) فِي الشَّاهِدِ الثَّانِي وَرَدَ فِي دِيَوَانِ الشَّاهِرِ (الْحَرْثِ) وَقَدْ يَكُونُ كَذَلِكَ فِي الشَّاهِدِ الْأَوَّلِ أَوْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْحَرْثِ الزَّرْعَ ، لَا اسْمَ مَوْضِعٍ .

(١) جَنْدٌ نَصَرَ : بَابُ جِرَاءٍ ، وَخَرَاءٍ ، وَالْحَرَّاءُ .

(٢) قَالَ نَصَرَ : أَمَّا جِرَاءٌ - مَصْرُوفٌ مَمْلُوءٌ - : جَبَلٌ بِمَكَّةَ . قَالَ :

وَأَشْرَقَ بَعْدَ إِظْلَامِ جِرَاءٍ .

وَشَهَرَهُ هَذَا الْجَبَلُ تَغْيِي عَنْ التَّوَسُّعِ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ، وَقَدْ أَخَاطَ بِهِ عُمَرَانُ مَكَّةَ الْآنَ .

(٣) قَالَ نَصَرَ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الزَّايُ الْمُعْجَمَةَ وَالْمَدَّ - : فِي شِعْرِ - كَذَا - وَلَمْ يَزِدْ بِأَقْوَتْ عَلَى قَوْلِ الْحَازِمِيِّ .

وَلَكِنْ صَاحِبُ كِتَابِ بِلَادِ الْعَرَبِ ذَكَرَ هَذَا الْاسْمَ فَقَالَ فِي ذِكْرِ بِلَادِ جَعْفَةَ فِي تَوَاجِيهِ الْأَفْلَاجِ - ٢٢٩ - : وَلَهُمُ الْحَرَّاءُ ، وَهِيَ مَاءَةٌ مُقْبِيَةٌ بِالْبَيَاضِ ، قَالَ الشَّاهِرُ :

يَوْمَ عَمِلَ الْحَرَّاءُ يَوْمَ نَحْسِرَ لَيْسَ كَيَوْمِ الْفَسِيحَاتِ السُّعْسِرِ

وَالْبَيَاضُ صَحْرَاءُ مَعْرُوفَةٌ وَاقِعَةٌ جَنُوبَ شَرْقِ مَنَاطِقِ الْأَفْلَاجِ جَنُوبَ نَجْدٍ .

وَرَأَى نَصَرَ : حُرًّا - قَائِلًا : وَأَمَّا بِضَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْقَصْرِ - : مُوَضِّعٌ أَظَنَّهُ فِي بَادِيَةِ كُلِّبٍ . وَلَمْ يَزِدْ بِأَقْوَتْ عَلَى كَلَامِ نَصَرَ ، وَبَادِيَةُ كُلِّبٍ هِيَ السَّمَاءُ .

(١) أَوْرَدَ نَصَرَ الْاسْمَ الْأَوَّلَ فِي (بَابِ خَرَّازٍ - وَخَرَّازٍ ، وَخَرَّارٍ ، وَجَرَّارٍ ، وَجَزَّارٍ ، وَخَرَّارٍ ، وَخَرَّانٍ) .

يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ^(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِضَمِّ الْحَاءِ بَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ مُشَدَّدَةٌ - : بَنُو حُدَّانَ ، إِحْدَى تَحَالٍ الْبَصْرَةِ الْقَدِيمَةِ ، نُسِبَتْ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَهُمْ بَنُو حُدَّانَ بْنِ شُمْسٍ بْنِ عَمْرِو ابْنِ غَنَمٍ بْنِ غَالِبٍ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ ، وَقَدْ سَكَنَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمَحَلَّةَ وَنُسِبُوا إِلَيْهَا^(٣).

- (٢) قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِحَاءٍ مُهْمَلَةٌ وَزَاوٍ أَيْضًا مُشَدَّدَةٌ وَنُونٌ - : الْبَلَدُ مِنْ دِيَارِ مُضَرَ . انْتَهَى . وَأَطَالَ يَأْقُوتُ الْكَلَامَ عَلَى خُرَّانَ ، وَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَشَهَرَتْهَا تَغْنِي عَنْ إِزْرَادِ كَلَابِو .
(٣) أَوْرَدَ يَأْقُوتُ هَذَا بِضَعِيلٍ فَوَصَلَ نَسَبَ نَصْرِ إِلَى الْأَزْدِ حَيْثُ أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ مَبْنُورًا ، فَنَصْرُ بْنُ زُهْرَانَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ . وَذَكَرَ بَعْضُ النُّسُوبِيِّينَ إِلَى تَحَالٍ حُدَّانَ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ . وَمَا ذَكَرَ نَصْرٌ :

١ - خَرَّازٌ - بِفَتْحِ الْحَاءِ وَزَاوَيْنِ خَفِيفَةٍ - : جُبَيْلٌ بَيْنَ مَنَعِجٍ وَعَاقِلٍ بِإِذَاءِ جَمِي ضَرْبَةٍ ، وَقِيلَ : خَرَّازَانُ جَبَلَانِ طَوِيلَانِ يَمْتَصِحُ فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ . انْتَهَى وَخَرَّازُ جَبَلٌ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، بَيْنَ وَادِيَيْ مَنَعِجٍ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِاسْمِ وَادِيِ دُخْنَةٍ وَعَاقِلٍ - وَادِيِ الْعَاقِلِ - جَنُوبَ بَلَدَةِ الرُّسِّ ، يُشَاهَدُ مِنْ هَجْرَةِ دُخْنَةٍ رَأَى الْعَيْنَ ، وَكَانَتْ يَلُوكُ الْبِلَادَ لِبَنِي أَسَدٍ ، وَلَعَلَّ الثَّنِيَّةَ نَاشِئَةً عَنْ ذِكْرِ أَحَدِ الْجِبَالِ الْقَرِيبَةِ بِهِ مَعَهُ - كَجَبَلِ كَبِيرٍ أَوْ مَتَالِيعٍ أَوْ إِمْرَةٍ - فَلَقَّبَ اسْمَ خَرَّازٍ (خَرَّازَيْنِ) (يَقَعُ خَرَّازُ بِقَرَبِ حُطِّ الطُّولِ : ٤٣ / ٣٦) وَحُطَّ الْعَرْضِ : ٢٥ / ٢٣ .

٢ - خَرَّازٌ - مُشَدَّدٌ - : نَهْرٌ عَظِيمٌ بِالْبَيْطِيقَةِ ، بَيْنَ وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ . لَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ عَلَى هَذَا .
٣ - خَرَّارٌ - بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَزَاوَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ الْأُولَى مُشَدَّدَةٌ - : مَوْضِعٌ أَوْ وَادٍ قُرْبَ الْجَحْفَةِ . وَقَدْ أَوْرَدَ يَأْقُوتُ خَبْرَ إِسْرَافِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فِي ثَمَانِيَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَخَرَّجَ حَتَّى يَلْغَى الْخَرَّارَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا - ذَكَرَ خَبْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيْرَةَ . وَالْخَرَّارُ هَذَا هُوَ وَادِيِ الْجَحْفَةِ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَلَدَةِ زَاوِيٍّ عَلَى نَحْوِ عِشْرِينَ كَيْلًا ، وَمَصْبَهُ فِي الْبَحْرِ يُدْعَى الْخَرَّارَ جَنُوبَ زَاوِيٍّ ،
وَالْخَرَّارُ - فِي الْأَصْلِ - وَصِفٌ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُسْمَعُ مِنْهُ صَوْتُ خَرِيرِ السَّيْلِ ، سُمِّيَ بِهِ مَوَاضِعٌ عِدَّةٌ - وَكَمَا قَالَ نَصْرٌ : الْخَرَّارُ فِي جِلْدِ مَوَاضِعٍ -

٤ - جَرَّارٌ - بِكَسْرِ الْجِيمِ وَزَاوَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ خَفِيفَةٍ - : مِنْ تَوَاجِيي قُتَيْبَرَيْنِ . أَيُّ فِي جِهَاتٍ جَمْعٌ إِذْ قُتَيْبَرَيْنِ بِجَوَارِهَا - وَانْظُرْ لِلَاخْتِلَافِ فِي ضَبْطِ هَذَا الْاسْمِ رَسَمَ جَرَّارٍ -
وَأَضَافَ نَصْرٌ : وَجَرَّارٌ سَعْدٌ مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ كَانَ يُنْصَبُ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ جَرَّارًا يُبْرَدُ فِيهَا السَّيَاءُ لِأَصْيَابِهِ ، بِهِ أَطْمٌ دَلِيمٌ . وَنَقَلَ يَأْقُوتُ هَذَا غَيْرَ مَنْسُوبٍ بِذَوْنِ إِضَافَةٍ . وَلَمْ يُجْعِدِ السَّمْعُودِيُّ مَوْضِعَ جَرَّارٍ سَعْدٍ ، لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ الْفَرُّوزُ أَبَايَ وَهَذَا قَاتَهُ ذَكَرَ الْمَوْضِعَ مَعَ تَتْبَعِهِ لِيَأْقُوتَ . وَسَعْدٌ هُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ مِنْهُمْ ، وَدَلِيمٌ جَدُّهُ ، وَمَنَازِلُ بَنِي سَاعِدَةَ شَرْقِي سَوَاقِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ بَيْتِ الشَّامِ ، عِنْدَ بَيْتِ بَصَاغَةَ ، وَابْتَرِ وَسَطَ بَيْتِهِمْ ، وَنَقَلَ السَّمْعُودِيُّ عَنْ ابْنِ زَيْلَعَةَ أَنَّ غَرْضَ سَوَاقِ الْمَدِينَةِ مَا بَيْنَ الْمَصْلَى إِلَى جَرَّارٍ سَعْدٍ =

٢٥٣ - بَابُ حُرُورَاءَ ، وَحَدُودَاءَ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بَعْدَ الْحَاءِ الْمَفْتُوحَةِ رَاءَ مَضْمُومَةٍ وَبَعْدَ الْوَاوِ أُخْرَى وَيَبَالِمَدَّ :-
قَرْيَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ يُنسَبُ إِلَيْهَا الْحُرُورِيَّةُ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ ، مِنْهُمْ عِمْرَانُ
ابْنُ جِطَّانِ الْحُرُورِيُّ الْخَارِجِيُّ (٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : - بَعْدَ الْحَاءِ دَالٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَبَعْدَ الدَّالِ أُخْرَى وَيَبَالِمَدَّ :-
مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ عُدْرَةَ .

٥ - جُزَارُ : - بِجَنَمٍ مَضْمُومَةٍ وَزَايٍ مُعْجَمَةٍ وَآخِرُهُ رَاءٌ :- جَبَلٌ شَامِيٌّ بَيْنَ الْفَرَاتِ لَيْلَةً ، وَقِيلَ
بِحَاءٍ وَرَاءَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ - وَحَدُّ يَأْقُوتُ : جُزَارُ : - بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقِيلَ : بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَزَايَيْنِ :- مَوْضِعٌ مِنْ
نَوَاجِي قَيْسَرِيَّينَ . وَقَالَ نَصْرٌ : جُزَارُ جَبَلٌ بِالشَّامِ - إِلَى آخِرِ كَلَامِ نَصْرِ وَلَمْ يَزِدْ .

٦ - حُرَارُ : قَالَ نَصْرٌ :- وَأَمَّا بِضَمِّ الْحَاءِ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ : - هَضْبٌ بِأَرْضِ سُلُولَ ، بَيْنَ الضُّبَابِ
وَعَمُرُو بْنِ كِلَابٍ وَسُلُولَ . وَأُورِدَ يَأْقُوتُ هَذَا وَلَمْ يَزِدْ ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ ، وَمِثْلُهُ فِي «تَاجِ الْعُرُوسِ» وَلَمْ أَفْتِدْ إِلَى
مُضْمَرِهِ فِي «التَّكْمَلَةِ لِلصَّاعِقَانِيَّةِ» : وَحُرَارُ : بِأَرْضِ سُلُولَ ، وَيُقَالُ بِالزَّيْ - وَلِهَذَا كُرِّرَ الْأِسْمُ يَأْقُوتُ فِي
حُرَارِ قَاتِلًا : حُرَارُ بِالضَّمِّ وَالتَّخْفِيفِ وَآخِرُهُ زَايٌ أُخْرَى :- هَضْبٌ بِأَرْضِ سُلُولَ بَيْنَ الضُّبَابِ وَعَمُرُو
ابْنِ كِلَابٍ . وَإِذْنُ فَالْأَسْمُ مُتَخَلِّفٌ فِي ضَبْطِهِ ، وَبِلَادُ بَنِي كِلَابٍ مُرْتَفِعَةٌ فِي الْغَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ عَالِيَةِ نَجْدٍ ،
وَبِلَادُ سُلُولَ مُتَّصِلَةٌ بِهَا ، وَلِلضُّبَابِ جَانِبٌ مِنْ بِلَادِهَا فِي بَلَدٍ النَّاجِيَةِ .

فِي كِتَابِ نَصْرِ .

(١) عِنْدَ نَصْرِ : وَأَمَّا بِرَاءَيْنِ الْأَوَّلَى مَضْمُومَةٌ :- نَاجِيَةٌ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، نُسِبَ إِلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ . وَفِي
(٢) «مَعْجَمِ الْبِلَادِ» : قِيلَ : هِيَ قَرْيَةٌ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : مَوْضِعٌ عَلَى مِثْلَيْنِ بَيْنَا نَزَلَ بِهِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ
خَالَفُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَسَبُوا إِلَيْهَا ، وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : الْحُرُورِيَّةُ مُنْشَوْبُونَ إِلَى مَوْضِعٍ
بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ ، نُسِبَتْ إِلَيْهِ الْحُرُورِيَّةُ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَبِهَا كَانَ أَوَّلُ تَحْكِيمِهِمْ ، وَاجْتِمَاعِهِمْ حِينَ خَالَفُوا
عَلِيَّهٖ قَالَ : وَرَأَيْتُ بِالذُّهْنَاءِ رَمْلَةً وَغَتَّ يُقَالُ لَهَا رَمْلَةُ حُرُورَاءَ . انْتَهَى ، وَرَمْلَةُ حُرُورَاءَ فِي الذُّهْنَاءِ مَعْرُوفَةٌ
يُنْسَبُ إِلَيْهَا جِرْقُ الْحُرُورِيِّ ، وَدَخَلَ الْحُرُورِيُّ فِي شَرْقِ الذُّهْنَاءِ بِقُرْبِ حُرُورَاءَ - وَانْظُرْ لِتَحْدِيدِ مَوْضِعِهَا
فِي «الْمَعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ» قِسْمِ الْمَنْطِقَةِ الشَّرْقِيَّةِ -

عِمْرَانُ بْنُ جِطَّانٍ مِنْ سُلُوسَ ثُمَّ مِنْ شَيْثَانَ مِنْ رِبْعَةٍ ، عَالِمٌ خَطِيبٌ شَاعِرٌ ، مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَهُوَ صَاحِبُ
الْقَصِيدَةِ النَّوْنِيَّةِ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ قَاتِلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَجَاهُ اللَّهُ - وَمِنْهَا :
عَفَى مَنَى لَا تَسْرَى عَذْلًا نَعِيشَ بِهِ وَلَا تَسْرَى لِدَعَايِ الْحَسَنِ أَعْرَاسًا

وَنُوتِي سَنَةَ ٨٤٤هـ - وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي «الْإِسَابَةِ» .

(٣) حَدُودَاءَ : - قَالَ نَصْرٌ : مَا هُوَ بِذَلِكَ مَفْتُوحَيْنِ :- مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ عُدْرَةَ . لَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ بِنَوَى : وَفُرُوزَى
بِالْقَصْرِ . وَفِي «تَاجِ الْعُرُوسِ» : وَتَضُمُّ الدَّالَ أَيْضًا . وَلَمْ أَرِ تَحْدِيدًا لِهَذَا الْمَوْضِعِ ، وَبِلَادُ عُدْرَةَ شَمَالُ
الْحِجَازِ عَمَّا عَلَى الشَّامِ .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

١- تصحيح خطأ نحوي

حمل إليّ البريد نسخة من مجلة «العرب» (عدد ذي القعدة وذو الحجة عام ١٤٠٨هـ) وقد سعدت بقراءتها ، واستمتعت بما فيها من مقالات وخاصة مما خطه براعكم من بحوث قيمة وتعليقات طريفة .

وقد كان من حسن حظي أن يكون لي ذكر في هذا العدد من المجلة ، فقد نشرتم فيها رسالتي التي علقت فيها على كلمة للدكتور علي جواد الطاهر عن حساب الجُمَّل ، وأفضلتم فنشرتم ما جاء عني في كتابه الذي يجمع أسماء المؤلفات السعودية وأصحابها .

وقد لاحظت في الكلمة التي نشرت لي ورود هذه العبارة :

(وعندي أن تعريف صاحب «المنجد» أقرب إلى الشمول من تعريف صاحب «لسان العرب» وإن كان (أيًا) من التعريفين لم يكن جامعاً مانعاً) .

وقد نَبَتَ كلمة (أيًا) عن سمعي ، واصطدمت بها عيني لأنني لم أجد سبباً لنصبها ، فرجعت إلى الصورة المحفوظة لديّ من الكلمة فوجدت أنني قد كتبت العبارة هكذا : (. . .) وإن كان كلا التعريفين لم يكن جامعاً مانعاً وهذا التعبير صائب وإن كان فيه شيء من الركاسة إذ كان يحسن بي أن أقول : وإن كان كلا التعريفين ليس جامعاً مانعاً .

ولقد كان أمني في استاذي الكبير أن يُقَوِّمَ إعوجاجي ، وأن يصحح غلطتي ، ويُقَوِّمَ أسلوبِي ، أما أن ينسب إليّ خطأ لم ارتكبه فهذا مالم أكن أتوقعه . ولذلك فلاني أرجو من استاذي الفاضل أن يفضل بتصحيح هذا الخطأ الذي اعتقد أنه نجم عن سهو أو سبق قلم .

٢- (اعتبر) من الناحية اللغوية

لقد لاحظت أنكم تستعملون كلمة (اعتبر) ومانصرف منها بمعنى (عدّ)

فتقولون مثلاً : إن هذا الكتاب يعتبر مرجعاً للباحثين .

وقد رجعت إلى ما بين يدي من معاجم فلم أجد أن كلمة (اعتبر) تُؤدِّي معنى (عَدُّ) وإنما وجدتها بمعنى اتعظ (يراجع «لسان العرب» ، و«الصحاح» ، و«القاموس المحيط»).

وقد وردت كلمة اعتبر بمعنى : اتعظ ، في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (سورة الحشر الآية الثانية) .

ولكن صاحب «المنجد» قد أوردها بمعنى عد أو اعتدَّ بـ وكذلك فعل «المعجم الوسيط» ووافق على ذلك صاحب «معجم الأخطاء الشائعة» بشرط أن يقرها مجمع اللغة العربية .

ولقد هممت أن أعوّل على استعمالكم لكلمة (اعتبر) بمعنى (عَدُّ) ولكني آثرت أن أستوضح منكم ، وسأقبل ماتقولون في صحة هذا الاستعمال أو عدمه .

الفريق: يحيى بن عبدالله المعلمي

العرب :

١ - عن الكلمة الأولى : حُبًا وكرامة ، ولصاحب «العرب» أن يُشدد :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُسَائِيَا عَلِيمَ اللَّهِ وَإِنِّي بِخَيْرِهَا الْيَوْمَ صَالِي

٢ - وعن الثانية فهادام (مجمع اللغة العربية) أقر الكلمة في أخذ مؤلفاته وهو «الوسيط» فقد قطعت جبهة قول كل خطيب ، والكلمة (اعتبر) عربية النجار وإنما الخلف في التوسع في الاستعمال ، ومتى أدركنا أن الكيل طفق ، تبين لنا أن الخلف سهل .

أحاديث في الأنساب

وتخريجها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني

أورد في كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة» المجلد الأول حديثين يتعلقان بالأنساب : الأول : «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، ثراء في المال ، منسأة في الأثر» أخرجه الترمذي والحاكم وأحمد والسمعاني في «الأنساب» عن عبد الملك بن عيسى الثقفي ، عن يزيد مولى

المنبعث عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال الترمذي : حديث غريب من هذا الوجه .

قلتُ : وإسناده جيد ، رجاله ثقات ، رجال الشيخين غير عبد الملك هذا قال أبو حاتم : (صالح) وذكره ابن حبان في « الثقات » وروى عنه جماعة من الثقات ، منهم عبدالله بن المبارك وهو الذي روى عنه هذا الحديث فلا أدري لماذا لم يحسنه الترمذي على الأقل .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وللشطر الأول منه طريق أخرى يرويه أبو الأسباط الحارثي البجلي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي مسلمة ، عن أبي هريرة به .

أخرجه ابن عدي ، وأبو الأسباط هذا هو بشر بن رافع ، قال الحافظ : فقيه ضعيف الحديث .

وقد وجدت له شاهدين أحدهما من حديث العلاء بن خازم مرفوعاً به . أخرجه الطبراني ورجاله قد وثِّقوا كما في « المجمع » وقال المنذري : لا بأس بإسناده والآخر من حديث علي رضي الله عنه ، أخرجه الخطيب في « الموضح » ورجاله ثقات غير علي بن حمزة العلوي . ولم أجده له ترجمة ، ولا أورده الطوسي في فهرسته .

والشطر الثاني من الحديث رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث عمرو بن سهل قال الهيثمي : وفيه من لم اعرفهم .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي آثَرِهِ فَلْيَبْسُطْ رَحْمَةً » متفق عليه . من حديث أنس ، وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث علي وابن عباس .

وللحديث شاهد ثالث بنحوه وهو : « اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم ، فانه لا قُربَ بالرحم إذا قُطعت ، وإن كانت قريبة ، ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ وإن كانت بعيدة » أخرجه أبوداود الطيالسي في مسنده . حدثنا اسحاق بن سعيد قال حدثني أبي قال : كنت عند ابن عباس فأتاه رجل فسأله : من أنت ؟ قال : فَمَتُّ

له بِرَجْمٍ بَعِيدَةٍ ، فَأَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ ، فَقَالَ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . . فذكره وأخرجه الحاكم والسمعاني في « الأنساب » من طريق الطيالسي به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وأقول : إنما هو على شرط مسلم وحده ، فإن الطيالسي لم يحتج به البخاري وإنما روى له تَعْلِيْقًا .

والحديث أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (رقم ٧٣) حدثنا أحمد بن يعقوب قال : أخبرنا اسحاق بن سعيد بن عمرو به ، موقوفاً على ابن عباس دون قصة الرجل وزاد : وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلته إن كان وصلها ، وعليه بقطيعة إن كان قطعها . وهذا سندٌ على شرط البخاري في صحيحه ولكنه موقوف ، بيد أن من رفعه ثقة حجة وهو الإمام الطيالسي ، وزيادة الثقة مقبولة . انتهى كلام الشيخ ناصر الدين ، ونقله أحمد بن محمد بن يحيى .

حول أنساب بعض القبائل

[من رسالة بعث بها الأخ صالح بن فهد الحبابي ، تتعلق بالاستيضاح عن أصول أنساب بعض القبائل ، هذا ملخصها] .

١ - الحباب هم بطن من سَنَحان ، من قحطان ، هذا ماقرأته في كتابك «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ، وهذا هو النسب المتعارف عليه ، والمنقول عن الآباء والأجداد ، ولكن في أحد دواوين الشعر لشاعر من الحباب ذكر نبذة عن نسبه وقال في نهاية الترجمة له : وبنو حبابة هم بنو مسيلة ابن عمرو بن عامر . . . الخ - مَدَجِج ، وأهمهم حبابة ، وبها يعرفون وهم فرع من سَنَحان ، من قحطان .

والملاحظة هنا إذا كان الحباب من سَنَحان فإن بين سَنَحان ومُسْلِيَة عدة آباء ، وقيل : إن سَنَحان بن عامر بن صداء وقيل : سَنَحان من قضاة ، وقيل : من الأزد .

وإذا نظرت إلى الكتب القديمة وجدت في كتاب «العقد الفريد» و«الأنساب»

للسمعاني و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي — وجدت بنو حبابه ولم أجد لهم نسبةً إلى سَنَحان ، ولكن الآباء والأجداد يقولون : إنهم من سَنَحان ، ولا يعترفون أن حَبابة امرأة ، مثل ما ورد في الكتب ويقولون : حباب بن عبد الله ابن سنحان بن عامر بن خولان بن عامر بن قحطان وطبعاً نسبة سنحان إلى خولان الله أعلم بصحتها !! فأرجو التوضيح ، وبالنسبة من خولان إلى قحطان مباشرة غير صحيحة .

السؤال الثاني: عن قبيلة آل مرة :

فالمعروف أنهم من يام ، ولكن قال لي أحدهم : نحن بنو مرة بن يام ، وقلت لو كان مرة ابناً ليّام لذكر في الكتب ، ونظرت إلى «جمهرة النسب» و«جمهرة أنساب العرب» و«الاشتقاق» فوجدتُ مَذَكَّرَ بَن يام ، ولم أجدُ ذِكْرًا لِمُرَّة على أنه ابن يام وقال : إن النسبة هذه عَنْ أحد شيوخ يام .

السؤال الثالث عن العجمان .

أبناء عمومة آل مُرَّة في عدة كتب أُلِّفَتْ حديثاً وجدتُ مايلي : العجمان بطن من يام ، وقيل : إنهم بقايا عبدالقيس بن أفضى بن دُعَمِي بن جديلة — إلى — ربعة ابن نزار علماً أنني لم أر كتاباً ينسب العجمان إلى عبدالقيس بل إلى يام بدون تفصيل ، وسؤالي : ماهو الكتاب الذي فيه نسبة العجمان إلى عبدالقيس .

السؤال الرابع : يوجد في جنوب شرق جزيرة العرب قبائل لم أجد أن أحداً من المؤلفين في القديم وحتى الآن أجاب إجابة شافية عن أنسابهم ولم يذكر عنهم سوى نزر يسير لا يفيد باحثاً ولا يحقق رغبة راغب ، والقبائل الباقية ذكرت راجياً إفادتي عن نسبتهم وانتائمهم إلى أي جذم من العرب ينسبون والقبائل هي :

المناهيل والرواشد وبني كثير ونعيم والمناصير والصيعة والعوامر وبني ياس علماً أن هذه القبائل لها قدر كبير ومشهورون بالكرم والأخلاق الحميدة وجديرة بأن يبحث ويؤلف عن أنسابها .

وبعد : فقد علمت أنه يوجد رسائل في الأنساب لشيخ نجد قرأت عنها في

كتاب «علماء نجد» لابن بسام ، أتمنى أن تطبع .

قطر (الدوحة): صالح بن فهد الحبابي

«العرب»: لعل من بين القراء من أبناء القبائل التي يعينها الأمر ، مَنْ يشارك في الإجابة على أسئلة السائل الكريم ، فهم أدرى بأصول أنسابهم .

هرجاب والخضراء وكتنة

ملخص كتاب من الأخ محمد بن عبدالله الحويل الشهزاني من صمخ بمنطقة بيشة ..

كقارئ – وان لم أكن جيداً – أحرص على مايتعلق بالتراث والتاريخ والمواضع ، ولعل هذه المجلة تعنى كثيراً بذلك .

ففي العدد ٢٠١ س ١٩ رجب/شعبان ١٤٠٤ من ص ٤١ إلى ٥٣ كان موضوع بحث عن مسمى كتنة وكان الخلاف عن مسمى كتنة المخلاف أو المنهل . وكان ردكم واضحاً وجلياً بأن كتنة تنقسم أو تطلق على ثلاثة أماكن :
(١) شمال بيشة .

(٢) شرق الصبيخة .

(٣) غرب تليلث – وهي كتنة صمخ هرجاب – .

ولكون الكتابة وافية هذا عن الموقع إلا أن هناك خطأ ربما يكون مطبعياً :
ففي ص ٥٥ تقول : (ووادي هرجاب واد ذو شعاب كثيرة يسير بمحاذاة وادي بيشة شماله) .

والصحيح شرقه لأن كلاً الوادين يسيران من الجنوب إلى الشمال .
وتقول : (ان وادي الخضراء وهذا الاسم حديث ، والخضراء اسم يطلق على عدد من القرى وهذا الوادي يجتمع بوادي هرجاب على مقربة من بلدة صمخ) .

فالواقع أن الخضراء اسم قديم ، كما أن وادي الخضراء ماهو إلا هرجاب نفسه
حيث أن الخضراء تقع على ضفتي وادي هرجاب ، كوقوع صمخ على ضفتيه .
كما تقول : (ان وادي كتنة يقع غرب وادي الخضراء) .

والواقع ان وادي كتنة يتجه من الغرب إلى الشرق حتى يلتقي مع هرجاب
الممتد من الجنوب نحو الشمال عند كتنة .

وتقول في ص ٤٧ : (إن الطبقة وماحولها يصب سيلها في وادي رناح الذي
يلتقي بوادي هرجاب عند بئر دنن) .

والواقع ان (الحدة) وليست الطبقة ، فالطبقة تقع بين كتنة والخضراء وهي
جبال (جرانيتية) ظيران .

هذه محاولة لتصحيح أخطاء قد يقع فيها أحد مواليد هذه المواقع - فكيف
برجل بعيد عنها وأموره كثيرة يكتب عن كل موقع من مواقع وطننا الغالي ، ومع
ذلك فعندما قرأت كتابته فكأنني به أحد مواليدها ومن عاش فيها طويلاً .

كما أود إخبار فضيلتكم أنه نُشِرَ مصور أو اطللس جغرافي لمنطقة عسير خرج
عن إمارة منطقة عسير بالتعاون من الحرس الوطني به الأودية والمواقع والشعاب .

أما عن تاريخ المنطقة أو وادي هرجاب فإن ذلك كان في سلسلة مكاتبه الشيخ
الدكتور جابر بن علي الطيب حين كان قاضياً بمحكمة بيشة قبل ان يصبح قاضي
تميز بمكة المكرمة ، ولكنه انقطع قبل أن يكمل الحديث ، فهل من استكمال لما
بدأه قبل حوالي العشر سنوات تقريباً ؟ .

وأود التذكير أن سكان هرجاب بنو واهب من شهران وهذا لا يعني عدم دخول
قبائل معهم ، فمثلاً : يوجد العجمان فهل يتكرم أحد عجمان نجد بإيضاح
ذلك ، بمعنى تأصيل عجمان نجد وعلاقتهم بعجمان الجنوب .

كما يوجد نزائع من قبيلة الدواسر مثل (آل دُبيس) .

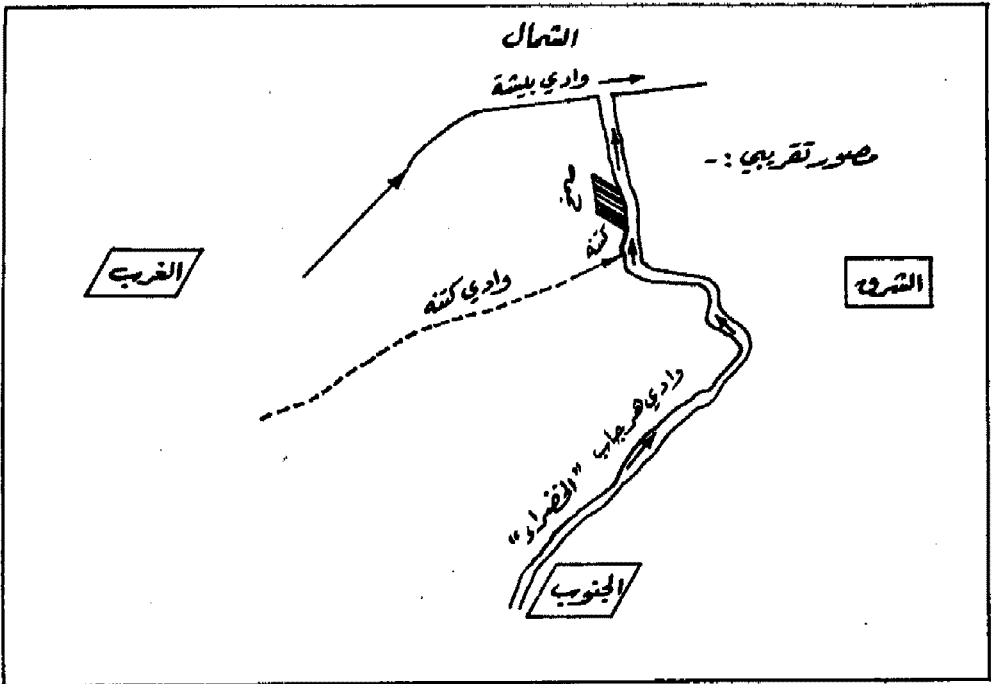
كما يوجد نزائع من قبائل الحجاز - من بلاد الحجر - .

وللتاريخ فأنني أوضح ذلك لمن يكتب عن تاريخ القبيلة أو المنطقة بأن يتحرى الدقة لا كما كتب عبدالكريم آل عايض عن قبيلة شهران بين الماضي والحاضر . والله أعلم أن الكاتب اعتمد على قليل من المصادر ولم يقوم بزيارة ميدانية حتى يحصل على المعلومات من أفواه الناس المعنيين بتلك الكتابة .

فكتابة التاريخ (فن وأمانة وعناء) .

ختاماً لك ألف تحية من صمخ ومن محبك في الله محمد بن عبدالله الحويل الشهراني .

و « العرب » : تقدر للأخ محمد شعوره الطيب ، وينظر صاحبها وقراؤها إلى ملاحظاته بعين الاعتبار والاستزادة .



[صورة الموقع]

آل هزاع .. من بني خالد

كتب الأخ محمد بن ناصر الهزاع إلى « العرب » بما ملخصه : إنني من المتابعين لما تنشره مجلتنا مجلة « العرب » والتي تعتبر مصدراً غزيراً للباحثين والمطلعين ومحبي القراءة .

ولقد اطلعت على كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ص ٩٦٢ حيث ورد ذكر آل هزاع الذين في القصب ، ولاشك في صحة ذلك ، ولكن هناك آل هزاع يقطنون ثرمداء في الوشم بالإضافة إلى من في القصب وكلهم ينتمون إلى جد واحد والذين في ثرمداء سكنوها اعتباراً من محيى محمد آل هزاع - وهو الجلد الثاني للكاتب محمد بن ناصر بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن هزاع ابن رباح بن محمد بن هزاع بن غرير بن حسين بن عثمان بن مسعود بن ربيعة من آل حميد - من بلدة القصب إلى ثرمداء سنة ١٢٧٨هـ تقريباً على ماورد في الأوراق المثبتة لأملآكهم في ثرمداء من عقار وغير ، وذلك بعد زواجه من (منيرة بنت محمد بن عليان) ، وقد اشتهر منهم ناصر بن إبراهيم بن محمد آل هزاع الذي كان أستاذآ في البناء بالطين وشارك في بناء قصور المربع والقوطة وغيرها بالرياض تحت إشراف حمد بن قباع - رحمه الله - واستقر به المقام أخيراً في مسقط رأسه ثرمداء واشتغل بالتجارة في ثرمداء ومرات وأثنية ، وقد انتقل إلى رحمة الله عصر يوم ٢٧ رمضان عام ١٣٨١ على طريق الحجاز بين ثرمداء ومرات مدهوساً على هذا الطريق .

وآل هزاع في ثرمداء مرتبطون بمعظم أسر القبائل في الوشم بروابط وعلاقة نسب ومصاهرة ومنهم أسر العنقري واليوسف والدخيل والجليل والشباكا والعريد المعروفون بالجمولة من حرب وغيرهم من ثرمداء ، والمقحم والحميضي من القصب والمفلدى من أشيقر ، وأسر تنتمي إلى بني خالد من ثرمداء الشعلان والفاضل والعليان والحامد والعريض والشاهين والعقيلي من الحلوة . وأحب أن أسترعي انتباهك بأنه لم يرد ذكر بعضهم في الكتاب المشار إليه ، وقد انتقلوا إلى ثرمداء من بلدة القصب من سنين طويلة ، ومن عنك والثقة والاحساء في المنطقة الشرقية

لهم علاقة وصلة بأسر كثيرة وأهمها آل عجران أمراء فخذ الصبيح من بني خالد - وهم أخوال الأمير مساعد بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله - علاوة على العلاقة مع آل عريعر وبينهم جميعاً روابط وزيارات متبادلة .

وذكرتم في المصادر أن كتاب «المنتخب» طبع بدون ذكر تاريخه . والواقع أنه مطبوع بمصر بمطبعة المدني سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) .

أرجو من فضيلتكم نشر هذا الإيضاح وكذلك تدارك هذه الملاحظات بالتعديل عند إعادة طباعة كتاب «أنساب الأسر المتحضرة في نجد» لأن هذا الكتاب يعتبر من المصادر التي يعتد بها ويرجع إليه الآن كثير من الناس .

المراجع :

- ١ - أوراق ملكيات عقارات .
- ٢ - كتاب «المنتخب في ذكر قبائل العرب» ص ١٠٥ ص ١٠٦
- ٣ - كتاب «أنساب العرب» لمؤلفه سمير عبدالرزاق القطب منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ص ١٧٣ .
- ٤ - كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ٩٦٢ .

الرياض - محمد بن ناصر الهزاع

آل غُلَيْقَة من آل مُضَيَّان من الظواهر من حرب

كتب الأخ خالد بن عبدالله الغُلَيْقَة إلى مجلة «العرب» يعتب على صاحبها عدم ذكر اسم أسرته في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» قائلاً : إن أسرته الغُلَيْقَة في عنيزة وعيون الجواء وبُريدة وحائل وعمر من آل مُضَيَّان من الظواهر من المراوحة من بني سالم من حَرْب . ولقب الغُلَيْقَة أُطلق على أحد أجداد الأسرة الذي سكن عنيزة بعد مقدمه من وادي الصفراء بقرب المدينة المنورة ، حيث كانت تسكن أسرته ، والثابت لدى العائلة أنه الجد إبراهيم المُضَيَّان الحربي - رحمه الله - حيث مثبت لقبه في بعض أوراق العقار الخاصة بالأسرة في القصيم . هكذا ذكر الأخ خالد ، وطلب إدراج اسم أسرته في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عند إعادة طبعه .

مُطْعِمُ وادي الحُلوة وهل هو قديم؟

وجّه أحدُ الإخوة سؤالاً إلى مجلة «العرب» يسأل عن اسم وادي مُطْعِم الذي يخترق جبل العُلَيَّة حتى يفيض على بلدة الحلوة ، وترفده فروع من أشهرها شعيب العيماء وشعيب غفار وشعيب الغابة .

والواقع أن هذا الوادي قد ورد اسمه في شعر امرأة من جُرم ، وجُرم هاؤلاء كانوا يتشرون في مرتفعات العُلَيَّة والعللة ويجاورون بني هِزَانَ في المنازل ، وهم في الأصل من قُضَاعَة من قحطان ، وكان وادي الدواسر في القديم يُدعى عَقِيق جُرم ، ثم نزلته بنو عَقِيل من بني عامر فَعَرَفَ بعقيق بني عَقِيل وبعقيق ثَمَرَة ، قال الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» - ٣١٢ - : وطريق العقيق إلى اليمامة على غربي الفَلَج على عَمَاة ، وهي مسلم لبني عقيل ، وبأعلاها غمرة وادي نخل وآبار لجرم ، ومُطْعِمُ ماء لهم ، قالت الجرمية :

أَحِبُّ ثَنَابَا مُطْعِمٍ وَجِلَالَهُمْ وَأَنْعَامَ جُرمٍ حَيْثُ لَاحَ صَلَيبُهَا
ولا شك أن مطعمها الوارد في الشعر هو الوادي المذكور لأنه تتخلله ثنابا كثيرة .

وفي «معجم البلدان» : مُطْعِمُ - بِالضَّمِّ اسم فاعِلٍ من أَطْعَمَ فهو مُطْعِمٌ :

اسم وادٍ في اليمامة ، حَدَّثَ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ : ذَكَرَ أَبُو خَيْرَةَ الطَّائِي أَن رَجُلًا مِنْ طَيِّءٍ كَانَتْ مَحَلَّةُ أَهْلِهِ فِي مَنَابِتِ النَّخْلِ ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مَحَلَّةً أَهْلِهَا فِي مَنَابِتِ الطَّلْحِ ، وَشَرَطَ لِأَهْلِهَا أَنْ لَا يُحَوِّثَهَا مِنْ مَكَانِهَا ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ حَتَّى أَجْدَبُوا فَقَالَ لِأَهْلِهَا : إِنِّي رَاحِلٌ لِأَهْلِي إِلَى الْخِصْبِ ، ثُمَّ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ إِذَا أَجْنَى النَّاسُ ، فَأَذِنَ لَهُ فَارْتَحَلَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى أَهْلِهِ بِأَرْضِهِ نَظَرَتْ زَوْجَتُهُ إِلَى السِّدْرِ فَسَأَلَتْهُ عَنْهُ فَأَخْبَرَهَا ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى النَّخْلِ فَلَمْ تَعْرِفْهُ فَسَأَلَتْهُ فَأَخْبَرَهَا ، فَقَالَتْ :

أَلَا لَا أَحِبُّ السِّدْرَ إِلَّا تَكَلَّفًا ، وَلَا لَا أَحِبُّ النَّخْلَ لِمَا بَدَا لِيَا
وَلَكِنِّي أَهْوَى أَرَاظِي مُطْعِمٍ سَقَاهُنَّ رَبُّ الْعَرْشِ مُزْنًا عَوَالِيَا
فِيَا صَاعِدَ النَّخْلِ الْعَشِيَّةَ لَوْ أَنَّ بَضِغْتَ الْآءِ كَانَ أَشْفَى لِمَا بِيَا

فلما رأى زوجها اُزْدَاءَهَا النَّخْلَ أَطْعَمَهَا الرُّطْبَ ، فلما أَكَلَتْهُ قَالَتْ :
نَزَلْنَا إِلَى مَيْلِ الذَّرَى قُطِفَ الْخُطَا ، سَقَاهُنْ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ
كِرَامًا فَلَا يَغْشَيْنَ جَارًا بِرِّيَّةٍ يَمِذْنَ كَمَا مَادَ الشَّرُوبُ مِنَ الْخَمْرِ

آل جُفَيَّانَ مِنْ آلِ مُسْلَمٍ مِنْ آلِ مَرْشَدٍ مِنْ تَمِيمٍ

كتب الأخ إبراهيم بن الشيخ أحمد بن إبراهيم الجفَيَّان إلى « العرب » بتاريخ ٢٠/١٠/١٤٠٨ هـ حول نسب أُسْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ آلِ جُفَيَّانَ قَائِلًا : عند الاطلاع على سفركم المسمى « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » وجدنا أَنَّ اسم عائلتنا (الجُفَيَّان) قد سقط . إنه لاشك أَنَّ مثل هذا العمل الكبير الواسع المتشعب كثير المتاهات ، يحدث فيه كثير من الخطأ والسهو والنسيان ، وسط الكم الهائل من المعلومات المتداخلة فإنكم — حفظكم الله — اعتمدتم بعض المراجع التي منها « تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد » للشيخ ابن عبد القادر وكتاب الشيخ حمد الحقيـل « كثر الانساب » وقد أشارا إلى أَنَّ عائلة الجفَيَّان بالأحساء من بني تميم ، وكذلك قد ورد اسم أُسْرَتِنَا في كثير من كتب الانساب الأقدم .

كما أنكم في كتابكم « جمهرة الانساب » الجزء الثاني ص ٨٠٦ تحت اسم (المرازيق آل مَرْشَد) ذكرتم أبناء عمومتنا وهم آل خُرَيْفٍ وآل عبدالله وآل مُسْلَمٍ وآل مهدي وآل مشاري ، ولم تُذَكِّرْ معهم وهم أبناء عمومتنا المقربين ، وتستطيعون أن تسألوا الثقات من آل مُسْلَمٍ أهل الحُلُوة .

وقد استوضحت مجلة « العرب » من الأخ الكريم سعد بن عبدالله المهنا أمير القويـع بمنطقة حوطة بني تميم ومن العارفين بأنساب السكان هناك ، فتفضل بالكتابة بما هذا نصه : يسعدني جداً أن أفيدكم أَنَّ أُسْرَةَ آلِ جُفَيَّانَ مِنْ آلِ مُسْلَمٍ ، وهم ذرية علي بن مَرْشَدٍ جَدِّ آلِ مُسْلَمٍ ، وله أربعة إخوة هم عُمَرُ جَدُّ أهل القويـع ، وعبدالله جَدُّ آلِ عبدالله ، وعثمان جَدُّ آلِ درويش ، وشامان جَدُّ آلِ خريف وآل معدي وآل مشاري فهم أبناء عَمِّ ، علماً أَنَّ الاقرب لِأُسْرَةِ آلِ جُفَيَّانَ هم أُسْرَةُ آلِ أَبُو حَيْدٍ وجميعهم من آلِ مُسْلَمٍ ، ويقال : إِنَّ آلَ جُفَيَّانَ هم

أول من حفر بئراً في الحلوة اشتهرت باسم الحلوة لعذوبة الماء بها ، وسميت البلدة باسم البئر الحلوة ، راجياً ان تكون هذه الاجابة شافية .

نَسَبُ أُسْرِ فِي بِلْدَةِ «الِيَمَامَةِ»

كتب الابن الكريم الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالله الرويس : اطلعت على مؤلفكم « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » فوجدته قد أغفل ذكر أربع أسر في بلدة اليمامة في الخرج وهي :

الأولى : (آل عُلَيَّ) بتصغير عَلَيَّ وهذه الأسرة من أعرق الأسر المنتسبة إلى عائذ ، وهي أقرب أسرة إلى البجادي صاحب الإمارة والشأن قبل قيام الدولة السعودية أيدها الله . وجدُّ هذه الأسرة هو الذي وهب أرض جامع البلدة الداخلية ، وحبس عليه الأحباس من الجامع حتَّى الفُقَيْمي جنوباً ، وقد ذكرت ذلك في قصيدتي عن آثار الخرج ومعاله .

الثانية : (آل سُعَال) بالسین المهمله المضمومة والعین المهمله المفتوحة بعدها ألف ثم لام - من بني خالد ، ولهم حيٌّ كامل ، ونخيل باسمهم ، وصاهرو السماريين الهواجر والهلاليين التميميين .

الثالثة : (آل غَنَام) من الفوائم من زُعْب ، وهم من خيار الناس استقامة وطيبة .

الرابعة : (آل عُبودي) أشهر ما قيل في نسبهم : انهم من بني خالد ، ولهم مصاهرة مع أسر الخرج المشهورة .

العرب : حبذا لو أن الأستاذ الكريم أو أحد المعنيين بالبحث في الأنساب ذكر الفروع التي تنفرع الأسر المذكورة من أصلها الأعلى ليكون التعريف بالنسب وافياً ، وكذا ذكر الصلة بين تلك الأسر وبين غيرها من سكان تلك البلدة .

* نسب معدّ واليمن الكبير :

وتسابق محققان فاضلان على نشر ماوصل إلينا من تراث ابن الكلبي في الأنساب ، والتسابق على الخير من الأمور المحمودة ، هما الأستاذ محمود فردوس العظم من دمشق ، الذي أصدر القسم الموجود من «الجمهرة» في ثلاثة مجلدات ضخام ، والدكتور ناجي حسن الذي أصدر الكتاب في مجلد ، ثم تسابقا لنشر القسم الموجود من كتاب «نسب معد واليمن الكبير» عن مخطوطته الوحيدة في مكتبة (دير الاسكوريال) فسبق الدكتور ناجي حسن إلى ذلك ، وأصدر هذا الكتاب في مجلدين بلغت صفحاتها ٨٧٢ منها الفهارس المفصلة التي استغرقت من الصفحات من ٧٤٣ إلى آخر الكتاب ، والطباعة حسنة والحروف مضبوطة بالحركات ، وأثر المحقق الكريم بارز في كل صفحة من صفحات الكتاب ، بالضبط والإضافة والإحالة إلى المصادر ، وفي وضع الفهارس المفصلة .

وقد صدر الكتاب في طبعته هذه سنة ١٤٠٨ (١٩٨٨) مطبوعاً في بيروت .

أما الأستاذ محمود فردوس العظم فقد قدم هذا الكتاب للطباعة منذ زمن ، وكتب مقدمته الأستاذ الباحث المحقق روكس بن زائد العزيزي ونشرتها «العرب» في هذا الجزء ، وقد يكون الكتاب قد صدر ، ولكن مطبوعة الدكتور ناجي حسن سبقته إلى المكتبات في المملكة . مع أنه صدر الجزء الأول من تحقيق الأستاذ العظم .

وينشر هذين الكتابين يصبح علم ابن الكلبي في الأنساب هو وعلم أبيه قد أصبحا بين يدي الباحثين .

* أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان :

يُعنى المستشرقون في الغالب في البحث والتنقيب عما يتعلق بتاريخ القضايا العربية القديمة من أول نشأتها ، وهذا من الأمور التي تعين على تفهم تلك

القضايا ، ومن ذلك ما قام به المستشرق فيلفرد ماديلونغ Wilferd Madelung من جمع نصوص وردت في كتب لم تصل بعدُ إلى أيدي القراء كاملة منشورة عن أخبار الأئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان منها : -

١ - المنتزع من الجزء الأول من الكتاب المعروف بـ «التاجي في أخبار الدولة الديلمية» تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي من ص ٩ إلى ٥١ .

٢ - من كتاب «المصاييح» لأبي العباس الحسيني من ٥٥ إلى ٧٥ .

٣ - من كتاب «الإفادة في تاريخ الأئمة السادة» للإمام أبي طالب الناطق بالحق من ٧٩ إلى ١١٨ .

٤ - نخب من كتاب «جلاء الأبصار» للحاكم أبي سعد المحسن بن محمد الجشمي ، نقلها أحمد بن سعد الدين السوري في كتاب «تحفة الأبرار» من ١٢١ إلى ١٣٣ .

٥ - نسخة كتاب وصل إلى الفقيه العلامة عمران بن الحسن بن ناصر بن يعقوب العذري الهمداني من ١٣٧ إلى ١٦١ .

٦ - منتزع من «الرسالة العالة بالأدلة الحاكمة» للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة من ١٦٥ إلى ١٧٠ .

٧ - من كتاب «الحقائق الوردية من مناقب الأئمة الزيدية» لحמיד بن أحمد المحلي من ١٧٣ إلى ٣٤٩ .

٨ - منتزع من الجزء الرابع لكتاب «روضة الأخبار» لأبي محمد يوسف بن محمد الحجوري من ٣٥٣ إلى ٣٥٤ آخر الكتاب .

ثم فهارس مفصلة للاعلام والأسم والقبائل والأماكن والأنهار إلى ص ٣٧٧ .
ثم مقدمة باللغة الانجليزية في ٢٣ صفحة .

وقد قام بنشر الكتاب المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت فكان الحلقة الـ (٢٨) من سلسلة (نصوص ودراسات) التي يصدرها المعهد . وقد صدر عام ١٩٨٧م عن مطبعة المتوسط في بيروت بطباعة جيّدة .

فهارس السنة الثالثة والعشرين

- ١ - الكتاب والمعلقون
- ٢ - الموضوعات العامة
- ٣ - الاعلام
- ٤ - الأسر والقبائل والجماعات
- ٥ - الكتب والصحف والمجلات
- ٦ - المواضع
- ٧ - الشعر

أولاً: الكتاب والمعلقون

- | | |
|--|--|
| ٥٥٧ محمد علي العبد | ٨٤٦ إبراهيم بن أحمد الجفنيان |
| ٤٠٣/٢٦٧/١١٥ محمد بن موسى الخازمي | ٥٦٦/٤٨٩/٣٦٠ إبراهيم السامرائي (د) |
| ٨٢٩/٧٠٤/٥٥٧ | ٥٧٠ أحمد بن علي آل سليمان |
| ٨٤٤ محمد بن ناصر المزاع | ٨٣٨/٧١٢ أحمد بن محمد بن يحيى |
| ٦٨٩ محمود أبو طالب (د) | ٦١٩ حاتم صالح الضامن (د) |
| ٣٥٢/١٨٧ محمود فجال (د) | ٥٣٣ حسن عبدالله القرشي |
| ٧١٦/٤٢٨ عبدالعزيز بن سعد المطيري | ١٣٧ حماد بن محمد آل نمي |
| ٥٦٩ عبدالله بن سليمان السعيد | حد الجاسر ١٥٠/١٣٧/٢٢ |
| ١٤١ عبدالله أحمد عبد الرحمن | ٣٦٧/٣٢٦/٢٨٤ |
| ٤١٢ عبدالله بن سعود الخثلان | ٤٢٧/٤٢٢/٤١٠ |
| ٢٨١ عبدالله سعيد عثمان | ٥٣٠/٥١٣/٤٧٨ |
| ٣٧٣ عبدالله بن عبدالعزيز المفلح | ٨٢٨/٨٠٩/٧٩٣/٧٥٤/٧٣٢ |
| ٦٧١/٨٢ عبدالله بن محمد أبو داهش (د) | ٧١٥ خالد بن ضاحي الضاحي |
| ٤٩٧ عبدالله بن محمد الحبشي | ٨٤٤ خالد بن عبدالله الغليقة |
| ٤٤١ عبدالله بن ناصر الوهبي (د) | ٢٧٨/٢٣٧ راشد بن حمدان الأحيوي |
| ٧٣٩/٧١٣/٦٤٦/٤٨٥/٢٩ علي جواد الطاهر (د) | ٧٨٢/١٠٩ روكس بن زائد العزيزي |
| ٧١٣ علي بن محمد شعيلان الماضي | ٢١٥ سالم بن مصطفى الحامد |
| ٧٩٩ فايز بن موسى الحربي | ٨٤٦/٤٠٨/٢٧٣/١٣٩ سعد بن عبدالله بن مهنا |
| ٢٦٥ فراج بن شافي الملحم | ٥٧٠ سلمان بن محمد القيفي |
| ٦٩٤/٥٤٩ فريد جحا | ٥٣٨ سيد أحمد بن أحمد سالم |
| ٨١٧/٦٩٨ فهد بن عبدالله السبيعي | ٦٣٤ شاكر الفحام (د) |
| ٥٢٥ قاسم طوير | ٨٤٠ صالح بن فهد الحبابي |
| ٧١٤ مالك بن فيصل الدندشي | ٨٤٧ عبدالعزيز بن عبدالله الرويس |
| ٢٦٣ محمد رضا نصر الله | ٧٥٤ محمد بن سليمان السديس (د) |
| ٦٢ محمد بن سعد الشويرع (د) | ٢٨٠ محمد بن عبدالعزيز الأصيغ |
| ٤٠٠ منير البعلبكي (د) | ٨٤٠ محمد بن عبدالله الخويل |
| ٥٦٦/١٠٦ محمد سعيد المسلم | |

يحيى بن عبدالله العلمي (الفريق) ٨٣٦/٤١٩
يوسف شلحد (د) ٣٤٠

ناصر بن محمد العطيش ٥٦٨
نورى حمودي القيسي (د) ١٨٢

ثانياً: الموضوعات العامة

النبوية قد وأدها أهلها ٣٥٥	آل جفطان من آل مسلم ٨٤٦
بين أبا وعيفة ٥٢٥	آل حسين وآل مرشد في الحوطة ٤٠٦
بين الكرامة والخرافة ٦٩٨	آل ضاحي من الأسلم من شمر ٧١٤
بين ميونخ وفينا ١	آل عطيش من آل صبيح ٥٦٧
نخبة مودة وأسى (قصيدة) ٥٦٣	آل غليقة من آل مضيان ٨٤٤
نربة: من أعراض نجد المشهورة ١٠٩	آل مرشد في الحوطة ١٣٧
تصحيح خطأ تاريخي: (لأعلاقة بين الوهاية	آل نمي في الخطامة ١٣٧
الرستمية والدعوة السلفية) ٢٩	آل هزاع من بني خالد ٨٤٣
تصحيح خطأ نحوي ٨٣٥	أبو حيان التوحيدي ٥٥١
تصحيح «لسان العرب» ٥٧٢	أحاديث في الأنساب ٨٣٦
تطبيع (أخطاء مطبعية) ٤٢٨/٢٨٦	الاحتجاج في العربية ٣٤٢
تعليقات على كتاب محمد أمين الشنقيطي ٥٣٣	أخطاء وليست تطبيعاً ٧١٣
الجرار: قائد الألف ٥٧٣	أخلاق عرب الرولة وعاداتهم ٧٥٤
الجزيرة العربية كما وصفها ماركو بولو ٣٢٧	الأسر المتحضرة من سبع في الحريق ٤
جواهر المقاص في معرفة الخواص - كتاب ٤٩٠	أسر متحضرة من مطير ٧١٥
حجر الراشدة ومواضع أخرى في رنية ٨١٠	أسرة الحشاش من السويد ٢٧٣
الحديبية بعضها حل وبعضها حرم ٥٣٨	أسماء أحياء الرياض القديمة ٨٢٠
حساب الجُمَّل ٤١٧	أسواق العرب القديمة ٤٩٨
حول أنساب بعض القبائل ٨٣٨	أشهر أسواق العرب القديمة ٤٩٩
حول تاريخ صحافتنا ٤٠٩	اشتقاق أسماء المواضع والمدن العربية ٥٥٧
حول ضرائر النثر في النحو العربي ١٨٢	(اعتبر) من الناحية اللغوية ٨٣٥
حول كتاب «التوراة جاءت من قلب جزيرة العرب»	الاعلام واللغة الاعلامية ٣٧٣
٦٧٦/٥١٤	إعلان بالمجان!! ٤٢٠
حول كتاب «الجوهريين» ٥٦٩	أمكنة التعدين القديمة حول رنية ٦٩٤
حول «المعجم الكبير» ١٢٢	أنساب الأسر المتحضرة في الأفلاج ٣٦٧
خشم وبلادها ٧٢١	إنها مخطوطة «زاد الرفاق» ٧٨٣/٦٤٧
دحنا ودجنا (تجننا) ٨٠٠	أوقات إقامة أسواق العرب القديمة ٥٠٤
ديوان العرب ٥٦٣	أينا الغائب... أيها الكاتب؟! ٢٨٣
ذو النفوذ في الأسواق العربية القديمة ٥٠٧	بطون بني سعد بن هذيل ١٩٠
زحران: وهل هو اسم جبلين؟ ٨٢٤	بعض أسر الحريق ونعام ٥٧٠
رسالتا ابن مجتل والحفظي في ابن ادريس ٦٥	بنو الحارث (الشلاوى) قبيلة قحطانية ٤٢٢
رسالة ابن الأمير الصنعاني إلى العجيلي ٦٦٤	بنو زيد أسرهم ومنازلهم ٧١٠
رواد الأسواق العربية القديمة ٥١٠	النبوية أعلى مراحل السوء ٤٨٠

٥٣٠/٣٧٣	لغة الاعلام
١٠٧	لمحات من مذكرات العزيزي :
٨٢٩/٧٠٤/٥٥٧/٤٠٣/٢٦٧/١١٥	ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع
٥١١	ماذا كان يجري في أسواق العرب ؟
٦٢٣	المجموع من شعر القحيف العقيلي
١٤٠	مخالفة قواعد الاملاء
٧٨٣/٦٤٧	مخطوطة جديرة بالنشر للأبيوزيدي
٨٤٥	مطعم وادي الحلوة
٤٨٥	مع النعالي وكتابه التوفيق للتلفيق
٤٠٦/٢٧٣/١٣٧	مع القراء في أسلتهم وتعليقاتهم
٨٣٥/٧١٠/٥٦٧	
٨٤٨/٧١٧/٥٧٣/٤٢٨/٢٨٧/١٤٢	مكتبة العرب
١٤٥	من تاريخ الدولة السعودية الأولى
٧٣٣	متخبات (السيد) وملاحظات
٧١٦/٢٨٤	المناسة اسم مواضع كثيرة
١	من ذكريات الرحلات
٣٤٤	من شعراء القطيف أبي البحر الخطي
٣٦٠	من شعر ليلى بن ربيعة العامري
٢٨٠	مواضع الغزوات النبوية
٢٦٤	مواضع في شعر عمرو بن معدى كرب
٩٤	المواقع الأثرية والأثار في منطقة القطيف
١٤٥	نابليون والدولة السعودية الأولى
٢٣	نصرة الشاعر وملاحظات على تحقيقه
٦٩٣	هدية لا أكرم منها ولا أئتمن
٢٧٣	هذيل في مقال الأستاذ الحسني
٨٤٠	جرّجاء والخضراء وكُتنة
	هل هو المناسك أم منازل الطريق وهل هو للحرب أم
٤٣٣	لوكيع ؟

٤٢٥	زلة قلم .. لم خطأ (تطبيع) ؟
٥٦٨	الزمامات من المسامرة من الدواسر
٢٧٨	زيد الذي يتسبب إليه بنوزيد من عبيدة
٧٤٠	٣٧ عاماً في دنيا الصحافة
٢٢٦/٢١٨	شبهة حول نسب لحيان
٢٠٠	شبهة حول نسب مخزوم هذيل
٤٤٣	شعر بشر بن أبي خازم الأسدي
٢٨٩	شعر المخطئة مطبوعاً ومخطوطاً
٦٠٢	شعر القحيف العقيلي
٥٦٦	شمس الغد (قصيدة)
٤١٢	الشيخ راشد بن خنين : نسبه ومذهبه
٧١٤	الضياعم والدنداشة
٥١٢	طرق البيع والشراء في أسواق العرب القديمة
١٥٠	عبدالله بن ممام السلولي حياته وشعره
١٣٩	العوازم : بعض أفعالها
٨٦٤-٨٥٠	فهارس السنة الثالثة والعشرين
٧٩٤	قبيلة مزينة في الجاهلية والإسلام - كتاب
١٨٩	قبيلة هذيل وأصولها القديمة
٢٤٤	قراء أولى في شعر أبي البحر الخطي
٢٢٦	القويمية : (ذات القويم) قديماً
٦٣٦	كتابان عن أحمد أمين
٥٤٢	كتاب تاريخ التراث العربي
٧٧٩	كتاب والنسب الكبير
٢٨٢	كلب ينبح الأضياف
	كيف انجهدت إلى البادية ؟ (لمحات من مذكرات
١٠٧	العزيزي)
٢٩	لا علاقة بين الوهابية الرستمية والدعوة
	السلفية : (تصحيح خطأ تاريخي)

ثالثاً : الاعلام

...	ابن دقياق (إبراهيم بن محمد)
٢٩٥/٢٩٣	ابن السكيت : (يعقوب بن إسحاق)
٢٤٤	أبو البحر الخطي
٥٥٧ إلى ٥٥١	أبوحيان التوحيدي
٣	أبو عبيد البكري
	أبو عمرو الشيباني : (إسحاق)

٤٨٥	ابن سبام الصفار (د)
٦٩	إبراهيم بن أحمد الحفظي
٤٣٣	إبراهيم بن إسحاق الحربي
٢٨٨	إبراهيم بن محمد (ابن دقياق)
٥٧٦/١٢٩/١٢٨	ابن الحدادية (قيس بن عمرو)
٢٣	ابن أبي الحديد : (عبد الحميد بن هبة الله)

الأنثم : (علي بن المغيرة) ٩٢٣
إحسان عباس (د) ٣٦٢/٣٦١/٣٦٠
أحمد بن إدريس المغربي ٧٠/٦٥
أحمد أمين ٦٤٦ إلى ٦٣٦
أحمد جمال ٤٠٩
أحمد بن رشيد الخنيلي ١٤٩
أحمد السيد دراج (د) ٢٨٨
أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ٧٢٠
أحمد بن فارس مؤلف «الصحاح» ٤٨٦
أحمد لطف السيد ٧٣٣
أحمد بن محمد الضبيب (د) ٢١
أحمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي ٨
أحمد أبو الهيجاء (د) ٤٢٨
إسحاق بن مرار (أبو عمرو الشيباني)
..... ٥٦١/٢٩٥/٢٩٣
إسماعيل عارف ٢٢/١٢
إسماعيل مظهر ٧٣٣
الأصمعي : (عبد الملك بن قريش) ٢٩٥/٢٩٣
ألوميس موزل ٧٥٣/٥٢٩
بأول كونيتش (د) ٥٧٥
بشر بن أبي خازم الأسدي ٤٤٢ إلى ٤٧٨
بكر بن أبي زيد ١٤٤
بكر بن النطاح ٥٧٦
بَنُو بِيْشَان ١٤٥
ثوبان بن بجلد ٥٧١
جاكولين بيرن ٣٢٨
الجبائي المتكلم ٥٥٩/٥٥٨
جته جي : (عبد الله باشا) ٨
جروول بن أوس (الخطبة) ٣٢٦ إلى ٢٨٩
حاتم صالح الضامن (د)
..... /٦٢٣/٦٠٢/٥٧٦/٤٥٦
..... /٦٣٤/٦٣٣/٦٢٩/٦٢٨
الحاضرة : (قطبة بن أوس) ١٣١
حبيب الراوي ٤٨٥
حجاب بن سعود الحمدي ٧١٦
الحسن بن البهلول ٧١٥
حسن محسن (د) ١٤٣
الحسين بن عبد الرحمن الأهدل ٥٧٤

الخطبة : (جروول بن أوس) ٢٨٩ إلى ٣٢٦
حد الجاسر ٤٤١ إلى ٤٣٣
..... ٦٩٣/٦٢٦
الحويطرة : (الحاضرة قطبة بن أوس) ١٣١
خالد بن كلثوم ٢٩٩/٢٩٣
الخليل بن أحمد ٥٧٦
خليل حميرة (د) ٤٢٨
خنيس بن سعد ٤٠٤
دريمي الشعلان ١٤٧/١٤٦
ذو النون أيوب ٢٢/١٢/٨
راشد بن خنيز ٤١٢
رتشارد قلب الأسد (الملك) ٢٢
رضوان دهبول ٤٢٩/٢٨٧
رضوان محمد حسين النجار (د)
..... ٣٦٥/٣٦٣/٣٦١/٣٦٠
زياد بن عبدالله الحارثي ٧٠٥
زيد بن عبد المحسن آل حنون (د) ١٤٣
.....
سالم الكرنكري : (ف كرنكي)
..... ٦٣٢/٦٢٨/٦٢٥/٦٠٢
سمود بن عبد العزيز (الامام) ١٤٦
سميد عبد الفتاح عاشور (د) ٢٨٨
سكينة الشهابي ٥٧٤
سلمان محمد الفيني ٢٨٢
سليمان بن إبراهيم العايد (د) ٤٣٥/٤٣٣
سويد بن سعيد الحديشي ٧٠٨
سويد بن كراع العكلي ٥٧٦
سيف بن عمر التميمي ٧٠٣
شاكر الفحام (د) ٦٠٢
صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ٢٣
صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي ١٤٢
طريف السنان (د) ٢٢/٢١/١٣/١٠/٣
عارف النكدي ٢
عبد الحميد بن أبي الحديد ٢٣
عبد الرحمن علي البهليكي ١٤٢
عبد الرحمن بن فايز بن عجم ١٥٠
عبد الرحيم بدر (د) ٥٧٥
عبد الستار فراج ٥٧٢
عبد السلام هارون ٥٧٣

عوض بن عوض بن لويحق ٧١٦
 عيينة بن حصن الفزاري ٥٧٣
 الفاكهي (مؤلف أخبار مكة) ٧١٧
 فتح الله الصائغ الحلبي ١٤٧/١٤٦
 الفراء (يحيى بن زياد) ٢٩٦
 فريثس كرنكو: (سالم الكرنكوي)
 فريد جحا ٦٩٣/١٤٧/١٤٦
 فؤاد سزكين (د) ٧١٩/٥٤٦
 فيلفرد ماديلونغ ٨٤٩
 القحيف العقيلي ٦٣٥ إلى ٦٠٢
 قطبة بن أوس (الحاضرة) ١٣١
 قطرب ١٣
 قيس بن عمرو (ابن الحدادية) ٥٧٦/١٢٩/١٢٨
 كمال الصليبي ٥١٤ إلى ٥٢٥ ٦٨٩/٦٧٦
 الكميث بن معروف الأسدي ٥٧٦
 لاسكاريس ١٤٥ إلى ١٥٠
 لبيد بن ربيعة العامري ٣٦٠ إلى ٣٦٦
 لطفي السيد (باشا) ٤٢٠
 ماركو بولو (الرحالة) ٣٢٧ إلى ٣٤١
 مازن يوسف عماري ٧١٩
 محب الدين الخطيب ٦٩٨
 محمد بن أحمد الأبيوردي ٦٤٧ إلى ٦٦٤ و٧٨٣-٧٩٣
 محمد بن أحمد الذهبي ٢٨٧
 محمد بن أحمد العقيلي ١٤٢
 محمد بن إسحاق الأمير الصنعاني .. ٦٦٤ إلى ٦٧٠
 محمد أمين الشنيطي ٥٣٣
 محمد جابر الحسني ٢٧٣
 محمد جبار المعيد ٤٤٢
 محمد الحبيب بن الخوجة (د) ٤٣١/٤٣٠
 محمد حسين هيكل (د) ٧٠٣
 محمد بن خلف (وكيع) ٤٣٩/٤٣٣
 محمد رشاد سالم (د) ٧٢٠
 محمد رواس قلعجي ١٤٣
 محمد ظافر الوفاي ١٤٢
 محمد بن عامر أبو نقطة (الأمير) ٤٣١
 محمد بن عبدالعزيز الأصيق ٧١٠
 محمد بن عبدالله بن حيد ٥٨٨/٥٢٩/٥٢٥
 محمد بن عبد الوهاب (الامام) ٤١٦/٢٩

عبد العزيز انديجاني ٢٨٣
 عبد العزيز الرفاعي ٢
 عبد الكريم خليفة (د) ٤٢٩
 عبد اللطيف الدليشي الخالدي ٥٣٣
 عبدالله باشا (جنته جي) ٨
 عبدالله بن حسين ٢١/٣/٢
 عبدالله الخيال ٢١/١٠/١
 عبدالله بن عبد الرحمن البسام ٤١٢
 عبدالله بن عبدالله حجازي (د) ٧١٩
 عبدالله بن عبد المحسن التركي (د) ٧٢٠
 عبدالله العلالي ٥٨٧/٥٨٦
 عبدالله بن علي النعمان الضمدي ٤٩٠
 عبدالله بن لمية المصري ٧٠٤
 عبدالله محمد الحبشي ٥٧٤
 عبدالله بن محمد أبو داهش (د) ٤٣١
 عبدالله بن همام السلوي ١٥٠
 عبدالله بن يوسف الغنيم (د) ٣
 عبد الملك بن عبدالله بن دهيش ٧١٧
 عبد الملك بن قريب (الأصمعي) ٢٩٥/٢٩٣/١٣
 عبد الملك بن محمد الثعالبي ٤٨٥
 عبد الوهاب بن رستم مؤسس الدولة الرستمية
 ٤٥/٤٤/٢٩
 عبد الوهاب محمد العدواني ٢٨٠
 عبد الهادي بن بكري المعجلي .. ٦٧٠/٦٦٧/٦٦٤
 عزت حسن (د) ٤٥٦/٤٥٥
 العلاء بن الحضرمي ٧٠١/٦٩٩
 علي جواد الطاهر (د) ٤١٩/٤١٧
 علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) ٥٧٤
 علي بن الحسين الأصفهاني ١٤٣
 علي شواخ (د) ٧١٤
 علي الطنطاوي ٧٠٠/٦٩٨
 علي بن مجمل المغنيد ٦٧
 علي بن المغيرة (الأثرم) ٩٢٣
 عمران بن حطان ٨٣٤
 عمر بن إبراهيم الوكيل (مؤلف) ٦
 عمر بن زوارة الحدثي ٨٣٠
 عمرو بن معدى كرب ٢٦٥/٢٦٤

٥٦٠	المهاجر بن عبدالله المخزومي	٧١٨	محمد عبدالمهدي أبو ريدة (د)
١٤٥	نابليون بونابرت (الامبراطور)	٢٣	محمد علي سلطاني
٨٤٨	ناجي حسن (د)	٤٣٠	محمد بن عمر بن رشيد الفهري
٧٠١/٧٠٠/٦٩٨	ناجي الطنطاوي	٧٢١	محمد فيصل عبدالمنعم
٢٨٩	نعمان محمد أمين طه (د)		محمد بن موسى الحازمي
٧٢٧/٧٢١	نفيل بن حبيب الخثعمي	٨٢٩/٧٠٤/٥٥٧/٤٠٣/٢٦٧/١١٥	
٤٥٦/١٥١	نورى هودي القيسي (د)	٨٣٦	محمد ناصر الدين الالباني
٥٧٦	نوشل بن حري	٤٢٧/٤٢٦/٤٢٥	محمد نعيم العرقسوسي
٣٢٨	نيبور	٤٢٢	محمد الوصيل
٥٧٥	هاشم طه شلاش (د)	٥١٥	عمود أبو طالب (د)
٨٤٨/٧٧٩	هشام بن محمد الكلبي	٨٤٨/٧٧٩	عمود فردوس العظم
٤٥٥	يحيى البشر	٧١٨	عبي الدين صابر (د)
٢٩٦	يحيى بن زياد (الفراء)	٥٧٦	المخيل السعدي
٨٢٠	يحيى بن عبدالله المعلمي (الفريق)	٧٩٤	مسعود بن مسلم البهيمة
٤٠٤	يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف)	٧٠٩/٧٠٨	مسيلة الكذاب
٢٩٥	يعقوب بن إسحاق (ابن السكيت)	٢٦٤	مطاع الطرايشي
٧١٨	يوسف حسي (د)	٥٣٠	منير البعلبكي (د)
١٤٧	يوسف شلحد (د)	١٤٦	منير العجلاني (د)

رابعاً: الأسر والقبائل والجماعات

٥٠٧/٣٧٠	نميم	٣٧١	آل إبراهيم
٥٠٧	ثقيف	٣٦٧	آل أبو رأس
٣٦٩	آل جابر	٣٦٨	آل أبو علي
٥٠٧	جديلة	٤١٢	آل إدريس
٣٦٩	الجدالين	٥٠٧	الأزد
١٢٤	بنو جذيمة	٧١٥/٧١٤	الأسلم
١٣٥	جذيمة بن يربوع	٥٠٧	بارق
٣٦٩	آل جريس	٣٦٧	آل بازع
٣٦٨	الجماعة	٣٦٨	آل بدير
٨٤٦	آل جفنيان	٣٦٨	آل بدره
٣٧٢	آل جلال	٤١١	البرازات
٥٦٨	آل جمهور	٣٦٨	البردة
١٣٩	آل جميل	٣٧٠	آل بشر
٧١٥	آل جومعد	٣٧١	آل بضيص
٧١٢/٥٦٨	الجهيم	١٣٩	البوالين
٤٢٢	بنو الحارث	٣٧٠	آل تركي
١٣٨	آل (أبو حاضر)	٥٧٠	التمام

١٣٨ آل خريف
 ٣٦٨ الحضران
 ٧١١/٣٦٨ آل خضير
 ٤٧٢/٣٦٩ آل خلف
 ٣٦٩ آل خليف
 ٣٦٩ آل دايل
 ٣٦٨ آل دحيم
 ٣٧١/٣٧٠ آل دخيل
 ٣٦٩ آل درع
 ٣٧١ آل درعان
 ٣٦٨ الدغمة
 ٤١١ آل دغيم
 ٧١٤ الدنادشة
 ٥٦٨ الدواسر
 ٧١٦ الدباحين
 ٣٧٢ آل ذيب
 ٤١٢ آل ذواد
 ٣٦٩ آل ذيجان
 ٣٧١/٣٧٠ آل راشد
 ٧١٠ الربيعة
 ٣٧٠ آل رحمة
 ٣٦٨ آل ردعان
 ٣٧١/٣٧٠ آل رشود بن رشود
 ٣٧٠ آل رشود بن سعيد
 ٥٦٧/٤١١/١٣٨ آل رشيد
 ٥٦٨ الرفدان
 ١٢٩ الرفيدات (بنو رفيدة)
 ٧١١/١٣٨ الرقيب
 ١٣٩ الركابية
 ٣٦٨ آل رميان
 ٤١٢ الروافع
 ٧١٦ آل زروعة
 ٥٦٩/٥٦٨ الزمامات
 ٣٧٣ الزهرة
 /٢٨٠/٢٧٩/٢٧٨/٢٧٣ بنوزيد
 ٧١٢ إلى ٧١٠ من ٤١١/٣٧١
 ٧١٣ آل زينان
 ٤١٢/٤١١/٤١٠ سبيع

٣٧١/٣٦٨ آل حامد
 ٨٣٨ الحباب
 ٣٦٨ آل حبشان
 ٣٧٠ آل حبيب
 ٣٦٨ آل حجي
 ١٢٨ حداد بن ظالم
 ١٢٨ حداد بن مالك
 ١٢٨ حداد بن معن
 ١٢٨ حداد بن نصر
 ١٣٤ بنو حدال
 ٨٣٣ بنو حدان
 ١٣٠ حدان بن شمس
 ١٣٠ حدان بن قريع بن عوف
 ١٣٣ بنو حدس
 ٨٢٩ بنو حديلة
 ١٣٥ حذافة بن جح بن عمرو
 ١٣٥ حذافة بن سعد بن قيس
 ١٣٤ حذافة من قضاعة
 ٤١٢ آل حركان
 ٧١٠ الحزيم
 ٣٦٧ آل حسن
 ٤٠٧/٤٠٦/٣٦٧ آل حسين
 ٧١٢/٢٧٣ الحشاش
 ٧١١ الحصن
 ٧١٢ الحريشان
 ٣٦٩ آل حفيظ
 ٣٦٩ الحقبان
 ٤١١ آل حمادي
 ٤١١ آل حمد
 ٣٦٧ آل حمدان
 ٣٧١/٣٦٧ آل حمود
 ٣٦٨ آل حنابجة
 ٥٧٠/٤١١ آل حتوش
 ٥٠٨ بنو حنيفة
 ٥٦٧ بنو خالد
 ٧٢١ إلى ٧٣٢ خثعم
 ٤١١/٤١٠ آل خثلان
 ٣٧٠ الخراسين

٧١٤	الضياغم
٣٧٢	آل طلحات
٣٧٢	آل طلة
٣٦٨	آل ظافر
٣٦٨	آل ظفر
٣٧١	آل عاتبي
٣٦٩	آل عامر
١٣٩	المباهيل
٣٧٣	آل عيدان
٧١٢/٥٦٧/٣٧١	العبدالعزیز
٥٦٧/٤١١/٣٧٠/٣٦٧/١٣٨	آل عبدالله
٧٠٩	بنو عبدالله من بني كلاب
٣٧٢	آل عبود
٨٤٧	آل عبودي
١٣٨	آل عثمان
٨٣٩	العجيان
٧١٢	العجيان
٣٧٣	آل العرجا
٣٧٢	آل هرفج
٤١١	آل عزام
٥٦٧	آل عطيش
٣٦٨	آل عفدين
٣٦٨	آل عفيص
٨٤٧/٧١٥/٣٧١	آل علي
٤١١	آل علي بن محمد
٧١٣	آل عليان
٣٦٨	آل عمار
٧١٢	العمانا
٤١١	آل عمير
١٩٠	بنو عمير بن هذيل
١٣٩	العوازم
٧١٥	العوض
٧١١	العويس
١٣٩	العويضات
٧١٥	العويمر
٣٦٨	آل غانم
٧١٢	آل غران
٥٠٨	غطفان
٣٧٢	آل غليظ

٣٦٨	آل سجون
٧١١	السحيمي
٨٤٧	آل سعال
٣٦٨/٣٦٧	آل سعد
٧٠٦/٧٠٥	بنو سعد بن زيد مناة
١٩٠	بنو سعد بن هذيل
٣٦٨	آل سعود
٣٧١/٣٧٠	آل سعيد
٣٦٨	آل سفر
٣٧٠	آل سقران
٥٦٨	السلطان
٤١١	آل سلمان
٣٧٣	آل سليمان
٧١٦	آل السمرى
٣٦٨	السواحلة
٢٧٣	السويد
٧١٢	السيف
٣٧١	آل شامر
٣٧٠	آل شبيب
٣٧١	الشثور
٣٦٨	آل شجاع
٥٦٨	الشدي
٣٧١	آل شرف
٧١٣/٧١١	الشعلان
٣٦٨	الشكرة
٤٢٢	الشلاوى
٧١٤	شمر
٣٦٨	آل شنار
٣٦٨	الشواحين
٣٧١	آل شيان
٣٧٠	آل صالح
٥٦٧	آل صبيح
٣٦٨	الصخابرة
٧١٦	الصمانين
٧١٣	آل صقر
٣٦٨	آل صويان
٧١٥/٧١٤	الضاحي
٧١١	الضويان

٧١٢/٤١١	آل مسعد	٨٤٤	آل غليقة
٣٦٨	آل مسفر	٥٧٠	آل غملاس
١٣٨	آل مسلم	١٣٩	آل غميجان
٧١٢	المسهر	٨٤٧	آل غنام
١٣٨	آل مشاري	٧١٦/٤١٢	الفارس
٣٦٩	المصارير	٣٧٠	آل فالح
٨٤٤	آل مُضَيَّان	٧١٦	الفجحان
٣٧٣	آل مطرة	٣٦٨	آل فراج
٣٦٩	آل مطلق	٣٦٧	الفرجان
٧١٥	آل مطيري	٥٧٠/٤١١	آل فرحان
١٣٨	آل معدي	٣٦٨	الفوارين
٧١٥	المعزّي	٣٧١	آل فواز
٣٧٠	آل مغيرة	٣٧٠	آل فheid
٣٦٨/١٣٨	آل مفرج	٧١١	القرانا
٣٧٠	آل مفلح	١٣٨	آل قريع
٧١٥	بنو منديل	٤١١	القويزاني
٣٧١	آل منصور	٥٠٨	قيس عيلان
٥٧٠	آل منيع	٣٦٨	آل قيسان
٣٦٧	آل منيف	٢٢٦	بنو كاهل
٣٧١/١٣٨	آل موسى	٥٠٨	كلب
٧١٦	المويس	٣٧٠	آل كليب
٤١١/١٣٩	آل مهنا	٥٠٩	كنانة
٥٠٩	مهرة	٣٧٠	بنو لأم
٣٦٩	آل نابت	٣٧١/٢١٨/١٩٠	بنو لحيان
٣٧٠	آل ناصر	٧١٣/٣٧٠	آل ماضي
٣٧٢	التيفات	٧١١	الماطر
٣٦٨	آل نشير	٣٦٨	آل مانع
٣٧٠	آل نمشان	٣٦٨/١٣٨	آل مبارك
١٣٧	آل نغمي	٧١١	المجبول
٣٦٨	آل واسط	٣٦٧	آل محمد
٣٦٧	الويارين	٢٠٠	بنو مخزوم
٤١١	آل وطيان	٣٦٩	آل مخيزم
٣٦٨	آل وقيان	٤٠٧/٤٠٦/١٣٧	آل مرشد
٣٦٨	آل هذال	٧١٢	آل مرقب
٥٠٩/٢٧٣/٢٣٧ إلى ١٨٩	هذيل	٨٣٩	آل مرة
٣٦٨	المراثمة	٧٩٤	مزينة
١٩٠	بنو هرمة بن هذيل	٣٧١	آل مساعد
٨٤٣/٣٦٩	آل هزاع	٥٦٨	المساعة

٤١١/٣٦٨ آل هويدي
٣٧١ آل يحيى

٣٦٨ آل هشام
٣٦٨ الهواملة

خامساً: الكتب والصحف والمجلات

٢٨٨ الجوهر الثمين في سير الخلفاء
٣٥٥ الخطيئة والتكفير
١٣ خلق الإنسان
٢٦٦ الدرر الفرائد المنظمة
٦٥٣ الدررة الثمينة
٧١٨ الدلائل
٥٧٥ دليل السماء والنجوم
٦٥٣ ديوان الأبيوردي
٤٤٢ ديوان علي بن زيد العبادي
١٢ ذو النون أيوب حياته بقلمه
٣٢٨ رحلة إلى الجزيرة العربية وماحولها
٨٠/٦٥ رسالة إبراهيم بن محمد الحفظي
٧٨/٦٥ رسالة علي بن مجمل
١٣ رسائل الأصمعي
٧٨٣/٦٥٤ زاد الرفاق في المحاضرات
٣٦٦ شرح الدامغة
٣٦٠ شرح ديوان ليد
٢٨٩ شعر الخطيئة
٥٧٦ شعراء مقلون
٤٨٦ الصحابي في فقه اللغة
٣٢٨ صفة الجزيرة العربية
٦٥٤ سهلة القارح
٦٩٣/١٤٦ الضاد (مجلة)
٦٥٤ طبقات العلم في كل فن
١٤٤ طبقات النسابين
٤٣١ الظل الممدود في الوقائع
..... الحاصلة في عهد ملوك آل سعود
٤١٧ عارف حكمت
١٤٥ عبدالعزيز آل سعود رجل دولة
١٤٢ العقد المفصل بالمعجائب والفرائب
٤٩٠ العقيق اليباني في تاريخ المخلاف السليماني
٤٣٣ غريب الحديث
١٣ الفرق

الإبل ١٣
أبو هريرة وكوجكا ١٢/٨
أحمد أمين بقلمه وقلم أصدقائه ٦٣٦
أخبار أئمة الزيدية ٨٤٨
أخبار مكة للفاكهي ٧١٧
الأدوية والأدواء في تاج العروس ٥٧٥
الأصداد ١٣
اكتشاف الجزيرة العربية ٣٢٨
الأمن والتخطيط ٤٢٠
الأمن والمجتمع ٤٢٠
أنساب العرب ٦٥٣
البدر السافر وتحفة المسافر ٨
البدر الطالع من الضوء اللامع ٨
بغية الشادي من علل العروض ٦٥٣
تاج العروس ٥٧٥
تاريخ أبيورد ولسا ٦٥٣
تاريخ البلاد العربية السعودية ١٤٦
تاريخ التراث العربي ٧١٩/٥٤٢
تاريخ مدينة دمشق ٥٧٣
تحفة الزمن في تاريخ اليمن ٥٧٤
تحفة الوزراء ٤٨٥
ترويح القلب الشجي في مآثر عبدالله باشا الجته ٦
جبي ٦
التضامن الإسلامي (مجلة) ٦٩٨
تعلة المشتاق إلى ساكني العراق ٦٥٣
تعلة المفرور ٦٥٣
تلو الحماسة ٦٥٣
التوراة جاءت من جزيرة العرب ٦٧٦/٥١٤
توضيح المشتبه ٤٢٥/٢٨٧
التوفيق للتلفيق ٤٨٥
جمهرة أنساب الأسر المتحضرة .. ٧١٥/٧١٤/٥٦٧
جواهر المغاص في معرفة الخواص ٤٩٠
الجوهريتين ٥٦٩

٥٨٦	المعجم
١٢٢	المعجم الكبير
١٤٣	معجم الألفاظ المفردة في كتاب الأغاني
٤٢٠	مكارم الأخلاق في القرآن الكريم
٤٣٠	ملء العمية (رحلة ابن رشيد)
٤٣٣	منازل الطريق
٤٣٣	المناسك
٧٢٠	منهاج السنة النبوية
٦٥٥	منية الأدب
	النسب الكبير: نسب معد والهمن الكبير
٨٤٨/٧٧٩	
٢٣	نصرة الناصر
١٤٢	نور العمود وجامع الفنون
٦٥٤	نُهْرَةُ الحافظ
٩٤	واحة على ضفاف الخليج
١٣	الوحوش
٤٨٧/٤٨٦	يتيمة الدهر

٤٨٦	فقه اللغة
٢٣	الفلك الدائر على المثل السائر
٤٢٨	فهارس لسان العرب
٦٥٥	الفصل
٦٥٤	قبلة العجلان في نسب آل أبي سفيان
٧١٤	القشعم من كبريات القبائل
٦٥٤	كوكب المتأمل
١٤٨	لاسكاريس العرب
٥٧٢	لسان العرب
	ما اتفق لفظه واختلف مسماه من أسماء المواضع ١١٥ /
٨٢٩/٧٠٤/٥٥٧/٤٠٣/٢٦٧	
٦٥٤	ما اختلف واتلف في الأنساب
١٣	ما خالف فيه الإنسان البهيمة
٦٥٤	المجتبى من المجتبى
٦٤٠	محاضرات عن أحمد أمين
٤٥٥	مختصر معجم الأدباء
٦٥٤	المختلف والمؤتلف
٣	المسالك والممالك

سادساً: المواضع

٣٦٨	البديع
١١/٩	براغ
٦٩٦	برقة زارا
٧١٦	بريلة
٤٠٤	بطنان حبيب
٣٣٨	بغداد
٥٩٧/٥٩٦	بكة
٧٢٨/٧٢٧	بنات حرب
٦٩٦	بئر الوزران
٧٢٨/٧٢٧	بيشة
٧٠٣/٧٠٠/٩٧	تاروت
٧٢٨/٧٢٧	تيالة
٨٠٩	تجننا
١١٤/١١٣/١١٢/١١١/١١٠/١٠٩	تربة
٤٩٦	تعر
٢٦٨/٢٦٧	تل حامد
٥٣٩	التنعيم
٥٩٠/٥٨٩	تنفة

٥٨٧/٥٦١	أبانان
٧٠٧	أبرقا حُجَر
٣٢٨	أبوا
٥٨٥	أبو قيس (جبل)
٥٨٩/٥٨٨/٥٢٥	أبها
١١٣/١١٢/١١١/١١٠	أبيدة
١٢٢	الأحلب
٦٩٨	الأحسن
٥٠١	أدم
١٩٢	أديمة
١٩٢	أرعة
٧١٥	الأسياح
٣٦٩	أسيلة (وسيلة)
٣٦٧ إلى ٣٧٣	الأفلاج
٥٦٢/٥٦١	اللمم
	أمر: (فوامس)
١٠٣	باب الشمال

١١٩/١١٨/١١٧/١١٦/١١٥ جيش
 ١٢٠/١١٦/١١٥ جيش
 ٥٥٨/٥٥٧ حبي
 ٢٦٥/٢٦٤/١٣٢/١٣١ الحيا
 ٤٠٤ حبيب
 ٤٠٣ حبيس
 ٥٥٩ حتى
 ٥٦٠ حثمة
 ٥٦٢/٥٦١ حثن
 ٧٠٨ الحجر الأسود
 ٨٢٤/٨٢٣/٧٠٨/٧٠٧/٧٠٦/٥٩٣/٥٠٥ حجر
 ٧٠٨ حجر إسماعيل
 ٨١٠/٧٠٧/٦٩٧ حجر الراشدة
 ٧٠٦/٧٠٥/٧٠٤ حجور
 ٧٠٦/٧٠٥/٧٠٤/٥٦٠ الحجون
 ١٢٩ حد
 ١٢٣ الحداب
 ١٢٣ حدال
 ٨٢٣/٨٢٢ حدان
 ٨٣٠ حدث
 ١٢٦ الحدة
 ١٢٩ حدد
 ٨٣٤ حد وداء
 ١٢٤ الحدياء
 ٥٤٣ إلى ٥٣٨/١٢٦/١٢٥ الحديدية
 ٧٠٨ حديقة
 ٧٠٩/٧٠٨ حديقة
 ٨٢٩ حديلة
 ١٣٦ حذنة
 ٧٠٩/٧٠٨ حذيفة
 ٨٣٢ حراء
 ٨٣٤ حرار
 ٣٧٢ حراصة
 ٨٣٣/٨٣٢ حران
 ٨٣١ حرب
 ٨٣١/٨٣٠ حرث
 ٨٣٤ حروراء
 ٢٦٩ حرة الرجلاء

٥٩١ نيماء
 ١٢٣ ثبير الأحطب
 ٧٢٨ الشجة
 ٥٨٤ الصلبة
 ٥٤٢/٥٤١/٥٤٠ ثنية المزار
 ٥٨٤ ثور (جبل)
 ٢٦٤ جابة
 ٢٧٠/٢٦٩ جاكّة
 ٢٧٢/٢٧١ جمال
 ٩٧ جلاوان
 ٥٥٩/٥٥٧ جببي
 ٤٠٦/٤٠٤ جبيب
 ١٣٠ جبد
 ٦٩٧ جدائر الحشيشي
 ٨٢٩ جديلة
 ١٠٤ الجردى
 ٨٣٣ جمرار
 ٨٣١ جمررب
 ٥٩٣/٥٩٢/٥٩١ جمرش
 ٨٣٤ جمرزار
 ٣٢٧ الجزيرة العربية
 ٣٣٦ جزيرة الانثى
 ٣٣٦ جزيرة الذكر
 ٣٣٧ جزيرة سقطرى
 ٧٢٨/٧٢٧ الجسداء
 ١٢٢ جشر
 ٥٦٨ جلاجيل
 ٥٥٩ جنسي
 ١١٧/١١٦/١١٥ جيش
 ٢٦٤ حابة
 ٢٧١ حال
 ٢٧٠/٢٦٩ حالة
 ٢٦٨/٢٦٧ حامد
 ٢٦٨/٢٦٧ حاصر
 ٢٦٨ حامر بنى زهير
 ٢٦٨ حامر السابة
 ١٣٦ حائل
 ٥٠٣/٥٠٢ حباشة

١٢٠/١١٦ درب الحبش
 ٥٦٨/٥٦٧ الدلم
 ٥٩٥/٥٩٤/٥٠٤/٥٠١/٢٨٢ دومة الجندل
 ٤٠٣ ذات حبيس
 ٥٤٢/٥٤١/٥٤٠/٥٣٩ ذات الحنظل
 ٧٢٨/٧٢٧ ذات عث
 ٢٦٦ ذات القويح (القويعة)
 ٤٩٦ ذمار
 ٢٨١ ذو أمر
 ٨٢١ ذو سدير
 ٢٨١/٢٨٠ ذو العشيرة
 ٥٠٥/٥٠٢ ذو المجاز
 ١٩١ ذو يدوم
 ٦٩٧ الراشدة
 ٥٩٩ الرينة
 ٥٤٠/٥٣٦ الرحا
 ٤٠٤ رجة خنيس
 ٨٢٨-٨٢٤ زحران
 ٧١٦ الرس
 ٣٧٣ الرقاشة
 ٥٦١ الرمة
 ٨١٠/٦٩٨ إلى ٦٩٥ رنية
 ٥٨٣ الروحاء
 ٣٦٨ الروضة
 ٥٨٣ الروينة
 ٨٢٠/٧١٦/٧١٥/٥٦٩/٥٦٨ الرياض
 ٨٢٠ رياض مقرن
 ٥٣٩ ريع المير
 ٥٩٩ زرود
 ٣٧٢ ستارة
 ٥٧١ السراة
 ٧٢٨ سرور الفيض
 ٥٨٣ السقا
 ٥٠١ سوق ادم
 ٥٠٣/٥٠٢ سوق حباشة
 ٥٠٥ سوق حجر
 ٥٠١ سوق دبا
 ٥٠٤/٥٠١ سوق دومة الجندل
 ٥٠٥/٥٠٢ سوق ذي المجاز

الحريق ٥٧٠/٤١٢/٤١١/٤١٠
 حزاء ٨٣٢
 الحسن ١٢١
 حسن ٦٩٨
 حشر ١٢١
 الحسلوة ٨٤٥/٤٠٨/٤٠٧/١٣٩/١٣٨
 حلي ٤٩٦
 حني ٥٥٩/٥٥٨/٥٥٧
 حنظل ٧١٥
 حنين ٥٦٢/٥٦١
 حوطة بني تميم ٤٠٨/٤٠٧/٤٠٦/١٣٩/١٣٧
 حيس ١٢٠/١١٦/١١٥
 خاكة ٢٧٠/٢٦٩
 خال ٢٧٢/٢٧١
 خالة ٢٧٠/٢٦٩
 خبي ٥٥٩/٥٥٧
 خبي الوالج ٥٥٩/٥٥٨
 غيب ٤٠٥/٤٠٤
 غيب ٤٠٥/٤٠٤
 ختي ٥٥٩/٥٥٧
 خرار ٨٣٣
 خرب ٨٣١
 الخرج ٥٦٧
 خزاز ٨٣٣
 خرب ٨٣٠
 الحرم ٦٩٨
 الخضراء ٨٤٠
 الخطامة ١٣٧
 خنيس ٤٠٤/٤٠٣
 خير ٥٩٤
 خيس ١٢٠/١١٦/١١٥
 خيش ١٢١
 خيمة ٥٦١/٥٦٠
 دارين ٧٠٤/٦٩٩/٩٩
 دبا ٥٠١
 الدباية ١٠٥
 دجنا ٨٠٥/٥٨٥
 دحنا ٨٠٠/٥٨٥
 دخنة ٨٢١

٨٢٢	عقران
٥٠٥/٥٠٢	عكاظ
٣٧٠	العمار
٥٠٤	عمان
٢٦٥/١٣٢	العمق
١٢٨	عمود المحدث
٧١٦	عنيزة
٥٢٥	عيفة
٥٦١	الغبارة
٦٩٨	الفرشة
٣٧٣	الفرشة
٨٢٠	الفقه
٣٦٨	الفيصلية
٢١/١	فيما
٧٢٧	القاعة
٥٨٣	قديد
١٩١	قران
١٢٠/١١٦	قصر حيش
٢٤٤/١٠٦ إلى ٩٤	القطيف
٣٣٥/٣٣٤	قلطو
٦٩٨	القتصلية
٢٢٦	القوبعية (ذات القوبع)
٤٠٨/٤٠٧/٤٠٦/١٣٩/١٣٨	القوبع
٢٧٢	كال
١٣٩	كتان
٨٤٠/٧٢٨/٧٢٧	كتنة
٦٩٦	كتيفة
٦٩٨	الكوكبة
١٠٥	الكويكب
١٩٢	اللوياء
٥٦٩/٣٦٨/٣٦٧	ليلى
١٣٩	مشر
	المجاز: (ذو المجاز)
٥٠٢	مجنة
١٢٧/١٢٦	المحدث
١٢٧	محدث الأتم
١٢٨/١٢٧	المحدث
٤٩٥	المخا
٧٠١	المخاضة

٥٠٥/٥٠٢	سوق الشحر
٥٠٥/٥٠٢	سوق صنعاء
٥٠٥/٥٠٢	سوق عدن
٥٠٥/٥٠٢	سوق عكاظ
٥٠٤	سوق عيان
٥٠٢	سوق مجنة
٥٠٤/٥٠١	سوق المشقر
٥٠٥	سوق نطاة خير
٣٦٨	سويدان
٦٩٦	سويقة
٥٨٣	السيالة
٣٦٨	سيح الأفلاج
٥٠٥/٥٠٢/٣٣٣	الشحر
٨٢٥	شدخ
٥٣٩	شرفة الشيق
١٠٤	الشريعة
١٣١	شط
٥٩٩	الشفرة
٥٣٩/٥٣٨	الشمسي
٥٣٩	الشيح
٤٩٥	صيا
٦٩٦	الصدوعية
٧٢٨/٤٩٦	صعدة
٣٦٩	الصخور
٧٢٨/٧٢٧/٥٠٥/٥٠٢/٤٩٦	صنعاء
٦٩٧	الصوان (جبل)
٥٦٨	ضرما
٥٨٥	ضرية
١٩١	ضيم
٥٩٨/٥٩٧	الطائف (وج)
١٣٠	الطور (بلاد)
٥٦٢/٥٦١	طوس
٣٣٤	ظفار
٥٠٥/٥٠١/٤٩٥/٣٣٣/٣٣٢	عدن
٥٨٣	العرج
٦٩٨	عرق سبيع
٥٦٨	العسيلة
٥٣٩	العشاش
	العشيرة: (ذو)

المدارس	١٠٥	مياس	١٠٥
المدينة المنورة: (يثرب)	٥٩٩/٥٩٨	ميونخ	١
المنزب	٧١٦	ناضحة	٨١٥/٦٩٨
مر الظهران	٢٦٦	النافية	٣٧٣
مروان	٣٦٨	نجد	١١٤/١١٣/١١٢/١١١/١١٠/١٠٩
المريخ	٥٣٩	النخيل	٢٨١
المريقات	٩٦	نطاة خبير	٥٠٥
المزاحمة	٥٦٨/٤١١	نعام	٥٧٠/٤١٢/٤١٠
المشقر	٥٠٤/٥٠١	نعمان	١٩٢
المصانع	٥٦٨/٥٣٩	النقمي	١٣٩
مطمس	٨٤٥	النقيب	٦٩٦
المظل	٣٧٣	وادي الحلوة	٨٤٥
المعرش	١٣٩	وادي الحرمة	٦٩٨
ممكالك	٨٢٣	وادي الراشدة	٦٩٧
المقرن	٣٦٨	وادي فاطمة	٢٦٦
مكة المكرمة	٥٩٧/٥٩٦/٥٩٥	وادي الفسق	٨٢٠
ملحة الغراب	٥٤٠	وادي مر	١٩١
ملل	٥٨٣	وادي المظل	٣٧٣
مناجم جبل حذاء	٦٩٦	وادي نخلة	١٩١
مناجم جبل سلي	٦٩٦	وادي نعمان	١٩٢
مناجم جبل الشمس	٦٩٦	وادي النقمي	١٣٩
مناجم جبل ضلفع	٦٩٦	وج (الطائف)	٥٩٨/٥٩٧
مناجم حزم شياط	٦٩٦	وسيلة	٣٦٩
مناجم سود البئر	٦٩٦	هجر	٥٨٥
مناجم الصريفات	٦٩٦	هجرة المنذمة	٧١٦
مناجم ضبيعات القتاد	٦٩٦	الهدار	٣٦٩
الناقب	١٩١	هرجاب	٨٤٠
منجم بني جربوع	٦٩٦	هرموز	٣٣٥
منجم جفن ضب	٦٩٦	هضيب قليب	٨٢٨
المنذمة	٧١٦/٢٨٥/٢٨٤	يينيم	٧٢٨
بلودنية (هجرة)	٣٧٣	يثرب (المدينة المنورة)	٥٩٩/٥٩٨
الموصل	٣٣٨	اليامة	٥٦٨

سابعاً: الشعر والشعراء

نحية مودة وأسي (قصيدة)	٥٦٣	عبدالله بن همام السلولي: حياته وماتبقى من شعره	١٥٠
ديوان العرب	٥٦٣	من شعراء القطيف أبو البحر الخطي	٢٤٤
شعر بشر بن أبي خازم الأسدي	٤٤٣	من شعر لبيد بن ربيعة العامري	٣٦٠
شعر الخطيئة مطبوعاً ومخطوطاً	٢٨٩	مواضع في شعر عمرو بن معدى كرب	٢٦٤
شعر القحيف العقيلي	٦٢٣/٦٠٢		
شمس الغد (قصيدة)	٥٦٦		